

البحرُابُ الفسِيحُ

لِمَا لَفَّقَهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ

تَأَلَّفَ

الْإِمَامُ الْأَلَوْسِيُّ

جزءان في مجلدين

الجزء الأول

تحقيق الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

ملزوم الطبع والنشر

دار البيان العربي بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يطبع هذا الكتاب على النسخة الأحجية في مكتبة الجامع الأزهر .
وحقوق الطبع محفوظة لدار البيان العربى لصاحبها : عبد البديع قسوده
١٨ حرب الأتراك خلف جامع الأزهر بالقاهرة .

الطبعة الأولى بالقاهرة

١٤٠٨/١/٢٠ هـ

١٩٨٧/٩/١٣ م

كلمة محقق الكتاب

سيرة الله الجليل

قال الله تعالى : « تشهد الله : انه لا اله الا هو ، واللاتكة . وأولوا العلم . قائما بالقسط . لا اله الا هو . العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام » . (٣ : ١٨ - ١٩)

اشهد أن لا اله الا الله ، الاله انقائم بالقسط ، والناطق بالحق والعدل . واشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، بلغ ما أنزل اليه من ربه . وأصلى واسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه أجمعين .

أما بعد

فاسم هذا الكتاب : هو « الجواب الفسيح ، لما نفقه عبد المسيح » واسم المؤلف : هو « نعمان بن محمد . الألوسي اليفدادي » المولود سنة ١٢٥٢ هـ . والمتوفى سنة ١٣١٧ هـ . ابن مفسر القرآن الكريم .

وسبب تأليف هذا الكتاب أن النصاري : يقولون : ان رجلا مسلما يسمى « عبد الله بن اسماعيل الهاشمي » ألف رسالة في محاسن دين الاسلام ، وبعث بها الى نصراني يسمى « عبد المسيح ابن اسحق الكندي » في زمان الخليفة « المأمون » - رضى الله عنه - ولما قراها النصراني ، رد عليها . وبين في الرد محاسن النصرانية ، وانها الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، ومن لا يدين به ، فانه يكون من الخاسرين في الآخرة

ويتول المسلمون : ان نصارى البروتستانت هم الذين ألفوا « رسالة » ونسبوا زورا الى « عبد الله بن اسماعيل الهاشمي » ثم ألفوا ردا عليها ، ونسبوه زورا الى « عبد المسيح بن اسحق الكندي » . وغرض النصارى من تزوير الرسالتين :
١ - ايهام الناس بمساواة المسلم بالذمي ، والمؤمن بالمشرك .
٢ - وبيان أن دين النصارى أفضل من دين الاسلام .

والدليل على ذلك :

أولا : ما هو المكتوب في اول الرسالة المزورة المنسوبة الى « عبد الله ابن اسماعيل الهاشمي » ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . فقد افتتحت كتابي هذا اليك بالسلام عليك والرحمة . تشبيها بسيدي وسيد الأنبياء . محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فان ثقتنا ذوى العدالة عندنا ، الصادقين الناطقين بالحق ، الناقلين الينا أخبار نبينا — عليه السلام — قد رووا لنا عنه : أن هذه كانت عادته ، وأنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس ببادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم . ولا يفرق بين الذمى والامى ، ولا بين المؤمن والمشرک » أهـ

فقد أراد الزور أن يقتنع المسلمين بأن الرسالة من تأليف مسسلم . بكتابتها أن محمدا سيد الأنبياء وأنه رسول الله ﷺ . ثم أراد أن يقتنع المسلمين بأنه لا فرق بين الذمى والامى ولا بين المؤمن والمشرک . وهذا هو غرض الزور ، على طريقة وضع السم في العسل . فان الاسلام فرض الجزية على أهل الكتاب ، ليمنع المساواة بين المسلم والكتنابى والدليل على أنه كاذب في قوله هذا : ان النبى ﷺ كان يفتتح كتبه الشريفة بالسلام على من اتبع الهدى . لا بالسلام على اليهودى والنصرانى والمجوسى والمشرک .

ثانيا : ان المؤلف « عبد المسيح بن اسحق الكندى » يقول في نهجاية رده على رسالة المسلم : ان المأمون — رضى الله عنه — لما بلغه خبر رسالة « عبد الله » وردة عليها ، علم أن دين النصرانى دين صحيح . يقول ما نصه : « بلغنا أنه انتهى الأمر الى « المأمون » فى خبر الرسالتين ، فأمر باحضارهما ، وقرئتا عليه ، فلم يزل صائتا ، حتى جاء الى آخرهما . فقال : ما كان دعاه الى أن تعرض لما ليس من عمله . حتى أجاد كتاف نفسه . فاما النصرانى فلا حجة لنا عليه ، لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا ، لما اتهم على دينه . والدين دينان : أحدهما : دين الدنيا ، والاخر : دين الآخرة . أما دين الدنيا فالدين المجوسى ، وما جاء به « زرادشت » وأما دين الآخرة فهو دين النصرانى ، وما جاء به « المسيح » وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذى جاء به صاحبنا ، فإنه الدين الجامع للدنيا والآخرة » أهـ

والمأمون — رضى الله عنه — برىء من هذا القول . والمسلمون لا يقرون بأن دين النصرانى هو دين الآخرة . بل يقرون بأن المسيح عليه السلام

ليس صاحب دين مستقل عن دين موسى بن عمران عليه السلام . لقول المسيح نفسه : « ما جئت لأنقض الناموس » (مت ٤ : ١٧) وأنه ماجاء الا مصدقا لما بين يديه من التوراة . ومبشرا برسول الله ﷺ ومن لا يؤمن بمحمد ﷺ الذي بشر به عيسى عليه السلام فانه لا يكون مسلما ولا مؤمنا . ولا ناجيا في الآخرة .

★★★

ومما يدل على التزوير والافتراء : أن المؤلف اذا ذكر آية من آيات التوراة أو الانجيل يذكر بجوارها اسم السفر ورقم الأصحاح . والرقم الذى يذكره هو مطابق للرقم المذكور الان فى طبعات البروتستانت للكتاب المقدس . وهذا يدل على أن المؤلف من البروتستانت ، وأنه من العلماء المعاصرين .

ومثال ذلك : قوله عن ابراهيم عليه السلام : « فأمن بالرب ، فحسبه له برا » (تكوين ١٥ : ٦) وكتب بجواره : تكوين ١٥ اى أن هذا القول فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين . والتراجم القديمة قبل عصرنا هذا ، خالية من التقسيم المطابق لتقسيم هذا العصر . والتي كانت فى عهد الأمويين والعباسيين والمماليك المصريين كذلك ، كانت خالية من ذكر الأصحاحات وأرقام الايات . ومما يدل أيضا على التزوير والافتراء : أنه كتب فى الجزء الأول أنه فى سنة نيف ومائتى سنة . والأحاديث التى استدل بها فى المعجزات الحسية مخونة بعد هذا التاريخ .

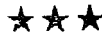
★★★

والمسلم الذى رد على كتاب « عبد المسيح بن اسحق الكندى » قال : ان كتابه من وضع البروتستانت . ومن المحتمل أن المزور ، لقى فى كتاب الليرونى ، اسم « يعقوب بن اسحق الكندى » فنسب اليه زوره . وقال المسلم الذى رد على الكتاب : ان مصحح كتاب عبد المسيح يقول فى نهايته ان له نسخة فى « القسطنطينية » ونسخة فى « مصر » بدون تاريخ . ورد عليه بقوله : « لم لم يذكر اسم مكتبة القسطنطينية ومكتبة مصر ، حتى نرى غيها هاتين النسختين » ؟

والمسلم الذى رد — واسمه « نعمان بن محمود الألوسى » وهو ابن مفسر القرآن الكريم المسمى بـ « روح المعانى » — وضع عبارات النصرانى بنصها . ثم عقب عليها بالنقد والرد . واستعان بكتب السابقين عليه فى نقد كتب أهل الكتاب ، ككتاب « اظهر الحق » و « هداية الحيارى » وغيرها . وأجاد وأفاد ، وأتم غرضه الشريف — وهو هزيمة النصرانى —

بأسلوب سهل وحجج عقلية وعقلية جيدة . فجزاه الله عن الاسلام
خير الجزاء ، وعفا عنه بهنه وفضله ورحمته .

وقد قرأت ما كتبه النصراني كله ، وما كتبه المؤلف كله . وفهمت
غرضهما — كما أظن — فهما جيدا . وشاركت المؤلف في الرد والنقد
والتصحيح والضبط . وذلك كله بالتعليق على ما كتبه .



وقد نقد عقائد النصراني كثيرون من المسلمين من قبلى . وينبغى أن
يكون نقد المذهب النصراني مسبوقا بنقد التوراة . فان من ينقد المذهب
النصراني ولا تكون له دراية بـ ١ — التوراة ب — وأسفار الأنبياء ، فانه
لا يكون ناقدا أصيلا ، ولا بصيرا . ومن يدرس النصرانية من قبل أن يدرس
اليهودية ويتبحر فيها ، فانه لا يقدر أن يفهمها ولا أن ينقدها (١)

ومن ينقد اليهودية ولا ينقد النصرانية . فانه يكون ناقدا للنصرانية
أيضا . ومن ينقد النصرانية ولا ينقد اليهودية ، فانه لا يكون ناقدا
لليهودية ، ولا يكون أيضا مصيبا في غرضه .

وذلك لأن موسى عليه السلام هو صاحب الشريعة في بنى اسرائيل .
وجميع الأنبياء من بعده كانوا على سنته . لم يزدوا فيها ولم ينقصوا منها ،
وعيسى عليه السلام هو نبي يهودى . ولد في « بيت لحم » ومشى في الأرض
المقدسة . ولم ينسخ سنة موسى ولم ينقضها . وإنما كان يظهر تحريفات
علماء بنى اسرائيل لمعانى مكتوبة في التوراة ، ويندد بسوء سلوكهم ، وببشر
بمحمد ﷺ . فدينه على ذلك هو كل المكتوب في ١ — توراة موسى
ب — وأسفار الأنبياء من أول سفر الى آخر سفر . وأسفار الأنبياء
تسعة وثلاثون سفرا في التوراة العبرانية ، وستة وأربعون في التوراة

(١) « ان المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون
عهدا جديدا، يتميز عن العهد القديم . فقد كان العهدان شيئا واحدا
متصلا . وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية . كان ينظر اليها
جميعا ، باعتبارها اضافات صحيحة ، أو ملحق لما في اسفار الناموس
والأنبياء ، التي كانت تقرأ أسبوعيا في المعبد اليهودى ، والكنيسة
المسيحية . ان العهد الجديد كتاب غير متجانس . ذلك أنه شتمت مجمع ،
فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه في الواقع
يمثل وجهات نظر مختلفة » (فريدريك جرانث ص ١٢ — ١٣ — مثلا عن
ص ٣٥ مناظرة بين الاسلام والنصرانية) .

اليونانية . وأسفار الأنبياء كلها محذوفة من التوراة السامرية . واتباع المسيح عيسى عليه السلام هم كسائر اليهود على دين موسى وسنته وشريعته . وذلك لقوله لهم : « لا تظنوا انى جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء » والنصارى الى يومنا هذا يقدسون التوراة وأسفار الانبياء .

فلو أنك نقدت التوراة وهى معظمة ومقدسة عند النصارى ، تكون ناقدا للكتاب الأعظم عندهم ، وهو الكتاب الذى يقولون : انه كتاب العقائد والشرائع .

وانك لو نقدت التوراة ، تكون ايضا ناقدا للانجيل والرسائل . وذلك لان كتابها كتبها على مثال آيات فى التوراة ، اقتبسوها واستشهدوا بها . فالآية التى اقتبسوها من التوراة ووضعوها فى الانجيل ، ليقولوا بها المعنى الذى يريدونه ، اذا أنت نقدتها ، تكون ناقدا للانجيل ومخطئا الكتبة فى نقلها من التوراة الى الانجيل للاستشهاد بها .

ومثال ذلك : قول هوشع فى سفره : ان الله يقول عن يعقوب عليه السلام : انه لما كان غلاما أحبه ، ومن مصر دعا أولاده الى الخروج منها الى الأرض المقدسة .

يقول هوشع : ان الله دعا « أولاد يعقوب » وهم بنو اسرائيل وبنوهم وبنو بنوهم . وقد اقتبس منى هذا القول وكتبه فى انجيله « ومن مصر دعوت ابنى » وانه ليوجد فرق كبير بين « أولاد » كثيرين ، وبين (ابن) واحد . فمن منهما هو القائل بالصدق ؟ ان أحدها كاذب . اما التوراة . وأما الانجيل . فلو قلت : التوراة هى الكاذبة ، تكون هادما للكتاب المعظم عندهم . وان قلت الانجيل هو الكاذب ، تكون هادما للانجيل وانه معظم أيضا عندهم . والانجيل هو الكاذب . وذلك لأن متى يهدف — أن كان هو الكاتب — الى أن يقول : ان نبوءة ابن الله عن المسيا المنتظر المذكورة فى المزمور الثانى لداود عليه السلام تنطبق على عيسى عليه السلام ، فيكون هو المسيا المنتظر . ولكى يطبقها على عيسى عليه السلام قال : ان هوشع عبر بابنى ليشير بالتعبير الى أن عيسى هو ابن الله الذى تنبأ داود عن مجيئه .

فانظر الى قول متى فى بدء انجيله : ان يسوع وأمه ويوسف النجار ذهبوا الى « مصر » ويسوع فى المهد ، ثم عادوا الى « اورشليم » أى دعاهم الله الى الأرض المقدسة من « مصر » وذلك لكى يتحقق قول هوشع ابن بئرى عن الله تعالى : « ومن مصر دعوت ابنى » .

غلو أنك غير دارس لليهويدة . ومررت على هذا النص في انجيل متى .
وفي نيتك نقد الانجيل برمته . فهل تأخر على نقد هذه الآية ؟ أنك لا تقدر .
واذ لا تقدر . فهل تكون بارعا في النقد ؟ وهل تعد من كبار نقاد الانجيل ؟
بالتأكيد : لا .

وقد هدانى الله الى نقد الانجيل بهذه الطريقة في كتابنا « اقتباسات
كتاب الانجيل من التوراة » .



والطريقة الثانية التى هدانى الله تعالى اليها في نقد الانجيل وقد بينتها
في كتابنا « نقد الانجيل » هى :

١ — أنك تأتى بنص من التوراة .

٢ — ثم تأتى برأى عيسى — عليه السلام — نفسه في النص .

٣ — ثم تذكر من الانجيل والرسائل مخالفة كتاب الانجيل والرسائل
لكلام عيسى نفسه المدون في الانجيل والرسائل . وهذه الطريقة قوية
جدا في الافحام والالزام ، ولا يعرفها الا دارسو كتب علماء بنى اسرائيل
ومثالها :

١ — نصت توراة موسى على أن العمل واجب . وأن مدار النجاة في
الآخرة يكون على الايمان والعمل معا . وذلك في سفر التثنية في قوله :
ان هذه الوصية ليست بعيدة عنك . ليست في لسماء حتى تقول من يصعد
الى السماء ليأتينا بها ، لنعمل بها . ليست في الأرض حتى تقول من يهبط
الى الأرض ليأتينا بها لنعمل بها . بل الوصية قريبة منك جدا لتعمل بها .
هذا في سفر التثنية .

٢ — وعيسى عليه السلام استدل بما في سفر التثنية عن العمل على أن
الانسان مختار في اكتساب أفعاله وليس بمجبور على فعل شيء ، وأن مدار
النجاة على الايمان والعمل . وقال كما روى متى : أن من يسمع إقوالى
هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر . واذا هبت الرياح
لم تصدمه ، ومن لا يعمل بها أشبهه برجل جاهل لم يؤسس بيته على
الصخر ، واذا هبت الرياح تصدمه ويسقط . ويكون سقوطه عظيما .
وقال كما روى برنابا : ان وصية الله قريبة من الانسان ليعمل بها كما
قال موسى : ان هذه الوصية .. الخ .

٣ — وبولس الذى كون النصرانية على حساب عيسى عليه السلام .
الغى الأعمال من الايمان فى مسمى الشرع ، وجعل مدار النجاة على
الايمان وحده . ولأول نص سفر التثنية الذى استشهد به المسيح عيسى
عليه السلام على حرية المرء ، أوله ليحل على الجبر . قال : ان معنى
انها ليست فى السماء أى ليس المسيح فى السماء ، وان معنى انها ليست
فى الأرض ، أى ليس المسيح فى الأرض .

فانظر الى كلام موسى وانظر الى استشهد المسيح به ، ثم انظر الى
كلام بولس فى نفس النص . تجد أن أحد النصين كاذب . اما رواية متى
عن المسيح .

واما كلام بولس . وكلاهما مدون فى ما يسمى بلانجيل . وكتاب فيه
المعنى وضده ، لا يصح تقديسه كله ، ولا رفضه كله .

وهاتان الطريقتان هما أقوى الطرق فى نقد نصوص التوراه والانجيل .



اما طرق نقد عقائد النصارى فانها تكون كالآتى :

اولا : يجب على الناقد أن يذكر من التوراة وأسفار الأنبياء نصوصا
تدل على أن الله تعالى هو الاله الخالق للعالم وحده ، وأنه تعالى ليس
كمثله شيء . فاذا ذكر هذا وبين أن اليهود من دساسة التوحيد والتفزيه
كالمسلمين — والفرق بينهما هو فى نبوة محمد ﷺ فاليهود يرفضونه ،
والمسلمون يقبلونه — يجب عليه .

ثانيا : أن يذكر رأى عيسى عليه السلام فى الاله الخالق للعالم هل هو
الله أم لا ؟ وأنه لمكتوب فى انجيل مرقس وغيره : أن عيسى عليه السلام
كان على دين موسى ولم ينسخ منه شيئا . واذا يكون على دينه ، يكون مقرا
بالله تعالى الذى نصت التوراة على أنه الخالق للعالم وحده . ففى سفر
التثنية : « الرب الهنا رب واحد » ومكتوب فى الأصحاح الثانى عشر من
انجيل مرقس : ان عالما من علماء بنى اسرائيل سأل عيسى عليه السلام
عن الوصية العظمى فى الناموس . فأجاب بأن الوصية العظمى هى أن
تحب الرب الهك من كل قلبك ... الخ . أى أن عيسى بن مريم قرر فى
الانجيل أن رب العالمين هو الله وحده . وقرر فى بدء انجيل يوحنا ان الله
لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه ، كما قرر موسى فى سفر الخروج .

واذ ثبت أن عيسى بن مريم كان على دين موسى بن عمران ، وثبت أنه قرر عقيدة التوحيد على مثال ما عند علماء بنى اسرائيل ، يثبت . أن عيسى بن مريم ليس هو الاله الخالق للعالم ، ويثبت أيضا أنه ليس هو الاله الثانى من الالهة الثلاثة التى هى الاب والابن والروح للقدس .

ثالثا : يبين الناقد : انه اذا كانت نصوص التوراة ونصوص الانجيل لا تسدل على التثليث لا من قريب ولا من بعيد . ولا تسدل على أن الله تعالى يشبه الانسان او يظهر للناس فى صورة انسان لا من قريب ولا من بعيد . وبالتأكيد هى لا تسدل . فان عقيدة التثليث وعقيدة تجسد الله تعالى فى جسد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تكون عقيدة باطللة . واذا بين ذلك وانه لواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، فانه يفترض كان سائلا يسأل ويقول : فلماذا قال النصرارى بالاثنائيم الثلاثة ؟ ولماذا قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ؟ ويجيب بأن الرومان الذين كانوا يحتلون أرض فلسطين فى زمان عيسى عليه السلام الى زمان محمد ﷺ هم الذين أجبروا النصرارى على القول بالتثليث وعلى أن الله انقلب الى انسان هو المسيح بن مريم .

رابعا : يبين الناقد عقيدة الكاثوليك على حدة ويشرحها شرحا وافيا . ثم ينقد كل مذهب عقيدة الأرثوذكس على حدة ويشرحها شرحا وافيا . ثم ينقد كل مذهب على حدة .

فالکاثوليك والبروتستانت المنشقين عنهم يعتقدون إن اقنوم الاب هو غير اقنوم الابن ، وهما غير اقنوم الروح القدس . وأن كل اله مستقل بذاته عن غيره . وهذا الاعتقاد باطل بما روى فى التوراة والانجيل من أن الله واحد ، وأن عيسى نفسه قد اثر عنه فى الانجيل انه كان يقول انى رسول الله ، وأنه لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا وكل ما يعمل فانه باذن الله واراדתه . والمعجزات التى يعملها ليس يعملها بقدرته ، بل بقدرة الله ففى انجيل يوحنا : يقول المسيح : ان الله الذى أعطانى آياها ، هو اعظم من الكل ولا يقدر احد أن يخطف من يد الله .

والأرثوذكس يعتقدون أن الله رب العالمين . هو الذى انقلب الى انسان . كما انقلب جبرائيل عليه السلام فى صورة حية الكلبى . فهم لا يعتقدون بثلاثة آلهة ، بل باله واحد . وهم ليسوا مثلثين وانما هم موحدون . والفرق بينهم وبين اليهود الموحدين والمسلمين الموحدين هو انهم قالوا : ان الله تجسد فى المسيح ، أى أن الله هو المسيح ، أى أن المسيح هو الله رب العالمين . واليهود والمسلمون يقولون : ان عيسى المسيح هو عبد من عباد الله وليس هو اله وقد حل فى المسيح . واعتقاد

الأرثوذكس باطل بما روى في التوراة والانجيل من أن الله ليس كمثله شيء ، وأنه اله محتجب ، وأنه لا يرى — بضم الياء — وأنه لا يكل ولا يعيا وليس عن قدرته فحص ، وأن عيسى نفسه قد أثر عنه في الانجيل أنه قال للحواريين : أنظروا جسدي . وأخذ باصبع « توما » ووضعها على جسده ، وأكل معهم شهداً وعسلًا وسبكا . ثم وضع بآنه لا يقدر من ذاته ان يفعل شيئاً ، وإنما يفعل إرادة الله .

ووضح للشيطان : أن السجود لا يكون إلا لله وحده . واستدل على قوله هذا للشيطان بآية من التوراة وهي « للرب الهك تسجد راياه وحده تعبد » وقال لتلاميذه : من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني . وقال لهم : اني صاعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم . وهذا وثبته يدل على أن الله لم ينقلب الى المسيح . وأن المسيح غير الله الذي لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه .

خامسا : يبين لناقد أن ألفاظ التوراة والانجيل فيها المحكم وفيها المتشابه ، ويرد التشابه الى المحكم . وذلك ليوضح نلامبين من النصارى خداع أئمتهم لهم ويعلمهم ما يتعمد الأئمة اخفاؤه . ومثال ذلك : أن المحكم في التوراة عن الله عز وجل هو « ليس مثل الله » في آخر سفر التثنية . وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه لم يظهر ذاته لموسى عليه السلام ، وأن أشعيا قال عنه : « حقا أتت الهه محتجب يا اله اسرائيل » وأن مشايخ بنى اسرائيل لما صعدوا الى جبل حوريب مع موسى عليه السلام سمعوا صوتا ولم يروا شخصا . وأن موسى حذرهم من تخيل الله وتمثله بأى شكل كان وذلك واضح من سفر الخروج .

وأن المتشابه في التوراة هو مثل قوله لجميع بنى اسرائيل : « أنتم أولاد للرب الهكم » غلفظ الأولاد هنا هو لفظ متشابه يحتمل معنيين :

١ — الولد المتولد من نطفة الأبوين .

٢ — الولد على المجاز بمعنى القرب من الله ، وأن الله فضله على غيره من خلقه ، كما يفضل الأب ولده على سائر أولاد الناس . والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني . فيكون هو مراد الله تعالى .

ومثاله أيضا لفظ « الاله » فإنه على الحقيقة يدل على خالق العالم وحده ، وهو الله رب العالمين . وقد أتى في التوراة وفي الانجيل ، بل وفي

القرآن (١) أيضا على معنى « السيد » نفي التوراة يقول الله لموسى : « انظر . أنا جعلتك الها لفرعون » وفي الزبور يقول الله لإسراييل : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم » أى سادة وقد فضلكم على سائر الشعوب فى زمانكم . وفى انجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام للحواريين : أنتم تدعوننى معلما وسيدا .

وحسنا تقولون ، لانى انا كذلك ، فقد اعترف بأنه معلم ، واعترف بأنه سيد ، ولم يعترف بأنه الاله على مذهب الأرثوذكس ، ولم يعترف بأنه اله على مذهب الكاثوليك ثم تواضع وغسل أرجل الحواريين . واستحب « بطرس » وخجل من أن يغسل المسيح رجله . وبعد أن فرغ من الغسل وحل المنشفة من على جسده . نظر الى الحواريين وقال : كما فعلت معكم تفعلون مع غيركم . وانه يتوجب عليكم أن يحب بعضكم بعضا . ومن كان هذا شأنه هل يكون الها ؟ لا . وانها يكون سيذا .

واتد فسر المسيح نفسه طبقا لرواية يوحنا لفظ « الاله » بالسيد . ورد عليهم بقوله : لو قلت عن نفسى اننى اله — مجازا — فهل اكون متعديا على الناس ؟ لا . لا اكون متعديا عليه .

وبيان ذلك : أن الله قال على لسان داود عليه السلام لكل بنى اسرائيل صالحين وأشرار : « أنا قلت انكم آلهة ، وبنو العلى كلكم » فقد قال عن الكل انهم آلهة . أى سادة ، وأنا من بنى اسرائيل . وقوله « آلهة » كما ينطبق عليهم ، ينطبق على . بل انطباقه على من باب أولى . وذلك لأننى رجل صالح ، وقد طهرنى الله من الخطايا . فلماذا لا تكرموننى ؟ ولماذا تقولون اننى أجدف على الله ؟ الذى قدسه الله وأرسله الى العالم لتقولون له : انك مجدف ؟ اليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم . فاذا قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله — ولا يمكن ان ينقض المكتوب — فالذى قدسه الاب وأرسله الى العالم لتقولون له : انك تجدف ؟

بمثل هذا يقول الناقد فى الحكم والمتشابه . ليعلم الأميين ويخزى العلماء .

(١) قال فرعون : « ما علمت لكم من اله غيرى » أى من سيد . وذلك لان أهله قالوا له : « أئذ موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويدرك وآلهتك »؟ فقوله « وآلهتك » يدل على أن فرعون كان يعبد غيره ولا يعبد نفسه . وأن قومه ، كانوا يعبدون آلهة متعددة ، ليس منها فرعون نفسه . وقوله تعالى : « وقومها . لنا عابدون » (المؤمنون ٤٧) معناه خاضعين .

سادسا : يجب على نقد أى شيء عند النصارى أن يبين قبل نقده :
١ — الشيء المراد نقده ب — والدافع الذى حدا بالنصارى الى القول به ت — والنتائج التى تترتب على هذا الشيء ث — وقول المخالفين له من النصارى . (أى باختصار يستقصى الشيء من جميع جوانبه . وقبل أن ينقد يبحث فى كتب التوراة كلها عن ضد هذا الشيء . ثم ينقد بنصوص التوراة أولا . وبعد ذلك يثنى بنصوص الانجيل ، ويستعمل العقل فى ترتيب الحجج والافصاح عنها .

ومثال ذلك : أن النصارى لما قالوا : أن الله نزل من السماء وتجسد فى جسد يسوع المسيح . افترضوا كان سائلا سأل : ولماذا نزل الله وتجسد . وأهين بالقتل والصلب ؟ وأجابوا عنه : بأن آدم عليه السلام قد أخطأ بعصيان أمر الله وهو فى جنة الخلد . وأنه لخطئه صار مذنباً ، ويستحق الطرد من جنة الخلد ، وأن الله طرده لعصيانته أمره وأهبطه الى الأرض بخطيئته . وأن خطيئته انتقلت الى بنيه وبنى بنيه كلهم . ومن يمت منهم ، يمت على خطيئة أبيه آدم . ولا يدخل الجنة . وقد اقتضت رحمة الله رحمة العالمين فى زمان عيسى عليه السلام ومن أجلها قتل الله نفسه ، ليكون كفارة عن آثام آدم وبنيه الى زمان عيسى عليه السلام وليكون كفارة لآثام من يدين بدين عيسى عليه السلام .

فالناقد وهو ينقد عقيدة التعدد ، أو عقيدة التجسد . لا يكتفى بقول التوراة أن الله واحد وليس كمثله شيء ، ولا بقول الانجيل . وإنما يذكر كل ما يتعلق بالشيء من جميع جوانبه . وفى هذا الشيء يبين : أن موسى عليه السلام بين فى سفر التثنية : أنه لا يقتل الآباء عن الأبناء ، ولا تقتل الأبناء عن الآباء . كل انسان بخطيئته يؤخذ . وأن حزقيال بين فى سفره كما بين موسى . بل أن ابراهيم عليه السلام قال للملك الله : لاني كل الأرض لا يصنع عدلاً ؟ فإذا فرغ من التوراة ينتقل الى الانجيل وينقل منه قول عيسى عليه السلام ابتعدوا عني يا فاعلي الاثم . وإذا فرغ منها . فليذكر أى حجة عقلية تكون من قبيل التأكيد ، لا من قبيل الاستقلال بالحجة .

وذلك مثل أن يقول : ١ — اذا كان قد أخطأ آدم ، فإن حواء قد أخطأت . فلماذا سرت فى أبناء آدم خطيئة آدم ، ولم تسر فيهم خطيئة حواء ؟ وهل سرت خطيئة آدم فى الذكور ، وسرت خطيئة حواء فى الاناث ؟

ب — أنتم أيها النصارى تبعوا لليهود لا تعترفون بالمسائلة فى القبر ، ولا بالعذاب أو النعيم فيه . وليس فى الانجيل ولا فى التوراة من نصوص على عذاب فى القبر . فكل من مات من عهد آدم الى زمان يسوع ، لم يدخل فى عذاب ، سواء كان بخطيئة آدم أو بخطيئته هو . فما فائدة الفساد

وليس من عذاب قد تم وحصل ؟ وإذا كان الفداء قد تم وحصل فما فائدة
شفاعة القديسين ويسوع وأمه في يوم الحساب ؟



أما عن مجادلة المسلم لليهودى أو النصرانى . فاتها من فروض الكفالية
على علماء المسلمين الراسخين في العلم . وينبغى أن تكون بالهسنى .
**وذلك لقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن .
الا الذين ظلموا منهم » .**

وإذا بدأ المسلم بالمجادلة ، فليبدأ أول ما يبدأ بالنبى المنصوص عليه في
التوراة وفي الأنجيل . وليسأل هل هذا النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى
من عمران من بعده ليئسخ شريعته ، وليسمع له بنو اسرائيل ويطيعون ،
مقصود عليه في التوراة أم لا ؟ وهل هو عيسى بن مريم أم لا ؟ وهل هو
قبحى لم يظهر الى الان أم ظهر ؟ وهل هو محمد أم لا ؟ هذا هو
يعد الجدال . لأنه اذا ثبت أن النبى الذى ينتظره اليهود الى الان هو
محمد ﷺ . فان اليهودى الذى سيؤمن به نبيا من الله ، سوف يترك كتابه
يمسأ فيه من حق وباطل ، وان النصرانى الذى سيؤمن به نبيا من الله ،
سوف يترك التوراة والأنجيل والرسائل وكتب التقاليد بما فيهم من الحق
والباطل .

ونص التوراة عن محمد ﷺ هو : « اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم .
مثلك . واجعل كلامى في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن
الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمى . أنا اطلبه »
(تثنية ١٨ : ١٨) .

وفي انجيل يوحنا أن علماء بنى اسرائيل أرسلوا وفدا ليحيى بن زكريا
عليهما السلام ليسأله في مدينة « اورشليم » التى هى القدس عن النبى
الذى قال عنه موسى عليه السلام : « اقيم لهم نبيا . . . الخ » فانه لم يكن
قد ظهر قبل عصر يحيى عليه السلام . وقد سأله الوفد قائلين : هل انت
القبحى الذى ننتظره أم لا ؟ فاجاب بـلنفى وقال : « يأتى بعدى من هو أقوى
منى الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه » وليس الا من بعده الا محمد
ﷺ . **وذلك لأن هيسى الذى يقول « بولس »** ان يحيى يتكلم عنه . قد
كان معاصرا ليحيى . وقال كما قال يحيى لبنى اسرائيل : « توبوا فقد اقترب
ملكوت السموات » .

ويقال لليهودى : انت الى هذا اليوم تنتظر هذا النبى . ولماذا تنتظره ؟
ليس قد بارك الله في اسماعيل كما بارك في اسحق ؟ ألم يقل الكتاب :
« وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا
جدا واجعله لامة كبيرة » ؟

أنت تستدل على نبوة موسى ورسالته من التوراة بالكتوب فيها عن بركة
أسحق ، فإذا استدلت المسلم على نبوة محمد ورسالته من التوراة بالكتوب
فيها عن بركة اسماعيل ، فهل يتوجه عليه لوم ؟

وإذا سلم اليهودى والنصرانى بإمكان انطباق النصوص عن النبى
المنتظر فى التوراة عن محمد ﷺ . ثم سأل عن آياته الخارقة للعادة ، فأنه
ينبغى أن يكون القرآن هو الدال على الآيات وحده ، وذلك لقوله تعالى :
« **أَوْ لِمَ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ** » ؟

ولأن فى الأحاديث النبوية المروية بطريق الاحاد أحاديث ضعيفة ، وضعفتها
الحنابلة ، وطعن بها المستشرقون فى نبوة محمد ﷺ . ومنها هذا
الحديث (١) : وهو أن رجلا من الصحابة الأجلاء كان يتردد على بيت النبى
الذى فيه مارية القبطية أم المؤمنين — رضى الله عنها — وقد اتهمه الناس
بها ، واتهموها به . فاستشاط النبى غضبا . وأمر عليا بن أبى طالب —
رضى الله عنه وكرم الله وجهه — بأن يذهب الى بيت هذا الرجل ويقتله ،
ليمنع قتالة لسوء على امرائه . فأتاه على . فإذا هو فى ركن يتردد فيها .
فقال له : أخرج . فناولته الرجل يده وهو عريان . فأخرجه . فإذا هو
مقطوع الذكر . فلم يقتله الامام على رضى الله عنه ثم قال للنبي ﷺ :
انه لجبوب أى مقطوع الذكر . فتكون التهمة باطلة .

هذا الحديث الذى رواه كثيرون من أهل الحديث ، لا يمكن أن يجادل
به مسلم فى اثبات النبوة لمحمد ﷺ . وذلك لأنه يطعن فى شرف أم المؤمنين
« مارية » وفى شرف النبى أيضا . ولأنه يثبت أن للنبي طلب قتله بلا شهود
أربعة . ويثبت أنه خالف القرآن فى حد القذف . إذ حد القذف ثمانين جلدة
وهو يأمر عليا بأن يقتل الرجل — وهذا إذا كانت التهمة قذفا لا زنا ، والحديث
لا يقول بالقذف —



فإذا عاند اليهود والنصارى بعد البيان والحجة ، فإنه يجب على المسلمين
قتالهم . وإذا صفوا الصفوف للقتال ، وقال اليهودى أو النصرانى للمسلم:
دعنى ولا تقاتلنى . وإن أنت تركتنى وخليت سبيلى ، فانى سأسألك ولن
أصد الناس عن دينك ، لا بحرب ولا بالقتال شبه على الدين . ففى هذه
الحالة يجب على المسلم أن يأخذ منه الجزية (١) ، ولا يقتله . وإن دفع
الجزية . فإن المسلم يجب عليه أن يحسن معاملته ولا يسوء اليه . وذلك
مستفاد من قوله تعالى : « **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ** » ،

(١) رواه مسلم

(٢) لا تؤخذ الجزية من الكافر المسلم . أنها تؤخذ من الكافر فقط .

ولا يجرّدون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق . من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة ٢٩)

ومن قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . (الممتحنة ٨ - ٩)

وإذا دفع الكتابي الجزية ، ثم اعتدى عليه مسلم بالقتل العمد : فإن المسلم يقتل به ، وإذا قتل مسلم كتابيا خطأ ، فإنه يدفع الدية لأهله . ومقدارها كمقدار دية المسلم المقتول من المسلم خطأ . وذلك لقوله تعالى : « النفس بالنفس » وتد عصم الكتابي دمه وماله بالجزية . فصارت له نفس كففس المسلم الذي عصم ماله ودمه بالاسلام . ولقول محمد بن الحسن صاحب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان : روى أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قتل مسلما بكافر . وقال : أنا أحق من وفي بذمته .

ويجب على المسلمين إكرام مساكين أهل الكتاب الواقعين تحت الجزية . فإن معاملتهم بالحسنى تحببهم في الاسلام وترغبهم فيه . ولكن لبس من مؤاخاة مع الإكرام . فإن الأخوة لا تكون إلا لأصحاب الدين الواحد . والمسلمون لأن دينهم واحد هم أخوة وذلك لقوله تعالى :

« إنما المؤمنون أخوة » (الحجرات ١٠) ومن ينادى بالأخاء بين الكتابي والمسلم ، مع منع الجزية عنهم فإنه لا يكون مسلما ، أو لا يكون فاهما لدين الاسلام بحق الفهم وذلك لأن معنى الأخاء هو المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات . ولو تساوى الكتابي بالمسلم ، لصار رئيسا ومرعوسا . أي رئيسا على مسلم ، ومرعوسا من مسلم . كما يتراءى مدير في شركة على عاملين فيها . أو عامل يتراءى على عامل مثله أقل منه درجة . ودين الاسلام بمنع رئاسة الكتابي على المسلم أيا كان نوع الرئاسة . كضابط على جنود ، أو وزير على عاملين في وزارته ، أو رئيس دولة على رعاياها الذين هم مسلمون وكتابيون . وهذا المنع مستفاد من أخذ الجزية منهم ، ومن تعليل أخذها بقوله تعالى : « عن يد . وهم صاغرون » .



ولأن المسلمين اليوم ضعفاء في السلاح ، وأهل الكتاب أقوياء عليه ، وقع كثيرون من المسلمين في بلاد كثيرة تحت يد أهل الكتاب ، وحذروهم أهل الكتاب من الجهاد في سبيل الله . وحذروهم أيضا من التعالي على الكتابيين

في بلادهم . بل أجبروهم على أن يتساووا في الحقوق والواجبات مع الكتابيين . وإذا تساوا . فعلى أى دين يمشون ؟ انه اذا مشى المسلم على لقرآن ومشى غيره على كتابه . فان التفرقة تظهر بين المواطنين ، ولا تتحقق المساواة . واذا مشى الكتابى على كتابه ، ومشى المسلم على كتابه ، فان كتاب المسلم يلزمه بأن يكون رئيسا لا مرعوسا . وعندئذ تظهر التفرقة ولا تتحقق المساواة . وقد رأى أهل الكتاب لتحقيق المساواة والمؤاخاة : أن يجبروا المسلمين وغيرهم ، في البلد الواحد ، على النخلى عن شرائع الدين . وان يتحاكموا فيما بينهم على قوانين يكتبونها بأيديهم ، ويتواضعون عليها . ولطول الأيام التى هجر فيها المسلمون قوانين القرآن . ظهر لى من كثيرين منهم أنهم غير منتهيين الى حكم الجزية . وبعضهم صرح بأنهم منتهيين للحكم . ولكن الصبر ، حتى يأتى النـسـرج . وبعض المسلمين نادوا بالاخاء جهلا ، وبعضهم شرحوا به صدرا . وليتهم لم ينادوا ، وليتهم لم يشرحوا . فقد استحقوا اثبا .

★ ★ ★

وليعلم أهل العالم : أن المسلمين اذا حكموا ، عدلوا ، واذا عاهدوا أوغوا ، واذا قالوا صدقوا . وذلك لأنهم خير أمة أخرجها الله للناس . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ويؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لكان خيرا لهم . ولو سالموا المسلمين ودفعوا الجزية لهم ، لكان وجودهم تحت يد المسلمين خيرا لهم من وجودهم تحت يد الكفار من الشيوعيين وغيرهم ، وخيرا لهم من وجود بعضهم تحت يد بعض .

وانكر هذا الشاهد من التاريخ للتدليل على ما نقول :

يقول ناصر خسرو القباديانى المروزى في سفر نامه عن « الحـسـانـكـم بامر الله » — رضى الله عنه — في أرض « مصر » ما نصه :

أ — « وشرب الخمر محرم تحريما باتا ، ولم يسمع أحد ان انسانا جراً على شرب الخمر في أيام « الحاكم بأمر الله » ولم يكن يسمح للنساء بالخروج سافرات ، كما أن تخمير الزبيب كان محرما . بل ان « الحاكم » منع تداول الزبيب حتى لا يتخذ الناس منه الخمر ، ولم يكن يجرؤ أى انسان على شرب الخمر والأنبذة المسكرة . (ص ٩٥) .

ب — « وقد بنى المسجد — مسجد ابن طولون — أمير من أمراء (م ٢ — الجواب الفسيح)

العباسيين كان يحكم مصر . ويقولون : انه في أيام « الحاكم بأمر الله » جسد السلطان الحالى ، جاء أبناء « طولون » صاحب المسجد ، وباعوا المسجد بثلاثين ألف دينار مغربى ، لـ « الحاكم بأمر الله » وبعد زمن عادوا يدعون : انهم لم يدخلوا منارة المسجد في عقد البيع ، وشرعوا في هدمها ، فأرسل اليهم « الحاكم بأمر الله » أن قد بعتم المسجد لى ، فلم تهدموا المنارة ؟ فقالوا : نحن لم نبيع المنارة ، وانما بعنا المسجد . فأمر لهم الحاكم بخمسة آلاف درهم ، ثمن المنارة » . (ص ١٠٤)

ت — « وقد اشترى « الحاكم بأمر الله الفاطمى » هذا المسجد . — مسجد عمرو بن العاص — من أحفاد « عمرو بن العاص » ويقال : ان أحفاد « عمرو بن العاص » ذهبوا الى الحاكم ، وشكوا اليه فقرهم وحاجتهم ، وأن المسجد يتعلق بجدهم ، فاذا أذن لهم السلطان ، فانهم يهدمونه ، ويبيعون أحجاره وأخشابه ، عليهم يجدون ما يسد حاجتهم . فرأى السلطان لحالهم ، واشترى منهم المسجد وأشهد كافة سكان مصر على تلك المبيعة » . (ص ١٠٦)

ث — « ويشتهر الباعة في « مصر » بالصنق في المعاملات . وإذا كذب أحد الباعة على المشتري ، فان المحتسب يعاقب البائع بأن يأمر بركابه على جمل ، وأعلام جميع الناس بواسطة مناد ، في يده جرس . يعلن على الناس سوء فعلته ، ويرغم البائع على الاعتراف بأنه ظلم المشتري ، بأن باع له بأكثر من السعر الرسمى المحدد . ويكرر المنادى : أن هذا جزاء كل من تسول له نفسه تظيف الكيل وبخس الموازين » . (ص ١١٠)

ج — « ولقد رأيت في « مصر » أحد أغنياء النصارى ، وكان في غلبة الغنى ، يملك أسطولا من السفن ، تجول في البحار ، وتصب الأموال في خزائنه . ولا يعرف أى انسان حدود ثروته وغناه . وصادف أن النيل لم يفي ذلك العام وغلا سعر المواد الغذائية ، وخيم شبح الجوع على وادى النيل . فاستدعاه الوزير الأعظم ، وأخبره بجلية الأمر ، وكيف ان خاطر السلطان متغير ، مما ألم برعيته من الجوع . وسأله الوزير عن القدر الذى يستطيع تقديمه من المواد الغذائية . ان بنقد وان أرضا ؟

فأجاب التاجر النصرانى : أدام الله الوزير . اننى بفضل الله ، ثم بفضل سلطان « مصر » أملك من لغلال ما لو استثمر القحط ستة أعوام ، فائسا على استعداد لاطعام أهل « مصر » حبا في السلطان » . (ص ١١١)

ح — « وقد بلغ الأمن وفراغ بال المصريين من وساوس اللصوص حدا

حمل البزازين والصيارفة على ترك دكاكينهم مفتوحة . وكانوا يكتفون
بوضع غطاء خفيف على أركانهم أثناء انصرافهم للصلاة ، أو لفضاء الحاجة .
ومع ذلك فلا تمتد يد الى بضائعهم .

وكان أحد اليهود يقيم في « مصر » وهو من كبار تجار المجوهرات ، وكان
من المقربين (١) للسلطان وكان في غاية الفنى والوجاهة ، وكان يؤمن
احتياجات القصر من المجوهرات واعتدى عليه جند السلطان يوما وقتلوه .
وعندما خاف جند السلطان من غضبه وانتقامه ركب عشرون ألف فارس
من أولئك الجند ، واتجهوا الى قصر السلطان ، طلبا للشفاعة والعتو ،
وعم الهرج والمرج بين سكان القاهرة ، وظل ذلك العدد الكبير من الجند
بباب قصر السلطان لى أن انتصف النهار . فأطل عليهم أحد حجاب القصر
قائلا : ايها الجند السلطان يسألكم : (هل ما زلتم في طاعته أم لا)
فأجابوا بصوت راجل واحد : نعم نحن عبيد السلطان وطوع بئانه . ولكننا
ارتكبنا خطأ ونخشى عقاب مولانا السلطان . فطمأنهم الخادم أن السلطان
قد عفى عنهم ، وأن عليهم أن يعودوا الى معسكرهم فغفروا .

واسم اليهودى المقتول أبو سعيد ، وكان له ابن أخ ، ويقال ان مال
اليهودى كان لا يقع تحت حصر ، ولا علم بمقداره الا الله ، ويقولون ان
اليهودى كان يخبئ ثلاثمائة كيس من الفضة في أعلى عمارته .

وكتب أخو اليهودى خطابا الى السلطان يعرض فيه التنازل عن مائتي
ألف دينار مغربي من مال أخيه المقتول مخافة أن يتعرض ما بقي
من المال للنهب والسلب ، فأرسل السلطان الخطاب الى خارج القصر
وأمر بتلاوته على الناس ، ثم أمر به فمزق ، وقال مخاطبا لأخ اليهودى :
كن مطمئنا وارجع الى منزلك آمنا ، فلا يستطيع أحد أن ينالك بأذى ، وأنا
لست طامعا في مال أخيك أو في مالك .

وبعث السلطان لأخ اليهودى مالا كثيرا . استرضاء له (١١٤هـ-١١٥هـ)

(١) ربما كان هذا اليهودى هو أبو سعد سهل بن هارون التستري ،
كان تاجرا يهوديا وكان مولى أم المستنصر الفاطمي ، وهي أمية سوداء
اشتراها الظاهر واستولدها المستنصر ، فلما أفضت الخلافة اليه استغفرت
أمه أبا سعد ورقته الى درجة عليية ، وصار هو المتصرف في شؤون البلاد
حتى أصبح الوزير الفلاحى « صدقة بن يوسف » يأتى بأمره (خطط المقرئى
ج ٢ - ص ١٧٠) (كلام المحقق) .

التعليق :

هذه شهادة تاريخية تدل على أن الحاكم المسلم يلتزم بالحق وبالعادل ،
أيا كان مذهبه في العقائد شيعيا أو سنيا أو في الفقه جعفريا أو حنيفيا .
ويلتزم باكرام أهل الذمة اذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وهل
يطلب أهل العالم الا هذا ؟



ولنرجع الى بيان مذهبنا في نقد كتب أهل الكتاب . ونقول :

ان نقد الكتب المقدسة عند أهل الكتاب يتم على الطرق التالية :

الطريقة الأولى : بيان السند . أى عن فلان أو عن فلانة ، عن فلان ،
الى موسى عليه السلام أو الى داود أو الى عيسى بن مريم . ثم يوثق
الشهود الذين نقلوا الخبر ، وهذا لا يعترف به اليهود ولا النصراني . ومن
النكات المشهورة في هذا الشأن : أن ولد رجل بخيل ، اقترض من
كثيرين على أن يسدد بعد موت أبيه الطاعن في السن ، ولمسا طال
الأجل بأبيه ، شدد الدائنون على الابن . فما كان من الابن الا أن أوثق
كتاف أبيه وأشاع خبر موته ، ووضع في النعش ، وحمله المشيعون الى
المقبرة . فلما مر النعش تحت قصر « قارقوش » صاح الرجل : اغثنى
أيها الحاكم أنا حتى . أنا لم أمت . وتقلب في النعش . فأمر « قارقوش »
برفع غطاء النعش . فرمعه . ثم نظر اليه قائلا : تقول انك حى . وهؤلاء
المشيعون الذين يزيدون عن عشرة آلاف يشهد مشيهم خلف نعشك على
أنك ميت . فهل أصدقك وأكذب هؤلاء المشيعين ؟ هل أصدق فردا وأكذب
أمة ؟ امضوا به الى القبر .

ولأنهم لا يعترفون به ، وان اعترفوا به ، فقد باتون بأسماء وهمية
ويعملون أصحابها . ونحن لا نقدر على احياء الموتى ، لنسال معاصريهم
عنه . فلذلك تصد هذه الطريقة غير مجدية في النقد . ويكفي في عدم
جدواها اعتراف النصراني بفقدان سند كتب الاناجيل الأربعة .

ففى دائرة المعارف البريطانية : « ان القول بأن متى ولوقا استخدمتا
اناجيل مرقس ، أصبح على وجه العموم مسلما به . ولكن بجانب انجيل
مرقس ، فلا بد أنهما استخدمتا وثيقة أخرى ، يشار اليها الآن بالحرف
كيو (Q) والذى يرمز الى كلمة المصدر ، كما استخرجت من الكلمة
الألمانية التى تعطى هذا المعنى » (ص ٥٢٣ ج ٢ دائرة المعارف البريطانية)

وفي دائرة المعارف الأمريكية : « ان هناك مشكلة عامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الانجيل الرابع — وهو انجيل يوحنا — والثلاثة المتشابهة — وهي متى ومرقس ولوقا — باعتبارها صحيحة وموثوقة فيها ، فان ما يترتب على ذلك هو عدم صحة انجيل يوحنا » (ص ٧٣ ج ١٣ دائرة المعارف الأمريكية)

الطريقة الثانية : بيان المتن . وهو النص . ونقد النص هو المطلوب الأعظم للمسلمين من كتب أهل الكتاب . ولم يخل جيل من مسلمين نقدوه وبينوا زيفه . وذلك لأن سقوط النص عن الاستدلال يستتبعه سقوط المعنى الذي يدل عليه النص . وإذا سقطت المعاني ، تسقط القائد والتشريعات . ولا يكون لديهم قداسة ولا احترام . وهذا هو مطلوبنا نحن المسلمين .

ولنورد أمثلة لذلك :

أولا : من توراة موسى : يقول الكاتب في الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موعاب ، حسب قول الرب . ودفنه في البجواء . في أرض موعاب » فهل موسى يكتب خبر موته من قبل أن يموت ؟

وفي توراة موسى حديث عن « ربة بنى عهون » التي استولى عليها داود عليه السلام . وكان بعد موسى بنحو خمسمائة عام تقريبا . وقبلها أيضا : حديث عن سرير « عوج » ملك « باشان » ولم يستول على « باشان » بنو اسرائيل الا من بعد موت موسى بزمان طويل . هلك فيه القضاة المذكورة تواريخهم في سفر القضاة .

وإذا ظهر من المتن ما يدل على كلام لم يقله مؤلف السفر ، فان المتن يكون مشكوكا فيه وإذا احتمل المتن الشك . فقل : على المعنى السلام .

ثانيا : من زبور داود : لقد كان داود عليه السلام بعد موسى بخمسمائة عام تقريبا . وقبل سبى بابل بخمسمائة عام تقريبا . وفي زبور نصوص تدل على أن الكاتب قد كتبه في مدينة « بابل » منها : على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفاصاف في وسطها علقتنا أعوادنا ... ان نسينك يا اورشليم تنسانى يمينى ... الخ * (مزمور ١٣٧) *

ثالثا : من الانجيل الأربعة : يقول لوقا في بدء أنجيله ما نصه :
« اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا . كما سلمها
الينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة ، رايت أنا أيضا
اذ قد تتبععت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن اكتب على التوالى اليك
أيها العزيز « ثاو فيلوس . لتعرف صحة الكلام الذى علمت به »
(لوقا : ١ - ٤)

فلوقا يكتب عن سمعان ، ولم يكتب عن رؤية . والسماع قد يخطئ فيه
الناقل . وقد ينقل عن كذابين لهم غرض في التضليل واللبس والابهام .
ولا يعرف انهم كذابين حال النقل . بل ان الحواريين انفسهم الذين
شاهدوا عيسى عليه السلام بأعينهم ، وسمعوا كلامه بأذانهم ، يخطئهم
« بولس » ويقول عنهم انهم « لا شيء » واذا كان الحواريون المعبرون
لا شيء عندهم . فمن هم هؤلاء الذين هم على شيء عندهم ؟

يقول بولس في رسالته الى اهل غلاطية : « واما المعبرون انهم شيء .
مهما كانوا . »

لا فرق عندى .

الله لا يأخذ بوجه انسان .

فان هؤلاء المعبرين لم يشيروا على بشيء . بل بالعكس . اذ رأوا انى
أؤتمنت على انجيل الغرلة ، كما بطرس على انجيل الختان ... الخ .
(غلا ٢ : ٦)

يريد ان يقول : اننى اسمح للامم الداخلة في النصرانية بأن لا يختنوا
أولادهم ، ولا يختنوا . واذا كان بطرس لا يسمح للامم الا أن يختنوا
ويختنوا . فهذا هو رايه . وليس رايه شيئا عندى . فانى أرى عدم
الختان . هذا هو ما يريده بولس من عباراته . وانه لمخطئ . فان التوراة
التي لم ينسخ المسيح عيسى أحكامها لقوله : « ما بجئت لأنقض النصوص »
تلزم اليهودى والنصرانى بالختان . والمسيح عيسى نفسه قد اختن كما
قال لوقا في انجيله .

فلوقا الذى يكتب عن سمعان . ممن يكتب ؟ ممن يكتب اذا كان الحواريون
انفسهم لا يوثق بهم . وهم الذين لزموا المسيح بن مريم عليه السلام في
صله وترحاله ؟

والطريقة الثالثة : هى بيان تفسير اليهودى أو النصرانى للنص . ثم بيان نقده .

وهذه الطريقة اتد مشى عليها كثيرون من المسلمين فى النقد . ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية — رضى الله عنه — فانه ربط بين أهل التصوف من المسلمين وبين النصرانى فى أن الشيطان يظهر لهم ويضلهم . ثم ذكر نصا من انجيل متى وذكر تفسيرهم له ، ثم نقده . وهو أن مريم العذراء تحبل وتلد ابنا . هو عيسى .

وذلك ليتحقق نبوءة فى سفر أشعيا تقول : ان عذراء ستحبل وتلد ابنا . فقد اقتبس متى قول أشعيا لو طبقه على العذراء وابنها . ليبين أن مجيء عيسى على هذه الصورة كان بوعده الهى على لسان أشعيا . وقد صرح أشعيا بأن اسم المولود هو « عمانوئيل » — وعيسى ليس اسمه « عمانوئيل » — ثم زاد متى من عنده : تفسير عمانوئيل بأنه « الله معنا » أى أن « الله معنا » هو فى متى ، وليس فى أشعيا .

وقد رددت على متى فى كتابنا « اثبات النصرانى توضيح ونقد » شأن كلام أشعيا كمن عن معجزة تجرى فى زمانه للملك « آحاز » وقد حدثت بالفعل فى زمانه . وأن العذراء فى اللغة العبرانية هى « علمه » وهى تفسر بالامراة الشابة ، سواء كانت عذراء أو غير عذراء .



وهذا هو نص ما كتبه شيخ الاسلام فى الربط بين المتصوفين وبين النصرانى وفى اظهار تفسير النصرانى للنص ، ثم بيان نقده .

« وكثير منهم يتمثل له الشيطان (١) ويقول : انا ربك فيخطبه بظنه ربه ، وانما هو الشيطان .

ومنهم : من يرى عرشا عليه نور ، أو يرى ما يظنه الملائكة وهم شياطين ، وذلك شيطان .

وكثير من هؤلاء يظن أنه أفضل من الأنبياء ، وأنه يدخل الى الله بلا اذن خلافاً للأنبياء ويكون ذلك الإله الذى يعتقده هو الشيطان ، والذين لا يتمثل

(١) الانسان قرين من الشيطان . وهذا القرين لا يولد مع الانسان ، حال ولادة الانسان من بطن أمه . وانما هو يلتصق بالانسان فى حالة بعد الانسان عن الله وهو كبير السن والعقل . لقوله : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن ، نقض له شيطاننا ، فهو له قرين » .

لهم الشيطان يخاطب احدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العلمية .
ويقدر انها تخاطبه ، ويظن ذلك مخاطبة الحق له .

وهذا كالرجل يذكر بعض اصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من
يعاتبه او يعتذر اليه ، ويقدر خطاب تلك الصورة ، ويقول قلت لك :
كذا ، وقلت لى : كذا .

ونفس الشخص لا يكلمه ولا يسمع كلامه ، وانما هو المثل كما قد
يصور صورة الانسان يخاطبها الانسان ويقدر ذلك مخاطبة لمصاحب
الصورة والنصارى ادخل في هذا من غيرهم ، فانهم يخاطبون الصور المثلة
في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين ، ويقولون : انما نقصد
خطاب اصحاب تلك الصورة نتشفع بهم .

وهذا مما حرمه الله على السن جميع النبيين ولم يشرع لأحد أن يدعو
الملائكة ولا الأنبياء والصالحين الأموات ، فكيف بالصور المثلة لهم كما
قد بسط في موضع آخر .

والمقصود هنا : أن كثيرا ما يوجد في كلام الناس الانبياء وغيرهم من
ذكر ظهور الله عز وجل ، والمراد به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة
والذكر .

ولهذا لما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول :
أن الاسم هو المسمى أى أن المراد المقصود من الاسم هو المسمى لا أن نفس
اللفظ هو المسمى . فان هذا لا يقوله عاقل وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه
للمسمى وتسبيح له .

كما قال تعالى : « سبِّح اسم ربك الأعلى ★ الذى خلق فسوى »
(سورة الأعلى : ٢٤١)

وقال : « فسبح باسم ربك العظيم » ، (سورة الواقعة : ٩٦) .
وقال : « تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام » ، (سورة الرحمن : ٧٨)

وجاء في حديث : « لا تقوم القيامة حتى لا يعبد الله اسم » أى لا يعبد
الله باسم من أسمائه ، فانه اذا قيل : دعوت الله وعبدته ، فانما في اللفظ
الاسم والمقصود هو المسمى .

وهذا الذى ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بأن المراد
ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهده
وروحه ، هو مما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى ، فانهم يفسرون
اتحاد اللاهوت بالناسوت بظهور اللاهوت غيه كظهور نقش الخاتم في
الشمع والطين .

ومعلوم أن الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن في الشمع والطين شيئا من الخاتم ، بل ظهر فيه نقش الخاتم .

وكذلك يظهر نور الله وروحه في الأنبياء والصالحين ، وهذا المعنى لا يختص به المسيح عليه السلام ، بل يشترك فيه وسائر الرسل ، بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب إيمانه .

فصل في

معنى « عمانويل »

قالوا : وقال « اشعيا » النبي : (ها هي العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعى اسمه عمانويل) .

وعمانويل كلمة عبرانية تفسرها بالعربي « الهنا معنا » فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما .

فيقال : ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت ، وانها ولدت خالق السموات والأرض ، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض ، فانه قال : تلد ابنا .

وهذا نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء : ان فلانة ولدت لهننا ، وهذا دليل على أنه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والأرضين . ثم قال : ويدعى اسمه « عمانول » فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ، ويسمى به كما يسمى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام ، أو الصفات التي يسمونهم بها .

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلا ارتجلوه .

ومنها ما يكون بجملة يحكونها ، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه عمانويل ، ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ، ويذكرون في ذلك قصة جرت .

ومنهم من يقول : بل المراد مريم ، وعلى هذا التشدير فيكون المراد أحد معنيين :

أما أنه يريد أن الهنا معنا بالنصر والاعانة ، فان بنى إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم ، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع

من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم ، بل رفع الى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة .

كما قال تعالى : « فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَاصْبِرُوا لَهَا هَٰذِهِ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ فَمِنْهُمْ مُّسْحَقٌ » (سورة الصف : ١٤) .

وقال تعالى : « وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (سورة آل عمران : ٥٥) . وهذا اظهر .

واما أن يكون يسمى المسيح الها ، كما يقولون : انه يسمى موسى اله فرعون اى هو الامر الناهى له المسلط عليه ، وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة ، فقال : معناها الله معنا ، فقال من رد عليهم علمائهم يقال لهم : اهذا هو القائل انا الرب ولا اله غيرى وانا اميت وانا احيى ، ام هو القائل لله : انك انت الاله الحق وحدك الذى ارسلت يسوع المسيح ؟ واذا كان الاول باطلا والثانى هو الذى شهد به الانجيل وجب تصديق الانجيل وتكذيب من كتب فى الانجيل أن « عمانوئيل » تأويله « الله معنا » بل تأويل عمانوئيل « معنا اله » وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم ، بل عمانوئيل اسم يسمى به النصرارى واليهود من قبل النصرارى .

وهذا موجود فى عصرنا هذا فى اهل الكتاب من سماه ابوه عمانوئيل معنى « شريف القدر » قال : وكذلك السريان اكثرهم يسمون اولادهم عمانوئيل ، قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين والحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة ، ويقال للرجل فى الدعاء : الله معك فاذا سنى الرجل بقوله : « الله معك » كان هذا تبركا بمعنى هذا الاسم ، واذا قيل ان المسيح سنى الله معنا ، أو الهنا معنا ونحو ذلك ، كان ذلك دليلا على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به ، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه (١) « ا.هـ

ثم خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية — رضى الله عنه — طوائف النصرارى قائلا :

« فان المسيح لم يسن لكم التثليث والتثول بالأقانيم ، ولا القول بأنه رب العالمين ، ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ، ولا ترك الختان ، ولا الصلاة الى المشرق ، ولا اتخاذ ابحارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، ولا الشرك ، واتخاذ التماثيل والصليب ، دعاء الموتى والغائبين من الانبياء والصالحين وغيرهم ، وسؤالهم الحوائج ، ولا الرهبانية . وغير

ذلك من المنكرات التي أحدثتموها ، ولم يسنها لكم المسيح ، ولا ما أنتم عليه هي السنة التي تسلمتموها من رسل المسيح ، بل عامة ما أنتم عليه من السنين : اور محدثا مبتدعة بعد الحواريين ، كصومكم خمسين يوما زمن الربيع ، واتخاذكم عيدا يوم الخميس والجمعة والسبت ، فان هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من لحواريين . وكذلك عيد الحواريين : الميلاد والغطاس . وغير ذلك من أعيادكم .

بل عيد الصليب انما ابتدعته « هيلانة » الحرائية الفدثانية ، أم قسطنطين ، فأنتم تقولون : انها هي التي أظهرت الصليب ، وصنعت لوقت ظهوره عيدا . وذلك بعد المسيح والحواريين بمدة طويلة في زمن ملك « قسطنطين » بعد « المسيح » بأكثر من ثلثمائة سنة .

وفي ذلك الزمان أحدثتم « الأمانة » المخالفة لنصوص الأنبياء في غير موضع ، وأظهرتم استحلال الخنزير ، وعقوبة من (لا) يأكله ، دابتدعتم في ذلك الزمان تعظيم الصليب ، وغير ذلك من بدعكم . وكذلك كتب القوانين التي عندكم التي جعلتموها سنة وشريعة (ليس) فيها شيء عن الأنبياء والحواريين ، وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم . لا ينقلونه لا عن المسيح ولا عن الحواريين . فكيف تدعون انكم على السنة والشريعة ، التي كان عليها « المسيح » — عليه السلام — ؟ وهذاما يعلم بالاضطرار والتواتر : انه كذب بين (١) « أ. هـ

رد اللغو

وقد لغا الذين كفروا من أهل الكتاب في القرآن ، ليصدوا الناس عن معرفة معانيه . وأوردوا شبهات على النبي صلى الله عليه وسلم ليقولوا للناس : انه كاذب في دعوى النبوة ، وليس هو النبي الذي أنبأ عنه موسى في سفر التثنية في قوله : يقيم لك الرب الهك نبيا من بين أخوتك مثلى له تسمعون واجعل كلامي في غمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . . . النسخ .

ومن أبرز لغوهم وشبهاتهم ما يلي :

أولا : القتال في سبيل الله :

يعيب الذين كفروا من أهل الكتاب دين الاسلام بأنه انتشر بالسيف . والرد عليهم : هو أن الاسلام يأمر غير المسلمين بالدخول فيه . فان

رفضوا : يطلب منهم المسالة وعدم فتنة من يسلم . ودليل المسالة من .
أهل الكتاب : هو دفع الجزية . ومن غير أهل الكتاب : هو المسالة
وعدم فتنة من يسلم . وذلك لأنه ليس عليهم من جزية . ومن يسلم
المسلمين فانه لا يحق لهم قتاله ولا أخذ ماله ولا سبى نسائه . وما في
القرآن عن الجهاد ، كان في التوراة وهو الآن في الانجيل . ولكن بنى اسرائيل
في سبى بابل حرفوا نص التوراة عن الجهاد (١) وجعلوا شريعة التوراة لبنى
اسرائيل واستبعدوا الأمم من الدخول فيها . وجعلوا النص عن الجهاد
كما يلي :

١ — كان المكتوب هو أنهم اذا قصدوا قرية لنشر الاسلام فيها على
دين موسى ، يدعون أهلها بالكلام الى الدخول في الدين . فكتبوا : « حين
تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها الى الصلح » أي يقصدون استعمارا
لا نشر دين .

ب — وكان المكتوب أنهم اذا دعوهم الى الدخول في الدين وأجابوا ،
يكون المحييون واليهود أمام شريعة التوراة على حد سواء . فكتبوا :
ان أهل القرية اذا أجابوا الى الصلح — لا الى الدين كما زعموا —
فكل أهلها يكونون عبيدا لليهود « فان أجابك الى الصلح ونحت لك ،
فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك » .

ت — وكان المكتوب أنهم اذا حاربوا أهل القرية لعدم استجابتهم للدخول
في الدين وكسروا شوكتهم ، فانهم يغنمون أموالهم ويسترقون نساءهم .
والضعفاء الناجون من القتل لا يقتلون ، لأن المسالم لا يقتل . فكتبوا :
« وان لم نسالك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها . وإذا دفعها الرب
إليك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء
والأطفال والبهاائم وكل ما في المدينة . كل غنيمة فتغنمها لنفسك ... الخ »

ث — والأمم الذين يعيشون بجوار قرى اليهود . كان المكتوب في الحكم
عنهم أنهم يدعون الى الاسلام . فان أجابوا والا سالوا أو قتلوا . كالبعيدين
عنهم سواء بسواء . فكتبوا أن الأمم المجاورة لها حكم خاص وهو أن يباد
الناس كلهم ذكورا وإناثا صغارا وكبارا « هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة
عنك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب
التي يعطيك الرب الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها
تحريبا . الحثيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والفريزيين ، والحويين ،
واليبوسيين ... الخ » .

(١) راجع تفسير القرطبي في آخر سورة الثنورى — واعلام النبوة
للماوردى — وفصل الدعوات العالمية السماوية في كتاب نقد التوراة .

وقد وبخهم عيسى عليه السلام على ترك الجهاد في سبيل الله . وتال لهم : أخذتم مفتاح المعرقة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم . ثم قال لأتباعه : من كان عنده ثوبان ، فليبع ثوبا ويشتري به سيفاً . كما في انجيل لوقا .

فاذا عابوا الاسلام على أنه شرع الجهاد في سبيل الله . فإن الجهاد كان مشروعاً عندهم . لقوله تعالى :

((ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون في سبيل الله . فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن)) . (التوبة ١١١)

ثانياً : تعدد الزوجات في الاسلام :

يطعن حساد المسلمين من أهل الكتاب على الشريعة الاسلامية بأنها تبيح تعدد الزوجات وتبيح تعدد الجوارى . ويقولون : ان الحكمة تقتضى الاقتصاد على واحدة . وقد جاء في تفاسير القرآن : ان الله تعالى اباح للرجل ان يجمع بين تسع نساء في نكاح صحيح ، وان يجمع معهن جوارى بلا عدد . وجاء في التفاسير : انه يحل الجمع بين أكثر من تسع نساء في نكاح صحيح مع الجوارى بلا عدد . فالشافعى لم يبيح الجمع بين أكثر من أربعة . وحكى عن طائفة من الشيعة أنهم يجوزون الجمع بين أكثر من أربع الى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقال ابن كثير في تفسيره : « وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمعه بين أكثر من أربع الى تسع ، كما ثبت في الصحيح . واما احدى عشرة كما جاء في بعض الفاظ البخارى . وقد علقه البخارى وقد روينا عن أنس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخمس عشرة امرأة ، ودخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده احدى عشرة ، ومات عن تسع (١) . »

والرد عليهم : هو ان تعدد الزوجات مباح في التوراة . وعيسى عليه السلام لم ينسخها لقوله : « لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس » (متى ١٧:٥) وعيسى لم يتزوج لأنه كان من المنزورين لله تعالى من صفه . والنذير لا يتزوج . وداود عليه السلام صاحب الزبور — الذى هو سفر المزامير — وكان على شريعة التوراة يدعو اليها ويجاهد بها في سبيل الله ، وقد اتم الله على يديه فتح الأرض المقدسة ، ومكته من نشر الدين فيها هذا . كان له نساء كثيرات . حرائر وجوارى . فقد تزوج من : مكال — اخينوع — ابجاييل — معكة — حجيث — أبيطال — عجلة . كما هو مذكور في سفر صموئيل الثانى (٢ صم : ٢ الخ)

سبعة نساء حرائر . وأما الجوارى ففي الكتاب المقدس هذا النص عنهم : « وأخذ داود أيضا سرارى ونساء من اورشليم ، بعد مجيئه من حبرون . فولد أيضا لداود بنون وبنات » (٢ صم : ٥ — ١٣)

وسليمان عليه السلام « كانت له سبععائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى » (١ مل ١١ —)

ثالثا : نسخ الشرائع :

يقول أعداء المسلمين من اهل الكتاب : ان التوراة شريعة كاملة تصلح كل زمان ومكان ولها نازلة من السماء على يد موسى نبي الله ورسوله . فلماذا يدعى محمد نسخها ويأمرنا بغيرها . وقد مشت على التوراة اجيال واجيال ؟

والرد عليهم : هو : ان التوراة فيها نصوص عن مجيء محمد لينسخها ويبطلها . فمن يعمل بالتوراة كلها . يلزمه الانبياء بمحمد . لان من تشريعاتها : ان يسمع له بنو اسرائيل ويطيعون اذا جاء . ومن لا يؤمن منهم به ، فانه يكون كافرا ببعض نصوصها . والكفر ببعض الكتاب كالكفر بأكمله . ففي سفر تثنية الاشتراع في الاصحاح الثامن عشر : ان الله نهى بنى اسرائيل عن السماع من الكهان والعرافين والسحرة والمنجمين ، وأمر بنى اسرائيل ان يسمعوا من النبي الذي سيأتيهم الله لهم ليلقهم مراده في حين من الدهر . ووصف هذا النبي بتسعة اوصاف هي : ١ — نبي ٢ — من بنى اسماعيل ٣ — مثل موسى ٤ — ينسخ شريعة موسى ٥ — أمي لا يقرأ ولا يكتب ٦ — أمين على الوحي الالهي ٧ — لا يقتل بيد أعدائه ٨ — يتحدث عن غيب ويقع الذيب كما قال ٩ — ينتصر على اليهود والنصارى .

ومن عبارات هذا النص : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي . انا أطالبه » .

وهذا النص يدل على نبي الاسلام ﷺ لان لاسماعيل بركة منصوص عليها في هذا النص : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمه كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (تك ١٧) ولان اسماعيل سكن في فاران — وهي بركة مكة — وفي التوراة عن فاران : « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعيم ، وتلالا من جبل

فاران ، وأتى من ريوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه في يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أحكامك » (تث ٣٣ : ١ - ٤) فالتلاؤ من جبال فاران هو اشارة الى شريعة الهية تنزل على رجل فيه ، كما أن مجيء الرب من سيناء هو اشارة الى نزول التوراة في جبل طور سيناء . وفي التوراة عن اسماعيل : انه سكن في بركة فاران واتكعته أمه امرأة من أرض مصر .

فكيف مع هذه النصوص يستبعد أهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام وانهم لو اقاموا التوراة والانجيل لما تصح لهم اقامة الا لاليمان اسمه عليه السلام ؟

واعلم : انه كان لبنى اسرائيل عادات من قبل أن تنزل التوراة . ولما نزلت التوراة مخالفة لها ، تركوها . فلماذا تركوها ؟ اليس الترك هو النسخ ؟ فلنفرض انه كان لبنى اسرائيل عادات من قبل أن ينزل القرآن . ولما نزل القرآن مخالفا لها . فهل يتركوها أم لا ؟ انهم لو تركوها كما تركوا عادات لهم من قبل أن تنزل التوراة . فهل يكونون مخطئين بالتترك ؟

لقد تزوج « عمران » عفته « يوكابد » وحرّم موسى عن أمر الله نكاح العمّة . وجمع يعقوب بين الأختين وهما لبنة وراحيل . وحرّم التجمع بين الأختين موسى . وكل الأطعمة كانت حلالا لبنى اسرائيل فحرّم موسى الميتة والدم ولحم الخنزير وكثير من كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور .

ويقال للنصارى : انتم نسختم أحكام التوراة . فقد قال بولس : « لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ، لأنه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت في جميع كل ذلك هو مكتوب في كتاب الناموس ، ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر ، لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان ، بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس . اذ صار لعنة لأجلنا » (غل ٣ : ٩ - ١٣) انتم نسختم أحكام التوراة مع أن المسيح عيسى عن مريم لم يأت لنسخها وانما جاء لاصلاحها . فلماذا تشاغبون في النسخ وانتم قد اقررتم به ؟

وأما تفسير كلام بولس فهو :

ان التوراة تنص على ان القاتل ، يقتل وتعلق جثته على خشبة . وهذا

القاتل لتعمديه على شريعة الله يكون ملعونا . وعلى ذلك . فمن يلتزم بالناموس ولا يعمل به ، يكون ملعونا . ومن يلتزم بالناموس يكون تحت اللعنة ان لم يعمل به . وبولس يريد أن يلغى اللعنة ، سواء كانت للاهمال ، أو لترقب الاهمال . فلذلك قال : اهجروا التوراة ولا تعملوا بها ، لئلا نكون والتمعين تحت اللعنة ان لم نعمل . أى كونوا كال كفار الذين يجهلون الله . فالجاهل لا ذنب له ولا خطيئة له . وبالتالي لا لعنة له ولا غضب عليه .

ثم يخاطب النصارى قائلا : اهجروا التوراة ولا تعملوا بأحكامها . فان خطاياكم قد غفرت بقتل المسيح وصلبه للتكفير عنها . وحيث أنها قد غفرت بدم المسيح على الصليب ، فلماذا تعملون ؟ انه كما أن القاتل تعلق على الخشبة بجثته ليكون ملعونا ، كذلك المسيح قد علقت جثته على خشبة وصار ملعونا ، لا لاثم نفسه ، بل لاثم أتباعه وأتباعه فالايها باليسوع ربنا مصلوبا ، يكفى فى دخول الجنة .

وقد « خطأ » بولس « خطأ فادحا بمخالفته لتعاليم المسيح عيسى عليه السلام . فان المسيح عيسى عليه السلام قد التزم بالتوراة وعمل بها وأمر أتباعه بالعمل بها الى أن يأتى محمد رسول الله .



ومما تقدم يتبين : أن التشبهات التى يثيرها أعداء المسلمين من أهل الكتاب على القرآن والنبي . يردها الراسخون فى العلم من المسلمين بكلامه مكتوب فى كتبهم أنفسهم .

وهذه الطريقة مستفادة من القرآن الكريم ، من قوله تعالى :
« كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه .
من قبل أن تنزل التوراة . قل : هاتوا بالتوراة ما تلوها . أن كنتم صادقين »
(آل عمران ٩٣)

والله أعلى وأعلم ، وأعز وأكرم . وصلى الله وبارك وسلم على النبي الأمى ، محمد . وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بخير الى يوم الدين .

د/ أحمد حجازى أحمد الشدا

القاهرة فى

٢٠ من المحرم ١٤٠٨ هـ

١٣ من سبتمبر ١٩٨٧ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، المنزه عن الوالد والوالد ، الأول وليس قبله شيء ، القيوم الذي لا يشبهه أحد من ميت أو حي ، الذي أرسل رسله مبشرين ومنذرين ، وأوضح المحجة بانزال كتب لهداية الانس والجن أجمعين « لئلا يكون للناس على الله حجة » فبدأهم بآدم عليه السلام ، وختمهم بحبيبه سيد الأنام ، محمد الذي استضاءت من نوره الأصفياء ، ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها به الأنبياء

وصفيه أحمد المشفع يوم الزحام ، صاحب المقام المحمود المختص به من بين الرسل الكرام

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بههم -م
المصطفى الذي فتحت به عين العماء ، وآمنت ببعثته كافة الأنبياء ،
واقترنت بحضرته الحلية سادات الصلحاء

ومبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الأئمة ، وأصحابه الذين
ما لموسى ولا عيسى جواريون في فضلهم ولا نقيباء
وعلى الأئمة التابعين لآثارهم المشيدين لأركانهم ، والعلماء الذين

فيضهم الله في كل عصر ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ،
ويزيلون شكوك المرتابين ، ويظهرون دسائس أعداء الدين ، ويذبسون
بدهن أقلامهم افتراء المقتريين ، وكذب الكذابين .

أما بعد :

فقد رأيت في السنة الرابعة بعد الثلاثمائة وألف من هجرة النبي
الأشرف أوراقا مطبوعة في لندن سنة ١٨٨٠ م بالضلال واليهتان مشتملة
على تقديم دين النصراني على سائر الأديان ، طاعنة دين الاسلام ،
بكل قصير رمح وكليل سنان ، مزخرفة بالأكاذيب على الله تعالى ورسوله
مما لم تسمعها الآذان .

مقدمة للتثليث ، منتحلة للصليب الظاهر بطلانه ظهور الشمس
للعيان الا على العميان ، منسوبة الى « عبد المسيح بن اسحق الكندي »
مجيبا بها في زمن « المأمون العباسي » رسالة « نبيد الله بن اسمعيل
الهاشمي » حينما دعاه فيها الى دين الاسلام القوي الدعام وكلاهما فيما
أظن « هي بن بي » وأن الصائغ لهما عصرى خدا الحي باللى ، أو زنديق
منتقم العصر أراد ترويح الغى ، وأن ينسخ نور الشمس بالفى .
ولعمري أن باطلها لا يخفى على ذى عينين ، وحديد كهامها يعرفه كل
قن . ولقد قدمت رجلا وأخرت أخرى عن رد باطلها ، وبيان عاطلها ،
واستعظمت أن أنطق ولو على طريقة النقل بكلماتها ، أو أحرر بقلمى
على سبيل الرد قبيح هذاها ، لأن ما فيها يحكى العواء على بدر السماء
غير أن جهلة النصراني ربما يختلج في أذهانهم عجز المسلمين عن رد
هذيانهم ، فأسرعت لسرد الجواب ، واقتديت بمن قبل من الأجلة
الداخلين في هذا الباب ، الذين أثوا بالحكمة وفصل الخطاب ، وامثلت
ما ورد في محكم الكتاب ، من قوله جل وعز « ولا تجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم (١) » .

قال المفسرون « أى بالخصلة التى هى أحسن ثواب ، وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله سبحانه وتعالى والتنبية لهم على حججه وبراهينه رجاء اجابتهم الى الاسلام لاعلى طريق الاغلاظ والمخاشنة ، ثم استثنى سبحانه « الا الذين ظلموا منهم » وهم المفرطون فى المجادلة الذين لم ينفع فيهم ، ولم يتأدبوا مع المسلمين ، فبلا بأس بالاغلاظ عليهم ، كما كان المسيح عليه السلام يغلف على الفريسيين ، ولكتبة الكلام .

وقد نقل ذلك عنه أصحاب الأنجيل ، بعبارات لا تقبل التأويل حاكيا فى كتابى هذا قوله بعجره وبجره ورمته كما حكى الله سبحانه فى لكتابه العزيز ما قاله الكفار للنبي عليه الصلاة والسلام وأمته ويجب على العلماء ولا سيما فى هذا الزمان اظهار علمهم كما ورد فى الخبر عن سيد الانس والجان ، فشرعت فيه طالبا للتوفيق والامداد ، متكللا على من تنزه عن الصاحبة والأولاد ، سائلا منه جل وعز الهداية والتيسير والحفظ من كيد الأعداء والحساد ، مسميا له بـ « الجواب المسيح لما لفته عنه المسيح » .

فأقول :



(بدء كتاب النصرانى)

قال النصرانى « بسم الله الرحمن الرحيم

رب بسر ولا تعسر رب تتمم بالخير

الى فلان بن فلان أصغر عبيد المسيح

سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع أهل
العالم عامة بجوده وكرمه أمين •

أما بعد : فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لى من
رأى سيدى أمير المؤمنين ، ودعوت الله الذى لا يخيب داعيه اذا دعاه
بنيّة صادقة أن يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين فى أسبغ النعم ، وأدوم
الكرامة وأشمل العافية بمنه ورحمته ، وشكرت أكرمك الله ما ظهر لى
من فضلك بالعناية ، وما كشفته من لطيف محبتك وخصصتنى به من
المودة ، فقد كان العهد قبلا عندى على هذا قديما وقد زاده تأكيدا
ما تبين لى من شفقتك مستأنفا ، وشكرى يقصر عما فعلته ، ولم تتعد
ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك ، وأنا أرغب الى الله جل اسمه الذى
بيده الخير كله أن يتولى مكافأتك عنى بما هو واسع له ، فانه لا يعجز
عن شىء ويحسن جزاءك عن نيتك فقد لعمرى أفرغت جهودك والنصيحة
عند نفسك ، ولم تقب غاية • ووجب شكرك على اذ كنت لم تأت بما
أتيت به الا على الاخلاص من المودة •

وكان الذى حملك على ذلك فرط المحبة والالفة وفهمت - أفهمك
الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد - اقتصصته فى كتابك وتعمقت فيه
من الدعوة وشرحته من أمر ديانتك هذه ، التى أنت عليها ، وما دعوتنى
الى الدخول اليه ورغبتنى فيه منها ، وقد علمت - أصلحك الله - علما
حقيقيا أن الذى دعاك الى ذلك ما يوجب لى تفضلك من حق حرمتنا بك
لما يظهر من رأى سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فىنا •
فهذا أكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على

ذلك الا الله تبارك وتعالى ، فاننا نستعينه ونسأله مبتليين طالبين اليه
أن يشرك عنا فانه أهل لذلك والقادر عابه •

فأما ما دعوتنى اليه من أمر دينك الذى تنتحله ومقاتلك التى
تعتقدها وهى الحنيفية وأنت على ملة أبينا ابراهيم وما قلت فيه انه
« كان حنيفا مسلما » فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذى
وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح فى انجيله المقدس،
حيث يقول « اذا قدمتم الى القضاة والحكام فلا تهتموا بما تقولون
ولا بما تجيبون ، فانكم ستعطون فى ذلك الوقت وتلقنون ما تتكلمون
وتدفعون عن أنفسكم به من الجواب والحجة (١) » فأنا واثق بما وعدنى
بـه سيدى المسيح فى انجيله المقدس من انجزه وعده لى ، وأدخل
معك المعركة مستغيثا بالله متكللا عليه ، اذ كنت أنا العاجز عن كل شيء
لا أتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الأنضل •

وأفتتح كلامى بما يلقننى به من صلاح القول ويلهمنى من وثيق الحجة
تعاذته عند أوليائه وأرجو منه الظفر •



الرد على كلام النصرانى :

فأقول غير خفى على المطلعين أن النزاع بين النصرارى والمسلمين
قائم على ساق من غابر السنين ، وقد لفق النصرارى بعض الرسائل
فى اثبات حقية دينهم ، وليس والله تحتها طائل وألف المتقدمون
والتأخرون من علماء الموحدين كتبوا فى ردهم هو، وأيم الله نور عبدين
لنستضيئ به •

منها كتاب الحافظ الامام أبى العباس تقى الدين بن تيمية
المسمى بـ « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » أربعة أجزاء
وكتاب « هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصارى (٢) » للعلامة
الشهير بابن قيم الجوزية وكتاب « دلائل النبوة » لفاضل الماوردى ،

(١) انجيل متى — الأصحاح العاشر

(٢) طبع بمصر غتسنا

ولابن كثير الفهامة الشهير ، وكتاب « الأجوبة الفاخرة » للفاضل
القرافي وكتاب « تحفة الأريب في الرد على أهل المصليب » لعبد الله
بن الترجمان الذي كان قسيسا فأسلم وكتاب « اظهر الحق » لصاحبنا
العالم الفاضل المجاور في بيت الله الحرام الشيخ « رحمت الله الهندي »
أطال بقاءه المعيد المبدى وكتاب « تخجيل الأناجيل » للشيخ أبي البقاء
صالح ، ومختصره للفاضل أبي الفضائل المالكي . ومنها كتاب « المرهاوى »
بالراء المهمل ، وكتاب عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتاب عبد الجبار
المعري ، ومقالة القاضي أبي بكر ، وكلام انجويني ، وكتاب الطربطوسي
وكتاب ابن عوض ، وكتاب خلف الدمياطي ، والبصيحة الايمانية (٤)
والانتصارات الاسلامية (٥) والرد على اليهود (٦) لعلاء الدين على
بن محمد الباجي الشافعي .

وغير ذلك مما ألف في التركية والهندية وغيرها .

وأما ما ألفه المهتدون الذين دخلوا في دين الاسلام من أحبار
اليهود وقسيسى النصارى في عصرنا هذا وقبله وبينوا فضائلهم ، فكثير
جدا والحمد لله تعالى .

وأعلم أنه وان كان يكفيننا لردهم ما كتبه هؤلاء الأعلام وغيرهم (٧)
من علماء الاسلام من الكتب المدونة وغيرها في سائر العلوم ككتب العقائد
والتفاسير والحديث . غير أن هذه الأوراق المنسوبة الى « عبد المسيح »
مع رسالة « عبد الله بن اسماعيل الهاشمي العباسي » المذكور التي
طبعت في « لندن » وان كان الظن الغالب أنها مفتعلتان مختلفتان من
بعض البروتستانتين أو نحوهم على لسان هذين الرحلين ، إذ لم نعر

(٣) طبع بمعرفتنا

(٤) طبع بمعرفتنا

(٥) طبع بمعرفتنا

(٦) طبع بمعرفتنا

(٧) مثل كتاب أقاتيم النصارى ، وكتاب نقد التوراة — أسفار موسى
الخمسة — وكتاب البشارة بنى الاسلام في التوراة والانجيل .

على ترجمة هذين الرجلين ، ولا وجدنا هاتين الرسالتين عند أحد من أهل الاسلام ولا في مكتبة أحد من الأنام .

وفي رسالة « عبد المسيح » من اساءة الادب والكذب والتشنيع على دين الاسلام ما لم يكن في غيرها وقد زخرف مفسريها كلامه ليروج على بعض ذوى الآراء القاصرة ، وسلك فيها مسلكا لم يسلكه غيره من اخوانه الشياطين الفاجرة .

لى حيلة فيمن ينم .: . وليس في الكذاب حيلة من كان يخلق مايقول .: . فحيلتى فيه قليلة فلزم علينا عدم تركها من الجواب . وسيسمع بحوله ، سبحانه وقوته مفتعلها أجوبة يسلمها ذوو الألباب .

ومن جملة ما يشير الى أنها مختلفة :
أنه ذكر في أول الرسالة التي نسبها الى « عبد الله ابن اسماعيل الهاشمي » ما نصه .: « بسم الله الرحمن الرحيم » .: .

أما بعد :

فتقد افتتحت كتابي اليك بالسلام عليك والرحمة تشبها بسيدى وسيد الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوى العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناطقين اليينا أخبار نبينا عليه السلام قد رروا لنا عنه : أن هذه كانت عادته وأنه كان ﷺ اذا افتتح كلامه مع الناس يبادؤهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم ، ولا يفرق بين الذمى والأمى ولا بين المؤمن والمشرک »

وأنت تعلم أن النبى عليه الصلاة والسلام انما كان يفتتح كتابه اشريفة بالسلام على من اتبع الهدى فمن ذلك كتابه الى هرقل بعثت بالبسملة « من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى » ومن ذلك ما فى آخر كتابه الى النجاشي « فأقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى » وكتابه الى المقوقس « من محمد بن

عهد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى » •

• وغير ذلك كثير •

ومن جملة دسائسها : أن مؤلفها النصراني هذا افنتح كتابه
بالبسملة ، مع أن النصراني ان افنتحوا يفتتحون قائلين « باسم الأب
والابن وروح القدس اله واحد » •

ثم أعلم هداك الله تعالى ووفقنا للسداد أن « عهد المسيح » تمسك
طلب الدخول في المعركة والنزال ومصارعة الأبطال عند الخلاء من
حضور الرجال ، فيصدق عليه قول الشاعر .

واذا ما خلا الجبان بأرض •• طلب الحرب وحده والنزالا
وليت شعري كيف يغلب في المعركة من غدا بعبد المسيح مسمى
لمن غدا عبدا لله الذي خلق المسيح ؟ •
أعباد المسيح يخاف صبحي •• ونحن عبيد من خلق المسيح

وأما بقية كلماته في هذه الأسطر المتقدمة ، فسيأتى الكلام عليها في
أماكنها ومحالها المناسبة لها ان شاء الله تعالى •



قال النصراني : « فأقول مجيبا لك قد علمت أنك الله اذ زعمت
أنك قرأت كتب الله المنزلة ونظرت في ديوان أسرار المقدسة التي هي
الكتب العتيقة والحديثة أن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى
النبي ونجاه بجميع ما فيها وخبره أسرار مکتوب في السفر الأول من
أسفار الخمسة وهو المعروف بسفر الخليفة أن ابراهيم كان نازلا مع
آبائه بحران ، ، وأنها كانت مسكنا لهم وأن الله تبارك وتعالى تحلى
عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسب له ذلك برا . فقد علمنا يرحمك
الله أن ابراهيم انما كان نازلا بحران مع آبائه تسعين سنة لم يعبد
إلا الصنم المسمى « العزى » وهو المعروف بحران المتخذ على اسم

النقر ، لأن أهل حران انما كانوا يعبدون هذا الصنم . تلك البقية قائمة فيهم الى هذه الغاية لا يكاثمون بها ولا يسترون منها شيئاً ، غير القرايين التى يتخذونها من الناس فان ذبح الناس لا يتهيا لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سرا فكان ابراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آباءه وأجداده وأهل بلده كما أقررت أنت أيها الحنيف ، وشهدت بذلك عليه الى أن تجلى الله عليه ، فلما آمن به وصدق مواعده : فحسب له ذلك برا (١) « تكوين ١٥ » زال عنه الحنيفية التى هى عبادة الأصنام وصار موحداً مؤمناً لأننا نجد الحنيفية فى كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الأصنام ، فورث ذلك التوحيد « اسحق » الذى هو ابن الموعد وهو الذى قربته الله ، ففداه الله بالكبش من الشجرة لأنه هكذا أمره الله وقال « اعمد الى ابنك ووحيدك الذى تحبه وهو اسحق فامض به حتى تقربه لى قربانا فى الموضع الذى أريكه » ومن نسل اسحق من سارة اسرة ، خرج المسيح مخلص العالم .

فلهذه الأسباب وغيرها ورثه ابراهيم أبوه التوحيد ، ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه ، الذى سماه الله اسرائيل ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطاً ، فلم يزل ذلك التراث فى بنى اسرائيل حتى دخلوا أرض مصر أيام الفراعنة بسبب يوسف ، ثم نم يزل ذلك التراث ينتقص ويضعف قرناً بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذى كان فى عصر نوح . اذ كان التوحيد أول من عرفه أبونا آدم ثم ورثه شيث ، ثم شيث ورثه أنوش ابنه فلان أنوش أول من أعلن ذكر التوحيد ودعا اليه ثم ورثه نوح ولده وولد ولده ، ثم اضمحل الى زمن ابراهيم فتجده ذلك التراث لابراهيم ، فلم يزل يتجدد الى أن ولد يعقوب الذى هو اسرائيل الله ، ثم اضمحل حتى تجدد عند ما بعث الله موسى ، فان الله تجلى عليه بالنار فى العوسجة وقال له فى مناجاته اياه ومخاطبته له « انك

(١) « فآمن بالرب فحسبه برا » (تكوين ١٥ : ٦)

وقول النصرانى ان النص فى تكوين ١٥ يدل على ان المؤلف ليس عهد المسيح الكندى ، بل يدل على المؤلف نصرانى معاصر لأن التقسيم الى أصحابات تقسيم حديث .

ترسلنى الى قوم غلف القلوب انهم ان ..الونى وقالوا ما اسم الذى وجهك الينا ؟ وبماذا وجهك حتى نصدقك ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله مجيبا : هكذا تقول لبنى اسرائيل الذين أنا مرسلك اليهم ، وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت اليه (أهيه أشر أهيه اليدم) وتفسره ذلك الأزلى الذى لم يزل اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم » أه .



أقول وبالله التوفيق ان الكلام على هذه الكلمات فى فصول

الفصل الأول

فى بيان ما فى بعض ألفاظه من الاصطلاحات ونحو ذلك .

منها قوله : زعمت . والزعم هو القول بغير دليل ، وقد يطلق على القول الحق كقوله :

ودعوتنى وزعمت أنك ناصح .. ولقد صدقت وكنت ثم أميناً

وقوله « فى ديوان أسرارہ » . الديوان كما فى القاموس بالكسر ويفتح : مجتمع الصحف ، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية وأهل من وضعه عمر رضى الله عنه وجمعه دواوين ودياوين ، والمراد هنا المعنى الأول وقوله الكتب العتيقة أراد بها جميع رسائل الأنبياء عليهم السلام الآتى ذكرها التى كتبت قبل المسيح عليه السلام ، ويقال لها العهد العتيق أيضا كالتوراة وقوله والحديث أراد بها ما كتب بعد المسيح عليه السلام ويقال لها العهد الجديد كالانجيل ، فاليهود لا يعتقدون الا بالعتيق والنصارى يعتقدون بالعتيق والجديد معا ،

وكتب العهد العتيق هى : سفر الخليقة ويقال له سفر تكوين

انخلائق أيضا • وسفر الخروج وسفر الأخبار • وسفر العدد وسفر الاستثناء • ثم صحيفة يشوع بن نون ، وسفر القضاة ، وكتاب راعوث ، وصحائف صموئيل ، والملوك والأخبار وعزرا ونحميا وأستير وأيوب وزبور داوود وأمثال سليمان والجامعة وتشييد الانشاد وصحيفة أشعيا وارميا ومراثيه ، وصحيفة حزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس — المسمى عندهم يونان — وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخيا عليهم السلام (١) •

وكتب العهد الجديد هي انجيل ، متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا وكتاب أخبار الرسل ورسالة بولس الى أهل رومية ورسالته الأولى الى أهل كورنثوس ورسالته الثانية الى أهل كورنثوس ورسالته الى أهل غلاطية ورسالته الى أهل أنسبر ورسالته الى أهل غيلبي ، ورسالته الى أهل كولوسي ورسالته الأولى الى أهل تسالونيكي ورسالته الثانية اليهم أيضا ورسالته الأولى الى تيموثاوس ، ورسالته الثانية أيضا اليه ورسالته الى تلميذه تيطس ورسالته الى فليمون ورسالته الى العبرانيين ، ورسالة يعقوب الكاثوليكية ورسالة بطرس الكاثوليكية الأولى ورسالته الكاثوليكية الثانية ورسالة يوحنا الكاثوليكية الأولى ورسالته الثانية ورسالته الثالثة ورسالة يهوذا الكاثوليكية وكتاب رؤية يوحنا الانجيلي وهي الأبوكاليسيس • وسيأتبك ان شاء الله تعالى بيان اختلافهم في بعض ذلك ، فانظره ولا تغفل •

تتممة في فائدتين :

الأولى : لا يخفى عليك أن النزاع بين فرقتي اليهود السامرية وغير السامرية في أمر التوراة مشهور ، وكذا هي فائمه بين فرقة البروتستانت وفرقة الكاثوليكين وغيرهم في أمر التوراة المنشورة الآن في العالم ، فادعى البروتستانت أن التوراة الموحدة ، فيها التحريف

(١) لقب عليهم السلام لا يصح أن يطلق الا على الانبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم •

الظاهر والزيادة والنقصان وادعى الكاثوليكيون أن البروتستانت كلما طبعوا نسخة حرفوا وبدلوا ، فلننقل لك بعض كلماتهم في ردهم على البروتستانت من كتبهم المتعددة المنشورة ككتاب المحاوره بين البشير والنتير المطبوع في بيروت . قال الكاثوليك : « لا يستطيع البروتستانت أن يثبتوا أن عندهم التوراة المقدسة أما أولا فانهم مجمعون على ترنيل التوراة الكاثوليكية ، ويلزم منه أيضا أن لا يكون عند الروم ولا عند السريان ولا عند الكلدان ولا عند الأرمن ولا عند الأقباط لاهم أخذوا التوراة من الكاثوليكين ، فاذن لا نجد نورا صحيحة الا عند البروتستانت والتوراة لا تكون الا واحدة . والحال قد وجدت عند البروتستانت متعددة على قدر أعداد شيعهم ، أي قد بلغت أشكائها عددا لا يحصر ولا يزال آخذا بالازدياد لأن كل ترجمة من التوراة ينشرها البروتستانت تختلف بدرجات مختلفة عن الترجمات السابقة ، ونأتى بنص جديد للكتاب المقدس ، ومنذ ظهور مذهبهم كان يدعى أحد زعمائهم المسمى « زونيكل » أن ترجمة التوراة التي ألفها « لونير » أفسدت كلام الله وكانوا يرمون ترجمة « كلوين » بالكفر وحكم المعظم دي « مولين البروتستانتى » أن توراة « كلوين » تحقوى على يدات ، ويرذلون أيضا الأسفار المعروفة بتثنية القانونية ، ومنها سفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر باروخ وسفر الحكمة وسفر ابن سيراخ وسفر المكابيين وغيرها .

وبالجملة فانهم لا يستطيعون بيان عدد أسفار التوراة ولا كمية فصولها وعدد آياتها . انتهى ملخص ما يقول الكاثوليكيون في كتبهم المطبوعة في ردهم على البروتستانتين وانت تعلم اذا نظرت أيضا الى التورات التي طبعها الكاثوليك تراها أيضا متخالفة متغايرة وكل نسخة لا توافق الأخرى ، وكذا أناجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعها . وهذا الحال مستمر في جميع فرقهم على سائر الأزمان ، وظاهر ظهور الشمس للعيان ، فلا تغفل .

الثانية نذكر لك فيها بعض فرق اليهود والنصارى لتستعين بذلك

أبضا على رد بعض مقالات هذا النصراني الآتية ، ونزبدك وقوقا على
مختلف أقوال هاتين الأمتين اللتين هما أعظم الأمم اكنايية •

فَاعْلَمْ أن اليهود تسموا بذلك لقول موسى عليه السلام « انما
هدنا اليك » أى رجعنا وتضرعنا يقال هاد الرجل اذا رجع وثاب ، وقيل
انهم عقب رجوعهم من سبى بابل فى زمان « عزرا » دعوا يهودا من
سبط يهوذا وكانوا يفتخرون بهذا الاسم لأن معناه الديانة الصحيحة •
وهى التوحيد • وهم أولاد يعقوب المدعو باسرائيل بن اسحق بن
ابراهيم • ويعقوب عليه السلام ولد له اثنى عشر ولدا ، ويقال لهم
الأسباط الاثنى عشر ، وقد اشتهر بين هؤلاء الأسباط لاوى الذى كان
منه موسى عليه السلام وأخوه هرون ، وكان أكبر من موسى مثلات
سنتين •

وقد تفرقت اليهود فى آرائها الى فرق متعددة •

فمنها الفرقة الصدوقية أى الصدوقيين • ومنهم تناسلت
السامريون (١) وهم سكان السامرة ولم يتمسكوا الا بأسفار موسى
الخمسة فقط وهى المسماة بالتوراة ، ورفضوا ما عداها من أسفار العهد
القديم ، وكان هيكلم قرب مدينة نابلس ، وبينهم وبين غيرهم من اليهود
عداوة شديدة • ومن فرقهم الصدوقيون نسبة الى رئيسهم صادق
الكاهن على ما قيل ولم يقبلوا من العهد القديم سوى الأسفار الخمسة
أيضا وأنكروا قيامة الموتى • ومن فرقهم الفريسيون وهم أعظم طوائف
اليهود وأقدمها • وهذه تسمية عبرانية ومعناها الافراز ، ويراد بذلك
انفrazهم عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة اليهم • ومن فرقهم - م
الكتبة - ونشال لهم الناموسيون أيضا • ولم يكونوا من قبيلة مخصوصة
ولكنهم كانوا ينسخون الكتب المقدسة ، ويميأون الى مطالعة العسوم

(١) الصحيح : أن اليهود من قبل عيسى عليه السلام كانوا سامريين
وعبرانيين ، والعبرانيون فى زمان عيسى انقسموا الى صدوقيين وفريسيين ،
ومن بعد زمانه صاروا ربانيين وقراءين •

والفنون . ويفسرون أحكام الشريعة ربوا فقون المريسين في التدبير .
ومن فرقهم الأسينيون وهم فرع من المريسين . وإذا أراد أحد أن
يدخل معهم يمتحنونه ثلاث سنين ، فإذا تساوه اشترطوا عليه عبادة الله
تعالى واستعمال العدل ، وأن لا يخفى شيئا من أسرارهم عن الجمعية ،
ولا يظهر منها شيئا للغير ، ولو يخوف بالقتل وكانوا يحتقرون الأموال
ويشاركون في أمتعتهم ويؤمنون بالسعادة ، بعد الموت ، ولكنهم مرتابون
القيامة .

ومن فرقهم الهيروديون وهم طائفة سياسية بين اليهود لا يتدخلون
بشئ المدينة . ومن فرقهم الجليليون . ومن فرقهم ليرتيريون . وغيل
أنه كان لهم مجمع مختص بهم في أورشليم أي البيت المقدس ، ثم أنه
بعد ميلاد المسيح بأحدى وسبعين سنة غزا طيطس الروماني بيت
المقدس ، وأضرمت عساكره النار في ذلك الهيكل العظيم ، وهدمته ، وقد
تفرقت اليهود وتلاشت عباداتهم .

انتهى ملخصا من كتاب « سوسنة سليمان » لنوفل المسيحي .

وفي « الملك والنحل » للعلامة الشهر ستاني : أن اليهود نيف
وسبعون فرقة ، قال : « ونحن نذكر منها أشهرها ونترك الباقي ، فمن
ذلك العنانية نسبوا الى رجل يقال له « عنان بن داود » يخالفون سائر
اليهود في السبت والأعياد ويختصرون على أكل الطير والظباء والسمك
والجراد ويذبحون الحيوان على القفا ، ويصدقون عيسى عليه السلام
في مواضع إشارات ، ويقولون أنه لم يخالف التوراة البتة بل قدرها
ودعا الناس إليها ، الا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته ، ومن هؤلاء من
يقول أنه لم يدع أنه نبي وأنه صاحب شريعة ناسخه . بل هو من أولياء
الله تعالى ، والانجيل ليس كتابا منزلا عليه ، بل هو جميع أحواله من
هبدئه الى كماله ، وانما جمعه أربعة من أصحابه ، فكيف يكون كتابا
منزلا ؟

ومن ذلك العيسوية نسبوا الى أبي عيسى يسحق بن يمعقوب

الأصفهاني ، وقيل اسمه عوفيد ألوهيم أي عابد الله ، كان في زمن « المنصور » واتبعه بشر كثير من اليهود . وزعم أنه نبى وأنه يسوز المسيح المنتظر ، زعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله ، واحدا بعد واحد ، وأن الله وكله أن يخلص بنى إسرائيل من أيدي الأمم انعاصين ، وحرّم في كتابه الذبائح كلها وأوحى عشر صلوات وخالف اليهود في كثير من الأحكام وقتله وأصحابه عسكر المنصور بالرى .

ومن ذلك المقاربة واليوذعائية نسبوا الى « يوذعان » رجل من « همدان » وقيل : كان اسمه يهوذا يحث على الزهد ، وكان يزعم أن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا . ومنهم الموسكانية أصحاب موسكا على مذهب يوزعان غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ، فخرج وقتل مع أصحابه بناحية قم .

وذكر عن جماعة من الموسكانية أنهم أثبتوا نبوة نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الى العرب وسائر الناس لأنهم أهل ملة وكتاب . ومن ذلك السامرية وهم قوم يسكنون بيت المقدس وهري من أعمال مصر ، يتقشفون في العبادة أكثر من نقشف سائر اليهود ، أثبتوا نبوة موسى وهرون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبوة من بعدهم رأسا الا نبيا واحدا ، وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبي واحد يأتي من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة . ويحكم بحكمها . فظهر في السامرة رجل يقال له الألفان ادعى النبوة ، وزعم أنه هو الذي بشر به موسى ، وأنه هي الكوكب الذي في التوراة أنه بضئ ضوء القمر ، وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بتقريب من مائة سنة .

وافترقت السامرية الى دوستانية وهم الألدانية والى كرسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكرسانية معناها الجماعة الصادقة ، وبين الفريقين اختلاف في الأحكام والشعائر والعقائد والبغضاء انتهى بإقتصار وتلخيص .

وأما النصارى فتنسموا بذلك لأن المسيح خرج في قرية الناصرة (١)، ومنها انتقل الى بيت المقدس ، وهم نيف وسبعون فرقة . وفي كتاب موسسة سليمان لنوفل بن نعمة الله بن جرجيس النص . انى المؤلف المطبوع سنة ١٨٤٤ أن المسيحيين ينقسمون الى ثلاثة فروع أصلية •

الأول الكنيسة الكاثوليكية ورتبها بابارومبة ، الثانى الكنيسة الأرثوذكسية وهى الكنيسة اليونانية : الثالث . الكنيسة الانجيلية ، وهى الكنيسة البروتستانتية • والمراد من الكنيسة : العقيدة والمذهب والدين •

قال : ويجمعهم في الاعتقاد دستور ايمانهم المختص من الاجيل . وهو هذا :

« نؤمن بالله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض . كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخاوق ، مساو للآب في الجوهر ، الذى به كان كل شيء الذى من اجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث ، على ما في الكتب • وصعد الى اسماء وجلس عن يمين الآب • وأيضا : يأتى بمجد ليدين الأحياء والأموات الذى لا فناء للملكه ، وبالروح القدس الرب المحيى المنتشق من الآب الذى هو مع الآب والابن يسجد له وبمجد ، الناطق بالأنبياء وبكنيسة واسعة جامعة مقدسة رسولية • ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، ونترجى قيامة الموتى واثياة في الدهر العنيد آمين » •

ولا خلاف بين هذه الفروع الثلاثة المذكورة في مضامين هذا الدستور ، سوى أن بين الكاثوليكين والروم في قضية انبثاق الروح

الصحيح : أنهم سموا نصارى من الكلمة العبرانية « هانصرى » وذلك لأن الناصرة من نصيب سبط زبولون . وهو سبط لليهود السامريين . وعيسى عليه السلام من العبرانيين من قرى سبط يهوذا (البشارة بنبى الاسلام) .

انقدس (اختلاف) فان الكاثوليكين يقولون « المنبثق من الآب والابن ،
الذى هو مع الآب ، والابن يسجد له ويمجد » وأما الانجيليون
فلا يتعرضون للمناكفة فى شىء من ذلك ، وانما يقولون : ان أصل
الدستور الذى ألفه المجمع النيقاوى المسكونى . هذا فحواه : « نؤمن
بالله واحد رب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى ،
وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد مساو للآب فى الجوهر ، الذى
به كان كل شىء ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . نزل
من السماء وتجسد وتأنس وصاب عنا على عهد بيلاطس البنطى . ودأب
وقبر وقام فى اليوم الثالث ، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب .
وأىضا يأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذى لا فناء لملكه ،
وبالروح القدس الرب المحيى الذى هو مع الآب والابن ، يسجد له
وبمجد ، الناطق بالأنبياء ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى السهر
العتيد آمين » . ولما كان هذا الدين لا يدعى بأنه جاء ناسخا أو مبطلا
للديانة الموسوية وانما هو تكملة لها كان العهد الجديد لا يتعرض الى
وضع شرائع وقوانين سياسية ، غير ما ورد فى العهد العتيق » انتهى .
قلت : أين هو من تهذيل السبت والختان ، وأكل لحم الخنزير وغيره
من الحيوانات المحرمة فى التوراة والاغتسال للجنابة وغيرها والطلاق
والتزوج بأكثر من واحدة ، وغفران الخطايا وغير ذلك مما نهىك عليه
غير مرة ؟

قال النصرانى نوفل المذكور : « فصل فى البدع التى ظهرت بين
المسيحيين ، وسبب انعقاد المجامع وانقسام الكنائس الى المذاهب .
وذلك أنهم لما اختلفوا فى التفاسير التى عولسوا عليها أوجب
صيرورة هذا الدين أيضا عرضة لآراء الناس ومجادلاتهم ، وسبب
ظهور البدع (١) الآتى ذكرها التى ينوعها البعض الى خمسة أقسام

(١) يقول ول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة ج ١١ ص ٤١٨ : ما نصه :
« لما فتحت المسيحية «روما» انتقل الى الفين الجديد أى الدين النصرانى - دماء
الدين الوثنى القديم : لقب الحبر الأعظم ، وعبادة الامم العظمى وعدد لا يحصى =
(م ٤ - الجواب الفسيح)

متباينة : الأول بدع الفلسفة ، الثانى : بدع الأخلاق ، الثالث : البدع المتعلقة بطبيعتى المسيح ، الرابع : بدعة المجادلة ، الخامس : البدع الصورية أو العادية . ثم صارت هذه البدع سببا الى انعقاد المجامع ، وتعاليم المجامع سببا لانقسام الكنائس الحاضرة الى تقليدية وانجيلية ، فبدع الفلسفة ظهرت فى عهد الرسل أى الحواريين ، وتولس .

فمنها أولا بدعة الغنوسيين ، فمزجت هذه طائفة الفلسفة بأصول الدين ، حتى جعلوها شيئا واحدا ، فرفضوا شريعة موسى ، وكانوا أهل رياضيات وكان كثير منهم يقول : ان المسيح الذى اعتبروه منبثقا من اللاهوت على الانسان يسوع عند معموديته ودام معه الى وقت صلبه ، وحينئذ تركه ورجع الى السماء ، وكثير منهم رفض جزء من الأسفار المقدسة .

ولما ظهر « مانى » الفارسى فى القرن الرابع بعد الميلاد ، وكان قد نشأ بين المجوس ودخل فى الدين المسيحى ، فزعم أنه « البار قليط »

من الأرباب التى ثبت الراحة والطمانينة فى النفوس ، وتمتاز بوجود كائنات فى كل مكان ، لا تدركها الحواس . كل هذا انتقل الى المسيحية ، كما ينتقل دم الأم الى ولدها . وأسلمت الأباطورة المحظرة أزمة الفتح والمهارة الادارية الى البابوية القوية . وشحذ بقوة سحرها ما فقدته السيف المسلول من قوته ، وحل مبشرو الكنيسة محل الدولة .

ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل ثبتتها . ذلك أن العقل اليونانى عاد الى الحياة فى صورة جديدة ، فى لاهوت الكنيسة وطقوسها ، ونقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القديس الرهبية وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم لحساب وأبدية الثواب والعقاب وخلود الانسان فى هذا أو ذاك ، ومن مصر جاءت عبادة الأم الطفل ، والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلوطنية واللادرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية ، ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع « المسيح » وحكمه الأرض لمدة ألف عام ^١ .

وهذا اعتراف منهم بأنهم « يضاهئون قول الذين كفروا من غيا . » كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم .

مزل من السماء ليكمل الدين الذى زعم أن المسيح تركه ناقصا ، ثم أخذ مفسر الانجيل بما تقتضيه عقيدته ، وجعل جماعته فرقنين نصارى كاملين ونصارى مستمعين وأن رئيس مذهبهم يكون نائباً للمسيح .

وأما بدع الاخلاق فمنها « النقولايون » الذين ظهروا فى القرن الأول بعد الميلاد وكانوا يقربون الذبائح للأوثان ويتمرغون فى أتدح انفواحش لأنهم زعموا أن كل من عرف الله والمسيح يخلص . ومنها فرقة المونتالوسية نسبة الى رئيسهم « مونتانيس » زعم أنه بعث ليكمل للناس الآداب التى جاء بها المسيح فدفع الناس عن الزينة وتعلم الفنون ، ونبعه خلق كثيرون لما رأوا فيه من شعار الزهد . منهم غير ذلك . وأما البدع المتعلقة بطبيعة المسيح كان منشأها البحث بين المسيحيين القدماء فى شأن التثايت ، فمنهم من نفى ألوهية الروح القدس كالماكدونيين ، ومنهم من جعل فى كل أقنوم خاصية تدفى الألوهية كسبلبوس الذى ظهر فى القرن الثانى ، ومنهم من قال بوحدانية الذات الالهية كتوبتيوس ، وبولس السمسياطى . الذى ظهر بعده .

ثم ظهر آريوس بعد ذلك فى أوائل القرن الرابع ، وأنكر ألوهية المسيح حيث قال انه ليس من ذات الله تعالى وانه مسبوق بالعدم ضرورة لأنه مولود وانه جائز الوجود وأن الحكمة فى وجوده هي لكى بدون واسطة لانقاذ العالم من الخطيئة ، ناعتد لذلك المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ مسيحية ، وحكم ببطلان مذهب هذا الشماس الاسكندرى ، وألف دستور الايمان الذى يجب على المسيحيين أن يتمسكوا به ، وقد سبقت تفاصيله فى ما مر .

ثم لما خطب أحد القسوس فى القسطنطينية يقال نه « انستاسيوس » خطبة أنكر فيها على تلقيب العذراء المباركة بوالدة الاله ، وقال انها هي أم المسيح ، تابعة على ذلك البطريك « نسطوريوس » فانعقد بهذا السبب المجمع فى مدينة أفسس بواسطة « كيرلس » بطريك الاسكندرية وحكموا على النساطرة بالهرطقة ، أى الضلال . أما أساقفة المشرق

الذين كانوا في المجمع المذكور فانهم اجتمعوا أيضا في « أفسس » وحرّموا « كيرلس » المذكور ، وكان ذلك في القرن الخامس .

ومن ثم ظهر « أفثنجيوس » في القرن المذكور ، وأخذ يعلم بأن المسيح حين تجسد لم يكن له الا ذات واحدة وطبيعة واحدة . ثم أنه ظهر « يعقوب البراذعي » أسقف « أورفه » وأظهر هذا المذهب ، وتوفي سنة ٥٧٨ مسيحية واليه تنسب الطائفة اليعقوبية .

وذهب « اثناسيوس » زمن « هرقل » القيصر « القسطنطينية » إلى أن المسيح من حين اتحد فيه اللاهوت والناسوت ، لم يبق له الا رادة واحدة ، وتأثير واحد ، ناشئ عن تلك الارادة ، واستحسن ذلك « سرجيوس » بطريرك القسطنطينية و « كورس » بطريرك الاسكندرية و « اثناسيوس » بطريرك « أنطاكية » والبابا « هنريوس » الأول ، أسقف « رومية » ولم يخالف في ذلك الا « صفرونيوس » بطريرك « أورشليم » وعقد ضدّهم مجمعا في سنة ٥٧٤ ثم اجتمع مجمع آخر في القسطنطينية سنة ٦٨٠ وحرّموا تلك الطائفة وانابيا المذكور أيضا .

واما بدع المجادلة :

منها « بيلاجيون أصحاب « بيلاجيوس » البربطاني ورفيقه « سلستيوس » الارلندي ، وكانا كلاهما راهبين في « رومية » وقبدا : ايا أن مما يمنع السعادة الأبدية القول بسريان الخطيئة الجسدية الى نسل آدم ، والاعتقاد بأن الانسان يحتاج الى تجديد القلب بنعمة من الله تعالى تمنعه من الاقدام على الخطيئة ، وتقبل به الى التوبة ، ومن ثم شرعا في ابطال هاتين العقيدتين ، وعلمنا الناس بأن خطيئة آدم وحواء لا يؤاخذ بها أحد من ذريتهما ، وأن امتناع الانسان عن الخطيئة لا يتوقف على تلك النعمة ، وأن الانسان موكول في الأعمال الى اختياره ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . ثم ان الله يرى وقع بينهم النزاع في اعتقادات آخر ، مسببة في محلها .

ثم ان المؤلف « نوفل » قسم مجامع النصارى الى ثلاثة أقسام :
وهى مجامع عامة • ويقال لها مسكونية • ومجامع ملية أى خاصة
بطائنة دون غيرها • ومجامع اقليمية أى خاصة بإقليم مخصوص ، ثم
انه عدد عشرين مجمعا من المجامع العامة سواء صادق عليها الجميع
أو أنكر بعضهم على بعضها • والاختلاف فى هذه المجامع واقع فى مسائل
كثيرة . منها : أن بعضهم أضاف الى النصارى سنيين قانونا وقد
أقرها بعضهم وأنكرها آخرون ومنها : قول بعضهم ان الروح القدس
ليس بالاله خلافا لبعضهم • ومنها : أن المسيح ذو جسد حقيقى ونفس
حقيقية ، وأنه اله تام وانسان • ومنها : ما زاده بعضهم فى دستور
الايمان النيقاوى وهو لفظ الروح القدس المنبثق من الآب • ومنها :
ما قال المجمع الأفسيسى وحكم بوجود اتحاد جوهرى بين الطبيعتين
فى المسيح ، وبأن الاله والانسان فى المسيح هما واحد ، وبأن مريم
والدة الاله • فخالفهم « نسطوريوس » وجماعة • ومنها : ما فى مجمع
الصلوص • وحكمهم هو أن المسيح ذو طبيعة واحدة • ومنها : ما وقع
فى المجمع الخلكيدونى المنعقد سنة ٤٥١ مسيحيه من أن الطبيعتين فى
المسيح غير متمزجتين وغير منفصلتين • وأن المسيح هو واحد فى
طبيعتين ، وليس من طبيعتين • ومنها : ما وقع فى المجمع الواقع بين
السادس والسابع سنة ٧٥٤ وحرموا غبه اتخاذ الصور والتماثيل فى
العبادة والسجود لها وطلب الشفاعة من المذراء ، ثم انعقدت مجامع
بعد ذلك فأباح ذلك • ومنها : ما وقع فى المجمع المنعقد سنة ٨٧٩ وهو
أن الانبثاق من الآب وحده • ومنها : ما وقع فى مجمع وهو مدع البابا
من بيع ورق الغفرانات لأصحاب الذنوب • ومنها : ما وقع فى مجمع
آخر وهو تجويز بيع البابا للغفران • وآخر المجامع المنعقدة كان فى
رومية سنة ١٨٦٩ ولم يزل مفتوحا الى الآن •

قال نوفل : والكنائس التقليدية تقسم الى عدة فروع كاللأينية
واليوثانية واليعقوبية ، من أرمن وقبط وريان • وظوائف أخر من
نفسه رية ككادانية وغير ذلك • والكنائس الانجالية أى البروتستانتية

تقسم الى ثلاثة فرق : وهى لوترانية وكلوبنية وانكليكانية ، وهم متفقون على اعتقاد ما فى الكتاب المقدس فقط فلا يخضعون لشيء من التقاليد التى لا يوجد فيها رسم أصلا ، ولا الى أقوال أحد من الآباء أى علماء أو المجامع ، الا اذا كان موافقا لنصوصه . فظنا ومعنى ، ماذا خالفو بقية الفرق فى مسائل • كالانكار على الرئاسة العامة ، وعدم التسليم بأسرار غير المعمودية ، والعشاء الربانى ، والانكار على الاسحالة ، والرهبانية ، والصلاة الى القديسين ، وطلب شفاعتهم ، واتخاذ الصور والتماثيل ، والمطهر ، والغفرانات والصلاة لأجل الموتى ، والتبريز بالأعمال الوفاية والصلاة بلغة غير مفهومة • وأمثال ذلك مما تستعمله الكنائس التقليدية •

وبين هذه الفرق أيضا مخالفة فى مسائل • انتهى باختصار •

وبقى فيه تفصيل المجامع وغيرها تركناه خشية الملل • والمقصود بيان بعض فرقهم ، ونبذة من اعتقاداتهم وكيف كانت مجامعهم ، وقيادتهم منها بين لاعن وملعون • كما نقله لك أيضا فى كتابنا هذا من كلام العلامة ابن قيم الجوزية ، وإنما نقلناه ليطابق ما نقله المسلمون ما اعترفت به النصارى المثلثون • والله سبحانه الهادى الى صواب الصواب •



الفصل الثانى

قوله اقلا عن التوراة : ان ابراهيم عليه السلام كان نازلا مع ابائه بخران ، وأن الله سبحانه تجلى عليه بعد تسعين سنة وآمن به ، وأنه كان يعبد الصنم المسمى بعزى الى آخذ ما نسبته الى سافر التكوين ، وهو كذب وتمويه على الجاهل بما فى التوراة : كما يتضح لك من عبادتها وهى : « وأخذ تارح أبرام ابنه ، ولوط ابن هاران ابن ابنه ، وساراي كنة امرأة أبرام ابنه ، وأخرجهم من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان وأقوا حتى الى حران ، وسكنوا هناك وصارت أيامهم

تأرجح نائتي وخمسة سنين ومات في حران ، وقال الرب لأبرام أخرج من أرضك ومن قبيلتك ومن بيت أبيك وتعال الى الأرض التى أريك وأجعلك لسعب كبير ، وأباركك وأكبر اسمك وتكون مباركاً • أبارك مباركك وألعن لاعنيك ، وتتبارك بك جميع قبائل الأرض ، فخرج أبرام كما أمره الرب وانطلق معه لوط • وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة ، حين خرج من حران ، وأخذ ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه ، وكل ما اقتنوا ، والأنفس التى عملوا بحران وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان •

فلما أتوا إليها طاف أبرام الأرض حتى إلى موضع شالخيم ، حتى إلى لوطا الشهير ، وأما الكنعاني حينئذ كان في الأرض فاستعمل الرب لأبرام وقال له : نسلك أعطى هذه الأرض • وابتنى هناك أبرام مذبحاً للرب الذى تراءى له ، وانتقل من ثم إلى الجبل مما يلي شرقى بيت ايل ، فحضر هناك خبائه • وله من المغرب بيت ايل ، ومن المشرق عاي ، وابتنى هناك مذبحاً للرب ودعى باسمه » (انتهى بحروفه) •

وفي سفر التكوين أيضاً ما نصه : « وأنا صار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة تراءى له الرب ، وقال له : أنا الله ضابط الكل ، فسر أمامى وكن تاماً ، فاجعل ميثاقى بينى وبينك ، وأكثر جداً جداً فغط أبرام وخر على وجهه ، وقال له الله : أنا هو عهدى معك ، وستكون أباً لأمم كثيرة • ولا يدعى من بعد الآن اسمك أبرام : ولكنك تدعى ابراهيم . لأننى أقمتك لأمم كثيرة ، وأجعلك تنمى جداً جداً . واجعلك لأمم • وموسوك منك يخرجون » (انتهى بحروفه) •

ثم قال بعد أسطر ما نصه : « فقال الله لابراهيم ثانياً : وأنت فاحفظ ميثاقى ونسلك من بعدك في أجيالهم ، هذا ميثاقى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : فايختتن منكم كل ذكر وتختنون لحم غرلتكم ، ليكون علامة الميثاق بينى وبينكم ، فالطفل ابن ثمانية أيام يختتن بكم : كل ذكر في أجيالكم ، المولود في البيت •

والمتابع ، فليخنتن • وكل من لم يكن من نسكم ، وسبكون ميثاقى فى
لحمكم عهدا مؤبدا • والذكر الذى غرلته لا تكون مختونة ، فتباد تلك
النفوس من شعبها ، لأنها أبطلت ميثاقى • وقال أيضا الله لابراهيم •
ساراي امرأتك لا تدعوها ساراي ، بل سارة وأباركها • ومنها أعطيك
ابنا أنا أباركم ، ويكون لأمم وملوك الشعوب يخرجون منه ، فحضر
ابراهيم على وجهه وضحك قائلا فى قلبه : أتظن أن يولد ابن لى هو
ابن مائة سنة ؟ وسارة تلد وهى ابنة تسعين سنة ؟ وقال الله لىبت اسماعيل
يعيش بين يديك • فقال الله لابراهيم : سارة زوجتك تلد لك ابنا وتدعو
اسمه اسحق ، وأقيم له ميثاقى عهدا مؤبدا ، ولنسله من بعد • وعلى
اسماعيل ، استجبت لك • هوذا أباركه وأكبره وأكثره جدا جدا ، وسيلد
اثنى عشر رئيسا • وأجعله لشعب كثير • (انتهى بحروفه) •

وانتب سردناه لك على طوله ، انتقف على خيانة هذا المؤلف
ودسائسه وزجرفته للباطل من وجوه عديدة : منها عزوه لتوراة فى
سفر التكوين : أن ابراهيم كان يعبد الصنم • وهذه عبارات سفر
التكوين بعينها وليس فيها سوى بيان خروجه عليه السلام من «حران»
ونسبته الى الكتب السماوية أن الحنيفية اسم معاداذ الأصنام • والأمر
بخلاف ذلك • قال الله تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما (١) » وليس فى الكتب السماوية ما يقرب من
قوله • ومنها قوله : « ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه الذى سماه الله
اسرائيل ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطا ، فانه مخاف لما فى
التوراة ، من قوله تعالى : « وعلى اسماعيل استجبت لك هوذا أباركه
وأكبره وأكثره كثيرا جدا وسيلد اثنى عشر رئيسا واجعله لشعب كثير »

(١) قال الله تعالى : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم ألا من سمع نفسه »
ومن ملته : أن يؤمن الناس بمحمد اذا جاء وذلك لدعاء ابراهيم : « ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم » فمن لا يؤمن بمحمد لا يكون
مؤمنا بابراهيم ، ومن يؤمن

بابراهيم فانه يؤمن بمحمد عليهما السلام •

فانظر أيها المنصف هذا المحرف كيف كتم من التوراة ما هو صريح في حق اسماعيل المولود منه النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم والعرب الذين آمنوا به • وكانت فيهم الرؤساء المشر بهم في التوراة مع أن صراحة التوراة في ذلك لا تخفى على من له قلب ولا ينكرها إلا من عمى الله عين بصيرته وأضلّه على علم •

ومنها : أن التوراة في هذا السفر إنذرى بقبه فيه أن الخائن غرض على أبناء ابراهيم ومن يولد منه ، فوصى به الى يوم القيامة ، وأخذ الميثاق عليهم كما تقدم لك في كلام التوراة مع أن المؤلف قد خان ميثاق الله سبحانه الذى أخذه عليهم مع اعترافه بأن التوراة حق ، وأنه متبع لها — على زعمه — ولم يخاتن ولم يجوز الاختتان • فقد نبذ عهد الله وميثاقه وراء ظهره باعترافه • وهذا من غاية الضلال والتناقض • الذى لا يخفى على الأطفال • وسنورد ان شاء الله تعالى زيادة على هذا في محله •

ولنذكر هذا المؤلف بقوله تعالى : « يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (١) » ، والمقصود هنا أن هذا المؤلف ادعى شيئاً تكذبه فيه الكتب السماوية والعقول المضيئة من عبادة ابراهيم للأصنام ، مع أنه كسرها وأدلى النار لذلك • فكانت عليه بردا وسلاما • فانظر كيف نسب الى التوراة قهلا ليس فيها ، وكنتم حكما صريحا • تدل التوراة عليه بظاهرها وخافئها فحصل لنفسه العزلة وصار بين المسلمين وبنى اسرائيل مثله • وسلك بمهوى لم نر أحدا سلك مثله ، وما هذا عن الساجدين للصور ببعيد • نقصد نسبوا الى غيره من الأنبياء أيضا الكفر والزنا وعبادة الأصنام — كما ستراه مع رده مفصلا في محله من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى •

(١) ليس الحق بالباطل هو وضع كلمة باطلة في النص الأصلي ، وتحريف الكلم من بعد مواضعه هو رفع الكلمة الأصلية ووضع كلمة بدلها محتتمل معنى الكلمة الأصلية • وتحتل المعنى الباطل • وتحريف الكلم من مواضعه هو تأويل النص تأويلا فاسدا • وهذا مبين في كتابنا نقصد التوراة — أسفار موسى الخمسة — نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة •

الفصل الثالث

؟

فان ميث : ما حكى سبحانه وتعالى في سورة الأنعام من سببنا ابراهيم عليه السلام من قوله عز وجل : « وَمَكَانِكَ نَرَىٰ اِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأٰ كَوْكَبًا قَالُ : هٰذَا رَبِّيْ » .

وقوله : « لئن لم يهْدِنِيْ رَبِّيْ لَأَكُوْنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ » يدل بحسب الظاهر أنه لم يعرف ربه ، وظن أن الكوكب ربه فانه لم يكن مهتديا لقوله : « لئن لم يهْدِنِيْ رَبِّيْ » مع أنه قد تقدم أن ابراهيم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصيون من الكفر قبل النبوة وبعدها . نما جوابكم عن ذلك ؟ قلنا : عن هذا أجوبة ظاهرة فوية مقنعة لمن تدبره :

أحدها : أن هذا القول من ابراهيم كان قبل البلوغ وإتليفه . لأنه لما كان في السرب (١) مع أمه مختفية به خوفا من «النمرود» لما أراد قتل جميع الأولاد — رأى من شق الصخرة الموضوعة على رأس السرب . وقيل : رآه لما أخرجه أبوه من السرب ، وكان وقت غيبوبة الشمس ، قيل : رأى المشتري ، وقيل : الزهرة . وهذا منه عند قصور النظر من الطفولية .

ثانيها : أن هذا القول بعد البلوغ قبل النبوة . والمفهوم منه : قيام الحاجة على قومه . كالحاكي لما هو عندهم : وما يعتقدونه : لأجل الزامهم . قال العلامة والدنا عليه الرحمة في تفسير روح المعاني : « وهذا القول من ابراهيم عليه السلام على سبيل ألفرض وإرخاء العنان مجازاة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب »

(١) نشأة ابراهيم في السرب ليس عليها دليل من القرآن .

فان المستدل على فساد قول : يحكيه ثم بكر عليه بالابطال » • وهذا هو الحق الحقيقي بالقبول •

ثالثها : ان في الكلام استقهما انكاريا محذوفا • وحذوفا اداة الاستقهما كثير في كلامهم ، كما قال تعالى « **أمان مت فهم الخالدون ؟** »
أي أقيم الخالدون وقال الشاعر :
ثم قتالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

رابعهم : أنه مقول على سبيل الاستهزاء ، كما يقال لذليل ساد قوما . هذا سيدكم •

خامسها : انه من باب الموافقة الظاهرة للقوم ، اذا أورد عليهم الدليل المبطل بقولهم كان قبولهم له أتم وانتفاعهم بأسماعه أكمل •

وأما طلب الهداية فجوابه : أن المراد اثن لم يثبتنى على الهداية ويؤمننى للحجة ، وليس المراد أنه لم يكن مؤتديا لأن كلفة الأبياء عليهم السلام لم يزالوا على الهداية من أول الفطره • وفي الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لأن ابراهيم أضاف الهداية اليه سبحانه • وفي هذه الآية دليل من غير وجه على أن استدلاله عليه السلام ليس لنفسه بل كان محاجة لقومه ، وحمل هذا على أنه عليه السلام استعجز نفسه فاستعان بربه عز وجل في ذلك الحق ، فقال : « **لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين** » أي الذين لا يهدون الحق فيظلمون أنفسهم ويحرمونها حظها من الخير •

بقى شيء يلزم التنبيه عليه : وهو أن قوله تعالى :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً » يعنى مئة شرفها الله تعالى
« آمنا واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيراً من
الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى ذلك شقور رحيم »
أى بعد التوبة أو بأن تنقله من الكفر الى الايمان فيقال : كيف طلب
ابراهيم عليه السلام أن يبعد وبنيه عن عبادة الأصنام والأنبياء عليهم
السلام جميعهم معصومون عن الكفر وعبادة غير الله تعالى ، ومن المعلوم
أنه سبحانه يثبت الأنبياء عليهم السلام على الاجتهاد ، وما الفائدة في
سؤال التثبيت ؟

فالجواب : أن المراد على ما قال الزجاج طلب الثبات والدوام على
ذلك ، أى ثبتنا على ما نحن عليه من التوحيد وملة الاسلام والسعد عن
عبادة الأصنام .

وقال الفخر الرازى : « الصحيح فى الجواب أنه عليه السلام وان
كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام الا أنه ذكر ذلك ههنا
لنفسه واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى فى كل المطالب » .

وقال الوالد قدس سره فى تفسيره روح المعانى : « والجواب
الصحيح عندى ما قيل ان عصمة الأنبياء عليهم السلام ليست لأمر
طبيعى فيهم بل بمحض توفيق الله تعالى اياهم : وبفضله عليهم ، ولذلك
صح طلبها . وفى بعض الآثار أن الله سبحانه قال لموسى عليه السلام
يا موسى لا تأمن مكرى حتى تجوز الصراط . وأنت تعلم أن المبشرين
بالجنة على لسان الصادق المصدق عليه الصلاة والسلام كانوا كثيراً
ما يسئلون الله تعالى الجنة مع أنهم مقطوع لهم بها .

ولعل منشأ ذلك ما قيل لموسى عليه السلام فتدبر ، والمتأدبر من
بنية عليه السلام من كان من صلبه ، فلا يتوهم أن الله تعالى لم يستجب
دعاه ، لعبادة قريش الأصنام وهم من ذريته عليه السلام حتى يجاب

تما قاله بعضهم من أن المراد كل من كان موجودا حال الدعاء من أبنائه،
ولا شك أن دعوته عليه السلام مجابة فيهم » (انتهى باقتصار) •

وستأتى ان شاء الله تعالى تنمة هذا البحث في محلها • والمقصد
هنا : أن هذا النصرانى كذب في نقله عن التوراة ، وسوّه في كلماته ،
وادعى أن التوحيد انتقل الى اسحق وهذا خلاف الواقع أيضا ، فإنه
كما انتقل اليه انتقل الى أخيه لأكبر اسماعيل ، لأنكم أيها النصراني
معترفون بنبوة اسماعيل فقولك ان ابراهيم ورثة ابنه اسحق ، أى
لا اسماعيل كما يفهم من كلامه فباطل قطعاً كسائر أراجيفه •

الفصل الرابع

وأما قوله : « غلظه الأسباب وغيرها ورثه ابراهيم أبوه التوحيد ، ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطا » الى آخره يريد أن التوحيد منحصر في ابراهيم وابنه اسحق وابنه يعقوب ، ثم أضمل حتى تجدد عند بعثه موسى ، ثم تجدد للأمم عيسى •

فيقال له :

أولا : كيف أخرجت اسماعيل من ذلك وهو الذي ورد في التوراة أن الله تعالى بارك فيه وفي نسله ؟

وثانيا : كيف أثبت التوحيد ثم ردفته قريبا بعد أسطر بالوهية الابن الوحيد وجعلت الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، غصار المسيح اما الها كاملا ، أو جزء اله ؟ وليت شعري التوحيد الذي ورثه موسى عن ابراهيم واسحق ويعقوب ، هل كان كتوحيد المثلثين القائمين ان الرب يتولد من ذريتهم وخالقهم يكون من نسلهم ؟ وهل كانوا يعتقدون أن الههم سيحل في بطن ابنتهم مريم ، ثم تلده ويكبر ويصلبه عباده ، مع أنه نزل ليخلصهم من الخطيئة وما شكروه بل أهانوه وصفعوه وقتلوه ثم قبر ، وبعد يومين حيى وصعد الى عرشه وجلس عن يمين أبيه ، أم ما كانوا يعتقدون ولا يعرفون ذلك ؟ فان قالوا عرفوه فلم لم يعلموا قومهم بما هنالك ؟ وان قالوا لم يعرفوا ولم يعتقدوا فكل منهم على زعم النصارى هالك •

ويعجبني ما كتبه الشيخ عبد الله الترجمان الذي كان قسيسا مشهورا عندهم ، وأسلم ، في رسالته المسماة : تحفة الأريب في رد أهل الصليب ما نصه : « ويلزم النصارى أنشع ما يكون عند جميع العقلاء :

وهو أن كان المسيح خالقا أزليا كما يعتقدون مع كونه لحما ودما ، فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزليا خالقا وبعضه محدثا لأن المسيح أقر بأنه لحم ودم بنص انجيلهم ، فاللحم والدم يتولدان من الأغذية والأشربة ، وهى من أجزاء الدنيا فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها هو جزء من أجزاءها • ذلك الجزء هو خالق مخلوق أيضا ، لأنه جزء من الدنيا التى هى مخلوقة له ، وهذا أشنع ما يكون من دعاوى البهتان ، وأبعد ما يتصور من معقولية الانسان • ويلزمهم أيضا : أن يكون بعض الدنيا هو خالق لجميع الدنيا ، وبعض الشيء لا يوجد الا بوجود كله ، وما ليس بموجود ولا معقول فليس بشئ ، فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود ، ومجهول غير معقول » •

ويقال لهم : قد نطق الانجيل الأول : أن المسيح قد قلم أظفاره وقص شعره ، ونما جسده طولا وعرضا • فان كان خالقا أزليا وقد بانته بعض أجزائه وصارت رميمة وتلاشت حتى لم يبق لها وجود ، فالخالق الأزلى على هذا قد فسد بعضه وتلاشى وبقي بعضه على خالقه ، ومن فسد بعضه فالفساد واصل الى كله ، ومن كان له كل ويعض فهو محتاج الى ما يحمله ويمده ، ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر ، وليس بغنى • والاله الخالق الأزلى ليس له شبيه ولا مثل ولا يحتاج شيئا من مخلوقاته ولا يلحقه نقص ولا تغير ولا تحول ، وهو القادر الغنى وجميع الخلق اليه فقراء ، وهو كما وصف سبحانه نفسه « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير » انتهى وسيأتى الكلام مستوفى على ابطال التثليث قريبا فى محله ان شاء الله تعالى •

قوله « وهو اسحق الذبيح » اعلم : ان هذا مما حرفته اليهود فى التوراة كما سيتضح لك الحال قريبا ان شاء الله تعالى لأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام لا اسحاق عليه السلام ولنذكر لك عبارة التوراة أولا ثم نكشف لك الحال بعون الملك المتعال • قال فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين كما فى النسخ التى عندنا الآن

ما لفظه « امنحن الله ابراهيم وقال له ابراهيم ابراهيم • فأجاب : هوذا أنا • فقال له : خذ ابنك الوحيد الذى تحبه اسحق وانطلق الى أرض الرؤيا ، وارفعه هناك وقودا على أحد الجبال الذى أريك • فقام ابراهيم ليلا وشد على حماره وأخذ معه غلامين واسحق ابنه وشقق حطبا للوقود ، ومضى الى الموضع الذى قال له الله • وفى اليوم الثالث رفع عينيه فنظر المكان من بعيد ، وقال لغلاميه امكنا هنا مع الحمار ، وأنا والصبي فاننا نمضى الى هناك مسرعين ، وبعد ما سجدنا نعود اليكما • فأخذ أيضا حطب الوقود ووضعه على اسحق ابنه ، وهو أخذ بيده النار والسكين ومضى الاثنان جميعا • فقال اسحق لأبيه : أبتاه • قال : مالك يا ابنى • فقال له هو ذا الذار والحطب ، فأين الذبيحة للوقود ؟ فقال ابراهيم : الله يرى له ذبيحة للوقود يا ابنى وانطلقا معا فبلغنا الموضع الذى أمره الله فابتنى به مذبحا وجعل عليه الحطب ، وربط اسحق ابنه فوضعه على المذبح فوق الحطب ، ويسط يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ، فاذا ملاك الرب ناداه من السماء قائلا : ابراهيم ابراهيم • وهو أجاب : أنا ذا فقال له : لا تمدد يدك على الغلام ولا تفعل به شيئا فالآن علمت أنك تخاف الله ، ولم تشفق على ابنك الوحيد من أجلى ، فرفع ابراهيم عينيه فرأى من ورائه كبشاً بين الشوك موثقاً يقرنيه • وأخذه فرفعه وقودا عوض ابنه ، ودعى اسم ذلك المكان الرب يرى »

قال العلامة ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان فى بحث أن التوراة قد زيد فيها وغير بعض ألفاظها وأن أكثرها باق على ما أنزل عليه ، والتبديل فى يسير منها جدا : ان هذا القول هو الذى اختاره شيخه شيخ الاسلام فى كتابه الجواب الصحيح لن بدل دين المسيح ، فانه قال : « وهذا كما فى التوراة عندهم : أن الله سبحانه قال لابراهيم : اذبح ابنك برك ووحيدك اسحق » فاسحق زيادة منهم فى لفظ التوراة ، وهى باطلة قطعاً من وجوه عشرة :

أحدها : ان بكره ووحیده هو اسماعيل باتفاق الملل الثلاث فالجمع بين كونه مأموراً بذبح بكره وتعيينه باسحق جمع بين التقيضين •

الثانى : ان الله سبحانه أمر ابراهيم أن ينقل هاجر وابنها اسماعيل عن سارة ، ويسكنها فى بركة مكة ، لئلا تغير سارة ، فأمره بإبعاد سريته وولدها عنها ، حفظا لقلبها ودفعاً لأذى العيرة عنها • فكيف يأمر سبحانه بعد هذا بذبح ابن سارة ، وإبقاء ابن السرية ؟ فهذا مما لا تقتضيه الحكمة •

الثالث : ان قصة الذبح كانت بمكة قطعاً ، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقربان بمكة ، تذكير للأمة بما كان من قصة أبيهم ابراهيم مع ولده •

الرابع : ان الله سبحانه بشر سارة أم اسحق باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب ، فبشرها بهما جميعاً ، فكيف يأمر بـ ~~ذبح~~ ذبح اسحق وقد بشر أبويه بولد ولده • ؟

الخامس : ان الله عز وجل لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه ، واقدام ابراهيم على ذبحه ، وفرغ من قصته قال بعدها أى فى القرآن العظيم « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده ، وجعل من اثباته على ذلك أن آتاه اسحق فنجى اسماعيل من الذبح وزاد عليه اسحق •

السادس : ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه سأل ربه الولد • فأجاب الله تعالى : دعاه وبشره به ، فلما بلغ معه السعى أمره أن يذبحه قال تعالى : « وقال انى ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم » فهذا دليل على أن هذا الولد انما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدا • وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعاً بنص القرآن ، وأما اسحق فانه بشر به من غير دعوة منه ، بل على كبر السن ، وكون مثله لا يولد له وانما كانت البشارة لامراته سارة • ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه •

قوله تعالى : « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكك فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يويلتى أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ؟ ان هذا لشيء عجيب ، قالوا : أتعجبين من أمر الله » فتأمل سياق هذه البشارة وتلك ، تجدهما بشارتين متشابحتين ، مخرج احدهما غير مخرج الأخرى . والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها ، والبشارة الأولى هى التى أمر بذبح من بشر به فيها دون الثانية .

قلت : ما قاله هذان الشيخان ولا سيما هذا الوجه السادس هو الحق الموافق لعبارة التوراة . وقصة البشارتين فيها نحو ما فى القرآن الكريم وفيها : أن ابراهيم عليه السلام كان عمره حينما ولد له اسماعيل من هاجر ستا وثمانين سنة ، ولما بشر باسحق كان عمره مائة سنة ، وعمر سارة تسعين سنة ، وأنه اختتن حينما كان عمره تسعة وتسعين سنة ، وكان اسماعيل أكمل ثلاث عشر سنة . وفى ذلك اليوم اختتن اسماعيل أيضا ، وأنه بعد ختانها بشر باسحق . وعبارة التوراة فى البشارة هكذا : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش بين يديك . فقال الله لابراهيم سارة زوجتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم له ميثاقى ، عهدا مؤبدا ولنسله من بعده . وعلى اسماعيل استجبت لك . هوذا أباركه وأكبره وأدثره جدا ، فيلد اثنى عشر رئيسا وأجعله لشعب كبير ، فأما ميثاقى أقيمه لاسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الحين فى السنة الأخرى » فاذا قرأت عبارة التوراة المفصلة فى بحث البشارة باسماعيل والبشارة باسحق ، ولا سيما هذه العبارة ، يتضح لك الحال : أن الذى ينبغى أن يكون مأمورا بذبحه هو اسماعيل لا اسحق . وقوله عليه الصلاة والسلام . « أنا ابن الذبيحين » مؤيد لما قلنا كما لا يخفى .

السابع : ان ابراهيم لم يقدم باسحق الى مكة البتة ، ولم يفرق

بينه وبين أمه ، وكيف يأمر • الله سبحانه أن يذهب بابن امرأته فيذبحه
بموضع ضررتها وفي بلدها ، ويدع ابن ضررتها •

الثامن : ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم خليلا ، والخلة تتضمن أن
يكون قلبه كله متعلقا بربه وليس فيه سعة لغيره ، فلما سأله الولد ،
وهبه اسماعيل فتعاق به شعبة ، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك
الشعبة له ليست لغيره من الخلق ، فامتنحه بذبح ولده ، فلما أقدم على
الامتنال خلصت له تلك الخلة ، وتمحضت لله وحده ، ففسخ الأمر
بذبحه بحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتنال •
ومن المعلوم : أن هذا انما يكون في أول الأولاد ، لا في آخرها • فلما
حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتاج في الولد الآخر الى
مثله ، فانه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر
بذبح الأول • فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقهره
في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة ، ثم أمره بما يزيل المزاحم
بعد ذلك • وهذا خلاف مقتضى الحكمة ، فتأمل •

التاسع : ان ابراهيم عليه السلام انما رزق اسحق على الكبر
واسماعيل رزقه في عنفوانه وقوته ، والعادة : أن القلب أعلق بأول
الأولاد وهو اليه أميل وله أحب بخلاف من يرزقه على الكبر ، ومحل
الولد على الكبر كمحل الشهوة للمرأة •

العاشر : أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يفتخر بقوله :
« أنا ابن النبيين » يعنى أباه عبد الله وجده اسماعيل ، وانما زادت
اليهود في التوراة لفظ اسحاق افتخارا ، لأنه جدهم كما لا يخفى •



قوله : « وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت عليه : أهيه أشير
أهيه أرسلنى اليكم ، وتفسيره ... الخ » •

اعلم : أن هذا النصرائى حرف هنا ما في التوراة لفظا ومعنى •

وهذه الآيات من الأصحاح الثالث من سفر الخروج ولفظها : « فقال موسى لله : هوذا أنا أذهب الى بنى اسرائيل وأقول لهم : اله آبائكم أرسلنى اليكم وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : الرب لموسى : أهيه أسر أهيه وقال له هكذا تقول لبنى اسرائيل : أهيه أرسلنى اليكم وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : الرب اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الدهر ، وهذا هو ذكرى الى جيل الأجيال فلذهب اجمع شيوخ بنى اسرائيل وقل لهم : الرب اله آبائكم استعان على » •

وفي الاصحاح التاسع منه أيضا : «فقال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقس له : هذا ما يقول الرب اله العبرانيين : سرح شعبى ليذبح لى»

وفي كلام هذا النصراى غلط وتحريف فى الألفاظ والتأويل •

أما تحريف الألفاظ فقد ظهر لك من نقلنا لعبارة التوراة •

وأما تحريف المعنى والتأويل : فان معنى « أهيه أسر أهيه » الحى القيوم ، وأنا هو الذى أنا أو أنا كائن الذى أنا كائن على ما قال مفسروهم ، وليس بينهما ما اختلقه ، كما لا يخفى •

وتأويله لتكرار لفظ الاله بتعدد الآلهة لتكرره سذكر ابراهيم واسحق ويعقوب ، بطلانه أظهر من الشمس ، لأنه سبحانه قال أيضا : الرب اله العبرانيين • والعبرانيون كثيرون لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، فيقتضى أن تكون الآلهة متعددة بتعدددهم • وكذا قوله فى أول هذه الآيات : اله آبائكم أرسلنى ، واباؤهم متعددون أيضا • وستأتى تنمة لهذه الأبحاث المتقدمة • ان شاء الله تعالى فانظرها ولا تغفل •

★★★

قال النصراى : « فجدد فى هذا الموضع فى الظاهر ذكر التوحيد والغز عن سر الثالوث حيث قال اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ،

فكرر بذلك القول ذكر الثلاثة الأتانيين بعد ذكر التوحيد كما كان قديما فهو واحد ذو ثلاثة أتانيم لا محالة لأنه أجمل في قوله اله آبائكم ثم قال مكررا اسم الجلالة ثلاث مرات ، أفنقول : انها ثلاثة آلهة أم اله واحد مكرر ثلاث مرات ؟ فان قلنا : انها ثلاثة آلهة ، أشركنا وجئنا بأشنع القول وأمحلّه • وان قلنا : اله واحد مكررا ثلاث مرات ، فنكون قد بخيننا ، الكتاب حقه ، لأنه كان قد يمكنه أن يقول : اله آبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب • وانما كرر ذلك للإشارة بأن في هذا الموضع سرا ، وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أتانيم ، فثلاثة أتانيم اله واحد ، واله واحد ثلاثة أتانيم فأى دليل أوضح ، وأى نور أضوى من هذا ، الا لمن عاند الحق وأراد أن يغش نفسه ، ويعمى عين تمييزه ، ويصم سمع عقله عن استماع سر الله الذى أودعه في كتبه التى أنزلها على أنبيائه ، وهى أكرمك الله فى أيادى أصحاب التوراة الى هذه الغاية ، لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الذى هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وأفهمناه » •

أقول الكلام على هذه السطور فى فصول •



الفصل الأول

اعلم : أن هذه المسألة وهى التثليث مسألة شنيعة مغايرة للعقل والنقل ، ولم يقبلها غير النصارى وهى أسوء والعياذ بالله تعالى — من عقيدة المجوس ومشركى العرب والدهرية لأن كثيرا من المجوس جعلوا الخالق واحدا ، وهو الله سبحانه وجعلوا النور والظلمة الهين بمعنى اسناد الحوادث اليهما كما تسندها الفلاسفة الى الحركة الدورية ، كما سنفصل ذلك فى محله • ان شاء الله تعالى •

والمشركون انما عبدوا الأصنام لتقربهم الى الله زلفى كما حكى الله تعالى ذلك عنهم ، والدهرية انما أنكروا البارى سبحانه وجعلوا الحوادث منسوبة الى شىء واحد ، ولم يعددوه ، فالحقول لا تقبل التجزؤ والاتحاد والحلول ، ولا يقول بها الا كافر أو جهول ، والنقل عن الكتب السماوية موافق لصحيح المعقول • وليت شعرى كيف يسيغ لعاقل أن يتفوه بالتثليث ، ويستدل على ذلك بأن الله سبحانه قال فى التوراة فى سفر الخروج مخاطبا لموسى عليه السلام « لأنه نوالى ههنا حل الحذاء من رجلك من أجل أن المكان الذى أنت فيه قائم ، أرض مقدسة • وقال له : انى أنا الله اله آبائك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب • فغطى موسى وجهه من أجل أنه خشى أن ينظر نحو الله » • انتهى

ويجعل هذا النصرانى تكرار لفظ الاله دليلا على تعدد الآلهة ويجعلها أقنانيم ثلاثة : ثم تكون الها واحدا • فهل هذا الا مكابرة للبدهييات ، ويقتضى على زعمه أنا اذا قلنا : زيد أب لبكر وأب لخالد وأب لعمرى وأب لبشر ، أن يتعدد زيد ويكون أربعة آباء • وعلى هذا كان اللازم فى التوراة عند خطابه لموسى وبنى اسرائيل بالهك والهكم أن يقول : الهكم بالجمع والتعدد • على أن التوراة مترجمة بالعربية وفى كثير من ترجمتها لحن مغاير لتواعد العربية ، بل وكثير منها محرف • على أن بعضها مروي بالمعنى • واذا رجعنا الى القواعد النحوية وأساليب العربية

فيكون هذا التعبير مؤكدا لتوحيد الاله لا معددا له • وعلى زعمه :
أن المبارى سبحانه رمز على التثليث بالتكرار ، فان كان التثليث هو
المطلوب من العباد ، فلم يلغز ويرمز ولم يصرح بهذه العقيدة المطلوبة؟
وكيف يلقي الحجة على عباده بالرمز دون التصريح ؟ فهل هذا الا ادعاء
باطل ؟ على أنا ان سلمنا أن هذا لفظ التوراة المنزلة بعينه فأى دلالة
فيه على تعدد الأتانيين ، وجعلها لها واحدا ؟ ولا يخلو الحال هنا من
وجهين : اما خفاء ذلك على سيدنا الكليم عليه السلام واخوانه أرسل
حتى جاء عبد المسيح وأمثاله بعد ألوف سنين ، وفهموا وعلموا من هذا
الرمز ما لم يعلمه الكليم ، واما علمه واخفاء عن بنى اسرائيل ، فيكون
بلغ رسالته اليهم ناقصة ، بل كأنه لم يبلغ شيئا أصلا ، لأن معرفة
الرب سبحانه مقدمة على بيان الأحكام ، فاذا لم يعرفهم ان الاله مركب
من ثلاثة أتانيين وهى الآب والابن وروح القدس ، وهى مع أنها ثلاثة
فهى اله واحد ، فقد خان الرسالة أو جهل الربوبية ولم يعرف الهه ،
لأن عيسى جزء من الهه ، فاذا لم يعرف موسى الجزء فيصدق أنه ما عرف
الكل ، أو عرف لقومه بعض الهه وترك بعضه وجزءه — تعالى الله عما
يقول الظالمون وتبرء موسى عما يظنه الخراسون — ولا يستبعد هذا من
النصارى فكم وكم لهم هذيانات لا تقطعها العقول ، ويردها صريح
المنقول •

ونحو هذا مما يستأنسون به لأمر التثليث والاعتقاد الخبيث :
ما نقله الشيخ الامام والدنا عن العلامة محمد بن سعيد البوصرى
رحمهما الله تعالى — أن بعض النصارى انتصر لدينه وانتزع عن
البسملة الشريفة دليلا على تقوية اعتقاده في المسيح عليه السلام فتلب
حروفها ، وأنكر معروفها وفرق مألوفها وقدم فيها وآخر وفكر وقدر •
فقتل كيف قدر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : قد انتظم
من البسملة «المسيح بن الله المحرر(١)» فقلت له حيث رضيت البسملة بيننا

(١) المسيح ابن الله المحرر : هذه العبارة استدلت بها بعض النصارى
على أنها بحسب الجمل تساوى حروف البسملة بحسب الجمل = .

وبينك حكما وحرفت فيها أحكاما وحكما فلتتصرن البسمة منا الإختيار
على الأشرار ولتقتضيان أصحاب الجنة على أصحاب النار اذ قتالت
البسمة بلسان حالها : انما الله رب المسيح راحم — النحر لأمم لها المسيح

= والحساب هكذا في البسمة :

ب = ٢	س = ٦٠	م = ٤٠	ا = ١
ل = ٣٠	ل = ٣٠	ه = ٥	ا = ١
ل = ٣٠	ر = ٢٠٠	ح = ٨	م = ٤٠
ن = ٥٠	ا = ١	ل = ٣٠	ر = ٢٠٠
ح = ٨	ى = ١٠	م = ٤٠	فالجموع =

والمسيح ابن الله المحرر هكذا :

ا = ١	ل = ٣٠	م = ٤٠	س = ٦٠
ى = ١٠	ح = ٨	ا = ١	ب = ٢
ن = ٥٠	ا = ١	ل = ٣٠	ل = ٣٠
ه = ٥	ا = ١	ل = ٣٠	م = ٤٠
ح = ٨	ر = ٢٠٠	ر = ٢٠٠	فالجموع =

وحساب الجمل هو :

ا = ١	ب = ٢	ج = ٣	د = ٤
ه = ٥	و = ٦	ز = ٧	ح = ٨
ط = ٩	ى = ١٠	ك = ٢٠	ل = ٣٠
م = ٤٠	ن = ٥٠	س = ٦٠	ع = ٧٠
ف = ٨٠	ص = ٩٠	ق = ١٠٠	ر = ٢٠٠
ش = ٣٠٠	ت = ٤٠٠		

وقد رد عليهم بعض المسلمين بجمل تنفيذ بحساب الجمل انهم من
اهل النار . وحساب هذه الجمل مساوى لحساب (المسيح ابن الله
المحرر) وقد يؤيد أو ينقص قليلا : منها :

- ١ — انما الله رب المسيح راحم
- ٢ — النحر لأمم لها المسيح رب
- ٣ — ما برح الله راحم المسلمين
- ٤ — سل ابن مريم الحل له الحرام ؟
- ٥ — لا المسيح ابن الله محرر
- ٦ — لا مرحمة للشام ابن السحرة
- ٧ — رحم حر مسلم اثناب الى الله
- ٨ — لله نبي مسلم حرم الراح
- ٩ — ربح مال لخمه الايمان .

وقال المؤلف : ان جملة (ان مثل عيسى كآدم ليس له من شريك)
وجملة : « ولا أشرك برى أحدا » وجملة « يهدى الله لنوره من يشاء »
كل جملة تقارب جملة بسم الله الرحمن الرحيم في العدد .

رب — ما برح الله راحم المسلمين — سل ابن مريم أحل له الحرام —
لا المسيح ابن الله محرر — لا مرحمة للثام ابن السحرة — رحم حرم
مسلم أناب الى الله — لله نبي مسلم حرم الراح — ربح رأس مان لحمله
الايمان • ثم قال له : « ولا تحسبني استحسنيت كلمتك الباردة ،
فنسجت على منوالها ، وقابلت الواحدة بعشر أمثالها » بل أثبتك بما
يغنيك ، فيبيهتك • ويسمعك ما يصمك عن الاجابة فيصمتك • فتعلم أن
هذه البسمة مستقر لسائر العلوم والفنون ، مستودع لجوهر سرها
المكنون • ألا ترك أن البسمة اذا حصلت جملتها كان عددها سبعمائة
وستة وثمانين ، فوافق جملها ان مثل عيسى كآدم ليس لله من شريك
بحساب الألف التي بعد لامى الجلالة — ولا أشرك بربى أحدا —
يهدى الله لنوره من يشاء — بإسقاط ألف الجلالة — فقد أجابتك البسمة
بما لم نخط به خبرا ، وجاءك ما لم تستطع عليه صبرا » (انتهى باختصار)

واستمع الآن ما نتلوه عليك في الفصل الثانى :



الفصل الثاني

قَالَ اللهُ تَعَالَى : « يَا هَلُمَّ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لِّهَامَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَثَى بِاللّهِ وَكَيْلًا • لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَا مَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ • وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا » •

فاعلم : أن هذه الآية الكريمة خطاب للنصارى وزجر لهم عما هم عليه من الضلال البعيد كما ذهب إليه جماعة من المفسرين وعن الحسن أنه خطاب لهم وللإهود ، لأن الغلو — أى مجاوزة الحد والافراط المنهى عنه — وقع منهم جميعا •

أما النصارى : فقال بعضهم : عيسى عليه الصلاة والسلام — ابن الله عز وجل وبعضهم : أنه الله سبحانه — وآخرون : ثالث ثلاثة •

وأما الإهود : فأكثرهم قالوا أنه غايه السلام ولد لغير رشدة ونسبوه إلى يوسف النجار ، فأمرهم الله سبحانه أن لا يقولوا على الله إلا الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والخلول واتخاذ صاحبة الولد ، وبين لهم عز شأنه أن عيسى بن مريم رسول الله لا يتخطى رتبة الرسالة إلى ما يقولون « وكلمته » أى حصل بكلمة كن من غير مادة معتادة كما في آية أخرى : « اذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه اسمها المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » وقال الغزالي — قدس سره — لكل مولود سبب قريب وبعيد فالأول

المنى والثانى قول كن • ولما دل الدليل على عدم القريب فى حق عيسى عليه السلام أضافه الى البعيد وهو قول كن اشارة الى انتقاء القريب • وقال بعضهم : يجوز أن يكون الایجاد من منى الأثنى فقط أو بما ينضم اليه مما لا يعلمه الا الله تعالى بحالة تصلح أن تكون مادة • وقصارى ما يلزم من ذلك الاستبعاد • وهو لا يجدى نفعا فى أمثال هذه المقامات • ويجوز أيضا أن يقيم الله تعالى غير المنى مقام المنى ، وأى محال يلزم فى سلك ؟ ألا ترى كيف أقيم التراب مقام المنى فى أصل النوع ؟ غلى أن كثيرا من الحيوانات تتولد بلا زوجين ، فهذا الذباب الذى نراه فى القول والبقلاء ، والفأرة التى تتولد من الطين ، أعظم دليل على أن خذقة آدم وعيسى عليهما السلام بلا واسطة الزوجين •

وقال كثير من المفسرين : اطلاق الكلمة على من أطلقت عليه باعتبار أنه خالق من غير واسطة أب ، بل بواسطة كن فقط ، على خلاف أفراد بنى آدم فكان تأثير الكلمة فى حقه أظهر وأكمل ، فهو كقولك لمن غلب عليه الجود مثلا : محض الجود • وايدوا ذلك : بقوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وقيل : أطلق عليه ذلك ، لأن الله تعالى بشر به فى الكتب السالفة • وفى التوراة فى الفصل الثالث والثلاثين من السفر الخامس : « أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران » وسيناء جبل التجلى لموسى ، وساعير جبل بيت المقدس ، وكان عيسى يتعبد فيه ، وفاران جبل مكة • وكان المنتحن فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كقول من يخبر بالأمر اذا خرج موافقا لما أخبر به : قد جاء كلامى • وقيل : لأن الله تعالى يهدى بكلمته • وقيل يمكن أن يقال : انها لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك فى علوق الولد فى رحمها لأن منى الرجل ليس الا لأجل العقد ، فاذا حصل الاعتقاد لمنى المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد » انتهى

قال الوالد عليه الرحمة ليس بشىء • لأنه يعود بالنقص لحضرة البتول ، وأنها رسوفاها عنها عن مثل هذا التخييل كما لا يخفى فى جواب

هذه الطاهرة ليوسف النجار ما قتلناه : فقد أخرج اسحق بن بشير وابن عساكر عن وهب أنه قال : لما استقر حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله تعالى ، واطمأنت به نفسا ، وأول من اطلع على حملها ابن خال لها يقال له يوسف . واهتم لذلك وأحزنه وخشى البلية منه لأنه كان يخدمها ، فلما رأى تغير لونها وكبر بطنها ، عظم عليه ذلك فقال معرضا لها : هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت نعم . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قالت : ان الله خلق البذر الأول من غير نبات ، وأنبت الزرع الأول من غير بذر . ولعلك تقول : لم يقدر أن يخلق الزرع الأول الا بالبذر ، ولعلك تقول : لولا أن استعان الله عليه بالبذر لغلبيه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا ينبته . قال يوسف : أعوذ بالله أن أقول ذلك . صدقت وقلت بالنور والحكم وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينبته من غير بذر ، يقدر أن يجعل زراعا من غير بذر . فأخبريني : هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر ؟ قالت : ألم تعلم أن للبذر والماء والمطر والشجر خالقا واحدا ؟ فلعلك تقول : لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر ، قال : أعوذ بالله تعالى أن أقول ذلك ، قد صدقت ، فأخبريني خبرك . قالت : بشرنى الله تعالى « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » الى قوله تعالى : « ومن الصالحين » فلم يعلم يوسف أن ذلك أمر من الله تعالى بسبب خير ، أراده بمريم ، فسكت عنها . فلم تنزل على ذلك ، حتى ضربها المطلق ، فنوديت : أن أخرجى من المحراب ، فخرجت .

وقوله تعالى : « وروح منه » قال المفسرون : انما سمي عليه السلام روحا لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم عليها السلام بأمره سبحانه ، وجاء تسمية النفخ روحا . ومنه قول ذي الرمة .

في نار واجها بروحك

ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح ، وهي **الغاية مجازا** ، لا تبعيضية ، كما زعمت النصارى .

سبب قري

ويحكى أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشييد ناظر على بن الحسين
الواقدي المروزي ذات يوم ، فقال له ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى
عليه السلام جزء منه تعالى . وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي قوله
تعالى : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه »
فقال : اذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه وتعالى
علوا كبيرا ، فانقطع النصراني ، فأسلم وفرح الرشييد فرحا شديدا ،
ووصل الواقدي بصلة فاخرة .

وقيل : سمى روحا لأن الناس يحيون به كما يحيون بالأرواح .
وقيل : الروح بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى : « وأيدهم بروح منه »
على وجه . وقيل : أريد بالروح الوحي الذي أوحى الى مريم عليها
السلام بالبشارة . وقيل : جرت العادة بأنهم اذا أرادوا وصف شيء
بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح ، فلما كان عيسى عليه السلام
متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح . وقيل : أريد بالروح
السر كما يقال : روح هذه المسألة كذا أي أنه عليه الصلاة والسلام سر
من أسرار الله تعالى واية من آياته سبحانه . وقيل : المراد ذو روح على
حذف المضاف . واستعمال الروح في معنى ذي الروح والاضافة الى
الله تعالى تشريف .

ونظير ذلك ما في التوراة : أن موسى عليه السلام رجل الله ، وعصاه
تقضيبت الله ، وأورشليم بيت الله . قال الوالد في روح المعاني : « وعلى
المعاني لا حجة للنصارى على شيء مما زعموا في تشريف عيسى عليه
السلام بنسبة الروح اليه ، اذ لغيره عليه السلام مشاركة له في ذلك .
ففي انجيل لوقا قال يسوع لتلاميذه : « ان أباكم السماوي يعطي روح
القدس للمذين يسألونه » — وفي انجيل متى : « ان يوحنا المعمدان
امتلا من روح القدس وهو في بطن أمه » — وفي التوراة : « قال الله
تعالى لموسى اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي
عليهم فيحملوا عنك ثقل هذا النعت ، فأفاض عليهم من روحه فثبتوا
لساعتهم » — وفيها في حق يوسف عليه السلام يقول الملك : « هل

وأيتم مثل هذا الفتى الذى روح الله حال فيه » — وفيها أيضا : ان روح الله تعالى حلت على دانيال ، الى غير ذلك • ولعل الروح فى جميع ذلك أمر قدسى وسر الهى يفيضه الله تعالى على من يشاء من عباده ، حسبما يشاء ، وفى أى وقت يشاء • واطلاق ذلك على عيسى عليه السلام من باب المبالغة ، على حد ما قيل زيد عدل • وليس المراد به الروح الذى به الحياة أصلا ، لاستحالة ذلك بالبداية والضرورة • وقد يظهر ذلك بصورة كما يظهر الموت يوم القيامة بصورة الكبش ، ويذبح بين أهل الجنة وأهل النار • ويؤيد ذلك ما فى انجيل متى فى تمام الكلام على تعميد عيسى عليه السلام : أن يسوع لما تعمد وخرج من الماء انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت له فى صفة حمامة ، واذا بصوت من السماء : هذا ابنى الحبيب الذى سرت به نفسى • فانه على تقدير صحته يهدم ما يزعمه النصارى من أنه عليه السلام تجسد بروح القدس فى بطن أمه • وما فيه من وصفه عليه السلام بالنبوة سيأتى ان شاء الله تعالى الجواب عنه •



الفصل الثالث

قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة » أى الآلهة ثلاثة الله سبحانه ،
والمسيح ، ومريم • كما ينبىء عنه قوله تعالى : « أنت قلت للناس
اتخذوني وأمى الهين من دون الله » ؟ اذ معناه : الهين غير الله ، فيكونان
معه ثلاثة • أو الله سبحانه ثلاثة ، ان صح عنهم أنهم يقولون : الله
تعالى جوهر واحد ثلاثة أقنانيم أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح
القدس ، وأنهم يريدون بالأول الذات أو الوجود ، وبالثانى العلم أى
الكلمة ، وبالثالث الحياة • كذا قيل : قال الشيخ الامام الهادى عليه
الرحمة فى تفسيره : وتحقيق الكلام فى هذا المقام — على ما ذكره
بعض المحققين — أن النصارى اتفقوا على أن الله تعالى جوهر بمعنى
قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بحد ولا يقبل
الحوادث بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعدم • وأنه واحد
بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ، والأقنانيم صفات للجوهر القديم ، وهى
الوجود والعلم والحياة • وعبروا عن الوجود بالآب والحياة بروح
القدس ، والعلم بالكلمة • ثم اختلفوا •

فذهب بعض الملاكية (١) أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى
عليها الى أن الأقنانيم غير الجوهر القديم ، وأن كل واحد منها الله ،
وصرحوا باثبات التثليث • وقالوا ان الله ثالث ثلاثة — سبحانه وتعالى
عما يشركون — وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بذاتوته ،
وامتزجت به امتزاج الماء بالخمر ، وانقابت الكثرة وحدة ، وأن

(١) الملاكية : هم اليوم الكاثوليك والبروتستانت • وهم الذين قال
الله عنهم : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » وذلك لأنهم
يقولون : ان الله غير المسيح الابن • وهما غير الروح القدس •

والبيعقوبية : هم اليوم الأرثوذكس • وهم الذين قال الله عنهم : « لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم » وقد بينت مذاهبهم فى كتابنا
أقنانيم النصارى — نشر دار الانصار بالقاهرة •

المسيح ناسوت كلى لا جزئى وهو قديم أزلى وأن مريم ولدت لها ألياء مع اختلافهم فى مريم أنها انسان كلى أو جزئى ؟ واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم ، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا ، وأطلقوا لفظ الآب على الله تعالى ، والابن على عيسى عليه السلام .

وذهب نسطور (١) الحكيم فى زمان «المأمون» الى أن الله تعالى واحد ، والأقانيم الثلاثة ليست غير ذاته ، ولا نفس ذاته ، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا بمعنى الامتزاج أى أشرفت عليه كاشراق الشمس من كوة على بلور . ومن النسطورية من قال : أن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حى ناطق موجود وصرحوا بالتثليث كالممكنية . ومنهم من منع ذلك . ومنهم من أثبت صفات أخر كالقدرة والارادة ونحوها . لكن لم يجعلوها أقانيم وزعموا أن الابن لم يزل متولدا من الآب . وإنما تجسده وتوحد به بجسد المسيح حين ولد . والحدوث راجع الى الناسوت ، فالمسيح اله تام وانسان تام ، وهما قديم وحادث ، والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث . وقالوا . ان الصلب ورد على الناسوت دون اللاهوت .

وذهب اليعقوبية الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما فصار الاله هو المسيح وقالوا : ان الله هو المسيح عيسى بن مريم ، ورووا عن بوهنا الانجيلي أنه قال فى صدر انجيله : « الكلمة صارت جسدا وحلت فينا وقال : « فى المبدأ كانت الكلمة ، والكلمة عند الله تعالى والله تعالى هو الكلمة » ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت بحيث صار هو هو . وذلك كظهور الملك فى الصورة المشار اليه بقوله تعالى : « فتمثل لها بقشراً سوياً » ومنهم من قال : جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا تركب النفس الناطقة مع البدن وصارا جوهر واحد

(١) قال صاحب الكشف : ان هذا القول قديم نسطور المذكور ، الا أنه أظهره ونصره فى أيام المأمون ، نسب اليه . فالتسمية متأخرة ، وجسماءه متقدم . نقله الشهاب عند تفسير قصة أصحاب الكهف .

وهو المسيح وهو الاله ، ويقولون : صار الاله انسانا وان لم يصير الانسان الهاكما يقال في الفحمة في النار : صارت ذرا ، ولا يقال : صارت النار فحمة ويقولون : ان اتحاد اللاهوت بالانسان الجزئي دون الكلى ، وأن مريم ولدت الها وأن القتل والمصلب واقع على اللاهوت والناسوت جميعا ، اذ لو كان على أحدهما بطل الاتحاد • ومنهم من قال : المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه ، محدث من وجه • ومن اليعقوبية من قال : ان الكلمة لم تأخذ من مريم شبيئا ، وانما مرت بها كمرور الماء بالميزاب • ومنهم من زعم : أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح فتصدر عنه الآيات التي كانت تظهر عنه وتنازقه تارة ، فتحمله الآفات والآلام •

ومن النصارى من زعم : أن معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت : ظهور اللاهوت على الناسوت ، وان لم ينتقل من اللاهوت الى الناسوت شيء ولا حل فيه • وذلك كظهور النقش الطابع على الشمع ، والصورة المرئية في المرآة •

ومنهم من قال ان الوجود والكلمة قديمان والجهات دخلوفة • ومنهم من قال : ان الله تعالى واحد ، وسماه أباً • وأن المسيح كلمة الله تعالى وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل العالَم ، وهو خالق الأشياء كلها •

وحكى المؤرخون وأصحاب النقل : أن « آريوس » أحد كبار النصارى كان يعتقد هو وطائفة : توحيد الباري ولا يشرك معه غيره ، ولا يرى في المسيح « إله » يراه النصارى ، بل يعتقد رسالته ، وأنه مخلوق بجسمه وروحه • ففشت مقالاته في النصرانية فتكاتبوا راجتمعوا بمدينة « نيقية » عند الملك « قسطنطين » وتناظروا فشرح (آريوس) مقالاته فرد عليه « الأكصيدروس » بطريق الاسكندرية ، وشنع على مقالاته عند الملك ، ثم تناظروا فطال تنازعهم ، فتعجب الملك من اغتشار مقالاتهم وكثرة اختلافهم ، وأقام لهم البترك وأمرهم أن يبحثوا عن القول

المرضى ، فاتفق رأيهم على شيء وحرروه وسموه بالأمانة ، وأكثرهم اليوم عليها •

وهى : « نؤمن بالله تعالى الواحد الآب كل شيء مالك كل شيء ، صانع ما يرى وما لا يرى • وبالرب الواحد المسيح ابن الله تعالى الواحد بكر الخلاق كلها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، الله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء • الذى من أجلنا معاشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم ، وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول ، واتجع وصلب أيام فيلاطس ، ودشن وقام فى اليوم الثالث ، كما هو مكتوب ، وصعد الى السماء وجلس على يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء • ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية كاثوليكية ، وبالحياة الدائمة الى أبد الآبدين » •

وهذه جملة الأقاويل وما لهؤلاء الكفرة من الأباطيل • وهى مع مخففتها للعقول ومزاحمتها للأصول مما لا مستند لها ولا معول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم ، والأخذ بظواهر الالفاظ التى لا يحيطون بها علما •

على أن ما سموه أمانة لا أصل له فى شرع الانجيل ، ولا مأخوذ من قول المسيح ولا من أقوال تلاميذه وهو مع ذلك مضطرب متناقض متهافت يكذب بعضه بعضا ويعارضه ويناقضه •

واذ قد علمت ذلك فاسمع ما يتلى عليك فى ردهم :
أما قولهم بأن الله تعالى جوهر بالمعنى المذكور ، فلا نزاع لنا معهم فيه من جهة المعنى ، بل من جهة الاطلاق اللفظى سمما • والأمر فيه هين •

وأما حصرهم الأتانييم فى ثلاثة صفة الوجود وصفة الحياة وصفة العلم فباطل ، لأنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا إليه سبيلا ، سوى قولهم بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه

وهو غير يقينى كما لا يخفى • ثم هو باطل بما تحقق في موضعه من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام • فان قالوا الأتانيم هي خواص الجوهر وصفات نفسه ، ومن حكمها أن تلزم الجوهر ولا تتعداه الى غيره وذلك متحقق في الوجود والحياة : اذ لا تعلق لوجود الذات القديم وحياتها بغيرها ، وكذلك العلم اذ العلم مختص بالجوهر من حيث هو معلوم به ، وهذا بخلاف القدرة والارادة فانهما لا اختصاص لهما بالذات القديمة ، بل يتعلقان بالغير • مما هو مقدور ، ومراد • والذات القديمة غير مقدورة ولا مرادة • وأيضا : فان الحياة تجزىء عن القدرة والارادة من حيث أن الحى لا يخلو عنهما بخلاف العلم ، فانه قد يخلو عنه ، ولأنه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لا اختصاص الحياة بامتناع جريان المبالغة والتفصيل بخلاف العلم • قلنا : أما قولهم ان الوجود والحياة مختصة بذات القديم ولا تعلق لهما بغيره ، فمسلم ، ولكن يلزم عليه أن لا يكون العلم أقنوما لتعلقه بغير ذات القديم ، اذ هو معلوم به •

فلئن قالوا : العلم انما كان أقنوما من حيث كونه منعلقا بذات القديم لا من حيث كان متعلقا بغيره ، فيلزمهم أن يكون البصر أقنوما لتعلقه بذات القديم من حيث انه يرى نفسه ولم يقولوا به ، ويلزمهم من ذلك بقاء ذات الله تعالى أقنوما لا اختصاص البقاء بنفسه وعدم تعلقه بغيره ، كما في الوجود والحياة • فلئن قالوا : البقاء هو نفس الوجود ، فيلزم أن يكون الوجود في زمان حدوثه باقيا • وهو محال • وقولهم بأن الارادة تجزىء عن القدرة والارادة • أما أن يريدوا به أن القدرة والارادة نفس الحياة وأنهما خارجتان عنها لازمتان لهما لا تفارقنها ، فان كان الأول فقد نقضوا مذهبهم حيث قالوا : ان الحياة أقنوم لا اختصاصها بجوهر القديم ، والقدرة والارادة غير مختصين بذات القديم تعالى • وذلك مشعر بالمغايرة ولا اتحاد معها • وان قالوا انها لازمة لهما مع المغايرة فهو ممنوع ، فانه كما يجوز خلو الحى عن العلم ، فكذلك قد يجوز خلوه عن القدرة والارادة ، كما في حالة النوم والاعماء • وقولهم :

انه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاصه بالمبالغة والتفضيل ،
فيلزم منه أن لا تكون مجزية عن القدرة أيضا لاختصاصها بهذا النوع
عن المبالغة والتفضيل •

**وأما قولهم أن الكلمة حلت في المسيح وتدرعت به ، فهو بانط من
وجهين •**

الأول : انه قد تحقق امتناع حلول صفة القديم في غيره •

الثاني : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول
الروح ، وهي الحياة •

رثن قالوا : انما استدللنا على حلول العلم فيه لاختصاصه بعلوم
لا يشاركه فيها غيره • قلنا : أولا : لا نسلم ذلك • فقد روى النصارى
أنه عليه السلام سئل عن القيامة فلم يجب • وقال لا يعرفها الا الله
تعالى وحده • وثانيا : سلمنا ، لكنه قد اختص عندكم باحياء الموتى
وابراء الأكمه والأبرص وبأمور لا يقدر عليها غيره من المخلوقين بزعمكم ،
والقدرة عندكم في حكم الحياة اما بمعنى أنها عينها ، أو ملازمة لها ،
فوجب أن يقال بحلول الحياة فيه • ولم يقولوا به •

وأما قول الملائكية بالتثليث في الآلهة وأن كل أقنوم اله ، فلا يخلو
اما أن يقولوا : ان كل واحد متصف بصفات الآله تعالى من الوجود
والحياة والعلم والقدرة وغير ذلك من الصفات أو لا يقولوا به • فان
قالوا به فهو خلاف أصلهم وهو مع ذلك ممتنع لقيام الأدلة على امتناع
الهي • وأيضا : فانهم اما يقولوا بأن جوهر القديم أيضا اله ، أو
لا يقولوا • فان كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم ، فانهم مجمعون على
الثالوث ويقولهم هذا يلزم الترتيب ، وان كان الثاني لم يجدوا الى
الفرق سبيلا ، مع أن جوهر القديم أصل والأقانييم صفات تابعة ، فكان
أولى أن يكون الها • وان قالوا بالثاني فحاصله يرجع الى منازعة
لفظية ، والمرجع فيها الى ورود الشرع في إطلاق ذلك • ولا سبيل
لهم اليه •
حاشا

وأما قولهم ان الكلمة امتزجت بجسد المسيح ، فيبطله امتناع حلول صفات القديم بغير ذات الله تعالى ، ودعواهم الاتحاد ممتنعة من جهة الدلالة والالزام • أما الأول فانها عند الاتحاد اما أن يبقيا ببقائهما أو بعدهما أو ببقاء أحدهما وعدم الآخر ، أما على الأول فهما اثنان كما كانا ، وان كان الثاني فالواحد الموجد غيرهما ، وان كان الثالث فلا اتحاد للثنتين وعدم أحدهما •

وأما على التقدير الثاني فمن أربعة أوجه :

الأول : انه اذا جاز اتحاد أقنوم الجوهر القديم بالحدث ، فما المانع من اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم ؟ فلئن قالوا المانع أن اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم يوجب نقصه وهو ممتنع واتحاد صفة القديم بالحدث ، يوجب شرفه • وشرف الحادث بالقديم غير ممتنع • قلنا : فكما أن ذات القديم تنقص باتحاد صفة الحادث بها ، غلّا أقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت الحادث ، فليكن ذلك ممتنعاً •

الثاني : انه قد وقع الاتفاق على امتناع أقنوم الجوهر القديم بغير ناسوت المسيح ، فما الفرق بين ناسوت وناسوت ؟ فلئن قالوا : انما اتحدت بالناسوت الكلى دون الجزئى • رددناه بما ستعلمه قريباً ان شاء الله تعالى •

الثالث : ان مذهبهم أن الأقانيم زائدة على ذات الجوهر القديم مع اختصاصها به ، ولم يوجب قيامها به الاتحاد ، فان لا يوجب اتحاد الأقنوم بالناسوت أولى •

الرابع : ان الاجماع منعقد على أن أقنوم الجوهر القديم مخالف للناسوت كما أن صفة نفس الجوهر مخالف نفس العرض ، وصفة نفس العرض مخالف الجوهر ، فان قالوا بجواز اتحاد صفة الجوهر بالعرض أو صفة العرض بالجوهر حتى أنه يصير الجوهر في حكم العرض والعرض في حكم الجوهر ، فقد التزموا محالاً مخالفاً لأصولهم •

وان قالوا بامتناع اتحاد صفة نفس الجوهر بالعرض ونفس العرض بالجواهر ، مع أن العرض والجواهر ، أقبل للتبدل والتغير ، فلائن يمتنع في القديم والحادث أولى •

وقولهم : ان المسيح انسان كلى باطل من أربعة وجوه :

الأول : ان الانسان الكلى لا اختصاص له بجزئى من الناس • وقد اتفقت النصارى على أن المسيح مولود من مريم — عليهما الصلاة والسلام — وعند ذلك فاما أن يقال : ان انسان مريم أيضا ، كلى كما حكى عن بعضهم أو جزئى • فان كان كليا فاما أن يكون هو عين انسان المسيح أو غيره ، فان كان عينه لزم أن يولد الشيء من نفسه • وهو محال • ثم يلزم أن يكون المسيح مريم ومريم المسيح • ولم يقل به أحد ، وان كان غيره فالانسان الكلى ما يكون عاما مشتركا بين جمع ، وطبيعته جزء من معنى كل انسان ، ويلزم من ذلك أن يكون انسان المسيح بطبيعته جزء من مفهوم انسان مريم وبالعكس • وذلك محال • وان كان انسان مريم جزئيا فمن ضرورة كون المسيح مولودا عنها أن يكون الكلى الصالح لاشتراك الكثرة ، منحصر في الجزئى الذى لا يصلح لذاته وهو ممتنع •

الثانى : ان أنصارى مجمعون على أن المسيح كان مرثيا ومشار اليه ، والكلى ليس كذلك •

الثالث : انهم قائلون : ان الكلمة حلت في المسيح اما بجهة الاتحاد أو لا بجهة الاتحاد ؟ فلو كان المسيح انسانا كليا فلم يختص به بعض أشخاص الناس دون البعض ؟ ولم كان المولود من مريم مختصا بحلول الكلمة دون غيره ؟ ولم يقولوا به •

الرابع : ان الملكانية متفقون على أن القتل وقع على اللاهوت والناسوت • ولو كان ناسوت المسيح كليا ، لما نصبر وقوع الجزئى عليه •

وأما ما ذهب إليه نسطور من أن الأتانيث ثلاثة فالسلام معه في
الحصر على طرز ما تقدم •

وقوله : « ليست عين ذاته ولا غير ذاته » فإن أراد بذلك ما أُرِدَ
به الأشعري (١) في قوله أن الصفات لا عين ولا غير ، فهو حق • وإن
أراد غيره ، فغير مفهوم •

(١) أهل الحديث النبوي ينقسمون إلى سلف على رأى ابن حنبل رضى
الله عنه وإلى خلف على رأى الأشعري • والسلف والخلف يقولون : أن
صفات الله زائدة على ذاته • ومع زيادتها ليست جسما ، وليست الذات
جسما ، لأن الله ليس كمثله شيء • ودليلهم هو :

أولا : قياس الغائب على الشاهد • فالله لأنه لا يرى بالعين ، يقولون :
أنه غائب • والانسان لأنه يرى بالعين ، يقولون : أنه شاهد • والانسان
مكون من ١ — ذات ٢ — وصفات متعددة ، فزيد إذا كان قادرا •
تكون ذاته غير قدرته • وإذا كان عالما مع القدرة ، يكون العلم غير
القدرة • ومن كان قادرا وعالما ولا يكون سميعا وبصيرا •
يكون غيره الذى يقدر ويعلم ويسمع ويبصر زائدا عليه في الصفات •
وهكذا • وعلى هذا فالله تعالى — وله المثل الأعلى — ذات • وله كل
الصفات الثلاثة بجلاله • وهى زائدة على ذاته •

ثانيا : قوله تعالى : « أنزله بعلمه » فقد نسب الانزال إلى العلم وليس
إلى الذات • فدل ذلك على أن الصفة غير الموصوف • ومع هذا فإنها غير
منفكة عن الموصوف •

١ هذا كلام أهل الحديث سلفا وخلفا • وأما كلام المعتزلة فهو هكذا :
أولا : قياس الغائب على الشاهد — مع التنزيه لله عن الجسمية أو
ما يوهم الجسمية — يقولون : أننا لو رأينا زيدا من الناس • لرأينا واحدا •
فإذا نطق وصفناه بالكلام • وإذا نطق يبدل نطقه على أنه كان قادرا على
الكلام • وهكذا • ولكننا لا نقدر أن نقول بزيادة صفاته على ذاته • إذا
لا نرى إلا شخصا واحدا • ولا نرى قدرة هى جسم قد وضعت بازائه •
ولا علما قد زاد في الحس على ذاته • فكيف نقول بزيادة لا تبدل عليها
المشاهدة في زيد ؟ • أننا نقول بذات موصوفة بصفات هى فيها وليست
زائدة عليها • وعلى هذا فالله تعالى — وله المثل الأعلى — ذات • وله كل
الصفات الثلاثة بجلاله • وهى ليست زائدة على ذاته •
هذا قول المعتزلة •

وأما تفسيره العلم بالكلمة فالنزاع معه في هذا الاطلاق لفظي •
ثم لا يخلو اما أن يريد بالكلمة الكلام النفسى ، أو الكلام اللسانى •
والكلام في ذلك معروف •

وقوله : « ان الكلمة اتحدت بالمسيح بمعنى أنها أشرقت عليه »
لا حاصل له ، لأنه اما أن يريد باشراق الكلمة عليه عليه السلام ما هو
مفهوم من مثاله ، وهو أن يكون مطرحا لشعاعها عليه أو يريد أنها
متعلقة به كتعلق العلم القديم بالمعلومات أو يريد غير ذلك • فان كان
الأول يلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع وفي جهة من مطرح شعاعها ،
ويلزم من ذلك أن تكون جسما وأن لا تكون صفة للجوهر القديم ، وهو
محال • وان كان الثانى فهو حق غير أن تعلق الألقنوم بالمسيح بهذا
التفسير لا يكون خاصة • وان كان الثالث فلا بد من تصويره ليتكلم عليه •

وأما قول بعض النسطورية ان كل واحد من الأقانيم الثلاثة اله حى
ناطق ، فهو باطل بأدلة ابطال التثليث •

ثانيا : ان قوله تعالى « أنزله بعلمه » لا يدل على انفصال العلم عن
الذات ولا يدل على أن الانزال بصفة العلم وحدها • لأن الصفة غير
مستقلة عن الموصوف • أى أن العلم وحده بدون الذات لا ينزل • فالذات
والعلم معا مرتبطان غير منفكان • ومعنى « أنزله بعلمه » أى بمعرفته
لا من اله آخر • كما يقول العربى كان هذا على علم منى • وشبهه •

يقول أبو الحسين الخياط : « ان الله تعالى لو كان عالما بعلم • فاما
ان يكون ذلك العلم قديما أو يكون محدثا • ولا يمكن أن يكون قديما •
لان هذا يوجب وجود اثنين قديمين • وهو تعدد • وهو قول فاسد • ولا يمكن
ان يكون علما محدثا ، لأنه لو كان كذلك يكون قد أحدثه الله • اما في نفسه ،
أو في غيره ، أو لا في محل • فان كان أحدثه الله في نفسه ، أصبح محلا
للحوادث ، وما كان محلا للحوادث فهو حادث • وهذا محال • وإذا أحدثه
في غيره ، كان ذلك الغير عالما ، بما حله منه دونه • كما أن من حله اللون ،
فهو المتلون به دون غيره • ولا يعقل أن يكون أحدثه لا في محل ، لأن العلم
عرض لا يقوم الا في اجسم ، فلا يبقى الا حال واحد • وهو أن الله عالم
بذاته » (ص ٨٢ — ٨٣ الانتصار)

وأما من أثبت منهم الله تعالى صفات آخر كالقدرة والارادة ونحوهما، فقد أصاب • خلا أن القول باخراجهما عن كونهما من الأفانيم مع أنها مشاركة لها في كونها من الصفات تحكم بحث • والفرق الذي يستند اليه باطل ، كما علمت •

وأما قولهم : ان المسيح انسان تام واله تام وهما جوهران قديم وحادث • فطريق رده من وجهين :

الأول : التعرض لابطال كون الأئقنوم المتحد بجسد المسيح الها • وذلك بأن يقال : أما أن يقولوا بأن ما اتحد بجسد المسيح هو اله فقط، أو أن كل أئقنوم اله كما ذهب اليه الملكانية فان كان الأول فهو ممتنع لعدم الأولوية ، وان كان الثانى فهو ممتنع أيضا لما تقدم •

الثانى : انه اذا كان المسيح مشتملا على الأئقنوم والناسوت الحادث فاما أن يقولوا بالاتحاد أو بحلول الأئقنوم فى الناسوت أو حلول الناسوت فى الأئقنوم أو أنه لا حلول لاحدهما فى الآخر فان كان الأول فهو باطل بما سبق فى ابطال الاتحاد • وان كان الثانى فهو باطل بما يبطل حلول الصفة القديمة فى غير ذات الله تعالى وحلول الحادث فى القديم • وان كان الثالث فاما أن يقال بتجاوزهما واتصالهما أولا • فان قيل بالأول فاما أن يقال بانفصال الأئقنوم القديم من الجوهر الحادث أو لا يقال به ، فان قيل بالانفصال فهو ممتنع لوجهين :

الأول : ما يدل على ابطال انتقال الصفة عن الموصوف •

الثانى : انه يلزم منه قيام صفة حال مجاورتها للناسوت بنفسها • وهو محال • وان لم يقل بانفصال الأئقنوم عن الجوهر القديم ، يلزم منه أن يكون ذات الجوهر القديم متصلة بجسد المسيح ، ضرورة اتصال أئقنومها به وعند ذلك فليس اتحاد الأئقنوم بالناسوت أولى من اتحاد الجوهر القديم به ، ولم يقولوا بذلك • وان لم يقل بتجاوزهما

واتصالهما فلا معنى للاتحاد بجسد المسيح ، وليس القول بالاتحاد مع عدم الاتصال بجسد المسيح أولى من العكس •

وأما قول من قال منهم ان الاله واحد وأن المسيح ولد من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالى شرفه بتسميته ابنا • فهو كما يقول الموحدون • ولا خلاف معهم في غير اطلاق اسم الابن •

وأما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة لحما ودما وصار الاله هو المسيح • فهو أظهر بطلانا مما تقدم • وبيان من وجهين :

الأول : انه لو جاز انقلاب الأقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتهما ، لجاز انقلاب المستحيل ممكنا ، والممكن مستحيلا ، والواجب ممكنا أو ممثعا والمعك أو الممتنع واجبا ولم يبق وثوق بشيء من القضايا البديهية ، ولجاز انقلاب الجوهر عرضا والمعرض جوهرأ ، أو اللحم والدم أقنوما والقديم حادثا والحادث قديما • ولم يقل به أحد من العقلاء •

الثاني : لو انقلب الأقنوم (١) لحما ودما • فاما أن يكون هو عين الدم واللحم اللذين كانا للمسيح أو زائدا عليه منضمنا اليه ، والأول ظاهر الفساد والثاني لم يقولوا به •

وأما ما نقل عن يوحنا من قوله : « في البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله • والله هو الكلمة » فهو مما انفرد هو به ، ولم يوجد في شيء من الإنجيل • والظاهر أنه كذب فانه بمنزلة قول القائل : الدينار عند الصيرفي ، والصيرفي هو الدينار • ولا يكاد يتفوه به عاقل • وكذا قوله : « ان الكلمة صارت جسدا وحلت فينا » غير مسلم الثبوت • وعلى تقدير تسليمه يحتمل التقديم والتأخير ، أي أن الجسد الذي صار بالتسمية حل فينا • وعنى بذلك الجسد عيسى عليه السلام • ويحتمل أنه أشار بذلك الى « بطرس » كبير التلاميذ ، وصي المسيح •

فانه أقام بعده عليه السلام بتدبير دينه ، وكانت النصارى تفرع اليه على ما تشهد به كتبهم ، فكأنه يقول : ان ذهب الكلمة أى عيسى الذى سماه الله تعالى بذلك من بيننا فانها لم تذهب حتى صارت جسدا ونحن فينا ، يريد أن تدبيرها حاضر فى جسد بيننا ، وهو بطرس •

ومن الناس من خرج كلامه على اسقاط همزة الانكار عند اخراجه من العبرانى الى اللسان العربى • والمراد : أصارت ؟ وفيه بعد •

ومن العجب العجيب : أن يوحنا ذكر أن المسيح قال لتلاميذه : « ان لم تأكلوا جسدى وتشربوا دمنى فلا حياة لكم بعدى ، لأن جسدى مأكّل حق ودمنى مشرب حق • ومن يأكل جسدى ، ويشرب دمنى ، يثبت فى وأثبت فيه • فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا : ما أصعبها من يطيق سماعها ؟ فرجع كثير منهم عن صحبتته » فان هذا مع قوله ان الله سبحانه هو الكلمة ، والكلمة صارت جسدا فى غاية الاشكال • اذ فيه أمر الحادث بأكل الله تعالى القديم الأزلى وشربه والحق أن شيئا من الكلامين لم يثبت ، فلا نتحمل مؤنة التأويل •

وأما قولهم : ان اللاهوت ظهر بالناسوت فصار هو هو • فاما أن يريدوا به أن اللاهوت صار عين الناسوت ، كما يصرح به قولهم هو هو ، فيرجع الى تجويز انقلاب الحقائق • وهو محال • كما علمت • واما أن يريدوا به أن اللاهوت اتصف بالناسوت • فهو أيضا محال ، لما ثبت من امتناع حلول الحادث بالقديم ، أو أن الناسوت اتصف باللاهوت • وهو أيضا محال ، لامتناع حلول القديم بالحادث •

وأما من قال منهم بأن جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث ، تركبا وصارا جوهر واحد هو المسيح فباطل من وجهين :

الاول : ما ذكر من ابطال الاتحاد •

والثانى : انه ليس جعل الناسوت لاهوتا بتركبه مع اللاهوت ، أولى

على قدم الصفات ، فهو قديم أزلى • كيف وانه او كان حادثا ! لكان
الاله قبله ، غير حى ، ومن ليس بحى لا يكون عالما ولا ناطقا ؟

وقول من قال ان المسيح مخلوق قبل العالم وهو خالق لكل شيء ،
باطل لقيام الأدلة على أنه كان الله تعالى ولا شيء غيره •

وأما الأمانة التى هم بها منقربون وبماحوته منسبدون •

فبيان اضطرابها وتناقضها وتهافتها من وجوه :

الأول : ان قولهم « ذؤمن بالواحد الآب صانع كل شيء » يناتض
قولهم « وبالرب الواحد المسيح » الخ مناقضة ، لا تكاد تخفى •

والثانى : قولهم ان يسوع المسيح ابن الله تعالى بكر الخلائق مشعر
بحدوث المسيح ، اذ لا معنى لكونه ابنه الا تأخره عنه ، اذ الوالد
والولد لا يكونان معا فى الوجود ، وكونهما معا مستحيل ببداهة
العقول ، لأن الرب لا يخلو اما أن يكون ولد ولدا ، لم يزل أو لم يكن •
فان قالوا : ولد ولدا لم يزل • قلنا : فما ولد شيئا ، اذ الابن لم يزل
وان ولد شيئا لم يكن ، فالولد حادث مخلوق • وذلك مكذب لقولهم :
« اله حق من اله حق ، من جوهر أبية وأنه أثقن العوالم بيده ، وخلق
كل شيء » •

الثالث : ان قولهم « اله حق من اله حق من جوهر أبية » يباغضه
قول المسيح فى الانجيل ، وقد سئل عن يوم القيامة (١) : « لا أعرفه
ولا يعرفه الا الآب وحده » فلو كان من جوهر الآب لعلم ما يعلمه
الآب ، على أنه لو جاز أن يكون اله ثان من اله أول ، لجاز أن يكون
اله ثالث من اله ثان • ولما وقف الأمر على غاية • وهو محال •

(١) سئل عن انتصار المسلمين على أهل الكتاب ودخولهم القدس
مفتحين • كما بينا فى الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة
والانجيل •

الرابع : ان قولهم : « أن يسوع أتقن المعوالم بيده ، وخلق كل شيء » باطل مكذب لما في الانجيل اذ يقول متى : « هذا مولد يسوع المسيح بن داود » وأيضا : خالق العالم لابد أن يكون سابقا عليه ، وأنى يسبق المسيح وقد ولدته مريم ؟ وأيضا في الانجيل أن ابليس قال للمسيح : « أسجد لى وأعطيك جميع العالم ، وأملكك كل شيء » ولازال يسحبه من مكان الى مكان ، ويحول بينه وبين مراده ويطمع في تعبد له فكيف يكون خالق العالم محصوراً في يد بعض العالم ؟ نعوذ بالله تعالى من الضلال .

الخامس : ان قولهم « المسيح الاله الحق الذى نزل من السماء لمخلص الناس ، وتجسد من روح القدس ، وصار انسانا وحيد به وولد » فيه عدة مفاسد : منها : أن المسيح لا يخص مجرد الكلمة ولا مجرد الجسد ، بل هو اسم يخص هذا الجسد الذى ولدته مريم عليها السلام : ولم تكن التثمة في الأزل مسيحا ، فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء . ومنها : أن الذى نزل من السماء لا يخو اما أن يكون الكلمة أو الناسوت . فان زعموا : أن الذى نزل هو الناسوت ، فكذب صراح ، لأن ناسوته من مريم ، وان زعموا أنه اللاهوت فيقال : لا يخلو اما أن يكون الذات أو العالم — المعبر عنه بالكلمة — فان كان الأول لزم لحوق النقائص للبارى عز اسمه ، وان كان الثانى لزم انتقاص الصفة وبقاء البارى بلا علم ، وذلك باطل . ومنها : ان قولهم : انما نزل لمخلص معشر الناس ، يريدون به : أن آدم عايه السلام لما عصى أوثق سائر ذريته في حباله الشيطان ، وأوجب عليهم الخلود في النار ، فكان خلاصهم بقتل المسيح وصلبه والتنكيل به . وذلك دعوى لا دلالة عليها .

هب أنا سلمناها لهم . لكن يقال : أخبرونا مم هذا الخلاص الذى تعنى الاله الأزلى له وفعل ما فعل بنفسه لأجابه ؟ ولم خلاصكم ؟ ومن خلاصكم ؟ وكيف استنقل بخلاصكم دون الآب والروح والربوبية بينهم ؟ وكيف ابتذل وامتهن في خلاصكم دون الآب والروح ؟ فان زعموا :

أن الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها ، أكذبهم الحس • وان كان من تكاليف الشرع وأنهم قد حط عنهم الصلاة والصوم مثلاً ، أكذبهم المسيح والحواريون بما وضعوه عليهم من التكاليف • وان زعموا أنهم قد خلصوا من أحكام الدار الآخرة • فمن ارتكب محرماً منهم ، لم يؤاخذ ، أكذبهم الانجيل والنبوات ، اذ يقول المسيح في الانجيل : « انى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى ، فأقول لأهل اليمين فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا • وأقول لأهل الشمال : ففعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى العذاب المعد لكم قبل تأسيس العالم » •

السادس : ان قولهم تجسد من روح القدس ، باطل ، بنص الانجيل ، اذ يقول متى فى الاصحاح الثانى منه : ان يوحنا المعمدان حين عمد المسيح جاءت روح القدس اليه من السماء فى صفة حمامة ، وذلك بعد ثلاثين من عمره •

السابع : ان قولهم : ان المسيح نزل من السماء وحملت به مريم وسكن فى رحمها ، مكذب بقول لوقا الانجيلى اذ يقول فى قصص الحواريين فى الاصحاح الرابع عشر منه « أن الله تعالى هو خالق العالم بما فيه ، وهو رب السماء والأرض ، يسكن الهياكل ولا تتاله أيدي الرجال ، ولا يحتاج الى شئ من الأشياء ، لأنه الذى أعطى الناس الحياة ، فوجودنا به وحياتنا وحركاتنا منه » فقد شهد اوقا بأن البارى وصفاته لا تسكن الهياكل ولا تتاله الرجال بأيديها • وهذا يتنافى كون الكلمة سكنت فى هيكل مريم ، وتحولت الى هيكل المسيح •

الثامن : ان قولهم بعد أن قتل وصاب ، قام من بين الأموات وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، هو من الكذب الفاحش المستلزم للصدوث •

التاسع : ان قولهم ان يسوع هذا الرب الذى صلب وقتل مستعد

للمجىء تارة أخرى ، لفصل القضاء بين الأموات والأحياء بمنزلة قول القائل :

لا يغنينك بعد الموت تقديني وفي حياتي ما زودتني زادا

واذ زعموا أنه في المرة الأولى عجز عن خلاص نفسه ، حتى تم عليه من أعدائه ما تم فكيف يتقدر على خلاصهم بجمالهم في المرة الثانية •

العاشر : ان قولهم : « ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الذنوب » فيه مناقضة لأصولهم • وذلك أن اعتقاد النصارى انه لم تغفر خطاياهم بدون قتل المسيح • ولذلك سموه حمل الله تعالى الذى يحمل عليه الخطايا ، ودعوه مخلص العالم من الخطيئة ، فاذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هي التى تغفر خطاياهم وتخلص من ذنوبهم ، فقد صرحوا بأنه لا حاجة الى قتل المسيح ، لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة • وإن كان التعميد كافيا للمغفرة فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث • وإن كانت لا تحصل الا بقتله فما فائدة التعميد ؟ وما هذا الايمان ؟

فهذه عشرة وجوه كاماة في رد تلك الأمانة واطهار مالهم فيها من الخيانة • ومن أمعن نظره ردها بأضعاف ذلك •

وقال أبو الفضل المالكى بعد كلام

ظهرت خيانتها خلال سطورها
ذر الوجود على الخليفة كلها
أو أن يرى في مهراطن حجرها
لخلاص آدم من لظاه وحصرها
شرفا ملائكة السماء بأسرها
ووقاه من غى النفوس وشرها
كل الخلائق أن تبوء بضمها
الله أكبر من معاني كفرها
عيسى به ، فالخلف في تعبيرها
ما كان أغنى ذاته عن مثلها
ذهبوا لما لا يرتضيه أولو انتهى
فضلا لهم جعل الفداء بغيرها

بطلت امانتهم فمن مضمونها
قالوا بان الهم عيسى الذى
بل كان محتاجا لشرب لبنها
قالوا وجاء من السماء عنابة
لو جاء في ظل الغمام وحوله
ثم اجتباه محببا ومفضلا
من غير أن يحتاج في تخلصه
هذى امانتهم وهذا شرحها
بدأوا بتوحيد الاله واشركوا
خلق أمه قبل الحول ببطنها
جعلوه ربا جوهر من جوهر
قد تاب آدم توبة مقبولة

وفدى الذى بيديه احكم طبنة
كنتم تخلصون الاله مقامه
بالعفو عن كل الامور وسقروها
فكما تراه نفوسكم من شركها
ويشسبه الأعداء بما لا يرتضى
من كيدها وبما دهن من مكرها

ثم أعلم : أنه لا حجة للنصارى القائلين بالتثليث ، بما روى عن متى التلميذ أنه قال : أن المسيح عندما ودعهم قال : « اذهبوا وعمدوا الأمام باسم الآب والابن وروح القدس » ومن هنا جعلوا مفتتح الانجيل ذلك ، كما أن مفتتح القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم » ويوهم كلام بعض منا : أن هذه التسمية نزلت من السماء ، كالبسمنة عندنا . لأننا نقول على تقدير صحة الرواية — ودونها خبط القنادر — يحتمل أن يراد بالآب (١) المبدأ فان القدماء كانوا يسمون البارى بالآباء ، ومن الابن الرسول . وسمى بذلك تشريفا وتكريما كما سمي ابراهيم عليه السلام خليلا ، أو باعتبار أنهم يسمون الآثار أبناء . وقد رووا عن المسيح عليه السلام أنه قال : « انى ذاهب الى أبى وأبيكم » وقال لا تعطوا صدقاتكم قدام الناس لتزأوهم ، فانه لا يكون اكرم أجر عند أبيكم الذى فى السماء » وربما يقال : ان الابن بمعنى الحبيب أو نحوه . ويشير الى ذلك ما رووه أنه عليه السلام قال عقيب وصية وصى بها الحواريين : « لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء ، وتكونوا تامين كما أن أبائكم الذى فى السماء تام » ويراد بروح القدس جبرائيل عليه السلام والمعنى عمدوا ببركة الله تعالى ورسوله والملك المؤيد للأذبياء على تبليغ أوامر ربهم . ولعل لنا عودات كثيرة لرد التثليث بعبارات مختلفة النوع ، حيثما يكرر هذا النصرانى ذكره فانظره ولا تغفل .



قال النصرانى : « فقد علمنا الآن أن ابراهيم كان منذ ولد الى أن أنت عليه تسعون سنة حنيفا عابد صنم ، ثم آمن بالله الى أن قبض فأنت — أصلحك الله — تدعونى الى دين ابراهيم وملته . فليت شعرى الى أى مذهبيه ودينيه تدعونى ؟ وفى أى حالتيه زرغبنى ؟ أحيث كان

(١) لنا تفسير لعبارة عمدوهم باسم الاب والابن ... الخ فى كتابنا القانيم النصرانى — نشر دار الانصار بالقاهرة .

حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالنعزى مع آبائه وأهل بيته وهو بحران ،
 أم حيث خرج عن الحنيفية ووجد الله وعبدته وآمن به وانتهى الى أمره
 عندما أمره أن يتنقل عن بلده فامتنع طائفاً عن «حران» دار المتفرقة ومدينة
 أهل النصارى ؟ فلا أظنك تستجيز في عقلك وحسن تمييزك وجودة
 معرفتك التى زعمت بالكتب المنزلة ودراستك أياها أن تدعونى • انى
 مثل حال إبراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التى هى الحنيفية ،
 وان كنت تدعونى الى حاله وقت إيمانه وما حسب له من البر وقت
 توحيده ، فاليهودى ابن إبراهيم أولى بهذه الدعوة ، لأنه هو صاحب
 تراث السحق الذى ورث هذا التوحيد عن إبراهيم أبيه ، وهو أولى
 منك وأحق بهذا الأمر ، فمالك والظلم والحيث وطب ما لم يجعله الله
 لك حقاً ، فأنت دائماً تنسب ذاتك الى العمل ونصفها بهذه الصفة ،
 وصاحبك يثراً في كتابه ويقول طائفاً أنه قيل له : « ذل انى أمرت أن
 أكون أول من أسلم ولا أكون من المشركين » (الأنعام ١٤) — فلا ترى
 أنه أول من أظهر الاسلام ، وأن قبله إبراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين
 لأن صاحبك قد أقر بأنه أول من أسلم — وفي هذا الجواب لهذا الباب
 نقاية وأمر مقنع لذوى الألباب •

أقول ومنه سبحانه التوفيق الى أقوم طريق : قد قدمنا أننا كذبه
 في نقله عن التوراة أن إبراهيم كان يعبد الصنم الى أن بلغ تسعين
 سنة ، ولنذكر الآن ان شاء الله تعالى حال إبراهيم عليه السلام ونبوه
 ووفاته وما يتعلق بأمره ليحيط عاماً من يطالع كتابنا هذا بأحواله عليه
 السلام ويتضح خلاف ما حرره هذا النصرانى لادى المنصف من الأنام •
اعلم : ان إبراهيم عليه السلام على ما ذكر أهل الأنساب والتواريخ
هو ابن تارح (١) بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر

(١) اعلم : ان « آزر » هو الأب المباشر لإبراهيم عليه السلام وليس هو
 ههنا كما زعم بعض المفسرين وليس هو تارح كما التوراة •
 ذلك لأن سلسلة النسب مشكوك فيها • للاختلاف في أعمار الأباء من
 آدم الى نوح ومن نوح الى إبراهيم بين السامرية والعبرانية واليونانية •
 وفي اليونانية ذكر في سلسلة النسب « قينان » ولم يذكر لا في العبرانية ولا
 في السامرية •

بن شالخ بن قينان بن فخشدد بن سام بن نوح عليه السلام * واختلف في
الموضع الذى كان فيه والموضع الذى ولد فيه ، فقبل ولد بالسوس من
أرض الأهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثا (١) قريبا منها وقيل بخران
من بلاد الشام ، ولكن أباه نقله * قال أكثر أهل العلم : كان مولده في
عهد نمرود بن كوش وكان ملكه قد أحاط بمشارك الأرض ومغاربها —
على المشهور — وكان ببابل من أرض العراق فلما أراد الله تعالى : أن
يبعث إبراهيم عليه السلام حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن
فيما بينه وبين نوح عليه السلام إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان
إبراهيم أتى أصحاب النجوم « نمرود » فقالوا له : نجد غلاما يواد
في قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر
كذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التى ذكرها حبس نمرود الحبالى
عنده الا أم إبراهيم فانها لم يعلم بحبلها لأنه لم يظهر عليها أثره ،
فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت ، فاما وجدت أم إبراهيم الطلق
خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت إبراهيم وأصلحت من
شأنه ما يصنع بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ثم سعت الى بينها
راجعة ، ثم كانت تطالعه لتتظر ما فعل ، فكان يشب في اليوم ما يشب
غيره في الشهر ، وكانت تجده حيا يمص ابهامه ، جعل الله تعالى رزقه
فيها * وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما
فمات * فصدقها وقيل : بل أعلم آزر بولادة إبراهيم وكتمه ، حتى نسي
الملك ذلك * فقال آزر : ان لى ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك
ان أنا جئت به ؟ فقالوا : لا * فانطلق فأخرجه من السرب ، فلما نظر
الى الدواب والى الخلق ، ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل
يسأل أباه عما يراه * فيقول أبوه : هذا بغير أو بقرة أو غير ذلك *
فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب * وكان خروجه بعد
غروب الشمس ، فرفع رأسه الى السماء ، فإذا هو بالكوكب وهو
المشترى * فقال هذا ربى * فلم يلبث أن غاب فقال « لا أحب الآفلين »

(١) آثار المعبد الذى حرق فيه إبراهيم بالنار في « كوثر » وهى الآن
قرب حدود تركيا قرب الحدود مع العراق .

وكان خروجه في آخر الشهر ، فلهذا رأى الكوكب قبل القمر •
وقيل : كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا • وقال لأمه وهو في
المغارة : أخرجيني أنظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر في
خلق السموات والأرض وقال في الكوكب ما تقدم ، فلما رأى القمر
بازغا « قال هذا ربى » فلما غاب « قال لأن لم يهدنى ربى لأكونن من
القوم الضالين » •

فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى
فقال « هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم أنى برىء مما تشركون » •
ثم رجع إبراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرىء من دين قومه الا أنه
لم ينادهم بذلك فآخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله ، فسرهم
ذلك • وكان آزر يصنع الأصنام التى يعبدونها ويعطيها لبييعها إبراهيم ،
فكان إبراهيم عليه السلام يقول : من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه ؟
فلا يشتريها منه أحد ، وكان يأخذها ونطلق بها الى نهر فيصوب
رعوسها فيه • ويقول : أشربى استهزاء بقومه ، حتى فشا ذلك عنه
في قومه ، غير أنه لم يبلغ خبره « نمرود » • فلما بدا لإبراهيم أن
يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى
التوحيد فلم يجبه ، ودعا قومه فقالوا : من تعبد أنت ؟ قال رب العالمين •
قالوا : نمرود ؟ قال بل أعبد الذى خاقنى ، فظهر أمره وبلغ نمرود
أن إبراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الأصنام التى يعبدونها ليلزمهم
الحجة ، فجعل يتوقع فرصة ينتهى بها ليفعل بأصنامهم ذلك • وكان لهم
في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجمعون فيه ، واداء عادوا من عيدهم
دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ، ثم عادوا الى منازلهم ، فلما ككان
ذلك العيد قال آزر لابنه إبراهيم : لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك
ديننا « فنظر نظرة في النجوم فقال : انى سقيم » أى سأسقم لأن كل
انسان لابد أن يصير سقيما فتخلف عن قومه وخالف الى أصنامهم
وهو يقول : « تالله لأكيدين أصنامكم » وهى في بهو عظيم بعضها الى
جنبي بعض ، كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو ، واداء هم

قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم ، وقالوا نترك الآلهة الى حين نرجع فتأكله ، فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال : « ألا تأكلون ؟ » فلما لم يجبه أحد قال : « مالكم لا تنطقون ؟ فراغ عليهم ضربا باليمين » فكسرها بفأس يده ، حتى اذا بقى أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن . فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم ، راعهم ذلك ، وأعظموه « وقالوا من فعل هذا بآلهتنا ، انه من الظالمين ؟ » فقالوا « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » يعنون يسبها ويعيبها . ولم نسمع ذلك من غيره . وهو الذى نظنه صنع بها هذا . وبنح ذلك نمرود وأشراف قومه ، فقالوا : « فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون » ما نفع به وقيل يشهدون عليه كرهوا أن يأخذوه بغير بينة فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود . وقالوا « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون » غضب من أن تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها فادعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال أو عرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » أى لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها . وما تبطش بالأيدى فنصدقك يقول الله تعالى : « ثم ذكسوا على رؤوسهم » فى الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون : « أمتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » .

ثم ان نمرود قال لابراهيم : أرأيت الهك الذى تعبد وتدعو الى عبادته ما هو ؟ قال : « ربى الذى يحبى ويميت » قال نمرود « أنا أحيى وأميت » قال ابراهيم : وكيف ذلك ؟ قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما ، فأكون قد أمته ، وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته ، فقال ابراهيم : « ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت » عند ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيئا .

ثم أنه وأصحابه أجمعوا على قتل إبراهيم فقللوا « أحرقوه وانصروا آلهمكم » قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس قيل له وللفرس أعراب ؟ قال نعم الأكراد هم أعرابهم ، قيل كان اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ، فأمر نمرود بجمع الحطب من أصناف الخشب : حتى ان كانت المرأة لتتذر بأنها ان بلغت ما تطلب أن تحطب انار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها ، قدموه وأشعوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها ، فلما أجمعوا لقتله فيها صاحت السماء والأرض وما فيهما الا الثقلين الى الله تعالى صيحة واحدة : أى ربنا ابراهيم ليس فى أبضك من عبدك غيره ، يحرق بالنار فيك فأذن لنا فى نصره • قال الله تعالى : ان استغاث بشىء منكم فلينصره ، وان لم يدع غيرى فأنا له ، فلما رفعوه على رأس البنين رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت ألواح : فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل • وعرض له جبريل وهو يوثق فقال : ألك حاجة يا ابراهيم ؟ قال : أما اليك فلا فتذفوه فى النار فنادها الله تعالى فقال : « يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » وقيل : نادها جبريل فلو لم يتبع بردها سلام ، لالت ابراهيم من شدة بردها • فلم يبق نار يومئذ الا طفئت ظنت أنها هى •

وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعدها فيها الى جنبه يؤنسه ، فمكث نمرود أياما لا يشك أن النار قد أكلت ابراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى تحرق بعضها بعضا ، وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله ، فقال لقومه : لقد رأيت كأن ابراهيم حى ولقد شدة على ابنوا له صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم جالسا والى جانبه رجل فى صورته ، فناداه نمرود يا ابراهيم ان الهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخرج منيا ؟ قال : نعم • قال : أتخشى أن أقمت فيها ؟ قال : لا • فقام ابراهيم فخرج منها • فلما خرج قال له : يا ابراهيم من الرجل

الذى رأيت معك مثل صورتك ؟ قال : ذلك ملك الظلم أرسله الى ربى ليؤنسنى ، قال نمرود : انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبیت الا عبادته ، فقال ابراهيم : اذن لا يقبل الله تعالى منك ما كنت على شىء من دينك • فقال : يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة • وكف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه ، وآمن مع ابراهيم رجال من قومه ، حين رأوا ما صنع الله تعالى به على خوف من نمرود وملتهم ، وآمن له لوط بن هاران • وهو ابن أخى ابراهيم • وكان لهم أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح وهو أبو بتوئيل وبتوئيل أبو لابان وأبو رفقا امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب •

وآمنت ه سارة وهى ابنة عمه وهى سارة بنت هاران الأكبر عم ابراهيم وقيل : كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم •

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره ، أجمعوا على فراق قومهم فخرط مهاجرا حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سان بن علوان بن عيد بن عولج بن املاق بن لاوذ بن سام بن نوح • وقيل : كان أخا الضحاك استعمله على مصر ، وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيئا فلما وصفت لفرعون أرسله الى ابراهيم فقال : من هذه التى معك ؟ قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله ، فقال له زينها وأرسلها الى ، فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه ، فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلى فلما أهوى اليها أخذ أخذاً شديداً فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى اليها فأخذ أخذاً شديداً فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حبابه فقال : انك لم تأتتنى بانسان وانك أتيتتنى بشيطان أخرجها وأعطاها هاجر ، ففعل فأقبلت بهاجر فلما أحس ابراهيم بها انفصل من صلاته فقال مهيم ؟ فتالت : كفى الله كيد الكافرين ، وأخدم هاجر •

وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : تلك أمكم يا بنى ماء السماء لأن سارة وهبتها لزوجها إبراهيم عليه السلام وقالت له خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد ، حتى أسنت فوقع إبراهيم على هاجر فولدت اسماعيل عليه السلام •

ولهذا قال النبي ﷺ « إذا افتتحتُم مصر فاستنصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » يعنى ولادة هاجر فكان إبراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل « السبع » من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة • وهى من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا • وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا ، فآذاه أهل السبع فلثقل عنهم فنضب الماء ، فاتبعوه يسئلونه العودة ، فلم يفعل ، وأعطاهم سبعة أعنز ، وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا ، فاشربوا منه ولا تغترب منه امرأة حائض ، فخرجوا بالأعنز فاما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث ، فعاد الماء الى الذى هو عليه اليوم •

وأقام إبراهيم بين الرملة وايلياء ببلد يقال له قط أو فط • قال فلما واد اسماعيل عليه السلام حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله تعالى اسحق وعمرها سبعون سنة ، كما حكى الله سبحانه ذلك فى القرآن الكريم وعمر إبراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسماعيل واستأق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة ، فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفص النساء • وقيل كان اسماعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح ، وقالت سارة لا تساكنتى فى بلد فأوحى الله تعالى الى إبراهيم أن يأتى مكة ولبس بها يومئذ نبت ، فجاء إبراهيم بابنه اسماعيل وأمه هاجر فوضعها بمكة بموضع زمزم ، فاما منى نادته هاجر يا إبراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس ؟ قال • ربي أمرنى قالت :

فانه لى يضيعنا • فلما ذهب قال : « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن »
يعنى من الحزن وقال : « رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع
عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى
اليهم » •

فلما ظمأ اسماعيل جعل يـحـض الأرض برجله فنبتت العين وهي
زمرم وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادى حين رأت
الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا : ما لزمت الا وفيه
ماء ، فجأؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك ذآنسناك والماء ماءك
قالت : نعم فكانوا معها حتى شب اسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج
امراة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده ، هم العرب المتعربة
واستأذن ابراهيم سارة أن يأتى هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن
لا ينزل • فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامراته :
أين صاحبك قالت : ليس هنا ذهب يتصيد ، وكان اسماعيل يخرج من
الحرم يتصيد ، ثم يرجع • قال ابراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت :
ليس عندى ضيافة ، وما عندى أحد فقال ابراهيم : اذا جاء زوجك
فناقريه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه وعاد ابراهيم وجاء اسماعيل
فوجد ريح أبيه ، فقال لامراته هل عندك أحد ؟ قالت : جاعنى شيخ
كذا وكذا كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك ؟ قالت : قتل اقرأى
زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوج أخرى فلبث
ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل ،
فأذنت له ، ثم بعد ذلك أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء
البيت الحرام فجعل ابراهيم بينيه واسماعيل يناوله الحجارة ، ثم لما
فرغ من البناء أمره الله تعالى أن يؤذن فى الناس بالحج ، ولم يزل
البيت على ما بناه ابراهيم الى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين
من مـولـد النبى الكريم ﷺ •

وانزلت عليه عشر صحائف وتوفى وهو ابن مائتى سنة •

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح من ولديه فقيل اسحق •

وقيل : اسماعيل عليهما السلام وهو الأصح كما قدمنا لك أدلة ذلك . ولما تزوج اسماعيل المرأة الثانية وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي ، ولدت له اثني عشر رجلا ، وعمر اسماعيل على ما قيل مائة وسبعواثلاثين سنة ، ودفن عند قبر أمه هاجر في الحجر ، ومن رُديه نابت وقيدار ، ابني اسماعيل ، نشر الله تعالى العرب وكثر ذريته ، كما قال في التوراة خطابا لهاجر : « اني سأكثر نسلك اكثارا ولا يحصى من كثرته » وفي آية أخرى من التوراة « وعلى اسماعيل استجبت لك هوذا أباركه وأكبره وأكثره كثيرا جدا . فسيلد اثني عشر رئيسا وأجعل له اشعب كبير » كما تقدم .

وأما قوله : « ان الحنيف هو الذي يعبد الصنم » الى آخره . فدعوى بلا دليل ، بل الدليل على خلافها . فقد ورد في القرآن الكريم . اطلق الحنيف على المسلم . ويؤيده : ان الجارود بن بشر من عبد القيس وهو أشرف العرب بيتا - وكان نصرانيا - وقد مع المنذر بن ساوى في وهو أشرف العرب بيتا . وكان نصرانيا فوفد مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد القيس على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة تسع أو سنة عشر ، وأسلم طوعا كجماعته . وقال شعرا :

شهدت بأن الله حق وسامحت ثبات هؤادى بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله منى رسالة : بأنى حنيف حيث كنت من الأرض

فهذا كان نصرانيا عربيا بحثا ويعرف أن الحنيف هو المسام لا عابد الصنم . وكان الجارود رضى الله تعالى عنه من أكابر النصاري ، وممن حسن اسلامه ، وصحبته ، وقد قدمنا لك في رد كلامه هذا أيضا ما تزيدك مراجعته علما فراجعه وتفطن .

وأما قوله : « فلا اظنك تستجيز في عقلك ان تدعوني الى مثل حال ابراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التي هي الحنيفية ، وان كنت تدعوني الى حاله وقت توحيده ، فاليهودى أولى بهذه

الدعوة منك » • الى آخره •

فهذا مثل قول اخوانه الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله سبحانه :
« يا أهل الكتاب لم تحتاجون في إبراهيم ؟ وما أنزلت التوراة والانجيل
الا من بعده • أفلا تعقلون ؟ ما أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ،
فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون •
ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما • وما كان
من المشركين • ان أولى الناس بإبراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » •

فقد أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما قال : أجمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فتنازعوا عنده • فقالت الأخبار ما كان إبراهيم
الا يهوديا • وقالت النصارى : ما كان إبراهيم الا نصرانيا ، غأنزل الله
تعالى فيهم هذه الآية فما في قوله تعالى : « لم » ؟ استفهامية
والغرض الانكار والتعجب ، وحذفت ألفها لما دخل الجار للفرق بينها
وبين الموصولة ، والكلام على حذف مضاف أى دين إبراهيم وشريعته ،
لأن الذوات لا مجادلة فيها • ورد الله سبحانه عليهم ادعاءهم أنه كان
يهوديا أو نصرانيا بأن التوراة نزلت على موسى بعده ، وكان بينهما
خمسائة وخمس وستون سنة وقيل سبعمائة وقيل ألف سنة ، والانجيل
على عيسى بعده ، وبينه وبين موسى عليهما السلام ألف وتسعمائة
وخمس وعشرون سنة وقيل ألفا سنة • فكيف يكون إبراهيم يهوديا
أو نصرانيا ؟ فهو قول ظاهر البطلان وليس لدينه ذكر في كتابكم ،
ولا تعرض لكونه آمن بموسى وعيسى قبل بعثتهما أصلا ولو كان الأمر
كذلك كما قيل لما أوتى موسى عليه السلام التوراة ولا عيسى عليه السلام
الانجيل ، بل كانا يؤمران بتبليغ صحف إبراهيم ، فأبراهيم عليه
السلام كان حنيفا أى مائلا عن العقائد الزائفة ، مسلما أى منقادا
لطاعة الحق أو موحدًا لأن الاسلام يرد بمعنى التوحيد أيضا • ويؤيده:
قوله تعالى : « وما كان من المشركين » أى عبدة الأصنام كالعرب الذى
كانوا يدعون أنهم على دينه أو سائر المشركين ليعم أيضا عبدة النار

كالمجوس وعبد الكواكب كالصابئة وقيل : أراد بهم اليهود والنصارى
لقول اليهود « عزير ابن الله » وقول النصارى « المسيح ابن الله »
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

فان قلت : هل يصح تفسير الاسلام هنا بالدين المسمى • كما قاله
بعضهم ؟ قلت : يرد عليه حينئذ أنه كان بعد ابراهيم بكثير ، فكيف
يكون مسلما بهذا المعنى الاصطلاحي ؟ لئلا يكون كادعائهم تهوده
وتنصره المردود بقوله تعالى : « وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من
بعده » فيرد عليه ما ورد عليهم ويشترك الالزام • وان أجاب بعض
القائلين بالمعنى الاصطلاحي : أن الالزام غير مشترك ، لأن القرآن
أخبر بأن ابراهيم كان مسلما • وليس في التوراة والانجيل أنه عليه
الصلاة والسلام كان يهوديا أو نصرانيا • فظهر الفرق •

قال الوالد عليه الرحمة في تفسيره : في الآية وجه آخر وهو أن أهل
الكتاب لما تنازعوا ، فقالت اليهود ابراهيم منا ، وقالت النصارى انه
منا ، أرادت كل طائفة أنه عليه السلام كان اذ ذاك على ما هم عليه
الآن من الحال • وهو حال مخالف لما عليه نبيهم في نفس الأمر ، موافق
له زعما على معنى موافقة الأصول للأصول والموافقة فيما بعد في
العرف موافقة ، ولو لم تكن في المعظم • فرد عليهم سبحانه بقوله :
« وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده » أي وليسا مشتملين على
ذلك • وهو من الحرى بالذكر لو كان • ثم أشار سبحانه الى ما هم
عليه من الحماقه ، ثم صرح بما أشار أولا فقال : « ما كان ابراهيم
يهوديا » أي من الطائفة اليهودية المخالفة لما جاء به موسى في نفس
الأمر « ولا نصرانيا » أي من الطائفة النصرانية المخالفة لما جاء به
عيسى عليه السلام كذلك « ولكن كان حنيفا مسلما » أي على دين
الاسلام الذي ليس عند الله دين مرضى سواه • وهو دين جميع الأنبياء
صوات الله وسلامه عليهم • وفي ذلك إشارة الى أن أولئك اليهود
والنصارى ليسوا من الدين في شيء لمخالفتهم في نفس الأمر لما عليه
النبيان بل الأنبياء ، ثم أشار الى سبب ذلك بما عرض به من قوله

سبحانه : « وما كان من المشركين » فعلى هذا يكون المراد بالمسلم
سبحانه : « وما كان من المشركين » فعلى هذا يكون المراد بالمسلم
المؤمن • ولو من غير هذه الأمة أ • ه •

وأما قوله « فاليهودى بن ابراهيم أولى بهذه الدعوة منك ،
لأنه هو صاحب تراث اسحق ، وارث هذا التوحيد عن ابراهيم أبيه »
الى آخره •

فقول صادر عن فهم سخي ، ومجادلة بالباطل ، لأنه اذا كانت هذه
الدعوة حقاً ، فكل أحد من عباد الله الموحدين ، سواء فى ذلك • على أن
العرب والنبي ﷺ سيدهم من ذرية ابراهيم من ولد ابنه اسماعيل
المبارك عليه فى التوراة فما الفرق بين ولد اسحق وولد أخيه الأكبر
اسماعيل بالدعوة الى توحيد الله تعالى ؟ فهؤلاء اليهود أولاد اسحق
أيضاً دعوكم الى التوحيد وعدم القول بالثلاثية ، ونهوكم أن تجعلوا
الآلهة ثلاثة ، فمسمعتم وكذا أولاد عمكم اسماعيل يدعونكم الى
ذلك • فما ارعويتم ، وأصررتم على هذه المقالة الشعاء ، وجعلتم المسيح
الها خالقاً للعالم ، وأكاتم لحمه الحقيقى فى الصباح والمساء •

على أن متى قال فى انجيله فى الأصحاح الخامس ما نصه : « يا ذرية
الأفاعى من دلكم على الهرب من الغضب الآتى ؟ اعملوا الآن ثمرة
تليق بالتوبة ، ولا تقولوا فى أنفسكم ان أبانا ابراهيم ، فأقول لكم :
ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة بنين لابراهيم ، فانه قد وضع
الفأس على أصول الشجر ، فكل شجرة لا تثمر ثمراً صالحاً نقتطع
وتلقى فى النار » •

فانظر يا من يدعى الانصاف كيف بين فى الانجيل أن أولاد ابراهيم
اذا لم يعملوا صالحاً يقيم بداهم غيرهم ، ويحلمهم فى النار ، فقد
أقام الله — واه سبحانه الحمد — أمة من العرب والنعجم والشرك
وغيرهم يدعون الى الرشده ويأمرون بالمعروف وينهون عن تعديد الآلهة

وعن كافة المحرمات ، فهم أولى من ولد ابراهيم الذين قتلوا الههم — بزعمك — المارقين عن كتبهم وعن الدين ، المحرفين المبديلين والمثلثين ، فأولاد ابراهيم هم النصالحون وغيرهم وإن كانوا من ذريته ، فهم المبهدون . كما قال الله تعالى : « ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا » ونحن والحمد لله سبحانه المؤمنين — الموحدون ، وأنتم المثلثون الآكلون لحم البهائم وادمه شاربسون . فانظر ما أنتم عليه وما عليه المسلمون ، وأنصف واعبد الله وحده ولا تعبد ثلاثة وتقول : « أنا وجدنا آباءنا على أمة ، وأنا على آثارهم متتدون » .

وأما لقوله : « وصاحبك يقرأ في كتابه ويقول طائعا انه قيل له « قل : أنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين » . (الأنعام ١٤) . أفلا ترى أنه أول من أظهر الاسلام وان قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين » .

اعلم : أن الاسلام في اللغة : الانقياد ، يقال أسلم اذا انقاد وصار مسلما . وفي الشرع يأتي على ضربين : أحدهما : دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه تجرى على المناطق به أحكام المسلمين الظاهرة ، حصل الاعتقاد معه أو لم يحصل ، وإياه قصد بقوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا » قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » .

والثاني : فوق الايمان . وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالمتب ووفاء بالفعل واستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدر كما ذكر عن ابراهيم عليه السلام في قوله : « اذ قال له ربه أسلم » قال : أسلمت لرب العالمين » . وقوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقوله تعالى : « توفنى مسلما » أى اجعلنى ممن استسلم لرضاك . وقوله تعالى : « ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » أى متقادون الحق مدعون له . وقوله تعالى « يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » أى للذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى

العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع • وهذه الآية تفسيرها :
أن أكون أول من أسلم وجهه لله سبحانه مخلصا له لأن النبي عليه الصلاة
والسلام مأمور بما شرعه إلا ما كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم
وهو امام أمته ومقتداهم ، وينبغي لكل أمر أن يكون هو العامل أولا
بما أمر به ليكون أدعى للاقتداء •

ومن ذلك : ما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام « سبحانه تبت
إليك وأنا أول المؤمنين » وقيل : إنما ذكر للتحريض كما يأمر الملك
رعيته بأمر ثم يقول : وأنا أول من يفعل ذلك ، ليحملهم على الاقتداء •
والأفلم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم امتناع عن ذلك ، حتى
يؤمر به ، وقوله سبحانه : « ولا تكونن من المشركين » أى فى أمر من
أمور الدين • وفى الكلام قول مقدر ، أى وقيل لى : لا تكونن •
وحاصل المعنى : أنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك •

وقال فى الفتح : « أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام أن
يقول للمشركين لما دعوه الى عبادة الأصنام : « قل أغير الله أأخذ وليا؟ »
أى كيف أأخذ غير الله تعالى معبودا ؟ ثم أمره أن يقول لهم ثانيا : انه
مأمور بأن يكون أول من أسلم وجهه لله من قومه ، وأخلص من أمته
من حيث انه مرسل لنفسه ، يعنى يجب عليه الايمان برسالة نفسه ،
وبما جاء من الشريعة والأحكام كما أنه مرسل لغيره ، وهو أول من
انقاد لهذا الدين ، أو المعنى أول فريق أسلم • وأفد الضمير فى
« أسلم » باعتبار لفظ فريق أو باعتبار لفظ من • وقيل : معنى أسلم
استسلم لأمر الله ثم نهى عز وجل أن يكون من المشركين • والمعنى :
أمرت بأن أكون أول من أسلم ونهيت عن الشرك ، أى يقول لهم ذلك •

وعند السادة الصوفية أن المراد الأمر الكونى أى قل أنى قيل لى :
كن أول من أسلم ، فكنت • وذلك قبل ظهور هذه التعيينات ، أى فى عالم
الأرواح • ولا يبعد أيضا أن يراد بأول الأول النبي أى بالنسبة الى
أمته عليه السلام ومن دعاه الى الاسلام كما أشير اليه فيما سبق •

فان قيل : قوله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتنبكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمامكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » يشعر ظاهره أن إبراهيم هو سمانا المسلمين ، مع أن قول الأكثر ان هذه التسمية غير مخصوصة بهذه الأمة •

قننا : ذال المفسرون : الضمير في الآية عائد الى الله تعالى كما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد والضحاك وقتادة وسعيدان ويدل عليه قراءة أبى « الله سمامكم المسلمين من قبل » أى من قبل نزول القرآن • وذلك في الكتب السماوية كاللورا والانجيل الصحيحين • وقيل : الضمير عائد الى إبراهيم لقربه وتسميته اياهم بذلك من قبل في قوله « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » •

واذا علمت : جميع ما تقدم من معانى الاسلام وما يراد به على اختلاف موارد ، تبين لك كذب ما ادعاه هذا النصرانى من كفر إبراهيم عليه السلام وعبادته للأصنام قبل بعثته ، ولم يأت بدليل على ذلك • ومن أين علم أن الحنيفية كانت تطلق على عبادة الأصنام ؟ فها ، هذا الا تحكم وبهتان ، مع أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها • لكن النصارى كاخوانهم اليهود يجرثون الكلم ، وينسبون الأنبياء عليهم السلام الى عبادة الأصنام والكفر بعد النبوة أيضا • كما رووا في اللورا في حق سليمان أنه عمل الأصنام لزواجه فعبدها — كما سيأتى تفصيل ذلك في محله أن شاء الله تعالى — واتضح لك كفاق الصبح أن الاسلام يأتى في القرآن في المعنى اللغوى في بعض الآيات الكريمة ، ويأتى في بعضها بالمعنى العرفى الشرعى ، فلا تناقض في الآيات ولا تدافع في الكلمات • ولكل مقام مقال ، ولكل لفظ معنى يناسبه الحال ، عند من أنصف وترك باطل الجidal • وبالله سبحانه التوفيق ونعوذ بالله من الغواية والضلال •



قال النصرانى : « فان أبيت أصلحك الله الا الوكالة بالخصومة

والاحتجاج عن اليهود ، فأنت تعلم ما يجب لنا عليك في المحكم اذا نحن طالبناك باقرار اليهودى بتوكيله اياك . فان ثبتت وكالتك له فبتمهلنا عليك ومسامحتنا لك في هذا الموضع أن نأخذ منك اقرارك انك قد أقمت نفسك ونصبته منصب الخصم عن اليهود .

وانا لا أرى لشرفك وحسبك أن أهلك هذا المحل ، وأقيمك هذا المتنام ، وان كنت أنت أحلت نفسه ، وانى أسألك عن هذا الواحد الذى دعوتنا الى الاقرار بوحدايته ، كيف تفهمنا أنه واحد ؟ وعلى كم نحو يقال للواحد واحدا ؟ فإذا أنبأتنا بذلك عمّلنا أنك صادق فيما ادعيت من عبادة هذا الواحد ، وان ألفيت غير عالم ، فأين تبصر ؟ ألا تعلم أن الواحد لا يقال واحدا الا على ثلاثة أوجه ، اما فى الجنس واما فى النوع واما فى العدد . ولست أرى أحدا يدعى غير هذا أو يقدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة ان كان ذا اب وادراك لما يقول . وانما أناجيك بهذه المناجات وأخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأى الراسخ فى العظم الداخل فى الأمور بدراية وفهم لأنك — أيدك الله — لست عندى من الجهال الذين اذا أوردت عليهم مسألة غامضة تطف عن غلظ طباعهم وجفاء أذهانهم ، عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لقلة علمهم ، فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله .

نعم سبحان الله أبدا حتى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة فعلى أى وجه تصف الله جل وعز واحدا من هذه الوجوه التى ذكرتها لك ؟ فى الجنس أم فى النوع أم فى العدد ؟ فان قلت : انه واحد فى الجنس صار عاما لأنواع شتى ، لأن حكم الواحد فى الجنس هو الذى يضم أنواعا كثيرة مختلفة ، وذلك مما لا يجوز فى الله تعالى . وان قلت : انه واحد فى النوع صار ذلك نوعا عاما لأنواع شتى لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة فى العدد . **وان قلت :** انه واحد فى العدد ، كان ذلك نقضا لكلامك انه واحد فرد صمد لأنى لا أشك فى أنه او سألك سائل عن نفسك فقال لك :

كم أنت لا تقدر أن تجيبه بأنك واحد فرد ؟ فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تفضل الهك عن سائر خلقه ؟ وليتك مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضا بالتبعيض ، أترك لا تعلم أنت الرجل الذي فتشت الكتب وقرأتها وناظرت أهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم أن الواحد الفرد بعض العدد ، لأن كمال العدد ما عم جميع أنواع العدد فالواحد بعض العدد • وهذا نقض لكلامك •

فان قلت : انه واحد في النوع • فللنوع ذوات شتى لا واحد فرد • وان قلت : واحد في الجوهر وجب أن نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد ، وانما تعنى واحدا في النوع واحدا في العدد لأنه عام ؟

فان قلت : قد تخالف هذه تلك ، قلنا لك : حد الواحد في النوع عند أهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق : اسم يعم أفرادا شتى وواحد الواحد ما لا يعم غير نفسه ، أفمقرر أنت أن الله واحد في الجوهر يعم أشخاصا شتى أو انما تصفه شخصا واحدا ؟ وان كان معنى قولك بأنه واحد في النوع واحد في العدد ، فانك لم تعرف الواحد في النوع ما هو ؟ وكيف هو ؟ ورجعت الى كلامك الأول انه واحد في العدد ، وهذه صفة المخلوقين كما قدمنا آنفا •

وان قلت : هل تقدر أنت أن تصف الله واحدا في العدد اذا كان كزعمك الواحد في العدد بعضا وليس بكامل ؟ قلنا لك : اننا نوصفه واحدا كاملا في الجوهر مثاثا في العدد ، أي في الأقسام الثلاثة فقد كملت صفته من الوجهين جميعا • اما وصفنا إياه واحدا في الجوهر فلاعتلائه جل وعز عن جميع خلقه وبريته محسوسة كانت أو غير محسوسة ، لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف ، وروحاني غير جسماني أب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب • وأما في العدد فلأنه عام لجميع أنواع العدد ، لأن العدد لا يعدو أن تكن أنواعه نوعين زوجا وفردا فتدخل هذان

النوعان في هذه الثلاثة ، فبأى الأنحاء وصفناه ، لم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك ، لنعلم أنا وصفنا الله واحداً ليس على ما وصفته أنت — أكرمك الله — وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعاً لك ، وللناظر في كتابنا هذا اذا نظر بعين الانصاف ان شاء الله .

واعلم أصلحك الله : أنه كان يمكننا أن نعقد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع ، لكننا أجبننا أن يكون كلامنا سهلاً يفهمه كل من قرأه واستملاً منه ، وكى لا تستثقله الأسماع وينفر منه الذهن ، وينبغي لك — أصلحك الله — أن تعلم أن مناظرتنا في هذا الأمر كمنافسة الأخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن أبيهم ، فكل فيها مشترك ليس بعضهم فيها دون بعض ، فأنت ونحن في الكلام سواء ، فما جاء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب الحق ، فينبغي لك أن تعترف به ولا تنكره ، فانا لا ندع الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى في الذب عن حقنا ودحض حجة من أراد إبطال حجتنا وأمرنا وحاول ظلمنا » .



أقول : لا يخفى التناقض والتهافت وعدم الارتباط والتلبس في كلام هذا النصراني ، على كل ذى لب وعقل . فانه قد رد بكلامه هذا على ما ذكره المسلم الموحد في رسالته له من قوله : « أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له كفوا أحد » وهى الصفة التى وصف نفسه جل وعز بها ، اذ كان ليس أحد من خلقه أعلم به من نفسه ، فدعونا الى عبادة هذا الاله الواحد الذى هذه صفته » .

فالمسلم الموحد ما أراد من الواحد الأحد الا ما ذكره النعوين والعلماء العارفون من معانيها التى نذكرها لك قريباً ان شاء الله تعالى . والنصراني تهافت كلامه وتناقض حيث بين بعض معانى الواحد : وردّها واختار أن الواحد هو الكامل في الجوهر المثلث في العدد ، أى في الأقسام الثلاثة ، فأى تناقض أعظم من هذا ؟ اذ كيف يكون واحداً

وهي ثلاثة أقانيم ؟ فأين الوحدة الحقيقية ؟ وأين ننزيه الربوبية عن
عن مشابهة المخلوقين ، في الوحدة التي اخترعها من عنده ، واختلقها
من تلقاء نفسه وتناقض باثباتها تناقضاً لا يخفى على الأطفال أو ربات
الحجال ؟

فاستمع ما قاله العلماء واللغويون ليزول ما أورده من الاشكال
قال : « الراغب في مفرداته : » الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء
له البتة ، ثم يطلق على كل موجود ، حتى انه ما من عدد الا ويصح
وصفه به ، فيقال : عشرة واحدة ومائة واحدة • فالواحد لفظ مشترك
يستعمل على ستة أوجه :

الأول : ما كان واحداً في الجنس أو في النوع كقولنا : الانسان
والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع •
الثاني : ما كان واحداً بالاتصال ، اما من حيث الخلقة كقولك شخص
واحد واما من حيث الصناعة كقولك حزمة واحدة •

الثالث : ما كان واحداً لعدم نظيره ، اما في الخلقة كقولك الشمس
واحدة ، واما في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره كقولك نسيج
وحده •

الرابع : ما كان واحداً ، لامتناع التجزئ فيه ، اما الصغرة
كالجباء واما لصلابته كالإلماس •

الخامس : للمبدأ اما لمبدء العدد كقولك واحد اثنان ، واما لمبدء
الخط كقولك النقطة واحدة • والوحدة في كلها عارضة ، واذا وصف الله
سبحانه وتعالى بالواحد فمعناه هو الذي لا يصح عليه التجزئ
ولا التكثر ، ولصعوبة هذه الوحدة قال عز وجل « واذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » والواحد المفرد ، ويوصف
به غير الله تعالى والواحد مطلقاً لا يوصف به غير الله تعالى •

وقال ابن الأثير في النهاية : « الواحد في أسماء الله تعالى هو الفرد
الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر قال الأزهرى : الفرق بين الواحد

والأحد : أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد ، تقول : ما جاءنى
أحد ، والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول : جاءنى واحد من القوم ،
ولا تقول جاءنى أحد . فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير ،
والأحد منفرد بالمعنى . وقيل : الواحد هو الذى لا يتجزئ ولا يثنى
ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الموضعين
إلا الله تعالى .

قال العلامة سيف الدين أبو الحسن على الأمدى فى كتابه أبحار
الأفكار بعد أن أورد بعض المعانى للواحد واعتراضا لها . ما نصه :
« مسمى الواحد إما أن يكون غير منقسم أو هو منقسم ، فإن كان غير
منقسم فإما أن يكون قابلا للانقسام أولا . فإن كان غير قابل للانقسام
فهو الواحد بالعدد مطلقا ، كالجوهر الفرد ، وإن كان قابلا للانقسام
فأجزاؤه إما متشابهة أو غير متشابهة ، فإن كان الأول فهو الواحد
بالاتصال ، كالماء المتصل الأجزاء ، وإن كان الثانى فيسمى الواحد
بالتركيب كالواحد من الحيوانات والنبات ، وإما أن يكون منقسما
بالفعل ، فلا بد أن تشترك أعدادة فى معنى كلى يصح إطلاق اسم
الواحد عليها باعتباره . وإلا فلا معنى لإطلاق الواحد عليها . وعلى
حسب انقسام ذلك الكلى المشترك ، يكون أقسام هذا الواحد . فإن
كان الكلى المشترك جنسا قيل لما تحته من الأنواع إنها واحدة بالجنس ،
كالإنسان والفرس بالنسبة إلى الحيوان . غير أن ما كان واحدا
بالجنس فهو كثير بالنوع وإن كان الكلى المشترك نوعا قيل للأعداد
الداخلية إنها واحدة بالنوع كزبد وعمره بالنسبة إلى الإنسان . وإن
كان الكلى المشترك عرضا قيل لما تحته من الأعداد : إنها واحدة
بالعرض . ومن لواحق هذه الأقسام المجانسة . وهى الاتصاف فى
الجنسية والمساكلة ، وهى الاتحاد فى النوعية والمثابرة ، وهى الاتحاد
فى الكيفية والمساواة ، وهى الاتحاد فى الكمية والموازاة ، وهى الاتحاد
فى الوضع .

وعلى هذا فما كان واحدا بالعدد ، فقد يتفق أن يكون واحدا بمعنى

عدم النظر والشبيه — على ما تقدم — والبارى تعالى واحد بكل الاعتبارين • أما أنه واحد بالعدد ، فعلى ما تقدم • وأما أنه واحد بالاعتبار الثانى ، فلما قامت عليه الأدلة من عدم وجود الهين ، لكل واحد منهما صفات الالهية ما للاخر « الى أن قال :

« وأما التوحيد فقد يطلق بالاشتراك على التفريق بين الشئيين بعد سادته ، وقد يطلق على الاثنيان بالفعل الواحد مفردا ، وقد يطلق ويراد به اعتقاد الوجدانية لله تعالى • وهذا هو المقصود من إطلاق لفظ التوحيد فى عرف المتكلمين ، وربما أطلق على الأخبار عن التوحيد وإن جهل أخبار المخر » •

قلت والتوحيد عند العلماء السلفيين ثلاثة أقسام توحيد الربوبية ، وهو أنه لا خالق ولا رازق ولا محيى ولا مميت ألا هو • وتوحيد الألوهية وهو افراده سبحانه بالعبادة والتأله له والخضوع والحب والتوجه • وتوحيد الصفات وهو أن بصفه بما وصف به نفسه من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل • ولا بد للمؤمن أن يوحد الربوبية والألوهية كما هو مفصل فى محله •

وقال الواجد تغمده الله تعالى بفقرانه فى تفسيره : « الأحد : قالوا همزته مبدلة من الواو ، وأصله وحد ، وابدال الواو المفتوحة همزة قليل • ومنه قولهم : امرأة أناة يريدون وفاة ، لأنه من الونى وهو الفتور وهذا بخلاف أحد الذى يلزم النفى ونحوه : ويراد به العموم • كما فى قوله تعالى : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » وقوله تعالى « هل تحس منهم من أحد » وقوله سبحانه : « فلا تدع مع الله أحدا » وقوله عز وجل : « وإن أحد من المشركين استجارك » فإن همزته أصلية ، وقيل الهمزة فيه أصلية كالهمزة فى الآخر •

والفرق بينهما : قال الراغب : أن المختص بالنفى منهما لاستغراق جنس الناطقين ، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق ، نحو ما فى الدار أحد ، أى لا واحد ولا اثنان فصاعدا ، لا مجتمعين

• ولا مفترقين • ولهذا لم يصح استعماله في الاثبات ، لأن نفي المتضادين يصح ولا يصح اثباتهما • فلو قيل في الدار أحد لكان فيه اثبات واحد منفرد مع اثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين وذلك ظاهر الاحالة • ولتناول ذلك ما فوق الواحد يصح أن يقال : ما من أحد فاضلين • وعليه الآية المذكورة آنفا • والمستعمل في الاثبات على ثلاثة أوجه •

الأول : أن يضم الى العشرات نحو أحد عشر ، وأحد وعشرون •

والثاني : أن يستعمل مضافا أو مضافا اليه بمعنى الأول كما في قوله تعالى : « **أما أحدكما فيستقى ربه خمرا** » وقولهم : يوم الأحد أى يوم الأول •

والثالث : أن يستعمل مطلقا وصفا ، وليس ذلك الا في وصف الله تعالى • وهو وإن كان أصله وحدا الا أن وحدا يستعمل في غيره سبحانه نحو قول النابغة :

كان رحلى وقد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحد
انتهى •

وقال مكى : أصل أحد وحد فأبدلوا الواو همزة • فاجتمع الفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت احداهما نخفيها • وفرق « ثعلب » بين أحد وواحد بأن أحد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ، ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد • ولذلك اختص به سبحانه وتعالى • وفرق بعضهم بينهما أيضا بأن الأحد في النفي نص في العموم بخلاف الواحد ، فانه محتمل للعموم وغيره ، فيقال : ما في الدار أحد • ولا يقال بل اثنان • ويجوز أن يقال : ما في الدار واحد بل اثنان :

ونقل عن بعض الحنفية أنه قال في التفرقة بينهما : أن الأحادية لا تحتمل الجزئية والعديدية بحال ، والواحدية تحتملها ، لأنه يقال : مائة واحدة وألف واحد ولا يقال مائة أحد ولا ألف أحد • وبنى على ذلك مسألة الامام محمد بن الحسن التي ذكرها في الجامع الكبير ،

إذا كان لرجل أربع نسوة فقال : والله لا أقرب واحدة منكن صار مولية منهن جميعا ، ولم يجز أن يقرب واحدة منهن الا بكفارة • ولو قال : والله لا أقرب احداكن لم يصير موليا الا من احداهن ، والبيان اليه وفرق الامام الخطابي : أن الأحدية لتفرد الذات ، والواحدية لنفي المشاركة في الصفات • ونقل عن المحققين • التفرقة بعكس ذلك • ولما لم ينفك في شأنه تعالى أحد الأمرين من الآخر ، قيل : الواحد الأحد في حكم اسم واحد ، وفسر الأحد هنا ابن عباس رضي الله عنه وأبو عبيدة رضي الله عنه بالواحد • وقال : بعض الأجلة : أن الواحد مقول على ماتحته بالتشكيك ، فالمرآة به هنا حيث أطلق بالمتصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أكمل ، فهو ما يكون منزله الذات عن أنحاء التركيب والتعدد ، خارجا وزهنا • وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للؤلؤية وهو مأخوذ من كلام أبي علي بن سينا في تفسيره السورة الجليلة حيث قال : ان أحدا دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجوه ، وأنه لا كثرة هناك أصلا • لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والأجناس والفصول ، وكثرة الأجزاء الخارجية التمايزة عقلا كما في المادة والصورة ، والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم • وذلك يتضمن لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأعضاء والأعضاء اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه شيء •

وقال ابن عقيل الحنبلي : « الذي يصح لنا من القول مع اثبات الصفات أنه تعالى واحد في الهيئته لا غير » وقال غيره من السلفيين كالحافظ ابن رجب : « هو سبحانه الواحد في الهيئته وربوبيته ، فلا معبود ولا رب سواه عز وجل » واختار بعد وصفه تعالى بما ورد له سبحانه من الصفات « أن المراد الواحدية الكاملة • وذلك على وجهين :

يكون الضمير الذى فى قوله تعالى : « قل هو الله أحد » للشأن وكونه
المستؤول عنه ، ولا يصح أن يراد الواحد بالعدد أصلا ، اذ يخلو الكلام
عليه من الفائدة •

ونقل الامام البيهقى عن الحلیمی : أن الأحد هو الذى لاشييه له
ولا نظير ، كما أن الواحد هو الحى الذى لا شريك له ولا عديد • ولهذا
سمى الله عز وجل نفسه بهذا الاسم لما وصف نفسه بأنه لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد • فكان قوله عز وجل « لم يلد ولم
يولد » من تفسير قوله أحد ، والمعنى لم يتفرع عنه شيء ولا يتفرع
هو عن شيء كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه ويتفرع عنهما الولد ، فاذا
كان كذلك كما يدعوه المشركون لها من دونه لا يجوز أن يكون الها
اذ كانت أمارات الحدوث من التجزىء والتناهى قائمة فيه لازمة له ،
والبارى سبحانه لا يتجزىء ولا يتناهى ، فهو اذن غير مشبه ابـه
ولا مشارك له فى صفته •

وفى الصحيح قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل كذبى بن
آدم ولم ينبغ له أن يكذبنى ، وشتمنى ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمنى ،
فأما تكذيبه آيائى ، فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول خلقه
بأهون على من أعادته ، وأما شتمه آيائى فقوله اتخذ الله ولدا • وأنا
الله الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد •

والصمد : قال ابن الانبارى : لا خلاف بين أهل اللغة انه السيد
الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمد اليه الناس فى حوائجهم وأموالهم •
وقال الزجاج هو الذى ينتهى اليه السؤدد ويصمد اليه أى يقصده كل
شيء • وعن ابن عباس هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والشريف
الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته والحليم الذى
قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل
فى حكمته ، وهو الذى قد كمل أنواع الشرف والسؤدد • وعن أبى هريرة :
هو المستغنى عن كل أحد ، المحتاج اليه كل أحد • وعن ابن جبير هو

الكامل في جميع صفاته وأفعاله • وعن الربيع : هو الذى لا تغترية الآفات وعن مقاتل هو الذى لا عيب فيه • وعن فتادة هو الباقي بعد خلقه • وعن بريدة مرفوعا : الصمد الذى لا جوف له • وقيل هو الذى ليس له أحشاء • وقيل هو الذى لا يطعم • وعن الشعبي هو الذى لا يأكل ولا يشرب • وعن طائفة منهم أبى بن كعب والربيع بن أنس أنه الذى لم يلد ولم يولد كأنهم جعلوا ما بعده تفسيرا له ، لأن المشركين قالوا : يا محمد أنسب لنا ربك • فأنزل الله عز وجل « قل هو الله أحد » الى آخر السورة ، لأنه ليس شيء مولود الا سيموت ، وليس شيء يموت الا سيورث ، وأنه تبارك وتعالى لا يموت ولا يورث « ولم يكن له كفوا أحد » لم يكن له شبه ولا عدل « ليس كمثله شيء » قال الوالد عليه الرحمة : « ونفى الولادة عنه سبحانه لأن الولادة تقتضى انفصال مادة منه سبحانه ، وذلك يقتضى التركيب المنافي للصمدية والأحادية ولأن الولد من جنس أبيه • ولا بجانسه تعالى أحد لأنه سبحانه واجب وهو سبحانه دائم باق غير محتاج الى شيء من ذلك • ونفى المولودية عنه سبحانه لاقتضاءها المادة ، فيلزم التركيب المنافي للنعاء المطلق والأحادية الحقيقية ، أو لاقتضاءها سبق العدم ، ولو بالذات ، أو لاقتضاءها المجانسة المستحيلة على واجب الوجود •

وقدم نفى الولادة لأنه الأهم لان طائفة من الكفار توهموا خلافه بخلاف نفى المولودية أو لكثرة متوهمى خلاف الأول دون خلاف الثانى ، بناء على أن النصارى يلزمهم بواسطة دعوى الاتحاد ، القول بالولادة والمولودية فيمن يعتقدونه الها • وذلك على ما تضمنته كتبهم أنهم يقولون آلاب هو الأقنوم الأول من الثلاث ، والابن هو الثانى الصادر منه صدورا أزليا مساويا بالأزلية له ، وروح القدس هو الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الالهية واحدة • وهى لكل من الثلاثة ، وكل منها متحد معها • ومع ذلك هم ثلاثة جواهر لا جوهر واحد ، فالآب ليس هو الابن والابن ليس هو الآب وروح القدس ليس هو الآب ولا الابن • وهما ليسا روح القدس • ومع ذاهم آله واحد ، اذ لهم لاهوت واحد

وطبيعية واحدة وجوهر واحد وكل منهم متحد مع اللاهوت ، وان كان بينهم تمايز ، والأول هو الوجود الواجب الجوهرى ، والثانى هو العقل الجوهرى ، ويقال له العلم ، والثالث هو الإرادة الجوهرية ، ويقال لها المحبة • فالله ثلاثة أقانيم جوهرية ، وهى على تمايزها تمايزا حقيقية • وقد يطلقون عليه أضافيا أى باضافة بعضها الى بعض جوهر وطبيعة واحدة هو الله ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه غير ذاته • ويقولون : ان فيه — تعالى — عما يقولون — أربع اضافات :

اولها : فاعلية العقل فى الأقسام الأول •

وثانيها : مفعولية العقل فى القسم الثانى الذى هو صورة عقل الآب

ثالثها : فاعلية الانبثاق فى الأقسام الأول والثانى ، اللذين هما الإرادة

رابعتها : مفعولية هذا الانبثاق فى القسم الثالث الذى هو حب الإرادة الالهية التى للأقسام الأول والثانى •

وزعموا أن التعبير فى الفاعلية والمفعولية فى الأقانيم الالهية على سبيل التوسع ، وليست الفاعلية فى الآب نحو الابن الا الأبوة وغيه وفى الابن ، نحو روح القدس ليست الا بدء صدوره منهما • وليست المفعولية فى الابن وروح القدس الا البنوة فى الابن والابتنان فى الروح ، ويقولون كل ذلك مما يجب الايمان به • وان كان فوق الطور البشرى • ويزعمون أن ذلك الأقانيم أسماء تفرها من الحوارين فالأقسام الأول فى الطبع الالهى يدعى ابا • والثانى ابنا وكلمة وتوحيد حكمه ونورا وضياء وشعاعا • والثالث روح القدس ويدعى معزيا وهو معنى قولهم باليونانية « فارقليط » وقالوا فى بيان وجه اطلاقات ذلك أن : الأقسام الأول بمنزلة ينبوع ومبدأ على الأقسام الثانى الصادر عنه بفعل يقتضى شبه فاعله • وهو فعل العقل الطبيعية وجوهره كله حتى أن الأقسام الثانى الذى هو صورة الأول الجوهرية الالهية مساو له كمال المساواة • وحد الايلاد وهو صدور حى من حى بالة

ومبدأً مقارنةً يقتضى شبه طبيعته • وهنا كذلك بل أبلغ لأن الثاني .
الطبيعة الالهية نفسها فلا يدع اذا سمي الأول آبا والثاني ابنا •

وانما قيل للثاني كلمة لأن الايلاد ليس على نحو ، ايلاد الحيوان
والنبات ، بل بفعل العقل أى بتصور الآب لاهوته وفهمه ذاته ، ولاشك
أن تلك الصورة كلمة لأنها مفهومية العقل ونطقه وقيل لها حكمة لأنه
كان مولودا من الآب بفعل عقله الالهى الذى هو حكمته ، وقيل له نورا
وشعاعا وضياء لأنه حيث كان حكمة كان به معرفة حقائق الأشياء
وانكشافها كالمذكورات •

وقيل للثالث روح القدس لأنه صادر من الآب والابن بفعل الارادة .
الذى هى واحدة للآب ، والابن منبثق منهما بفعل هو كهيجان الارادة .
بالحب نحو محبوبها فهو حب الله ، والله نفسه هو الروح الصريف ،
والقدس عينه ، ولكل من الأول والثانى وجه لأن يدعى روحا لمكان
الاتحاد • لكن لما دعى الاول باسم يدل على رتبته وازداده الى
الثانى والثالث ، كذلك اختص الثالث بالاسم المشاع ولم يدع ابنا ،
وان كان له طبيعة الآب وجوهره كالابن ، لأنه لم يصدر من الآب بفعل
يقتضى شبه فاعله ، يعنى بفعل العقل بل صدر منه بفعل الارادة فالثانى
من الأول كهابيل من آدم والثالث كحواء منه ، والكل حقيقة واحدة ،
لكن يقال لهابيل ابن ولا يقال لها بنت ، وقيل له معزى لأنه كان عتيذا
لأن يأتى الحواريين فيعزيهم لفقد المسيح عليه السلام •

وأما الفاعلية والمفعولية فلأنهما غير موجودين حقيقة والأبوة
والابنوة ههنا لا تقتضيهما كما فى المحدثات • ولذا لا يقال هنا للآب علة
وسبب لابنه ، وان قيل هناك فالثلاثة متساوية فى الجوهر والذات .
واستحقاق العبادة والفضل من كل وجه •

ثم أنهم زعموا تجسد الأئنونم الثانى وهو الكلمة واتحاده بأشرف
أجزاء البتول من الأدم بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام .

المركب من الناسوت والكلمة ، والكلمة مع اتحادها لم تخرج عن بساطتها ولم تتغير ، لأنها الحق الذى ينتهى اليه الاتحاد ، فلا مانع من جهتها من الاتحاد ، وكذا لا مانع في جانب الناسوت منه ، فلا ينغاصى على الله تعالى شئ .

وزعموا أن المسيح عليه السلام كان الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيئتين قائمتين بأقنوم الهى ، وهو أقنوم الكلمة ، ومن ثم تحمل عليه الصفات الالهية والبشرية معا لكن من حيثيتين ثم انهم زادوا في التطبور رنة ، وقالوا ان المسيح أطعم يوما الحواريين خبزا وسقاهم خمرا وقال أكلتم لحمى وشربتم دمنى ، فاتحدتم معى ، وأنا متحد مع الآب الى رنات أخر ، هى أشهر من أن تذكر .

ويعلم مما ذكرنا أنه لا فرق عندهم بين أن يقال ان الله تعالى هو المسيح ، وبين أن يقال ان المسيح ابنه وبين أن يقال انه سبحانه ثالث ثلاثة . ولذا جاء في التنزيل كل من هذه الأقوال منسوبة اليهم ، ولا حاجة الى جعل كل قول لقوم منهم ، كما قال غير واحد من المفسرين والمتكلمين .

ثم لا يخفى منافاة ما ذكره للأحدية والصمدية . وقولهم ان الأقانيم مع كونها ثلاث جواهر متميزة تمايزا حقيقيا جوهر واحد لبداهة بطلانه لا يسمن ولا يغنى . وما يذكرونه من المثال لا يوضح ذلك فهو عن الايضاح بمعزل ، وبعيد عن المقصود بالف ألف منزل « أ. هـ .

وسنقف ان شاء الله تعالى في كتابنا هذا على متصل رد عقائددهم الزائفة التى ينقلها عنهم المتكلمون ، والتى يذكرها النصارى في كتبهم ، وينتحلونها مذهباً لهم ، التى يذكرها هذا النصرانى عبد المسيح ببيان رجيح ، وقول معقول صحيح ، بحول الله تعالى وفوته وقد تبين لك مما تقدم معنى الواحد على ما قاله اللغويون ، وبطلان ما ادعاه النصرانى من معنى الواحد للتناقض ، حيث زعم أن الله سبحانه واحد بالجواهر ماث بالأقانيم ، فهل هذا الا تناقض وتهافت لا يقنع الأطفال

فضلا عن كمل الرجال ؟ فنسأله سبحانه لحفظ من وساوس الشيطان ،
والسلوك في مسالك أولياء الرحمن ، انه الكريم الخن •



قال النصراني : « وأما قواك انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد • فان أنت أبناك الله أنصفتنا والانصاف أشبه بك وأولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول وألزمنا قانون الحق ، أقررت بي بهذا أن الذي ألزمه أن له خليلا وله حبيبا وله صفيا هو الذي شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولدا ، وكان له أكفاء • وأما نحن — أصلحك الله — فلا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا أنه اتخذ ولدا ، ولا أنه كن له كفوا أحد ، ولا تصف الله عز وجل بمثل هذه الرذائل والخصائص من صفات التشبيه ، وإنما هذه شبهات لكم من قبل اليهود ، حيث أرادوا كيدهم بذلك • فلفقوا هذه القصص التي يتصونها على ظهر الطريق وفي الشوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام • والا فأنت تعلم اذ كنت ذا علم بالكتب أن ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكرا فنتقبله عقولنا ، أو نتكلم به ، وإنما هو كتابك الذي أكثر التشنيع علينا ، وادعى على المسيح سيدنا محيي البشر الدعاوى التي لم يقلها قط ، مما أكره تطويل كتابي به ، وتعريف القصة في تناقضه والأخبار بأسبابه ، وكيف كان ذلك من حلية وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المشرف بالأخبار ، أولاد اليهود وكيدهم ونعتهم ، وكيف احتالوا في ادخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم ، وان فحصت عن ذلك في كتابك عرفت حقيقته » •

أقول : لا يفيد عبد المسيح انكاره هنا قولهم بالصاحبة واتخاذ الولد له سبحانه وتستتره عن ذلك بهذه الكلمات المبهجة المستوقية ، لما عامت من أقواله المتقدمة والمتأخرة وأقوال أمثاله من النصراني الطافحة كتبهم بذكر الآب والابن وروح القدس ، وأن الله واحد ثلاثة وثلاثة واحد ، وأن عيسى اله تولد من مريم من جوهر أبيه ، وأنه هو الله سبحانه ،

حتى خاطبها النصارى فى صلواتهم بألفاظ مطبوعة فى كتبهم من جملة صلواتهم التى يسمونها صلاة العذراء منها قولهم : يا خطيبة الله ، يا أم الله ، يا زوجة الله كما ستسمعه ان شاء الله تعالى مفصلا فى كتابنا هذا •

ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب ميزان الحق فى كتابه المذكور المطوع المنشور ما نصه : « ثم اننا من الآيات التى أوردناها أعلاه نتحقق أيضا أن تسمية المسيح باله وبابن الله لا تطلق عليه على سبيل المجاز تعظيما واجلالا له بل على وجه الحقيقة بناء على ألوهيته ، اد كان متحدا بالله حقا بل هو الله لا محالة » •

وستنتكم ان شاء الله تعالى على هذه الكلمات المزيفة بعد أن نذكر لك حال هؤلاء الأئمة الثلاثة الأعلام المطلقين على العهد القديم والجديد والكتاب المبين المنزل من العلام :

فأما عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه فقد روت أئمتنا الحفاظ النقاد الصادقون المعدلون المطلعون المثبتون لأحوال الصحابة والتابعين وغيرهما من غير محاباة فى شأنهم ولا كتم لصحيح سيرتهم وأمرهم ، أنه ابن الحارث الاسرائيلى، ثم الأنصارى، يكنى أبا يوسف وهو من ولد يوسف بن يعقوب — عليهما السلام — كان حليفا للأنصار ، وكان اسمه فى الجاهلية الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله • وهو أحد الأخبار أسلم طوعا حبا فى الاسلام اذ قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة ، روى الامام أبو عبد الله محمد البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قبل رسول الله ﷺ الى المدينة فقبل جاء نبي الله فاستشرفوا ينظرون اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترق لهم منه ، فجعل أن يضع التى يخرف لهم فيها فجاء وهى معه ، فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع الى أهله فلما خلا نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقا ، أنك جئت بالحق ، ولقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعالمهم وابن أعلمهم • فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فانهم أن يعلموا

أنى أسلمت قالوا فى ما ليس فى ، فأرسل نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق ، أسلموا قالوا : ما نعلمه فأعادها عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك ، قال أى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال : أفرايتم أن أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم ، فقال يا ابن سلام أخرج عليهم ، فخرج اليهم ، فقال يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا اله الا هو انكم تعلمون أنه رسول الله حقا ، وأنه جئنا بالحق • فقالوا كذبت فأخرجهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

وفى صحيح البخارى أيضا : من حديث حميد عن أنس رضى الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى أرض له فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزل الولد الى أبيه أو الى أمه ؟ قال : أخبرنى بها جبرئيل أنفا قال : جبرئيل ؟ قال : نعم قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، ثم قرأ هذه الآية « من كان عدوا للجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله » ثم قال : أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على على الناس من المشرق الى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع ، فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، ان اليهود قوم بهت ، وانهم ان يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتوني ، فجاءت اليهود اليه ، فقال أى رجل فيكم عبد الله ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال : أرايتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا : أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله • فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله • قالوا شربنا وابن شربنا وانتقصوه قال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله • وقال ابن القيم وفى رواية ابن اسحق

قال : كان من حديث عبد الله حين أسلم ، وكان خبرا عاما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفت سفته واسمه وهيئته • والذي كنا فتولف له ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ، فلما قدم نزل معنا في بنى عمرو بن عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخل لى أعمن فيها • وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبر ر بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبرت ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زاد يعنى ان فعلت هذا • قال قلت لها : أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، فتالت : يا ابن أخى أهو النبي الذى كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم • قالت فذاك اذن •

قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت الى أهل بيتى ، فأمرتهم فأسلموا وكثمت اسلامى من اليهود • ثم ذكر قول اليهود السابق فى الرواية الأولى ثم قال : فأظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمتى ابنة الحارث فحسن اسلامها • وفى مسند الامام أحمد وغيره قال عبد الله بن سلام خرجت فى جماعة من أهل المدينة لنتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حين دخوله المدينة ، فنظرت اليه وتأملت وجهه ، فعلمت أنه ليس بوجه كذاب • فكان أول شىء سمعته منه : « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وشهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة •

وروى أبو ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لعبد الله بن سلام انه عاشر عشرة فى الجنة قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : هو حديث (م ٩ — الجواب الفسيح)

حسن الاسناد صحيح ، وشهد مع عمر رضى الله عنه فتح بيت المقدس •
والجابية وذكره أبو عوانة في البدرين وشهد الخندق فما بعدها •
وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين رضى الله تعالى عنه •

وأما كعب الأحبار والأفصح الحبر ، فهو التابعى الجليل ابن مانع الحميرى ، كان أعام علماء أهل الكتاب ، أسلم في خلافة أنى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه متفق على حفظه وموثوقيته ، وصحة روايته •

وروى العلامة ابن القيم في هداية الحيارى عن سعيد بن عبد الرحمن المعافى عن أبيه أن كعباً رأى حبر اليهود يبيى • فقال : ما يبيكى ؟ فقال ذكر بعض الأمر فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أنكاك لتصدقنى ؟ قال : نعم ، قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : ربى انى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فاجعلهم أمتى : قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • قال كعب : فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب انى أجد أمة هم الحمادون ، رعاة الشمس الحكمون اذا أرادوا أمراً قلوا نفعله ان شاء الله تعالى ، فاجعلهم أمتى : قال : هم أمة محمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم ، قال كعب أنشدك الله أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله ، واذا هبط حمد الله • الصعيد طهورهم ، والأرض لهم مسجد ، حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غرا محجلين من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتى • قال هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • قال كعب : فأنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب انى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب ، واصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخيريات ، فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى • قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر نعم : قال كعب : أنشدك الله أتجد في كتاب الله أن موسى نظر في التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم في صدورهم ، يصفون في صلواتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل ، لا يدخل النار منهم أحد الا من برىء من الحسنات ، مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر • قال موسى : فاجعلهم أمتى • قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • فلما عجب موسى من الخير أذى أعطى الله محمدا وأمه ، قال يا ليتنى من أصحاب محمد • فأوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن : « يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » الآية « وكنبنا له في الألواح » الآية « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » قال فرضى كل الرضا •

قال الحافظ ابن القيم : وهذه الفصول بعضها في هذه التوراة التى بأيديهم ، وبعضها في نبوة أشعياء وبعضها في نبوة غيره • والتوراة أعم من التوراة المعينة ، ولا يقدح في هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب به ، فلا زال في العلم الموروث عن الأنبياء شىء مما لا يعرفه الا الآحاد من الناس ، أو الواحد • وهذه الأمة على قرب عهدها بنبيها في العلم الموروث عنه ما لا يعرفه الا الأفراد القليلون جدا من أمته ، وسائر الناس منكر له وجاهل به •

وسمع كعب رجلا يقول : رأيت في المنام كان الناس جمعوا للحساب لدعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبي أمته ، ورأيت لكل نبي نورين ، ولكل من اتبعه نورaimشى بين يديه ، فدعى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ، ولكل من اتبعه نوران ، بمشى بهما • قال كعب من حدثك بهذا ؟ قال : رؤيا رأيته في منامى • قال : أنت رأيت هذا في منامك ؟ قال : نعم • قال : والذي نفس كعب بيده انما لصفة محمد وأمه وصفة الأنبياء وأمهم ، لكأنما قرأتهما من كتاب الله تعالى • وقال أيضا : قال محمد بن سعد في الطبقات :

حدثنا معن بن عيسى قال : حدثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة ؟ قال : نجده « محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحاش ولا سخاب فى الأسواق ولا يكافىء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح » وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : حدثنا الحسن بن الربيع ، قال حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبي صالح قال : قال كعب : « نجد مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، وأمته الحمادون ، يكبرون الله على كل نجد ، ويحمدونه فى كل منزلة ، يأتون على أنصافهم ، ويوتضئون على أطرافهم ، مناديهم ينادى فى جو السماء : صفهم فى القتال ، وصفهم فى الصلاة سواء ، لهم دوى كدوى النحل ، مولده بمكة ومهاجره بطابة ، ملكه بالشام » وتوفى كعب فى زمن خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه •

وأما وهب بن منبه فهو أبو عبد الله اليماني ذكر الحفاظ والمؤرخون وأصحاب السير أنه من أخيار علماء التابعين وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر ، وروى عنه عمرو بن دينار وغيره ، وكان ثقة صادقا كثير النقل من كتب الاسرائيليات ، وكان على قضاء صنعاء ، قال : مشى بن الصباح لوث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوء ، أى يصلى الصبح بوضوء العشاء • وقال أبو سنان : سمعت وهب بن منبه يقول : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء ، فى كلها : « من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر » فتركت قولى • فقال أبو عاصم النبيل : حدثنا أبو سلام عن وهب قال : « العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والصبر أمير جنوده ، والرفق أبوه ، واللين أخوه » وتوفى سنة أربع عشرة ومائة رحمة الله تعالى عليه •

ونرجع الى الكلام على خزعبلاته

فنقول : قوله : « ان الذى ألزمه أن له خليلا وله حبيبا وله صفيا

(١) المحبة والرضا والسخط والغضب والاستحياء والأسف والمكر والنسيان وشبه ذلك من الصفات التى نسبها الله تعالى الى نفسه . هى تليق بالمخلوقين ولا تليق به جل شأنه . ومنها قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » فلند جعل ابراهيم بالنسبة اليه — سبحانه — كالصديق بالنسبة لصديقه . والخلة أمة بمعنى الفقر والحاجة ، وأما بمعنى الخلطة والخلق . وقد طعن النصارى « عبد المسيح » بالخلطة فى القرآن . بقوله : ان الذى له خليل وله حبيب وله صفى ، يكون له زوجة وولد ، ويكون له اكفاء . فنقول بعد ذلك فى القرآن : انه « لم يلد ولم يولد » بكون متناقضا مع قوله : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » .

وقد أجاب مؤلف الجواب الفسيح عن هذه الشبهة بقوله :
أولا : ان علماء السلف يقولون فى مكر الله وغضبه وختله لابراهيم ونسيانه . وما أشبه ذلك بأنه من التشابه الذى يجب الايمان به من غير بحث عن الكيفية ، مع تنزيه البارى — سبحانه — عن مشابهة المخلوقين .
ثانيا : ان علماء الخلف وهم الأشاعرة ، يقولون فى تلك الصفات : انها لا تراد على ظاهرها . بل تؤول على معنى يليق بجلال الله فخلطة ابراهيم لا تراد على الظاهر بمعنى الصداقة ، بل تؤول بمعنى أن الله اصطفاه وخصمه بكرامة تشبه كرامة الصديق عند صديقه . أ. هـ

أما الاجابة الصحيحة فهى اجابة المعتزلة . وهى :
ان الله تعالى أكبر من الناس ، وليست طرق تفكيره كتفكيرهم . وهو اذ يريد مخاطبة الناس ، يصطفى نبيا من جنسهم ليستأنسوا به ، وهو يخاطب النبى عن نفسه ، كأن انسان يكلم انسانا حتى يتصدر النبى على فهم مراده ، والنبى يبلغ مراد الله الى الناس بلغتهم وعلى قدر عقولهم . لكن الله عز وجل ليس انسانا . وليس كمثله شئ . ومن ذلك قوله تعالى : « قد يعلم ما أئنتم عليه » فقد تحدث الى الناس كأنه انسان يعلم ولا يعلم . وذلك على طريقة مشابهة فكره لفكرهم حتى يفهموا . أما هو فهو قعالم الغيب والشهادة ، ومن ذلك قوله : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) والأسف لا يليق الا بانسان ، ولكن الله عبر به فى حق نفسه ، ليفهم البشر مراده ، عن طريق لغة شبيهة بلغتهم . وهكذا .

أى ان القرآن تكلم عن الله بلسان بنى آدم . ويقول المعتزلة قال كثيرون من الأشاعرة .

والاجابة المعتزلة هذه . قد قررها اليهود فى كتبهم عن الله وصفاته (دلالة الحائرين — الجزء الاول)

هو الذى شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولدا • وكان له أكفاء » يريد عبد المسيح من هذا : أن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حكى عن النصارى هذا القول مع أنهم ليسوا قائلين له ، لكنه هو عليه الصلاة والسلام نسب لله سبحانه خليلا ، وهو ابراهيم ، وصفياء وهو آدم ، وحبيبا وهو هو عليهم الصلاة والسلام • وذلك غير جائز ، يريد : أن الخليل مشتق من الخلعة • وأنها مودة تخلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية • قال الشاعر :

وقد تخللت مسلك الروح منى ولذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثى واذا ما سكنت كنت الفليلا

وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك •

ومثل هذا قول غيره من النصارى : انه اذا جاز عند المسلمين اطلاق الخليل على انسان تشريفا ، فلم لم يجوز اطلاق الابن على آخر لذلك ؟

والجواب عن ذلك وذا : أن الخلعة لا تقتضى الجنسية بخلاف الدنوة فانها تقتضيها قطعا • والله سبحانه هو المنزه عن مجانسة المحدثات ، والخليل مشتق من الخلعة بضم الخاء وهى اما من الخلال بكسر الخاء ، فانها مودة تتخلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية ، فالخليل من باغت مودته هذه المرتبة ، كما قال الشاعر السابق ، واما من الخلعة بالفتح بمعنى الخلعة والخلق ، لأنهما يتوافقان فى الخصال والأخلاق ، أو بمعنى الفقر والحاجة ، واطلاقه على ابراهيم عليه السلام قيل : لأن محبته لله تعالى قد تخللت نفسه وخالطتها مخالطة تامة ، أو لتخلقه بأخلاقه تعالى • ومن هنا كان يكرم الضيف ويحسن اليه ، ولو كان كافرا فان من صفات الله تعالى الاحسان الى البر والفاجر ، وقيل : سمي خليلا لآظهاره الفقر والحاجة الى الله تعالى وانقطاعه اليه وعدم الالتفات الى من سواه ، كما يدل على ذلك قوله لجبريل عليه السلام حين قال له يوم ألقى فى النار : ألك حاجة ؟ قال : اما اليك نالا • ثم

قال : حسبى الله ونعم الوكيل • وقيل غير ذلك • وأيا ما كان فلا يريد المسلمون به الا المعنى اللائق به سبحانه وتعالى كما فى المحبة وهى البلوغ بالود الى حبة القلب ، من قولهم حبيبته اذا أصبت حبة قلبه ، واذا استعملت فى الله تعالى فالمراد بها مجرد الاحسان • وكذا الخلّة ، فما جاز فى أحد اللفظين جاز فى الآخر ، فاما أن يراد بالحب حبة القلب وبالخلّة التخلّل ، فحاشا لله تعالى أن يراد فيه ذلك •

وذهب جمع من العلماء : الى أن قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » من باب الاستعارة التمثيلية ، لتنزّهه تعالى عن صاحب و خليل • والمراد : اصطفاؤه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خلياه • وأما فى الخليل وحده فاستعارة تصريحية الا أنه صار بعد ذلك علما على ابراهيم عليه السلام • وعدم اطلاق الخليل على غيره من الأنبياء عليهم السلام • وان كان كل منهم خليلا بالمعنى المشهور عند العارفين اما لأن ثبوت ذلك المقام له عليه السلام على وجه لم يثبت لغيره ، واما لزيادة التشريف والتعظيم ولا يخفى عليك أن مذهب أكثر علماء المسلمين فى التشابه : الايمان به من غير بحث عن الكيفية ، مع تنزيه البارى سبحانه عن مشابهة المخلوقين ، كالرحمن مثلا ، فانه مشتق من الرحمة هى دقة القلب ، وذلك فى حقه سبحانه محال • فالخلف وهم جملة من علماء الاسلام على أن المراد بها لازمها وغايتها وهى الاحسان والانعام ، والسلف وهم جمهور العلماء يؤمنون به ولا يكتفون ولا يمثلون ولا يشبهون ولا يعطلون • وكل ما ورد من أمثال ذلك يسلكون فيه أحسن المسالك كالخلّة والمحبة والرحمة وغير ذلك ، مما ليس يذكر فى هذا المحل ، خشية من طول الكلام والخروج عن المرام • لأن اكمال البحث فيه يحتاج الى أسفار ضخام • على أنه قد ورد عندهم اطلاق الحبيب • ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ما انظره : « وقال الرب يسكن بطمأنينة وينزل كأنه بالسريير » •

والعجب من النصارى أنهم يوردون مثل هذا على المسلمين وينسبون

ما ورد عندهم في التوراة والانجيل من ألفاظ تدل — والعياذ بالله تعالى — على التجسيم وغيره • كما في توراتهم : أن الله سبحانه نزل الى الأرض وغسل رجليه ابراهيم وأطعمه وتراءى لابراهيم بحالة كونه ثالث ثلاثة أشخاص ، كما استدل به عبد المسيح في كتابه هذا على التثليث ، وأنه ندم على خلق آدم ، وأنه اتحد بالمسيح وأن النصارى كل يوم يأكلونه حقيقة ، وأن الله خلق الانسان على صورته وعلى شبهه ، وأن له ذراعا ويمينا ، وأن عيسى جالس عن يمينه على العرش • وغير ذلك مما يضيق بنا لوقت عن تعدادہ وذكره • فاذا هم أولوا المتشابه ولا بد ، فالمسلمون أولى بتأويل ما ورد عندهم من ذلك لأنهم بخلاف غيرهم ليسوا مجسمين ولا مشبهين ولا معطلين ، بل يؤمنون بالكتاب من غير تشبيه رب الأرباب بمن خلق من منى وتراب •

واما انكاره كون النصارى جعلوا لله سبحانه كفوا • فمكابرة وانكار للبديهي ، لأن النصارى — والمؤلف منهم — لا جعلوا الله سبحانه ثلاثة أقنانيم ، وجعلوا أحد الأقانيم دخل في بطن مريم وتولد منها ، ثم بعد ثلاثين سنة من عمره تعمد على يد يحيى عليه السلام وجاءه روح القدس مثل الحمامة ، ثم صلبته اليهود بعد الأذى والسخرية بين سارقين ، فمات وقبر ثم قام وصعد وجلس عن يمين أبيه ، وهو الذى خلق أباه آدم وذريته ، ويرزقهم ويميتهم ويحييهم ويحاسبهم ويدخل الجنة من يريد منهم ، والنار من لم يؤمن بأنه الله ، وأنه مع هذا كله كان يقول عند ارادتهم صلبه : « ايلى ايلى لم شبتتنى اى الهى الهى لم تركتنى ؟ » فظهر من أقوالهم هذه :

ظهور نار القرى ليلا على علم

أنهم جعلوه الله كفوا بل أعظم من الكفو ، لأن عيسى عليه السلام مع اعترافهم أنه نبي الاناجيل بن داود وابن الانسان ويستغيث بالله تعالى ، يفعل أفعال الاله ، لأن رزق الخلق واحيائهم واماتتهم وحسابهم عليه ، وتخليصهم من النار بدخوله فيها ، عائد اليه ، فكيف يقول هذا الملقق

انهم لم يجعلوه لله كفوا ؟ ويقولون : ويجلس عن يمين أبيه ، ويقول :
لم نجعل له ولدا •

وكثيرون من النصارى يقولون المراد من الآب والابن وروح القدس :
الله وعيسى ومريم • وأكثر فرقهم يقولون في صلواتهم لمريم العذراء
من جملة كلام طويل نقلته لك في كتابي هذا : « يا خطيبة الله يا ملكة
السماء التى جميع الملائكة يسجدون لها وكل شيء يسبحها ، يا أم الله ،
يا ابنة الله يا سيدتنا ارحمينا • لك نسجد ، لك نرتل ، تسابيح من
صميم قلوبنا » الى آخر ما قالوه • فهل هذا يقال لغير الله ؟ وهل يجوز
عندهم أن يسجد الانسان لغير الله ، وللصور المنقوشة ، مع ما ورد في
توراتهم : « لا تسجد لغير الهك » وهؤلاء قد جعلوا كل الملائكة تسجد
لمريم ، وكل شيء يسبحها • فهل أزيد من هذا ما يكون كفوا للبارى
سبحانه ؟ فليت شعري ما يفيد «عبد المسيح» انكاره ؟ لأن يجعل لله كفوا
بعد اقراره بالتثليث البديهي البطلان ، وما يجديه ذلك نفعا بعد اقرار
اخوانه في تأليفاتهم المطبوعة المنشورة : أن مريم خطيبته (١) ، أى زوجة
الله ، وندائها بأم الله وابنة الله ؟ كما في كتابهم لشهير المسمى بأمجاد
مريم •

وانظر الى هذه الحماسة فبعد أن جعلوها بنت الله ، جعلوها خطيبته ،
وانظر الى هذه المتناقضات وأنصف • فقد حصص الحق والحمد لله
سبحانه • واذا علمت هذا تبين لك أيضا عدم صدق قوله : « ولا نصف
الله عز وجل بمثل هذه الرذائل والخصائص من صفات التشبيه » ويقال
له أيضا : فأى صفة خسية لم تصف بها خالقك سبحانه ؟ فانك قد
جعلته ثلاثة أجزاء ، وجزء منه دخل في مريم وتولد منها وأهين وصلب

(١) النصارى كلهم يقولون : أن عيسى اله ، على الحقيقة ، ويقولون :
ان مريم الهة على المجاز • فقله تعالى : « أنت قلت للناس : اتخذوني
وأمتي الهين من دون الناس » ؟ يعنى بالهين المعنى الحقيقي على عيسى ،
والمعنى المجازي على مريم كما في التوراة عن موسى وهرون : « أنا جعلتك
الهة لفرعون » أى سيدي •

ومات ، ثم قام من قبره ، وهو الآن يدبر أمر الخلائق ، وجعلت خطيئته مريم ، وجعلتها أم الله وبننت الله • وأن عيسى بعد أن جعلته لها متولدا جعلته وسميته خروف الله ، ليكون فداء الخلائق ومخلصهم ، ويدخل جهنم ويجد ألما وأنه تحمل اللعنة • فأى صفة رذيلة أم تسندها لخالقك بزعمك ؟ وأى وبال أعظم من تسلط مخلوقاته عليه . وهم اليهود ، خلقهم ثم صلبوه ، ولم يخلصه من أيديهم أبوه • ثم يدخل النار ويخلص مخلوقاته من الخطيئة والوبال .

فهذا يا عبد المسيح هو التناقض القبيح ، والقول الفضيح ، والتهافت الظاهر ، والسفسطة التى لا تخفى على الأصاغر والأكابر • وأما كتابنا فهو ناطق بالحق ولا ينجأوزه الصدق ، ولم يشنع عايكم إلا ما قلتم ، ولم يحك عنكم إلا ما اعتقدتم ، فأقوال فرقكم العديدة مطابقة لما نقل ، وصريح مذاهبكم ولازمها عندكم عليه العمل ، فرميك لعبد الله وكعب ووهب بالكيد والحيل ، صرف بهتان ، بل خبل ، لأن التوراة والإنجيل والكتب السماوية بأيدي المسلمين ، والتناقض الذى فيها من التحريف والتبديل لا يخفى على الموحدين جيلا بعد جيل • والبشارات بمجىء نبينا عليه الصلاة والسلام فما ظاهرة ، ومعجزاته التى رآها كل أحد باهرة ، ودلائل نبوته متظافرة ، وهؤلاء انما آمنوا بعد ما فشى الاسلام وانتشر فى الآفاق وراج ، ودخلت الأمم من اليهود والنصارى والمجوس فى دين الله أفواجا أفواجا • فما هؤلاء الثلاثة بالنسبة الى من دخل فى الاسلام الا كقطرة بالنسبة الى البحر الطمطم

على أن كعبا أسلم — كما تقدم — فى خلافة الصديق — رضى الله عنه — ووهب من أجله التابعين • فأى شيء شنع هؤلاء على المسلمين ، فرميك لهم بالتشنيع علينا وعليكم كذب صراح ، وطير طائره عليكم مقصوص الجناح • فهم لم يغشوا الموحدين ، لكنهم رموا بنا ، لاصابة نحور أعداء الدين • فكلامك المتناقض الموه ، بينا — والحمد لله — زيفه ، وأخرجنا مثل الشمس لكل عارف منصف أراجيفه • وسنورد ان شاء الله تعالى هذه الأبحاث بعبارات مفصلة ، ونذكرها • بمحالها

من هذا الكتاب مكملة ، ونخجل ببيانها أهل التوراة والأنجيل • والله يقول الحق وهو يهدي السبيل • وأما قوله : « وكان ذلك من حينه وهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام وكعب الأخبار » الى اخره • فهو مثل قول اخوانه الذين حكى قولهم العلامة ابن القيم في كتابه هداية الحيارى بما نصه : « قال السائل : ان قلتم : ان عبد الله بن سلام وكعب الأخبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم ، فهل أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التي لهم كي تكون شهادة لهم علينا » • والجواب من وجوه :

أحدها : ان شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي عليه الصلاة والسلام وصفته ، بل آياتها وشواهدا متنوعة متعددة جدا ، ونعته وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها ، وجمهور أهل الأرض لم يكن اسلامهم عن الشواهد والأخبار التي في كتبكم ، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوها بل أسلموا للشواهد التي عاينوها ، والآيات التي شاهدوها ، وجاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية وعاضدة ، من باب تقوية البينة ، وقد تم النصاب بدونها • فهؤلاء العرب من أولهم الى آخرهم لم تتوقف على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد ، وان كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الأنصار يسمعون من اليهود صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثته ومخرجه ، فلما عاينوه وأبحروه ، عرفوه بالنعته الذي أخبرهم به اليهود ، فسبقوهم اليه ، فشرق أعداء الله تعالى بريقتهم وغصوا بما يههمهم ، وقالوا ليس هو الذي كنا نعدكم به ، والعلم بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والمسيح موسى — عليهما السلام — لا يتوقف على العلم بأن من قبلهم أخبر بهم وبشر بنبوتهم ، بل طرق العلم بها متعددة •

فاذا عرفت نبوة النبي بطريق من الطرق تثبت نبوته ووجب اتباعه ، وان لم يعلم أن من قبله بشر به • واذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين فاما أن يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته ، واما أن

يوقف تصديق النبی علیه ، أو يجب تصديقه بدونه ، فان كان لازماً . علم قطعاً أنه قد وقع • وعدم نقله إلینا لا يدل على عدم وقوعه ، اذ لا يلزم من وجود الشيء نقله العام ولا الخاص له • اذ ليس كل ما أخبر به تعالى والمسیح وموسى وغيرهما من الأنبياء المتقدمين وصل إلینا • وهذا مما يعلم بالاضطرار • فلو قدر أن البشارة بنبوته صلى الله تعالى علیه وسلم ليست في الكتب الموجودة بأيديكم ، لم يلزم أن لا يكون غيره بشر به ، اذ يمكن أن تكون في كتب غير هذه المشهورة المتداولة بينكم ، فلم تزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليها الا بعض خاصتهم ، فضلاً عن جميع عامتهم ، ويمكن أنه كان في بعضها غايزيل منه وبذل ، ونسخت النسخ من هذه التي قد غبرت واشتهرت بحيث لا تعرف غيرها ، وأخفى أمر تلك النسخ • الأولى • وهذا كله ممكن ، لاسيما من الأمة التي تواطئت على تبديل دين نبيها وشريعته ، هذا كله على تقدير عدم وجدان البشارة به في شيء من كتبهم أصلاً • ونحن قد ذكرنا في كتابنا هذا من البشارات به عليه الصلاة والسلام في كتبهم مما لا يمكن من يعرفه منهم جحدته والمكابرة فيه ، وان أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعائهم وجهالهم •

الوجه الثاني : ان عبد الله بن سلام قد قابل اليهود وواقفهم بين يدي رسول الله صلى الله تعالى علیه وسلم على أن ذكره ونعته وصفته في كتبهم ، وأنهم يعلمون أنه رسول الله ، وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم ، وخيرهم وابن خيرهم ، فلم يصر قولهم له بعد ذلك : انه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم ، كما اذ شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعد له ، وقال : انه مقبول الشهادة عدل رضى لا يشهد الا الحق ، وشهادته جائزة على ، فلما أدى الشهادة قال : انه كاذب شاهد زور • ومعلوم أن هذا لا يقدر في شهادته •

وأما كعب الأخبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما في النبوات المتقدمة من البشارة به ، وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى ، وأذن بها على زعوس الملأ ، وصدقته بها مسلمو أهل

الكتاب عليها ، وأخبروا على ما أخبر به ، فإنه كان أوسعهم علما .
بما في كتب الأنبياء وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يمتحنون
ما ينقله ويدونه بما يعرفون صحته ، فيعلمون صدقه . وشهدوا له
بأنه أصدق من يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم ، فهم ونحن
اليوم ننوب عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما ، وقد
أوجدناكم هذه البشارات في كتبكم ، فهي شهادة لنا عليكم ، والكتب
بأيديكم فأتوا بها فأتلوها ان كنتم صادقين . وسنذكر ما فيها في محله
ان شاء الله تعالى . وعندنا ممن وفقه الله تعالى للإسلام منكم من
يوافقكم ويقابلكم ويحافقكم عليها ، ولدينا كتبهم المطبوعة التي كتبوها
في الورد عليكم بعد أن أسلموا وبينوا فيها ما يبشر بنبوته نبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم في العهد القديم والجديد ، وان لم تؤمنوا
وتصدقوا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبيأوه ورسله
وعبادهم المؤمنون من الكفر والتكذيب والجحد للحق الظاهر ، ومعادة
الله ورسوله .

الوجه الثالث : أنه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة
لغاية البيان والمصراحة لكان في بهتكم وغنادكم وكذبكم ما يدفع في
وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ما وجد اليه سبيلا ، فاذا جاعكم
ما لا قبل لكم به . قلتم ليس به . ولم يأت بعد ، وقلتم : نحن لا نفارق
حكم التوراة والانجيل ولا نتبع نبي الأميين . وقد صرح أسلافكم
الذين شاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعايينوه أنه رسول
الله حقا ، وأنه المبشر به الموعود به على ألسنة الأنبياء المتقدمين . وثم
من قال له في وجهه : نشهد أنك نبي . فقال : ما يمنعكم من أتباعي ؟
قالا : انا نخاف ان تقتلنا اليهود . وقد قال تعالى : « ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو اجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب
الاليم » وقد جاعتكم آيات هي أعظم من بشارات الأنبياء وأظهر
بحيث أن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك
الا نفورا وتكذيبا واباء لقبول الحق ، فلو أنزل الله سبحانه اليكم
ملائكته لعلبت عليكم الشقوة ، وصرتم الى ما سبق لكم في أم الكتاب .

وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا ، وما زادهم ذلك الا تكذيبا وعنادا ، فأسلافكم وقدموتكم في تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيهم الا الله تعالى ، حتى كأنكم تواصليتهم بذلك • أوصى به الأول للآخر ، واقتدى الآخر بالأول ، الا من وفقه الله تعالى لاتباع الحق فأسلم ، فهذا فرعون والنمرود وأمثالهما . وبنو اسرائيل كل منهم رأى معجزات كثير من الأنبياء عليهم السلام فلم يؤمنوا بهم ومن أعظمهم عيسى عليه السلام مع أنه مكتوب عندهم ومبشر به في نبواتهم ، وأنه ألهم على زعم النصارى فقتلوه وأهانوه وصلبوه ، فاذا أنكرتم يا بنى اسرائيل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بعد البشارات التي علمتموها في كتبكم ودرستموها في صحفكم ورؤيته معجزاته الباهرة ، ودلائل صدقه الظاهرة ، فذلك منكم غير بعيد • وسنورد لكم ان شاء الله تعالى ما يذعن لله من أنصف ولم يكن جبارا عنيدا •



قال النصراني : « فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول أبدا : ان الله تبارك وتعالى اتخذ صاحبة ، وولد ولدا ، وليس قلنا : ان الله أبنا — وهو الكلمة الخائفة — قول من قال انه اتخذ ولدا • وأنت — حرسك الله — تعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وروحه ، ونحن نقول : ان الله أزلى بكلمته لم يزل عليما رؤفا ، وانما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرافة والملك والعزة والسيادة والجبروت والتدبير ، بما أشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من أفعاله • وقد أخبرت عنها عقول الناس واشتقوها له اشتقاقا لأجل فعله إياها فاستوجبها جل وعز بالكمال والحقيقة ، كما استوجب جميع ما سمي به من أجل فعله له • فأما صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح أزلى لم يزل متعاليا مرتفعا عن جميع النعوت والأوصاف



ولننظر الآن في هذه الصفات من حي وعالم ، أهى أسماء مفردة مرسلة ، أم أسماء مضافة تدل على اضافة شيء الى شيء ؟ ويجب

علينا • أن نعلم ما الأسماء المضافة ؟ وما الأسماء المفردة المرسلة ؟
فأما لأسماء المرسلة فهي كقول القائل : أرض أو سماء أو نار أو ماء
أو كل ما كان بما قيل شبيها مما لا يضاف الى غيره •
وأما الأسماء المضافة الى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم
وما أشبه ذلك • فالعالم عالم بعلمه ، والعلم علم عالم ، والحكمة
حكمة حكيم • وهذا القول نظير لما وصفنا • ونقتصر عليه لئلا يخرج
بنا اتساع الكلام الى الكثرة • فاذا بينا ما الأسماء المفردة وما الأسماء
المضافة المنسوبة الى غيرها ، وجب أن نسألك عن الموصوف بهذه الصفة
اللازمة أهى لجوهره فى أزليته أم اكتسبها له اكتسابا ، واستوجب
الوصف بها من بعد ، كما استوجب أن يوصف له خليفة حيث خلق ؟
وسائر ذلك مع ما لم أذكر من أسماء يسمى بها صفات تجلى بها ثقله
أياها • فاذا قيل : كما يوصف تعالى أنه كان ولا خلق حتى أتى على
ذلك بالفعل ، كذلك يجوز أن يقال : انه كان ولا حياة له ولا علم
ولا حكمة ، صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة • وهذا محال
من الكلام أن يكون الله جل وعز طرفه عين خلوا من حياة وعلم •

**وان قلت : ان الأمر غير ما ظننت ووصفت ، لا يلزمك من الشبهة ،
لأنه قد يوصف أن لله خليفة قبل أن يقارن شيئا منها بالفعل • قلنا :**
انما هما وجهان اما أن يكون الله وحده أزليا وما سواء محدثا ، أو أن
ترجم أن البرية والخلائق أزلية أيضا غير محدثة ، فلا أحسبك الا ناقضا
على من يصف الخلق بشيء من ذلك • فاذن لا محالة يقال : ان الله واله
الحمد قد كان من غير أن يكون شيء من الخلائق موجودا فكيف جاز
أن يوصف أن لله خليفة ، ذ لم يخلق بعد حتى أتى الوقت الذى فيه
شاء أن يخلق ما خلق ، فخلق الا أنا نقول : من أجل أنه قادر على أن
يخلق اذا أراد ، يجب أن يوصف له خلق بأنه لم يزل ، فليوصف اذن
بأنه لم يزل ، قد أقام القيامة وأحيا الموتى وبعث من فى القبور • وقد
أدخل الجنة جميع الأبرار ، وملا جهنم بمن كان مستوجبا لذلك • مع
أنى لا أظن أن أحدا من العقلاء يقول بهذه الصفة ، فينبغى أن ترجع
أصلحك الله الى ما يوجب العقل فى المناظرة ، وتعلم أن الصفات فى الله

تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متصفا بها ، وصفة اكتسبها له اكتسابا وهى صفة فعله • فأما الصفات التى اكتسبها اكتسابا من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورعوف ، وأما الصفات المنزلة التى هى الطبيعية الذاتية التى لم يزل — جل وعز — متصفا بها فهى الحياة والعلم ، فان الله لم يزل حيا عالما • فالحياة والعلم اذن أزليان لا محالة •

فقد صحت نتيجة هذه المقدمات : ان الله واحد ذو كلمة وروح فى ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمها جوهر اللاهوت الواحد، فهذه صفة الواحد **الثالث الأقانيم الذى نعبد** • وهذه الصفة التى ارتضاها لنفسه ، ودلنا على سرها فى كتب ديوانه المنزل على ألسن أنبيائه ورسله « آ • ه



أقول وبالله سبحانه التوفيق والهداية الى أقوم طريق : هذا الكلام وان كان بينه وبين سابقه ولا حقه تناقض وتهافت — وقفت على بيانهما فى كتابنا هذا ، وستأتيك زيادة بيان على ذلك ان شاء الله تعالى — وخلاصة مقصده هنا ان النصرارى لم يجعلوا المسيح عليه السلام ابنا حقيقيا للبارى سبحانه ومتولدا منه ، بل مقصدهم من الآب الذات ، ومن الابن العلم الذى هو قائم بها ، ومن الروح القدس الحياة • والكل أزلى قديم ، ذى صفات البارى تعالى ، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، أى وكل ذلك حقيقى ، فالمسيح اله حقيقى وهذا وان أراد به فرقيع خرقهم الواسع والتستر بثوب لا يصلحه راقع ، فقد استجن به أيضا غيره ، ولم يتم فيه أمره •

ولنذكر ما نقله « القرآنى » عن ذلك الغير ونرد ان شاء الله تعالى الكلامين ، بما فيه الصلاح والخير •

قال : « لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن وروح القدس لنا أنكروا علينا • فان مرادنا بالآب الذات ، والابن النطق الذى هو قائم بالذات ، وروح القدس الحياة ، والثلاثة اله واحد • وهذه الثلاثة يعتقدونها المسلمون • ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا ، بل فى الانجيل قال عيسى عليه السلام : « اذهبوا الى سائر الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس » وفى أول القرآن : **بسم الله الرحمن الرحيم**

فاقتصر على هذه الثلاث الآب والابن وروح القدس • ونريد بقولنا :
 المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور : أنه لم يزل
 نطقا ، وأنه لم يزل الله تعالى ناطقا ، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير
 مفارقة الآب الوالد كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص
 الوالد له ، وكذلك يرسل الانسان كلامه الى غيره من غير مفارقة العقل
 الوالد له ، فتجسم النطق انسانا من الروح القدس ، ومن مريم رضى
 الله تعالى عنها ، وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالالهيّة ، فاذا قلنا :
 المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية ، وأن له ولدا من صاحبه •
 وقد أثبت القرآن : الولد بمعنى النطق ، بقوله تعالى : « **بِوَالِدِ مَا وَلَدَ** »
 وتجسم كلمة الله تعالى انسانا : أن الله تعالى لا يخاطب الا بحجاب ،
 لأن اللطائف لا تظهر الا في الكنائف ، فظهر في الانسان لأنه أشرف
 خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة ، ففعل المعجز
 بلاهوته وأظهر المعجز بناسوته • والفعال للمسيح ، كما يقال : زيد
 ميت بجسده باق بنفسه ، وأذلك صلب الناسوت دون اللاهوت ، كما
 أن الحديد المحماة يطرق حديدها وتقطع دون ناريتها • ولذلك سمى
 القرآن عيسى : روح الله وكلمته ، واسمه عيسى ، فيكون الخالق واحدا
 وهو الآب ونطقه وحياته • ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين • كما
 تقول : الخياط خيط الثوب ، ويد الخياط خيطت الثوب •

ولا يلزم أن يقال خيط لثوب خياطان بل خياط واحد ، كذلك قولنا :
 الله تعالى وروحه وكلمته اله واحد • ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة ، كما
 لا يلزم اذا قلنا : عقل الانسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي « ا • هـ
 وهذا الكعك من ذلك المعجن • وكل منهم يشرب من ماء عين آسنة
 خير معسين •

اعلم أولا : أن فرق النصارى كثيرة حتى أنها تتوف على السبعين
 كما ورد في الحديث النبوي الشريف ، والآن المشهور منهم ما يقرب على
 العشرة بل يزيدون • واختلغوا فيما بينهم بالمراد من الأتانييم على
 تسعة أقوال تأتيك في محلها ان شاء الله •

فمنها : أنها أشخاص ، ومنها أنها خواص ، ومنها أنها صفات ،
ومنها أنها العقل والعاقل والمعقول ، ومنها أنها جهات ذهنية واعتبارات
عقلية • واختلفوا أيضا في الثلاثة فمنهم من قال : نعني بأقنوم الآب
الوجود وبأقنوم الابن العلم وبالثالث الحياة وهو روح القدس • ومنهم
من قال : المراد بالابن النطق ، ومنهم من قال الحياة • واختلفوا أيضا
في تجسد المسيح من الكلمة ، فمنهم من قال : اتحد الابن الأزلي
بإنسان كلي مجرد عن الأقانيم فصار ذلك مسيحا واحدا لها تاما
وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيتين ، وأقنوم واحد • ومنهم من قال
اتحد الابن الأزلي بإنسان جزئي شخص ذي أقنوم فصار بذلك مسيحا
واحدا لها تاما وانسانا تاما ذا طبيعة من طبيعتين وأقنوم من أقنومين
ومشيئة من مشيئتين •

ومنهم من قال : اتحد الابن الأزلي المولود من الآب قبل الدهور
والأعصار بالابن الزماني المولود من مريم ، فصار بذلك مسيحا واحدا
لها تاما وانسانا تاما ، ذا طبيعتين وأقنومين ومشئة واحدة •

وأكثرهم من يعتقد العشاء الرباني أى أكل لحم المسيح بحقيقته
في كل يوم وفي كل كنيسة ويسجدون للصور النقوشة المصنوعة بعمل
أيديهم كصورة المسيح وأمه ويخاطبونها بقولهم : يا خطيئة الله يا أم
الله يا ابنة الله ، لك نسجد • وكثير منهم — كما قيل — يعتقدون ان
المعجزات التي ظهرت على يدي عيسى رآه عليهما السلام لم يخالفها
الله تعالى بل هما خلقاها •

ومنهم الفرقة المريمية الذين كانوا يعتقدون في مريم أنها اله •

وغير ذلك من عقائدهم الزائفة المخالفة للتوراة والإنجيل — كما
هو مفصل في كتابنا هذا فما حكاه الله سبحانه وتعالى في بعض الآيات
المكرمة عنهم هو قول بعض منهم ، وفي بعض اخر قول آخرين ، وحكاية
دعواهم ألوهية مريم كدعواهم ألوهية عيسى عليه السلام كما قال تعالى :

« وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس : اتخذوني وأمي
الهيّن من دون الله » •

فانهم وان أنكروا الآن القول بألوهيتهما لكن يلزمهم ذلك • لما مر
ويأتى ، حيث يعتقدون أنه أحد الأقانيم ، فاذا قالوا الأقانيم ثلاثة
والثلاثة واحد ، فيكون جزء الاله أو حل فيه الاله • وعلى كل يكونون
قد اتخذوه الها ، فاذا كان الأمر كذلك فكأنهم نفوا الله سبحانه ، لأن
الله ليس بالصفة النى يعتقدونها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
فجعلهم عيسى الها لازم لقولهم بالأقانيم وان أظهروا البراءة من القول
بذلك • وسوف نكل الكلام على هذه الآية في محله ان شاء الله تعالى .

ثم اعلم : أن الصفة هل هى نفس الموصوف أو غيره • فالذى ذهب
اليه الشيخ أبو الحسن الأشعري وعامة أصحابه : أن من الصفات
ما هى عين الموصوف كالوجود ، ومنها ما هى غيره • وهى كل صفة
أمكن مفارقتها للموصوف كصفات الأفعال من كونه خالقاً ورازقاً
ونحوهما • ومنها ما لا يقال انها عين الموصوف ولا غيره ، وهى كل
صفة امتنع القول بمفارقتها للموصوف بوجه ، كالعلم والقدرة والارادة
وغير ذلك من الصفات النفسانية لله تعالى ، بناء على أن معنى المتغايرين
كل موجودين يصح مفارقة أحدهما للآخر بجهة ما • وعلى هذا فكما
أن الصفة التى لا تفارق ليست هى عين الموصوف ولا غيره ، فكذلك
الصفات النفسانية بعضها مع بعض ، لما لم يصح انفكاك بعضها عن
بعض ، فلا يقال : بعضها عين الصفة الأخرى ولا غيرها • أما أنها
ليست هى ، فإن المفهوم منها غير متحد قطعاً • وأما أنها ليست
غيرها فلعدم الانفكاك • وحاصل النزاع فى هذا لا يرجع الا الى
اصطلاح لفظى لاحظ له فى المعنى • على ما قاله « الآمدى » •

ثم اعلم : أن البارى سبحانه له صفات سلبية مثل قولنا ليس بجوهر
ولا جسم ولا عرض أزلى ، أى لا أول له ، صمد أى لا جوف له وغير
ذلك من الصفات السلبية المفصلة فى علم الكلام • وله سبحانه صفات

ثبوتية قائمة بذاته تعالى موجودة في كافة الكتب السماوية ، وهي سبعة : العلم والارادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر ، ومنها فعلية خارجة عن ذاته جل وعز يستحيل قيامها به تعالى نحو الخلق فانه عز شأنه وصف بالخالق بعد أن صدر منه الخلق ، وكذلك صفات أخرى فعليات كالرازق والغفار والمحیی والممیت والناصر وغير ذلك • وأما الصفات السبع فهي أزلية أبدية سرمدية لأنه تعالى موصوف بها قبل أن يخلق شيئاً ، لأنه لو لم يكن موصوفاً بها ، لكان موصوفاً بضدها • ومحال أن يوصف البارئ سبحانه بأضدادها التي هي صفات نقص •

قال شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية في شرح العقيدة الإصبهانية « الدليل على علمه سبحانه : ايجاده الأشياء ، لاستحالة ايجاده للأشياء مع الجهل • وهذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أولهم وآخرهم ، والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى : « **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ؟** » والمتفلسفة أيضاً سلوكه • وبيانه من وجوه :

أحدها : أن ايجاده للأشياء هو بارادته — كما سيأتى — والارادة تستلزم تصور المراد قطعاً ، وتصور المراد هو العلم فكان الايجاد مستلزماً للارادة والارادة مستلزمة للعلم ، فالايجاد مستلزم للعلم •

الثانى : أن المخلوقات فيها من الاحكام والانتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم •

ولهم طرق أخرى منها أن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً • وهذا له طريقتان :

أحدهما : أن يقال : نحن نعلم بالضرورة : أن الخالق أكمل من المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ، ونعلم ضرورة : أنا إذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم ، كان العالم أكمل منه • فإذا لم

يمكن الخالق سبحانه عالما ، يلزم أن يكون غير عالم أى جاهلا • وهو ممتنع •

الثانى : أن يقال : كل علم فى الممكنات التى هى المخلوقات فهو منه • ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه ، بل هو أحق • والله سبحانه — وله المثل الأعلى — لا يستوى هو والمخلوقات ، لا فى قياس تمثيل ولا قياس شمول ، بل كل ما أثبت لمخلوق فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عن مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى •

والدليل على قدرته : ايجاده الأشياء • وهو اما بالذات وهو محال ، والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما • وهو باطل فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب • والمختار انما يفعل بالقدرة ، اذ القادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل • فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته ، فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه الحركات الطبيعية ، التى لا قدرة له على فعلها ولا تركها • والدليل على أنها هى علمه وقدرته : استحالة قيام العلم والقدرة بغير الحى • وهذا دليل مشهور للنظار ، يقولون : قد علم أن من شرط العلم والقدرة : الحياة فان ما ليس بحى يمتنع أن يكون عالما ، اذ الموات لا يكون عالما ، والعلم بهذا ضرورى ، وقد يقولون : هذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا فنقدير عالم لا حياة به ، ممتنع بصريح العقل ، وكذلك قوله : والدلالة على ارادته : تخصيصه الأشياء لخصوصيات ، واستحالة المخصص من غير مخصص • فان هذا دليل مشهور للنظار • ويقرر هذا : أن العالم فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شئ بما له من القدر والصفات والحركات كطول وقصره وطعمه ولونه وريحه وحياته وقدرته وعلمه وسمعته وبصره ، وسائر ما فيه • مع العلم الضرورى بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك ، اذ ليس واجب الوجود بنفسه ، ومعلوم أن الذات المجردة التى لا ارادة لها لا تخصص ، وانما يكون التخصيص بالارادة • ولو قيل : التخصيص بأسباب معلومة كالارض والأشجار تكون مختلفة ،

فاذا سقيت بماء واحد اختلفت ثمارها لاختلاف القوابل كما أن الشمس تختلف آثارها بحسب القوابل ، كما تبيض الثوب وتسود وجه المقصر وتلين اليابس الذى لم ينضج بما تجذبه اليه من الرطوبة ، وتجفف الرطب الذى كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه •

قيل : هب أن الأمر كذلك ، فما الموجب لاختلاف القوابل حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب آخر ؟ فلا بد أن ينتهى الأمر الى سبب لا سبب فوقه •

فان قيل : هي شئ صدر عنه ، كما تقول المتفلسفة « لا يصدر عن الواحد الا واحد ، والصادر الأول هو العقل وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك » فهذا باطل لأنه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه ، لم يصدر عنه أيضا الا واحد ، وان كان فيه كثرة ، فقد صدر عن الواحد أكثر من واحد • وان قيل الكثرة عدمية ، لزم أن يصدر عن العدم وجود ، ثم يقال الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع ، فما الموجب لكثرة كواكبه ؟ ثم قيل السبب الأول ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة ، لأن التخصيص بذات لا ارادة لها ، ممتنع فى صريح العقل • وان قيل ليس له اختصاص بصفة وقدر ، قبل هذا ، يقتضى أن يكون وجودا مطلقا • والمطلق لا يكون الا فى الأذهان لا فى الأعيان •

وأما قوله : والدليل على كونه متكلمًا : أنه أمر ناه ، لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلمًا الا ذلك • وسلف الأئمة وغيرهم لهم فى اثبات كونه متكلمًا طريقان : سمعية وعقلية • فالطرق السمعية مبينة على مقدمتين احداها : أنه أمر ناه ، (والمقدمة الثانية) : ومن كان كذلك : فهو متكلم • والمقدمة الأولى مدلول عليها بأن الرسل بلغوا أمره ونهيه • وكل من المقدمتين واضحة • فان الكلام نوعان : انشاء واخبار والانشاء أمر ونهى واباحة ، فاذا ثبت له نوع الكلام ثبت مطلق الكلام ، فثبت : أنه متكلم ، وأما الثانية

فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل أنهم يخبرون عن الله بأنه أمر يكذا ونهى عن كذا ، فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى . وجحد كون الله متكلماً هو جحد لما بلغته عنه الرسل من الأمر والنهى .

فإن قيل : فما الفرق بين هذا الطريق التى أثبت بها السمع والبصر وهو السمع ؟ قيل : هناك أثبت السمع والبصر بنفس الاخبار المنفصل مثل قوله تعالى : « وهو السميع البصير » وهنا أثبت تكلمه بمجرد ارسال الرسل من غير تعيين نص ، كقوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليماً » .

وأما العقلية فمن وجوه : منها أن الحى إذا لم يتصف بالكلام لزم انتصافه بضده ، كالسكوت والخرس ، وهذه آفة ينزه الله تعالى عنها ، فتعين انتصافه بالكلام . وهذا المسلك يسلكونه فى أثبات كونه سميعاً بصيراً أيضاً . ومنها : أن المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم ، والمتكلم أكمل من غير المتكلم ، وكل كمال ، هو فى المخلوق مستقاد من الخالق ، فالخالق أحق به وأولى . ون جعله لا يتكلم فقد شبهه بالمواهب والجماد ، وذلك صفة نقص ، إذ المتكلم أكمل من غيره . قال تعالى فى ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضُر : « أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم نفعا ولا ضرا » .

والفرق بين هذا الوجه وبين الذى قبله : أن هذا استدلال بما فى المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به والأول أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هى ، مع قطع النظر عن كونها ثابتة فى المخلوقات لامتناع النقص عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى . والدليل على كونه سميعاً بصيراً : طرق . منها السمع كقوله تعالى : « ليس كمثله شئ » ، وهو السميع البصير « ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى : لأن الله سبحانه فرق بين العلم وبين السمع والبصر ، وفرق بين السمع والبصر . ومنها : أنه لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف . بضد ذلك : وهو العمى والصمم . ومنها : أن السمع والبصر

من صفات الكمال ، فان الحى السميع البصير أكمل من حى ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحى أكمل من موجود ليس بحى ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم • وهذا معلوم بضرورة العقل ، واذا كانت صفة كمال ، فلو لم يتصف الرب بها ، لكان ناقصا • والله سبحانه منزّه عن كل نقص •

وأیضا : فلو لم يتصف بهذا الكمال ، لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه • ومن المعلوم فى بدائه العقول : أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق اذ كل كمال فيه فانما استفادته من ربه وخالقه ، فاذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له ، كان من المعلوم بالانصراف : أن معطى الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى • ومنها : أن نفى هذه الصفات نقائص مطلقا ، سواء نفيت عن حى أو جماد ، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيئا ولا يخلقه ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى ، كما قال الخليل « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ؟ » وقال تعالى : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ؟ اتخذوه وكانوا ظالمين » •

هذا • ومن المعلوم أن هذه الصفات فى البارى سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين فلا يكون السمع كسمعنا بصمخ وأذنين ولا البصر بحدقة وعينين ، ولا الكلام بلهوات ورئة ولسان وشفنتين ، ونحو ذلك من آلات كلامنا ، لأن هذه الصفات فىنا حادثة ومحتاجة الى آلة ، وفيه سبحانه قديمة غير محتاجة اليها ، فلا مشابهة بين رب الارباب وبين من أضله من تراب • وهذا لا يخفى على ذوى البصائر والألباب : فلا تعطل صفات البارى كبعض المبتدعة ، ولا تجسم كبعض أهل الكتاب (١) • وهذا البحث وان كان استيفائه هنا يطول والسامع كالكااتب

(١) النصارى يجسمون الله ، ولا يصرحون بالجسمية • واليهود لا يجسمون الله (انظر كتابنا الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام) كتاب الانتصارات الاسلامية للطوفى •

ملول ، غير أننا ذكرنا الاشارات اللازمة الى ما نحن بصدده من بيان الصفات منقولا ومعقولا • والله سبحانه الموفق الى اتباع الصواب ، والمستول أن لا يجعل على قلوبنا غشاوة ولا بيننا وبين الحق حجاب ، بمنه وكرمه آمين •

فصل

بعد ما ثبت لديك : أن الله سبحانه له الصفات السبع القديمة الأزلية الوجودية الزائدة على ذاته تعالى ، فإنه سبحانه حي بحياة عالم يعلم مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر ، كما هو مذهب جمهور المسلمين من الأشاعرة وغيرهم ، خلافا للفلاسفة ونحوهم • وقد بسطت دلائل الأولين والآخرين في الكتب الكلامية ، مما لا يسعنا تفصيله في كتابنا هذا لئلا يخرج بنا الكلام الى خلاف المتصود الأهم (وهو أن) نبين لك أن قول النصارى : أن الله سبحانه ثلاثة أقانيم وان الصفات محصورة في العلم والحياة والوجود باطل • لوجوه ذكرناها فيما سبق ، وان كان الكلام معهم في هذه المسألة غير محتاج الى الأدلة ، لأن هذه الطائفة النصرانية اعترفت بأن عقيدة التثليث أمر خارج عن ادراك العقول ، ومغاير للمشاهدة والمحسوسات والمعقول ، غير أنهم قالوه اتباعا لظاهر الأناجيل ، واعتقدوه ، وان عده العقل من المحالات والأباطيل ، كما صرح به النصراني صاحب « الميزان » بقوله : « ولاريب بأن الانسان يعجز عن ادراك (١) هذه الحقيقة العويصة الغامضة . لأنها من الأسرار الالهية التي علمها مختص بالله وحده » الى أن قال : « ومن ثم من اعتمد على قياسات العقل البشري العاجز ، وأنكر ألوهية المسيح وكونه ابن الله أى حقيقته كما قال ، يهبط في هاوية الغرور والكفر » (انتهى من صحيفة ١٠٢) •

لكننا نذكر بعضا مما أسلفناه من وجوه ما رددنا كلامهم به في حصر الأقانيم لئلا يخلو كلامه عن جواب • فمن ذلك •

(١) كتاب ميزن الحق لفاندر موجود في دار الكتب المصرية رقم الاهوت

أنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا إليه سبيلا ، سوى قولهم : بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه ، وهو غير يقينى كما لا يخفى . على أن هذا المؤلف ذكر فى كلامه الذى سقناه لك الحكمة مع الحياة والعلم ، فيلزم من كلامه أن تكون الحكمة أيضا أقنوما ، فتصير حينئذ الأقانيم أربعة : ومنه أيضا أنه تحقق فيما سبق من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام . فيكون الحصر فى العلم والحياة غير صحيح قطعا . والذى أوقعهم فى هذه الورطة والغلط الفاحش والكفر الصراح : قول متى التلاميذ ان المسيح عفدما ودعهم « قال : اذهبوا وعمدوا الأمم باسم الآب والابن وروح القدس » وهذا ان صح عن متى أنه نقل ذلك فالمراد منه : ببركة الله ورسوله (١) والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم ، كقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فهذه نتيجة التعميد ، وانما هى انخراطه فى سلك المطيعين الممثلين أوامر ربهم ، والتمسكين بالعروة الوثقى من اتباع نبيهم ، المؤمنين بما أتى به الملك الآتى للأنبياء بالوحى من خالقهم . فقوله عليه السلام : عمدوهم باسم الله ورسوله والآتى بالوحى منه لا يقتضى أن يكون مجموع ذلك هو المسيح . وأى دلالة تدل على ذلك ؟ بل الأدلة قائمة كما علمت على خلاف ما زعموه .

ومنها أن يقال لهم : انكم جعلتم معبودكم ثلاثة أقانيم الوجود والحياة والعلم ، فما الدليل على الحصر فى هذا العدد ؟ فان الدليل قائم على أن صفاته سبحانه أكثر من ذلك . ومنها القدرة فان قالوا : لا حاجة الى أقنوم القدرة اذ فى أقنوم العلم ممدوحة عنها . قلنا : لا نسلم من حصوله حصولها ، اذ كيف يكون العالم قادرا ؟ لأن العلم كشف المعلوم ومعرفة على ما هو به ، والقدرة الاختراع والايجاد ، ولو جاز الاجزاء بالعلم عن القدرة ،

(١) الاب هو الله تعالى . والابن هو رسول الله محمد . والروح القدس هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بلغه اهل الكتاب . وهذا تدبيناه فى كتابنا اقانيم النصارى .

لجواز الاجزاء ، بالحياة عن العلم ، آذ لا يلزم من الحى أن يكون عالما ، والعلم يخلفه ضده وهو الجهل والقدرة يخلفها ضدها وهو العجز . وإذا ثبت وصفه بالقدرة ، فقد ثبت وصفه بالارادة ، اذ حظ القدرة الاختراع والابداع ، والارادة التخصيص بالمقادير والأشكال والأزمان والاحوال •

وقول هذا المؤلف : ان الله ابنا ، وهو الكامة الخالقة ، مقصده : أن الكلمة حلت في المسيح كما تقدم في بيان عقائدهم • وبطلانه من وجهين : الأول • انه قد تحقق امتناع حلول صفة القديم في غيره • والثانى : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول الروح وهى الحياة ، وستأتى أيضا توضيحات وبراهين آخر في محلها من هذا الكتاب نرد التثليث وحصر الأقانيم ان شاء الله تعالى • غير أنا نذكر عبارة من مختصر تخجيل الأناجيل من كلام طويل جليل ، فنقول : قال عليه الرحمة ما نصه : « اعلم أن النصارى مجمعون على الثلاث • وهو أن ربهم آب وابن وروح القدس ، فيعبرون بالآب عن الذات ، وبالأبن عن النطق الذى هو الكلام ، وبالروح عن الحياة • ويزعمون أنه لا يصح لأحد توحيد دون أن يعتقد هذا ، ويزعمون أن الآب جوهر وأن له حياة وصفة نطق قالوا : فلا يكون الاله فاعلا حكيما الا بعد كونه حيا ناطقا ، فهل الحياة والنطق ذوات أو صفات ؟ اختلف فيه أكابرهم فمنهم من قال : ان الحياة والنطق صفات لجوهر الآب ، ومنهم من قال : بل هى ذوات بأنفسها • ومنهم من قال : بل هى خواص لذلك الجوهر •

وطريق البحث معهم فى ذلك أن يقال لهم : هل تنسبون اللاهوتية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة أم تزعمون أن الجميع واحد ، أو تقولون ان الاله واحد من الثلاثة والباقى صفات له ؟ فان قلتم : أن الاله واحد والزائد صفات له ، فقد أبطلتم القول بالثلاث • ووافقتموسا على قولنا بأن الاله واحد وله صفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام ، وأن شيئا من هذه الصفات ليست الاله وانما الاله ذات موصوفة بهذه الصفات ، وفارقتم حينئذ مشايخ

الأمانة ، اذ يقولون : ان الآب آله واحد وأن الابن آله واحد ، وأن روح القدس آله ثالث ، وأفسدتم صلواتكم ، حيث تقرعون فيها : « الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك في الابتداء وروح القدس مساويك في الكرامة » .

وان زعمتم : أن الجميع آله وأن واحدا من الثلاثة ليس بالآله على انفراد ، فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم لها واحدا مركبا من ثلاثة أقنانيم . وهذا مفسد لما انطوت عليه الأمانة ، من أن كل واحد من الآب والابن والروح آله مستقل باللاهوتية ، وهدمتم أصل النصرانية ، اذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالانسوت . واذا كان الآله عبارة عن الثلاثة ، فالآب والروح ما اتحد بالانسوت ، وانما اتحد الابن الذى هو العلم أو النطق ، فاذا ما اتحد الآله بل أحد الأقانيم الثلاثة ، وذلك عند تجرده لا يسمى لها .

وفى أمانتهم الشهيرة : « المسيح آله حق وأنه أتقن العوالم بيده ، وخلق كل شيء ، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس » وذلك مما يبطل هذا القسم . وذلك لأن الذى نزل انما هو فى زعمهم أقنوم الابن ، فان كان الآله هو مجموع الثلاثة ، بطل أن يكون الابن هو خالق الأشياء متقن العوالم ومخلص الناس ، اذ لا يوصف بذلك الا الآله الذى هو مجموع الثلاثة الآب والابن والروح القدس . وان زعمتم أن كل واحد من الأقانيم آله ومجموعها آله واحد . قننا لكم : ان كل واحد ، من الثلاثة آله حقيقة وتجاوزا أو توسعا ، وأن الآله الحقيقى هو مجموعها ؟ فان قالوا بهذا وصرفوه الى مجرد التسمية دون الحقيقة ، تركوا القول بالتثالوث وأثبتوا لها واحدا له صفات ، ثم سمو صفاته آلهة تحكما وتخرصا بغير توقف ولا دلالة ، وهدموا قول الأمانة وهـ . أن المسيح آله حق ، وقالوا بل هو آله تجاوزا وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقولون فى صلواتهم الهنا ورددوا قول مشايخ الأمانة اذ يقولون : ان المسيح هو الآله الحق لا آله بالتسمية والتجاوز ، وهذا الآله الحقيقى لم يتحد بجسد المسيح ، بل ما اتحد به ، الا اقنوم واحد . وقد يسعى لها على سبيل التجاوز والاستعارة ، وان زعموا أن كل واحد من

الأقنانيم اله كامل على الحقيقة • اذ أفرد والجميع اله واحد ، اذ جمعوا • وبهذا القول يقولون ، فهذه في الدرجة العليا من انفساد ، وذلك انما نقول لهم : أيجوز خلو الاله عن الحياة والعلم ؟ نأنا جوزوا ذلك ، قلنا لهم : فاذن لا حاجة الى الأقنانيم اذ الاله مستغن عنها • وان قالوا : لا بد من الحياة والعلم • قلنا : اذا قلتم : ان كل واحد من الأقنانيم الثلاثة اله حقيقة ، فلا بد له من الحياة والعلم ، وحينئذ تصير الأقنانيم تسعة ، فيصير التثليث تاسوعا ، اذ حياة كل واحد من الأقنانيم الثلاثة وعلمه أقنومان لله • ثم كل واحد من التسعة أقنانيم ليس باله حقيقة ، وانما يصير لها حقيقة اذا ثبت وجوده وحياته وعلمه • اذ لا يجوز خلو الاله عن الحياة والعلم ، وحينئذ يتسلسل القول الى اثبات آلهة لا نهاية لها • فهذا يترجم من يقول : ان كل واحد من الأقنانيم الثلاثة له حياة وعلم •

وان قالوا : لا يثبت هذا الوصف إلا لواحد منها امتنع عليهم وصف الثانى والثالث بالالهوية حقيقة ، لما تقرر أن الاله يجب أن يكون حيا عالما ، وبطل عليهم القول بانثالوث على كل الوجوه • والله سبحانه الهادى الى سواء السبيل •



ولنرجع الى رد ما نقله « القرافي » من كلامهم تكلمة لرد ما قاله « عبد المسيح » لأن دعواهما متحدة ودندنتهما الى شىء واحد مستتدة •

فنقول : قولهم نريد بالآب الذات الخ • لا كفر فيه ، وانما الاطلاق منكر مغاير للاطلاقات الشرعية ، فهم عصاة بهذا الاطلاق ، كفار عند ارادة المعنى الحقيقى • وأما استدلاله بعبارة الانجيل ، فالجواب عنها بوجهين : الأول : ان الأنجيل لا يعتمد عليها اذ جمعها وتحريرها بعد المسيح عليه السلام وفيهما التناقض والمحرف والمبدل ، كما سيتضح ان شاء الله تعالى لك فى كتابنا هذا : الثانى ان لفظ الآب أطلق

أيضا في العهد القديم والجديد على البارى سبحانه - بالنسبة لى اغيى عيسى من بنى اسرائيل ، وأطلق الابن أيضا عني غيره منهم ، والروح القدس يطلق على جبريل أيضا كما سيمر عليك فى هذا الكتاب • وأما استدلاله على التثايت بالبسملة ، فاستدلال ساقط بالمرّة لأن الرحمن الرحيم صفات له سبحانه فعليتان خارجتان عن ذاته سبحانه غير قائتين بها لأن المراد منهما : أنه ذو الرحمة الكثيرة المحسن الى خلقه المنعم عليهم ، وليس المراد بهما : النطق والحياة - كما زعم -

قال القرافي : « وأما قولهم ان النطق موجد فغلط • انما الموجد القدرة ، لأن كل صفة من صفات الله جل وعز لها خاصية لا توجد لغيرها ، فبالقدرة توجد الممكنات والارادة تخصص الممكن بزمانه وأحواله • والعلم يكشف الواجبات والممكنات والمستحيالات على ما هى عليه ، والسمع ادراك يختص بالكلام النفسانى والصوت الانسانى ، والبصر ادراك يختص بالموجود دون المعدوم بخلاف العلم ، فانسه يعمها ، والكلام النفسى الذى هو النطق يكون منه الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير ، ولا يجوز أن يعتقد اليجاد الا للقدرة بيس الا • والبراهين على هذا المطلب فى مطولات التئب الكلامية ليس هذا موضعها » •

قلت : وأما اليجاد فلفظ كن كما تشعر به آية « كن فيكون » فهو تمثيل للتأثير قدرته تعالى فى مراده ، فراجع روح المعانى • وأما قولهم : وفريد ببنوة المسيح وولادته بلا حدث قبل الدهور : أنه لم يزل الله تعالى ناطقا • فكلام غير معقول أصلا ، لأن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى ، وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام ، بل هو كالعلم والحياة والارادة • فان أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه فى زمن من الأزمان فضلا عن كونه لم يزل كذلك • كما يستحيل أن السواد يكون بياضا أو العلم يكون طعما أو الرائحة

لونا ، كذلك يستحيل أن كون النطق انسانا • فهذا التفسير غير معقوله
ولا مقصود بالبداهة •

وان أردتم أنه لم يزل نطقا ، أى لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود
عيسى عليه السلام في أزله فهو صحيح مقصود ، لأن خبر الله تعالى
بنطق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات الماضيات والحاضرات
والمستقبلات • لكن هذا التفسير لا يبتنى معه لدين النصرانية وجود ،
فان خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود
غيره من الأنام • ولم يزل كل واحد منهم نطقا بهذا التفسير ، فيبغى
أن يكون كل واحد من اليهود وغيرهم ابن الله سبحانه ولا مزية لعيسى
عليه السلام على واحد منهم في ذلك •

وان أردتم تفسيرنا ثالثا نقولوه حتى نعرفه ونجيب عنه ولا شك
أنكم لا تجدونه ولا تقولونه أبدا • وان أردتم أن الله تعالى خلق في
المسيح نطقا بما طلبه الله تعالى من العباد وأرادهم منهم ، فيقال : كذلك
سائر الأنبياء عليهم السلام خلق الله تعالى في نفوسهم الاخبار عن
أحكامه سبحانه ، بل العلماء كذلك ، وليس أحد منهم صار ابنا لله بذلك •
فظهر أن قولكم لم يزل المسيح نطقا قول باطل غير معقول أو قول
لا يلزم منه ألوهية المسيح ولا اتحاده ولا الطول •

وأما قولهم : ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة : غلط وخبط
فاحش لأن الارسل يلزم منه مرسل ومرسل اليه ولأن ارسال الشيء
اتصاله بغيره البائن له • وذلك غير معقول في كل صفة من صفات النطق
وغيره ، لأن الصفة أقامت بالموصوف فيستحيل ارسال الألوان والطعوم
والروائح والعلوم • الا مع انتقال محالها • وأما مفردها فمحال
ببديهة العقل • ومن شك في ذلك ، فليس بعقل • ومحل هذا النطق
يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال ، فانه ليس بجسم باتفاق
الفريقين ، والصفات المذكورة في الباري سبحانه قديمة كذاته التي
ليست هي محل الحوادث •

وأما إرسال الشمس لضوئها الذى جعله تنظيرا لما ادعاه • فليس معناه أن سفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير ، بل الله سبحانه يخلق الأنوار والأضواء فى أجزاء الهواء الكائن بين السماء والأرض عند بروز الشمس ، فالضوء الحاصل فى كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل فى الجزء الآخر وغير الضوء انقائم بجرم الشمس وعندنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة لم ترسل منها صفة واحدة ، بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه • والعجب تنظيرهم لما ادعوه بالشمس ، فإن ضياء الشمس أو حرارتها إذا أثرا فى محل ، لا يقال لذلك المؤثر فيه أنه صار شمسا أو حلت فيه الشمس ، أو اتخذت به كما هو ظاهر • فلم قالوا : ان جسد المسيح صار الها وهو الآن اله تام جالس عن يمين أبيه • فهل هذا الا خبط وخط ، ولم يقله أحد ذوى العقول قط •

وأما إرسال الانسان كلامه لغيره عن فكره • فذلك اما بالكتابة ، فأرسل حينئذ أجسام ورقوم سود فى أجسام بيض ونطقه انقائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه • وأما أن يوصى من يخبره بمقاصده مشافهة ، فهو صوت صدر على لسانه ، سمعه ، رسوله فقال ذلك الرسول أصواتا أخر لذلك الغير • ولا يقال ان الانسان أرسل كلامه النفسى واللفظى ، بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمعه رسوله ، ولم يأخذه معه ولا يمكن تجسد ذلك المعنى القائم بالنفس ولا اللفظ أيضا • كما هو ظاهر فهذا التمثيل غير مطابق للدعوى بل جهل بالحقائق وأحكامها •

وتبين الخبط فى قولهم أيضا • فتجسم النطق انسانا من الدروح القدس ومن مريم الى آخره • اذ كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسما ويولد ويأكل ويشرب ويقتل والحالة هذه : هذا أن النطق اله كامل حقيقى ؟ وان ذلك كقول القائل : اللون صار جملا والطعم صار فرسا والرائحة صارت غزالا ، فمن قام به لون قام به جمل ، ومن قام به طعم قام به فرس ، ومن قام به رائحة قام به غزال •

وكيف يتخيل ذو لب أن المعانى تتقلب أجساما ، مع أن المعانى مفتقرة للمحال لذاتها والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها ؟ وذلك كإنتقال الممكن واجبا أو الزوج فردا أو الفرد زوجا أو السواد بياضا . فان كنتم تجوزون هذا كله وهو المظن بكم لصقاعة عقولكم سقط الكلام معكم • لأن الكلام مع من لا يعقل عبث • وان كنتم لا تجوزون ذلك فاتركوا التعصب والحمية الجاهلية وتقليدكم لأسلافهم واستعدوا لآعرتكم ، ولا تقولوا : تجسم النطق الربانى فى عيسى ، وصار الاله جسما مولودا مقهورا مقتولا ، واعترفوا ببطلان هذه النبوة وأثبتوا له النبوة • ولا تقولوا : انه اله وانسان • اذ المبنى على الفاسد فاسد ، فلا يكون الاله حيوانا •

وأما قولهم : ان القرآن العظيم أثبت هذه النبوة بقوله سبحانه :
« **ووالد وما ولد** » فهو افتراء على الله سبحانه وكتابه لأن المراد بذلك على ما هو المشهور عند أكثر المفسرين : آدم وذريته •

وقيل : ابراهيم وولده اسماعيل والنبي عليه الصلاة والسلام •
والعجب من النصارى : أنهم لم يكتفوا بتحريف كتبهم وتأويلاتهم الفاسدة حتى تجرأوا على تأويل كتابنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأرائهم الكاسدة •

وأما قولهم : وسبب تجسد الكلمة أن اللطيف لا يظهر الا فى الكثيف كما خاطب الله تعالى موسى عليه السلام من العوسجة •

فواجبه : أن هذا تحكم اذ يجوز أن يخلق الله تعالى لنا عاما ضروريا بكل لطيف على ما هو عليه من غير أن يدل ذلك اللطيف فى غيره ولا يتحد بسواه كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلية بدلالة صنعته عليه ، قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث فى زمن عيسى عليه السلام • ويلزم النصارى أن جميع الخلق قبل ظهوره لم يظهر لهم

شئ من صفات الله تعالى وكمال ذاته ووحدانيته وألوهيته ، حتى ظهر عيسى عليه السلام . وهذا من المحال بمكان ، بل هذه دعوى ظاهرة البطلان .

وأما تمثيلهم ذلك بشجرة العوسج . فخطأ شنيع . وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة في القرآن الكريم في ثلاث آيات : أحداها : قوله سبحانه : « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا انى آنست ناراً ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فأخضع نعليك منك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لى يوحى : اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري » والثانية : قوله سبحانه : « إذ قال موسى لأهله انى آنست ناراً سأتيكم بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما جاءها نودى : أن يورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم » والثالثة قوله عز وجل : « فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا . فقال لأهله : امكثوا انا آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلحون . فلما آتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين ، وأن آلق عصاك » الآيات

وفى السفر الثانى من التوراة قوله : « وكان موسى يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم الى برية وجاء الى جبل الله بحوريب وترائى له الرب بلهب النار من وسط العليقة ، فنظر الى العليقة تنوقد فيه النار وهى لم تحترق . فقال موسى : أنطلق وأنظر الى هذا المظهر العظيم لم لا تحترق العليقة ؟ ورأى الله أنه جاء لينظر فدعاه من جوف العليقة ، وقال : موسى موسى . فقال : ها أنا ذا . قال له : لا تدنوا لى ههنا . حل الحذاء من رجليك من أجل أن المكان الذى أنت فيه قائما ، أرض مقدسة . وقال له : انى أنا الله اله آبائك . انه ابراهيم والسه

سحاق وآله يعقوب • فغطى موسى وجهه من أجل أنه خشى أن ينظر
فحسوا الله » •

وجوابه من أوجه أحدها : أن الكلام صفة قائمة بذاته تعالى • وقد
أثبتنا في ما تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف ، فكيف ينتقل كلام
الله سبحانه إلى هذه الشجرة التي هي العناب أو السليقة أو العوسجة
أو السمرة حتى يسمعه موسى عليه السلام ؟ ثانيها : أن الله سبحانه
بكلام نفسه (١) لا لفظي كما هو قول كثيرين من المسلمين ومنهم الأئمة
الشعري والغزالي والفخر الرازي • فأنذى سمعه موسى هو
بلا صوت ولا حرف • وهذا كما أن ذاته سبحانه بلا كيف ولا كم •

(١) أن كلام الله تعالى لموسى في طور سيناء ، هو محل خلاف بين المعتزلة
وأهل الحديث سلفا وخلفا فالمعتزلة يقولون : قبل أن نتكلم في كلام الله ،
نحدد معنى الكلام ونبين حقيقته • وقد حددوه بأنه ما انتظم من حرفين
فصاعدا • أو هو ما له نظام من الحروف مخصوص • فهل الله تعالى تكلم
بحرف وصوت ؟ فالمسلمون آلا السلف يقولون : لا • هو
لا يتكلم بحرف ولا صوت • إذ ليس كمثله شيء • فكيف كلم موسى ؟
والاجابة هي :

- ١ — إما أن ملاكا من ملائكة السماء تكلم نيابة عن الله •
- ٢ — وأما أن الله ألهم موسى في قلبه كلاما واستيقن أنه كلام الله •
- ٣ — وأما أنه خلق شيئا • إذا نظره الناظر يعرف منه مراد الله •
- ٤ — وأما أنه خلق الكلام في الشجرة • وهى التى كلمت موسى عليه
السلام •

وكل فريق من المسلمين غير السلف اختار من الاجابة ما اعتقد أنه صحيح •
ولكنهم اتفقوا على أن الله لم يتكلم بصوت ولا حرف • أما الكلام النفسى أى
ما يجول في خاطر الانسان ولم يتلفظ به • فهذا يسميه الأشاعرة كلام الله •
ولا يسميه المعتزلة كلاما • إذ هو ليس بحرف ولا بصوت •

وقد احتجت المعتزلة على قولهم بأن الله تعالى تكلم بكلام خلقته في جسم
بقوله تعالى : « من الشجرة » فإن هذا صريح في أن موسى — عليه
السلام — سمع النداء من الشجرة • والتكلم بذلك النداء هو الله •
وهو — تعالى — منزه أن يكون في جسم • فثبت : أنه تعالى إنما يتكلم
بخلق الكلام في جسم •

ثالثها : انه عليه السلام تلقى ذلك الكلام تلقيا روحانيا ، كما تتلقى الملائكة عليهم السلام كلامه تعالى : لا من جارحة ، ثم أفاضته الروح بواسطة قوة العقل على القوى النفسية ، ورسمته في الحس المشترك بصور ألفاظ مخصوصة فصار لقوة تنصوره كأنه يسمع من الخارج • وهذا كما يرى النائم أنه يكلم ويتكلم • رابعها : ان هذا الكلام الذى سمعه موسى حادث • وهو صوت خلقه الله تعالى في الشجرة • وهو قول المعتزلة القائلين بأن كلام الله سبحانه مخلوق حادث ، وقول أهل ما وراء النهر من أهل السنة القائلين بقديم الكلام ، فيكون حينئذ قول الشجرة : انى أنا الله حكاية لكلام الله سبحانه ، كما يحكى جبريل كلام الله • خامسها : ان البارئ سبحانه لم يحل في الشجرة ولم يتحد بها — كما زعمه النصارى ، في المسيح — بل ظهر النور على الشجرة أو النار • أو البارئ لم يحل في شيء من ذلك ، وكلم موسى بكلامه اللفظي بحروف وأصوات كما هو مذهب السلف الصالح وكثيرون من أئمة المسلمين وأئسادة الصوفية منهم ، وسمع موسى ذلك الكلام اللفظي كما سمعه في غير ما مرة • ولذلك يقال له : كلم الله • ولا يلزم منه حلول البارئ سبحانه في الشجرة ، كما تريد النصارى بحلوله بيسى واتحاده ، كما يستفاد ما قلناه من التوراة أيضا •

وقد روى الامام أحمد وغيره عن وهب بن منبه انه عليه السلام لما رأى النار انطلق يسير حتى وقف منها قريبا ، فاذا هو بنار عظيمة تفور من ورق شجرة خضراء شديدة انخضرة ، يقال لها : العليق ، لا تزداد النار فيما يرى • الا عظما وتضمرما ، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق الا خضرة وحسنا ، فوقف ينظر لا يدري على ما يضع أمرها الا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق وأوقد اليها بوقد ، فثالها فاحترقت ، وأنه انما يمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثافة ورقها وعظم جذعها ، فوضع أمرها على هذا ، فوقف وهو يطعم أم يسقط منها شيء ، فيقتبسه ، فلما طال عليه ذلك أهوى اليها بضغث في يده ، وهو يريد ان يقتبس من ثمرها • فلما فعل ذلك مالت نحوه كأنها تريد.

فاستأخر عنها وهاب ، ثم عاد فطاف بها • ولم تزل تطعمه ويضع بها ،
ثم لم يكن شيء بأوشك من خمودها ، فاشتد عند ذلك عجبها وفكر في
أمرها • فقال : هي نار ممتنعة لا يقتتس منها ، ولكنها تتصرم في جوف
شجرة فلا تحرقها ، ثم خمودها على قدر عظمها ، في أوشك من طرفة
عين • فلما رأى ذلك قال : ان لهذه لثأنا ، ثم وضع أمرها على أنهن
مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بم أمرت ؟ ولا من صنعها ؟
ولا لم صنعت ؟

فوقف متحيرا لا يدري أيرجع أم يقيم ؟ فبينما هو على ذلك اذ رمى
طرفه نحو فرعها فاذا أشد مما كان خضرة ساطعة في السماء ، ينظر
اليها تفشى الظلام ، ثم لم تزل الخضرة تنور وتصفى وتبيض حتى
صارت نورا ساطعا عمودا بين السماء والأرض ، عليه مثل شعاع
الشمس تكل دونه الأبصار كلما نظر إليه يكاد يخطف بصره ، وعند ذلك
اشتد خوفه وحزنه ، فرد يده على عينيه ولصق بالأرض ، وسع حينئذ
شيئا لم يسمع السامعون بمثله عظما •

فلما بلغ موسى عليه السلام الكرب واشتد عليه الهول ، نودى من
الشجرة وقيل : يا موسى • فأجاب سريعا وما يدري من دعاه ، وما كان
سرعة اجابته الا استثناسا بالانس — فقال ليبيك مرارا ، اني لأسمع
صوتك وأحس حسك ، ولا أدري مكانك ، فأين أنت ؟ قال : أنا فوقك
ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك : فلما سمع هذا موسى
عليه السلام أنه لا ينبغي ذلك الا لربه تعالى ، فأيقن به • فقال كذلك
أنت يا الهى ، فكلامك أسمع أم رسولك ؟ قال : بل أنا الذى أكلمك •
وروى أنه عليه السلام كان كلما قرب منها تباعدت فاذا أدبر اتبعته ،
فأيقن أن هذا أمر من أمور الله تعالى الخارقة للعادة ، ووقف متحيرا
وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ، وكان ا كان •

وقال بعضهم انها لم تكن نارا بل هي نور من نور الرب . يسارك
ونعالى • وذكر بلفظ النار بناء على حساب موسى عليه السلام • وروى

هذا عن ابن عباس رضى الله عنه أيضا • وقد روى أنه عليه السلام كان يسمع من جميع الجهات بجميع أعضائه ، وأنه بذلك عرف أنه كلام الله تعالى •

سادسها : يلزم النصارى اذا استدلوا على حلول كلمة الله تعالى بعيسى بحلول كلمته فى العوسجة أن تكون العوسجة إلها لوى عليه السلام كما لا يخفى • ولا أظنهم قائلين بذلك • والله أعلم •

وبما ذكرناه تبين : تزيف ما قالته النصارى : أن القرآن الكريم ناطق بجواز الاتحاد ، اذ فيه أن الله تعالى كلم موسى من الشجرة • وقالت : أنا الله • واذا صح الاتحاد بالشجرة ، صح بذات عيسى عليه السلام •

وفساد تنظيرهم بموت زيد وبقاء نفسه • واضح اذ أين هذا من القول بأن الله القديم الذى ليس كمثله شىء الواحد من جميع الجهات، يحل فى عيسى ويتحد به • فيكون عيسى الها وابن الاله • وكذا تنظيرهم بالحديدة المحماة • فأين الحديد الحادث المخلوق والنار ، من الله الواحد القهار ، وكذا تنظيرهم بيد الخياط • فهل هذا الا قياس فاسد وخباط ؟ حتى أرسل هذا السؤال زعيم انقيسين المدعو « أوغسطين » ورسمه فى كتاب سماه « مصحف العالم » من طليطلة الى قرطبة (١) من بلاد الأندلس زاعما أنه وجد ما يلزم به المسمين فى ردهم للاتحاد والحلول والوهية عيسى على ما اقتضته عقيدة المثلثين : فتبين له بعد جـواب المسلمين : أن ذلك هباء أو سراب يظنه الظمان ماء والحمد لله رب العالمين •

وأما استدلاله بتصريح القرآن الكريم : أن عيسى روح الله وكلمته • فقد بينا غير مرة المراد بذلك •

وأما قوله : الله وكلمته وروحه اله واحد ، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة ، كما يقال : الانسان وعقله وحياته ثلاثة وهو انسان واحد •

(١) كلام أوغسطين ورد الامام القرطبى عليه ، مذكور فى كتاب الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاهام — نشر دار التراث العربى بالقاهرة .

فيقال لهم : نعم يلزمكم ذلك ، لأنكم قلتم : الكلمة انتقلت للمسيح ، فاستحق العبادة لذاته ، فهو اله كامل وانسان كامل ، وقلتم في أمانتكم : « نؤمن بالله الواحد الآب صانع كل شيء ، وبالله الواحد يسوع المسيح ابن الله الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، وخلق كل شيء ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم ، وصار انسانا وحبل به ، وولد من مريم البتول » الى آخر ما قلتم .

فهل يوجد فى كلام خبط وتناقض شرك وافر ، أزيد من هذا ؟ وهل يكون هذا كقولنا الانسان وعقله وحياته ثلاثة وهو انسان واحد لأن العقل والحياة صفتان له ولم تنتقل منه الى غيره ؟ فانظروا الى هذا القياس الفاسد والتنظير الكاسد ، فنعوذ من خذلانكم بالله الواحد .



فصل

اذا علمت جميع ما حررناه وتدبرت بالفكر الصائب ما دبرناه تبين لك أن قول النصارى فى بعض كتبهم ان اطلاقهم الآب والابن وروح القدس على الاله الواحد وجعلهم الاله ثلاثة . والثلاثة واحدا يكون كاطلاق اليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك من المتشابهة عند المسلمين على الله تعالى ، مع أن أكثر المسلمين لا يعتقدون التجسيم ولا يريدون ظاهره البين البطلان وهو قول غير مطابق واحتجاج كاذب غير صادق لأن المتشابهة الوارد عندنا وارد فى جميع الكتب السماوية وإضافة الكتابيين يأولون ذلك بما يليق بجلال الله سبحانه وذاته العلية ، أو يؤمنون به من غير بحث عن الكيفية ولا يعتقدون التجسيم والتنشبيه بمخلوقاته سبحانه وتعالى ، والمسلمون بقرعون الآيات كما وردت وبحروفها نزلت ، ولا يشبهون ولا يعطلون ، أو يأولون الآيات اللازم تأويلها تأويلا قريبا حسنا ، كما أن اليهود والنصارى يأولون الآيات المتشابهة عندهم ، ويعترفون بكثرة وقوع المجاز فى الكتب السماوية

كما ستعرفه أيضا من قول صاحب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين في الفصل الثالث عشر من كتابه :

« وأما اصطلاح الكتاب المقدس فانه ذو استعارات وافرة غامضة وخاصة العهد العتيق » ثم قال : « واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعارى جدا ، وخاصة مسامرات مخلصنا — أى المسيح — وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة ، لكون بعض معلمى النصرى شرحوها شرحا حرفيا ليس صوابا » •

وستأتيك تتمته ان شاء الله تعالى في محلها • وقد ذكرنا في كتابنا هذا كثيرا من الكلمات الواردة عند النصرى التى لا يراد بها ظاهرها فيأولونها • والمقصود هنا - أن المتشابه الوارد فى الكتب السماوية هم بأولونه ونحن نأوله تأويلا قريبا أولا نأوله ، ولا نقول : ان المراد منه هو المعنى الظاهر للفظ • لأن ظاهره محال بالنسبة الى الدارىء سبحانه بل نمره كما ورد من غير تشبيه ولا تعطيل • فنحن وسائر أصحاب الكتب السماوية على ذلك • فأين هذا من تثليث النصرى والعشاء اثربانى كما ورد عندهم بعض الكلمات الموهمة للتثليث رالعشاء بزعمهم ، مع أن آيات أخر ترد ذلك • وتصرح بأن عيسى ابن الانسان (١) وابن داود ، وأنه رسول الله • ويقول : « ايلى ايلى لما شبعتنى ، أى الهى الهى لم تركتنى » ؟ ويولد من مريم • ويأكل ويشرب ويتعلم من اليهود وبصلب ويجرى عليه من خلقه بزعمهم ما لا يجرى على غيره ، مع أن رواية الانجيل حالهم معلوم ، وكذا حال التوراة مفهوم لدينا ومرسوم ، كما ستحيط به خبرا فى محله ان شاء الله تعالى فكيف تقاس مسألة ورود المتشابه عندنا على المروى بالتوراة أنه كلام الله سبحانه كما سنثبت فى محله بحوله تعالى بورود مسألة التثايت ؟ وهل هذا الا قياس مع الفارق ؟ مع أنكم لم تقرأوا آية الشعب يد باسم الآب والابن

(١) لقب ابن الانسان فى الانجيل هو لقب لمحمد صلى الله عليه وسلم اقتبسوه من سفر دانيال عنه • كما بينا فى كتابنا البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل — نشر دار البيان العربى بالقاهرة •

وروح القدس ، وتسكتوا ، بل أخذتم بظاهرها وحكمتهم بأن عبسوا اله
تام من جوهر أبيه • فأين هذا من قولنا في المتشابه الذى تأوله تأويلاً
حسناً أو نسكت عنه ، ونكل علمه الى الله تعالى ولا نشبه الله بخلقه
ولا نعطله عن صفاته ؟ والفرق بيننا وبينكم فى ذلك كالفرق بين الذهب
والخالص والتراب • لأننا لم نجعل أحداً مثابها أو ولداً لرب الأرباب •
والحمد لله ملهم الصواب •



قال النصرانى : « فأول ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث أعلمه
كيف خلق آدم • فقال فى السفر الأول من كتاب التوراة : « فى البدء
الالهة برأ السموات والأرض » • وبهذا يشير الكتاب المقدس الى تثليث
الأقانيم ووحدة الطبيعة ، لأنه بقوله : « الآلهة » بصيغة الجمع يشير
الى لاقانيم الالهية الثلاثة ، ويقول « برأ » بضمير المفرد يشير
الى وحدة الطبيعة والجوهر الذى هو للأقانيم الالهية الثلاثة • وقال
أيضاً فى هذا السفر : « أن الله قال عند خلقه آدم : لنصنع انساناً
يشبهنا وصورتنا » ولم يقل عز وجل : اصنع أو اعمل بصورتى وشبهى
وقال تبارك وتعالى فى الأصحاح الثانى من هذا السفر عندما أراد أن
يخلق جواء : « لا يجعل أن يكون آدم وحده ، فلنجعل له معيناً مثله »
ولم يقل : اجعل وقال جل وعز : « ان آدم قد صار كواحد منا »
توبيخاً له بذلك من أجل خطيئته ومعصيته الوصية فى أكله من ثمرة
الشجرة التى أمره الله تعالى ألا يأكل منها فعصاه وأكل ، فورث بذلك
موت الخطيئة ، ولم يقل تبارك وتعالى : « مثلى » وقال عز وجل فى
موضع آخر أيضاً من هذا السفر : « تعالوا ننزل فنبلل هناك لسانهم »
وذلك لأنهم اجتمعوا ليعينوا صرخاً يكون رأسه فى السماء » ففرق الله
ضعف رأيهم وقلة عقولهم فيما فكروا فيه من بناء صرح شامخ يصير
لهم ملجأ ومهرباً من الطوفان اذا جاءهم مرة أخرى • والله تبارك وتعالى
عالم أنه قد كان عاهد نوحاً أنه لا يأتى الطوفان مرة أخرى على وجه
الارض • وكان بناء هؤلاء والفكر فيه سخفاً وسفهاً ، فغير أنسنتهم
ليتمطلوا على انفاذ فكرهم الذى لا معنى له • ولم يقل : أنزل فابلبل •

فهذا ما ناجى الله به موسى فخبّرنا بهذا السر في الأتانيم الثلاثة عن الله تبارك وتعالى • أنشأنا لنا — أصلحك الله — أن ندع كلام الله عز وجل والسر الذى أودعه موسى نجيه ، وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التى لا يمكن أحدا من الآدميين أن يأتى بمثلها وتصحيحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ، وتقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا أعجوبة ولا دليل ولا ضح ولا برهان ساطع ، حيث يقول : ان الله فرد صمد ، ثم يرجع فيناقض قوله ، ويقول : ان لله روحا وكلمة • فهو قد وحد وثلاث من حيث لم يعلم ، وما أظنك ترى ذلك صوابا اذا أنت أنصفتنا ؟ ودانيال النبی يخبرنا في كتابه أن الله تبارك لم يبعث نصرا : « لك نقول يا بخت نصر » ولم يقل : لك أقول • وفي كتابك أيضا شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى وهو : قتلنا وخلقنا وأمرنا وأوحينا وأهلكنا ودمرنا ، مع نظائر لهذه كثيرة • أفيشك أحد يعقل في أن هذا القول قول شتى لا قول فرد ؟

فان ادعيت : أن العرب قد أجازت هذا القول واستعمته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفتخ • قلنا لك : أيها الملق لكلام انه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلق ، فأما اذا تد سبق العرب العبرانيون والسريريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوى اللسان المختلفة على غير تواطىء فليس ما وصفت من اجازة العرب ذلك حجة ، مع أنه من أين أجازت العرب هذا ؟ فان قلت : بلى قد أجازته حيث الرجل الواحد منهم : أمرنا وأرسلنا وقتلنا ولقينا وما أشبه ذلك • نقول لك : ان ذلك صحيح جائز في المؤلف من أشياء مختلفة ، والمركب من أعضاء غير متشابهة ، لأن الانسان واحد كثيرة أجزاؤه • فأول الأجزاء من الانسان : النفس والجسد • والجسد مبنى من أجزاء كثيرة وأعضاء شتى • فلذلك جاز له أن ينطق بما وصفت من قتلنا وأمرنا وأوحينا اذ هو عدد واحد كما ذكرت •

فان قلت : ان ذلك تعظيم لله جل وعز واجلال له وتفتخيم أن يقول : أرسلنا وأمرنا وأوحينا • قلنا لك : لعمرى لو لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم ، لجاز قوله • ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلمنا أنه

واحد ذو ثلاثة أقانيم قد نطق بكلمتا الصيغتين من • أمرت وأمرنا وخلقتم
وخلقنا وأوحيت وأوحينا فان الأولى دليل على الوحدانية والثانية على
تعدد الأقانيم •



فأقول الآن منكم على هذه العبارات التي سردها النصراني •
وخلاصة مقصده منها : القول بالثالوث ، أى أن الله سبحانه ثلاثة حقيقة
وواحد حقيقة على ما تقتضيه عقيدته الباطلة وعاقدا لأبطاله مقدمة
وثلاثة فصول وخاتمة •

أما المقدمة ففي بيان أمور تفيد الناظر بصيرة في الفصول :

الامر الاول : ان كتب العهد العتيق ناطقة بأن الله تعالى واحد أزلى
أبدى لا يموت قادر يفعل ما يشاء ، ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في
الصفات ، برىء عن الجسم والشكل ، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في
تلك الكتب غير محتاج الى نقل الشواهد هنا •

الامر الثانى : ان عبادة غير الله سبحانه حرام وكفر ، وحرمتها مصرح
بها في مواضع شتى من التوراة ، مثل الأصحاح العشرين والرابع
والثلاثين من سفر الخروج فقد قال فيه : « فان قام بينكم نبي أو من
يقول انه نظر حلما وسبق وقال على آية أم عجيبة رحدث ما تكلم به ،
وقال لك : لنذهب ونتبع آلهة أخرى لم تعرفها ، وتعبدوها ، فلا تسمع
قول ذلك النبي أو حالم الأحلام ، ان الرب الهك انما يبتليكم لبيان انكم
تحبونه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أم لا ؟ الرب الهكم فاتبعوه ،
واياه فاحشوا ووصاياه فاحفظوا واسمعوا صوته ، وله فاعبدوا ، وبه
فاعتصموا ثم يقتل ذلك النبي أو ذلك حالم الأحلام أنه تكلم ليزيغكم
عن الرب الهكم » وفي الأصحاح السابع عشر من السفر المذكور . أنه
لو ثبت على أحد عبادة غير الله تعالى يجرم ، رجلا كان أو امرأة •

الامر الثالث : في آيات متعددة كثيرة من العهد العتيق ما ظاهره
التجسيم والشكل والأعضاء لله سبحانه وتعالى • مثلا في الأصحاح الاول
من سفر التكوين قوله : « فلنعمل انسانا على صورتنا ومثالنا » وقوله

فيه أيضا : « فخلق الله الانسان كصورته كصورة الله خلقه ذكرا وانثى ، وباركهما الله » . وفي الأصحاح التاسع منه أيضا : « لأن على صورة الله خلق الانسان » وفي الأصحاح التاسع والخمسين من سفر أشعيا : « ها هو ذا أن ليس يد الرب صغيرة عن الخلاص ولا أذنه ثقيلة عن السمع » وفي المزمور الثالث والأربعين قوله : « لكن يمينك وذراعك وضوء وجهك لأنك سررت بهم أنت هو ملكى والهى » وفي المزمور السابع عشر : « طأطأ السموات ونزل والضباب تحت رجله » وفي المزمور العاشر : « أجفانه تفحص بنى البشر » وفي المزمور الثانى : « الرب قال لى : أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك » وفي الأصحاح الرابع من نبوة ارميا « يقول الرب طرقتك وأفكارك فعلن عليك هذه هذا سوءك ، لأنه مر لأنه وصل إلى قلبك . بطنى بطنى يوجعنى احساس قلبى ارتجت بى ، لا أسكت » . وغير ذلك مما يدل على التجسيم .

وللتفزيه فى التوراة آيتان (١) وهما : «فلكمكم الرب من جوف النار فسمعتهم صوت كلامه ولم تروا الشبه البتة » وقونه : « فاحتفظوا بأنفسكم بحرص فانكم لم تروا شبيها يوم كلمكم الرب فى حوريب من جوف النار » ولما كان مضمون هاتين الآيتين مطابقا للبرهان العقلى فى تفزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية والتشبيه بخلقه ، وجب تاويل الآيات الغير محصورة والامساك عن القول بطواهرها البدالة على الجسم والشبه لا تأويلهما . وأهل الكتاب ههنا أيضا يوافقونا على أن ليس المراد ظواهرها البينة انبطلان لأن الجسمية محالة فى حقه تعالى ولا يرجحون تلك الآيات الكثيرة على هاتين الآيتين .

وكذلك يوجد فى الكتب المذكورة اثبات المكان لله سبحانه مثل قوله : « ونيصنعوا لى مقدسا وأحل بينهم » وفى المزمور التاسع : « رتلوا للرب الساكن فى صهيون » وفى المزمور العاشر : « الرب فى هيكل قدسه ، فى السماء كرسيه ، عيناه الى البائس تنظران أجفانه تفحص بنى البشر » وفى المزمور الخامس والعشرين : « يارب أحببت جمال بيتك وموضع

(١) ذكرنا أكثر من الايتين فى تحقيقنا لكتاب اسانس التقديس لشيخ الاسلام فخر الدين الرازى .

محلة مجدك » وفي المزمور السابع والستين : « الجبل انذى سر الله أن يسكن فيه الرب يسكن فيه الى الانتضاء ، مركبة الله بالربوات المضاعفة والألوف المخصيين ، الرب فيهم • في سيفاء القدوس » •

وفي المزمور الخامس والسبعين : « الله معروف في يهوذا ، واسمه عظيم في إسرائيل ، صار موضعه بسلام ومسكنه في صهيون » وفي المزمور الثامن والتسعين : « الرب ملك فلتسخط الشعوب الجالس على الشاروبيم فلتترزل الأرض ، الرب عظيم في صهيون » وفي المزمور المائة والرابع والثلاثين : « يا خالق الرب باركو الرب مبارك الرب من صهيون الساكن في اورشليم » وغير ذلك من الآيات الدالة على المكان له سبحانه •

ولا توجد في العهد العتيق والجديد الآيات الدالة على تنزيه الله تعالى عن المكان الا آيات قليلة • مثل ما في الأصحاح السادس والستين من سفر أشعياء قوله : « هكذا يقول الرب : السماء كرسى والأرض موطنى • فأى البيت الذى تبثون لى ، وأى المكان لراحتى ، جميع هذه عملتها يدي ، وصنعت جميع هذه » والآية الثامنة والأربعين من الأصحاح السابع من سفر أعمال الحواريين ، لكن لما كان مضمون هذه الآيات القليلة موافقا للبراهين أولت الآيات الكثيرة الغير محصورة الشعرة بالمكّن لأن ظاهرها بالمعنى المغوى بين البطلان ، ولم تزل هذه الآيات القليلة لموافقتها للعقل والبرهان •

وأهل الكتاب أيضا بوافقونا في هذا التأويل ، فقد ظهر من هذا الأمر الثالث أن الآيات الكثيرة اذا كان منطوقها مخالفا للبراهين العقلية والنقلية ، يجب ارجاعها الى ذلك القليل الموافق للعقل ، ولا يثبت بكثرة المخالف ، فكيف اذا كان الكثير موافقا لصحيح العقول وصريح المنقول والقليل مخالفا لهما • فعدم اجرائه على ظاهره وتأويله أمر ضرورى بالبداهة كما لا يخفى •

الأمر الرابع : كما علمت فيما تقدم • أنه سبحانه ليس له شبه • به

وصورة • فاعلم أنه • قد صرح في العهد الجديد أيضا أن رؤية الله تعالى في الدنيا غير واقعة في الآية الثامنة عشر من الأصحاح الأول من انجيل يوحنا من قوله « الله لم يره أحد قط » وفي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج من التوراة قوله : « الآن ان كانت لى عندك رحمة فأرني وجهك لأعرفك وأظفر منك برحمة ، فانظر الى شعبك هذا فهو جمع عظيم • فقال الرب : وجهي يسير أمامك فأريحك • قال موسى : ان أنت لم تسر أمامنا فلا تصعدنا من ههنا • فاننا بماذا نعرف أنا وشعبك أننا ظفرنا منك برحمة ، ان كنت لم تسر معنا لنكون أنا وشعبك ممييزين معروفين من جميع الشعوب ، الذين على وجه الأرض ؟ وقال الرب لموسى : فقولك هذا الذي قلت أنا أفعل من أجل أنك لقيت عندي رحمة وعلمتك بالاسم • فقال له : أرني مجدك • قال له : أنا أظهر جميع حسناتي قدامك وأدعو باسم الرب قدامك ، فأترحم على من أترحم وأتحنن على من أتحنن • وقال له أيضا : انك لا تقدر على النظر الى وجهي ، لأنه لا يرانى بشر فيحيا •

وفي الآية السادسة عشر من الأصحاح السادس من الرسالة الأولى الى تيموثاوس : « لم يره أحد من الناس ولا يقدر ان يراه » وفي الآية الثانية عشر من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى : « الله لم ينظره أحد قط » فثبت من هذه الآيات : أن من كان مرثيا لا يكون الها قط • ولو أطلق عليه في كلام الله تعالى أو الأنبياء أو الحواريين لفظ الله ومثله •

فلا يغتر أحد بمجرد إطلاق مثل لفظ الله ولا يدعى أن التأويل مجاز فكيف يرتكب ؟ لأن المصير الى المجاز يجب عند القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة سيما اذا دل البرهان القطعى على المنع لأننا اذا قلنا : بئى الأمير المدينة أو المسجد فلا يشك عاقل أنه لم يبنها بنفسه ويده • بل لكونه الأمر نسب البناء له •

وقد أطلق لفظ الله ولفظ الرب في الكتب السماوية على غير الباري سبحانه كما ستقف عليه قريبا ان شاء الله تعالى •

فمن ذلك ما في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين قوله : « ولما صار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة ترأى له الرب ، وقال له : أنا الله ضابط الكل فسر أمامي وكن تاما » وقوله : « ولما فرغ الله من خطابه معه ، صعد عن ابراهيم » ومثله ما في الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين من اطلاقه على الملك الذي ظهر على ابراهيم عليه السلام مع الملكين الآخرين اللذين بشرا ، بولادة اسحق ، وأخبره بهلاك قوم لوط . كما سيأتى ان شاء الله تعالى بقية الكلام عليه . ومن ذلك ما في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر المذکور قوله : « وتخلف هو وحده وهو ذا رجل فكان يصارعه الى الفجر ، وحين نظر أنه لا يفوز به فجس عرق وركه ولساعته ذبل ، وقال له : أطلقني لأنه قد أسفر الصبح . وقال له : لا أطلقك أو تباركني . فقال له : ما هو اسمك ؟ فقال : يعقوب . وقال : لا يدعى اسمك يعقوب بل اسرائيل يكون اسمك . من أجل أنك ان كنت قويت مع الله ، فكم بالحرى لك قوة في الناس ، فسأله يعقوب وقال : عرفني ما اسمك ؟ فقال له : لم تسأل عن اسمي وباركته في ذلك المكان . فعدا يعقوب اسم ذلك المكان فنوئيل قائلا : رأيت الله (١) وجها لوجه وتخلصت نفسي » .

وهذا المصارع كان ملكا لما عرفت . واذا لم نقل ذلك يلزم أن يكون اله بنى اسرائيل في غاية العجز والضعف ، حيث صار يعقوب الذي هو مخلوقه الى الفجر ، ولم يغلب عليه بدون الحيلة . وقد أطلق لفظ الله والأرب وأمثالهما في أكثر من خمسة وعشرين موضعا من العهد القديم والجديد على غيره سبحانه ، وقد ذكر في أكثر التراجم الهندية والفارسية كما نقله الفاضل الشيخ رحمت الله الهندي بدل لفظ الله لفظ فرشته الذي هو بالعربية الملك .

وقد أطلق لفظ الاله على موسى في الأصحاح السابع من سفر الخروج وهو قوله : « فقال الرب لموسى : أنظر فاني قد جعلتك الها لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيا » ومن هنا يظهر ترجيح اليهود

(١) في التوراة السامرية : ان المصارع ملك الله ، وليس الله نفسه . وكذلك في سفر هوشع .

على أهل الصليب في هذه العقيدة ، لأنهم بعد سماعهم ما ذكر ،
ما أوصلوه الى رتبة الألوهية بل أبقوه على العبودية كما فعل النصارى
يعيسى عليه السوم عند سماعهم بعض الكلمات الموهمة المأولة وجعلهم
له الها •

وفي الأصحاح الثالث عشر من سفر الخروج قوله : « وكُن الرب يسير
أمامهم يريهم الطريق في النهار بعمود سحاب وفي الليل بعمود نار ليهديهم
الطريق نهارا وليلا ، لم يزل قط عمود السحاب نهارا ولا عمود النار
ليلا من قدام الشعب » فأطرق على الملك لفظ الرب كما هو مصرح به في
الأصحاح الرابع عشر من السفر المذكور في قوله : « فنطلق ملاك الله
الذى كان يسير قدام عسكر اسرائيل ومشى خفهم وعمود الغمام أيضا
معه فتحول من قدام وجوههم الى ورائهم » ومن ذلك المزمور الحادى
والثمانون : « قام في مجمع الآلهة وفي وسط الآلهة بحكم عليهم ، انى
متى تقضون بالظلم وتأخذون بوجوه الخطاة ؟ أحكموا لليتيم والفقير
انصفوا المسكين والبائس والفقير وخلصوهم من يد الخاطيء • لم
يعلموا ولم يفهموا أنهم في الظلمة يسلكون تترازل كل أساسات
الأرض انا قلت : انكم آلهة وبنو العلى كلكم ، فانتقم مثل الناس
تموتون وكأحد الأراكنة تسقطون • قم يا الله واحدكم في الأرض
لأنك أنت تترث جميع الأمم » فقد جاء فيه اطلاق 'الاله' وأبناء الله على
العوام فضلا عن الخواص •

وفي الأصحاح الرابع من الرسالة الثانية لمار «بولس» الى أهل قورنثية
قوله : « وان كان انجيلنا مستترا فانما انكتم عن الهالكين الذين فيهم
اله العالم هذا ، قد أعمى قلوب الكافرين لئلا يظهر لهم نور الانجيل
الذى لمجد المسيح » والمراد على ما زعم علماء البروتستنت الفرقة
انغالية من النصارى من اله الدهر : الشيطان • لئلا يلزم نسبة
الاعماء بزعمهم الى الله تعالى فيلزم كونه تعالى خالقا للبشر ، فقد
جاء مثل هذا الاطلاق على الشيطان الرجيم دون الانسان على
ما زعموه • وفي رسالة بولس الى أهل فيلبى قوله في الأصحاح

المثالث : « الذين عاقبتهم البوار أولئك الذين بطونهم آلهتهم وسدحتهم في خزيمهم » فأطلق مقدسهم لفظ الاله على البطن .

وفي الأصحاح الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا اطلاق لفظ الله على المحبة ولننقل كلامه وان كان فيه طول فانه لا يحلو ذكره عن فوائد فيما نحن بصدده . قال في النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ م « أيها الأحباء ليجب بعضنا بعضا لأن المحبة انما هي من قبل الله وكل مودود فهو مولود من الله . وهو يعرف الله ، من لم يكن ودود فلم يعرف الله لأن الله محبة ، فبهذا تبين محبة الله غينا أنه الله أرسل ابنه الوحيد لى العالم لتحبا به ، فبهذا هي المحبة ليس كأننا نحن أحببنا الله ، بل انه هو أحبنا أولا ، وأرسل ابنه غفرانا لخطايانا أيها الإحباء اذ كان الله قد أحسننا هكذا ، فبالواجب علينا أن نحب نحن أيضا بعضنا بعضا . أما الله فلم يره أحد قط ، وان نحن أحببنا بعضنا بعضا فان الله حال فينا ومحبته تكون فينا كاملة . بهذا نعلم أننا نحل فيه . وهو أيضا فينا لأنه أعطانا من روحه ونحن رأينا قد شهد بأن الآب أرسل ابنه للعالم مخلصا . وكل من يعترف أن يسوع هو ابن الله ، فان الله حال فيه وهو حال في الله . ونحن قد عرفنا وآمنا بالمودة التي لله فينا أن الله هو محبة ، ومن حل في المحبة فقد حل في الله ، وقد حل الله فيه . وبهذا تتم محبة الله معنا كيما يكون لنا طمأنينة في يوم الدين » .

واطلاق الآلهة على الأصنام كثير جدا في الكتب السماوية فلا حاجة بهذا الى نقل الشواهد ، وكذا اطلاق الرب على المخدم والمعلم كثير أيضا . ومنه ما في الأصحاح الأول من انجيل يوحنا : « فقالا ربي تفسيره يا معلم أين تسكن ؟ » .

اذا علمت ما ذكرناه فقد حصلت المعرفة التامة لك انه لا يجوز ولا يصح لذي عقل أن يستدل باطلاق بعض هذه الألفاظ على بعض

الحوادث التى حدوثها وتغيرها وعجزها من الحسيات أنه اله أو ابن الله وأن الله حل فى ذلك الحادث • وينبذ جميع البراهين العقلية القطعية وكذا البراهين النقلية وراء ظهره •

الأمر الخامس : ان وقوع المجاز فى غير المواضع التى مر ذكرها كثير ، مثل قوله لآبراهيم فى الأصحاح الثالث عشر من سفر التكوين : « وأجعل نسلك مثل تراب الأرض ، فان استطاع أحد من الناس أن يحصى تراب الأرض فانه يستطيع أن يحصى نسلك » وتوله له أيضا : « أباركك وأكثر نسلك كنجوم السماء ومثل الرمل الذى على شاطئ البحر » وفى الأصحاح الثالث من سفر الخروج فى مدح الأرض التى كان لله قد وعد باعطائها قوته « يسيل فيها اللبن وانعسل » مع أنه لا أرض فى الدنيا كذلك • وأمثال هذا كثير جدا •

وأهل الكتاب يأولون ذلك وأمثاله ويعترفون بكثرة وقوع المجاز والاستعارات فى الكتب السماوية • قال صاحب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين فى الفصل الثالث عشر من كتابه كما نقله صاحبنا العلامة الشيخ رحمت الله سلمه الله تعالى ما نصه : « وأما اصطلاح الكتاب المقدس فانه ذو استعارات وأفرد غامضة وبخاصة العهد العتيق » ثم قال : « واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعارى جدا وخاصة مسامرات مخلصنا • وقد اشتهرت اراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمى النصرانى شرحوها شرحا حرفيا ولأجل ذلك تقدم بعض أمثال لنرى بها أن تأويل الاستعارات حرفيا ليس صوابا ، وذلك كقول المسيح عن هيرودس : « اذهبوا وقولوا لذلك الثعلب » فمن المعلوم أن المراد بلفظة الثعلب فى هذه العبارة جبار ظالم لأن ذلك الحيوان المدعو هكذا معروف بالحيلة والعدو وأيضا : قال ربنا لليهود « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، فكل من أكل من هذا الخبز يحيى الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى وسوف أعطيه لحياة العالم » من الأصحاح السادس من انجيل يوحنا • فاليهود المشهورانيون فهموا هذه العبارة بالمعنى الحرفى • وقالوا : كيف يقدر

هذا الرجل أن يأتينا جسده لنأكله ؟ ولم يلاحظوا أنه عنى بذلك ذبيحته التى وهبها كفارة لخطايا العالم •

وقد قال مخلصنا أيضا عن الخبز عند تعيينه العشاء السرى : « هذا هو جسدى » وعن الخمر « هذا هو دمي » من انجيل متى الأصحاح السادس والعشرين • فمنذ الدهر الثانى عشر جعلت الأرمنانيون الكاثوليكيون لهذا القول معنى آخر معكوسا ومغائرا لشواهد أخرى فى الكتب المقدسة وللدليل الصحيح ، وحتموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الاستحالة أى تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات الإتيديس الموهوم ، مع أنه قد يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما وأن بتغيرا فأما التأويل الصحيح لقول ربنا فهو أن الخبز يمثل جسده والخمر يمثل دمه » انتهى كلامه بلفظه

فاعترافه بين لا خفاء فيه أن التأويل واجب عند استحالة الظاهر ، وقد رد به على سائر اخوانه النصارى القائلين بأن من أكل هذا الخبز وشرب هذا الخمر فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه حقيقة ، وقدر فى الكلام مضافا • وهو لفظ مثل • وقد يقال هنا للبروتستانت المجمعين عنى أن المراد من قول المسيح أكل لحمى وشرب دمي : ذبيحته التى وهبها كفارة لخطايا العالم ، وأن عقيدة الرومانيين الكاثوليكين بحمل ذلك على ظاهره ظاهر البطلان بشهادة الحس والعقل فاجماعكم على التثليث وأن الأتانيم ثلاثة بحق وواحد بحق مثل عقيدة اخوانكم الرومانيين الكاثوليكين الذين هم أكثر منكم عددا بمسألة الخبز والخمر ، واستحالتهما بعد أن يقرأ القسيس عليهما الى لحم المسيح الاته ودمه •

وحيث أن هذه المسألة من أغرب المسائل الاعتقادية للنصارى ووزنة لمسألة التثليث فى البطلان بالبداهة ، فلنستوف على شرحها وردّها المقال إيتين لكل ذى عقل ويتميز الحال • قال فى انجيل متى

في الأصحاح السادس والعشرين : « ولما كان المساء اتكأ مع تلاميذه الاثنى عشر ، وفيما هم يأكلون • قال : الحق أقول لكم : ان واحد منكم سيسلمني فحزنوا جدا وبدوا كل واحد منهم بقول : لعلى أنا هو يارب ؟ فأجاب وقال : ان الذي يجعل يده معي في الصفحة هو يسلمني وابن الانسان سلمي كما كتب من أجله ، أما الويل لذلك الانسان الذي يسلم ابن الانسان • خير له لو لم يولد ذلك الانسان • فأجاب يهوذا مسلمه وقال : لعلى أنا هو يا معلم ؟ فقال له : أنت قلت • وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطى تلاميذه ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدی وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم وقال : اشربوا من هذا كلکم لأن هذا : هو دمی عهدا جديدا الذي يهراق عن كثير لمغفرة الخطايا • فأقول لكم : انني لا أشرب من الآن من عصير الكرمة هذا الى ذلك اليوم الذي فيه شربه معكم جديدا في ملكوت أبي ، فسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون • »

وفي الأصحاح السادس من انجيل يوحنا قوله : « الحق أقول لكم : انه من يؤمن بي له الحياة الدائمة أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن في البرية ، وماتوا • هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ، حتى أن الذي يأكل منه لا يموت • أنا هو الخبز الحي الذي نزلت من السماء ، ومن أكل من هذا الخبز يحيا الى الأبد ، والخبز الذي أنا أعطيته هو جسدی من أجل حياة العالم ، فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لأأكله ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه ليست لكم حياة فيتم ، من يأكل جسدی ويشرب دمی فله الحياة الدائمة ، وأنا اقيمته في اليوم الآخر لأن جسدی مأكلا حق ودمی مشرب حق ، من يأكل جسدی ويشرب دمی يثبت في وأنا فيه ، كما أرسلني الآب الحي وأنا حي من أجل الآب • ومن يأكلني فانه يحيا من أجلي • هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ، ليس كالذي أكل آباؤكم المن وماتوا • فمن يأكل هذا الخبز يعيش الى الأبد • قال هذا في المجمع وهو يعلم في كفر ناحوم • »

فأهل الصليب اذا قرأ القسيسون على الخبز والخمر وققدسوهما
قسموها على ألوف من النصارى بزعم أن هذا الخبز والخمر قد
استحال كل منهما الى لحم المسيح ودمه ، فمن أكل شيئاً وشرب شيئاً
من ذلك فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه حقيقة يشعلون ذلك فى كل
سنة وفى كل شهر ، وان أرادوا فى كل يوم غير الفرقة القليلة المعروفة
ببيروتستنت الشهيرة ببيروتستانت فانهم لا يعتقدون الحقيقة فى ذلك
كما تقدم آنفاً .

وهذا الاعتقاد مع كونه بديهي البطلان ظاهر الفساد . لك من !ه
عينان ، نذكر لابطالها وجوها : الوجه الأول : أن الانجيل لم تنقل
اليهم بالخبر المتواتر ، واربعة فيها اختلاف كثير ، وأن تراجمها
مختلفة جداً بالزيادة والنقصان ، وأن كثيراً منها قد حرف وبدل ، وأنها
لم تجمع فى أيام المسيح ، وأن فيها ما هو واجب التأويل والحمل على
المجاز والاستعارة والقول بظاهره محال ، كما مضى بعض ذلك ،
وستأتى تنمة الكلام على هذا كله فى محلها ان شاء الله تعالى .

**الثانى : ان الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يستحيل الى
جسد المسيح ودمه ويصير مسيحاً كاملاً .** فيقال لهم : اذا استحال
على زعمكم مسيحاً كاملاً حياً بلاهوته وناسوته الذى أخذه من مريم ،
فلا بد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الانسانى ويوجد فيه بعض
أجزائه ، لكنها لا توجد فيه بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما
كانت ، فاذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئاً غير الخبز ، واذا
طراً عليه الفساد يطراً عليه الفساد الذى يطراً على الخبز ، لا الفساد
الذى يطراً على اللحم والعظم والدم الانسانى . فلو ثبتت الاستحالة
تكون استحالة المسيح خبزاً لا استحالة الخبز مسيحاً . فلو قال :
ان المسيح استحال خبزاً ، لكان أقل بعداً من هذا ، وان كان كل منهما
باطلاً بالبداهة .

الثالث : ان حضور المسيح بلاهوته فى أمكنة متعددة فى آن واحد .

ان كان ممكنا في زعمهم فهو باعتبار ناسوته غير ممكن ، لأن اللصم والدم راجعان الى الناسوت • واتعجب : أنه قبل عروجه ما وجد بهذا الاعتبار في مكانين فضلا عن الأماكن التي لا يمكن عدها • وكذا بعد خروجه • فكيف يوجد بعد قرون عديدة بعد اختراع هذا الاعتقاد الباطل باعتبار المذكور في أمكنة غير محصورة في آن واحد ؟

الرابع : اذا فرضنا أن مليونات من الكهنة في العالم قدسوا في آن واحد ، وقرأ كل منهم على الخبز والخمر فاستحالا الى المسيح الذي تولد من مريم وهو ابن الانسان بنص الأناجيل • فلا يخلو اما أن يكون كل من هؤلاء المسيحيين الحادثين عين الآخر ، أو غيره • والثاني باطل على زعمهم • والأول باطل أيضا في نفس الأمر بالبداهة ، لان كل مادة غير مادة الآخر •

الخامس : اذا استحال الخبز مسيحيا كاملا تحت يد الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغارا ، فلا يخلو اما أن يتقطع المسيح على عدد الكسرات والأجزاء أو تستحيل كل واحدة منها مسيحا كاملا أيضا • فعلى الأول لا يكون المتناول متناول مسيحا كاملا ، وعلى الثاني من أين جاءت هؤلاء لمسحاء ؟ لأنه ما حصل بالتقدمة التي من انقسييس الا المسيح الواحد •

السادس : لو كان العشاء الرباني الذي كان قبل صليبه بزمان يسير ، نفس الذبيحة التي حصلت على الصليب ، زم أن يكون كافيا لخلاص العالم ، فلا حاجة انى أن يصلبه اليهود مرة أخرى لأن المسيح على زعمهم ما جاء الى العالم الا ليخلص الناس بذبيحته مرة واحدة وما أتى لكى يتألم مرارا كما تصرح به عبارة الأصحاح التاسع من الرسالة العبرانية ونصها : « ولم يدخل يسوع الى بيت قدس عملته الأيادي شبه الخلق بل الى السماء بعينها ليترايا الآن عنا قدام الله ، ولا ليقرب نفسه مرارا كثيرة كما كان رئيس الأخبار يدخل كل سنة الى القدس

بعدم غيره ، ولولا ذلك لكان حقيقيا أن يألم مرارا كثيرة منذ بدء العالم ، ولكنه الآن في انتهاء العالمين • بذبيحته ظهر مرة واحدة ليبطل الخطيئة ، وكنها حتم على الناس أن يموتوا مرة واحدة ، ثم من بعد هذا هو الدائن ، هكذا المسيح قرب نفسه مرة واحدة ليرفع خطايا كثيرين ، وسيظهر المرة الثانية بلا خطيئة للذين يترجون الخلاص •

السابع : ذكر في الأصحاح الثاني والعشرين من انجيل لوقا قول المسيح في العشاء الرباني : « اصنعوا هذا لذكرى » فلو كان هذا العشاء هو نفسى الذبيحة ، لما صح أن يكون تذكرة ، لأن الشيء لا يكون تذكرة لنفسه •

الثامن : لو صحت دعواهم ، لزم أن يكون المسيحيون أخبث من اليهود ، لأن اليهود ما آلموه الا مرة واحدة • وقد نرتب عليها تخليصه للعالم من الخطيئة ، وما أكلوا لحمه ولا شربوا دمه • وهؤلاء النصراني يدعون أنه اله ويؤلمونه ويذبحونه ويأكلون لحمه ويشربون دمه كل يوم في أماكن عديدة • فانا كان القاتل للمسيح مرة واحدة ، بزعم أنه كذاب وغير نبى ، يكون كافرا وملعونا ، فما بال الذين يدعون أنه اله حق ، ويأكلون لحمه ويشربون دمه حقيقة لا يكونون كافرين ملعونين ؟ وليست شعري كيف يكون الها من هو بهذه الدرجة من الضعف ، ويستولى عليه اليهود ويصلبونه ؟ ثم النصراني في كل يوم يأكلون لحمه حقيقة ويشربون دمه الحقيقى ، ولا يقدر على خلاص نفسه ، وإن صعد الى السماء •

فنسأل الله تعالى العفو والعافية والدوام على عقيدة الاسلام الصافية ، ويحفظنا من أقوال هى أشبه بأقوال المجانين ، وخيالات المسوسين ، وفوق أقوال الكفرة المتقدمين والمتأخرين • آمين • ولعل لنا ان شاء الله تعالى عودة الى ما يتعلق أيضا • بهذه العقيدة العجيبة التى هى على الماثنين أعظم مصيبة •

ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول :

الأمر السادس : كان الاجمال يوجد في كثير من أقوال المسيح عليه السلام بحيث لا يفهمها معاصروه وتلاميذه في كثير من الأحيان ، مالم يفسره لهم بنفسه • فما فسرهم منه فهموه ، وما لم يفسره منه فهموا بعضه بعد مدة مديدة ، وبقي البعض عليهم مبهما إلى آخر الحياة • وهو كثير •

وسنورد هنا ان شاء الله تعالى بعضه ليستدل الناظر فيه على غيره •

فمن ذلك ما في الأصحاح الثاني من انجيل يوحنا عند مكالمه المسيح عليه السلام لليهود انذين كانوا يطلبون منه معجزة من قوله : « أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه • فقالوا : في ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه ؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده • فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا • فأمنوا بالكتاب ، والكلام الذي قاله يسوع » • فها هنا لم يفهم التلاميذ فضلا عن اليهود ، ولكن فهم التلاميذ بعد ما قام من الأموات •

وفي الأصحاح الحادي عشر من انجيل يوحنا حينما مات لعازر ما نصه : « قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام • لكني أذهب لأوقظه • فقال تلاميذه : يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى • وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم • فقال لهم يسوع حينئذ : علانية : لعازر مات » • ثم ان المسيح أحياه من قبره بعد موته بأربعة أيام على ما في انجيل يوحنا • فلم يفهم تلاميذ المسيح عليه السلام كلامه حتى صرح به • وفي الأصحاح السادس عشر من انجيل متى ما نصه : « وهو قال لهم : انظروا وتحسروا من خمير الفريسيين والزنادقة أما هم فكانوا يفكرون في نفوسهم قائلين : اننا لم نأخذ خبزا ، فعلم يسوع وقال ماذا تفكرون في نفوسكم يا قليلي الايمان

أنه ليس معكم خبز » الى أن قال : « فحينئذ فهموا أن يتحرزوا من تعليم الفريسيين والزنائدة » .

وهنا أيضا لم تفهم لاميذه مقصوده قبل التنبيه • وأمثال هذا كثيرة جدا • ولو أردنا استقصائها لطال منا الكلام • وفي هذا كفاية لذوق الأفهام •

الامر السابع : اذا تعارض القولان فلا بد من اسقاطهما ان لم يمكن التأويل ، أو من تأويلهما ان أمكن ، ولا بد أن يكون التأويل بحيث لا يستلزم المحال أو الكذب • مثلا : الآيات الدالة على الشكل والجسمية تعارضت ببعض الآيات الدالة على التنزيه ، فيجب تأويلها • كما عرفت في الأمر الثالث ، لكن لابد أن لا يكون التأويل بأن الله متصف بصفتين أعنى الجسمية والتنزيه ، وان لم تدرك عقولنا هذا الأمر ، فان هذا التأويل باطل محض ، كما قالوا لا يرفع انتناقض ، حتى أن ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المتشابهات لا يراد بها ظاهرها من الجسمية والمكان ، بل تأويل مناسب أو نفوض الكيفية الى علمها البارى سبحانه ، ويؤمن المؤمن بها من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تكيف ولا تعطيل • كما قال سبحانه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . فأول الآية رد على المشبهة وآخرها رد على المعطلة • كما قال الجمهور • وهذه المسألة وان كانت يحتاج بسطها الى سفر كبير الا أنا نكتفى هنا بهذه الاشارة اكتفاء بالوشل عن الغدير

الامر الثامن : ان العدد ، لما كان قسما من الكم لا يكون قائما بنفسه بل بالغير ، وكل موجود لابد أن يكون معروضا للوحدة أو الكثرة والذوات الموجودة الممتازة بالامتياز الحقيقي المتشخصة بالتشخص تكون معروضة للكثرة الحقيقية ، فاذا صارت معروضة لها لا تكون معروضة للوحدة الحقيقية ، والا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين • وهو محال كما لا يخفى •

الامر التاسع : للنازعة بيننا وبين أهل التثليث لا تتحقق ما لم

يقولوا : ان التوحيد والتثليث كليهما حقيقيان ، وان قالوا : التثليث حقيقى والتوحيد اعتبارى • فلا نزاع بيننا وبينهم فى ذلك ، لكنهم يقولون : ان كلا منهما حقيقى ، كما صرح به هذا النصرانى « عبد المسيح » فيما تقدم ، بقوله : « فهى ثلاثة بحق ، وواحد بحق » والنصرانى صاحب ميزان الحق أيضا فى الباب الأول من كتابه المسمى بطل الاشكال قال : « ان المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما عن المعنى الحقيقى » •

الأمر العاشر : قال العلامة المقرئى فى كتابه المسمى بالخطط فى بيان الفرق المسيحية التى كانت فى عصره : « النصرانى فرق كثيرة المكانية والنسبورية واليعقوبية والبوذية والبرقولية • وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء » ثم قال : « والمكانية واليعقوبية والنسبورية كلهم متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقنانيم • وهذه الأقنانيم اثلاثة هى واحد ، وهو جوهر قديم ، ومعناه آب وابن وروح القدس ، اله واحد » ثم قال : « قالوا الابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا ، وأن المسيح هو اله العباد وربهم • ثم اختلفوا فى صفة الاتحاد • فزعم بعضهم : أنه وقع بين جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى اتحاد ، ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره ، وأن المسيح انه معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولده ، وأنه قتل وصلب • وزعم قوم : أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتى ، والآخر ناسوتى ، وأن القتل والنصب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وأن مريم حملت بالمسيح وولده من جهة ناسوته • وهذا قول النسبورية ثم يقولون : ان المسيح يكمله اله معبود ، وأنه ابن الله — تعالى عن قولهم — وزعم قوم : أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتى وناسوتى • فالجوهر اللاهوتى بسيط غير منقسم ولا متجزئ • وزعم قوم : أن الاتحاد على جهة حاول الابن فى الجسد ، ومخالطته اياه • ومنهم من زعم ان الاتحاد على جهة الظهور كظهور الخاتم والنقش اذا وقع

على طين أو شمع ، وكظهور صورة الانسان في المرآة •

الى غير ذلك من الاختلاف الذى لا يوجد مثله فى غيرهم • والملكانية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون : ان أحدا اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد • واليعقوبية تقول : انه واحد قديم وانه كان لا جسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس • والمرقولية قالوا : الله واحد ، علمه غيره قديم معه ، والمسيح ابنه على جهة الرحمة • كما يقال : ابراهيم خليل الله « انتهى كلامه بلفظ

قال صاحبنا العلامة فى اظهار الحق : « فظهر لك أن آراءهم فى بيان علاقة الاتحاد بين أقنوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة فى غاية الاختلاف • ولذا ترى البراهين الموردة فى الكتب القديمة الاسلامية مختلفة ، ولا نزاع لنا فى هذه لعقيدة مع المرقولية الا باعتبار اطلاق اللفظ الموهم وفرقة البروتستنت لما رأت أن بيان علاقة الاتحاد لا يخلو عن الفساد البين ، تركوا آراء الأسلاف وعجزوا أنفسهم واختاروا السكوت عن بيانها ، وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة » •

الامر الحادى عشر : ان عقيدة التثليث لم تكن فى أمة من الأمم السابقة من لدن ادم عليه السلام الى زمن رفع المسيح عليه السلام حتى جاءت النصراني وتمسكوا للتثليث بآيات من سفر التكوين وغيره لا تقوم بها الحجة ، لما علمت وتعلمه من التحريف للمعنى والألفاظ ، أو لبعد ما يقصدونه من الأغراض • وقد ثبت بالدلائل القطعية المسلمة لدى الخصم أن مسألة التثليث لم تكن معلومة فى أمة من الأمم • ومن طالع التوراة علم أن هذه العقيدة • لم تكن فى بنى اسرائيل قطعا ، حتى أن يحيى عليه السلام كان الى أواخر عمره شاكاً فى المسيح عليه السلام ، وأنه هل هو المسيح (١) الموعود به أم لا ؟ كما صرح به فى الأصحاح الحادى عشر من انجيل متى ونصه : « وكان لما أكمل يسوع

(١) المسيح الموعود به هو المسيا ، بلغة بنى اسرائيل • وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينا فى كتابنا المسيا المنتظر — نشر مكتبة الأمانة الدينية بالقاهرة •

أمره لتلاميذه الاثنى عشر ، انطلق من هناك ليعلم ويبشر في مدنهم •
فكما سمع يوحنا في السجن بأعمال المسيح أرسل اليه اثنين من تلاميذه
قائلا له : أنت هو الآتى أم نترجى آخر ؟ فأجاب يسوع وقال لهما :
اذهبا وأخبرا يوحنا بما سمعتما ورأيتما : أن العميان يبصرون ، والعرج
يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ،
والمساكين يبشرون • وطوبى لمن لا يشك في » •

فلو كان عيسى الها يازم كفر يحيى عليه السلام اذ انشك في الاله
كفر ، وكيف يتصور أن النبي لا عرف الهه ، بل هو على ما في هذا
الأصحاح أشرف ا نبياء الشهادة المسيح له بقوله : « أقول لكم : لم
يقم في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان » واذا لم يعرف
الأفضل مع كونه معاصرا ، فعدم معرفة السابقين أولى •

ومن المعلوم أن ذات البارى سبحانه وصفاته الكمالية قديمة غير
متغيرة موجودة أزلا وأبدا ، ولو كان التثليث حقا ، لكان الواجب على
موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام أن يبينوه ويصرحوا به ، لان
ذلك مدار النجاة على زعم المثلثين • والعجيب أيضا : أن عيسى لم يبين
ذلك الى وقت عروجه ببيان واضح ، بأن يقول مثلا : ان الله ثلاثة أقانيم
الآب والابن وروح القدس ، وأقنوم الابن تعلق بجسمى بعلاقة
فلائية ، أو بعلاقة فهمها خارج عن ادراك عقولكم ، فاعلموا أنى أنا الله
لا غير لأجل العلاقة المذكورة ، أو يقول : نحو هذا فيما يفيد المعنى
صراحة ، وليس في أيدي المثلثين من أقواله الا بعض أقوال متشابهة
مأولة مطعون في صحتها عنه ، كما أوضحناه سابقا ، وسنزيده بيانا
ان شاء الله تعالى في محله لاحقا •

وأجاب بعض النصارى عن عدم تعميحه بذلك بأجوبة أوهن من
بيت العنكبوت وانه لاوهن البيوت • فمن ذلك : ما أجاب به النصرائى
صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بمفتاح الأسرار بقوله : « ان قلت
لم لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر ؟ ولم لم يقل : والضحك

ومختصرا انى أنا الله لا غير ؟ قلنا : بانه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه يعنى من الأموات وعروجه ، فلو قال صراحة لفهموا أنه انه بحسب الجسم الانسانى • وهذا الأمر كان باطلا جزما ، فدرك هذا المطلب أيضا من المطلب التى قال فى حقها لتلاميذه : « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذلك روح الحق (١) فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كما يسمع يتكلم ويخبركم بأمور آتية » ثم قال : ان كبار مائة اليهود أرادوا مرارا أن يأخذوه ويرجموه • والحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أبنائهم الا على طريق الأنغاز •

فعلم من كلامه عذران : الاول : عدم قدرة فهم أحد قبل العروج •
والثانى : خوف اليهود • وكلاهما كحبال القمر •

أما الاول : فانه يكفى لدفع الشبهة أن يقول : ان علاقة الاتحاد التى بين جسمى وبين أقتنوم الابن فهمها خارج عن وسعكم ، فاتركوا البحث عنها واعتقدوا بأنى نُسْتُ إليها باعتبار الجسم ، بل اله بعلاقة الاتحاد المذكور ، وأما نفس عدم القدرة على فهمها ، فباقية بعد العروج أيضا • حتى لم يعلم عالم من علمائهم الى هذا الوقت كيفية هذه العلاقة والوحدانية • ومن قال ما قال فقله رجم بالغيب لا يخلو عن مفسدة عظيمة ومناقضات جسيمة • ولذا ترك علماء الفرقة البروتستانتية بيانها بالكلية • وهذا القسيس يعترف فى مواضع من تصانيفه بأن هذا الأمر من الاسرار الخارجة عن درك العقول •

وأما الثانى : فلأن المسيح عليه السلام ما جاء عندهم الا ليكون كفارة لذنوب خلقه ويصلىب بأيدى اليهود وكان يعلم أنهم يصلبونه ومتى يصلبونه ، فأى محل بقى للخوف فى بيان هذه العقيدة ؟

والعجب أن خالق الأرض والسماء والقادر على جميع ما يشاء ،

(١) روح الحق ، لقب لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

يخاف من اليهود الذين هم أذل عباده ، ولا يبين هذه العقيدة التى هى مدار نجاة عباده من الأنبياء وغيرهم • وعبيده من الانبياء مثل ارمياء وأشعيا ويحيى عليهم السلام لا يخافون أحداً فى بيان الحق ، وينالون الايذاء الشديد ويقتل بعضهم لذلك • وأعجب منه أن المسيح يخاف منهم فى بيان هذه المسألة العظيمة ، ويشدد عليهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر غاية التشديد ، حتى أنه ينالهم منه السب بالمواجهة، والشتم بالمشافهة • ويخاطب الكتبة والفريسيين كما فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى ونصه : « حينئذ كلم يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسى موسى جالس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن مثل أعمالهم لا تصنعوا لأنهم يقولون ولا يفعلون • وكل أعمالهم يصنعونها لكي يتراءوا للناس ، ويعظمون أطراف ثيابهم ويحبون لتكأ الأول فى العشاء، وصدور المجالس فى الجامع ، والسلام فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدى ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرمال بتطويل صلواتكم ، أيها العميان • الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون القبور المكسدة التى تتراءى للناس من خارجها حسنة ، من داخلها مملوءة عظام أموات وكل نجس ، كذلك أنتم تتراءون للناس من ظاهر صديقين ، فأما من داخل فأنتم مملوعون رياء وأثماً • أيها الحيات والأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ » •

ومثله فى انجيل لوقا وفيه : أن بعضهم قال له : « يا معلم اذا قلت هذا تشتمنا نحن أيضاً ، فقال : وأنتم أيها الكتبة » فكيف يظن بالمسيح عليه السلام وحاشاه أن يترى بيان العقيدة التى هى مدار النجاة لأجل خوفه منهم ؟ فبين من أقوال علماء النصارى أن المسيح عليه السلام ما بين هذه المسألة لليهود قط الا بطريق الألغاز ، وأنهم كانوا ينكرون هذه العقيدة أشد الانكار حتى أنهم أرادوا رجمه عن هذا البيان الالغازى •

• فنرجع الى ابطال أصل المسألة المنعقدة لها الفصول • فنقول

الفصل الأول

فى

ابطال التثليث بالبراهين العقلية

البرهان الأول : لما كان التثليث والتوحيد حقيقتين عند المسيحيين ، وصرح به أيضا « عبد المسيح » فى كتابه هذا من قوله : « هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد » وقوله : « فهى ثلاثة بحق وواحد بحق » كما تقدم . فاذا وجد التثليث الحقيقى لأبد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضا . ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقى ، والا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين . وهو محال ، كما مر آنفا . فلزم تعدد الوجباء وفات التوحيد يقينا . فالقائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله سبحانه وتعالى بالتوحيد الحقيقى . والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى (١) : وان كانا ضددين حقيقيين فى غير الواجب تعالى ، لكنهما فيه ليس كذلك : سفسطة محضة لأنه اذا ثبت أن الشئين بالنظر الى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان فى نفس الأمر ، فلا يمكن اجتماعهما فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة ، واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب . كيف والواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح . وهو واحد ، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقى ليس مجموع آحاد رأسا وأن الواحد الحقيقى جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزء ، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله تعالى مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل ، لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التى تكون عين هذا الجزء . وهلم جرا . وكون الشئ مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً ، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه والثلاثة ثلث

(١) لاحظ أن نصارى الارثوذكس يقولون بواحد ، انقلب الى مسيح .
وراجع كتاب اثنانيم النصارى فى هذا الموضوع .

الواحد ، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة . وهو باطل بالبداهة أيضا .

البرهان الثاني : لو وجد في ذاته سبحانه ثلاثة ألقانيم ممتازة بامتياز حقيقى ، كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء ، يلزم أن لا يكون لله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتباريا فان التركيب الحقيقى لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء . فان الحجر الموضوع بجانب الانسان لا يحصل منه أحدية ، ولا افتقار بين الواجبات لأنه من خواص الممكنات . فالواجب لا يفتقر الى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره . وان كان داخلا في المجموع . فاذا لم يفتقر بعض الأجزاء الى بعض اخر ، لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أنه يكون الله سبحانه وتعالى في الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب يفتقر في الحقيقة الى تحقق كل واحد من أجزائه . والجزء عين الكل بالبداهة ، فكل مركب مفتقر الى غيره ، وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته ، فيلزم أن يكون الله سبحانه ممكنا لذاته . وهو باطل قطعاً .

البرهان الثالث : اذا ثبت الامتياز الحقيقى بين الألقانيم . فالأمر الذى حصل به هذا الامتياز اما أن يكون من صفات الكمال ، أو لا يكون . فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم ، وهو خلاف ما تقرر عندهم : أن كل ألقنوم من هذه الألقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشق الثانى فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال . وهذا نقصان يجب تنزيه البارى سبحانه عنه .

البرهان الرابع : الاتحاد بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى اذا كان حقيقيا ، لمكن ألقنوم الابن محدودا متناهيا . وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنا . وكل ما كان كذلك ، كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر . وكل ما كان كذلك ، فهو محدث ، فيلزم أن يكون ألقنوم الابن محدثا ، ويستلزم حدوثه حدوث الله تعالى .

البرهان الخامس : مذهب اليعقوبية أنه واحد قديم ، وأنه كان

لا جسم ولا انسان ، ثم تجسم وتأنس بديهي البطلان لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحدث والمجرد بالمادى • وأما مذهب غيرهم القائلين باتحاد المختلفين بصفة ، فيقال فى ابطاله : ان هذا الاتحاد اما بالاحول أو بغيره فان كان الأول فهو باطل من وجوه ثلاثة على وفق عدد التثليث •

أما أولا : فلأن ذلك الحول لا يخلو ما أن يكون كحلون ماء الورد فى الورد والذهن فى السمسّم والنار فى الفحم • وهذا باطل ، لأنه انما يصح لو كان أقنوم الابن جسما • وهم وافقونا على أنه ليس بجسم • واما أن يكون كحصول اللون فى الجسم • وهذا أيضا باطل لأن المعقول من هذه التبعية حصول اللون فى الحيز لحصول محله فى هذا الحيز • وهذا أيضا انما يتصور فى الأجسام واما أن يكون كحصول الصفات الاضافية للذوات • وهذا أيضا باطل ، لأن المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو ثبت حلول أقنوم الابن لهذا المعنى فى شيء كان محتاجا ، فكان ممكنا ، فكان مفقرا الى المؤثر وذلك محال •

واذا ثبت بطلان جميع التقادير امتنع اثباته •

واما ثانيا : فلأننا لو قطعنا النظر عن معنى الحول نقول ان أقنوم الابن لو حل فى الجسم ، فذلك الحول اما أن يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل الجواز • لا سبيل الى الأول لأن ذاته اما أن تكون كافية فى اقتضاء هذا الحول أو لا تكون كافية فى ذلك • فان كان الأول استحال توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط ، فيلزم اما حدوث الله أو قدم المحل وكلاهما باطلان • وان كان الثانى كان كونه مقتضيا لذلك الحول أمرا زائدا على ذاته حادثا فيه • فيلزم من حدوث الحول حدوث شيء فيه ، فيكون تقابلا للحوادث • وذلك محال ، لأنه لو كان كذلك لكانت تلك القابلية من لوازم ذاته ، وكانت حاصلة أزلا • وذلك محال : لأن وجود الحوادث فى الأزل محال • ولا سبيل الى الثانى لانه على هذا التقدير يكون ذلك الحول زائدا على ذات الأقنوم • فاذا حل

فى الجسم ووجب أن يحل فيه صفة محدثة ، وحلولها يستلزم كونه قابلا
لحوادث • وهو باطل كما عرفت •

وأما ثانياً : فلأن أقنوم الابن اذا حل فى جسم عيسى عليه السلام
فلا يخلو اما أن يكون باقيا فى ذات الله سبحانه أيضا أولا • فان كان
الأول نزم أن يوجد الحال الشخصى فى محلين ، وان كان الثانى لزم
أن يكون ذات الله تعالى خالية عنه ، فينتفى • لأن انتفاء الجزء يستلزم
انتفاء الكل ، وان كان ذلك الاتحاد بدون الحل ، فنقول : ان أقنوم
الابن اذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما فى حال الاتحاد ان كانا
موجودين فهما اثنان لا واحد ، فلا اتحاد ، وان عدما وحصل ثالث فهو
أيضا لا يكون اتحادا ، بل عدم الشئين وحصل شئ ثالث • وأن بقى
أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود ، لأنه يستحيل
أن يقال : المعدوم بعينه هو الموجود • فظهر أن الاتحاد محال • ومن
قال : ان الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم اذا وقع على
طين أو شمع أو كظهور صورة الانسان فى المرآة فقله لا يثبت الاتحاد
الحقيقى ، بل يثبت التغاير ، لأنه كما أن كتابة الخاتم الظاهرة على
طين أو شمع ، غير الخاتم ، وصورة الانسان فى المرآة غير الانسان ،
فكذلك يكون أقنوم الابن غير المسيح عليه السلام بل غاية ما يلزم
أن يكون ظهور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر من ظهوره فى غيره ، كما أن
ظهور تأثير شعاع الشمس فى بعض الأحجار التى تتولد منها الجواهر
المعروفة أزيد من تأثيره فى الأحجار التى هى غير تلك الأحجار •

البرهان السادس : فرقة : البروتستنت ترد — كما تقدم — على
فرقة الكاثوليك فى استحالة الخبز الى المسيح فى العشاء الربانى
بشهادة الحس ، وتستهزئ بها • فهذا الرد والهزئ يرجعان اليها
أيضا لأن الذى رأى المسيح ما رأى منه ألا شخصا واحدا انسانيا
يأكل ويشرب وينمو ويتألم ، ولحقته جميع العوارض البشرية • وتكذيب
أصدق الحواس الذى هو البصر عين السفسطة فى الضروريات ، فيكون
القول به باطلا كالقول باستحالة الخبز الى المسيح والخمر الى دمه •

والجهلاء من المسيحيين من أية فرقة من فرق أهل التثليث قد ضلوا في هذه العقيدة ضلالا بيّنا ولا يميزون بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي، كما يميز بحسب المظاهر علماؤهم ، بل يعتقدون الهوية المسيح عليه السلام باعتبار الجوهر الناسوتي ويخطبون خطبا عظيما •

وقد نقل « أنه تنصر من المجوس ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية ، ولا سيما عقيدة التثليث أيضا • وكانوا عنده فجاءه صديق له وسأله عن تنصر • فقال له : قد تنصر ثلاثة أشخاص • فسأله : هل تعلموا من العقائد الضرورية شيئا ؟ فقال : نعم • ثم انه طلب واحدا منهم فسأله عن عقيدة التثليث فقال له : انك علمتني أن الآلهة ثلاثة • أحدهم الذي هو في السماء ، والثاني تولد من بطن مريم العذراء ، والثالث الذي نزل في صورة الحمام ، على الآلهة الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة • فغضب القسيس وطرده • وقال : هذا مجهول • ثم طلب الآخر منهم وسأله • فقال : انك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى الهان • فغضب عليه أيضا وطرده • ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة الى رفيقيه ، وحريصا على حفظ العقائد • فسأله • فقال : يا مولاى حفظت ما علمتني حفظا جيدا ، وفهمته فهما كاملا بفضل الرب المسيح ، وعلمت : أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وصلب واحد منهم ومات (١) • فمات الكل لاجل الاتحاد ، ولا اله الآن والا يلزم نفى الاتحاد »

وأنت تعلم أنه لا تقصير : للمسؤولين فان هذه العشيذة يخطب فيها الجهلاء منهم هكذا ، يتحير في تناقضها علماؤهم ويعترفون بأنهم يعتقدون ذلك ولا يفهمون ويعجزون عن تصويرها وبيانها • ومن غير تصور يصدقون •

(١) هذه القصة من كتاب اظهر الحق للشيخ رحمت الله الهندي المؤسس للمدرسة الصولونية في مكة المكرمة ، والمدرس في المسجد الحرام •

الفصل الثاني

نفسى

ابطال التثليث بأقوال المسيح

وحيثما سلم من التبديل من الفاظ الانجيل
بما فيه الشهادة على عبوديته من الأدلة الواضحة
والإشارات القاطعة بما ساوى به الأنبياء والمرسلين
بشرائع رب العالمين

وذلك كثير جداً لنقتصر على البعض • فان أنصف يكفى بشاهدين
والطائفة لا يرضى بالتقليد • فمنه ما فى الاصحاح السابع عشر من
انجيل يوحنا قول المسيح : « وهذه حياة الأبد أن بعرفوك أنت الاله
الحق وحدك ، وأذى أرسلته يسوع المسيح » فبين عيسى عليه السلام
بهذا الكلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله سبحانه
واحد حقيقى ، وأنه رسوله • ولم يقل ان الحياة الأبدية أن يعرفوا
أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى ، وأن عيسى اله وانسان ،
أو أن عيسى اله مجسم • ولما كان هذا فى خطاب الله فى الدعاء حينما
رفع رأسه الى السماء ، وقال : « قد حضرت الساعة وآمنوا أنك أرسلتني »
فلا احتمال هنا لخوف من اليهود ، ولا سيما وقد قال قد حضرت
الساعة ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبيته ولما قل : « الاله
الحق وحدك » ولما فرق بين المرسل والمرسله وإذا ثبت أن الحياة الأبدية هى
اعتقاد التوحيد الحقيقى لله وحده ، واعتقاد الرسالة للمسيح ،
فصدهما يكون موتاً أبدياً وضللاً سرمدياً بالبداية ، لأن التوحيد
الحقيقى ضد التثليث الحقيقى ، كما عرفت سابقاً • وكون المسيح
رسولاً ضد لكونه الها لأن التباين بين المرسل والمرسل اليه ضرورى •
فهذه الحياة الأبدية والحمد لله تعالى للمسلمين حيث قالوا : آمنا بالله
وما أكتبه وكتبه ورسله • وقالوا : المسيح عبد الله ورسوله • وأما غيرهم

من ذوى الأديان والنحل فهم محرومون منها كالمجوس ومشركى الهند والصين ، لانتقاء الاعتقادين عنهم ، وأهل التثليث لانتقاء الاعتقاد الأول واليهود لانتقاء الاعتقاد الثانى منهم • فالحمد لله الذى جعلنا أمة وسطا بين المفرط والمفرط ، والمغالى والمنكر ، والجفص والكافر ، لنكون شهداء على الناس ، وننتحامي عن وسواس كل خناس من الجنة والناس •

ومنه ما فى ، لأصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس قوله : « ف جاء اليه واحد من الكتبة الذين كان سمعهم يتساءلون ، ونظر اجابته لهم حسنة • فسأله أى وصية أول الكل ؟ فأجابه يسوع : ان أول كل الوصايا اسمع يا اسرائيل الرب الهنا اله واحد هو ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوتك • هذه أولى الوصايا • والثانية هى مثلها أن تحب قريبك مثلك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين • فقال له الكاتب : جيدا يا معلم ، قلت بالحق أن الله واحد ، وليس آخر غيره • فعلم أن أول الوصايا أن يعتقد الانسان أن الله واحد حقيقى ، لا ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقى ، كما زعمت النصرارى • ومثل هذا كثير أيضا فى التوراة كما فى الأصحاح الرابع من سفر الاستثناء : « لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره • فأعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من تحت وليس غيره » وفى الأصحاح السادس من السفر المذكور : « اسمع يا اسرائيل أن الرب الهنا فانه رب واحد » وفى الأصحاح السادس والأربعين من سفر أشعيا « ابنى أنا الله وليس غيرى اليها وليس لى شبيهه » •

ومن أقوال المسيح أيضا : ما فى الأصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، لا الملائكة الذين فى السماء ولا الأب (١) الا الآب » • وهذا القول ظاهر فى بطلان

(١) المراد بالابن : نبوة المزمور الثانى وقد وضعناها فى كتابنا اتانيم النصرارى — فصل اتنوم الابن •

التثليث لا يزيغ عنه الا أعمى البصيرة ، لأن المسيح خصص علم القيامة بالله سبحانه ونفى علمها عن نفسه ، كما نفى عن غيره • وهذا لا يمكن في صورة كونه الها • ولا سيما اذا لاحظنا أن الكلمة ، وأقنوم الابن عبارتان عن عزم الله تعالى وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هذا الانحداد على مذهب القائلين بالحلول أو على مذهب اليعقوبية انقائين بالانقلاب ، فانه يقتضى أن يكون الأمر بالعكس • ولا أقل أن يعلم الابن كما يعلم الآب • ولما لم يكن العلم من صفات الجسد • فلا يجدى فيه عذرهم الفاسد المشهور وهو أنه نفى عن نفسه باعتبار جسميته • فظهر أنه ليس الها لا باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها عند كل منصف لم يكابر نفسه ويفتح عينيه حتى يرى من صبح الهدى شمس •

ومن ذلك ما في الأصحاح التاسع عشر من انجيل متى قوله : « واذا واحد تقدم • وقال له : أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحد • وهو الله » فهذا انقول أظهر من الشمس في رفع ظلام التثليث • وانظر فانه عليه السلام ما رضى من تواضعه أن يطلق عليه لفظ الصالح ، فكيف يرضى أن يطلق عليه أنه الرب المعبود وخالق كل موجود ، ويخاطبه المثلثون في صلواتهم بقولهم : « ياربنا والهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيدك » ومنه ما في الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى قوله : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلى ايلى لما شبيقتنى أى الهى الهى لماذا تركتنى؟ » الى أن قال متى : « وأما يسوع صاح بصوت عظيم وأسلم الروح » وفي الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبته فى يديك أستودع روحى » وفى بعض النسخ المطبوعة : « وصاح يسوع بصوت عال • وقال : يا أبته فى يديك أسلم روحى » •

وهذا القول ينفى الوهبة المسيح رأسا • ولا سيما عنى مذهب

الى اله آخر ولما جزع من الموت ، ولما سلم الروح الى اله آخر •
وأنت تعلم أن تألم بدن الانسان لا يكون الا بواسطة
الروح ، وروح المسيح بزعمهم لاهوتية ، ولما رأيناه قد تألم وصرخ
على زعمهم علمنا : أنه ليس بالله فقول قائلهم : ان الناسوت تألم ،
وأما اللاهوت فلم يتألم قول باطل وجواب عاطل ، لا يجديهم نفعا
كما لا يخفى •

والعجب من النصارى : أنهم لا يكتفون بموت الههم وصلبه حتى
قالوا دخل جنهم وعذب بعد ما صلب ومات • وسيأتى بقية الكلام على
هذه العقيدة فى محلها ان شاء الله تعالى •

ومنه ما فى الأصحاح الثالث والرابع من انجيل متى قوله : « حينئذ
أتى يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعمده • فكان يوحنا
يمنعه قائلاً أنا المحتاج أن أتعمد منك وأنت تأتى الى ؟ فأجاب يسوع
وقال له : دع الآن • فهكذا يجب لنا أن نكمل كل البر ، فحينئذ تركه ،
فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فلما انفتحت له السموات ورأى
روح الله نازلاً كمثل حمامة وجائياً اليه ، وإذا صوت من السموات قائلاً :
هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت حينئذ أخرج يسوع الى البرية
من الروح ليجرب من ابليس ، فلما صام أربعين نهساً وأربعين
ليلة • ثم جاع أخيراً ، تقدم المجرب وقال له : ان كنت أنت ابن الله
فقل أن نصير هذه الحجارة خبزا ، فأجابه وقال : مكتوب ليس بالخبز
وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله • حينئذ أخذه
الشيطان الى المدينة المقدسة واقامه على جناح الهيكل وقال له : ان
كنت أنت ابن الله فإناطرح الى أسفل فانه مكتوب أنه أوصى ملائكته
من أجلك ، ويحملونك على أيديهم ، لئلا تعثر بحجر رجلك • قال له
يسوع : مكتوب أيضا : لا تجرب الرب الهك • فأخذه الشيطان أيضا
الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها • وقال له : أعطيك
هذه جميعها ان خررت لى ساجدا • حينئذ قال له يسوع : اذهب
يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد ، وله وحده تعبد » •

ففى هذا الكلام دلالات متعددة واضحة على عبوديته عليه السلام،
ما عدا قوله : « هذا ابنى » وسنتكلم عليه فيما بعد ان شاء الله تعالى،
كما تكلمنا عليه فيما سبق •

فمنها : أنه متعبد بالعبادات ليكمل نفسه بالتمعيد ، فقد أتى الى
يحيى بن زكريا عليهما السلام ليعمده بالماء أسوة بأمثاله • فهل يحسن
بالرب أن يتعمد على يدى أنبيئه ويأتصد بالتبرك بعض أصفيائه ؟ وهل
كان يحسن من نبي الله يحيى أن يجهل ربه ويعمده ؟ وكان يلزم منه
أن يقول له : أنت ربى واحسانك بالنبوة على فلا ينبغي من أن يكون
تعميدك على يدى • نعم ان يحيى قد تواضع على عادة أمثاله ، فقال
أنا أحق بالتعبد منك ، وأنت أقوى ، فلم يقبل المسيح هذه الدعوى •
وقال : جئت للتكميل •

وليت شعرى هل يحتاجه الرب الجليل ؟ وإذا قالوا انه تعمد ليعلم
الناس ذلك • فهو جواب كسراب بقيقة يحسبه الظمان ماء ، لأنه كان
يمكنه التعليم باللسان فيما هنالك • ولقد أحسن أبو الفضائل فى قوله :
فلو كان ربا كما ترعمون أيسعى ليحيى من الأردن ؟
ويحتاج للماء فى بـره ليكمل بالمورد الأحسن
ويجعل يحيى اماما له ليعمده • فهو كالمحسن
اليه • وما كان من فعله فقم لعيسى المقام السنى
فلو كان عيسى الها ، كما زعمتم • لقد كان عنه غنى
ومنها مجىء الروح أى الملك بصورة حمامة • اليه بعد مضى ثلاثين
سنة من عمره ، وبعد التعميد • ومنها : صيامه وجوعه وعبادته وقوله
لابليس : « للرب الهك تسجد وله وحده تعبد » أى لا أسجد لك
ولا أعبدك بل أعبد ربه وحده • فهل أظهر من هذا دلالة على عبوديته؟
والعجب أن ابليس عليه العنة الذى هو علمه بالله سبحانه معلوم ،
ومعرفته بخالقه إتيانها فى الكتب السماوية مرسوم ، يجهل أن عيسى
خالقه ثم يمتحنه بالأمور المتقدم ذكرها ولا يقول له عيسى أنا خالك
فكيف لا أقدر على هذه الأشياء ؟ وكيف أسجد لك وأنت قد سجدت لى
قبل أن أخلق آدم والأرض والسماء ؟ فتأمل وأنتصف •

الفصل الثالث

فى

التأويل

وان قد علمت بالبراهين العقلية القطعية والنقلية أن التثليث الحقيقى ممتنع فى ذات الله سبحانه • فلو وجد قول من الأقوال المسيحية دالا بحسب الظاهر على التثليث ، يجب تأويله لأنه لا يخلو اما أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة القول • واما أن نتركها ، واما أن نرجح النقل على العقل ، واما أن نرجح العقل على النقل • والأول باطل قطعاً • وآلا لزم كون الشئ الواحد ممتنعاً وغير ممتنع فى نفس الأمر • واثانى أيضاً محال ، وآلا يلزم ارتفاع التقيضين • والثالث أيضاً لا يجوز ، لأن العقل أصل النقل ، فان ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلًا للرسل وثبوتها بالدلائل العقلية فالقدح فى العقل قدح فى والنقل معا ، فم يبق الا أن نقطع بصحة العقل ، ونشتغل بتأويل النقل • ولقد أحسن « أبو الفضائل المالكي » فى قوله :

إذا ما النقل خالف حكم عقل نأوله • فنكسبه رجوعاً
لأن العقل أصل النقل مهما يخالف أصله ، سقطا جميعاً

والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل ، لما عرفت فيما تقدم أنهم يأولون الآيات الكثيرة الدالة على جسمية الله سبحانه وشكله بورود الآيتين (١) اللتين مضمونهما مطابق للبرهان العقلى • وكذلك يأولون الآيات الغير محصورة الدالة على المكان لله عز وجل لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان •

والذى أوقعهم فى هذه المهاكة الوخيمة والورطة الجسيمة من القول

(١) يقصد آيتا نقل الثلية عن الله تعالى • وآيات نقل الثلية كثيرة فى التوراة وقد ذكرنا بعضها فى أساس التقديس للرازي •

بالأقنانيم واتحاد المسيح بالرب العظيم : ما ورد موهما من ألفاظ الانجيل كالآب والابن والآله والرب والسجود والغفران • ونحو ذلك • فلم يحملوها على ما أريد منها وحملوها على ظاهرها وخصوصيتها بعيسى عليه السلام ، فضلوا وأضلوا كثيرا من جهة الأذم •

وسنفصل ان شاء الله تعالى المراد بها وما ورد مما يبطلها عن الكتب المتقدمة ، والمسيح عليه السلام •

فنبول : اما لفظنا الآب والابن ففي لغتهم يسمى الولي ابنا ويسمى الربى أبا • ويعبرون عن ذلك بأبوة النعمة وبنوة الخدمة • وذلك مشهور في نبوة أنبيائهم • وأما لفظنا الإله والرب • فالرب هو الربى باللفظ والاحسان العائد بالامتنان • وهاتان اللفظتان يستعملان في حق التعظيم من الآدميين تجوزا وتوسعا • لكن على جهة التقييد لا على جهة الاطلاق • وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم والمدير والقيم يسمى ربا كما أن الرجل رب منزله وماله • والآله هو المسلط والحاكم كما في الأصحاح السابع من سفر الخروج من التوراة يقول الله تعالى لموسى عليه السلام : « جعلتك الها لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيا » وفيها : « قد جعلتك ربا لهارون » وأما السجود فذلك كان سلام القوم وتحيتهم في الزمن الأول على أكابرهم • وأما السجود الذي هو غير التحية فهو خاص بالله سبحانه وتعالى •

وعلى ما فسرنا به الآب والرب وغيرهما : دلائل من العهد القديم والجديد • منها ما في الأصحاح الخامس من انجيل متى قوله : « طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون » وقوله فيه أيضا : « وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم ، أحسنوا الى مبغضيك ، وصلوا لأجل الذين يسبونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات » فأطلق على غير الله ابنا وعلى الله تعالى أبا • وما في الأصحاح الثامن من انجيل يوحنا في الكلمة التي وقعت بين اليهود والمسيح عليه السلام قوله : « أنتم تعملون أعمال أبيكم • فقالوا له :

اننا لم نولد من زناء ، لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم كنتم تحبوني » الى أن قال : « أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا • ذاك كان قتالا للناس من البدء ، ولم يثبت في الحق ، لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب ، فأنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » •

فاليهود ادعوا أن لنا أبا واحدا • هو الله • وقال المسيح : لا بل أبوكم الشيطان • وظاهر أن الله — سبحانه — والشيطان — عليه اللعنة — ليسا أبا لهم بالمعنى الحقيقي ، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي • كما هو ظاهر ادعى كل منصف •

ومنها : ما في الأصحاح الرابع من سفر الخروج من التوراة :
« هذا ما يقول الرب ابنتى بكرى إسرائيل ، فقلت لك : أطلق ابنتى ليعبدنى » •

ومنها ما في الأصحاح الخمسين من سفر التكوين من التوراة في
قصة يوسف هكذا : « فالآن أعف عنا وتجاوز عن جهل عبيد اله أبيك • فبكى يوسف اذ قالوا له ذلك ، وعمد اخوته ، وخروا قدامه ساجدين • وقالوا له : ها نحن عبيد لك » •

ومنها الآية السابعة من الأصحاح الرابع من رسالة مار يوحنا الرسول الأولى : « أيها الأحباء يجب بعضنا بعضا لان المحبة انما هى من قبل الله • وكل ودود فهو مولود من الله ، وهو يعرف الله ومن لم يكون ودوداً ، فلم يعرف الله ، لأن الله محبة » •

ومنها ما في أول رسالة ماربولس الى فيليمون قوله : « والسلام من الله أبينا ، ومن الرب يسوع المسيح » • وقوله أيضا في أول رسالته الى أهل فيليبپوس : « والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح » ومثله أيضا في أول رسالته الى أهل رومية • وقوله أيضا في رسالته الى أهل أفسس : « اله واحد أب الكل • وهو على الكل وبالكل وفي كلنا » • وقوله أيضا في الأصحاح الثالث من رسالته الأولى الى أهل

نسبالونيكي : « والله أبونا وربنا يسوع المسيح بسهل سبيلنا اليكم »
وقوله أيضا في الأصحاح الثاني من رسالته الى أهل « فيلببسيوس »
« افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء
أولاد الله بلا عيب » ومنها ما في الأصحاح السابع من سفر صموئيل،
الثاني قول الله سبحانه في سليمان : « وأنا أكون له أباً وهو يكون لي
ابناً » ومنها ما في المزمور الثامن والثمانين : « وجدت داود عبدي
فمسحته بدهن قدسي » الى أن قل : « هو يدعوني أنت هو أبى والهي
وناصر خلاصى ، وأنا أيضا أبجعله بركاً ، أعلى من كل مأكوك الأرض »
الى أن يقول : « وأعرضت عن مسيحيك » .

ففى هذا اطلاق الأب على الله والابن على سليمان والمسيح . وفى
الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر ارمياء قول الله سبحانه :
« لأن صرت أباً لاسرائيل ، وأفرأيم هو بكرى » فأطلق لفظ ابن الله البكر
على أفرأيم ، فلو كان اطلاق مثل هذه الألفاظ موجبا للإلهوية لكان
اسرائيل وداوود وسليمان وأفرأيم أحقاء بالإلهوية ، بل أطلق الأبناء
على كافة بنى اسرائيل كما في الأصحاح الثالث والستين من سفر أشعيا،
وقوله في خطابه لله سبحانه : « فبأنك أنت أبونا » وأمثال هذا كثير
كما تقدم . ولعل لنا عودة الى هذا ان شاء الله تعالى ، فافهم وأنصف .

خاتمة :

بقى ما استدلووا به على زعمهم من ألوهية عيسى عليه السلام وبنوته
له سبحانه بكلمات من الانجيل وغيره . وقد تقدم جوابها اجمالاً
واشارة ، وان كنا لا نسلم بقاء الانجيل سالمة من التحريف والتبديل ،
كما سنتبته بحوله تعالى بصحيح الأقاويل . غير أننا نذكر ههنا
مماشاة للخصوم ، وليتبين من الأجوبة حالها لدى أرباب المنطوق
والفهوم ، ان شاء الله تعالى .

الأولى : اطلاق الابن عليه . وهذا دليل واه مردود ، لأنه معارض
بما تقدم من اطلاق لفظ الابن على غيره من بنى اسرائيل ، واطلاق

ابن الانسان وابن داوود عليه السلام ولأن الابن لغة : من قولد من نقطة الأبوين • وهذا محال فلا بد من الحمل على المجاز المناسب لشأن المسيح ، وقد علم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح كما في الأصحاح الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا • « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال : حقا كان هذا الانسان ابن الله » ونقل لوقا في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيله هكذا : « بالحقيقة كان هذا الانسان بارا » ففي انجيل مرقس « ابن الله » وفي انجيل لوقا بدله لفظ « البار » واستعمل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح ، كما استعمل في حق الطالح ، مثل ابن ابليس كما تقدم •

الثانية : ما في انجيل يوحنا في الأصحاح الثامن قوله : « أنتم لا تطيقون المجيء الى ، حيث أذهب أنا فقال لهم : أنتم من أسفل وأنا من فوق • أنتم من هذا العالم وأنا لست من هذا العالم » يعنى على زعمهم : « أنه اله نزل من السماء وتجسم • وهذا التأويل باطل لموجهين •

الأول : مخالفته للإبراهيم العقلية والنصوص القاطعة المتقدمة • والثانى : أن عيسى قال مثل ذلك في حق تلاميذه أيضا • كما في الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لأنهم ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم » •

فسوى بينه وبينهم في عدم الكون من هذا العالم ، فلو لزم من ذلك الألوهية • لكنوا كلهم آلهة ، بل المراد الواضح ، أنتم أيها اليهود طائفون للعالم ، وأنا لست كذلك • وهذا كلام شائع للزهاد انهم ليسوا من الدنيا •

الثالثة : ما في الأصحاح العاشر من انجيل يوحنا : « ان أبى الذى

أعطيني هو أعظم من الكل ، ولن يقدر أحد أن يخطف من يد أبى ، أنا والآب واحد » .

قالوا : فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله سبحانه ، وأنت تعلم أن هذا استدلال باطل ، لأن المسيح عندهم أيضا انسان ذو نفس ناطقة ، وليس بمتحد بهذا الاعتبار فلا بد أن يحتاجوا الى التأويل فيقولون : كما أنه انسان كامل فكذلك اله كامل ، فبالاعتبار الأول مغاير . وبالاعتبار الثانى متحد . وقد تقدم لك بطلان هذا التأويل ، ولأن مثل هذا التعبير وقع فى شأن الحواريين كما فى الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا قوله : « ليكونوا بأجمعهم واحدا كما أنك يا أبتاه فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا فينا واحدا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتني ليكونوا واحدا ، كما نحن واحد أنا فيهم وأنت فى ، ليكونوا كاملين لواحد » .

فقوله : « ليكون الجميع واحدا » الى آخره يدل على اتحادهم ومساواة اتحادهم بالله واتحادهم معهم واتحادهم به ، وظاهر أن اتحادهم فيما بينهم ليس حقيقيا فكذا اتحادهم بالله . والحق : أن المراد من ذلك اطاعة أحكامه واتباع أوامره والاجتناب عن منهياته . والحواريون وأهل الايمان متشاركون فى ذلك . وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف . والدليل على هذا : قول يوحنا فى الأصحاح الأول من رسالته الاولى وهو هكذا : « وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ، ونخبركم به : أن

الله نور ، وليس فيه ظلمة البتة ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكتنا فى الظلمة نكذب ولمسنا نعمل بالحق ، ولكن ان سلكتنا فى النور كما هو أيضا فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض » .

وفى التراجم الفارسية « متحد هستيم » فوقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتحاد فعلم أن الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عما قلنا . فتبين لك الجواب الثانى لمن تمسك بهذه الشبهة ولم يرد العذب الصافى .

الرابعة : ما فى الأصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا قوله :

« قال له فيلبس » يا سيد أرنا الآب وحسبنا • قال يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفوني • يا فيلبس من رآنى فقد رأى أيضا الآب • فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ أما تؤمنون أنى فى الآب والآب فى ؟ الكلام الذى أنكنكم لكم أنا به لست أنكنم به من عندى ، بل أبى الذى هو حال فى ، هو يفعل الأعمال • أفلا تؤمنون أنى أنا فى الآب والآب هو فى ؟ والا فآمنوا من أجل الأعمال بعينها • الحق الحق أقول لكم : أن من يؤمن بى فالأعمال التى عملها أنا يعملها هو أيضا • فأفضل منها يصنع ، لأنى ماض الى الآب • وكل شئ تسألون الآب باسمى لصنعه ليتمجد الرب بالابن ، وان سألتهمونى باسمى شيئا فافعله ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطاب من الآب فيعطىكم فارقليط (١) آخر ، ليثبت معكم الى الأبد روح الحق الذى ان يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقبم عندكم وهو ثابت فيكم ، لست أدعكم يتامى ، أنى سوف أجيئكم عن قليل ، والعالم ليس يروننى ، وأنتم تروننى ، اننى حى وأنتم تحبون • فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى ، وأنا فيكم •

وقد استدلووا بهذا على اتحاد المسيح بالله سبحانه وهذا الكلام وان كان داخلا فى جملة المحرف كما ستعرفه فى محله ان شاء الله تعالى ، لكن نتنزل ونقول بصحة وروده وظهور تأويله ، وأنه ليس فيه عند كل ذى لب وانصاف مخالفة لما يقوله المسلمون فى حقه من أنه عبد الله ورسوله .

فاعلم : أن هذا الاستدلال مردود من وجهين :

الأول : ان رؤية الله تعالى فى الدنيا محالة عندهم أيضا كما تقدم • فلو كان هو الله ، كيف يرى ؟ فيأولونها بالمعرفة باعتبار الألوهية والحلول الذى وقع فى القمل الثانى والثالث وأجب التأويل عند جمهور أهل التثليث • فيقولون • ان المراد بها الاتحاد الباطنى • وبعد هذه التأويلات يقولون : أنه لما كان انسانا كاملا والمها كاملا ، صحت أقواله

(١) الفيرقليط هى اسم أحمد صلى الله عليه وسلم فى انجيل يوحنا • والنصارى حرفوها الى ماراقليط •

الثلاثة باعتقار المثاني ، وقد عرفت مرارا انه ياطل ، لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص •

الثاني : ان قوله : « تعظمون أنى أنا في أبى وأنتم في ، وأنا فيكم »

يمنع من تأويلهم المذكور ، لأنه يلزم أن يكون الحواريون بل أكثر النصراني حاليين في المسيح ، والمسيح حالا فيهم ، لأن حال الحال حال في محل الحال ، وقد تقدم أيضا في الثالثة قوله : « أنا فيهم وأنت في » . وكذا قوله في الأصحاح الرابع من الرسالة الى أهل افسس « اله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل ، وفي كنكم » فالحق : أن الأدنى اذا كان من أتباع الأعلى كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبه ، فالأمر المنسوب الى الأدنى من التعظيم والتحقيق والمحبة وغيرها ينسب الى الأعلى مجازا ، ولذلك قال المسيح في حق الحواريين : « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » كما في الأصحاح التاسع من انجيل لوقا • ولذلك قال الله تعالى على لسان ارميا : « أكلنى ابتلعنى بخت نصر ملك بابل ، جعلنى كإناء فارغ » كما هو مصرح به في الأصحاح الحادى والخمسين من سفر ارمياء ، فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله تعالى •

وأما حلول الغير في الله أو حلول الله سبحانه فيه وكذا حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه ، فعبارة عن اطاعة أمرهما • ففى الأصحاح الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا قوله : « من يحفظ وصاياهم يثبت فيه وهو فيه ، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا » ومثل هذا المجاز في كلام العرب كثير ، حتى له في القرآن العظيم نظير • ومنه قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى » والعجب منهم : أنهم تصرفوا في تأويل هذه الآيات المتقدمة على ما يقتضيه هوى أنفسهم في الاتحاد ، مع أنه ظاهر البطلان • وأولوا الفارقليط بغير نبينا عليه لصلاة والسلام مع أن المراد به هو ، كما هو ظاهر لمن له عينان ، كما سنبينه في موضعه ان شاء الله تعالى •

ثم اعلم : أنهم قد يتسكون الألوهية ببعض حالاته ، فيستدلون

على ذلك تارة أنه بلا أب ، وتارة أنه أحيا الموتى ، وتارة بأقوال بعض
 الحواريين • وهذه كلها تمسكات واهية جدا ، فكونه بلا أب لا يفيد
 الألوهية ، فهذا العالم بأسره خلق ولم يك شيئا بذكر ، وآدم عليه
 السلام خلق بلا أب ولا أم ، وحواء خلقت من ضلع آدم • ونرى في
 كل يوم حيوانات تتخلق من التراب ونحوه بلا أب ولا أم • فان كان
 الخلق بلا أب موجبا للألوهية لكان آدم الها ، بل وكان « ملكي صادق »
 الكاهن الذي هو معاصر لابراهيم عليه السلام كما في الأصحاح السابع
 من الرسالة العبرانية في بيان حاله هكذا : « بلا أب بلا أم بلا نسب ،
 لا بداية أيام له ولا نهاية حياة » يفوق المسيح في كونه بلا أم ولا
 بداية • وأحيا الموتى فحز قيال — عليه السلام — أذكر منه كما في الأصحاح
 السابع والثلاثين من سفره فهو أولى وأحيا ايلياء عليه السلام ميتا
 كما في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول ، وكذا اليسع كما
 في الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثاني • وصدرت هذه المعجزة
 عن اليسع بعد موته عند ما ألقى الميت في قبر اليسع ، فحيى باذن الله
 تعالى ، كما في الأصحاح الخامس من السفر المذكور • وأبرء الأبرص من
 برصه كما هو موضح به في الأصحاح الخامس من السفر المذكور •
 وأما أقوال الحواريين فهي مأولة ان سلمنا ورودها ، والا فهي غير
 ثابتة كما ستعلمه في محله ان شاء الله تعالى •

وعلى كل حال لا يقول باتحاد الباري سبحانه مع خلقه الا ذو خبال،
 وكيف يسوى العاقل بين انزاب ورب الأرباب ؟ فنعوذ بالله من كفر
 أهل الطول والاعتداد ، الذين لم يسبقهم سابق الى هذا الضلال
 والعناد • ولقد أحسن القائل :

وحاشا المسيح النبي الكريم	من القول في أنه خالق
ومن قبل حامت به أمه	رسولا • وفي مهده ناطق
بأنى عبد أتانى الكتاب	وما عاقه بعد ذا عائق
فكيف يقول اذا ما استوى	أنا الله • والخالق الرازق ؟

تتمة :

وإذا أحطت خبرا بما ذلونا عليك ، وعلمت الجواب المفصل عندما قربناه اليك ، فلنكمل الرد بالتتقير في كلماته ، والتنفير عن خزعبلانه وبيان أكاذيبه وتأويلاته الفاسدة ومحامله الكاسدة . فمن ذلك قوله : « فقال في السفر الأول من التوراة في البدء الآلهة براء السموات والأرض » وهذا ليس له أصل في التوراة . ففي التوراة التي بأيدينا المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ مسيحية ما نصه : « سفر تكوين الخلائق الأصحاح الأول : في البدء خلق الله السماء والأرض ، وكانت الأرض خاوية خالية ، وكانت الظلمة على وجه الغمر » فلمن أين فيه لفظ الآلهة ؟ ومن أين فيه الإشارة الى ما ادعاه النصراني من التثليث ؟ وكذا التوراة العبرانية ليس فيها هذا اللفظ . ونصها : « براشبه براء ايلوهيم اث هشاييم وايت هارص » وتعريبها : « أول خلق الله هذه السماء وهذه الأرض » وليس فيها لفظ الآلهة كما كذب المؤلف . وكذا قوله : « لنصنعن انسانا يشبهنا وصورتنا » فأى دليل فيه على أن عيسى اله ؟ فإذا قال اليهودى مثلا : ان المراد بذلك ألوهية موسى لا عيسى ، فبأى شيء يثبت أن المراد به عيسى لا موسى ؟ فان أثبت بشيء مما تقدم من شبهكم ، فقد ردت عليكم وأبطلت بالبراهين العقلية والانتقالية ، وقول اليهودى أن المراد به موسى أقرب من قولكم أنها تشير الى عيسى . لأن التوراة نزلت عليه ، فهو أولى بهذه الإشارة من عيسى ، لا سيما وقد خاطبه الاله سبحانه بقوله : « جعلتك الها لفرعون » كما تقدم .

وأما قوله « يشبهنا وصورتنا » فهذا مثل قوله عليه الصلاة

(١) هذا حديث آحاد . وحديث الآحاد ليس . بحجة في العقائد . لأن الرواة ظهر فيهم مقلون من الزنادقة وغيرهم . وقد قال حجة الاسلام الغزالي : انه قد كان يمكن أن يكون حجة ، لولا ما ظهر من كذب الرواة (راجع المستصفى) .

والسلام : « ان الله خلق آدم على صورته (١) » فهو من المتشابه الذى يأول عند الكل تأويلا حسنا ، أو يفوض علمه الى الله تعالى كما هو المشهور ، وقد ألفت فيه كتب مخصوصة ، فايكتف فيه هنا بهذه الاشارة •

وأما قوله : « ان نون الجمع ليس المراد بها في هذه المواضع التعظيم ، بل الاشارة الى التثليث » الخ فهو كلام ساقط • لأن ارادة التعظيم أحق ممن له العظمة والكبرياء وايجاد الأرض والسماء إذ هو سبحانه الحقيق بالتعظيم والإلحاق بعظيم جلاله التبجيل والتكريم ، فكل لصفات العلية بالنسبة الى جذابه الحقيقية ، وبالنسبة الى غيره مجازية •

ثم لا يخفى عليك ما فى باقى كلامه من التناقض والتهافت والمكابرة ، وصرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة المرادة • مع هذا فسنأتيك بأبحاث مفصلة لزيادة الرد عليها بحول الله تعالى وقوته •



قال النصرانى : « وبيان ذلك : قول موسى النبى عن الله تعالى فى التوراة التى أنزلها عليه » أن الله ترأى لابراهيم وهو فى موضع يعرف بباطم ممرا جالسا على باب خبائه • • فى وقت استحرار النهار رفع ابراهيم عينيه فرأى ثلاثة رجال وقفا بازائه ، فبادر اليهم واستقبلهم قائلا : يا سيدى ان كنت تد وجدت نعمة فى عينيك ، فلا تتجاوزن عبدك » ألا ترى أن المنظور اليه من ابراهيم ثلاثة وأن المضاطبة مخاطبة شخص واحد ، فسماهم ربا واحدا وتضرع اليه سائلا أن ينزل عنده • فعدة الثلاثة سر الأتانيم الثلاثة وتسميته اياهم ربا واحدا لا أربابا ، سر لجوهر واحد • فهى ثلاثة بحق وواحد بحق كما وصفنا •

ثم ان موسى أخبر أن الله قال له : « اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب

واحد » معنى ذلك • أن الله الموصوف بثلاثة أقنانيم هو رب واحد •
« داوود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى : « بكلمة
الله صنعت السموات وبروح فيه كل جنودها » فأفصح داوود وصرح
بالثلاثة أقنانيم ، حيث قال الله : « وكلمته وروحه » فهل زدنا في وصفنا
علي ما قال داوود •

ثم انه قال في موضع آخر من كتابه تحقيقاً بأن كلمة الله اله حق
لكلمة الله « أسبح » فان كان داوود عندك يسبح لغير الله ، ما أظنك
تقول هذا ؟ ثم أنه يقول في موضع آخر من كتابه : « تبارك الله اله
تبارك الله يوماً فيوماً يسهله الله علينا » افداوود كان يطلب أن يبارك
عليه اله واحد أم آلهة ثلاثة ؟ ولكنه رمز في كتابه إلى ذكر الثلاثة
أقنانيم أنها اله واحد • وقال أشعياء النبي المحمود من الله تعالى في
الأصحاح الثامن والأربعين « منذ البدء لم أتكلم في الخفاء ، ومنذ
زمان قبل أن يكون ، أنا هناك ، والآن الرب الاله أرسلنى وروحه »
وهذا هو قولنا ثلاثة أقنانيم اله واحد ، ورب واحد ، لم نخرج عن
حدود كتب الله المنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئاً ، ولا بديناها
ولا حرفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ، ولسنا ندع مناظرتك
في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل اذا نظر في كتابنا هذا أنك
قد ظلمتنا فيه ، بل ظلمت الحق وادعيت علينا فعلاً لم نكن نفعله •
ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ان شاء الله تعالى •



أقول وبالله سبحانه التوفيق : في هذا الكلام فصول :

الفصل الاول

في قوله : « وبيان ذلك قول موسى الخ » فهذا النقل مع أنه محذوف الآخر ومغير بعض كلماته عن التوراة التي عندى المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ لا يجد به نفعا لمسألة التثليث كما سنبينه ان شاء الله تعالى ، فنذكر ذلك بحروفه أولا لكيلا يخفى تمويهه على كل من لا يد بصير .

قال في الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين من التوراة ما نصه :
« فترأى الرب له في وطاء ممرا ، وهو جالس على باب خيمته في وقت الظهر ورفع عينيه ، فظهر له ثلاثة رجال قياما بفربه ، فلما نظرهم أسرع للقائهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض . وقال يا رب ان كنت قد وجدت نعمة أمامك فلا تتجاوز عتدك غانى آتى بثليل ماء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه الشجرة ، وأضع كسرة خبز واسندوا قلوبكم ثم تجوزون اذ أنتم ملتئم الى عبدكم . فقالوا له : افعل كما قلت فأسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة ، وقال لها : اسرعى اعجنى ثلاثة أكياس دقيق ، واصنعها ملة . وهو فأسرع الى البقسر وأخذ عجلا خصيا جيدا جدا وأعطاه لعلامه فصنعه سريعا وتناول سمنا ولبنا والعجل الذى عمله ووضع قدامهم وهو كان قائما بقربهم تحت الشجرة ، ولما أكلوا قالوا له أين سارة زوجتك ؟ فأجاب قائلة ها هى ذى فى الخيمة : فقال له : انى راجع اليك فى هذا الوقت والحياة باقية ويكون لسارة زوجتك ابن . وسمعت سارة ذلك فضحكت ، وهى خلف باب الخيمة ، وكان اثناهما قد شاكها وقد طعنا فى السن ، وكان قد انقطع عن سارة ما يكون للنساء . فضحكت سارة سرا قائلة فى نفسها : أمن بعد ما طعنت بالسن وسيدى قد شاخ أن أعود الى التمتع ؟ فقال الرب لابراهيم : لم ضحكت سارة قائلة أترى أنى ألد بالحرية وأنا قد عجزت ؟ هل على الله أمر عسير ؟ » ا . هـ

فانظر أولا الى هذا التبديل والتغيير فى الفاظ التوراة فان النصرانى

قال يعرف ببلوط ممرا وفي النسخة التي عندنا وطاء ممرا ، وقال جالسا :
وفي نسختنا وهو جالس ، وقال : استحرار النهار وفي نسختنا الظهر •
وقال ورفع وفي نسختنا رفع ، وقال فرأى ثلاثة رجال وقوفا بإزائه •
فبادر اليهم واستقبلهم قائلا : يا سيدى ان كنت وفي نسختنا فظهر له
ثلاثة رجال قياما بقربه ، فلما نظرهم أسرع للمقائهم من باب الخيمة
وسجد الى الأرض ، وقال يا رب ان كنت ، وقال النصرانى نعمة في
عينيك وفي نسختنا نعمة أمامك ، ثم انه حذف آخر الآيات التي فيها
ان ابراهيم قال : آتى بقليل ماء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه
الشجرة وأضع كسرة خبز واسندوا قلوبكم ، ثم تجوزون • ثم انه
فعل بهم كما قال يعنى فغسل أرجلهم وأطعمهم •

فياليت شعرى كيف يكون للرب رجل تغسل من التعب ، وجوف
يجوع ويمتلىء طعاما ؟ وكيف يكون الرب ثلاثة أشخاص وذا أجزاء ؟
وكيف كان للبارى سبحانه ستة أرجل وستة أيدي وثلاثة بطون وألسن
ورعوس ، ثم كيف تكون الثلاثة الها واحدا ؟ فهل هذا الادعاء
: لا سفسطة وتناقض وهذيان وجنة • فنعوذ بالله من الخذلان • وكيف
تكون هذه العبارة هى وأشباهاها المنقولة من التوراة المحرفة المبذلة
المغيرة المأولة دليلا على هذه المسألة العظمى العائدة الى ذات البارى
سبحانه عما يقول الظالمون • على أننا سنذكر ويثبت تحريف التوراة
والانجيل وتأويل ما ورد موهما للتجسيم والتثنيث في محله ان شاء
الله تعالى •

واذا نظر العاقل بعين بصيرته دون عين هواه الى أمثال ذلك ، يجده
كما قال المسلمون من تبدييه وتأويله ، على أن ظاهر الكلام وباطنه
يناديان بصد ما ادعاه هذا النصرانى ، فكثيرا ما يطلق في التوراة
وغيرها مثل هذا الكلام ويراد به المجازى ملائكة الرب سبحانه على
نحو بنى الأمير المدينة ، وقوله تعالى : « واسأل الثرية » • وهذا أكثر
من أن يحصى على أنه ليس في التوراة أن الرب جاء ، بل فيها كما
تقدم فتراها الرب له في وطاء ممرا فظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه •

تأى دلالة فى هذا أن الرب جاء وصار ثلاثة رجال ؟ وإن صحت العبارة فيمكن حملها على أن الرب تجلى له أو أوحى له أو ترائى له ملائكة الرب ، وكيف يجهل إبراهيم أن ربه لا يأكل ، فإذا كان إبراهيم علم أن هذه الثلاثة آلهته ، وأنها إله واحد ، فكيف يعرض عليهم الأكل ؟

وهذه القصة قد حكاهما البارى عز وجل فى كتابه الكريم فى سورة هود ، قال تعالى : « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاما . قال : سلام . فما لبث أن جاء بعجل حинئذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة . قالوا : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت ، فبشرناها بإسحق ، ومن وراءه اسحق يعقوب . قالت : يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ إن هذا لشيء عجيب . قالوا : أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . »

فانظر أيها المنصف الفرق بين القرآن العظيم وبين عبارة التوراة فى هذه القصة الواحدة ، من قوة الألفاظ وصحة المعنى المقبول عقلا ونقلًا . ففى القرآن الكريم أنهم ملائكة على صورة البشر ، وفيما نقله عن التوراة أنه الله سبحانه بزعمه وانقسم ثلاثة أشخاص وأنهم غسلوا أرجلهم وتعبوا وجاعوا وأكلوا وأسندوا قلوبهم بكسرة خبز فهل يقبل العقل والنقل ما نسبته للبارى سبحانه ؟ ولا بأس إذا تشككت الملائكة بصورة البشر (١) وجرى فيها ما يجرى على البشر كما ورد فى التوراة فى أماكن كثيرة .

قال المفسرون : جاءت الملائكة إلى إبراهيم على صورة المعلمين

(١) الملائكة يتصلون ببنى آدم للخير أو للشر . وهم الأجسام الفورالية أما الجن المؤمن أو الكافر فلا صلة له بالجنة ببنى آدم . والذي له صلة بالسوسية والظهور للادنى والتعاون معه على الشر هم الشياطين . ولا يحدث زواج بين بنى آدم والجن . لأنه يحتاج إلى الشهادة وثبوت نسب أولاد ، وحصانة الزوج أو الزوجة من الزنا ، وهذا يتعذر إثباته فى الجن . وقد امتن الله بقوله : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا » ولم يقل من أنفس الجن أو الشياطين أما الزنا فإنه واقع بين بنى آدم والشياطين . لا الجن .

فى غاية الحسن والبهجة وهم جبرائيل واسرافيل وميكائيل • وانما لم يسند اليهم الارسال بل أسند اليهم المجاء لأنهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط عليه السلام ، وانما جاعوه لداعية البشرى ، فما أبطأ ابراهيم أن جاء « بعجل » وهو ولد البقرة « حنفيذ » أى سمين يقطر ودكه ، وقيل المشوى « فلما رأى » ابراهيم « أيديهم لا تصل اليه » أى لا يمدونها الى العجل المشوى كما يمد يده من يريد الأكل نكرهم ، أى وجدهم على غير ما يعهد لأن عادتهم أن المضيف اذا نزل عليهم ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه قد جاء بشر ولم يأت بخير « وأوجس منهم خيفة » أى أحس فى نفسه خوفا وفزعاً ، وكأنه ظن أنهم قد نزلوا به لأمر ينكره أو لتعذيب قومه • « قالوا لا تخف » • فلعلهم استدلوا على خوفه بامارات كظهور أثره على وجهه ، ثم عللوا نهييه عن الخوف بقولهم : « انا أرسلنا الى قوم لوط » ولوط ابن أخيه هاران • وهو أول من آمن به ، وامراته سارة ابنة عمه كانت قائمة عند تحاورهم وراء البستر تسمع كلامهم • وقيل كانت تخدم الملائكة — فضحكت متعجبة أو سرورا من البشارة بالولد ، وهى ابنة ثمان وتسعين سنة ، و ابراهيم ابن مائة سنة أو أكثر فبشرت بأنها تعيش حتى ترى من وراء اسحق ولده يعقوب ، وقد رآته •

ثم قال تعالى : « فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى » أى بالولد أو بقولهم : لا تخف « يجادلنا فى قوم لوط » أى يجادلنا رسلنا • ومجادلته لهم أنه سمع قولهم « اتا مهلكو أهل هذه القرية » وهى قرية قوم لوط • قال أرايتم ان كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : لا • قال : فأربعون ؟ قالوا : لا قال : فعشرون ؟ قالوا : لا • قال : فعشرة ؟ قالوا لا • قال : فخمسة ؟ قالوا لا • قال : فواحد ؟ قالوا : لا • « قال : ان فيها لوطا » قالوا : « نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله » فهذا معنى مجادلته فى قوم لوط أى فى شأنهم لأن المعبد لا يقدر أن يخاصم ربه وان كان نبيا •

ثم ان العجب العجيب : استدلاله أيضا على الثلاثة أقانيم بقوله :

« ثم موسى أخبر أن الله قال له : اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب واحد » قال : ان معنى ذلك أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هو رب واحد »

فهو دليل عليه بالوحدانية لا بانتثليث • فكيف قلب الموضوع وجعل ما يكون دليلاً عليه دليلاً له ؟ فهل هذا إلا من الخرافات والقرهات فانه لو سمع هذا الكلام أجهل الناس لعلم منه أن المراد أن اله موسى واحد غير متعدد • وليت شعري من أين علم أن الله سبحانه أراد ذلك ؟ وكيف أتى بهذه الزيادة من تلقاء نفسه ؟ ولم لم يبينها موسى عليه السلام لبني اسرائيل حتى يأتي « عبد المسيح » فينشرها في عداد ما افتري من الأباطيل ؟ فأين هذا النصراني عن أمره بالانصاف ثم يركب مطية العناد والاعتساف ويروق عباراته بالكلمات التي يدعى بها طالب النصفة ويألف أدلة شعارها التزمويه وديثارها الكلفة ، ليروج كلامه على النصراني المساكين ، ويزخرف كتابه بالكاذيب ، لظن أن يخفى على غير المطلعين ، ويبهرج افكه ليروج بزعمه على غير النقادين • ومن يضل الله فليس له هاد من الناس أجمعين •

فصل

وأما قوله : « داوود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى : « بكلمة الله صنعت السموات وبروح كل جنودها » فأفصح داوود وصرح بالثلاثة أقانيم حيث قال الله وكلمته وروحه » •

فهو وهم ظاهر لأن هذا في ارموز الثاني والثلاثين لا في الثالث والثلاثين • وفي النسخة التي عندنا ما نصه : « امتلأت الأرض كلها من رحمة الرب بكلمة الرب تشددت السموات ، وبروح فيه كل قوتها ، الى أن يقول داوود في هذا المزمور : « الذي هو وحده خلق قلوبهم وعلى اسمه القدوس اتكلنا » فأنظر الى حذفه ما هو عليه وتعبيره للألفاظ وسهوه في المحل وخطأه الظاهر في تعيين الأغراض ويقتضى على زعمه في معنى كلام داوود عليه السلام : أن تكون الآلهة أربعة بل

خمسة ، لأنه قال : رحمة الرب • وكلمة الرب وبروح فيه ، وعلى اسمه
لقدوس انتكلت ، فالرحمة اله أول ، والرب اله ثان ، والكلمة اله
ثالث ، والروح اله رابع ، والقدوس اله خامس • فصارت الأقداس
خمسة • وهذا لا يخفى على ذى عينين أو أحول يجعل الواحد اثنين •
وأين قلب هذا النصرانى عن قول داوود هنا « وحده خلق قلوبهم » ؟
واذ كان داوود علم أن الآلهة ثلاثة والثلاثة اله • فعيسى جزء من الآلهة ،
فلم لم يخبر بنى اسرائيل أن الههم وربهم متعدد ، وأن جزء الاله
أو الواحد من الآلهة حامته اذ ذاك فى صلبه وأنه سيكون من ذريته ،
لأن النصرانى مسلم أنه ابن مريم ، وأنها من ذرية داوود • فهل هذا
القول عند كافة الخلق الا مذهب مردود مردول لا تقبله ربات الحبول
فضلا عن كاملى العقول ؟

ولعمري ان رهبان النصرى وقسيسهم اذا أنصفوا ورجعوا الى
أنفسهم بعد اطلاعهم على كلام هذا النصرانى الملقق المختلق وأدلتته
التي هي عندهم من أعظم الأدلة وليس عندهم غيرها ، وان كانت كحبائل
القمر ، فلا يسعهم ان ذكروا موقفهم عند الله سبحانه وسؤاله اياهم ،
الا ترك اعتقاد التثايت واتباع النبی الأمين ﷺ وعلى سائر النبيين ،
غير أن حب الرئاسة وشغفهم بالدنيا التي هي كالكناسة استوليا على
قلوبهم ، وصار ذاك رانا على أفئدتهم حتى حجبهم عن الايمان بالقرآن
العظيم وسيد الأكوان •

فصل

وأما قواه : « وقال أشعيا النبي المحمود من الله تعالى فى
الأصحاح الثامن والأربعين » الى آخره • فهو كمنظائره السابقة التي
هى أو هن من بيت العنكبوت استدلالا وتغييرا • ولنذكره حسبما هو فى
النسخة المطبوعة فى لندن قال ما نصه : « لتقدموا الى واسمعوا هذا :
انى أنا منذ البدء لست أتكلم فى الخفية ، منذ زمان ، قبل أن يكن • أنا
فيه • والآن الرب الاله أرسلنى وروحه » •

فانظر الى اختلاف النسخ ، وان كان فى بعضها لا يختلف المعنى

بـاختلاف الألفاظ ، غير أن الاختلاف الجزئى يدل على وقوع الأختلاف الكلى ، الذى تختلف به المعانى المقصودة • وسنبين أن شاء الله تعالى تفصيل التحريف والتبديل الواقعين فى كتبهم •

وأما استدلاله بما فى هذا الأصحاح على التثليث فهو تعلق بحبال القمر كخطائره المتقدم ردها ، ويقتضى أن يكون الاله على زعمه أقنومين أيضا • ففى الأصحاح ما نصه : « فحكمى مع الرب وعلمى مع الهى ، والآن يقول الرب مصورى من البطن عبد اله لأرجع يعقوب اليه ، واسرائيل لا يجتمع ، وتمجدت يعينى الرب ، والهى صار قوتى » وفى هذا الأصحاح أيضا : « هكذا يقول الرب الاله هأنذا أرفع الى الأمم يدى » • اذ ذكر الرب والاله فصار البارئ تعالى أقنومين ، وفى تعلقه الأول على زعمه : كان ثلاثة لأنه قال الرب والاله وروحه فعجبا • كيف يكون مرة أقنومين ومرة ثلاثة أقانيم ، ومرة أقنوما واحدا ؟ حيث كثيرا ما يطلق فى كتبهم لفظ الاله فقط أو الرب فقط كما فى الأصحاح الخمسين : « هكذا يقول الرب : ما هذا كتاب الطلاق ؟ » فهل هذه الأدلة التى يذكرها الا أدلة عليه لأله ، عند كل ذى لب وانصاف ؟

وأما استدلاله باطلاق الكلمة والروح على عيسى عليه السلام فاستمع الجواب الشافى الكافى من أهل التوحيد والاسلام . والحمد لله الواحد الأحد العلام •

قال اللغويون والمفسرون : تطلق الكلمة على القول المفرد كزيد مثلا ، وعلى الجمل المفيدة المركبة كلا اله الا الله محمد رسول الله • فانها تسمى كلمة التوحيد وقوله تعالى : « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأنتمن » هى الأشياء التى امتحن الله سبحانه ابراهيم بها من ذبح ولده والختان وغيرهما • وقوله تعالى : « وكلمته ألقاها الى مريم » وقوله تعالى : « يا مريم ان الله يختبك بكلمة منه » سمي عيسى كلمة لكونه موجدا بكن فى قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » وذلك لكونه على

خلاف أفراد بنى آدم ، فكان تأثير الكلمة في حقه أظهر وأكمل ، فهو كقولك إن غالب عليه الجود مثلا : محض الجود • وقيل : لا هتدأ به الناس به كاهتدأ بهم بكلمات الله • وقيل : سمى بها لما خصه الله تعالى له في مهده في صغره ، حيث قال وهو في مهده : « انى عبد الله أتانى الكتاب » وقيل : أطلق عليه ذلك لأن الله تعالى بشر به في الكتاب السالفة ، ففي التوراة في الأصحاح العشرين من السفر الخامس : « أقبل الله تعالى من سيناء ، وتجلى من ساعير » وظهر من جبل فاران « وسينا جبل التجلى لموسى ، وساعير جبل بيت المقدس وكان يتعبد فيه عيسى ، وفاران جبل مكة وكان المتحنث فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كقول من يخبر بالأمر اذا خرج موافقا لما أخبر به : قد جاء كلامى •

والروح : اسم للأنفس وقوله تعالى : « اذ مال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من ررحى فقعوا له ساجدين » فاضافته تعالى الى نفسه اضافة مك ، وتخصيصه تشريف له وتعظيم ، كقوله سبحانه : « وطهر بينى للطائفين » وسمى اشراف الملائكة ارواحا نحو قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وقوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم » وسمى جبرئيل عليه السلام روحا في قوله تعالى : « نزل به روح الأمين » و « أيدناه بروح القدس (١) » وسمى عيسى عليه السلام روحا في قوله تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أنزلناها الى مريم وروح منه » وذلك لما كان من احيائه الأموات باذن الله تعالى • وسمى القرآن روحا في قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » •

تنمية وايضاح

قال العلامة ابن القيم الجوزية في كتاب الروح « ان الروح ورد في

(١) المقصود بروح القدس — على رأى — هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح • لأن الانبياء كلهم مؤيدون بجبريل عليه السلام •

انقرآن عنى عدة أوجه أحدها : الوحي كقوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » ثانيها : القوة والثبات والنصرة التى وُيِّد بها من يشاء من عباده المؤمنين • كقوله تعالى : « ولعلك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » ثالثها : جبريل عليه السلام كقوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله تعالى : « قل نزله روح لقدس » رابعها : الروح التى سئل عنها اليهود فأجابوا بأنها أمر من أمر الله تعالى على القول المشهور : كما سيجىء ان شاء الله تعالى ترجيحه عند تفسير هذه الآية حينما يعرض عليها هذا النصرانى • رابعها : زمرة من الملائكة كقوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » خامسها : المسيح عليه السلام قال تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » •

فان قيل : اذا كان النفخ حصل فى مريم من جهة الملك كما ورد فى القرآن الكريم عندما تمثل لها بشر فكيف أضاف الروح اليه سبحانه فى قوله تعالى : « والذى أحصنت فرجها فننفخنا فيه من روحنا » ؟ وما خاصية المسيح اذا كان النفخ من الملك الذى ينفخ الأرواح فى سائر البشر ؟

وقوله تعالى فى آدم عليه السلام : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » ثم أضيفت الروح اليه سبحانه ، فهل تغلق الروح بآدم بواسطة نفخ هذا الروح الذى نفخها فيه بأذن الله تعالى كما نفخه فى مريم ، أم الرب تعالى هو الذى نفخها فى نفسه سبحانه •

فالجواب : أن الروح الذى نفخ فى مريم هو الروح المضاف الى الله تعالى ، وهو روح خاص من بين سائر الأرواح • وليس بالملك الموكل بالنفخ فى بطون الحوامل : فان نفخته لما دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأُنثى من غير أن يكون هناك وطء • وأما ما اختلف فيه آدم فهو أنه لم يخلقه كخلقة المسيح من أم ولا كخلقة سائر النوع من أب وأم ، لا كان الذى نفخ الله تعالى فيه منه هو الملك الذى ينفخ

الروح في سائر أولاده • فالنفخ الذي حصل في فرج مريم مفعول من مفعولاته ، فإضافة الروح إليه سبحانه في آية آدم وآية مريم ، من الإضافة الخاصة لا من العامة ولأ من باب الإضافية الصفات ، لأن المضاف إلى الله تعالى نوعان • صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة ونحوهما ، وإضافة أعيان منفصلة كالمليّات والعبد ونحوهما ، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز المضاف به عن غيره كبيت الله • وإن كانت المبيوت كلها ماكلاً له ، فالإضافة العامة تقتضي الخلق والإيجاد ، والخاصة تقتضي الاختيار ، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه » •

إذا علمت جميع ما تقدم فاستدلّ النصراني على ألوهية عيسى عليه السلام من القرآن الكريم أو من الكتاب السماوية باطلاً الكلمة أو الروح استدلال باطل ، لأن الكلمة في القرآن أطلقت على أشياء كثيرة كما مرّ آنفاً فمنها ما في قوله تعالى : (وكلمة الله هي الرّسالة) ، وكلمة الذين كفروا السفلى » وقوله تعالى : « لا تبدل لكلمات الله » وكذا الأرواح التي في آدم قال تعالى فيه : « ونفخت فيه من روحي » كما تقدم فما هذه الأدلة منه لاعتناء الله تعالى عنه إلا سراب وافتراء على رب الأرباب • ولعل لنا عودة إن شاء الله تعالى إلى هذه الأبحاث زيادة في الجواب فيما يناسب الموضوع من هذا الكتاب ، والله سبحانه الذي صوب النصاب •

ثم أعلم : أن « المسيح » قيل اسمه أقوله تعالى : « اسمه المسيح عيسى ابن مريم » والمشهور : أنه لقبه • وهو من الألقاب المشرفة كالقاروق وأصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك • وعن عمرو بن العلاء الملك • وعيسى معرب يسوع • ومعناه السيد • وعن كثير من السلف : أن المسيح مشتق من المسح • واختلفوا في وجه إطلاقه على عيسى عليه السلام فقيل : مسح بالبركة واليمن • وقيل لأنه كان يمسح عين الأكمه فيبصر بإذن الله تعالى ، وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عانة يديه إلا برىء • وقيل : لأنه كان يمسح بدهن زيت بورك فيه ، وكان

الأنبياء تتمسح به • وقيل • لأن جبرئيل مسحه يحنأه وقت الولادة ليكون عوده من الشيطان الرجيم • وقيل لأنه حين مسح الله تعالى ظهر آدم عليه السلام فاستخرج منه ذرات ذرات ذريته لم يردّها الى مقامه ، كما فعل بباقي الذرات بل حفظه عنده حتى ألقاه الى مزبلة ، فكان قد بقي عليه اسم المسيح أى الممسوح • وقيل غير ذلك •

وهذه الأقوال تشعر بأن التاليف عربى لا عبرى • وكثير من المحققين على الثانى • وأما المسيح الدجال فعربى أجماعا ، وسمى به لأنه • مسحت احدى عينيه ، أو لأنه يمسح الأرض أى يقطعها فى المدة القليلة (١) •



قال النصرانى : « ولنرجع الآن الى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشهادات من كتب الله المنزلة ، ومن ديوان أسرارہ المقدسة على صحة قولنا وحققنا الذى بأيدينا وصدق منهاجنا ، ونستعين بالله على ذلك ثم وصف أشعياء النبى أن الله عز وجل ترى له رب الملائكة حافون به مقدسون له قائلين قدوس قدوس قدوس رب الجنود ، مجده ملأ كل الأرض (أشعياء ص ١٤٦ - ٣) : « قدوس الملائكة ثلاث مرات واقتصرهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر التقديسهم الأتانيم الثلاثة الها واحدا وربا واحدا • وهذا شأنهم منذ خلقت الى أبد الآبدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى • وأوشكت أن أمطر عليك الشهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالصريح والاجتهاد فى القول فى أن الله جل وتعالى واحد ذو ثلاثة أشخاص أفعلت ذلك • لكنى أكره الإطويل ، فاقصرت على ما كتبت •

ولما ذكرته فى كتابك من أنك درست كتب الله المنزلة حق دراستها •

راجع فى هذا الموضوع موضوع لم ينهى المسيح مسيحا ؟ كتابنا المسية المنتظر نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة •

ثان كنت قد درستها كما ذكرت ، فقد استدللت ، بسير ما كتبت به اليك على كثرة ما في كتاب الله المنزلة من أسرار ألقائمه وتوحيده ، فأنا أبناك الله أدعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي قد أوضحت لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضى به عقالك إلى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحت لك ، كيف هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد وليس كدعائك اياي إلى أمر مدغم مبهم • مجهول غير معقول ، فلاستعمل أنسب الله عقلك وقيلبك ما ضمنته عن نفسك ، فان الوفاء من الله بمكان وينبغي لك أصلحك الله ان تبرز الكلام وتعلم كيف مخرجه ولا تعسف معانيه ، وليس دعائي اياك الا إلى الله الواحد الذي هو ثلاثة ألقائمه كامل بكلمته وروحه ، واحد ثلاثة وثلاثة واحد • ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة كما شنع في القول علينا صاحبك اذ قال : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثلث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » (مائدة ٧٧ و٧٨) •

فهذا قول صاحبك • ولقد كنت أحب أكرمك الله أن أعلم من هؤلاء الذين يقولون : ان الله ثالث ثلاثة آمن فرق النصرانية هم أم لا ؟ وأنت فقد ادعت معرفة الفرق الثلاث • وهي لعمري الفرق الظاهرة • هل تعلم أن أحدا منهم يقول ان الله ثالث ثلاثة ؟ فما أظنك تعرفه ولا نحن نعرفه أيضا • انهم الا أن يكون أراد مسما يسمون المركبة فانهم يقولون بثلاثة أكوان يسمونها آلهة متفرقة ، فواحد عدل وآخر رحيم وآخر شرير ، وليس أولئك نصارى ولا يسمون بهذا الاسم • فلما أهل النصرانية فكل من ينتحل هذا الاسم فهو برىء من هذه المبالاة جاحد بها كافر بها • وانما قولهم ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق • وقد أقر صاحبك بهذا اذ حثكم على الايمان بالمسيح سيد العالم ومخلص البشر ، وأمركم بذلك ودعائم اليه بقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكأمنه ألقاها إلى مريم وروح منه ،

فآمنوا بالله ورسله • ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد » (نساء ١٦٩) •

فأفهم كيف أوجب أن الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت انفسانا فهل يكون من البيان والشرح أو من الايضاح والصریح أكثر من هذا ؟ ثم ختم بقوله : « ولا تقولوا ثلاثة » آلهة أو يتوهم ذلك عن الله جل وعز بل « انتهوا » عنه ، فإنه لعمري خير لكم ألا تقولوا بمقالة « مركيون » انتخب الجاهل انها ثلاثة آلهة ، فقد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ، ومعنى قولنا : ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم ، وقو أوضحته التوضيح ، يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية ونفع ، اذا لطف النظر ، ودقق الذكر ، ونصح لنفسه ان شاء الله تعالى •



فأقول : لما كان هذا النصراني يكرر كلامه وشبهه الفاسدة ، لا فائدة في ألوهية عيسى عليه السلام ويناقض عبارته في ذلك حيث يقول الاله واحد ، ثم يقول : ثلاثة وكابر ويدعى انه هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد ، ورددناه فيما تقدم بحمد الله سبحانه ببراهين ترتضيها أصحاب العقول ، وتحرير مؤيد من الكتب السماوية مقبول ، ائزم علينا أيضا أن نكرر ابطال التثليث بعبارات مختلفة الألفاظ منحصدة المعاني والأغراض بعد الكلام على بعض كلامه ، وتزييف سوء اشاراته : فأما قواه : « ثم وصف أشعياء النبي » الى آخره فيقال له : ان هذه رؤيا أشعياء وأنت قد موت بظاهر كلامك أن الله عز وجل ترأى له نظرة • وهى فى الأصحاب السادس من نبوة أشعياء بعد قص الرؤية ونصها : « وكان فى السنة التى مات فيها أو رؤيا الملك رأيت الرب جالسا على كرسي عال مرتفع ، وما كان من تحته يمنع الهيكل • والساووفيم قياما حوله ، ستة أجنحة الواحد ، وستة أجنحة الواحد ، بجناحين يستران وجهه ، وبجناحين يستران رجلاه ، وبجناحين كانا يطيران (م ١٥ - الجواب الفسيح)

ويصرخان الواحد الى الآخر ويقولان : قدوس قدوس قدوس الرب
اله الجنود كل الأرض مملوءة من مجده .»

على أن ذلك لو كان يقظة فأى دليل نك عليه على التثليث ؟ وهل
يستدل به عاقل على ذلك ؟ وأى مذاسبة بين تكرير لفظ التسبيح وبين
تعدد الأتانيم ؟ على أن اخر الكلام دافع لهذا الترام ، أذ يقول :
« الرب الله الجنود » أى لا غيره • وعيسى غيره بالبداهة وبالأدلة
السابقة والآنية اللاحقة ، على أنه لو كان المراد ذلك لقال أشعياء
ابنى اسرائيل : ان هذا الأكرار اشارة وشهادة لعيسى الاله ابن داوود
الذى يولد بعد سنين عديدة من مريم ويأكل ويشرب وإلحقه ما يلحق
الانسان من العوارض ويصرب ويصلب ، فإنه الله ! واللهم واله آبائنا
وآبائكم ، وهو الذى خلق اليهود ثم يصطبونه ، فان أشعياء لا يمكن
أن يجهل ذلك ولا يمكنه بعد العلم الكتمان ولحدبهم أشعياء من قتل
ربهم ورب آبائهم الأولين •

وأما قوله : « ولو شئت أن أسطر عليك الشهادات » الى آخره
فقال له أنت لم تأت بشاهد واحد واضح بالحق ، فكيف تمطر شهودا
تشهدون ذلك على ما يناقض بعضه بعضا وتبأء العقول وينكسر
العبان والحس ؟ فكيف تأتى بشاهد يشهد أن الثلاثة واحد والواحد
ثلاثة حتى يصير ضحكة للعقلاء ؟ مع أن الكتب السماوية والإنجيل
ترد كلامك كما بيناه فى أماكن عديدة •

وأما قوله : « وليس كدعائك اياى أمر مدغم مبهم مجهول غير
معقول » الى آخره • فقوله يوجب الأسف على القائل والضحك من
جهة علم ترهات هذا القائل ، اذ كيف يكون القبول بأن الواحد ثلاثة
والثلاثة واحد أمرا معقولا بزعمه ، ويكون القول بأن الله سبحانه
واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا أول
ولا آخر ولا معين ولا وزير ولا ناصر ولا شبيه له ولا مكان له ،
ولا يحل به حادث ولا يمضى عليه زمان انهى القادر العليم المريد

المتكلم الخالق البارئ المصور عالم الغيب والمشاهدة انذى
ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، أمرا مدغما مجهولا غير
معتقوله ؟ فهل هذا انذى ادعاه « عبد المسيح » الا امر لا يخفى بطلانه
وتناقضه على ربات الحجول •

على أن النصارى صرحوا في كتبهم أن التثليث أمر وراء طور العقول ،
وأنهم آمنوا به وان لم تتصوره عقولهم ، تسليما للمعتقل • فقد قال
نقصرانى في ميزان الحق بعد أن قال : ان المسيح اله وابن الله حقيقة ،
بأن الله لا محالة ما نمسه : « ولعل معترضا يقول : هل الاعتقاد
بالوهمية المسيح لا يناقض الاعتقاد بوحدانية الله ؟ فنجيبه : اننا من
الانجيل نستدل على أن الوهمية المسيح لا تناقض وحدانية الله الذى
هو واحد لا شريك له ولا مثل له ، وأن الاعتقاد بناد بها لا يخل
بالاعتقاد بتلك ، ولا ريب بأن الإنسان يعجز عن ادراك هذه الحقيقة
العويصة الغامضة لأنها من الأسرار الالهية التى علمها مختص بالله
وحده جالت قدرته ، والعقل البشرى لا تمكث الاحاطة بالأمر
الالهية » •

ثم العجب منه أن يمتزج بأن الله ثلاثة ثم يناقض قوله وينك ذلك ،
مع أن كتب النصارى طافحة بتعدد الأشخاص • فقد نقل صاحبنا
العلامة الشيخ رحمت الله الهندى سامه الله تعالى في كتابه اظهار الحق
عن صاحب ميزان الحق أنه قال في الصفحة الخامسة بعد المئة : « ونحن
لا نقول : ان الله ثلاثة أشخاص أو شخص واحد ، بل نقول بثلاثة
أشخاص في الوحدة وبين الأقانيم الثلاثة وثلاثة أشخاص ، بعد الأسماء
والأرض » فقال : « وهذه معالطة صرفة لأن الوجود لا يمكن أن يوجد
بدون التشخيص ، فإذا فرض أن الأقانيم موجودون وممتازون
بالامتياز الحقيقى ، كما صرح هو بنفسه في كتبه ، فالقول بوجود
الأقانيم الثلاثة هو بعينه القول بوجود الأشخاص الثلاثة ، على أنه
وقع في الصفحة التاسعة والعشرين من كتاب الصلاة الذى هو رائع
في كنبسة انكرا ، وطبع هذا الكتاب في لسان الأوردواى الهندى في

سنة ١٨١٨ ع ما ترجمته : « أيها الثلاثة المقدسون والباركون والعالون منزلة الذين هم واحد » يعنى ثلاثة أشخاص وانها واحدا « ارحمنا المنتشرين المذنبين » فوقع فيه ثلاثة أشخاص صريحا •

بكذلك مملوءة بعبارات مصرحة بأن عيسى ابن الله ، وأنه الله ، وأن مريم أم الله ، وزوجة الله ، ويسجدون لها والصور بها التسجود المحرم في كتبهم لغير الله ، كما يسجدون لله • وهذه سورته صلواتهم اياها من كتبهم نزيديك تينا نعيما قلناه عنهم ففي كتاب الثلاث عشر رسالة المطبعة في بيروت سنة ١٨٤٩ مسيحية في الكتب الرومانية هذه الصلاة لريم العذراء ونصها : « يا خطيبة مختارة من الله يا أيتها المستحقّة

الاکرام فوق الجميع والمستحقّة المحبة قبل الجميع ، يا باب السمماء يا من هي الخلاص والسعادة الحقيقية يا تعزية المحزونين ، يا ملكة السمماء التي جميع الملائكة يسجدون لها ، وكل شيء يسبحها ويكرمها ، دسى لأجلنا خلصينا يا أيتها الملائكة من كل شر من كل تجربة من غضب الله وسخطه ، من قطع الرجا • خلصينا من الأكبر والبخل والغضب والحسد ، خلصينا في ساعة الموت وفي يوم الدين من عذابات جهنم

النديدة ، نتضرع اليك ان تسرى وترضى بأن تحفظي الكنيسة المقدسة وجميع الشعب المسيحي ، فاستمعينا يا أم الله يا ابنة الله يا خطيبة الله ، يا سيدتنا ارحمنا واعطينا السلام الدائم يا أم النعمة ! سرور البائسين الأشقياء بأنوار الكنيسة لك نسجد لك نرش تسابيح من صميم قلوبنا انت خلاصنا وفرجتنا في وقت الضيق »

وامثال هذا كثير في كتابهم المسمى • بمزامير العذراء • فانظر الى صقاتهم فمرة يجعلون مريم خطيبة الله أى زوجته ومرة يجعلونها امه • ومرة ابنته ومرة يجعلونها الها لأنهم يسجدون لها • والتسجود في العهد القديم والجديد لا يجوز الا لله وكذا يجعلون كل شيء يسبحها • وما ذا الا تناقض وهذان كتناقضهم في المسيح أنه ابن الله وأنه الله

وأده ابن داوود وأنه ابن الانسان فتسألته سبحانه وتعالى الحفظ ونعوذ
به من الخذلان وتسويلات الشيطان آمين •

وأما قولهم : « اللهم الا أن يكون أراد صغفا يسمون المرقونية
فإنهم يقولون بثلاثة أكوان يسمونها آتة متفرقة » الى آخره •

فاعلم أولا : أن المرقونية كما قال الشهر ستاني « أثبتوا أصليين
قديمين متضادين أحدهما النور والثاني الظلمة ، وأثبتوا أصلا ثالثا
هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج ، فان المتنازعين المتضادين
لا يمتزجان الا بجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلمة ، وحصل من
الاجتماع وامتزاج هذا العالم • ومنهم من يقول : الامتزاج انهما حصل بين
الظلمة والمعدل • اذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيب ويلتذ بملاذه
فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله وابنه »

وهذه الفرقة قريبة من المانوية أصحاب ماني الحكيم الذي أخذ ديننا
ين الجوسية والنصرانية ومذهبه أن لعالم مصنوع مركب من أصليين
قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان حاسمان سميعان
بصيران •

ثم أن المرقونية زادت الأصل الثالث وجعلته روح الله • غلظمة
كلامهم مساوية لظلمة كلام النصراني • وهذي اللبائبي كلها أخوات •
فأقر فرق في ابطالان بين من يجعل الله سبحانه حالا في مريم ومنولدا
منها وقد صلب بيد اليهود ومات ، ثم قام من قبره حيا وصعد الى
السماء ثم نزل الى الحواريين ثم صعد ثم ينزل في اخر الزمان وفي
كل يوم يقتل مرات على لسان التفسيريين في أماكن عديدة ويأكل لحمه
ويشرب دمه ألوف من النصراني في كل لقمة خبز وشربة خمر ، وبين قول
المرقونية ؟ بن المرقونية من جهة لا يخطئون هذا الخط ولا يذكرون في
كل يوم اللهم وخالاتهم ولا يشربون دمه كالنصارى المثئين •

فاتنظر أيها المنصف في التثليثين فما أظنك تفوق بين هذين المتشابهين.

وأما قوله : « ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق » وقد أقر صاحبك بهذا في قوله : « رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » الى آخره فيقال له : ان نبينا عاياه أفضل الصلاة والسلام كماله وعنايه وسداد رأيه مساهم عند المؤمن به والكافر به : وقد أتى بهذا القرآن الكريم مدعيا على الناس أنه نزل عاياه من الرب العظيم ، وقد ذكر فيه أن انصارى كفروا لأن منهم من جعل عيسى الاله ومنهم من جعله ابن الله سبحانه ، ومنهم من جعل أمه أيضا اله ، ومنهم من جعل الآلهة ثلاثة ، ومنهم من جعل الواحد ثلاثة آلهة ، والثلاثة واحدا . وقالوا : الآب والابن وروح القدس اله واحد . وقالوا : اتحد اللاهوت بالناسوت ، كما فصلنا ذلك مرارا عنهم . وذكر الله تعالى على لسان نبيه عاياه الصلاة والسلام أيضا في القرآن العظيم : ان عيسى ليس بانه ولا تولد من اله ، بل هو عبد الله ورسوله ، دا على النصارى . ولا هو ابن زنا وكذاب كما ادعت فيه لليهود والاعاذ بالله تعالى من القولين ، فكيف يتناقض أقواله ويدعى أنه نزل عليه ، قرآن منبئين فهل هذا الا عدم تدبر أو وقاحة وتدليس من هذا الذميراني . فالتنبى عاياه الصلاة والسلام بين اختلاف أقوال أهل الكتاب في عيسى عليه السلام وردهم بقوله سبحانه : « يا أهل الكتاب » خطاب لليهود والنصارى « لا تغلوا في دينكم » لأن النصارى غلوا بقولهم ثلاث ثلاثة ونحوه ، واليهود قالوا : ولد لغير رشده « ولا تقولوا على الله الا الحق » أى لا تذكروا ولا تعتقدوا الا القول الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والصلول واتخاذ الصاحبة والوند « انما المسيح » . مى مسيحا اما لمسحه الأرض أو لمسحه ذابعاها فيبصر أو لمثل ما ورد في المزمور الثامن والثمانين : « ايجت داود عبدي فمبسته من قديس » وقوله تعالى : « عيسى ابن مريم » رد على من يقول انه ابن الله أى الذى يكون والدته مريم ، كيف يكون والد الله سبحانه بل هو « رسول الله » أى كسائر الرسل عبد الله مبعوث الى عبيد الله

جاءه « وكلمته » أى حصل بكلمته « كن » من غير مدة معنادة كما
منطلقا سابقا « ألقاها الى مريم » أى أوصلها اليها جبريل عليه
السلام « وروح منه » وسمى روحا لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه
السلام فى درع مريم كما تقدم الكلام عليه مفصلا « فآمنوا بالله »
وخصوه بالالوهية وآمنوا أيضا برسالة أجمعين ولا تخرجوا أحدا منهم
الى ما يستحيل وصفه من الألوهية ولا تكذبوهم ولا تغلوا فيهم ،
متحذوا بعضهم آلهة « ولا تقولوا » آلهتنا « ثلاثة » كما قالت
السامرية ، وافقت على التثليث واختبعت اختباضا عظيما فى كيفية
التثليث كما بينا لك غير مرة : فأمرهم الله تعالى بقوله « انتهيا » أى
عن القول بالتثليث « حيرا لكم » انما الله اله واحد « لا شريك له
ولا صاحبة ولا ولد ولا يتجزئ ولا يحل فى غيره ، وليس له مماثل
ولا شبيه » سبحانه « أى أسبحه تسبيحا عن أن يكون له ولد لأن الولد
جزء من الأب وهو متعال عن التجزئة وصفات الحدوث » له ما فى
السموات وما فى الأرض « فما جعلتموه جزء منه وشريكا له • فهو من
جملة مما يليكه ، كيف يكون ابنه أو شريكه أو مثله ؟ « وكفى بالله وكيفا »
أى مستقلا بهتدبير خلقه ، يدل الخلق أمورهم اليه فلا حاجة الى واد
يحييه لأن الولد يعين أباه فى حياته ويقوم مقامه بعد وفاته • والله تعالى
منزه عن كل هذا •

وإذا علمت ذلك فما استدلل به « عبد المسيح » على ألوهية عيسى
بهذه الآية ، وأنه أطلق عليه الكلمة وروح ، فاستدل فاسد وتحريف لكتاب
الله سبحانه كاسد ، كما بيناه غير مرة •

فأما إطلاق الكلمة على غير عيسى • فوارد فى غير موضع من الكتب
السماوية • ففى المزمور الثانى والثلاثين : « لأن كلمة الرب مستقيمة
وكل أعماله بالأمانة » وفيه أيضا : « بكلمة الرب تشددت السموات
وبروح فيه كل قواتها »

وأما نسبة الروح الى غيره • فكثير جدا من ذلك ما فى الأصحاح

الثالث من سفر القضاة من التوراة ما نصه : « وكانت روح الرب عليه » وفي انجيل لوقا : « قال يسوع لتلاميذه أن أباكم السماوى يعطى روح القدس للذين يسألونه » • وفي انجيل متى أن يوحنا المعمدان « امتلأ من روح القدس وهو فى بطن أمه » وفي التوراة : « روح الله تعالى حلت على دانيال » وفي الأصحاح التاسع من سفر نحemia : « وروحك الصالح أعيظتهم ليعامهم » الى غير ذلك مما قدمناه لك فى محله •

وخلاصة القول : أنه ليس النصرانى دليل على ألوهية عيسى بكونه بلا أب ، لوجود غيره بلا أب وبلا أم ، كدم • ووجود حيوانات متكونة بلا والد • ولا دليل أهم أيضا بورود بعض الألفاظ الموهمة فى حقه كالابن فقد ورد استعمال الابن فى غيره من بنى اسرائيل ، والطلاق لفظ الأب على الله سبحانه لا يجوز لهم ، كما نقلناه لك عن التوراة وغيرها •

ففى الأصحاح الرابع من سفر الخروج : « هذا ما يقول الرب : الهى يبارى اسرائيل » وفي اصحاح السابع من انجيل متى « أبوكم الذى فى السموات يعطى اخيرات » كما نقلنا لك ذلك وغيره فتذكر •

ولم يبق بإدعائهم الا المعجزات التى صدرت عنه ، والمعجزات التى صدرت من موسى عليه السلام أعظم بكثير من معجزات عيسى عليه السلام اذ قلب العصا أعظم من احياء الموتى كما لا يخفى وفاق البحر وبقيّة معجزاته أعظم من ابراء الأكمه والأبرص ، فلم يبق عندهم ان أنصفوا ما يشعرون بألوهيته أو اتحاد الاله به أو حلوله فيه — تعالى الله عما يقول المشركون — وثبت كما ورد فى القرآن الكريم أنه عبد الله ورسوله كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمه صديقه •

وأما قوله : « فقد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ، ومضى قولنا : ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم ، وقد

أوضحته ايضاحا يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية »
الى اخره .

فلا يخفى عليك أنه قد تبين لك ، ولذل منصف زيف شرحه ،
وانهد - وله الحمد - خاوى صرحه ، ونشرح لك نحن في فصول
مذهبه ، ونرد مطلبه لتعرف رصاصه أو ذهبه ، وان كنا ذكرنا فيما
سبق رد أقاويله ، وزايف أباطيله ، غير أنه يكرر فتكرار عليه بالرد
في عبارات منقطة المعانى ، مختلفة البنى ، في هذا الكتاب لئلا يخلو
مكرر كلامه عن رد الجواب . فنقول :



الفصل الاول

فى

بيان بعض فرقهم المشهورة والموجودة .

وبيان بعض اعتقاداتهم المعروفة عنهم الآن .

فمنها النسطورية ، ويوجد أكثرهم الآن في جبال العمارية بين
ديار بكر والموصل . ويقال لهم : النيارية . ومنهم اليعقونية واليهيم
تنتهى السريان القديمة والأرمن القديمة والروم القديمة ، وهؤلاء
مقاربون في العقائد ، ويصلى بعضهم خلف بعض . ويعتقدتهم : أن
المسيح اله تام وانسان تام في طبيعة واحدة متأنسة ومتجسدة .
وكلهم يعترفون للنفس بذنوبهم ويعتقدون استحالة العشاء الربانى
الى لحم المسيح . ومتهم الكاثوليك يعتقدون أن المسيح اله تام
وانسان تام ، من طبيعتين الهية وانسانية ، وكذلك يقولون بالعشاء
الربانى ، ويعتقدون أن البابا الذى فى رومية وكيل المسيح عليه
السلام ، ولا يخطئ أبدا . وكذلك الأرمن الكاثوليك الحديث ،

والروم الحديث الكاثوليك والسريان الحديث ، واللأتين كلمهم
يزعمون عصمة البابا في جميع أقواله وما يشرعه لهم ويقولون بالعشاء
الرباني •

ومنهم البروتستانت ويقال لهم برونسنتان أيضا ، وهم أغلب
فصارى الهند الآن ومنهم تبعة الانكليز وغيرهم ، ولا يجوزون استحالة
العشاء الرباني الى لحم المسيح ولا الخمر الى دمه ، ولا يسجدون
للصور كغيرهم ، الساجدون بصورة المسيح وأمه ، ولا يقولون بعصمة
البابا ، وبينهم وبين جماعة القبا ومن يتبعه عداوات ومجادلات وردود
كثيرة • وكل منهم أظهر كفر الآخر ، وتفرقوا أيضا فرقا عديدة
وظهورهم كان من مدة تزيد على أربعمئة سنة ولا يحكمون الا بانجيلهم
ويقولون : ان جميع النصارى الآن يخالفون أحكام الانجيل ، مع أن
اللازم العمل بمقتضى العهد الجديد ، يعنى الانجيل ورسائل الحواريين
ونحوها ، لا بالرأى ولا بأقوال البابا والقسيسين • وللطرفين كتب
مؤلفة عديدة في رد بعضهم على بعض ، وتكفير كل فرقة للآخرى ،
فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله : « فأغريتنا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة » وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » ولهم عقائد
وأقوال آخر ذكرناها في محلها ان شاء الله تعالى •

ثم اعلم : أن علماء المسلمين رحمهم الله تعالى ذكروا في كتبهم
أن النصارى قالوا الاله جوهر ثلاثة أقنانيم آب وابن وروح القدس ،
كل واحد منها اله تام والكل اله واحد ، خلا آريوس في الابن فانه
ينكر ألوهيته ، ومقدونيوس في روح القدس ، فانه ينكر الهيئته ،
ويطلقون على مجموع الجوهر والأقنانيم اسمى التثليث والتوحيد •
ثم قالوا بأن الذى هو أحد الأقنانيم وثانيها نزل الى الأرض وتجسد
من مريم ومن روح القدس وولد صغيرا كغيره من الأولاد ، ونشأ
وتكبر الى أن بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا ، ثم ان اليهود
صلبوه ومات وقبروه ثم قام من القبر في اليوم الثالث وأكل السمك

وشرب الماء وظهر الحواريين ، ثم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الآب . وهو في هذه الأحوال كلها اله تام وانسان تام ولا يزال كذلك الى أبد الآباد . والايجاد انما كان من وقت بشارة الملائكة لمريم فقالوا : انما نزل الى الأرض وتجسد ليخلص الانسان من الخطيئة ، أى خطيئة آدم عليه السلام . وقد خلص ، وسينزل مرة أخرى ويقيم الحق ويحاسب الخلق ، ويبيع بعثا الى النعيم ، وبعثا الى الجحيم . وأجمعوا على أن شريعة الانجيل ناسخة لشريعة التوراة ، رافعة لسنة السبت ، ثم انها لا تفسخ .

واختلفوا في كيفية الاتحاد ، وفي الذى وقع فيه الاتحاد

فقالت الملكية : اتحد الابن الأزلئ بانسان كلى مجرد عن الأقانيم فصار بذلك مسيحا واحدا ، الها تاما ، وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيعتين وأقنوم واحد .

وقالت اليعقوبية : اتحد الابن الأزلئ بانسان جزئى ذى أقنوم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ، ذا طبيعة من طبيعتين ، وأقنوم من أقنومين ، ومشيع من مشيعتين .

وقالت النسطورية : اتحد الابن الأزلئ المولود من الآب قبل الدهور والأعصار بالابن الزمنى المولود من مريم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين وأقنومين ومشيع واحد . فالالاتحاد وقع عند الملاكى فى اقنوم فقط ، وعند النسطورى فى المشيئة فقط ، وعند اليعقوبى فى الاقنوم والطبيعة والمشيئة . وهؤلاء أصول النصرانية وعمادها ومن سواهم من المرقونية والمارونية والآريوسية والمقدونية والارمن والروس وغيرهم يطلقون على هؤلاء . وقد سمعت آراءهم .

الفصل الثانى

فى

قولهم : الاله جوهر

فقال بعض الأفاضل ان أرادوا بالجواهر التتجزئ فهو محال ، لأن المتجزئ اما أن لا يقبل القسمة وهو الجزء الذى لا يتجزئ لصغره وهو فى غاية من الصغر والاحتقار ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك بانتقال العقلاء • واما أن يقبلها وهو الجسم ، والجسم مركب عند الفلاسفة من الهوى والصورة ، وعند المتكلمين من الأجزاء لا تتجزئ وكل مركب محتاج الى مفرداته ، ومفرداته غيره • فكل مركب محتاج الى غيره ، فالبارى سبحانه لو كان جسما لكان مركبا ممن الهوى والصورة ، أو من الأجزاء التى لا تتجزئ ، والمكان محتاجا الى غيره • لكن المحتاج اليه كل شئ لا يجوز أن يكون محتاجا الى شئ للزوم الدور أو التسلسل الباطل ، فالبارى تعالى لا يجوز أن يكون جوهرًا بمعنى أن لا يتجزئ لصغره وبمعنى أن يكون جسمًا • وان أرادوا بالجواهر الموجود الذى ليس فى موضوع كما تقول الفلاسفة فيأزمهم أن يقولوا ان وجوده نفس ماهيته ، ويلزمهم ما يلزم الفلاسفة حيث قالوا ان الوجود مفهوم واحد بين جميع الموجودات الجزئية ، مع أنه فى الواجب نفس ماهيته وفى الممكن عارض لماهيته ، والجمع بين كونه مفهوما واحدا وبين كونه فى الواجب مجردا وفى الممكن عارضا ممتنع •

وانما قلنا : الجمع بين هذين الأمرين ممتنع ، لأن الوجود من حيث هو هو ، اما أن يكون واجب التجرد ، فوجود الممكن واجب التجرد ، لأن لازم الحقيقة حاصل أينما حصلت واما أن يكون واجب العروض ، فوجود الواجب عارض للعلة التى ذكرناها ، وان لم يكن واجب التجرد ولا واجب العروض فتجرد التجرد وعروض العارض

كل واحد منهما ممكن • وكل ممكن معلول ، فتجرد المتجرد عن علة ،
وعروض العارض عن علة • فالوجود الراجبى معلول علة • وهذا خلف •

واما أن تقول التصارى ان وجوده عارض لماهيته ، وكل وجود
عارض فهو معلول اما لمعرضه ، والعلة الموجبة لاشىء يجب وجودها
بالتفعل قبل وجود المعلول ، فبالزم أن يكون المعارض الذى هو
ماهيته موجودا قبل وجوده • واما لغير معرضه ويلزم الدور أو
التسلسل • فالقول بكون البارى جوهرًا قول محال • ومن المعلوم
أيضا : أن الجوهر يفتقر فى وجوده الى عرض يقوم به وله قدر وكمية •
والقديم جل جلاله بخلاف ذلك ، فكيف يصح اطلاق لفظ الجوهر عليه
سببانه من غير توقيف ؟



الفصل الثالث

فى

الاقانيم

وهى جمع اقنوم • وهى على ما فى كتاب المعربات الأصول :
قيل رومية • وتقال سريانية منها الشخص • ولهم فيها تسعة
اقوال : أحدها : بأنها أشخاص • وثانيها : بأنها خواص • وثالثها
بأنها صفات • ورابعها بأنها صفات ايجابية • وخامسها بأنها صفات
ايجابية جوهرية • ومرادهم بالجوهرية أنها ليست اضافية ولا
معروضة للاضافة • وسادسها بأنها صفات لا بمفردها بل يكون كل
واحد منها مع الذات اقنوما • وسابعها أنها أوصاف لا بمفردها بل
كل واحد منها مع الذات يكون اقنوما • وثامنها أنها هى العقل

والعقل والمعتول • وناسعها أنها جهات ذهنية واعتبارات عقلية •

أما أنها أشخاص فهو ظاهر البطلان ، لوجوب القول بثلاثة آلهة
وامتناع ذلك • وأما أنها خواص فهو أيضا باطل لوجوب أن يكون
أبا لنفسه ابنا لنفسه معلولا لنفسه ، ويلزم اجتماع المتقابلات في
محل واحد بالشخص ، ويلزم تقديم الشيء على نفسه وتأخره
عن نفسه •

• وأما أنها صفات فهو أيضا باطل •

أما أولا فلأنها سواء كانت صفات مطلقة أو ايجابية جوهرية ،
فإن صفات الجبال ونعوت الكمال في كل قسم يزيد على ثلاثة •
والأقنانيهم عندهم لا تريد على ثلاثة • وأما ثانيا فلأن الابن معروض
الإضافة فإن صح تفسير الصفة الجوهرية ، فالابن لا يجوز أن يكون
أقنوما فرجع الأقنانيهم إلى أقنومين ، وإن لم يصح يدخل القادر
والمريد في الأقنانيهم فتريد الأقنانيهم على ثلاثة • والقولان باطلان
عند النصارى •

وأما أنها صفات تكون كل واحدة منها مع الذات أقنوما ، فهو
أيضا باطل لأن الابن اتحد بذاته وجوهه عند الملاكى والابيعقوبى ،
فذااته إن كانت مغايرة لذات الآب ولذات روح القدس ، فيلزم القول
بثلاثة آلهة ، وإن لم تكن مغايرة لزم القول باتحاد الأقنانيهم الثلاثة
والنصارى ينكرون القولين •

وأما أنها أوصاف يكون كل واحد منها مع الذات أقنوما ، فهو
أيضا باطل ، لأن الأوصاف لا وجود لها في ذات الموصوف • لأنها
أقوال الواصفين • ويلزمهم أحد الأمرين • إما انكار الاتحاد ، أو

اتحاد الجوهر الذى هو الثالوث الجامع للأقنانيم الثلاثة •
والنصارى ينكرون القولين •

وأما أنها هى العقل والعقل والمعقول ، فهو أيضا باطل لأنها
إضافات مثلاًزمت ، شأبها اتحد لزم اتحاد الآخرين ، ويلزم رفع الاتحاد ،
أو اتحاد الثلاثة • والنصارى ينكرون القولين • وفائدة العقل والعقل
والمعقول تسألوهما من الفلاسفة ، وحسبهم تطفلهم على طائفة يعتقدون
كفرهم ، مع أنهم ما نفعمهم التطفل على ما بيئنا •

وأما أنها جهات واعتبارات فهو أيضا باطل ، لأنه لا وجود
لها فى الخارج • فالإتحاد لا وجود له فى الخارج • وكل من لا يقول
بوجود الاتحاد فى الخارج فهو ليس بنصرانى عند النصارى •

فالأقوال المتتسمة باطالة ، فلا يجوز اتصاف البارى سبحانه بشيء
من الأقنانيم طويل الأذيل قليل التيل •

وأما قولهم كل واحد من الأقنانيم الله تالم وكلها الله واحد • لأنه
أما لا تزيد كلها على كل واحد منها شيء ، فلا فرق بين العدد وغير
العدد • والمجنون لا يرضى بهذا القول •

وأما أن يزيد كلها على كل واحد منها شيء ، فتلك الزيادة
أما أن لا تتم الالهية إلا بها فكل واحد منها ليس بالله ، لخلوه عن
تلك الزيادة •

وأما أن تتم الالهية بدونها • فالأقنانيم حشو ، لأنها ليست غير تلك
الزيادة •

الفصل الرابع

فى

النزول والاتحاد

أما النزول فنقول : نزل مجردا أو متحدا ؟ والأول باطل ، لأن النزول حركة ، والحركة هى الانتقال من حيز الى حيز ، وما ليس فى حيز يستحيل عليه الانتقال • فما نزل مجردا •

وانتفىى أيضا باطل ، لأن المتحد به وهو جسد المسيح والمتحد منه وهو مريم كلاهما أرضيان ، فلم ينزل متحدا • فالقول بالنزول باطل •

وأما الاتحاد فهو ضرورة : ما هو أكثر من واحد بالعدد ، يكون واحدا بالعدد • فالمتحد والمتحد به ، ان كانا موجودين بعد الاتحاد ، فلا اتحاد لبقاء الكثرة على حالها • وان كانا معدومين فلم يكن ذلك اتحادا ، بل اعداما • ويلزم أن لا يكون المسيح الها ولا انسانا ، فضلا عن أن يكون الها وانسانا • وان كان أحدهما موجودا والآخر معدوما • فالمعدوم لا يكون نفس الوجود وبالعكس • وأيضا : فالوجود ان كان هو الانسان ، فالمسيح انسان فقط •

وان كان هو الاله فهو اله فقط • ويبطل أن يكون الها وانسانا ، فالقول بالاتحاد باطل • واذا انتفى أصل الاتحاد انتفى الاتحاد الذى عند فريق فريق ، لأن فى انتفاء الحقيقة انتفاء أفرادها • لكننا لما أوردنا أقوالهم فى الاتحاد ، احتجنا الى إبطال قول قول •

ثاما قول الملكى فهو ظاهر البطلان لأن الانسان الكلى • أما أن لا يكون موجودا فى الخارج فبالابن اتحد بما لا وجود له فى الخارج فالمسيح انسان فقط وأما أن يكون موجودا فى الخارج والابن متحدا

به ، فهو صادق على كل فرد من أفراد الناس ، والمتحد بالصادق على كل فرد من أفراد الناس صادق على كل فرد من أفراد الناس ، ومتحد به • فجميع أفراد الناس آلهة ومسحاء •

وأما قول اليعقوبى فهو أيضا باطل لأن كل فرد من كل روح من الطبيعتين والأقنومين والمشيئتين أما أن يمتاز عن الفرد الآخر فالخثرة على حالها في الأمور لستة فلا تحاد ، وأما ألا يمتاز ، فالإلهية والإنسانية تراردا على محل واحد من جهة واحدة ويلزم أن لا يكون ذلك المحل الها من جهة كونه إنسانا ولا إنسانا من جهة كونه الها ويلزم من القول بكونه الها وإنسانا الجمع بين التتضمن •

وأما قول النسطورى فهو أيضا باطل ، لأن مشيئة الأقانيم ام واحدة ، ويلزم القول باتحادها جميعها وأما متعددة ويلزم القول بتعدد الآلهة فالقول بالاتحاد باطل مجملا ومفصلا ولا تنس ما حررناه لك سابقا ولاحقا في أنواع التثليث فعرض عليه بالنواجز واطلبه الطلب الحثيث وقل الحمد لله الذى ميز الطيب عن الخبيث وهو يقول الحق ويهدى السبيل •



قل النصرانى « فلنرجع الآن الى الباب الآخر من كتابك ونجيبك

عنه •

فأقول قد فهمت مادعوتنى اليه من الشهادة لصاحبك والاقرار بنبوته ورسالته وما عظمته من أمره فأما تعظيمك إياه وتفخيمك أمره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك ، وليس عندنا فيه الا تسليمه لك والمسكوت عنك ، اذ كنت أولى الناس بقرابتك ، وقرابتك أولى الناس بك وانما نحن مناظرون فيما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوته بأن ذلك حق واجب فان كان ذلك حقا واجبا ، فليس ينبغى لنا ولا لاحد ذى عقل

أن يمتنع أو يمتنع من قبوله فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق الا ظالم متعد أو جاهل بمعرفته قدر الحق وان كان ذلك غير الحق فلا ينبغى لك ان تقيم على غير الحق فكيف تدعونا اليه ؟ فانك اذا فعلت هذا كنت ظالماً لنفسك أولاً ، ثم متعدياً على من تدعوه الى غير الحق .

فلنطرح الآن من بيننا العصبية ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذى تدعونا الى الاقرار له بالنبوة ونشرحها من أولها الى آخرها ونختبرها اختباراً شافياً وتتناظر فيها مناظرة انصاف على لا تميل الى الهوى الذى يرى بعين الغرض والجور فان هذا أمر جليل الخطب عظيم القدر شريف المنزلة ، وعلى حسب ذلك يجب أن يكون النظر فيه والبحث عنه بتأن وترو .

الست تعلم اكرمك الله ونحن معك أن هذا الرجل كان يتيماً فى حجر عمه عبد مناف المعروف وأبى طالب وقد كفله عند موت أبيه ، وكان يعوله ويمنع عنه ، وكان يعبد الأصنام الثلاث والعزى مع عمومته وأهل بيته بمكة ، على ما حكى هو فى كتابه وأقربه على نفسه حيث قال « ألم يجدك يتيماً فأوى ، ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى » (ضحى) افلا ترى أنه قد أوجب بهذا القول الاقرار بأنه كان يتيماً فأواه وضالاً فهداه ، وعائلاً فأغناه ، ثم نشأ فى ذلك الأمر حتى صار فى خدمة عمه لخديجة بنت خويلد يأمر فيها بأجره ، ويتردد بها الى الشام وغيرها الى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذى تصرفه .

فلما قوته بما لا نازعته نفسه الى أن يدعى الملك والفرس على عشيرته وأهل بلده ، فرأى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه الا قليل من الناس بعد لموازنة المجحفة وأنت اكرمك الله عالم بمرارة نفس قريش وشدة أباتها لئلا هذا وشبهه من الضيم ، فعندما آيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسول .

أقول الكلام على هذه الأسطر وما يتعلق بها في فصلين وتتمة
وتذييل •

★ ★ ★

الفصل الأول

فى

نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم

وبعض أحواله وسيرته وإقتداء أمره

مقدمة :

أعلم أولا أن المسلمين أخذوا كتاب ربه عز وجل بعد تبوت
النبوة والمعجزات من نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم بلا زيادة
ولا نقصان بطريق التراتر جماعة عن جماعة يحيل العقل تواطئهم على
الكذب ، ويكتبونه وحفظوه في صدورهم جيلا بعد جيل في كل بلد وكل
قبيل الى زمننا هذا وكذا أخذوا احاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام
وأقواله وسيرته وأحواله الشريفة عن الصحابة الذين هم جم غفير ،
وعن تابعيهم وتابعي تابعيهم طبقة بعد طبقة الذين هم ألوف لا يحصى
عددهم الا الله سبحانه ، وكل من هؤلاء عرفت سيرتهم ودونت أحوالهم
وأقوالهم بأسانيدھا في الكتب المعتمدة والأسفار المتعددة المحبرة •

وبين العلماء عدالة الراوى الصادق منهم وعدلوه ونبهوا على
الضعيف وجرحوه والموضوع وطرحوه المطعون فتركوه واعتنوا
بالا سناد والرواية وغاصوا في استخراج الصحيح بكامل الدراية (١) ، بحيث
لم يسبقهم الى هذه الطريق سابق ، ولم يشق لهم غبار في هذا الميدان

(١) يقول الحافظ ابن الصلاح في المقدمة : وان أردت حديثا متواترا ،
أميالك تطلبه ٥

من كافة الأمم لاحق ، اذ لولا الرواية لقال من شاء ما شاء والله سبحانه يختص برحمته من يشاء وهذا أمر يسلمه كل مطلع منصف من ذوى الملك ، ولا يختلف فيه صاحب عقل من أرباب النحل • وأما غيرهم من الأمم السالفة فليس عندهم اسناد ولا يحفظ كتبهم أحد من العباد ، ولم يسلكوا ما سلكه الموحدون ، بل سلكوا ضده • فهم للكتاب محرفون وخيه بالزيادة والتقصيص متصرفون • وللقصص المردودة المتناقضة ناقلون ، وللأحكام برأيهم مغيرون ، ولم يميزوا بين كلام ربهم وزيادة أخبارهم وشريعة الهم وشرع قسوسهم ، وأكاذيب رهبانهم فالكل عندهم منزل من الله وكل ناقل لهم صادق أو اوه ورئيسهم البابا معصوم من الخطأ والزلل فجميع ما يقوله برأيه لا فرق بينه وبين ما به المسيح نزل كما سيتضح لك ان شاء الله تعالى ما قلناه في محله وثبته بصحيح النقل ومفصله •

واذا علمت ذلك واستحضرت هذه المقدمة في بالك ، فاستمع ما نذكره لك من أخبار النبی المصطفى المعظم ، وسيرته الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم وما ورد من البشائر في نبوته في الكتب السماوية والأمارات الكونية وأخبار الكهان من العرب ، والأخبار من اليهود والرهبان من النصارى •

قال العلماء هو عليه أفضل الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب شيبه بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب من النخلة والزلل فجميع ما يقوله برأيه لا فرق بينه وبين ما به المسيح ابن لؤى بن غالب بن فهر — بكسر الفاء ، واسمه قريش — بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة — واسم مدركة عامر — بن إلياس بن مضر ابن نزار — بكسر النون — بن معد بن عدنان • قيل وعدنان بن أدد بن مقوم ابن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن إبراهيم

خليل الرحمن بن تارح (١) — وهو آزر — وبقية النسب الى آدم عليه السلام مذكور في التوراة ، وفي كتب السير والأنساب •

وأمه عليه الصلاة والسلام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر — واسمه قريش — فهو عليه الصلاة والسلام خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوه اذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم كما سنذكر القصة في محلها ان شاء الله تعالى • فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأنفخذ فخذته اذ لا خلاف عند النسابين ان عدنان من ولد اسماعيل عليه السلام واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، كما تدل التوراة عليه أيضا فان فيها ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفي لفظ وحيدة واسماعيل أكبر من اسحاق فهو الوحيد وأما القول بأنه اسحاق فقد بينا فساده غيما سبق فتذكر. •

ثم انه لا خلاف أنه ولد عليه الصلاة والسلام بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله تعالى لنبيه وبيته والا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل نكتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك لأنهم كانوا عباد آلهة فأنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه • اذسلط الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ، ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي خرج في مكة وتعظيما للبيت الحرام •

واختلف في وفات أبيه عبد الله • هل توفي ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل أو توفي بعد ولادته بسبعة أشهر ؟ على قولين أحدهما الأول ولا خلاف أن أمه ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ونم

(١) التوراة تنسب ابراهيم عليه السلام الى تارح . وليس فيها اسم آزر •

يستكمل اذ ذاك سبع سنين وكفله جده عبد المطلب وتوفى ولرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحو ثمان سنين ، ثم كفله عمه أبو طالب واستمرت كفالته .

فلما بلغ اثنتى عشرة سنة خرج به تمه الى الشام ، فلما نزل الركب « بصرى » من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعه له وكان اليه علم أهل النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته رأى وهو فى صومعته رسول الله ﷺ وغمامة تظله من بين القوم ، ورأى أغصان شجرة نزلوا عندها تهصرت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين استظل تحتها فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد أمر بطعام ثم أرسل اليهم ، فقال انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فانا أحب أن تحضروا كلكم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك لثأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ قال له صدقت قد كان ما تقول لكنكم ضيف . وقد أحببت أن أكرمكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بين القوم لحدائة سنة فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظربحيرا القوم ولم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده . قال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى فالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتىك الا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف فى رحالنا فقال لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فاحضروه معهم فلما رآه بحيرا أجعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغوا من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه وانما قال بحيرا ذلك لسماعه أن قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسألنى بهما شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له سلنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله

من نومه وهيئته وأمره فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه ، من صفته التي عنده فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال له بحيرا ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال: فاته ابن أخى . قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغبه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده . فخرج به عمه سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

فشب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلؤه ويحفظه ويحوطه من اقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم بجوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وابعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهها وتكرما حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله تعالى فيه من الأمور الصالحة .

قال ابن هشام وغيره ولما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب وكانت خديجة امرأة ناجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم ، وكانت تربي قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى تقدم الشام وكان ميسرة يرى اذا اشتد الحر ملكين يظلاله من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، ثم باع رسول الله ﷺ ميسرته التي خرج بها ، واشترى

ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلًا الى مكة ومعه ميسرة فلما قدم على خديجة بمالها باعت ما جاء به بأضعف أو قريبا • وحدثها ميسرة عما كان يرى من اظلال الملاكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله تعالى بها من كرامة فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به وكانت تعلم حسن أخلاقه وكمال شرفه ، وكثيرا ما تسمع حسن الثناء عليه بصدقه وعفته واشتهار أمانته ، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، وبذل قومها كان حريصا على ذلك منها ، لو يقدر عليه لأنها كانت تدعى في الجاهلية بالنطاهرة • وكانت تحت عتيق ابن عائد المخزومي فولدت ثم مات وكان لها من العمر أربعون سنة فخطبها رسول الله ﷺ وتزوجها وصدقها عشرين بكرة وقيل أصدقها اثنتي عشرة أوقية ذهبا • وحضر العقد أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب وقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئى معد وغنصر مضر ، وجعلنا حصنه بيته وسواس حرمة ، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به • فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته . وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى عشرين بكرة وهو والله بعد هذا نبأ عظيم ، وخطر جليل ، فزوجها أبوها •

وهى أول امرأة تزوجها عليه الصلاة والسلام ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله تعالى عنها وولدت له الطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهم أجمعين •

ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين أجمعين • وروى البخارى أول ما بدء به رسول الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت

همل فلق الصبح ثم حبيب اليه الخلاء وكان بخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التبعيد (١) الايالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثها حتى بجاء لحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال أقر أقال: ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطى حتى بلغ منى النجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطى الثانية ، حتى بلغ منى النجهد، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطى الثالثة ثم أرسلنى فقال: «اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوم حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقلت له خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصنف الأرحم وتحمل الكل وتكسب المعدم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به الى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأاً قد تنصرف الى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانى ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأجبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ أو مخرجى هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي .

ثم فتر الوحي قال عليه الصلاة والسلام بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى ، فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى

(١) التبعيد هنا يعارض لتوله تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » ويوافق ما روى من أن العرب كانوا على دين موسى عليه السلام . والمؤلف سيتحدث فى هذا .

زملوني ، فأُنزل الله عز وجل : « يا أيها المدثر قم فأُنذر ربك فكتب وثياك
فطهر والرجز فاهجر » فحمى الوحى ونواتر •

فصل أما دعواه أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يعبد الملات
والعزى مع عمومته (١) فكذب ويهتان ، واستدلالة بآية الضحى استدلال
باطل من وجوه •

(١) معنى كون النبى على دين قومه عند الامام فخر الدين الرازى •
صحيح • والمؤلف لم يفقه مراد الامام فخر الدين في كون النبى محمداً
ﷺ على دين قومه . وما قاله الرازى قاله الماوردى في اعلام النبوة
وبيان ذلك :

ان دعو موسى عليه السلام كانت عامة للناس جميعاً ، لبنى اسرائيل
وللامم • ولكن بنى اسرائيل جعلوها خاصة من زمان سبى بابل لبنى اسرائيل
وحدهم من دون الناس • وامتنعوا عن هداية الناس الى معرفة الله تعالى •
والعرب كانوا على دين موسى • وأهل اليمن كانوا على دين موسى من
حين دخول ملكة سبأ في الاسلام مع سليمان عليه السلام وظلوا على
اليهودية الى ان آمن أهل نجران — وكانوا على اليهودية — بكلام عيسى
عليه السلام فحفر لهم « ذو نواس » اخدوداً وأحرقهم فيه بالنار • وقد
أشار الله تعالى في القرآن الى أن العرب أهل مكة وما حولها من القرى ،
كانوا على دين موسى في قوله تعالى : « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما
قدمت أيديهم • فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا • فنتبع آياتك
ونكون من المؤمنين ، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : تولا أوتى
مثل ما أوتى موسى ، أو لم يكفروا بما أوتى من موسى
من قبل ؟ قالوا : سحران تظاهرا • وقالوا : انا بكل كفرون » •

ووجه الدليل : هو أن كفر العرب بكتاب موسى ، يدل على أنهم كانوا
مكلفين به • وإذا ثبت أنهم كانوا مكلفين به ، يثبت أن موسى لم يكن خاصاً
ببنى اسرائيل • وقد وضحنا هذا في كتابنا « نقد التوراة أسفار موسى
الخمسة » ولذلك قال الامام الماوردى في اعلام النبوة : وقيل كان متعبداً
بدين موسى • وللقطبي كلام طويل في قوله تعالى : « ما كنت تدري
ما للكتاب ولا الايمان » ولأن اليهود من أيام سبى بابل منعوا الدعوة
إلى الله ، لم يظهروا طقوس اليهودية وشعائرها للعرب • وإذا اظهروا
لهم التوحيد لله رب العالمين ، وأن نبيا سوف يظهر منهم لينسخ شريعة
موسى عليه السلام •

وقد بين « ابن كثير » في تفسيره في أول آل عمران : ان دعوة موسى

أحدها ان الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها خلافا لما قال « عبد المسيح » سابقا ان ابراهيم كان يعبد الصليب قبل نبوته ، وخلافا لما قال اخوانه اليهود في توراتهم ان سليمان عليه السلام عمل أصناما لزوجاته بعد النبوة وعبدوها نعم اختلف علماء الاسلام بعد أن اتفق جمهورهم على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكفر قبل النبوة وبعدها . هل الكفر غير جائز عليهم عقلا وسمعا أم لا ؟ فقالت الأشعرية انه غير ممنوع عقلا لأنه جائز في العقول

= عليه السلام كانت عامة في زمانه ، وما كانت عامة الى زمان محمد ﷺ **وقال في سورة القصص** : ان المخاطبين بـ « لولا أن تصيبهم ... الخ » هم العرب المخاطبون بـ « أن تقولوا : انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ... » وروى عن الحسن البصري أنه فسر « سحران تظاهرا » أى تعاوننا وتناصرا وصدق كل منهما الآخر : انهما موسى ومحمدا عليهما السلام . وفسر « اهدى منهما » بالقرآن والتوراة وقد صح قوله في تفسير سورة القصص . والقرآن يشهد بأن سليمان عليه السلام كان على دين موسى عليه السلام وكان يغزو في سبيل الله - كما جاء في **الاحاديث ايضا** - ويدقق الناس الى شريعة التوراة . وقد أسلمت على يديه ملكة سبا وهى ليست يهودية . وهذا يدل على تسوالى العموم الى مجيء الناسخ لها وهو القرآن الكريم . وقد صرح في التوراة بما نصه : « وقد علم بالضرورة لذوى الالباب : أن الله - تعالى - لم ينزل كتابا من السماء فيها أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه اكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذى أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن » **وبعده في الشرف والعظمة** الكتاب الذى أنزله على موسى بن عمران - عليه السلام - وهو الكتاب الذى قال الله فيه : « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا . والريانيون والأحبار ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » والانجيل انما أنزل متمما للتوراة ، ومحلا لبعض ما حرم على بنى اسرائيل .

هذا نص كلامه في سورة القصص . وليسأل هو : بن موسى الى محمد . عليهما السلام . اذا كانت التوراة لبنى اسرائيل وحدهم . فما هى الشرائع التى كانت لغيرهم من أمم الأرض ؟

وقواه عن الانجيل : « انما أنزل متما » خطأ . والصواب : انما أنزل متمما . لأن التميم تشريع زائد على تشريع . وعيسى عليه السلام مصدق للتوراة فقط غير مهين عليها . ومبشرا بمحمد ﷺ .

أن يكون الشخص كافرا فيزقه الله تعالى الايمان ويكرمه بالنبوة الا أن الدليل السمعى • قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى « ما ضل صاحبكم وما غوى » وقلت المعتزلة ان هذا غير جائز عقلا لما فيه من التنفير • قاله الامام الرازى فى تفسيره •

الثانى : انه يثبت عندنا بالتواتر أن النبى عليه الصلاة والسلام لج يعبد صنما ، وأنه كان أكثر ما يكره الأصنام ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يتعبد قبل البعثة بدين ابراهيم •

الثالث : أن النبى عليه الصلاة والسلام لو كان يعبد الأصنام لقال له كفار قريش حينما دعاهم لمعبادة الله وحده انك كنت تعبد معنا هذه الآلهة الى بلوغ عمرك أربعين سنة فما بالك رجعت عنها وتنهانا عن عبادتها ؟ مع أنهم لم يقولوا له ذلك ولو قالوه لوصل الينا كما وصلتنا بقية أقوالهم له • ومنها قولهم : « ساحر أو مجنون » وقولهم « أجعل الآلهة ألها واحدا » ونحو ذلك •

الرابع : أن الانبياء لو لم يكونوا معصومين قبل النبوة من الشرك لما كان لنهيبهم قومهم تأثير فى دعوتهم فإله سبحانه عصمهم ليكون لكلامهم وقع فى نفوس السامعين كما يحكم بذلك صاحب العقل السليم •

وأما استدلاله بأية الضحى فتفسيرها بخلاف ما يزعم لأننا لما حكمنا بعصمة الأنبياء فلا بد من تأويل ما يوهم خلاف ذلك مما فى القرآن الكريم ، كما أول أهل الكتاب كثيرا مما ورد فى التوراة والانجيل كما قدمناه لك ومن ذلك قوله فى التوراة خطابا لموسى : « أنت إله فرعون وهرون نبيك » ومن ذلك تأويل الميرتستنت العشاء الربانى كما سمعته سابقا فتأويل المسلمين وتفسير المفسرين لهذه الآية بأن المراد من الضلال الغفلة كما فى آية أخرى : « لا يضل ربي ولا ينسى » والمعنى : وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة أو ضالا لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع فهذا لك لذلك وليس المراد الانحراف عن الحق فهذا كله تعالى.

« ما كنت تدري ما الكتاب » وقوله سبحانه « وأن كنت من قبله لمن الغافلين » فهذا إلى ناهجها في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين ، وعلمك ما لم تكن تعلم • وعلى هذا أكثر المفسرين •

وقال بعض المفسرين : وجدك في قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك ، أو فهداك إلى ارشادهم أو ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك الله تعالى إليها • وقيل وجدك ضائعا في قومك فهداك إليهم • وعن ابن عباس رضى الله عنهما وجدك بين الضالين ، فأستنقذك من ضلالتهم وقيل ضل في صغره عن جده في شعاب مكة فراه أبو جندب فرده لجده وهو متعلق بأستار الكعبة بتضرع إلى الله تعالى في أن يرد إليه محمداً وذكر له لما رآه أناخ الناقة وأركبه من خلفه ، فأبت أن تنقلهم فأركبه أمامه فقامت ، فكان الناقة تقول يا أحق هو الامام فكيف يقوم خلف المتتدى ؟ وفي ارجاءه عليه السلاة والسلام إلى أهله على يد أبى جهل وقد علم سبحانه منه أنه فرعون يشبه ارجاع موسى عليه السلام إلى أمه على يد فرعون •

نعم ذكر الفخر الرازى في تفسيره عن بعضهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على دين قومه قبل النبوة ، لكنه خلاف قول الجمهور فهو قول مردود غير مقبول ، فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه هذا وإذا أنصف كل عاقل لجزم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لابد أن يكونوا معصومين من الكفر قبل النبوة وبعدها ، وأنهم لم يقع منهم ذلك وإن ما يرد مما يوهم خلاف هذا فلا بد أن يكون مأولا وغير مراد الظاهر المتبادر ، كما فعلت النصارى في كثير من آيات التوراة والانجيل ، وأوجبت تأويلها ، لأن ظاهرها غير مراد، كما مر عليك ذلك غير مرة، فتذكر فما في العهد من قدم •

ثم أناأو فرضنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يعبد الأصنام قبل النبوة ، فأى بأس في ذلك — على ما زعم هذا النصرانى — في ابراهيم

عليه السلام فليكن بزعمه نبينا عليه الصلاة والسلام كأبى الأنبياء
خليل الرحمن •

تنمية : اذا كان رمى الانبياء بعظائم الأمور المذكورا في كتبهم
بهتاناً وزوراً ، فليس ببديع اذا رمى سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام
بعبادة الصنم قبل نبوته زوراً وكذباً • اذ من المعلوم لدى أصحاب السنين
وغيرهم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يعبد صنماً قبل نبوته ، وكذا
سائر اخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم معصومون من
الكفر ونحوه قبل النبوة وبعدها • 'قوله عليه الصلاة والسلام
« ما كفر نبي قط » •

قال : الامام أبو محمد بن قتيبة في كتابه شرح الأحاديث « ان
العرب جميعاً من اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله تعالى على نبينا
وعليهما خلا «اليمن» ، لم يزلوا على بقايا من دين أبيهم • ومن ذلك حج
البيت وزيارته والختان والنكاح وإيقاع النكاح اذا كان ثلاثاً وللزواج
الرجعة في الوحدة والاثنين وتفريق الفرائس في وقت الحيض والغسل
من الجنابة ودية النفس مائة من الابل والقصاص في الجرح وقطع
اليدين في السرقة ودفع الظلم ولزوم لقتل لقاطع الطريق والرجم للزاني
المحصن والزانية المحصنة ، واتناع الحكم في المبال في الخنثى وتحريم
ذوات المحرم بالقرابة والصهر والنسب وهذه أمور مشهورة عندهم •
وكانوا مع ذلك يؤمنون بالله تعالى ويوحده في صفاته وأفعاله ويؤمنون
بالملكين الكاتبين ، وكلهم أهل التوحيد في الاعتقاد •

قال الأعشى وهو جاهلي •

فلا تحسبيني كافراً لك نعمة • • • على شأهدي ، يا شاهداً الله فأشهد

يريد على لساني يا ملك الله فأشهد بما أقول • ويؤمن بعضهم
بالبعث والحساب وآباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته كلهم
مؤمنون بالبعث والحساب وموحدون في اعتقادهم • قال زهير بن أبي

سلمى — وهو جاعلى لم يلحق الاسلام — فى تصيدينه المشهورة التى
تعد من السبع •

يؤخر فيوضع فى كتاب ويدخر ••• لىوم الحساب أو مجل فينقم

وكانوا يقولون فى البلية وهى الناقة التى تحفل عند قبر صاحبها
فلا تلغ ولا تنسقى حتى تموت أن صاحبها يجيء يوم القيامة راکبها
وان لم يفعل أولياؤه ذلك بعده جاء حانها راجلا فقد ذكر أبو زيد فقال:

كالبلايا رعو سها فى الولايا ••• مانحات السموم حر الخدود

والولايا البرادع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك
الناقة وقال الغابغة :

محلثهم ذات الاله ودينهم ••• غويم فما يرجون غير العواقب

يريد الجزاء بالأعمال وكان رسول الله ﷺ على دين قومه يعنى على
دين اسماعيل وابراهيم عليهما السلام ، وهو الاسلام يراد على
ما كانوا عليه من الايمان بالله تعالى والعمل بشريعتهما فى ذلك المذكورات
وكان مع هذا لم يقرب من الأوثان ، فى صغره وكبره قبل الوحي ، وكان
يعيبهم • وقال عليه الصلاة والسلام « بغضت الى » غير أنه كان
لا يعرف فرائض الله تعالى والشرائع التى شرعها لعباده على لسانه
حتى أوحى اليه • ولذلك قال تعالى : « ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك
ضالاً فهدى » يريد سبحانه ضالا عن تفصيل الايمان ولأسلام
وتلك قسواه عز وجل : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان »
يريد سبحانه وتعالى ما كنت تدري ما القرآن ولا شرائع الايمان ، ولم
يرد بالايمان الذى هو الاقرار لأن ابناءه الذين كانوا فى أفعالهم على
الكفر والشرك كانوا فى اعتقادهم موحدين ، لأنهم يعرفون الله تعالى
ويؤمنون به ويعبدون الله تعالى على شريعة ابراهيم عليه السلام ، لكن

يتخذون من دون الله آلهة يتقربون بها اليه تعالى ، وتقربهم فيما ذكروا منه ويتقنون الظلم ويحذرون عواقبه ويتحالفون على أن لا يبغى أحد على أحد ولا يظلم .

وقال عبد المطلب للملك الحبشة حين سأله حاجته فقال ابل ذهبت لى فعجب منه كيف لم يسأله الانصراف عن البيت ؟ فقال ان لهذا البيت من يمنع منه أو كما قال .

فهؤلاء كانوا يقرون بالله ويؤمنون به ، فكيف لا يكون الطيب المطهر قبل الوحي يؤمن بالله تعالى ؟ وهذا لا يخفى على أحد ولا يذهب عليه أن مراد الله تعالى في قوله : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » أن الايمان شرائع الايمان وهذا معنى قولهم انه كان على دين قومه أربعين سنة أنه عليه السلام كان على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقومه هؤلاء كذلك ، الا بنى أمية وعبد شمس وغيرهما من كفره قريش كأبى جهل وغيره لأنه سبحانه حكى عن ابراهيم عليه السلام « فمن تبعني فمنه منى ، ومن عصاني فأتك غفور رحيم » وقال لنوح عليه السلام : « انه ليس من أمك » يعنى ابنه لما كان على غير دينه « انتهى .

غير أننى لأعجب : من قوله ان ابراهيم كان يعبد الأصنام وأن ابراهيم أبو داود وعسى بن داود (١) ، فأيت شعري لم لم يقل عيسى لابراهيم وهو نطفة محمول في صلب ابراهيم يا ابراهيم أنا ربك في ظهرك فلا تسجد للأصنام بل اسجد لى لأنى خلقتك ، وأنا الآن في صلبك ؟ وكيف يعق عيسى أباه ولم يرشده الى عبادته أياه ؟ فانا لله . ولا حول ولا قوة الا بالله .

تذييل : يقال لهذا النصرانى اذا سلمنا المحال وأن النبى عليه الصلاة والسلام كان قبل النبوة وحاشاه في وادى الضلال

(١) الأصح : ان عيسى من نسل هرون عليه السلام .

فعندك أن الأنبياء عليهم السلام صدرت منهم الكبائر ككفر بعضهم وزناء بعضهم ، وليس ذلك مخالفاً بنبوتهم على زعمكم كما فصلناه غير مرة • على أن عيسى عليه السلام وهو الاله بزعمكم حكى عنه يوحنا في انجيله في الاصحاح الثامن أنه معترف بالذنوب والعطايا بما نصه : « فقدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة • وجدت في زنا وأوقفوها في الوسط وقالوا له يا معلم هذه المرأة الآن أخذت في زنا ، وموسى أمر في ناموسه أن يرحم مثا ، هؤلاء • فماذا تتول أنت ؟ قالوا هذا ليجربوه ليكون لهم ما يثلبونه به ، فأطرق يسوع وكتب باصبعه على الأرض • فلما استبطأوا سألهم اياه رفع رأسه قائلاً لهم : من كان منكم بلا خطيئة فليرحمها أولاً بحجر ، ثم أطرق أيضاً وكتب على الأرض ، فلما سمعوا طفتوا يخرجون واحداً واحداً • والشيوخ هم بدأوا ، وبقي يسوع وحده ، والمرأة واقفة في الوسط ، فرفع يسوع رأسه وقال لها يا امرأة أين أولئك الذين يقرءونك فلا واحد دانك ؟ فقالت : ولا واحد يارب • قال لها يسوع : ولا أنا أيضاً أدينك • اذهبي ومن الآن لا تعودى الى الخطيئة » انتهى •

فعلى هذا يازم أن يكون عيسى عليه السلام مثل بقية الجمع له خطيئة ، فلا يقدر أن يدين الزانية ويرجمها وهذا أيضاً فيه شيطان أحدهما : أنه ما عمل بشرية موسى • والثانى : أنه ليس في شريعة موسى أن الخاطيء لا يرحم الزانية •

وقد نمحل مفسرهم « الخورى » وأراد صرف اللفظ عن ظاهره بما لفظه « كأنه يقول : انا وحدى معصوم من الاثم ، وأقامنى الله قاضياً للناس ، ولذا يحق لى ان أدينك ، لكنى لا أريد لأننى ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم » انتهى •

فلا يخفى أن لفظ أيضاً يقتضى أنه مخطيء كما انهم مخطئون ، وان في كلام هذا المفسر تناقضاً ، وان المسيح مع كونه قاضياً وحكماً بما في التوراة لم يجر مقتضى القضاء ، ولم يحكم بما فيها ، بن

حكم بضدها فبين قوله « يحق لى أن أدينك » وقوله « لا أريد » نقاف •
وأيضاً يلزم من هذا وأنه مخلص العالم عدم الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، واسقاط الحدود الشرعية عن القاتلين والسارقين والزانيين
وغيرهم • ولو اعترفوا ، بل ويلزم منه عدم التكاليفات الشرعية من صوم
وصلاة وزكاة ونحوها ، لأنه جاء لتخليصهم من العذاب على ذنوبهم ،
وقد خلصهم بدخوله الى جهنم وتحمل العنة بدلا عنهم على زعمهم
فليعملوا اذن ما شاؤوا وهذا من الاعتقادات العجيبة •

والأعجب منه أن التسييسين أيضا مخلصون من يعترف لهم بخطيئة
والأعجب منه أن الباباوات معصومون والأنبياء غير معصومين والأعجب
من هذا كله : أن المسيح اله مخلص العالم ، وأنه لم يخلص نفسه من
اليهود حتى قتالوه ، ولا النصراني حتى أكلوه • ومن العجيب أيضا
أنهم نقلوا عنه عليه السلام في أنجيلهم : أن رجلا قال له يا صالح
فنهاه وقال لله لا تنقل لى لأنه لا صالح الا الله • فانظروا يا ذوى الألباب
هذه المحالات والمناقضات ، فليحفظ •



قال النصراني : « فعندما آيس مما سولت له نفسه أدعى النبوة ،
وأنه رسول مبعوث من رب العالمين • فدخل عليهم من باب لطيف
لا يعرفون عاقبته ما هي • ولا يفهمون كيف امتحنوا مثله • وألا ما يعود
عليهم من ضرر منه • وإنما هم قوم عرب أصحاب بدو ، لم يفهموا
شروط الرسالة ، ولم يعرفوا علامات النبوة ، لأنه لم يبعث فيهم نبي
قط وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له الذى سنذكر اسمه وقصته في
غير هذا الموضع من كتابنا ، وكيف كان سببه » •

اقول : كلامه هذا كل زور وباطل كشمس الضحى في الظهور ،
لأنه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة ، امتحنته الناس فظهرت
على يديه المعجزات التى ظهر على أيدي اخوانه الأنبياء أمثالها وأخبر
الرب سبحانه قبل بعثته في كتبه عنه وعن صفاته ومخرجه ونعته وتحدث

الكهان من العرب والأخبار من اليهود والرهبان من النصارى بأمره عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه لما تقارب من زمانه ، وآمن به من أهل الكتابين بالطوع من لا يحصى عددهم إلا الله سبحانه وتعالى كما سنذكر منصل هذا كله قريبا إن شاء الله تعالى •

وأما قوله : « ولا ما يعود عليهم من ضرر منه » فيقال لهذا النصراني ليت شعري أى ضرر حصل للعرب بإيمانهم بخاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين ، فقد كانوا قبل بعثته يعبدون الأحجار والأشجار فهذههم إلى التوحيد ومحاسن الأعمال وصادق الأقوال وعمل الخيرات وترك الموبقات والإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن لا يعبدوا إلا إياه ولا يستعينوا إلا به إذ لا خالق سواه والإيمان بموسى وعيسى ، فأى ضرر حصل للعرب بذلك ، وأى مهلكة ترتبت على ما هنا لك ؟ ولعل النصراني يزعم أن الضرر الذى أتاهم من حبث أنه لم يقل لهم أن عيسى اله واحد وأنه قد تولد من والده والله له والد ولم يعلمهم أن من أكل من الخبز المقدس ، فقد أكل ربه ومن شرب من الخمر فقد شرب حقيقة دمه • ولم يقل لهم : أن من الأنبياء من عبد الأصنام قبل النبوة وبعدها وكفر ، ومنهم من زنى ببنته وسكر وفجر ، ولم يأمرهم بالسجود للصور المنقوشة في الحيطان ولمريم خطيئة الرحمن ، ولم يأمرهم بأكل الخنزير والتنجاسات • فمن هذا جاء الضرر على العرب الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على زعم هذا النصراني لأنهم لو اعتقدوا هذه العقائد الفاسدة وأمثالها لحصل لهم الهدى والرشاد ، لكنهم لما آمنوا به عليه الصلاة والسلام وبوحدانية الله سبحانه وسائر الأحكام الشرعية ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث فقد عاد عليهم الضرر ، بزعم هذا المثلث •

قوله : « ولم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبي قط » •

قد ذكرنا لك آنفا : أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين أبيهم

اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وذكر « الماوردي » أن من الأنبياء خمسة من العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب وخاتمهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى بعث الى أهل الرس نبيا منهم يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فأوعى الله تعالى الى نبي كان مع بخت نصر يقال له ارمياء بن برخيا : مر « بخت نصر » ليعزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ، نيتلتهم بما صنعوا بنبيهم . وكذا بعث اليهم خالد بن سنان فالعرب كانوا يعرفون شروط الرسالة ، ولذا طلبوا المعجزات من النبي عليه الصلاة والسلام .

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة عليه الرحمة كانت النصرانية في رببعة وغسان وبعض قضاة ، وكانت اليهودية في حمير وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم ومنهم زرارة ابن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة . وكان تزوج ابنته . ثم قدم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وأبو الأسود جد وكيع بن حسان كان مجوسيا . وكانت الزندقة في قريش ، أخذوها من الحيرة . وكان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية الها من حبس ثم أصابهم مجاعة فأكلوه فقال رجل من بنى تميم .

أكلت ربها حنيفة من جوع قديم بها ومن أعواز .

وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها زمن التقم والمجاعة

نم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

وسياتى كلام يتعلق بكلماته هذه أيضا حينما نعيده فانتظره . وأما الرجل الذى عناه في آخر كلامه فهو بحيرا الراهب وسنفصل حاله ان شاء الله تعالى اذا جئنا الى موضعه .

ولنفصل لك ما أشرنا اليه انفا مما يتعلق برسائله وحقيقة بعثته ، وأمارات نبوته عليه الصلاة والسلام بنصول لا يبقى بعدها شك ولا ريب ولا ترديد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

الفصل الأول

في اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام من الكتب السماوية وذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وجمته .

غير اننا نذكر أولا مقدمات تزيدك يقينا ووضوحا في ورود ذلك :

الأولى : انه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الاخبار بهذا الأمر العظيم . الذي لم يطرق العالم من حين خلق الى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه فان العلم به طبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على تعاقب القرون والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومثل هذا النبأ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الاخبار به .

والأنبياء الاسرائيلية . مثل أشعيا وارميا ودانيال وحزقيال (١) وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية كحادثة بخت نصر وقورنيس واسكندر وخلفائه وحوادث أرض الروم ومصر وبنينوى وبابل ، فبيعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم بظهور النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم . واذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان (٢) وبقاؤه في الأرض أربعين يوما وقل ستة أشهر قد تطابقت الرسل على الاخبار به وأنذر به كل نبي نومه من نوح الى خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام فكيف تتطابق الكتب الالهية من أولها الى آخرها على السكوت عن الاخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرئه أبدا ؟ فهذا ما لا يسوغه عقل عاقل ، وتأباه حكمة أحكام الحاكمين ، بل الأمر بضد ذلك . فما بعث الله سبحانه نبيا الا أخذ عليه الميثاق بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتصديقه كما قال تعالى : « واخذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

(١) حزقيال هو ذو الكفل .

(٢) الدجال : يقول النصارى : انه محمد رسول الله . واخبار الدجال عندنا نحن المسلمين أخبار ظنية .

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال
أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا
معكم من الشاهدين » قال ابن عباس — رضى الله عنهما — ما بعث الله
تعالى من نبي الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي لتؤمنن
به ولتنصرنه • وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد ومعه
أحياء ليؤمنن به ولينابعنه •

الثانية : لا يخفى على من تدبر الكتب السماوية وسرد رسائلها
الالهامية أنه لا يشترط أن يكون أخبار الأنبياء المتقدمين
عن الأنبياء المتأخرين مفصلة بذكر أسمائهم وصفاتهم
وأماكنهم وتعيين وقت ظهورهم بل يكون هذا الأخبار في
كثير من الأوقات مجملا وإشارة عند العرام ، وأما عند الخواص فقد
يكون جليا بواسطة القرائن ، وقد يبقى خفيا عليهم لا يظهر لهم الحال
الا بعد دعوة النبي اللاحق وظهور صدقه ومعجزاته فلاخبارات بنبينا
عليه الصلاة والسلام في العهد القديم والجديد بعد التحريف والتبديل
لم يبق منها الا القليل ، على أن الاشارات ببعثته في الكتب السماوية
ظاهرة لمن تدبرها نابذا للمكابرة والحمية الجاهلية كافية ببغية من طلب
السعادة الأخروية •

على أنا لو فرضنا عدم وجود ذلك الآن فأى ثلم يعترى لرسالة
من أقر برسالته الثقلان ، وتوالت معجزاته الثابتة كانشقاق القمر
والايوان ، وتكليم الحجر وانقياد الشجر ونزول القرآن ، الذى هو
معجزة باقية ما دام الملوان ؟ وغير ذلك من المعجزات التى سنذكرها
ان شاء الله تعالى في هذا الديوان والله المستعان •

الثالثة : ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أحرص
الناس على تصديقه واتباعه واقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته
ولا سيما أهل العلم والكتاب ، فان الاستدلال عليهم با يعلمون بطلانه
قطعا لا يفعاله عاقل ، وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقي أنك فلان
ابن فلان وصنعتك كيت وكيت ، وتعرف كيت وكيت ، ولم يكن الأمر
كذلك بل بضده • فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ولا يصدق أحد على

ذلك ، ولا يتبعه ، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه ، والعادة تحيل سكوته عن الطعن عليه ، والرد والتهجين لقوله • ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلنا في هاتين الأمتين اللتين هما أعلم الأمم في الأرض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم ، وهو يلو ذلك عليهم ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، في كل مجمع وكل ناد ، يدعوهم لذلك يعنى الى تصديقه والايمان به فمنهم من يصدقه ويؤمن به ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره • كما سيمر بك ان شاء الله تعالى • وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبي اخر وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة • ولم تجده هذه المكابرة الا كشف عورته ، وابداء الفضيحة بالكذب والبهتان فان الصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة ، بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه سلمان ، وكما عرفه هرقل ، وكما عرفه عبد الله بن سلام وغيرهم بتلك العلامات المذكورة • كما قال هرقل : قل لأبى سفيان ان يكن ما تقول حقا ، فانه نبي ، وسيملك ما تحت قدمي هاتين قال ابن عباس — رضى الله عنهما — لما حضر أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين يدي النجاشي وقرءوا القرآن ، سمع ذلك القسيسون والرهبان ، فأنحذرت دموعهم مما عرفوا من الحق • فقال الله تعالى : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون » الآيات • وتدل سعيد بن جبر : بعث النجاشي من أخيار أصحابه ثمانين رجلا الى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا وقالوا نعرف والله انه الحق • فأسلموا وذهبوا الى النجاشي فأخبروه ، فأسلم فانزل الله تعالى فيهم : « وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ؟ ونطع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأنابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين •

وأمثال هذا كثير جدا لو أردنا أن نستقصيه لخرجنا الى طول الكتاب
وسأمة المستمع . ولعلنا نذكر بعضا منه أيضا في محال آخر ان شاء
الله تعالى .

**ولنرجع الى المقصود من نقل ما في الكتب السماوية والزبر
النبوية من الآيات والبشائر في الحضرة المحمدية (١) . وهي كثيرة جدا**

(١) اذا وضعت نصوص نبوءات التوراة عن محمد صلى الله عليه
وسلم تحت بعضها ، فانها تدل عليه بوضوح . وقد فرقها كاتب التوراة
في « بابل » لثلاث تدل عليه بوضوح . ومثل ذلك مثل الجسم بأعضائه .
اذا فصلت الأعضاء ووضعت كل عضو في جهة من الجهات ، فانه يصعب
عليك معرفة صاحب الجسم . ولكن اذا ضمت الأعضاء ووضعتها في
أماكنها ؟ فانك تعرف صاحبه . والمسلمون الذين كتبوا في هذا الموضوع ،
تكلموا في كل نبوءة على حدة . وطريقة الضم هكذا :

أولا : تضع النصوص الدالة على بركة لاسماعيل عليه السلام .
وتبين (أ) أن نبوة موسى لم تثبت الا من النص على بركة لاسحاق عليه
السلام . وحيث أن لاسماعيل بركة مساوية لبركة اسحاق . فان بركته
اسماعيل تدل على نبي يظهر منه مماثل لموسى (ب) أن اسم محمد عليه
السلام في بركة اسماعيل هو « بهاد ماد » و « لجوى جدول » بحساب
الجهل وهو حساب أبجد هوز حطى كمن سغفص قرشت .

ثانيا : تضع بعد نص البركة مباشرة ، النص الدال على سكنى
اسماعيل في « فاران » ثم تذكر النص الدال على تقسيم البركة بين مسيئاء
وساعير وفاران .

ثالثا : تضع بعد نصوص البركة كلها النص على زوال الملك وزوال الشريعة
من بنى اسرائيل الذين هم حاملوا بركة اسحق . وهو قول اسرائيل :
« لا يزول قضيب من يهوذا ... الخ » .

رابعا : تؤكد أن الأمة الغيبة التي سيفيظ الله بها بنى اسرائيل هي
أمة اسماعيل وأن الاغاظة هي بسبب الملك منهم والنبوة ، واعطائها لهم .

خامسا : تذكر النص عن النبي الأمي وهو : « يعقيم لك الرب الهك
نبيا ... الخ » وتذكر معه قوله في آخر التوراة : « لن يقوم نبي في
اسرائيل مثل موسى » هذه هي الطريقة الجيدة في فهم النصوص والالزام بها .

واعلم : أن اليهود الى هذا اليوم يزعمون : أن النبي المنبأ عنه في
التوراة ، لم يظهر بعد والنصارى يزعمون أنه هو عيسى عليه السلام .
مع أن التوراة وأسفار الانبياء ليس فيهم من نص واحد على عيسى عليه
السلام . وكل النصوص انها هي عن محمد صلى الله عليه وسلم الاتي من
غير بنى اسرائيل . وقد بينا تفسير هذا الكلام في كتابنا « البشارة بنبي
الاسلام في التوراة والانجيل » .

غير انا ننقل من الصريح فيها اثني عشر بشارة على عدد النقباء أو
الحواريين لتكون مؤيدة للتحقق المبين •

البشارة الأولى : ما في الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء
من التوراة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ ما نصه : « فقال الرب لى جميع
لها قالوا ، وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم ، وأجعل كلامى
افى فمه ، ويكلمهم بكل شىء أمره به ، ومن لم يطع كلامه الذى أتكلم
به بأسمى فأنا أكون المذموم من ذلك فاما النبى الذى يجترىء بالكبرياء
ويتكلم فى اسمى ما لم امره به بأنه يقوله أم باسم آلهة غيرى ،
فليقتل •

فان أحببت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم
يتكلم به الرب ؟ فهذه تكون لك آية ن ما قاله ذلك النبى فى اسم الرب
ولم يحدث ، فالرب لم يكن نكلم به ، بل ذلك النبى صورته فى تعظيم
نفسه ولذلك لا تختشاه » انتهى بحروفه •

فهذا نص لا يمكن لأحد منهم جحدته وانكاره ، ولكن لأهل الكتاب
فيه أربع طرق أحدها : حمله على المسيح • وهذه طريقة النصارى •
وهو دليل يخالف معتقدهم فى المسيح لأنه اله • والاله لا يكون مثل
عبيده • وأما اليهود فلهم فيه ثلاث طرق • أحدها : أنه على حذف
أداة الاستفهام والتقدير : أقيم لبنى اسرائيل ؟ أى لا أفعل هذا فهو
استفهام انكار حذفته منه أداة الاستفهام • وبطلان هذا لا يحتاج الى
بيان (١) ، بل هو من جملة التحريف المألوف منهم والهذيان • الثانى :
أنه خبر ووعد ولكن ليس المراد به عيسى ، بل المراد شوثيل النبى ،
فانه من بنى اسرائيل أو يوشع • والبشارة انما وقعت بنبى من اخوتهم ،
واخوة القوم هم بنو أبيهم وهم بنو اسرائيل • الثالث : أنه نبى بيعته
الله تعالى فى آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم ، وهم
ينتظرونه الآن ويسموناه المنتظر • وهذه كلها طرق مسدودة وأقوال
مردودة ، بل هذه بشارة بنبوة النبى الأمين ورسالة خاتم النبيين صلى

(١) وذلك لقوله فى أول النص : لا تسمعوا لكلام السحرة والعرافين •
والسوف أرسل لكم نبيا يقيم الدين قاسمهموا له (تثنية ١٨) •

الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين • لما ستسمع الان من هذه الأجوبة والجوه الحسان :

الوجه الأول : ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به في هذا الباب ، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح ، فلا يكون هذا المبشر به شموئيل ويوشع ولا عيسى عليه السلام • ففي الاصحاح الأول من انجيل يوحنا ما نصه • « وهذه هي شهادة يوحنا حين ، أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين يسألونه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أنني لست أنا المسيح فسألوه : اذا ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال لست أنا • أقالنبي أنت ؟ فقال : كلا فقالوا له : فمن أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قل : أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب ، كما قال أشعيا النبي • وكان المرسلون من الفريسيين ، فسألوه وقالوا له : فما بالك تعتمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي ؟ » انتهى •

والآلف واللام في لفظ « النبي » للعهد • والمراد : النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى في الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء المتقدم ، وهو محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما لا يخفى •

الوجه الثاني : أنه وقع في هذه الإشارة لفظ « مثلك » ويوشع وعيسى عليه السلام لا يصح أن يكونا مثلك موسى عليه السلام أما أولا : فلأنهما من بنى اسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى اسرائيل مثل موسى ، كما تدل عليه الآية العاشرة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وأما ثانيها : فكيف يكون يوشع مثله وهو على ما في الاصحاح الأول من سفر يشوع بن نون أنه خادم موسى ؟ فكيف يتمثل للخادم والمخدوم ؟ وأيضا أن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهي ويوشع ليس كذلك ، بل هو متبع لشريعته • وكذا لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام لأن عيسى يزعم النصارى كان الها وربا لموسى وهو عبده

وأن عيسى على زعمهم صار ملعونا لشفاعة الخلق كما صرح به بولس في
الاصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية بقوله : « فقد
اشترانا المسيح من لعنة الناموس وصار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب :
ملعون كل من يعلق على خشبة » وموسى ما صار ملعونا لشفاعتهم ،
وأن عيسى دخل الجحيم بعد موته كما هو مصرح به في عقائد أهل
التثليث ، ومرسى ما دخل الجحيم ، وأن عيسى صلب ليكون كفارة لأمة
بالصليب بخلاف موسى ، وأن شريعة موسى مشتملة على الحدود
والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارة والمحرمات من المأكولات
والمشروبات بخلاف شريعة عيسى ، فانها خالية عنها ، على ما تشهد به
الإنجيل التي بأيديهم الآن . وأن موسى كان رئيسا مطاعا في قومه
وعيسى لم يكن كذلك ، فانتفت المماثلة (١) .

الوجه الثالث : انه وقع في هذه البشارة لفظ « من بين اخوتهم »
ولا شك أن الأسباط الاثني عشرة كانوا موجودين في هذا الوقت مع
موسى عليه السلام : حاضرين عنده ، فلو كان المقصود كون النبي
المبشر به منهم لقال : منهم لا من بين اخوتهم ، لأن الاستعمال الحقيقي
لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصلبية والبطنية ببني
اسرائيل كما لا يخفى على من عرف مواقع الكلام وأحاط خبرا بعبارات
التوراة .

الوجه الرابع : ان التعبير بسوف أقيم دليل على أن المراد
بالمبشر به غير يوشع ، لأنه كان حاضرا عند موسى وداخلا في بني اسرائيل ،
نبيا في ذلك الوقت فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟ كما هو ظاهر لكل
ذى لب .

الوجه الخامس : ان قوله سبحانه « أجعل كلامي في فمه » إشارة
الى ان ذلك المبشر به نبى ينزل عليه كتاب ، وإلى كونه اميا حافظا

(١) مقارنة المؤلف بين شريعة موسى وشريعة عيسى ليس لها محل .
فإن عيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام . « فهما معا
الصحاب واحدة » . والناسخ للتوراة هو موجد رسول الله ﷺ .

للكلام واعيا له في صدره ضابطا له في قلبه ، لا بواسطة لوح وأقلام •
وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه عليه السلام •

الوجه السادس: انه سبحانه بين في هذه الآيات علامة النبي الكاذب من أن اخباره عن المغيبات المستقبلة لا يكون صادقا • ويفهم منها : أن من ادعى النبوة وأظهر المعجزة وأخبر بالمغيبات المستقبلة وكان الأمر كما أخبر فهو نبي صادق • فهذا صادق على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أظهر المعجزة وأخبر بالمغيبات وخرج الأمر كما ذكر ، كما سنذكر ذلك مفصلا في محله أن شاء الله تعالى فهو النبي الصادق الذي لم يسبقه في جميع كمالاته سابق •

بقي شيء : وهو أن علماء البر وتستننت اعترضوا على ما قلناه بشيئين •

الأول : أنه وقع في الآية الخامسة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا : « فان الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك » : الى آخره فلفظ « من بينك » يدل دلالة ظاهرة على أن هذا النبي يكون من بنى اسرائيل لا من بنى اسماعيل •

الثاني : ان عيسى عليه السلام نسب هذه البشارة الى نفسه • فقال في الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا : أن موسى كتب في حقى •

فالجواب عن الأول : ان هذا اللفظ وهو « من بينك » لا يوجد قديما نقله بطرس الحواري ولا في كلام موسى عليه السلام لما أعاد هذا الوعد من كلام الله تعالى في الآية الثامنة عشر • وكذا نقله استفانوس أيضا ولا يوجد في نقله هذا اللفظ كما صرح به في الاصحاح السابع من سفر الأعمال ونص عبارته هكذا : « هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل نبيا مثلى سيقوم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون » انتهى فسقوطه في هذه المواضع واختلاف النسخ الموجودة الآن دليل على كونه غير مقصود • وإذا سلمنا وروده فهو في نية السقوط ، لأنه حينئذ يكون قوله من بين اخوتك بدل اشتمال منه ، على رأى كثيرين من النحويين ، أو يدل أضراب على رأى بعضهم •

والجواب عن الثانى : ان آية الانجيل هكذا : « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى » وليس فى هذا تصريح بأن موسى عليه السلام كتب فى حقه اللفظ اثقلانى * والمحـ الفلاتى ، بل المفهوم منه أنه كتب فى حقه ما يخبر بنبوته وهذا أمر مسلم عندنا أن موسى أخبر فى التوراة بمجىء عيسى (١) بيا وبحمد رسولا عليهم الصلاة والسلام لكن ننكر أن تكون هذه البشارة فى شأن عيسى المكرم ، لما قدمناه من الأدلة انها فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

والعجب : من النصارى كيف يستدلون بهذه الآية المتقدمة من التوراة على أنها فى حق عيسى عليه السلام وموسى عبده وعيسى معبوده ، وخالق الخاص والعام ؟ مع أن فيها المماثلة لموسى ، فكيف يماثله عيسى وهو الذى خلق موسى وكلمه وأنزل عليه التوراة وعلمه ؟ وكيف يكون له مماثلا للبشر معادلا ولمشابهة عبده قابلا ؟ وكيف ينزل عليه هذا الكتاب ثم يقول له : يا عبدى سأكون مثلك نبيا وأحل بطن مريم بعد أحقاب ؟ فليت شعرى على زعمهم من القائل لموسى هذا الكلام ؟ وممن صار عيسى ونزل الى الأنعام ؟ فهل هذه العقيدة الاسفسطة لا تقبلها ذو والأحلام ؟ والسلام .

البشارة الثانية : ما فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤١ ما نصه : « فهذه البركة التى بها بارك موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته وقال جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأدهار : فى يمينه سنة من نار » انتهى .

قال أبو محمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجىء الله من طور سيناء : انزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالأذى هو عقد أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقة من ساعير : انزاله الانجيل على المسيح . وكان المسيح من

(١) ليس فى التوراة آية نبوءات عن عيسى عليه السلام .

ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة ، وبأسمها تسمى من اتبعه نصارى (١) . وكما يجب أن يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذا يجب أن يكون استعلائه من جبال فاران : انزاله القران على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وجبال فاران هي جبال مكة » قال : « وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة . فان ادعوا أنها غير مكة وليس ينكر ذلك من تحريفهم وأفكهم ، قلنا : أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ . وقلنا لهم : دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبى الذى أنزل عليه كتابا بعد المسيح ؟ أو ليس استعلن . وعلن بمعنى واحد : وهما ظهر وانكشف . فهل تعلمون ديننا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها ؟ فبينوه . وساعير جبل بالشام ومنه ظهور نبوة المسيح ، والى جانبه قرية بيت لحم القرية التى ولد فيها المسيح تسمى اليوم ساعير ، ولها جبال يسمى ساعير . وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكنا بساعير ، وأمر الله موسى أن لا يؤذيه » .

قال شيخ الاسلام بن تيمية : « وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال

الثلاثة ، حراء الذى ليس حول مكة أعلى منه ، وفيه ابتدئ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغزول الوحي عليه ، وحولها جبال كثيرة . وذلك المكان يسمى فاران . ولا يمكن أحدا أن يدعى أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأماكن ولا بعث نبى فعلم أنه ليس المراد باستعلائه من جبال فاران الا ارسال محمد ﷺ وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني . وهذه الكتب نور الله وهدايته . وقال في الأول : جاء وفي الثانى أشرق ، وفي الثالث استعلن ، فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر ، ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ، ونزول القرآن مثل ظهور الشمس في السماء .

(١) هم سموا نصارى من كلمة عبرانية هي « هانصرى » اطلقها اليهود على عيسى عليه السلام .

ونقل ابن القيم أن في ترجمة نبوة حبقوق ما نصه « جاء الله من
الأمين وظهر ببيت المقدس ، والقدوس على جبال فاران ، وامت سالت
الأرض من تحميد أحمد ، وملك بيمينه رقاب الأمم وأنارت الأرض
لنوره ، وحملت خيله في البحر » .

قال ابن قتيبة : « وزادني بعض أهل الكتاب : » وستنزع في
قسيسك اغراقا وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء « وهذا افصح
باسمه وصفاته . فان ادعوا أنه غيره فمن أحمد هذا الذي امتلأت
الأرض من تحميده ، والذي جاء من جبال فاران ، فملك رقاب الأمم .

ولننقل لك من النسخ الأخرى حتى تعرف اختلاف نسخهم أيضا :

قال : في النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٨٢٧ « فقال جاء
الرب من سينا ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلا من جبل فاران ، وأتى
من ربوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهم » انتهى . وهذه
متضمنة للنسبوات الثلاث نبوة موسى ونبوة عيسى ونبوة محمد
عليهم الصلاة والسلام فمجيئته من سينا وهو الجبل الذي كلم الله
تعالى عليه موسى ونبأه عليه اخبار عن نبوته وتجليه من ساعير : هو
مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساعير جبل بالشام منه ظهور نبوة
المسيح كما تقدم . وهذه بشارة بنبوة المسيح . وفاران هي مكة .
وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح وقلقه ونبوة المسيح بعدها
باشراقته وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلان لشمس وظهور
ضوءها في الأفاق ، ووضع الأمر كما أخبر به سواء ، فان الله سبحانه
صدع بنبوة موسى عليه السلام ليل الكثر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد
الضياء والاشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستطاع وطبق الأرض
بأنوار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال العلامة ابن القيم : « وذكر هذه النبوات الثلاث التي
اشتملت عليها هذه البشارة ، نظير ذكرها في أول سورة التين : « والتين
والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » فذكر أمكنة هؤلاء
الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها « والتين والزيتون » المراد به :
منبتهما وأرضهما وهي الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح عليه

السلام • « وطور سينين » الجبل الذى كلم الله سبحانه عليه موسى .
فهو مظهر نبوته • « وهذا البلد الأمين » مكة حرم الله تعالى وأمنه ،
التي هي مظهر نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهذه الثلاثة
نظير تلك الثلاثة سواء •

وقالت اليهود : فاران ليست أرض الحجاز بل هي أرض الشام •
وقالت النصرى في تفسير ساعير وفاران : جبلان بقرب جبل سيناء ،
كانا بازاء بنى اسرائيل حين اتاهم موسى بلوحى الشريعة نازلا من جبل
سيناء • قالوا فكان بنو اسرائيل يرون كأن الشريعة نزلت من جبل ساعير
وفاران • وليس هذا بيدع من بهتهم وتحريفهم وانكارهم للبيدييات •
وعندهم في التوراة في الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين في
بحث اسماعيل عليه السلام ما نصه : « وابن الأمة أيضا فانى سأجعله
لشعب عظيم لأنه زرعك » الى ان قال : « وكان الله معه ، ونمى وسكن
في البرية ، وصار شابا يرمى بالسهم ، وسكن بركة فران » انتهى •

ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن آل اسماعيل عليه
السلام فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران
وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل ، وتضمنت
انتشار أمته وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل كما سنذكره
ان شاء الله تعالى • ولم يبق بعد هذا شبهة أصلا أن هذه نبوة نبيينا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم التي نزلت بفاران ، على أشرف ولد
اسماعيل حتى ملأت الأرض سياء ونورا ، وملأ أتباعه السهل والجبل ،
ولا يكثر على الشعب الذين نطقت التوراة بأنهم عادمو الرأى والفطنة
أن ينقسموا الى جاهل بذلك وجاحد مكابر م اند • كما لفظ التوراة
فيهم : « انهم لشعب عادمو الرأى وليس فيهم فطنة » ويقال لهؤلاء
المكابرين : أى نبوة خرجت من الشام فاستعلنت استعلان ضياء
الشمس وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها ؟ وهل هذا الا بمنزلة مكابرة
من يرى الشمس قد طلعت من المشرق ، فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت
من المغرب ؟ •

واعلم : انه لا يصح أن يراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضا فانتشرت في هذه المواضع كما لا يخفى على كل ذي عقل سليم ، لأن الله سبحانه لو خلق نارا في موضع لا يقال جاء الله من ذلك الموضع ، الا اذا اتبع تلك الواقعة وحى ينزل في ذلك الموضع أو عقوبة أو ما اشبه ذلك وقد اعترفوا أن الموحى اتبع تلك في طور سيناء ، فكذلك لا بد أن يكون في ساعير وفاران ، بل هو في فاران أعظم ، لأنه قال : استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأظفار ، ولم يقل في سيناء وساعير كذلك • ولا شك أن نبوة نبينا أشرف ، ودعوته أعظم ورسالته أعم وبعثته أتم صلى الله تعالى عليه وسلم •

البشارة الثالثة : ما في الأصحاح السادس عشر والسابع عشر من سفر التكوين من التوراة وهو السفر الأول : إن الملك ظهر لهاجر أم اسماعيل فقال لها : « يا هاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدان ؟ » . فمما شرحت له الحال قال لها : « أرجعي ، واني سأكثر نسلك اكثرا ، ولا يحصى من كثرته » وقال لها : « انك حامل وستؤدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع تعبدك ، وولدك يكون وحشى الناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة اليه بالخضوع » وقال لبراهيم : « وعلى اسماعيل استجبت لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدا فسيلد اثنى عشر رئيسا ، وأجعل له شعب كبير » انتهى • وهذه بشارة تضمنت أن يبد ابنها على يد الخلائق وأن كلمته هي العليا وأن أيدى الخلق تحت يده فمن هو هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟ وقوله : « لشعب كبير » يشير الى نبينا أيضا لأنه لم يكن في ولد اسماعيل من كان لشعب كبير غيره ، اذ المراد بهذا كله الخارج من نسل اسماعيل فانه هو الذى عظمه الله جدا جدا ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى عليه وسلم فأمنه ملأوا الآفاق وأربوا في الكثرة على نسل اسحاق •

وقد قال الله تعالى ناقلًا دعاء ابراهيم واسماعيل في حقه عليهم

السلام في كلامه المجيد أيضا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ومن تدبر هذه البشارات جزم بأن المراد بها رسول الله ﷺ لأن اسماعيل لم تكن يده فوق يد اسحاق قط، ولا كانت يد اسحاق مبسوطة اليه بالخضوع ، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في ولد اسرائيل والعيص (١) ، وهم أبناء اسحاق فاما بعث رسول الله ﷺ انتقلت النبوة الى ولد اسماعيل ودانت له الأمم وخضعت له الملوك شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وجعل خلافة الملك الى أهل بيت اسماعيل وصارت أيديهم فوق الجميع مبسوطة اليهم بالخضوع .

البشارة الرابعة : ما في الاصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٧٧٢ وسنة ١٨٤١ ما نصه : « ولا يزول القضيبي من يهوذا والمدير من فخذه ، حتى يجيء الذى له الكل ، وإياه تنتظر الأمم يربط بالكرمة جحشه ، يا ابنتى * والى دالية الكرمة أتانها ، يغسل بالخمير حلته وبدم العنب ردائه ، عيناه من الخمير متباشرة ، وأسنانه أبيض من اللبن » انتهى بحروفه وفي الترجمة المطبوعة سنة ١٨٧٢ في بيروت ما نصه : « لا يزول قضيبي من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب ، رابط بالكرامة جحشه ، وبالجفنة ابن أتانها * غسل بالخمير لباسه وبدم العنب ثوبه مسود العينين من الخمير ومبيض الأسنان من اللبن » وفي الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فلا يزول القضيبي من يهوذا والرسم من ثلث أمره الى أن يجيء الذى هو له ، واليه تجتمع الشعوب » . ولفظ « الذى له الكل » أو « الذى هو له » ترجمة لفظ « شيلون » وفي ترجمة هذا اللفظ اختلافا كثيرا ما بينهم * وفي الرسالة البادية هكذا : « لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجيء الذى له ، واليه تجتمع الشعوب » .

(١) المراد بالنبوة : النبوة التى تصحبها شريعة ، لا النبوة بدون شريعة . وموسى كان هو النبى المشرع في بنى اسرائيل ومثله محمد في بنى اسماعيل . ومن نسل عيصو ليس نبى مشرع .

وفي هذه الآية دلالة على مجيء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تمام حكم موسى وعيسى لأن المراد من الحاكم هو موسى ، لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الى زمان موسى الا موسى عليه السلام ، والمراد من الراسم هو عيسى عليه السلام لأنه بعد موسى الى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة الا عيسى ، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة الا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فعلم أن المراد من قول يعقوب هذا : نبينا عليه الصلاة والسلام لذل من أنصف نفسه ولم يكبر حسه . وفي النسخة المصححة المعتبرة عند : الكاثوليك التي طبعت في الموصل سنة ١٨٧٥ ما نصه : « لا يزول القضيب من يهوذا ، والمخير من بين رجليه ، حتى يجيء الذي له وله يكون خضوع الشعوب ، يربط بالكرمة جحشه ، وبالجفنة ابن أثنائه ، غسل بالخمر حلته ، وبدم العنب رداءه ، عيناه من الخمر مسودة وأسنانه مبيضة من اللبن » انتهى بحروفه .

وكتب علماء النصارى المصححون لهذه النسخة تفسير هذه الآيات تحتها . وذلك قولهم على قوله يربط الخ ما نصه : المعنى الحرفى هو عن يهوذا من حيث هو يكون كراما ماهرا ، والمعنى الرمزي : هو عن المسيح المذكور فى الآية السابقة من حيث يضم بالكرمة أى بكنيسة الشعوب . جحشه : أى أمة اليهود . وعلى قوله بدم العنب رداءه : أى خضب جسمه وفديت كنيسته بدمه والكلام على المسيح . وعلى قوله عيناه الخ أو عيناه أكثر سوادا من الخمر وأسنانه أكثر بياضا من اللبن . انتهى بحروفه .

فانظر الى اختلاف توراتهم التى يتمسكون بها . ففي كل نسخة من نسخهم المطبوعة خلاف ما فى النسخة الأخرى ولم تجتمع نسختان على كلام واحد ، مع أن هذه النسخ جميعها محرر فيها : أن هذه النسخة هى التى اجتمع العلماء على تصحيحها وما عداها محرف مغير بالزيادة والنقصان . وفى كل بلدة وسنة يطبعون فيها يغيرون ويبدلون حتى الآن وهذه الآيات اتى حررتها لك بين يداك . فانظر فيها . فهل تجد نسخة توافق الأخرى ؟ ولا سيما لفظ « شياون » الذى زيدوه فى

النسخة الى طبعت في بيروت ، ليوهما أنه المسيح ، مع أنه في بقية النسخ المصححة عندهم ليس فيها شيلون . وانظر الى تفسيرهم المتقدم والخطب فيه . فان الآية الأولى التي قبل هذه الآيات ما نصه : « يهوذا لك يحمد اخونك ويدك على قفا أعدائك يسجد لك بنو أبيك » انتهى . فقالوا في تفسيرها تحتها مانصه : « بنو أبيك أى جميع اخوتك . وفى ذلك رمز الى يسوع المسيح الذى هو من نسل يهوذا ، الذى سجدت له كل القبائل والشعوب » انتهى .

فيقال لهم اذا كان المسيح من نسل يهوذا فكيف يكون هو المراد من الموعودية لأن معنى الآية كما هو ظاهر لكل من له عقل ان الحكم لا يزول من يهوذا ولا من الذى هو من نسله حتى يجيء الذى له الكل وله خضوع الشعوب ، أى فاذا جاء ذلك الشخص ، فحينئذ لا يكون المدبر والحاكم من نسل يهوذا ، وعيسى داخل فى انه لا يكون مدبرا حينئذ ، لأنه من نسل يهوذا (١) كما اعترف هؤلاء المفسرون بأن هذا الاله المعبود من نسل يهوذا بن يعقوب .

وبقى : فى هذه الآية كلام طويل يقوى الاستدلال بها على نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، من أراده فليرجع الى اظهار الحق لصاحبنا العلامة سلمه الله تعالى .

البشارة الخامسة : الآية الحادية والعشرون من الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع المسمى أيضا بسفر الاستثناء من التوراة ما نصه : « هم أغارونى » بغير اله وأغضبونى بمعبوداتهم

(١) اعلم : أن عيسى عليه السلام يهودى من جهة الأم . وإمه من نسل هرون . وهرون من سبط لاوى . وقد غير النصارى نسبه الشريف من هرون الى داود . ليقولوا : انه هو النبى المنتظر من آل داود . لأن العبرانيين زعموا ذلك من سبى بابل . وقد دل لوقا على هرون : اذ قال : ان مريم قريبة لا ليصابات واليصابات من بنات هرون . فلقرابتها لها تكون هارونية مثلها . لأن شريعة التوراة فى سفر العدد تلزم كل امرأة يهودية ان تتزوج فى سبطها اذا ارادت الزواج من يهودى . وقد بينا هذا فى كتابنا « البشارة بغنى الاسلام فى التوراة والانجيل » .

الباطلة ، وأنا أيضا أغيرهم بغير شعب ، وبشعب جاهل اغضبتهم »
انتهى . اذ المراد — كما لا يخفى على كل نبيه عارف — أن المراد بالشعب
الجاهل هم العرب ، لأنهم كانوا قبل الاسلام فى غاية الجهل والضلال ،
وأهل البدو والجفاء ، وما كان عندهم من العلوم الشرعية ولا العلوم
العقلية شىء يعتد به بالنسبة إلى أهل الكتابين ، وما كانوا يعرفون
سوى عبادة الأوثان والأصنام وكانت اليهود تستحقهم لانهم من
أولاد الجارية هاجر لأن اسمعيل منها ، وهم من أولاد سارة لأن
اسحاق منها وسارة ابنة (١) عم سيدنا ابراهيم عليه السلام .

والظاهر من الآية : أن بنى اسرائيل أغارونى بعبادة المعبودات
الباطلة ، فأنا أغيرهم باصطفاء الذين هم عند بنى اسرائيل محقرون
وجاهلون فأوفى سبحانه بما وعد وبعث فى الأميين رسولا منهم يتلو
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل
لفى ضلال مبین .

وأما من يزعم أن الشعب الجاهل هم اليونان ، فكلام ساقط
عن الاعتبار كما لا يخفى على من سبر أحوال القوم وتتبع الأخبار
من ذوى الأنظار .

البشارة السادسة : ما فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا
المطبع سنة ١٨٤١ فى لندن ما نصه : « وأنا أطلب من الآب فيعطيك
فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبدروح الحق الذى لن يطيق العالم
أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم
وهو ثابت فيكم ، لست أدعكم يثامى ، انى سوف أجيئكم عن قليل ،
والمالم ليس يرونى ، وأنتم ترونى ، اننى حى وأنتم تحيون . فى
ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فى ، وأنا فيكم . من كانت
عنده وصاياى وحفظها . ذلك هو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه
أبى ، وأنا أحبه واظهر له نفسى قال له يهوذا — وليس ذلك

(١) فى التوراة انها أخته . وكان نكاح الأخت جائزا الى زمان موسى
غايه السلام .

الا سخريوطى — يا سيدى أى شىء كان انك تظهر لنا نفسك وليس للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له من يحببنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه واليه نأتى وعنده نضع منزلا ، ومن لا يحببنى ليس يحفظ كلامى • وكلمتى التى سمعتموها ليست لى ، بل للآب الذى أرسلنى ، كلمتكم بهذا مقيما عنكم ، والفار قليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو الذى يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم • السلام أستودعكم ، سلامى أعطىكم ، لست أعطىكم كما أمنح العالم ، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع • قد سمعتم أنى قلت لكم : اننى ماضى وآت اليكم • لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بمضيتى الى الآب، لأن الآب أعظم منى، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنوا، من الآن لا أكلمكم كثيرا ، لأن أركون هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ، وليكن ليعلم العالم أننى أحب الآب • وكما أوصانى الآب كذلك أفعل قوموا ننطلق من هنا » انتهى بحروفه •

وفى اخر الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا أيضا ما نصه : « فأما اذا جاء الفار قليط الذى أرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق ، هو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون ، لأنكم معى من الابتداء » انتهى بحروفه •

وقال أيضا فى الاصحاح السادس عشر ما نصه : « والآن فانى منطلق الى من أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى الى أين تذهب ؟ بل لأننى قلت لكم هذه ، فالكأبة ملأت قلوبكم ، لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لأئنى ان لم انطلق لم يأتكم الفار قليط • فأما ان انطلقت أرسلته اليكم ، فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم •

أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى • وأما على البر ، فلأننى منطلق الى الآب ، ولستم تروننى بعد •

وأما على الحكم ، فان أركون هذا العالم قد دين ، وان لى كلاما كثيرا أقسوله لكم ، ولستكم لستم تطيقون حمله الآن ، واذا جاء روح

الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سرائى ، وهو يمجدى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم ، جميع ما هو للآب فهو لى فمن أجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ ويخبركم • قليلا ولا ترونى وقليلا أيضا وترونى ، لأننى منطلق الى الآب » انتهى بحروفه •

وهذه الآيات الانجيلية بشارة صريحة فى الرسالة الأحمدية ، وقبل شرحها نذكر شيئا يلزم التنبيه عليه :

أولا : هو أن أهل الكتابين قد حرفوا وبدلوا وأولوا فى الكتب التى بأيديهم كما تحب نفوسهم وتشتئى أهواؤهم ، حتى أنهم كلما طبعوا شيئا من العهد القديم والجديد ، ترى تغيير الطبع الثانى عن الذى قبله بتتقيص وتزييد • كما يعرفه عنهم كل من تضلع فى مطالعهم كتبهم وتتبع مختلف تراجمهم ومراجع دواوين الاسلام التى فى ردهم وسنين كثيرا من ذلك فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى فى محله • ولم يكتفوا بجميع ذلك حتى خطبوا خبط عشواء فى تراجم الكتب السماوية ، لأن التوراة والانجيل وما يتبعهما كانت باللسان العبرانى ، فترجمت باليونانى ثم بالسرمانى ثم بالعربية والفارسية والهندية والتركية وغير ذلك من اللسان ، فتراهم كثيرا ما يترجمون الأسماء بما يظنونه مطابقا ، ويوردون بدلها ما يقرب من معانيها ، ويزيدون تارة شيئا بطريق التفسير فى الكلام الذى هو كلام الله سبحانه بزعمهم ، ولا يشيرون الى تمييز كلامهم عن الكلام المنسوب للبارى سبحانه • وهذا الحال صار عندهم من الأمور العادية •

ولنذكر لك الآن مثالا واحدا لتجعله ميزانا لما قلنا ومعيار لما زبرنا • وذلك هذه البشارة التى ذكرناها لك آتفا التى نقلناها من انجيلهم المطبوع فى لندن سنة ١٨٤١ مسيحية • وبين ما أنقله لك الآن من النسخة التى طبعوها فى بيروت سنة ١٨٧٢ حتى تنظر الى الاختلاف الذى بين هاتين النسختين ، وتجعله مقياسا عاما • قال فى الاصحاح

الرابع عشر ما نصه : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم لا أترككم يتامى انى آتى اليكم • بعد قليل لا يرانى العالم أيضا • وأما أنتم فتروننى ، انى أنا حى فأنتم ستحيون • فى ذلك اليوم تعلمون انى اذا فى أبى وأنتم فى وأنا فيكم الذى عنده وصاىا ويحفظها فهو الذى يحبنى • والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى • قال له يهوذا ليس الاسخريوطى ياسيد ماذا حدث حتى أنك مزمغ أن تظهر ذاك لنا وليس للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له : ان أحببى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلا • الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى • والكلام الذى تسمعون ليس لى بل للآب الذى أرسلنى بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ، سلاما أترك لكم ، ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا ، لا تضطرب قلوبكم ولا تترهب • سمعتم انى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى اليكم • لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون ، لأنى قلت : أمضى الى الآب ، لأن أبى أعظم منى • وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون • لا أتكم أيضا معكم كثيرا ، لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ولكن ليفهم للعالم انى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل • قوموا ننطلق من ههنا » انتهى بحروفه •

وفى آخر الاصحاح الخامس عشر ما نصه : « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » انتهى بحروفه •

وقد ساق الشيخ الفاضل رحمت الله شيئا كثيرا مما تصرفوا فيه بالتراجم المختلفة ، فمن اراد التفصيل فليبه بكتابه • ولعلنا ننقل شيئا منه فى محل يناسبه ان شاء الله تعالى •

فاذا كان الأمر كذلك فلا غزو إذا بدلوا شيئاً من العبارات المصرحة
ببعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأولوها على ما تشتهيهم
أهواؤهم • فمن ذلك أن اسم المبشر به : ترجم في الانجيل باليوناني
بحسب عادتهم ، ثم مترجمو العربية عربو اللفظ اليوناني بفارقليط •
قال في اظهار الحق : « وقد وصلت الى رسالة صغيرة في لسان
أوردواى الهند من رسائل القسيسين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين
من الهجرة • وكانت هذه الرسالة طبعت في كلكتة على تحقيق لفظ
فارقليط ، وادعى مؤلفها أن مقصوده تنبيه المسلمين على سبب وقوعهم
في الخلط من لفظ فارقليط ومخلص كلامه : أن هذا اللفظ معرب من لفظ
يوناني • قال فان قلنا : ان هذا اللفظ اليوناني الأصل « باراكلى طوس »
فيكون بمعنى المعزى والاعين والوكيل • وان قلنا : ان اللفظ اليوناني الأصل
« بيركلوطوس » فيكون قريباً من معنى محمد وأحمد • فمن استدل
من علماء الاسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ اليوناني الأصل
« بيركلوطوس » ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد • فدعى أن
عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد ، لكن الصحيح أنه « ياراكلى
طوس » انتهى ملخصاً من كلامه •

وأنت تعلم أن هذا التفاوت بين هذين اللفظين يسير جداً ، وأن
الحروف اليونانية كانت متشابهة فتبدل « بيركلوطوس » بـ « باراكلى
طوس » في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس •
ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الآخر •

ومن علم بأحوال هذه المسئلة ونظر بنظر الانصاف ، اعتقد يقيناً
بأن تبدل هذا وتحريفه من عباد الصليب غير بعيد ، بل هو من الأمور
التي تستحسنها أهل ديانتهم وتتقرب بها الى المسيح علماء ملتهم (١) •
قال أبو محمد ابن قتيبة : « وهذه الألفاظ على اختلافها متقاربة

(١) أعلم : ان عيسى عليه السلام كما روى عنه في الانجيل الأربعة
وانجيل برنابا كان يذكر النص من نصوص نبوءات التوراة أو أسفار
الأنبياء عن محمد صلى الله عليه وسلم ويستشهد به ويفسره على محمد
ﷺ . كانت هذه هي طريقته : ذكر نص التوراة أو أسفار الأنبياء عن

= النبي المنتظر ، ثم يقول هذا النص يدل على مجيء محمد رسول الله ، ثم يفسره التفسير الصحيح ، فيدل عليه .
والمسلمون لم ينتبهوا الى هذه الطريقة فقد اخذوا كل نص في الانجيل على حده ، ولم يربطوه بمثيله ، ولم يربطوه بالتوراة : فخرج كلامهم من حد الالتزام والانحياز .

وهذه هي طريقة عيسى عليه السلام :
أولاً : أخذ نصاً من سفر دانيال — وهو من اسفار الانبياء — يدل على قيام أربع ممالك على الأرض . وبعد المملكة الرابعة يقوم ملك الهى على الأرض . وهذا النص موجود في الاصحاح الثانى والسابع . ثم قال لبنى اسرائيل : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » الذى أنبا عن ظهوره دانيال بعد .
١ — بابل ٢ — وفارس ٣ — واليونان ٤ — والروم .
وهذه هي طريقة يحيى عليه السلام أيضاً المسمى ببوحنا المعدادان .
فقد قال كما قال عيسى بالحرف الواحد : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » .

ثم ان عيسى عليه السلام ذكر أمثلة كثيرة منها مثل ذكره الله في القرآن الكريم في سورة الفتح وهو موجود في متى ومرقس ولوقا .
ثانياً : أخذ من مزامير داود عليه السلام نصوصاً كثيرة وطبقها على محمد ﷺ منها : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى اضع اعدائك موطئاً لقدميك » وهذا مذكور في متى ومرقس ولوقا . ومنها قول داود عن محمد ﷺ : « مبارك الاتى باسم الرب » في متى ومرقس ولوقا ومنها : « الحجر الذى رفضه البناعون قد صار رأساً للزاوية » في متى ومرقس ولوقا .

ثالثاً : أخذ من توراة موسى النص على بركة اسماعيل الموعود بهما ابراهيم وطبقها على محمد ﷺ كما روى عنه برنابا .
رابعاً : أخذ من سفر الزامير نبوءة الزمور الثانى وطبقها على محمد ﷺ كما روى عنه برنابا .
فعلى المسلمين ان يفعلوا هذه الطريقة فانها هي المزمرة لاهل الكتاب ، يهوداً ونصارى .

وقد وضحتها في الجزء الثانى من كتاب « البشارة بنبى الاسلام في التوراة والانجيل » وهى تدل على الانجيل الاصلى لعيسى عليه السلام .
فقد كان كله في هذه الطريقة ، مع وصاينا وتفسيرات لآيات في التوراة .
ثم أعلم : أن كثيرين من المسلمين قد أخطأوا في تفسير عبارات من كتب أهل الكتاب ومرد الخطأ هو الى عدم اطلاعهم على كتبهم ، وعلى تفاسير كتبهم . وقد اجتهدت في بيان الصواب دون أن أشير الى الخطأ . فإذا وجدت فرقاً في المعنى بين ما كتبه وما كتبه غيرى ؟ فإنه يمكنك المراجعة على كتب أهل الكتاب وعلى تفاسير لتلك الكتب . ومثال ذلك : موضوع « المسيا المنتظر » فقد أقرنت له كتاباً ، ورثبت الكتابة فيه . وبيئت أنه هو محمد رسول الله ﷺ . وفي نبوءة « بيركلييت » هذه ، فسر المؤلف رئيس العالم بغير ما يفسره به النصارى في كتبهم . فانهم يفسرونه بالشيطان . أما بيركلييت فهي اسم « أحمد » .

وانما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح صلوات الله تعالى عليه وسلامه
فى الانجيل من الحواريين عدة والفارقليط بلغتهم من ألفاظ الحمد ،
اما أحمد أو محمد أو حامد • ونحو ذلك • وهو فى الانجيل الحبشى
« برنقطيس » •

وقال ابن القيم : « وقد اختلف فى لغتهم — يعنى العبرانية —
فذكرنا فيه أقوالا ترجع إلى ثلاثة : أحدها : أنه الصامد أو الصامد أو
الحمد — كما تقدم — ورجحت طائفة هذا القول • قالوا الذى يقوم
عليه البرهان فى لغتهم أنه الحمد والدليل عليه : قول يوشع : « من
عمل حسنة تكون له فارقليط جيد » أى حمد جيد — والقول الثانى —
وعليه أكثر النصارى — أنه المخلص • والمسيح نفسه يسمونه المخلص •
قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص قالوا وهو بالسريانية فاروق
فجعل فاروق • قالوا : وليط كلمة تزايد ، ومعناها كمعنى قول العرب
رجل هو ، وحجر هو ، وفرس هو • قالوا : فكذلك معنى ليط فى
السريانية وقالت طائفة أخرى من النصارى : معناه بالسريانية المعز •
قالوا : وكذلك هو فى اللسان اليونانى •

ويعترض على هذين القولين : بأن المسيح لم تكن لغته سريانية
ولا يونانية بل عبرانية • واجيب عن هذا بأنه تكلم بالعبرانية والانجيل
انما أنزل باللغة العبرانية ، وترجم عنه بلغة السريانية والرومية
واليونانية وغيرها • وأكثر النصارى على أنه المخلص • والمسيح نفسه
يسمونه المخلص •

وفى الانجيل الذى بأيديهم أنه قال « انما أتيت لأخلص العالم »
والنصارى يقولون فى صلواتهم : لقد ولدت لنا مخلصا • ولما لم يمكن
لنصارى انكار هذه النصوص ، حرفوها أنواعا من التحريف بحيث
لا يخفى زيفه على من له أدنى تبصر وانتقاد ، وأقل فهم بمعانى الكلام
وبسياقه المراد • فمنهم من قال : هو روح نزلت على الحواريين • ومنهم
من قال : هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها

الآيات والعجائب • ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه ، لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوما أو كونه قام من قبره • ومنهم من قال : لا نعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه •

ومن تأمل ألفاظ الانجيل المتقدمة وسياقها ، أطلع على أن تفسيره بالروح باطل • وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية ، وأبطل منه تفسيره بالمسيح ، فان روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده • وليست موصوفة بهذه الصفات • وقد قال الله تعالى : « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم • أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » •

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين : « اللهم أيده بروح القدس » وأمثال هذا في الكتب السماوية كما ستسمعه ان شاء الله تعالى •

ولنبين المراد بفارقليط وهو النبي المبشر به أعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لا غيره ولا الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذي جاء ذكره في الاصحاح الثاني من سفر الأعمال وفتكلم على هذه الآيات المتقدمة من انجيل يوحنا وظهور دلالتها على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق بذلك ، ونذكر ثانيا شبهات المسيحيين والجواب عنها بوجوه لا تخفى صحتها على كل منصف •

غير أنا نذكر أمام ذلك مقدمة • وهى أنه من الأمور المعلومة لدى العلماء المسيحيين ان غير واحد من الناس بعد عيسى قبل ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام بمئات السنين ادعوا أنهم مصداق لفظ فارقليط الذى وعد عيسى عليه السلام • بمجيئه بعده • فمنهم منتسب المسيحى

الذى كان فى القرن الثانى من الميلاد وكان كثير الرياضة فانه ادعى فى قرب سنة سبع وسبعين ومائة من الميلاد الرسالة • وقال : انى أنا الفارقليط الموعود به الذى وعد بمجيئه عيسى عليه السلام وتبعه أناس كثيرون ، وذكر « وليم ميور » حاله وحال متبعيه فى القسم الثانى من الباب الثالث من تاريخه فى لسان أورد والمطبوع سنة ١٨٧٨ من الميلاد • وقال صاحب التواريخ : « ان اليهود والمسيحيين من معاصرى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا منتظرين لنبي فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم ، لأنه ادعى انه هو ذلك المنظر » انتهى •

فعلم من كلامه أيضا أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي فى زمان نبينا عليه الصلاة والسلام وهو الحق الظاهر لأن النجاشى ملك الحبشة وكان نصرانيا لما وصل اليه كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أشهد بالله أنه النبي الذى ينتظره أهل الكتاب وكتب الجواب وأسلم وكذا الموقدس مك التب • قال : قد علمت أن نبيا قد بتى • وكذا الجارود من علماء النصارى قال للنبي عليه الصلاة والسلام قد بشر بك ابن البتول • وغير هؤلاء •

والمقصود : أن الناس من أهل الكتابين كانوا منتظرين بعثة نبي لما علموه من ذكره فى كتبهم ، وأن الفارقليط سيأتى •

والنرجع الى ما نحن بصدد فنقول : لما كان اللفظ المبرانى الذى قاله عيسى عليه السلام منقادا ، واللفظ اليونانى الموجود هو رجمته فنترك البحث عن الأصل ، ونتكلم على هذا اللفظ اليونانى • فنقول : ان كان اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس » فالأمر ظاهر ، وتكون اشارة المسيح فى حق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بلفظ هو قريب من محمد وأحمد كما تقدم • وهذا وان كان قريب القياس بمتنقى عادتهم ، لكننا نترك هذا الطرف الراجح تنزلا ومما شاة لهم ، ونقول — كما يدعون — ان كان أصل هذا اللفظ اليونانى باراكلى طوس ، فهو أيضا لا ينافى الاستدلال على نبوة نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم لأن معناه المعزى والمعين واتوكيل ، على ما ادعى صاحب الرسالة المتقدم آنفا أو الشافع كما هو في الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وستة عشر مسيحية •

فكل هذه المعاني تصدق على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عند كل ذى فهم ترك التعصب وتدبر هذه الآيات وعلم سيرة نبينا وما ظهر على يديه من متواتر المعجزات • ويدل على ذلك وجوه •

الأول : ان عيسى عليه السلام قال أولا « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » ثم أخبر عن فارقليط ولا شك أن مقصوده عليه السلام هو أن يعتقد السامعون بأن ما يليق به بعد عليهم أمر ضرورى واجب الرعاية • فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار ، لما كانت الحاجة داعية الى هذه الفقرة لأنه لا يظن استبعاد الحوارين نزول الروح عنهم مرة أخرى ، لأنهم كانوا مستضيئين به من قبل أيضا ، لأنه اذا نزل على قلب أحد منهم وحل فيل يظهر أثره لا محالة ظهورا بينا فلا يتصور انكار لما تأثر منه • وليس ظهوره عندهم فى صورة يكون فيه مظنة الاستبعاد ، فهو اذن عبارة عن النبى المبشر به • وحقيقة الأمر عند من له قلب يفقه به : أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة لأحوال الناس ونظر بنور النبوة وأجرى القياس بأن أمته ربما ينكرون النبى المبشر به فى التوراة عند ظهوره ، أيقظهم لتلقى كلامه وأكد القبول لتعظيم مرامه بهذه الفقرة المحرضة على الحفظ والقبول • ثم أخبر عن مجيء ذلك لبنى اسرائيل •

الثانى : ان هذا الروح متحد بالآب مطلقا ، وبالأبن نظرا الى لاهوته اتحادا حقيقيا ، فلا يصدق فى حقه فارقليط آخر بخلاف النبى المبشر به ، فانه يصدق فى حقه هذا القول بلا تكلف •

الثالث : ان الوكالة والشفاعة من خواص النبوة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله ، فلا يصدقان على الروح ، ويصدقان على النبى المبشر به بلا تكلف • كما هو ظاهر •

الرابع ان عيسى عليه السلام قال : « هو يذكركم كل ما قلته لكم » ولم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام وأن هذا الروح النازل يوم ذكرهم اياه .

الخامس : ان عيسى عليه السلام قال : « هو يشهد لأجلى » وهذا الروح لم يشهد لأجله بين يدي أحد من التلاميذ وغيرهم . أما التلاميذ الذين نزل عليهم فلم يكونوا محتجين لشهادة ، لأنهم يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزول هذا الروح ، فأى فائدة بشهادته عندهم ؟ وأما غيرهم الذين هم منكرون ، فهم وان كانوا محتجين للشهادة غير أن الروح لم يشهد عندهم كما هو المعلوم من الأناجيل ومسلم لدى النصراني . فاذا أريد به سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مطابق للحال ، فانه شهد لأجل المسيح وصدق به رسالته وبرأه عن ادعاء الألوهية الذي هو أشد أنواع الكفر والضلال وبرأه أمه عن نهممة اليهود لها بالزنا . كما جاء كل ذلك في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

السادس : ان عيسى عليه السلام قال : « وتشهدون أذتم أيضا لأنكم معي من الابتداء » فلفظ « أيضا » موجود في النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٤ كما تقدم وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨٩٠ وفي التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٤٤ وفي ترجمة أردو أي الهندية المطبوعة سنة ١٨١٤ فسقطها من بعض النسخ اما عن سهو وأما عن تعمد، وهو الأقرب، لرداءة مقاصدهم لأن لفظ « أيضا » يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليطه فاو كان المراد به الروح لنازل بهم الدار ، لما وجدت مغايرة للشهادتين ، لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين ، لأن شهادته هي عين شهادتهم ، لأن هذا الروح مع كونه بزعمهم الها متحد بالله اتحادا حقيقيا برأ من النزول والحلول والاستقرار والشكل التي هي من عوارض الجسم والجسمانيات ، نزل مثل ريح عاصفة وظهر في أشكال ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم يوم إدار ، فكان حالهم كحال من تلبس به الجن ، فكما أن قول الجن يكون

قوله في تلك الحالة ، فكذا كانت شهادة الروح هي عين شهادة الحواريين ، فلا يصح حينئذ هذا القول ، بخلاف ما اذا كان المراد به النبي المبشر به ، فان شهادته غير شهادة الحواريين كما لا يخفى .

السابع : ان عيسى عليه السلام قال : « ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط » . فأما ان انطلقت أرسلته اليكم « فعلق مجيئه بذهابه » وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره لما أرسلهم الى البلاد الاسرائيلية ، فلا يكون مرادا بالفارقليط ، بل المراد به شخص لم يستفص منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده . وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى . وما كان كذلك الا نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام لأن وجود رسولين ذوي شريعتين مستقلتين في زمان واحد غير واقع وغير جائز ، بخلاف ما اذا كان الثاني حاكما بشريعة الأول أو كان كل من الرسل مطيعا لشريعة واحدة ، فانه اذ ذاك يجوز تعددهم ، كما وقع بين زمان موسى وعيسى عليهما السلام .

الثامن : ان قول عيسى عليه السلام « يوبخ العالم » بمنزلة النص الجلي على نبوة نبينا خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كما هو معلوم وفي صحائف الأعصار مرسوم ، ولا ينكره الا متجاهل محروم ، تد وبخ العالم . ولا سيما اليهود على عدم ايمانهم بعيسى ، رميهم له بما هو برئ منه وكذا توبيخه للنصارى على أقوالهم الباطلة فيه . فهو صلى الله تعالى عليه وسلم الموبخ للأمم حتى يقوم ابنه المهدي (١) مع عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كذلك الروح النازل يوم الدار ، فان توبيخه لم يسمع لأحد من المؤمنين بعيسى أو الكفار والحواريون لم يصدر منهم أيضا توبيخ بعد نزوله ، لأنهم كانوا يدعون الى الملة بالوعظ والترغيب ، كما هو مسلم عند كل ذي فهم لبيب .

ومما يضحك الأطفال ما قاله القسيس راتكين في كتابه المسمى دافع البهتان الذي أنفه في لسان الأردو : « ان لفظ التوبيخ لا يوجد في

(١) نزول المهدي وعيسى آخر الزمان ثابت بأحاديث آحاد .

الانجيل ولا في ترجمة من تراجمه • قال : وانما ذكره المسلمون ليصدق على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم صدقا بينا لأن محمداً ويخ وهدد كثيراً » انتهى •

فنسخ الانجيل المترجمة قد ملأت العالم ولفظ يوبخ أو يبيكت موجود فيها • فكيف يقال : ان المسلمين تقولوا ذلك فهل هذا الا انكار للشمس في رابعة النهار ؟ فهذه الترجمة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ والمطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ والمطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٧٥ وفي التراجم الفارسية المتعددة الأطبع أيضا فانكار وجود يوبخ أو يبيكت الذى هو بمعناه في التراجم العربية وغيرها دليل على حماقة هذا القسيس ، لانكاره للبديهيّات ، ولا عجب في ذلك من علماء البروتستانت فكم أنكروا البديهيّات وحرفوا وبدلوا في النسخ المطبوعات والآلن كلما طبعوا شيئا من أنجيلهم وتوراتهم وسائر كتبهم غيرا وبدلوا وحرفوا وزيدوا ونقصوا ، كما نبهناك عليه غير مرة • وهذا شيء بالعيان لا يمكن لأحد انكاره ، حتى أن في هذه الأيام مترجمى العربية والفارسية وأوردوا تركو اللفظ فارقليط من تراجمهم للانجيل لشهرته عند المسلمين في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » •

التاسع : قول عيسى عليه السلام : « أما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى » وهذا يدل على أن فارقليط يظهر على منكرى عيسى موبخا لهم على عدم ايمانهم به ، والروح الذى نزل من السماء يوم الدار لم يظهر للناس موبخا • كما لا يخفى •

العاشر : ان عيسى عليه السلام قال : « ان لى كلاما كثيرا ، أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن » وهذا ينافى ارادة الروح النازل يوم الدار لانه ما زاد حكما على أحكام عيسى ، لأنه على زعم

أهل التثليث كان قد أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله . فأى أمر حصل لهم أزيد من أقواله الى قتالها لهم الى زمان صعوده ؟ نعم بعد نزول هذا الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة التى هى ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة فى الأصحاح المتمم عشرين من سفر الخروج ، وأحلوا جميع المحرمات . وهذا الأمر لا يجوز فى حقه أن يقال : انهم ما كانوا يستطيعون حمله ، لأنهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذى هو أعظم أحكام التوراة الذى كان اليهود ينكرون كون عيسى عليه السلام مسيحا موعودا به ، لأجل عدم مراعاته هذا الحكم فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهم نعم قبول زيادة الأحكام لأجل ضعف الايمان وضعف القوة الى زمان صعوده كما يعترف به علماء اليهودية كانت خارجا عن استطاعتهم ، فظهر أن المراد بفارقليط نبي تزايد فى شريعته أحكام بالنسبة الى الشريعة العيسوية ، ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء ، وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

الحادى عشر : ان عيسى عليه السلام قال : « ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » وهذا يدل على أن فارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل ، فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقته ، فقبل هذا القول . ولا مجال لظنفة التكذيب للروح النازل يوم الدار ، على أن هذا الروح عندهم عين الله . فلا معنى حينئذ لقوله : « بل يتكلم بما يسمع » .

وأما اذا أريد به أن نبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مظنة التكذيب ، وليس هو عين الله تعالى . فلذا دافع ذلك بقوله : « ليس ينطق من عنده » الخ . أى فهو يتكلم بما يوحى اليه كما قال سبحانه فى القرآن الكريم : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وقال تعالى : « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، أن أتبع الا ما يوحى الى » .

الثاني عشر ان عيسى عليه السلام قال : « انه يأخذ مما هو لى » وهذا لا يصدق على الروح لأنه عند أهل التثليث قديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال منتظر بل كل كمال من كمالاته حاصل له بالفعل ، فلا بد أن يكون الموعود به ن جنس الذى يكون له كمال منتظر ، ولما كان هذا الكلام موهما أن يكون هذا النبى مطيعا لشريعته ، دفعه فيما بعد بقوله : « جميع ما تلاب فهو لى فلاجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ » يعنى أن كل شىء يحصل لفارقليط من الله ، فاكته يحصل منى • كما أشتهر : « من كان لله كان الله له » فلاجل هذا قلت : « ان مما هو لى يأخذ » انتهى من اظهار الحق ملخصا •

فصل :

بل وصل :

واذا علمت أن الفارقليط ليس هو الروح لوصفه بصفات لا تناسب هذا الروح ، وأنه ليس المراد به الألسن النارية لبداهة فسادة • ولا هو عيسى عليه السلام فاسمع ما قال ابن القيم : « انه أراد به نبينا عليه الصلاة والسلام لانه وصف الفارقليط بصفات تناسب رجالا يأتى بعده نظيرا له لأنه قال : « يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الأبد » فقلوه اخر دل على أنه ثان لأول كان قبله ، وأنه لم يكن معهم فى حياة المسيح وانما يكون بعد ذهابه وتولية عنهم •

وأیضا : فانه قال : « يثبت معكم الى الأبد » وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر • ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته ، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره •

والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد • وهذا يبين ان الثانى صاحب شرع لا ينسخ ، بل يبقى الى الأبد بخلاف الأول ، وهذا انما ينطبق عند كل ذى لب على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وأيضا فانه أخبر كما نقلناه فى الآيات المتقدمة أن هذا الفارقليط الذى أخبر به يشهد له ويعلمهم كل شىء ، وأنه يذكرهم كل

ما قال المسيح ، وأنه يوبخ العالم على خطيئته • فهذه الصفات والنعوت التى فى الآيات لا تطبق على أمر معنوى يكون فى قلب بعض الناس وانما تنطبق على من يسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ويعلمهم ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ويوبخ العالم ويرشد الناس الى الحق ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتى ، ويعرفهم جميع ما للرب العالمين • وهذا لا يكون ملكا لا يراه أحد ولا يكون هدى وعلم فى قلب بعض الناس • لا يكون الا انسانا عظيم القدر يخاطب الناس بما أخبر به المسيح • وهذا لا يكون الا بشرا رسولا بل يكون أعظم من المسيح ، فان المسيح أخبر أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتى وبما يستحقه الرب حيث قال : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للأب » فلا يستريب عاقل أن هذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الاخبار عن الله تعالى بما هو متصف من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته ، وعما أعده فى الجنة لأوليائه وفى النار لأعدائه أمر لا يحتمل عقول أكثر الناس معرفته على التفصيل » •

وقال على كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » وقال ابن مسعود : « ما من رجل يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم » فقال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله » وهو الصادق المصدوق • ولهذا ليس فى الانجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر الا أمور مجملة ، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة ، مع أن موسى عليه السلام كان قد مهد الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد

قال لهم المسيح : « أن لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله » ثم قال : « ولكن اذا جاء روح الحق فذلك الذى يرشدكم الى جميع الحق ، وأنه يخبركم بكل ما يأتى وجميع ما للرب » فدل هذا على أن الفارقليط هو الذى يفعل هذا دون المسيح ، وكذلك كان . فان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أرشد الناس الى جميع الحق ، حتى أكمل الله تعالى به الدين ، وأنتم به الأنعمة . ولهذا كان خاتم الانبياء ، فانه لم يبق شىء يأتى به غيره ، وأخبر محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما يأتى من أشراط الساعة والقيامة والحساب والمصراط ووزن الأعمال والجنة وأنواع نعيمها والنار وأنواع عذابها ولهذا كان فى القرآن العظيم من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى أمور كثيرة لا توجد فى التوراة ولا فى الانجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : انه يخبر بكل ما يأتى . وذلك يتضمن صدق المسيح وصدق محمد عليهما الصلاة والسلام .

وهذا معنى قوله تعالى : « أنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . ويقولون : ءأ لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ؟ بل جاء بالحق وصدق المرسلين » أى مجيئه تصديق للرسل قبله ، فانهم أخبروا بمجيئه فجاء كما أخبروا به فتضمن مجيئه تصديقهم ، ثم شهد هو بصدقهم ، فصدقهم بقوله ومجيئه صلى الله عليه وسلم ، فأخبر من الأمور التى تأتى فى المستقبل بما لم يأت به نبي من الأنبياء كما نعت به المسيح حيث قال : « انه يخبركم بكل ما يأتى » ولا يوجد مثل هذا أصلا عن أحد من الأنبياء قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عن أن يوجد فى شىء أنزل على قلب بعض الحواريين كما هو ظاهر لكل منصف ومطلع على الكتب السماوية .

وأينضا فانه قال : « ويعرفكم جميع ما للرب » فبين انه يعرف الناس جميع ما لله تعالى وذلك يتناول ما لله سبحانه من الاسماء والصفات ، وما له من الحقوق وما يجب من الايمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما يأتى به جامعا لما يستحقه الرب وهذا لم يأت

به غير نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة •

هذا كله وأيضا : فان المسيح قال : « اذا جاء الفارقليط الذى أرسله أبى فهو يشهد لى • قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به • فأخبر أنه شهد له • وهذه صفة نبي بشر به المسيح ، ويشهد للمسيح كما قال تعالى : « واذا قال عيسى ابن مريم : يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا أيضا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين ، فانهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه • فكيف يقول اذا جاء فانه يشهد لى ويوصيهم بالايمان به ؟ افترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح ؟ فهذا من أعظم جهل النصارى وضلالهم •

وأيضا : فانه لم يوجد أحد وبخ العالم على الخطيئة الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الآمر والفسوق والعصيان ، ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهى ، بل وبخهم وقرعهم وتهدهم • وأيضا : فانه أخبر أنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع • وهذا اخبار بأن كل ما يتكلم به فهو شيء يسمعه ليس هو شيئا تعلمه من الناس أو عرشفه باستنباطه • وهذه خاصة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وأما المسيح عليه السلام فكان عنده علم ما جاء به موسى قبله يشاركه به أهل الكتاب تلقاه عن قبله ، ثم جاء وحى خاص من الله تعالى فوق ما كان عنده • قال تعالى : « ويعمله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » فأخبر سبحانه انه يعلمه التوراة وزاده تعليم الانجيل الذى اختص به والكتاب الذى هو الكتابة ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعلم قبل الوحى شيئا من ذلك البتة ، ولم يكن ينطق من تلقاء نفسه ، كما قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » وهذا

مطابق لقول المسيح « انه لا يتكلم من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بما يوحى اليه » فالله تعالى أمره أن يبلغ ما أنزل اليه وضمن له العصمة في تبليغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس الى جميع الحق ، وألقى الى الناس ما لم يكن غيره من الأنبياء القاء ، خوفا أن يقتله قومه •

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده وأنهم لا يطيقون حمله ، وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم إذا أخبرهم بحقائق الأمور وسيدنا محمد ﷺ أيده الله سبحانه وتعالى تأييدا لم يؤيده لغيره ، فعصمه من الناس ، حتى لم يخف من شيء يقوله ، وأعطاه من البيان والعلم وعموم الرسالة ، ودخول الناس في دينه أفواجا أفواجا بأقصر زمان ما لم يؤت غيره ، فالكتاب الذي بعث به : فيه من بيان حقائق الغيب ما ليس في كتاب غيره وقد حفظ عن الزيادة والنقصان والتحريف ، بخلاف غيره كما سنذكره مفصلا في محله ان شاء الله تعالى ، وأيد أمته تأييد طاقت به حمل ما ألقاه اليوم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، ولا كأهل الانجيل الذين قال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله » •

ولا ريب أن أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل عقولا وأعظم ايمانا وأتم تصديقا وجهادا • ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية ، وايمانهم أعظم وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم • وأيضا : فإنه أخبر عن الفارقليط أنه يشهد له ، وأنه يعلمهم كل شيء وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح • ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له بشهادة يسمعها الناس ، ولا يكون هذا في قلب طائفة قليلة • ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله تعالى عله وسلم فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له عامة أهل الأرض وعلموا أنه صدق المسيح ونزوه عما افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصراني • ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد عليه الصلاة والسلام للمسيح ، قال لهم : ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود •

وجعل الله تعالى امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شهداء على الناس
شهدوا عليهم بما علموا من الحق ، اذ كانوا وسطا عدولا ، بخلاف شهادة
اليهود والنصارى في المسيح •

وأَيْضاً : فان معنى الفارقليط ان كان هو الحامد أو الحماد أو
المحمود أو الحمد ، فهذا الوصف ظاهر في نبينا محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فانه وأمه الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو
صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح خطبة ومفتاح صلواته ، ولما كان
حمادا سمي بمثل وصفه محمدا ، على وزن مكرم ومقدس ومعظم ،
وهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره ، ويستحق ذلك • فلما كان
حمدا لله كان محمدا •

وفي شعر حسان بن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله ميمون يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله
فأذن العرش محمود وهذا محمد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن : أشهد

وأما أحمد ، فهو أفعل التفضيل اذ هو أحمد من غيره أي بأن
يكون محمودا أكثر من غيره ، يقال : هذا أحمد من هذا أي هذا (١) أحق
بأن يحمد من هذا ، فيكون فيه تفضيل على غيره في كونه محمودا ، فلفظ
محد يقتضي زيادة في الكمية ، ولفظ أحمد يقتضي زيادة في الكيفية •

ومن الناس من يقول : معناه انه أكثر حمدا لله تعالى من غيره •
وعلى هذا فيكون الحامد والحمداد وعلى الأول بمعنى المحمود •
وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة في كثرة

(١) أحمد ترجمة براكليت • وأحمد بدل « ايلياء » في سفر ملاخي
وانجيل متى • فاسم أحمد قديم لا يخضع للاشتقاق • وكذلك محمد في
سفر التكوين وفي انجيل برنابا • لا يخضع للاشتقاق • والعربية والعبرانية
متشابهتان •

الحمد ، كما يقال رجل عدل ورضا ونظائر ذلك ، وبهذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله : « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » فان هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم .

وفي بعض نسخ التوراة القديمة ما ترجمته بالعربية : « وأما في اسماعيل فقد قبلت دعائك • قد باركت فيه وأثمره • وأكثره بمأد مأد • ومأد على وزن عمرو ، قد اختلف فيه علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون : معناه جدا جدا ، أى كثيرا كثيرا ، فان كان هذا معناه فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيرا كثيرا • ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم محمد ﷺ وقالت طائفة أخرى بل هي صريح اسم محمد • قالوا : ويدل عليه : أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهي أقرب اللغات الى العربية ، فانهم يقولون لاسماعيل شماعيل ، ولوسى موسى وقد سك قد سخا •

وتأمل قوله في التوراة : « نأبى أقيم لا هيم مقارب آخهم كاموخاء الاؤه يشماعون » • وان معناه : « نبيا أقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك له يسمعون » ونظائر ذلك أكثر من ان يذكر ، فاذا أخذت لفظ مؤد ، وجدتها أقرب شيء الى لفظ محمد ، واذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية ، ولذلك يقولون : اصبوع ألوهيم ، أى اصبع الله كتب له بها التوراة • ويدل على ذلك : أداة البناء في قوله بمؤد مؤد • ولا يقال عظمه بجدا جدا ، بخلاف أعظمه بمحمد • وكذلك هو فانه عظم به وازداد به شرفا الى شرفه ، بل تعظيمه بمحمد ابنه صلى الله تعالى عليه وسلم فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر ، فالله سبحانه كثرة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وعلى التقديرين فالنص من أظهر البشارات به • أما على هذا التفسير فظاهر جدا جدا ، وأما على التفسير الأول فانه كثر اسماعيل وعظمه على اسحاق جدا جدا بابنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طبقت بين معنى الفارقليط ، ومعنى مؤد مؤد ، ومعنى محمد وأحمد ، ونظرت الى خصال الحمد التي فيه وتسميته أمته فالحمادين ، وافنتاح كتابه بالحمد ، وكثرة خصال الحمد التي فيه وفي أمته وفي دينه وفي كتابه ، وعرفت ما خلص

به العالم من أنواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله تعالى بلا علم ، وما أعز الله تعالى به الحق وأهله ، وقمع به الباطل وحزبه ، تيقنت أنه الفارقليط بالاعتبارات كلها . فمن هذا الذى هو روح الحق الذى لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؟ ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه ؟ ومن الذى أخبرنا بالحوادث فى الأزمنة المستقبلية ؟ كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزل المسيح بن مريم ، وظهور النار التى تحشر الناس وأضعاف أضعاف ذلك من الغيوب التى قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة يوم القيامة من الصراط والميزان والحساب وأخذ الكتب بالايمن والشمائل وتفصيل ما فى الجنة والنار ، مما لم يذكر فى التوراة والانجيل غير سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام . ومن الذى وبخ العالم على الخطايا سواء ؟ ومن الذى عرف الأمة ما ينبغى لله سبحانه حق التعريف غيره ؟ ومن الذى تكلم فى هذا الباب بما لم يطق أكثر العالم أن يقبلوه من غيره ، حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه أنواع التصريف والتأويل، لحجز عقولهم عن حمله ، كما قال أخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه ؟ ومن الذى أرسل الى جميع الخلق قولاً وعملاً واعتقاداً فى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وقضائه وقدره غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ومن هو أركون العالم الذى أتى بعد المسيح غيره اذ أركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم .

تأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها : « أن أركون العالم سيأتى وليس لى من الأمر شيء » وفى نسخة : « أن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شيء » (١) . كيف شهد بنبوة المسيح ونبوة

(١) يفسر النصارى رئيس هذا العالم بالشيطان الرجيم . والمعنى : أن عيسى عليه السلام يقول : أن الشيطان الذى أضل الناس وأبعدهم عن الحق واقتنع علماء بنى إسرائيل بتحريف التوراة عن محمد ﷺ . قد أظهرت للناس ضلاله ، وحذرتهم منه ، ووقحت لهم نبوءات التوراة عن محمد ﷺ حتى إذا ما ظهر لا يكون أمره خافياً ، بل يكون واضحاً . ويكون الشيطان قد أخزى ، ويكون اتباعه قد أدينوا على رفضهم بسبب بياني وتوضيحي .

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معا فانه لما جاء صار الأمر له دون المسيح فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة ، ولم يبق بأيدي النصارى الا دين ، باطله أضعاف أضعف حقه وحقه منسوخ بما بعث الله تعالى به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فطابق قول المسيح قول أخيه محمد عليه الصلاة والسلام «ينزل فيكم ابن مريم حكما عذلا واماما متسطا فيحكم بكتاب ربكم(١)» وقوله في اللفظ الآخر : « فأمكم بكتاب ربكم » فتطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثاني ، وصدق الثاني الأول *

وتأمل قوله في البشارة الأخرى : « ألم تر الى الحجر الذى أخره البناؤون صار أسسا للزاوية » كيف تجده مطابقا لقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأتمها الا موضع لبنة منها فجل الناس يطيّفون بها ويعجبون منها ، ويقولون : هلا وضعت تلك اللبنة ؟ فكتت أنا تلك اللبنة » *

وتأمل قول المسيح في هذه البشارة : « ان ذلك عجيب فى أعيننا » وتأمل قوله فيها على ما فى كثير من نسخه التى لم يبدل فيها هذا الكلام وهو : « ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى » ومثله فى التوراة : « وأنا أغيرهم بشعب جاهل » كيف تجده مطابقا لقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور » الآية * وتأمل قوله : « يعلمكم كل شيء » ولقوله سبحانه : « ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » *

واذا تأملت التوراة والانجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كاللتفصيل (٢) لجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها فهو حقيقة قول المسيح : « يعلمكم كل شيء » وقوله : « يعلمكم جميع الحق » وقوله على ما فى بعض نسخ الانجيل : « أجبتكم بالأمثال ويجبتكم بالتأويل ،

(١) نزول عيسى آخر الزمان ثابت بأحاديث احاد .

(٢) شريعة القرآن سهلة ، وشريعة التوراة صعبة .

ويفسر لكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » وإذا تأملت تفصيل ما أخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين ومطابقة الخبر الفصل من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للخبر المجل من أخيه المسيح •

وتأمل قوله في الفارقليط : « وهو يشهد لى كما شهدت له » منطبقا على محمد بن عبد الله وكيف تجده شاهدا بصدق الرسولين ؟ وكيف تجده صريحا فى رجل يأتى بعد المسيح يشهد له بأنه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح أنه يرسله الله تعالى وأنه يوبخ العالم ، وأنه أركون العالم أى سيده وعظيمه ، وأنه يعلمهم كل شيء ، ويذكرهم بجميع ما قاله المسيح ، ولقد أذن المسيح بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أذانا لم يؤذنه نبى قبله ، وأعلن بتكبير ربه أن يكون له صاحبة أو ولد ، ثم رفع صوته بشهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا أحدا فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ثم أعلن بشهادة أن محمدا عبده ورسوله الشاهد له بنبوته المؤيد بروح الحق الذى لا يقول من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بما يوحى اليه ويعلمهم كل شيء ، ويخبرهم بما أعد الله تعالى لهم ثم رفع صوته بحى على الفلاح باتباعه والايمان به وتصديقه ، وأنه ليس له من الأمر شيء ، وختم التأذين بأن ملكوت الله سيؤخذ ممن كذبه ويدفع الى أتباعه والمؤمنين به ، فهلك من هلك عن بينة ، وعاش من عاش عن بينة ، فاستجاب أتباع المسيح حقا لهذا التأذين وأباه الكافرون والجاحدون فقال تعالى « انى متوفيك ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم فيه تختلفون » وهذا بشارة بأن المسلمين لا يزالون فوق النصارى الى يوم القيامة فان المسلمين هم أتباع المسيح فى الحقيقة واتباع جميع الأنبياء لا أعداؤه عباد الصليب ، الذين رضوا أن يكون الها مصفوعا مصلوبا مقتولا بأيدي عبيده الذين ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، ولم يرضوا أن يكون نبيا عبد الله وجيها عنده ، مقربا

لأدبيه • فهو لاء أعداؤه حتا والمسلمون أتباعه حقنا • والمقصود أن
بشارة المسيح بالنبى ﷺ فوق كل بشارة ، لما كان أقرب الأنبياء اليه
وأولاهم به وليس بينه وبينه نبى مرسل صاحب شريعة وكتاب •

وتأمل قوله : ان أركون العالم سيأتى • وفى بعض نسخهم التى
بدلوها برئيس هذا العالم يأتى وليس له شىء • وعلى كل فهو سيد
العالم وعظيمه • فمن الذى ساد العالم وأطاعه بعد المسيح غير النبى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سئل : ما كان أول أمرك ؟ قال :
« انا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى » وطابق بين هذا وبين هذه
البشارات التى ذكرها المسيح • فمن الذى ساد العالم باطنا وظاهرا
وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع فى السر والعلانية فى محياه وبعد
ممانته فى جميع الأعصار وأفضل الاقالييم والأمصار وسارت دعوته
فى أيام قليلة سير الشمس فى الأقطار ، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ،
وخرت لمجيئه الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الاوثان وقامت به
دعوة الرحمن ، واضمحت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين
والجاحدين ، وأعز المؤمنين • وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن
بالتوحيد على رعوس الاشهاد وعبد الله وحده لا شريك فى كل حاضر
وباد ، امتلأت به الأرض تحميدا لله وتهليلا وتسبيحا وتكبرا واكتست
به بعد الظلم والظلام عدلا ونورا •

تتمة : أعلم أنه لم يسم قبل نبينا عليه أفضل الصلوات والسلام
أحد بمحمد • وذلك لانه سبحانه سماه فى الكتب المقدمة بذلك وبشر به
الأنبياء والأمم ، فلما جعل اسمه مشتركا ذره لوقع الشبهة ، الا أنه
لما قرب زمنه عليه السلام وبشر أهل الكتب بقربه سمي قوم أولادهم
بذلك ، رجاء أن يكون هو هو صلى الله عليه وسلم والله أعلم حيث يجعل
رسالته :

ما كل من زار الحمى سمع النداء
من أهله • أهلا بهذا الزائر

وقد سماه به جده عبد المطلب • وذلك أنه لما قيل له : ما سميت ولدك ؟ قال : محمد • فقيل له : كيف سميت به باسم ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأنى أرجو أن يحمد الله تعالى فى السماء ، ويحده أهل الأرض • وذلك لرؤيا كان رآها • وهى : أن عبد المطلب كان رأى فى المنام كأن سلسلة من فضت خرجت من ظهره ، لها طرف فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ، ثم عادت مكانها شجرة ، على كل ورقة منها نور • وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمدوه أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمدا ، مع ما حدثته به أمه آمنة بنت وهب من النبشارات التى رأتها • ومنها أنه قيل لها : فإذا وضعته فسميه محمدا •

ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام أحمد ومحمود كما تقدم ، فمحمود منقول من الصفة ، وهو الذى يحمد حمداً بعد حمد وأحمد منقول أيضاً من الصفة التى معناها التفضيل ، ومعناه أحمد الحامدين لربه • ثم لم يكن محمداً حتى كان أحمد حمد ربه ، فأنبأه وشرفه ، وذلك لأنه حمد ربه قبل أن يحمد الناس • وقيل انه بمعنى أحمد الناس أى أحق الناس وأولاهم أن يحمد فهو بمعنى محمد • وبذلك ذكره موسى وعيسى عليهما السلام فيكون أحمد أيضاً بمعنى اسم المفضل •

قال الامام عياض : أحمد أكبر من حمد ، وأجل من حمد • وقال العلامة ابن القيم فى الفصل الثالث من جلاء الافهام فى معنى اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمد واشتقاقه • ما ملخصه : أن هذا الاسم الشريف هو أشهر أسمائه عليه الصلاة والسلام وهو اسم منقول من الحمد وهو فى الأصل اسم مفعول من الحمد • وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته واجلاله وتعظيمه ، هذا هو حقيقة الحمد ، وبنى على زنة مثل مثل معظم ومبجل لأن هذا

البناء موضوع للتكثير ، فان اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة كعلم ومفهم ومخلص وان اشتق منه اسم مفعول فمعناه من تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى ، اما استحقاقا أو وقوعا • فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى ، أو الذي استحق أن يحمد مرة بعد أخرى • قال حمد فهو محمد كما يقال علم فهو معلم • وهذا علم وصفة اجتمع فيه الأمران في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان علما محضا في حق كثير ممن تسمى به غيره •

وهذا شأن أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء نبيه • وهى أعلام دالة على معان هى بها أوصاف فلا تضار فيها العلمية والوصف ، بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين ، فهو الله الخالق البارئ المصور الغفار ، فهذه أسماء دالة على معان هى صفاته • وكذلك القرآن والفرقان والكتاب المبين ، وغير ذلك من أسمائه • وكذلك أسماء النبى عليه الصلاة والسلام التى منها محمد وأحمد والمأحى • ولهذا قال حسان فى الأبيات السابقة •

وشق له من اسمه ليحمله

فدو العرش محمود وهذا محمد

فتسميته ﷺ بهذا الاسم لما اشتمل عليه من مسماء ، وهو الحمد ، فانه عليه الصلاة والسلام محمود عند الله ، ومحمود عند ملائكتيه ، ومحمود عند اخوانه من المرسلين ، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وان كثر به بعضهم ، فان ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل ، وان كابر عقله بجحودا وعنادا أو جهلا باتصافه بها ولو علم اتصافه بها لحمده ، فان من يحمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه فهو فى الحقيقة حامد له وهو ﷺ اختص من سمى الحمد بما لم يجتمع لغيره فان اسمه محمد وأحمد وأمهات الحمادون يحمدون الله تعالى على السراء والضراء وصلاته وصلاة أمته مفتحة بالحمد وخطبه مفتحة بالحمد ، وكتابه مفتتح به • هكذا كان عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ أن خلفاء

وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحا بالحمد ، وييده عليه الصلاة والسلام
لواء الحمد يوم القيامة •

ولما يسجد لربه عز وجل اذ ذاك للشفاعة ويؤذن له فيها ، يحمد ربه
بمحامد يفتحها عليه حينئذ وهو صاحب المقام المحمود الذى يخطبه
الأولون والآخرين • واذا قُم في ذلك المقام حمده حينئذ أهل الموقف
كلهم ، مسلمهم وكافرهم وأولهم وآخرهم وهو محمود صلى الله تعالى
عليه وسلم بما ملأ به الأرض من الهدى والايمان والعلم النافع ولعمل
الصالح ، وفتح به القلوب وكشف به الظلمة عن أهل الأرض واستنقذهم
من أسر الشياطين ، ومن الشرك بالله تعالى والكفر به والجهل به ، حتى
قال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة ، فان رسالته افترس أهل الأرض أحوج
ما كانوا اليها فانهم دانوا بين عباد أوثان وعباد صلبان وعباد نيران وعباد
الكواكب ومغضوب عليهم ، قد باعوا بغضب من الله ، وحيران لا يعرف
ربا يعبد ولا بماذا يعبد • والناس يأكل بعضهم بعضا من استحسن
شيئا دعا اليه من خالفه ، وليس فى الأرض موضع قدم مشرق بنور
الرسالة •

وقد نظر الله سبحانه وتعالى حينئذ الى أهل ارض فمقتهم عربهم
وعجمهم الا بقايا على اثار من دين صحيح ، فأغاث الله تعالى به البلاد
والعباد ، وكشف به تلك الظلم ، وأحيا به الخليقة بعد الموت ، فهدى به
من الضلالة ، وعلم به من الجهالة وكثر به من القلة ، وأعز به بعد
الذلة ، وأغنى به بعد الغيلة ، وفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا
غلغا •

فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من
المعرفة ، وأبدى وأعاد واختصر وأطنب فى ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله
وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه فى قلوب عباده المؤمنين ، وانجلت
سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة ابداره ،
ولم يدع عليه الصلاة والسلام لأمة حاجة فى هذا التعريف لا الى من

قبله ولا الى من بعده ، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب » أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم • ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » •

قال أبو ذر رضى الله تعالى عنه لقد توفى رسول الله ﷺ وما يطائر بقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم سبحانه أنتم تعريف فكشف الأمر وأوضحه ولم يدع بابا من العلم النافع للعباد المقرب لهم الى ربهم الا فتحه ولا مشكلا الا بينه وشرحه ، حتى هدى الله تعالى به القلوب من ضلالها وشفاهها من أسقامها وأغاثها به من جهلها • فأى بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ ؟ فجزاه عن أمته أفضل الجزاء •

وأصح القولين في قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » أنه على عمومته • وفأيه على هذا التقدير وجهان :

أحدهما : أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته اما اتباعه عليه الصلاة والسلام فقالوا به كرامة الدنيا والآخرة • وأما أعداؤه الكافرون بالله ورسوله المحاربون له عجل قتلهم وموتهم وهو خير لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تخليط العذاب عليهم في الدار الآخرة • وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته • وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له • وأما المنافقون فحصل لهم باظهار الايمان به عليه الصلاة والسلام حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره •

وأما الأمم النائية عنه فان الله سبحانه وتعالى رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض ، فأصاب كل العالمين النفع برسالته •

الوجه الثانى : انه عليه الصلاة والسلام رحمة لكل أحد لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتقموا بها دنيا وأخرى والكنار رثوها فلم (م ٢٠ - الجواب الفسيح)

يخرج بذلك عن ان يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض فاذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض .

ومما يحمد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم فان من نظر في أخلاقه وشيمه عليه الصلاة والسلام علم انها خير أخلاق وأكرم شمائل الخلق فانه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا واحلمهم واجودهم واسخاهم واشدهم احتمالا وأعظمهم عفوا ومغفرة وكان عليه الصلاة والسلام لا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما أرحم الخلق وأرثفهم بهم ، وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد ، وأصبرهم في مواطن الصبر ، وأصدقهم في مواطن اللقاء ، وأكثرهم توكلا وأوفاهم بالعهد والذمة وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعا وأعظمهم ايثارا على نفسه ، وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل لخلق لرحمه .

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر كما جاءت أغلب هذه الأوصاف له في التوراة كما رواه الامام البخارى في صحيحه وكان عليه الصلاة والسلام قد جمع الخير كله بحذافيره ، وأودع في صدره ، فهو أجود الناس صدرا ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، وأصدقهم لهجة حتى أن أعداءه اقرت له بذلك وقد حاربوه وليس أحد منهم يوما من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغيرة ولا كبيرة واذا كانوا يسمونه الأمين . ولما كذبه بعض كفار قريش بدعواه الرسالة حسدا وكبرا وعصبية جاهلية ، سلاه الباري سبحانه ليهون عليه قول أعدائه بقوله عزت كلمته « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبي المرسلين » انتهى .

فصل

وطابق بين قول المسيح « ان أركون العالم سيأتيكم » وقول أخيه محمد ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر • آدم فن دونه تحت لوائى وأنا خطيب الأنبياء اذا رقدوا ، وامامهم اذا اجتمعوا ، ومبشرهم اذا يئسوا » وفي قول المسيح فى هذه البشارة « وليس له فى شىء » وفى بعضها « ليس له شىء » وفى بعضها « وليس لى من الأمر شىء » اشارة الى التوحيد وأن الأمر كله لله • فتضمنت هذه البشارة أصلى الدين : اثبات التوحيد ، واثبات النبوة •

وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه سبحانه من قوله « ليس لك من الأمر شىء » . فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما ، وجدتهما متوافقتين متطابقتين حذو القذة بالقذة ، لا يمكن التمييز بأحدهما مع التكذيب بالآخر البتة . فان المكذب بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أشد تكذيبا للمسيح ، الذى هو ابن مريم عبد الله ورسوله ، وان آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود فهو من أبطل الباطل •

وقد قال يوحنا فى كتاب أخبار الحواريين « اياكم أن تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها • واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانيا ، فهى من عند الله وكل روح لا تؤمن بأن المسيح قد جاء وكان جسدانيا ، فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب ، الذى هو الآن فى العالم » •

فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذى جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذى هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء المبتول • والنصارى انما تؤمن بمسيح دعا الى عبادة نفسه وأمه ، وأنه ثالث ثلاثة ، وأنه الله وابن الله وهذا هو آخر المسيح الكذاب ، لو كان له وجود ، فان المسيح الكذاب يزعم انه الله • والنصارى فى الحقيقة أتباع

هذا المسيح ، كما أن اليهود انما ينتظرون خروجه ، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبی الذي بشروا به فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الايمان به انتظار المسيح الدجال . وهذه طريقة الشيطان لما أعرض عن السجود لآدم كبرا أن يخضع له تعوض من ذلك ذل القيادة لكل فاسق ومجرم من بنيہ ، فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة ، والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبد الله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفحة لليهود ، ومصلوبهم الذي يسفرون منه ويهزؤون به ثم عقدوا له تاجا من الشوك بدل تاج الملك ، وساقوه في حبل الى خشبة الصليب ، يصفقون حوله ويرقصون حتى صلبوه بين لصين ، وهو ينادى « الهى الهى لم تركتني ؟ » فمات وقبر ثم قام وصعد الى أبيه وجلس عن يمينه .

ثم انهم الآن للحمة أكلون ولدمه حقيقة شاربون ، فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له الى أعظم الذل والظيم والقهر ، فكيف صبروه لها وعبدوه ؟ ثم انهم أكلوه وشربوه ، ثم من المخرجين أخرجوه . وكذلك أنفوا أن يكون للبترك والراهب زوجة او ولد ، وجعلوا الله رب العالمين الولد والزوجة وكذلك أنفوا أن يعبد الله وحده لا شريك له . ويطيعوا عبده ورسوله ، ثم رضوا بعبادة الصليب والصورة المصنوعة بالأيدي في الحيطان والسجود لها وطاعة كل من يحرم عليهم ما شاء ويحلل لهم ما شاء وشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه . فليتأمل العاقل كيف لعب بهم الشيطان ، حتى اعتقدوا أشياء تأبأها ذوو العقول ، وغدت ظاهرة البطلان مخالفة للمنقول والمعقول .

فصل

وقول المسيح « اذا انطلقت أرسلته اليكم » معناه أنى أرسله بدعائى ربى وطلبى منه ، أن يرسله كما يطلب الطالب من ولى الأمر أن يرسل أحدا أو يولى نائباً أو يعطى احداً فيقول انا أرسلت هذا ووليته واعطيته اى كنت سببا فى ذلك فان الله سبحانه اذا قضى أن يكون الشئ فانه يقدر له أسبابا يكون بها ومن تلك الأسباب دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك فيكون فى ذلك من النعمة اجابة دعائه مضافا الى نعمته بايجاد ما قضى كونه •

ونبيينا محمد ﷺ قد دعا به الخليل أبوه فقال : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويذكهم انك أنت العزيز الحكيم » مع أنه سبحانه قد قضى بارساله قبل ذلك ولا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل أخاه محمد الى العالم ، ويكون ذلك من أسباب ارساله ، إضافة الى دعوة ابراهيم •

وتأمل قول المسيح : « انى لست أدعكم أيتاما لأنى سأتيكم عن قريب » كيف هو مطابق لقول أخيه عليه الصلاة والسلام « ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية » وأوصى أمته أن يقرأه السلام منه من لقيه منهم وفى حديث اخر « كيف تهلك أمة أنا فى أولها ، وعيسى فى آخرها » صلى الله تعالى عليه وسلم •

وبقيت فى الآيات وجوه لا تخفى على المتأمل ، تدل على أن المراد بها البشارة بأكرم الرسل ﷺ تركناها خشية التطويل ، وللظن الغالب ، أنها لا تخفى على كل متيقظ نبيل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

وأما الشبهات التى ذكرها علماء بروتستنت من النصارى فخمس :

الأولى : ان فارقليط جاء في هذه العبارات مفسرا بروح القدس وروح الحق وهما عبارتان عن الأَقْنوم الثالث ، فكيف يصح أن يراد به محمد ﷺ .

وجوابها : ان النصراني صاحب « ميزان الحق » يدعى في تأليفاته ان ألفاظ روح الله وروح القدس وروح الحق وروح الصدق وروح فم الله بمعنى واحد .

قال في الفصل الأول من الباب الثاني من مفتاح الأسرار من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « ان لفظ روح الله ولفظ روح القدس في التوراة والانجيل بمعنى واحد » انتهى فادعى أن هذين اللفظين يستعملان بمعنى واحد في العهدين . وقال في حل الاشكال في جواب كشف الأستار : « من له شعور ما على التوراة والانجيل ، فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله . فلذلك ما رأيت اثباته ضروريا » انتهى .

فاذا عرفت هذا القول فنحن نقطع النظر عن صحة ادعائه وعدم صحته ههنا ، ونسلم ترادف هذه الألفاظ على زعمه . لكننا ننكر أن استعمالها في كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأَقْنوم الثالث . ونقول كما قال من له شعور ما على كتب العهدين يعرف أن هذه الألفاظ تستعمل في غير الأَقْنوم الثالث كثيرا كما في الاصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحييهم بمعجزة حزقيال عليه السلام ما نصه : « فأعطى فيكم روحي » انتهى فروح الله هنا بمعنى النفس الناطقة الانسانية لا بمعنى الأَقْنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم .

وفي الاصحاح الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا ما نصه : « لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح ، هل هي من الله ؟ لأن الانبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا الى العالم . بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعرف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله » الى أن يقول :

« نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا ، من هذا: نعرف روح الحق وروح الضلال » انتهى •

وقد ترجموا في الهندية وغيرها الروح بالواعظ من جانب الله وروح الحق بالواعظ الصادق • فتبين من كتبهم وتراجمهم : أنه ليس المراد بروح الله وروح الحق الأَقْنوم الثالث الذى هو بزعمهم عين الله سبحانه وهو المسيح • وهذا ظاهر لا يخفى على كل ذى عينين ، فتفسير الفارقليط بروح القدس وروح الحق لا يضرنا شيئاً في ما نحن بصددده ، لأنهما بمعنى الواعظ الحق كما أن لفظ روح الحق وروح الله بهذا المعنى في الرسالة الأولى ليوحنا فيصح اطلاقهما على سيدنا محمد ﷺ بلا شك ولا ريب •

الشبهة الثانية : ان المخاطبين بلفظ « كم » هم الحواريون • واذا كان كذلك فلا بد أن يظهر فارقليط في عهدهم ، مع أن محمد عليه الصلاة والسلام ما ظهر الا بعدهم •

جوابها : ان هذه شبهة أوهى من بيت العنكبوت ، لأنه ليس المراد أن المخاطبين بأنفسهم يكونون موجودين بأنفسهم وقت التذكير ووقت إرساله ووقت تعليمه • ألا ترى قول عيسى عليه السلام في الأصحاب السادس والعشرين من انجيل متى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع ما نصه : « وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحب السماء » • وهؤلاء المخاطبون قد ماتوا ومضت على مدتهم مدة هي أزيد من ألف وثمانمائة سنة وما رأوا آتيا على سحب السماء فكما أن اراد بالمخاطبين ههنا الموجودون من قومهم وقت نزوله من السماء ، فكذلك فيما نحن فيه ، اذ المراد الذين يوجدون وقت ظهور فارقليط كما لا يخفى •

الشبهة الثالثة : انه قال في حق فارقليط : « أن العالم لا يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه » وهذا لا يصدق على محمد ﷺ لأن الناس رأوه وعرفوه •

وجوابها : ان النصرى أحوج الناس تأويلا لهذا القول لأن روح
لقدس عين الله عندهم ، وأهل العالم يعرفون الله سبحانه أكثر من معرفتهم
لمحمد ﷺ فلا بد أن يقولوا ان المراد بالمعرفة المعرفة الحقيقية الكاملة ،
فاذا أولوا هذا القول لباطل مرادهم ، فنحن أولى بتويله • لصحيح
مرادنا ويكون المقصود لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة ، وأنتم تعرفونه
معرفة حقيقية كاملة • والمراد بالرؤية المعرفة • ولذا لم يعد عيسى عليه
السلام لفظ الرؤية بعد لفظ « أنتم » بل قال : « وأنتم تعرفونه » ولو
حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفى الرؤية محمولا على ما هو
المراد في قول الانجيل الأول في الاصحاح الثالث عشر من انجيله ونقل
عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ ما نصه : « فلذلك اضرب
لهم الأمثال لأنهم ينظرون ولا يبصرون ويسمعون ولا يستمعون ولا
يفهمون • وقد كمل فيهم تنبأ أشعيا حيث قال انكم تسمعون سمعا
ولا تفهمون وتنتظرون نظرا ولا تبصرون » انتهى •

فلا اشكال أيضا وأمثال هذين الأمرين — وان كانت معانى مجازية —
لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية • ووقعت في كلام عيسى كثيرا كما في الاصحاح
الحادى عشر من انجيل متى ما نصه : « وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ،
ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ، ومن أراد الابن أن يعلن له » • وفى
الاصحاح السابع من انجيل يوحنا ما نصه : « الذى أرسلنى حق الذى
أنتم لستم تعرفونه » • وفى الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا ما نصه .
« لستم تعرفوننى أنا ولا أبى ، لو عرفتمونى لعرفتكم أبى أيضا ولستم
تعرفونه » اى الله الى آخره •

وفى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ما نصه : « لو كنتم
عرفتمونى لعرفتكم أبى أيضا ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه • قال له
فيلبس يا سيد أرنا الأب ورفانا • قال له يسوع • أنا معكم زمانا هذه مدته
ولم تعرفنى يا فيلبس ؟ الذى رآنى فقد رأى الآب • فكيف نقول أنت
أرنا الآب » انتهى •

فالمراد فى هذه الأقوال بالمعرفة المعرفة الكاملة وبالرؤية المعرفة

والا لا تصح هذه الأقوال يقينا لأن العوام من الناس كانوا يعرفون عيسى عليه السلام فضلا عن رؤساء اليهود والكهنة والمشايع والحواريين ورؤية الله تعالى بالبصر في هذا العالم ممتنعة عند أهل التثليث أيضا •

الشبهة الرابعة : انه وقع في حق فارقليط انه مقيم عندكم وثابت فيكم ، ويظهر من هذا القول أن فارقليط كان في وقت الخطاب مقيما عند الحواريين وثابتا فيهم • فكيف يصدق على محمد ﷺ •

وجوابها : ان هذا القول في التراجم الآخر كالت ترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ هكذا : « لأنه مستقر معكم وسيكون فيكم » والتراجم الفارسية والهندية كلها موافقة لهذا • وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨٢٢ التي نقلنا عبارتها أولا هكذا : « لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » فظهر أن المراد بقوله ثابت الثبوت الاستقبالي يقينا فلا اعتراض به بوجه من الوجوه •

بقي قوله : « مقيم عندكم » وجوابه : انه لا يصح حمل هذا القول على معنى هو مقيم عندكم الآن ، لأنه يناfi قوله : « أنا أطلب من الآب فيعطيكُم فارقليط آخر » • وقوله : « قد قلت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنون » • وقوله : « ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط » واذا أول نقول انه بمعنى الاستقبال • كما أن القول الذي بعده بمعنى الاستقبال ومعناه يكون مقيما عندكم في الاستقبال ، فلا خدشة في صدقه أيضا على سيدنا محمد ﷺ •

والتعبير عن الاستقبال بالحال بل بالماضي في الأمور المتينة كثير في العهدين • ألا ترى أن حزقيال عليه السلام أخبر أولا عن خروج يأجوج ومأجوج في الزمان المستقبل واهلاكهم حين وصولهم الى جبال اسرائيل • ثم قال في الآية الثامنة من الاصحاح التاسع والثلاثين من سفره هكذا : « ها هو جاء وصار يقول الرب الاله ، هذا هو اليوم الذي قلت عنه » فانظر الى قوله : « ها هو جاء وصار فعبر عن الحال المستقبل بالماضي لكونه يتينا لا شك فيه ، وقد مضت مدة زيد من ألفين وأربعمائة وستين

سنة ، ولم يظهر خروجهم • وفي الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا ما نصه : « الحق الحق أقول لكم : انه تأتى ساعة ، وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » فانظر قوله : « وهى الآن » وقد مضت مدة أزيد من ألف وثمان مائة سنة ، ولم تجيء هذه الساعة والى الآن أيضا مجهولة لا يعرف أحد متى تجيء •

التشبيه الخامسة : قال فى الاصحاح الأول من سفر الأعمال هكذا : « وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى ، لأن يوحنا عمد بالماء ، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ، ليس بعد هذه الأيام بكثير » وهذا يدل على أن فارقليط هو الروح النازل يوم الدار ، لأن المراد بوعد الآب هو فارقليط •

وجوابها : ان قولهم المراد بوعد الآب هو فارقليط غلط وفاسد للوجوه المتقدمة التى عرفت انفا • والحق الظاهر للعيان الذى لا يخفى على من له عينان أن الاخبار عن مجيء فارقليط شىء ، والوعد بانزال الروح عليهم مرة أخرى شىء آخر • وقد وفى الله تعالى بالوعدين • وقد عبر بالوعد الأول بمجىء فارقليط وههنا بموعد الآب • غاية الأمر ان يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون ، ولوقا نقل موعد نزول الروح الذى نزل يوم الدار ولم ينقله يوحنا ولا بأس فيه ، فانهم قد يتفقون فى نقل الأقوال الخسيسة كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب الى اورشليم ، فقد اتفق على نقلها الأربعة ، وقد يتخالفون فى نقل الأحوال العظيمة • ألا ترى أن لوقا انفرد بذكر احياء ابن الأرملة من الاموات فى نايين ، وذكر ارسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذا ، وذكر ابرائمه عشرة برص ، ولم يذكر هذه الحالات أحد من الانجيليين ، مع أنها من الحالات العظيمة ، وأن يوحنا انفرد بذكر وليمة العرس فى قانا الجليل ، وظهر من يسوع فيه معجزة تحويل الماء خمرًا ، وهذه المعجزة أول معجزاته ، وسبب ظهور مجده ، وإيمان

التلاميذ به ، ويذكر ابرائه السقيم في بيت صيدا في اورشليم • وهذه أيضا معجزة عظيمة ، والمريض كان مريضا من ثمان وثلاثين سنة ، ويذكر قصة امرأة أخذت في زناء ، ويذكر ابراء الأكمة • وهذا أيضا من اعظم معجزاته وهي في الاصحاح التاسع ، ويذكر احياء العازار من بين الأموات ، ولم يذكرها أحد من الانجيليين ، مع أنها حالات عظيمة ، وهكذا حال متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات والحالات ، التي لم يذكرها غيرهما •

إذا علمت جميع ما زبرناه وتأملت بالانصاف ما حررناه ، تبين لك أن الفارقليط المبشر به هو محمد ﷺ وأن أركون العالم هو الرسول المصطفى المكرم بلا شك ولا اشتباه ، وهو رئيسه الثابتة رياسته في مبدأ الكتاب ومنتهاه ، وأن شبههم المتقدمة كسراب وتأويلهم لهذه البشارة على مقتضى أهوائهم تأويل باطل كذاب • والحمد لله الذي نور وجوه الموحدين بلامع الأصواب وصلاته على المبشر به في الكتب الالهية والآل والأصحاب وسلم تسليما في البدأ والمآب آمين •



البشارة السابعة : ما في الزمور الخامس والأربعين ، وفي بعض نسخهم الرابع والأربعون ما نصه : « فاض قلبي كلمة صالحة أنا أقول أعمالى للملك ، لسانى قلم كاتب سريع الكتابة بهى في الحسن أفضل من بنى البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله الى الدهر ، تقلد سيفك على فخذك ، أيها القوى بحسنك وجمالك • انجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك ، نبلك مسنونة أيها القوى في قلب أعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون كرسيك يا الله الى دهر الداهرين ، عصا الاستقامة عصا ملكك • أحببت البر وأبغضت الاثم ، لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرخ أفضل من أصحابك • المر والبيعة والسليخة من ثيابك • من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك ، بنت الملوك في ترامتك ، قامت الملكة من عن يمينك ، مشتملة بثوب مذهب ، موشى •

اسمعى يا بنت وانظرى وانصتى بأذنيك وانسى شعبك وبیت
أبيك ، فيشتمى الملك حسنك لأنه هو الرب الهك وله تسجدين ، بنات
صور ، يأتينك بالهدايا لوجهك يصلى كل أغنياء الشعب كل مجد ابنة
الملك ، من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى ، يبلغن الى الملك عذارى
فى اثرها قريباتها • اليك يقدمن يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل
الملك ويكون بنوك عوضا من آبائك ، ويقيمهم رؤساء على سائر الأرض
سأذكر اسمك فى كل جيل وجيل ، من أجل ذلك تعترف لك الشعوب الى
الى الدهر والى دهر الداهرين » انتهى بحروفه •

وهذا الكلام بشارقة نبي يأتى بعد داود كما هو مسلم به عند أهل الاسلام
وأهل الكتاب ، فيكون زمانه بعد زمان داود عليه السلام ولم يظهر الى
هذا الوقت نبي موصوف بهذه الصفات عند اليهود • ولعلمهم يحملوه على
المنتظر كما سبق فى آية التوراة فى الذى تنتظره الأمم وعلماء البروتستانت
من النصارى يحملوه على عيسى عليه السلام ، وأنت تعلم أن هذه
الأوصاف لا تنطبق الا على سيدنا محمد ﷺ كما يقوله أهل الاسلام
سلفا وخلفا انه هو المراد من ذلك • وهذا مما لا يشك فيه من عرف سير
النبيين وأوصافهم وتجنب عن التعصب ونصح نفسه •

فقد ذكر فى هذا المزمور من صفات النبي البشر به سبعة عشر
صفة وهى كونه حسنا وكونه أفضل البشر وكون النعمة منسكة على
شفئته وكونه مباركا الى الدهر وكونه متقلدا بالسيف وكونه قويا وكونه
ذا حق ودعة وصدق وكونه هداية يمينه بالعجب وكونه نبلا مسنونة
وسقوط الشعب تحته ومحبا للبر ومبغضا لللاثم ، وخدمة بنات الملوك
وانتيان الهدايا اليه وانقياد كل أغنياء الشعب له وكون أبناؤه رؤساء
الأرض بدل آبائهم وكون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل ومدح الشعوب
له الى دهر الداهرين • وهذه الأوصاف لم تجتمع على أكمل وجه فى نبي
غير محمد ﷺ كما لا يخفى على كل ذى عقل وانصاف •

اما الأول : فهو متواتر فى روايات عديدة صحيحة ، منها ما قاله
أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : « ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ، وإذا ضحك
يتلألأ في الجدار » •

وعن أم معبد رضى الله تعالى عنها قالت في بعض ما وصفت به هو
أجمل الناس من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب •

وأما الثانى : فلأن الله تعالى قال في كتابه العزيز « تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض » وقال المفسرون أراد سبحانه بقوله : « ورفع
بعضهم درجات » محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أى رفعه على سائر
الأنبياء من وجوه متعددة ، ليس هذا محل ذكرها ، لئلا يخرج بناء الكلام
الى خلاف المرام • ولعلنا نذكرها في محلها ان شاء الله تعالى • وقال عليه السلام :
« أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أى لا أقول ذلك مفتخرا بل تحدثا بنعمة
ربى •

وأما الثالث : فلا يحتاج الى بيان • فقد أقر بفصاحته كل انسان
من أهل الأديان •

وأما الرابع : فلأن الله سبحانه قل : « ان الله ومالائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا » الآية ، فلا زال في كل آن وزمان تصلى عليه
من المشرق الى المغرب ألوف ألوف لا يحصى عددهم الا الله تعالى في
صلواتهم الخمس وفي غيرها •

وأما الخامس : فهو صاحب السيف كما هو مسلم به عند أهل الكتاب •
وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا رسول الله بالسيف » كما سنفصل هذا
في محله ان شاء الله تعالى •

وأما السادس : فقد كانت قوته الجسمانية على أكمل حال ، فقد
ثبت أن ركانة رضى الله تعالى عنه كان من الأثوياء والمصارعين
المشهورين ، خلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة قبل أن يسلم.
فقال : « يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ » فقال : لو أعلم

ما تقول حقا لاتبتعتك • فقال : « أرأيت ان صرعتك أتعلم ان ما اقول حق ؟ » قال : نعم • فلما بطش به ﷺ أضجعه لا يملك من أمره شيئا • ثم قال يا محمد عد فصرعه أيضا • فقال يا محمد ان ذا للعجب • فقال عليه الصلاة والسلام : « وأعجب من ذلك ان شئت أن أريكه • ان انتقيت الله تعالى وتبعت أمرى » قال : ما هو ؟ قال : « أدعوك لهذه الشجرة » فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يديه ﷺ فقال لها : « ارجعى مكانك » فرجعت ثم رجع ركناة الى قومه ، فقال يا بنى عبد مناف ما رأيت أسحر منه ، ثم أخبرهم بما رأى •

وأما شجاعته فتد قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ وقال على كرم الله وجهه : وانا كما اذا حمى البأس واحمرت الحنق انتقينا برسول الله ﷺ فما يتون أحد أترب الى لعدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا •

وأما السابع : فلان الأمانة والصدق من صفاته المشهورة الجليلة كما قال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا وأعظمكم امانة ، حتى اذا رايتم فى صدغيه الشيب ، وجاعكم بما جاءكم قلتم انه ساحر ؟ لا والله ما هو بساحر •

وسئل هرقل فى حديثه الطويل أبا سفيان عن حاله عليه الصلاة والسلام قبل أن يسلم ، وكان اذ ذاك أشد الناس عداوة له عليه الصلاة والسلام فقال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال له : لا •

وأما الثامن : فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهمزوا وتمكن المسلمون ، منهم قتلا واسرا فأمثال هذه من هداية يمينه •

وأما التاسع : فأتى كون أولاد اسماعيل أصحاب النبى فى سالف الزمان غير محتاج الى البيان ، حتى ورد فى الأحاديث الصحيحة ، العديدة عنه عليه الصلاة والسلام الأمر بتعلم ذلك • وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله تعالى ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسمه » وكان يقول : « ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا » ويقول عليه الصلاة والسلام : « من تعلم الرمى وتركه فليس منا » •

وأما العاشر : فأتى الناس دخلوا فى دينه أفواجا أفواجا فى مدة حياته عليه الصلاة والسلام •

وأما الحادى عشر : وهو كونه محبا للبر ومبغضا للآثم فأشهر من أن يذكر ولا يخالف فيه أحد حتى أن أعداءه شهدت له بذلك • والفضل ما شهدت به الأعداء فقد نقل « سيعل » النصرانى عن « اسيان هميس » المسيحى فى ترجمة القرآن فى الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٠٨٥ ما نصه : « انه كان حسن الوجه وزكيا وكانت طريقته مرضية ، وكان الاحسان الى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن ، وكان شجاعا على الأعداء ، وكان يعظم اسم الله تعظيما عظيما ، وكان يشدد على المفتريين والذين يرمون البراءة والقَتْلين ، وأهل الفضول والطامعين ، وشهود الزور تشددا بليغا • وكانت كثرة وعظه فى الصبر والجود والرحم والبر والاحسان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدا مرتاضا فى الغاية » انتهى كلامه •

وأما الثانى عشر : فقد صارت بنات الملوك والأمراء خادما للمسلمين فى الطبقة الأولى ومنهن « شهربانو » بنت يزدجرد كسرى فارس ، كانت تحت الامام الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما •

وأما الثالث عشر والرابع عشر : فالنجاشى ملك الحبشة ، ومنذر ابن سائوى ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا ، وهرقل قيصر الروم أرسل اليه بهدية ، والمقوقس ملك القبط أرسل اليه ثلاث جوارى وغلاما أسود وبغلة شهباء وحمارا أشهب وفرسا وثيابا وغير ذلك •

وأما الخامس عشر : فقد نال الخلافة والامارة والرئاسة من ذريته وشرفاء عترته رؤساء متعددون وأئمة من أهل بيته هادون مهديون فمنهم على كرم الله تعالى وجهه والحسن السبط رضى الله تعالى عنه وذريته لازالت تتولاها في كثير من الأقاليم كالحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام وفارس والهند وغيرها ، ونال كثيرون من الفاطميين السلطنة والامارة في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى أن إمارة الحجاز الى الآن في نسله عليه الصلاة والسلام ، وكذا في بعض بلاد اليمن والهند لم تخرج الامارة والرياسة منهم ولا تخرج بالكلية منهم الى ظهور القائم المهدي (١) فيهم . وهو من ذريته عليه الصلاة والسلام فيكون حينئذ خليفة الله تعالى في الأرض ويحكم فيها بالطول والعرض ، حتى تقوم الساعة ويقرب الحساب والعرض .

وأما السادس عشر والسابع عشر : فمن المعلوم أنه في كل يوم ينادى على الأماكن العالية والمنابر ألوف ألوف جيلا بعد جيل في مشارق المعمورة ومغاربها في أوقات الصلوات الخمس : أشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله • ويصلى عليه في الأوقات المذكورة بل وساعات النهار والليل من المصلين من لا يحصى عددهم الا الله سبحانه • ومع هذا فالقراء يحفظون منشوره • والمفسرون يفسرون فرقته ومآثوره • والرعاظ يبلغون وعظه • والعلماء يبينون سننه وفرضه • والسلطان يتصدقون مسجده • ويتشرفون بخدمته روضته وينالون أعظم الفخر بزيارته ، والكل يرجون عظيم شفاعته ، ويكتحلون بتراب عتبه •

وهذا كله لا يصدق على المسيح عليه السلام كما يدعيه علماء البرتستاننت أنها بشارة في المسيح عليه السلام لأن فيها قوله « مسحك الله الهك بذهن الابتهاج » أو بذهن الفرح • والمسيح عندهم اله فكيف يمسحه الهه ؟ ولأن المسيح ليس له زوجة ولا ولد ، فكيف يصدق عليه أن يكون أبناؤه رؤساء ولا دخول بنات الملوك في بيته وليس له سيف

(١) كل مسلم يكون رئيسا على جماعة ، هو كالمسلم المنتسب الى أهل البيت لأن المسلمين كلهم أبوه واحد .

ولا نبلة مسنونة ولا انقاد اليه الأغنياء ولا أرسلت له الهدايا ، بل هم على زعم النصرارى أهانوه وقتلوه ، وكيف تصدق عليه هذه الأوصاف والنصارى يدعون أن الأصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعيا مظهر ببشارة فيه ونصه : « ليس له منظر وجمال ، ورأيناه ولم يكن له منظر ، واشتهيناه مهانا . وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبر بالأمراض وكان مكتوما وجهه ومرذولا ولم نحسبه ، ونحن حسبناه كأبرص ومضروبا من الله ومذلولا ومخضوعا . والرب شاء أن يمسحه » انتهى .

فهذه الأوصاف ضد الأوصاف التى فى الزبور المتقدمة آنفا كما لا يخفى على ذوى العقول الطالبين للحق المقبول .

البشارة الثامنة : ما فى الأصحاح الخامس والستين من سفر اشعيا ما نصه : « طلبنى الذين لم يسئلونى قبل ، ووجدنى الذين لم يطلبونى ، قلت ها أنا ذا الى الأمة الذين لم يدعوا باسمى ، بسطت يدى طول النهار الى شعب غير مؤمن ، الذى يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم ، الشعب الذى يغضبنى أمام وجهى دائما الذين يذبحون فى البساتين ويذبحون على الآجر واللبن ، الذين يسكنون فى القبور وفى مساجد الأوثان يرقدون ، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرفق المنجس ، أنيتهم ، الذين يقولون : أبعد عنى لا تقرب منى ، لأنك نجس . هؤلاء يكونون دخانا فى رجزى نارا متقدة طول النهار ، ها مكتوب قدامى لا أسكت بل أرد وأكافى جزاء فى حضنهم » انتهى بحروفه .

ولا يخفى على كل فطن منصف أن المراد بقوله : الذين لم يسألونى والذين لم يطلبونى العرب ، لأنهم كانوا غير عارفين بذات الله سبحانه وصفاته وشرائعه ، فما كانوا سائلين عن الله تعالى ولا طالبين منه بالوجه اللائق به عز وجل ، كما قال تعالى فى سورة آل عمران : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كنوا من قبل لفي ضلال مبين » • وأنت تعلم أنه لا يمكن أن يراد بهذه الأمة اليونانيين كما تقدم في البشارة الخامسة ، فتذكر فما في العهد من قدم • ثم ان الآية الثانية والثالثة تصدقان على كل من اليهود والنصارى ، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى كما أن الأوصاف المذكورة في الخامسة ألصق بحال اليهود ، فردهم البارى سبحانه واختار الأمة المحمدية المتحفة بضد هذه الأوصاف الردية ، والمتحلين بكل صفة حسنة مرضية •

البشارة التاسعة : ما في الاصحاح العشرين من انجيل متى ونصه :
« فان ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه فانفق مع الفعلة على دينار في دينار في اليوم ، وأرسلهم الى كرمه ، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما في السوق بطالين • فقال لهم اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم ، فمضوا وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتسعة ، وفعل كذلك • ثم الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قداما بطالين • فقال لهم : لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟ قلوا له : لأننا لم يستأجرنا أحد • قال لهم : اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين الى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة ، وأخذوا دينارا دينارا ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا ، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة ، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ، فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك • أما انتفعت معي على دينار ، فخذ الذى لك واذهب ، فانى أريد أن أعطى الأخير مثلك • أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى ، ام عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخريين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » انتهى بحروفه •

ولا يخفى على كل منصف أن المراد بذلك انه محمد ﷺ لأنهم الآخرون فهم يقدمون في الأجر وهم الآخرون الأولون كما قال عليه الصلاة والسلام : « نحن الآخرون السابقون » • وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » • وقال سبحانه وتعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » •

ويؤيد هذه البشارة •

البشارة العاشرة : قول المسيح أيضا في الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى ما نصه : « اسمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبني برجاً وسلمه الى كرامين وسافر ، لياخذ أثماره • فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ، ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك • فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلاً : يهابون ابنى • وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه • فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، ثم جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الإردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم الى كرامين آخرين ، يعطونه الأثمار فى أوقاتها • قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ؟ لذلك أقول لكم : أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل عني ! ثمارة ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه • ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم » انتهى بحروفه •

فرب البيت كما لا يخفى كناية عن الله تعالى ، والكرم كناية عن الشريعة ، ولحاظته بسياج وحفر المعصرة وبنائه البرج كنايةات عن

المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي وأن الكرامين الطامعين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون ، أنه تكلم عليهم ، والعبيد المرسلين كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والأبن كناية عن عيسى عليه السلام ، وقد مر عليك مرارا أنه لا بأس باطلاق هذا اللفظ عليه ، لأنه مصطلح عليه في زمانه ، حتى في غيره عليه السلام . وقد قتلته اليهود في زعمهم أو لما طلبوا قتله وشبهه لهم فكأنهم قتلوه . والحجر الذي رفضه البناعون كناية عن نبينا محمد ﷺ والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمته ﷺ . وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه ترفض وكل من سقط هو عليه سحقه .

وادعاء علماء النصارى أن هذا الحجر كناية عن المسيح ، فباطل ، من وجوه عديدة لا تخفى على متأمل .

منها : أن داود عليه السلام قال في المزمور الثامن عشر بعد المائة ما نصه : « الحجر الذي رذله البناعون هو صار رأسا للزاوية ، من قبل الرب كانت هذه ، وهي عجيبة في أعيننا » فلو كان هذا الحجر عبارة عن المسيح عليه السلام لم يتعجب منه ، لأنه من اليهود ، اذ هو من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فلا يتعجب اليهود ولا داود من ذلك ، لأن المسيحيين يزعمون أن داود يعظم عيسى في مزاميره غاية التعظيم ، بل ويعتقد ألوهيته ، فكيف يجعله حجرا يرذله البناعون ؟ وهذا بخلاف آل اسماعيل فإن اليهود يحتقرونهم لأنهم أولاد هاجر ولم يتنبأ منهم أحد بعده ، فاذا صار واحد منهم رأسا للزاوية ، فذاك العجب عندهم .

ومنها : أنه وصف الحجر بأن من يسقط عليه يترفض ، وكل من يسقط هو عليه يسحقه ، وهذا لا يصدق على عيسى عليه السلام لأنه كما في الاصحاح الثاني عشر من انجيل يوحنا قال : « ومن يسمع كلامي ولا يحفظه فأنا لا أدينه لانى ما أتيت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم . من أهاننى ولم يقبل كلامي ، فإن له من يدينه ، الكلمة التي نطقت بها هي

تدينه في اليوم الآخر ، لأننى أنا لم أتكلم من ذات نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية بما أقول » انتهى •

فصدقه على سيدنا محمد ﷺ غير محتاج الى برهان لأنه كان مأمورا بمقاتلة الفجار وزجر الأشرار والشدة على الفساق وعدم الرأفة بذوى الشقاق • فان سقطوا عليه ترضضوا ، وان سقطوا هو عليهم سحقوا •

ومنها : أن المتبادر الظاهر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن • ثم اعلم أن النبى ﷺ قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثلى قصر أحسن بنيانه ، ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار ، يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة ، فختم بى البنيان وختم بى الرسل » فهو طبق ما قاله أخوه عيسى عليه السلام •

البشارة الحادية عشرة : فى الاصحاح الثانى من المشاهدات ما نصه : « ومن يخلب ويحفظ أعمالى الى النهاية ، فسأعطيه سلطانا على الأمم ، فيرعاها بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف ، كما أخذت أيضا من عند أبى ، وأعطيه كوكب الصبح • من له أذن فليسمع ما يقوله الروح بالكنائس » انتهى بحروفه •

ولا يخفى أن هذا الغالب الذى أعطى سلطانا على الأمم ويرعاهم بقضيب من حديد هو محمد ﷺ ويدل على هذا أيضا فى الاصحاح التاسع عشر من جملة رؤيا يوحنا الرسول ونصها : « ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا بفرس أبيض ، والراكب عليه يسمى الأمين الصديق ، وبالعجل يقضى ويجلب وكانت عيناه تشبه وقيد النار ، وأكاليا ، بحبرة على رأسه ، وله اسم مكتوب ليس يعرفه الا هو وحده ، وعليه ثوب مرشوش بدم ، ويدعى اسمه كلمة الله ، والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه بخيل شهب ، وعليهم ثياب من بز أبيض نقى ، ومن فمه يخرج سيف ذو حدين ، ليضرب الأمم به ، وهو يرعاهم بقضيب من حديد ، وهو يدرس

معصرة خمر برجز غضب الله ضابط الكل ومكتوب على ثوبه وفخذه ملك
الملوك ورب الأرباب « انتهى بحروفه •

وفي بعض نسخهم : « خيل بيض ومن فمه يخرج سيف ماض وهو
سيرعاهم بعضا من حديد » فليت شعري كيف يسوغ للنصارى أن
يصرفوا هاتين البشارتين عن نبينا ﷺ ؟ فهل غيره من عيسى الى زمنه
عليه الصلاة والسلام رعى الناس بعضا من حديد ؟ وهل كان غيره يدعى
أمينا ؟ وهل غيره أعطى سلطانا على الأمم كافة ؟ وهل غيره حارب ؟ وهل
نزلت الملائكة على خيل شهب مع غيره ؟ وهل درس وأزال معصرة الخمر
غيره ، وهل استولى على الملوك بأقصر زمن غيره وغير خلفائه ؟ فانكار
هذا مكابرة وغش من المنكر لنفسه •

ومن الأخبار المشهورة : أن سطيح الكاهن سماه صاحب الهراوة أى
العصا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام فقد روى الثقات أن ليلة ولادته
انشق ايوان كسرى أنو شيروان ، وسقط من ذلك أربع عشرة شرافة ،
وخمدت نار فارس ولم تخدم قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة
بحيث يبست ورأى الموبدان في نومه أن ابلا صعبا تقود خيلا عربا .
قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فخاف كسرى من حدوث هذه الأمور ،
وأرسل عبد المسيح الى سطيح الكاهن وكان في الشام ، ولما وصل
عبد المسيح اليه وجده في سكرات الموت فذكر له هذه الأمور ، فأجاب
سطيح بقوله : اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة
ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح
مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات ، وكل آت هو آت ثم
مات سطيح بعد زمن قليل ورجع عبد المسيح فأخبر كسرى أنو شيروان
بما قال سطيح •

فقال كسرى : الى أن يملك أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور ،
فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقيون الى خلافة عثمان رضى الله
تعالى عنه ، فملك آخرهم يزدجرد في خلافته ، وكان عمر رضى الله تعالى

عنه قد استولى على بابل والعراق وغيره • والمراوة بكسر الهاء وهي العصا الغليظة وكوكب الصبح هو القرآن العظيم كما قال تعالى : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » وتشبيهه بكوكب الصبح لأنه لا ينزل بعده شيء ، ولا يبعث بعد النبي عليه الصلاة والسلام أحد ، لأنه نبي الساعة •

ونقل الفاضل عباس على الجاجموى الهندى فى كتابه صولة الضيفم على أعداء ابن مريم هذه البشارة ، ثم قال : قلت للقسيسين « وبت » و « وليم » عند مناظرتى لهما : ان صاحب القضييب هو محمد ﷺ فاضطربا لسماع ذلك • وقالوا : ان عيسى حكم بهذه الكنيسة ثباتيرا ، فلا بد أن يكون ظهور مثل هذا الشخص هناك ، ومحمد ما راح الى هناك • قلت : هذه الكنيسة فى أى ناحية كانت ؟ فراجعا كتب اللغة وقالوا : كانت فى أرض الروم قريية من « اسلامبول » قلت : قد ذهب أصحاب محمد ﷺ فى خلافة عمر الفاروق الأعظم رضى الله تعالى عنه الى تلك البلاد وفتحوها ، وبعد الصحابة كان المسلمون متسلطين عليها فى أكثر الأوقات • ثم تسلط سلاطين آل عثمان أدام الله تعالى سلطنتهم من مدة مديدة • وهم الى هذا الآن متسلطون عليها • فهذا الخبر اذن صريح فى حق محمد ﷺ انتهى •

قلت : ولا سيما وقد حفته القرائن القوية المتعددة ، فلا مجال للخصم الى انكارها الا العناد والمكابرة أو الجهل أو التجاهل والله سبحانه الموفق للرشاد •

البشارة الثانية عشرة : فى الأصحاب الثانى من سفر دانيال فى حال الرؤيا التى رآها بخت نصر ملك بابل ونسى ، ثم بين له دانيال عليه السلام تلك الرؤيا التى نسيها بطريق الوحي وفسرها له ما نصه : « فكنت أنت الملك ترى واذا تمثال واحد جسيم ، وكان التمثال عظيما ورفيع القامة واقفا قبالك ومنظره مخوفا • رأس هذا التمثال هو من ذهب ابريز ، والصدر والذراعان من فضة ، والبطن والخصران من

نحاس ، والساقان من حديد ، وقسم منها من خزف • فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لا بيدين وضرب التمثال في قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ معا الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب ، وصارت كغبار البيدر في الصيف • فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان • والحجر الذى قد ضرب التمثال صار جبلا عظيما وملا الأرض بأسرها •

فهذا هو الحلم ، وتنبئ أيضا قدامك يا أيها الملك بتفسيره : أنت هو ملك الملوك والاله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان وانجد وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل وأعطى بيدك طير السماء أيضا • وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك • فأنت هو الرأس من الذهب • وبعذك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضة ، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس ، ومتسلط على جميع الأرض • والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد • كما أن الحديد يسحق ويغلب الجميع ، هكذا هى تسحق وتكسر جميع هذه • أما فيما رأيت قسم القدمين وأصابعهما من الخزف الفاخوري وقسما من حديد تكون المملكة مفتقرة وان كان يخرج من نصبة الحديد جسما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ، وأصابع القدمين قسم من حديد وقسم من خزف ، فتكون المملكة بقسم صلابة ويقسم مسحوقة ، فبما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ، أنهم يختلطون بزرع بشرى ، بل لا يتلاصقون ، مثل ما ليس بممكن أن يمتزج الحديد بالخزف •

فأما فى أيام تلك الممالك يبعث اله السماء مملكة ، وهى لن تنتضى قط ، ملكها لا يعطى لشعب آخر ، وهى تسحق وتغنى جميع هذا الممالك أجمعين • وهى تثبت الى الأبد • وكما رأيت أن من جبل انقطع حجر لابيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب ، فالاله العظيم أظهر للملك ما سيأتى من بعد • والحلم هو حقيقى وتفسيره صحيح يقين » انتهى بحروفه •

فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بخت نصر • وبالمملكة الثانية سلطنة الماديين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصح بن بخت نصر كما هو مصرح به في الاصحاح الخامس من السفر المذكور ، وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة الى سلطنة الكلدانيين • والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكلدانيين لأن قورش ملك ايران الذي هو بزعم القسيسين كايخسرو ، وتسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمس مائة وست وثلاثين سنة ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض • والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلوقش الرومي ، الذي تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلاث مائة وثلاثين سنة ، فهذا السلطان كان في القوة بمنزلة الحديد ، ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك ، فبقيت هذه السلطنة ضعيفة الى ظهور الساسانيين ، ثم صارت قوته بعد ظهورهم فكانت ضعيفة تارة وقوية تارة • وتلد في عهد نو شيرو ان سدينا ونبينا محمد ﷺ وأعطاه الله تعالى السلطنة الظاهرية والباطنية ، وقد تسلط متبعوه في مدة قليلة شرقا وغربا على جميع ديار فارس ، التي كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها •

فهذه هي السلطنة الأبدية التي لا تنقضي ، وملكها لا يعطى لشعب آخر ، وسيظهر كمالها ودوامها في زمن الامام المهدي رضى الله تعالى عنه الذي بشرنا به جده النبي المصطفى ﷺ ، لكن الوهن يقع قبل ظهوره بمدة قليلة كما تخبر بذلك الأحاديث النبوية الجليلة ، ثم في أيامه يكون الدين كله لله وينزل موافقا له المسيح كلمة الله •

فهذا الحجر الذي انقطع لا بيدين من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيما ، وملا الأرض بأسرها هو محمد المصطفى ، وحبيب الله المرتضى ﷺ •

وهذا يفهمه كل ذى لب وانصاف ويعلمه من كلام دانيال من له بالحق اعتراف وتوجيه ، يشهد لصحته شاهد الوقوع ويؤيده المنقول والمسموع •

هذا وقد بقيت بشائر كثيرة في كتب العهدين ، تركنا ذكرها خشية التطويل والملل ، من أرادها فعليه باظهار الحق والأجوبة الفاخرة وهداية الحيارى ، ففيها ما يقر العينين ويفحم أرباب الجدل ، والله سبحانه المسئول أن يهدي للإسلام من أحبه من المال آمين • غير انى ذكر لك بشارتين لا توجدان الآن في كتب النصارى المشهورة :

البشارة الأولى : نقلها القسيس « سيل » في مقدمة ترجمته للقرآن العظيم من انجيل برنابا وطبعت سنة ١٨٥٤ وانتشرت ، ثم طبعوا الكتاب مرة ثانية فأخرجوها وحذفوها ، وهى ما نصها : « اعلم يا برنابا أن الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه لأن الله غير راض عن الذنب ، ولما ألحبتنى أمتى وتلاميذى لأجل الدنيا ، سخط الله لأجل هذا الامر ، وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه العقيدة الغير لائقة ، ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ، ولا يكون لهم أذية هناك • وانى وان كنت بريئا ، لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول ، واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الشياطين يوم القيامة على ، ولا يستهزئون بى ، فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا • ويظن كل شخص انى صلبت • لكن هذه الاهانة والاستهزاء يبقيان الى أن يجيء محمد رسول الله • فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط ، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس » انتهت ترجمته بحروفها •

قال فى اظهار الحق : فان اعترضوا أن هذا الانجيل رده مجالس علمائهم • فنقول لا اعتبار لردهم • وهذا من الأنجيل القديمة ويوجد ذكره فى كتب القرن الثانى والثالث • فعلى هذا كتب قبل ظهور نبينا ﷺ بمائتى سنة ، ولا يقدر أحد أن يخبر بمثل هذا الأمر من غير الهام ، كما لا يخفى على ذوى الأفهام •

قال : والبشارة الثانية : قال الفاضل حيدر على القرشى فى كتابه المسمى خلاصة سيف المسلمين الذى هو فى لسان الأردواى الهندى فى

الصحيفة الثالثة والستين : « ان القسيس أوسكان الأرمني ترجم سفر أشعياء باللسان الارمني في سنة ألف وستمئة وست وستين ، وطبعت سنة ١٧٣٣ وفيه في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة ونصها : « سبحوا الله تسبيحا جديدا وأثر سلطنة على ظهره ، واسمه أحمد » انتهت •

وهذه الترجمة موجودة عند الأرامن فانظروا فيها • انتهى كلامه •

وقال العلامة ابن القيم في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى بعد أن كتب بشارات عديدة من التوراة والنبوات وغيرها مما هو موجود الآن فيها ومما هو محرف ومبدل أو محذوف منها بما لفظه : « والأخبار والبشارات بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام في الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق :

أحدها : ما ذكرناه وهو قليل من كثير وغيب من فيض •

الثاني : أخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به ، وأن الأنبياء عليهم السلام بشرت به ، واحتجاجه عليهم ذلك • ولو كان هذا لا وجود له البتة ، لكان مغررا لهم بتكذيبه منكفرا لاتباعه محتجا على دعواه بما يشهد ببطانها •

الثالث : ان هذه الأمتين معترفتان بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان ، نعتة كيت وكيت • وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى •

فأما المسلمون فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم • وأما اليهود فعلموا أنهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته ، وقال للاتباع : انه لم يخرج بعد • وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح عليه السلام ولا ريب أن بعضها صريح فيه ، وبعضها ممتنع حمله ، وبعضها محتمل • وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين • وإذا جاءهم

ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه أو سكتوا عنه ، وقالوا لا ندرى من المراد به » •

الرابع : اعتراف من أسلم منهم بذلك ، وأنه صريح في كتبهم عن المسلمين الصادقين • ومنهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقتها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها ، مع تباین أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها • وهذا يفيد القطع بصحتها ، ولو لم يقر بها أهل الكتاب ، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون في تأويلها ؟ وكل واحد من هذه الطرق الأربعة كاف في العلم بصحة هذه البشارات • وقد قدمنا أن اقدامه ﷺ على اخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكرار ذلك عليهم مرة بعد مرة في كل مجمع ، وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به ، من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين :

أحدهما : قيام الدليل القطعى على صدقه •

الثانى : دعوته لهم بذلك الى تصديقه • ولو لم يكن له وجود ، لكان ذلك من أعظم دواعى تكذيبه والتفجير عنه •

قال : وهذه الطريقة يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والانجيل ، ولم يبدلوا شيئا منها ، فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض الى التبديل والتحريف • وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيرا من ألفاظ الكتابين ، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله ﷺ بكثير ، وأن البشارات لكثرتها لم يمكنهم اخفاؤها كلها وتبديلها • ففضحهم ما عجزوا عن كتمانها أو تبديله وكيف ينكر من الأمة الغضبىة قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام وصفته • وقد جحدوا نبوة المسيح عليه السلام ورموه وأمه بالعظائم ونعته ، والبشارة به موجودة في كتبهم ؟ ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته ، وانكار بشارة الأنبياء به ، ولم يفعل بهم ما فعله نبينا محمد

رسول الله ﷺ من القتل والسبى وغنيمة الأموال وتخریب الديار واجلالهم منها • فكيف تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها ؟ •

وقد عاب الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك فى غير موضع من كتابه ولعنهم عليه •

ومن العجب أنهم والنصارى يقولون أن التوراة كانت طول مملكة بنى اسرائيل عند الكاهن الأكبر الهارونى وحده ، واليهود تقول أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة • وذلك بعد المسيح فى عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ، ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم • ومنهم من يقول على زمن بخت نصر حيث ألزمهم بكتابة التوراة لطائفة من جماعته حين أسكنهم بيت المقدس •

وعلى تقدير الروايتين فمن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله تعالى فلا يؤمن منه تحريف غيره • واليهود تقول أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم « انتهى » •

وقد بسطنا وأثبتنا ذلك فى كتابنا هذا فراجع ، فان فيه كفاية لكل منصف •

وأما الانجيل فقد ذكرنا لك أيضا : أن الذى بأيدي النصارى الآن منه أربعة كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال بعد المسيح عليه السلام وهم يوحنا ومتى ومرقس ولوقا • فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف اليها ؟ كيف لا • ونسخهم الموجودة المطبوعة فيها من مخالفة بعضها لبعض مالا يحصى ؟ كما مر عليك غير مرة • وعلى ما فيها من ذلك • فقد صرفهم الله تعالى عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بنبينا محمد ﷺ وأزالته ، وان قدروا على كتمانهم عن أتباعهم وجهالهم •

ثم انه نقل في كتابه : عن الحاكم والبيهقي وغيرهما من حديث عبد الله بن ادريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبى أمامة عن هشام بن العاص قال : ذهبت أنا ورجل آخر من قريش الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة غوطة دمشق ، فنزلنا على جيلة بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه ، فاذا هو على سرير له فأرسل الينا برسول نكلمه ، فقلنا : لا والله لا نكلم رسولا . انما بعثنا الى الملك ، فان أذن لنا كمناه ، والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فأخبره بذلك . قال : فأذن لنا . فقال : تكلموا . فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام واذا عليه ثياب سواد . فقال له هشام : ما هذه التي عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام . قلنا : ومجلسك هذا فوالله لنأخذنه منك ولنأخذ ملك الملك الأعظم ، أخبرنا بذلك نبينا . فقال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه . فملى وجهه سوادا . فقال : قوموا وبعث معنا رسولا الى الملك ، فخرجنا حتى اذا كنا قريبا من المدينة ، قال لنا الذى معنا : ان دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك . فان شئتم حملناكم على براذين وبغال . قلنا : والله لا ندخل الا عليها . فأرسلوا الى الملك أنهم يأبون ، فدخلنا على رواحنا متقلدين سيوفنا ، حتى انتهينا الى غرفة له ، فأنخنا في أصلها ، وهو ينظر الينا . فقلنا : لا اله الا الله والله أكبر . والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق مصفقه . الراح ، فأرسل الينا ليس لكم أن تجهروا علنا بدينكم ، وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه ، وهو على فراش له وعنده بطارقته من الروم ، وكل شيء في مجالسه أحمر ، وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة . فدنونا منه ، فضحك وقال : ما كان عليكم لو خييتهمونى بتحيتكم فيما بينكم ، واذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام . فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التى تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها . قال : كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ فقلنا : السلام عليكم . قال : كيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها . قال : فكيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها . قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا اله الا الله والله أكبر ، فلما تكلمنا بها والله يعلم

لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها • قال : هذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة كلما قلتموها في بيوتكم تنتفض بيوتكم عليكم • قلنا لا ما رأيناها فعلت هذا قط الا عندك • قال : وددت أنكم كلما قلتموها ينتفض كل شيء عليكم ، فاني خرجت من نصف ملكي • قلنا : لم ؟ قال : لأنه يكون أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأن تكون من حيل الناس • ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه •

ثم قال كيف صلواتكم وصومكم ؟ فأخبرناه • فقال : قوموا فقمنا ، فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثيرة ، فأقمنا ثلاثا فأرسل الينا ليلا فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا فأعلائناه • ثم دعا بشيء كهيئة المربعة الذهبية فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح بيتا وقفلا واستخرج حريرة سوداء فنشرها • فاذا فيها صورة حمراء ، واذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه ، واذا ليست له لحية ، واذا له صغيرتان أحسن ما خلق الله • قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا آدم عليه السلام واذا هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر واستخرج منه حريرة سوداء ، واذا فيها صورة بيضاء ، واذا له شعر قطط أحمر العينين ضخمة الهامة حسن اللحية ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : نوح عليه السلام • ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، واذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين ضلت الجبين طويل الخد ، أبيض اللحية كأنه يبتسم ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا ابراهيم عليه السلام • ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة فاذا فيها صورة • واذا والله رسول الله ﷺ قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : نعم محمد رسول الله • قال : وبكىنا قال : والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس ، وقال : والله انه لهو ؟ قلنا : نعم انه لهو كانما ننظر اليه ، فأمسك ساعة ، ننظر اليها ، ثم قال : أما انه كان آخر البيوت ولكن عجلته لكم لأنظر ما عندكم •

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فاذا فيها صورة آدماء سحماء واذا رجل جمع قطط غائر العينين حديد النظر عابس

مترابك الأسدان مفلس الشفة كأنه غضبان قال : هل تعرفون من هذا ؟
قلنا : لا • قال : هذا موسى بن عمران ، والى جنبه صورة تشببه ،
فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا هارون • ثم فتح بابا
آخر فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان • فقال : هل
تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا لوط عليه السلام •

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة
رجل أبيض حسن الوجه أقنى الأنف حسن القامة يعلاو وجهه نور ، يعرف
فى وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا •
قال : هذا اسماعيل عليه السلام جد نبيكم • ثم فتح بابا آخر فاستخرج
حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم كأن وجهه الشمس فقال :
هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا يوسف • ثم فتح بابا آخر ،
فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحمر أحمر الساقين أخفش
العينين صخم البطن ، ربعة متقلد سيفا ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا :
لا • قال : هذا داود • ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها
صورة رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرسا • فقال : هل
تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا سليمان بن داود •

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ،
واذا رجل شاب شديد سواد اللحية لين كثير الشعر حسن الوجه حسن
العينين • فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا عيسى • قلنا :
من أين لك هذه الصور • لأنها تعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء ،
لأننا رأينا صورة نبينا مثله ؟ قال : ان آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من
ولده ، فأنزل عليه صورههم وكانوا فى خزنة آدم عند مغرب الشمس ،
فاستخرجها ذو القرنين ، فصارت الى دانيال ، ثم قال : أما والله ان نفسى
طابت بالخروج من ملكى ، وأنى كنت عبدا كاسرائكم ملكه ، حتى أهوت •
ثم أجازنا وأحسن جائزتنا ، وسرحنا • فلما أتينا أبا بكر الصديق فأخبرناه
بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا • فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال :
لو أراد الله تعالى به خيرا لفعل •

وأنت تعلم أن البشارات المحمدية التي بينها عبد الله بن سلام
ودعب الأخبار وبنيامين ومخيريق وبحيرا ونسطور الحبشي والأسقف
الرومي الذي أسلم على يد دحية الكلبي أيام الرسالة وقتلوه ، والجارود
والنجاشي والقسوس والرهبان الذين جاءوا مع جعفر بن أبي طالب
وغيرهم من علماء النصارى ، واليهود الذين أسلموا طوعا سلفا وخلفا
كثيرة جدا • وكل ذكر محرر في كتب المسلمين وفي تأليفات المهتدين •
وذلك عنك غير بعيد ، ويكتفى من القلادة ما أحط بالجيد • والله حسيب
كل كفار عنيد •

قال النصراني : « فعندما أيس مما سألته له نفسه ادعى النبوة
وأنه رسول مبعوث من رب العالمين ، فدخل عليهم من باب لطيف
لا يعرفون عاقبته ما هي ، ولا يفهمون كيف امتحان مثله ؟ ولا يعود
عليهم من ضرر منه ، وإنما هم قدم عرب أصحاب يد ، وأم يهملوا
شروط الرسالة ، ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبي
قط ، وكان ذاك من تعليم الرجل الملقن لله ، الذي سنذكر اسمه وقصته
في غير هذا الموضع من كتابنا • وكيف كان سببه » انتهى •

فأقول : ومنه سبحانه التوفيق والهداية الى أقوم طريق انى قد
نقلت لك مقالته هذه آنفا وحررت مطلب تتعلق بردها ، غير أنى أعدتها
بحروفها هنا لأزيدك أبحاثا نفيسة تتعلق أيضا بما نحن بصدده ، وليكون
هذا في نفسك أوقع ، ولحجابه أدفع ، فاعلم أن هذا الكلام الذى أراد
به عبد المسيح ابطال نبوة سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام مع كونه
كذب ظاهر وبهتان صريح وكلام مزيف وكوثن مزخرف • ولا يخفى زوره
وباطله على كل منصف عارف بسيرة النبي الأمين وأحوال الجاهلية في
زمانه من البدو والقاطنين ، وعالم بما قدمناه من البشارات السماوية
برسالته وذكر صفاته بكتب العهدين ومدح أمته ، نذكر في رده جملة
فصول مطابقة للمنقول والمعقول :



فصل : في قوله : « فعند ما أيس » الى آخره •

اعلم أولا : أن من أعظم دلائله النبوات المعجزات • وهى : الخارقة للعادة ، اذا ظهرت ممن يدعى النبوة وكانت طبق ما يريد أو ما يراد منه ، كما وقع لـ إبراهيم ولموسى وعيسى وغيرهم ، فما ثبتت به نبوة اخوانه المرسلين ثبتت بمثله أيضا نبوة النبى الصادق الأمين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة المطين وأزكى سلام المسلمين • ولنذكر لك أولا ما يتعلق بأمر النبوات على العموم ، وبيان خلاف الفرق الضالة فيها ، والبراهين المثبتة لها ، لتزداد معرفة فيما نحن بصدد ، ثم نردف الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى باثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا التى هى الغرض الأسمى فى هذا الكتاب •

قال الامام أبو الحسن على الماوردى فى دلائله : « والأنبياء هم رسل الله تعالى الى عباده بأوامره ونواهيه ، زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها ، والزما لما جوزته من مباحاتها ، لما أراده الله تعالى من كرامة العاقل ، وتشريف أفعاله ، واستقامة أحواله ، وانتظام مصالحه ، حين هياؤه للحكمة ، وطبعه على المعرفة ، ليجعله حكيما وبالعواقب عليما ، لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم ، ولا ينزجرون مع اختلاف همومهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضية ، فتكون آداب الله تعالى فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة وأوامره فيهم ممتثلة ، ووعدده ووعيدده فيهم زاجرا وقصص من غير من الأمم واعظا • فان الأخبار العجيبة اذا طرقت الأسماع والمعانى الغريبة اذا أيقظت الأذهان استمدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها • وأكثر الناس سمعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما ، وأكثرهم علما أكثرهم عملا ، فلم يوجد عن بعثة الرسل معول ولا منهم فى انتظام الحق بدل •

وأنكر فريق من الأمم نبوات الرسل وهم فيها ثلاثة أصناف :

أخذها : ملحدة دهرية يقولون بقدوم العالم وتدبير الطبائع ، فهم
بانكار المرسل أجدر أن يقولوا بانكار المرسل •

والصنف الثانى : براهمة موحدة يقولون بحدوث العالم ويجحدون
بعثة المرسل ، ويبتلون النبوات • وهم المنسوبون الى « بهرمن »
صاحب مثالتهم • وشذ فريق منهم فادعى أنه آدم أبو البشر ومنهم من
قال هو ابراهيم •

ومن قال من هذه الفرقة الشاذة منهم : انه أحد هذين ، أقر بنبوتهما
وأنكر نبوة من سواهما • وجمهورهم على خلاف هذه المقالة فى اعتراضهم
لصاحب مقالتهم ، وانكار جميع النبوات عموما •

والصنف الثالث : فلاسفة لا يتظاهرو بابطال النبوات فى الظاهر •
وهم مبطلون فى تحقيق قولهم لأنهم يقولون : ان العلوم الربانية بعد
كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة يضعها من كملت رياضته
إذا كان عليها مطبوعا •

واختلف من أبطل النبوات فى علة ابطالها فذهب بعضهم الى أن
العلة فى ابطالها : أن الله تعالى قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول من
لوازم ما يأتى به المرسل • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : انه لا يمنع ما دلت عليه العقول جواز ، أن يأتى به المرسل
وجوبا • ولو كان العقل موجبا لما امتنع أن تأتى به المرسل ، تأكيدا كما
تترادف دلائل العقول على التوحيد ، ولا يمنع وجود بعضها من وجود
غيرها •

والثانى : انه لا تستغنى قضايا العقول عن بعثة المرسل من وجهين :
أحدهما : أن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها
فانحسم ببعثة المرسل اختلافها •

والثانى : انه لا مدخل للعقول فيما تأتى به المرسل من الوعد

والوعيد والجنة والنار ، وما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التآله ، فلم يغن عن بعثة الرسل •

وذهب آخرون منهم الى أن العلة في ابطال النبوات : أن بعثة الرسل الى من يعلم من حالهم أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه اليهم عبث ، تمنع منه حكمة الله تعالى • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله ، كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثا ، وان كان فيهم من لا يستدل على توحيده ، كذلك بعثة الرسل •

والثاني : أن وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل • وهم يمنعون من ارسالهم الى من يقبل ولا يقبل فبطل به هذا التعليل •

وقال آخرون منهم : بل العلة فيه ما جاء به الرسل مختلف ينقض بعضه بعضا وينسخ المتأخر ما شرعه المتقدم ، وقضايا العقول لا تتناقض ، فلم ترتفع بما يختلف ويتناقض • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما جاء به الرسل ضريان :

أحدهما : ما لا يجوز الا أن يكون على وجه واحد هو التوحيد وصفات الرب والمربوب ، فلم يختلفوا فيه وأقوالهم متناصرة عليه •

والضرب الثاني : ما لا يجوز أن يكون من العبادات على وجه ، ويجوز أن يكون على خلافه ، ويجوز أن يكون في وقت ، ولا يجوز أن يكون في غيره • وهذا النوع هو الذي اختلف فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم ، اما بحسب الأصلح ، واما بحسب الارادة • وهذا في قضايا العقول جائز •

والوجه الثاني : ان قضايا العقول قد يختلف فيها العقلاء • ولا

يمنع ذلك أن تكون العقول دليلا • كذلك ما اختلف فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة •

وقال آخرون منهم : بل العلة في ابطال النبوات أنه لا سبيل الى العلم بصحتها لعينها ، وأن ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممنوع بالطباع الدافعة لها • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن المعجزات من فعل الله تعالى فيهم ، فخرجت عن حكم طباعهم •

والثاني : انهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة ، تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع من الاعجاز •

وقال آخرون منهم : بل العلة في ابطال النبوات : ان ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة ، قد يوجد مثله في أهل الشعبة والمخرقة وأهل النارنجيات ، ليس ذلك من دلائل صدقهم ، فكذلك أحكام المعجزات • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن الشعبة تظهر لذوى العقول وتدلس على الغر الجاهول ، فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول •

والثاني : أن الشعبة تستفاد بالتعليم ، فيتعلمها من لم يحسنها فيصير مكافئا لمن يحسنها ويعارضه بمثلها • والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ، ولا يعارضه أحد بمثلها • كما انقلبت عصا موسى حية تلقف ما أفكه السحرة فخروا له سجدا • ولئن كان في ابطال هذه الشبهة دليل على اثباتها فيستدل على اثبات النبوات من خمسة أوجه ، وان اشتملت تلك الأجوبة على بعضها •

أحدها : أن الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم اليه من المصالح • ولما كان في بعثة الرسل مالا تدركه العقول ، كان ارسالهم من عموم المصالح التي يكفل بها •

والثانى : أن فيما يأتى به الرسل من الجزاء ، بالجنة ثوابا ، يبعث على الرغبة فى فعل الخير ، وبالنار عقابا ، يبعث على الرهبة فى الكف عن الشر ، صار سببا لائتلاف الخلق وتعاطى الحق •

والثالث : ان فى غيوب المصالح مالا يعلم الا من جهة الرسل فاستفيد بهم مالا يستفيده بالعقل •

والرابع : ان المتأله لا يخلص بالتدين والدين لا يصلح الا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ما كلف •

والخامس : ان العقول بما استنكرت من موافقة الأفكار ، ومتابعة النظر ، فلم يجمعهم عليه الا طاعة المعبود ، فما أداه رسالته فصارت المصالح بهم أعم والاتفاق بهم أتم ، والشمل بهم أجمع ، والتنازع بهم أمنع ، فيجوز اثبات التوحيد والنبوات بدقيق الاستدلال كما يجوز بجليه ، فان ما دق فى العقول هو أبلغ فى الحكمة •

وقد تلوح لابن الرومى هذا المعنى فنظمه فى شعره فقال :

غموض الحق حين يذب عنه

تملأ ناصر الخصم الحق

يجل عن الدقيق عقول قوم

فيقتضى للمجل على المدى



فصل

فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات • فهم رسل الله تعالى الى خلقه بخطاب مسموع أو سفارة ملك منزل ؟ ومنع قوم من مثبتى النبوات أن تكون نبوتهم عن خطاب أو نزول ماك لانقضاء المخاطبة الجسمانية عنه ، لأنه ليس بجسم ، فاللائكة من العالم العلوى وهو بسيط لا يهبط • كما أن العالم السفلى كثيف لا يعلو • واختلف من قال بهذا فيما جعلهم به أنبياء • فقال بعضهم : صاروا أنبياء بالالهام لا بالوحى • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما بطل به الهمام المعارف فى التوحيد ، كان ابطال المعارف به فى النبوة أحق •

والثانى : ان الالهام خفى غامض يدعيه المحق والمبطل ، فان ميزوا بينهما بطلب أماره ، عدلوا عن الالهام الى دليل يبطل الالهام •

وقال آخرون منهم : انما صاروا أنبياء لأن الله تعالى فى العالم خواصا وأسرارا تخالف مجرى الطبائع • فمن أظفره الله تعالى بهما من خلقه ، استحق بهما النبوة •

وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : خفاها فيه عن غير دليل على صدقه •

والثانى : أن يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه ، فصار كغيره •

وقال آخرون : بل صاروا أنبياء لأن الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون به الى حقائق الأمور ، فلا يشتبه عليهم منها ما يشتبه على غيرهم ، فصاروا أنبياء عن عقولهم لا عن ربهم • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن هذا يقتضى فضل العلم فى حقه ولا يقتضيه فى حق غيره .

والثانى : أنه ان أخبر عن نفسه لم يكن رسولا ، وان أخبر عن ربه كان كاذبا .

وقال آخرون : انما صاروا أنبياء لأن النور فيهم صفا ونما بالنور الأعظم الالهى الذى تخلص به الأفهام وتصح به الاوهام ، حتى ينتقلوا الى الطباع الروحانية فيزول عنهم كثير من الطباع البشرية ، فيخرجوا عن سنخ الكائنات بصفاء نورهم وخلاصهم . وهذا قول الثنوية . وهو فاسد من وجهين :

أحدهما : أنهم دفعوا أسهل الأمور من بعثة الرسل الى أغلظها من اعطاء نوره ، فأولى أن يدفعوا عن الأغلظ بما دفعوا عن الأسهل .
والثانى : أنهم أثبتوا ممازجة البارى سبحانه فيما اختص بذاته ومخالفة الذات تمنع من ممازجته .

والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة الجسمانية عن ليس بجسم من وجهين :

أحدهما : أنه لا يمتنع أن يظهر منه كخطاب الاجسام ، وان لم يكن جسما . كما يظهر منه كأفعال الأجسام ، وان لم يكن جسما .
والثانى : أن الله تعالى يجوز أن يودع خطابه فى الأسماع حتى تعينه الآذان وتفهمه القلوب بقدرته التى أخفاها عن خلقه .

والجواب عما ذكروه من أن جرم الملائكة علوى لا ينهب من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بممتنع أن ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم أرضى كثيف . اما بزيادة أو انقلاب كما يقولون فى العقل والنفس أنهما جرمان علويان هبطا الى الجسم ، فحلا فيه .

والثانى : أنهم يقولون بانقلاب الأجرام الطبيعية ، يقولون ان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء باردا وأن الماء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء ، وأن الهواء المركب من حرارة ورطوبة ، اذا ارتفعت رطوبته بيبوسة صار نارا فاذا جاز ذلك عندهم في انقلاب الطبائع ، كان في فعل الله تعالى أجوز وهو عليها أقدر •

ولا يمكن أن تدفع أقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الا بمثلها ، وان خرج عن حجاج أمثالنا ، لنقض قولهم بقولهم ، لا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول • فما يضل عن الدين الا قاذح في أصوله ومزور على أهله •



فصل

فاذا ثبت أن النبوة لا تصح الا ممن أرسله الله تعالى بوحيه اليه ، فصحتها فيه معتبرة بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته •

أحدها : أن يكون مدعى النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها لصدق لهجته وظهور فضله وكمال حاله • وان اعتوره نقص أو ظهر منه كذب ، لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفقد أمانتها •

فقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بعض أحياء العرب يدعوهم الى الاسلام فقالوا : يا خالد صف لنا محمدا • قال بايجاز وباطناب ؟ قالوا : بايجاز • قال : هو رسول الله ، والرسول على قد المرسل •

والشرط الثاني : اظهر المعجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله ، لتكون مضاهية للأفعال الالهية وليعلم أنها منه فتصح دعوى رسالته لأنه لا يظهرها من كاذب عليه ، ويكون المعجز دليلا على صدقه ، وصدقه دليلا على صحة نبوته •

والشرط الثالث : أن يقترن بالمعجز دعوى النبوة • فان لم يقترن بالمعجز دعوى ، لم يصير بظهور المعجز نبيا ، لأن المعجز يدل على صدق الدعوى ، وكان صفة لها فلم يجز أن تثبت الصفة قبل وجود الموصف ، فان تقدم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان تأسيسا للنبوة ككلام عيسى عليه السلام في المهد هو تأسيس للنبوة • واحتاج مع دعوى النبوة الى احداث معجز ، يقترن بها ليدل على صدقه فيها • وان تقدمت دعوى النبوة على المعجز انتهى بحدوث المعجز بعدها عن اقترانه بها ، لأن استصحابه للدعوى مقترن بالمعجز ، فان ظهر المعجز المقترن بالدعوى لبعض الناس دون جميعهم ، نظر • فان كان عددا يتواتر بهم الخبر ويستفيض بهم الأثر كان الغائب عنهم محجوبا بالمشاهدة له في لزوم الاجابة والانقياد للطاعة ، كما يكون العصر الثانى محجوبا بالعصر الأول ، وان كان المشاهد المعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر ولا يتواتر بهم الأثر لا مكان تواطئهم على الكذب أو يتوجه الى مثلهم الخطأ أو الزلل ، كان المعجز حجة عليهم ، ولم يكن حجة على غيرهم ، حتى يشاهدوا من المعجزة ما يكونوا محجوجين به ، وسواء كان من جنس الأول أو من غير جنسه ، فان قصر من شاهد الأول عن عدد التواتر ، وقصر من شاهد الثانى عن عدد التواتر ، لم يكن فيهما حكم التواتر ، ولا فى واحد منهما ، لجواز الكذب على كل واحد من العددين •

فصل

وإذا كانت حجج الأنبياء على أممهم هي المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا يستطاع إلا بقدرة الهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقا على الاختصاصه برسالاته ، فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته ، إذا وجد ذلك منه في زمان التكليف • فاما عند قيام الساعة إذا سقطت فيه أحوال التكليف ، فقد يظهر فيه من أشرائها ما يخرق العادة ، فلا يكون معجزا مدعى نبوة •

وانما اعتبر في المعجز خرق العادة لأن المعتاد يشمل الصادق والكاذب ، فاختص غير المعتاد بالصادق دون الكاذب ، فاذا تقرر أن المعجز محدود بما ذكرناه من خرق العادة ، فقد ينقسم ما عرج عن العادة على عشرة أقسام :

أحدها : ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع الأجسام وقلب الأعيان وأحياء الموتى • فقليل هذا وكثيره معجز بخروج قليله عن القدرة كخروج كثيره به •

والقسم الثاني : ما يدخل جنسه في قدرة البشر ، لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطى الأرض البعيدة في المدة القريبة ، فيكون معجزا لخرق العادة • واختلف المتكلمون في المعجز منه • فعند بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه بالمعجز • وعند آخرين منهم : أن جميعه يكون معجزا لاتصاله بما لا يتييز منه •

والقسم الثالث : ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالأخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزا بشرطين :

أحدهما : أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق •

الثاني : أن يتجرد عن سبب يستدل به عليه •

والقسم الرابع : ما خرج نوعه ، عن مقدور البشر وان دخل جنسه في مقدور البشر ، كالقرآن في خروج أسلوبه عن أقسام الكلام ، فيكون معجزا لخروج نوعه عن القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة ، ويكون المعجز مع القدرة على آله من الكلام أبلغ في المعجز •

والقسم الخامس : ما يدخل في أفعال البشر ويفضى الى خروجه عن مقدور البشر كالبراء الحادث عن المرض والأرع عن البذر ، فان براء المرض المزمع لوقته واستحصاد الزرع المتباقل قبل أوانه ، كان بخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة •

والقسم السادس : عدم القدرة عما كان داخلا في القدرة ، كانذار الناطق بعجزه عن الكلام ، واخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة ، فيكون ذلك معجزا يخص العادة جزء ولا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز نفسه وليس غيره على يقين من عجزه •

والقسم السابع : انطاق حيوان أو حركة جماد ، فان كان باستدعائه أو عن اشارته كان معجزا له ، وان ظهر بغير استدعاء ولا اشارة لم يكن معجزا يخص العادة جزء لا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز نفسه وليس اختصاصه بغيره ، وكان من نذر الوقت وحوادثه •

والقسم الثامن : اظهار الشيء في غير زمانه كاظهار فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، فان كان استبقاؤهما في غير زمانهما ممكنا لم يكن معجزا وان لم يكن استبقاؤهما ممكنا كان معجزا سواء بدأ باظهاره أو طوّل به •

والقسم التاسع : انفجار الماء المنقطع أو قطع الماء المنفجر ، اذا لم يظهر بحدوثه من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة •

والقسم العاشر : اشباع العدد الكثير من الطعام اليسير واروائهم من الماء القليل يكون معجزا في حقهم وغير معجز في حق غيرهم لما قدمناه

من التعليل . فهذه الأقسام ونظائرها الداخلة في حدود الاعجاز متساوية الأحكام في ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على ما ادعاه من النبوة ، وان تفاوت الاعجاز فيها وتباين ، كما أن التوحيد قد يختلف في الخفاء والظهور وان كان في كل منها دليل . واما فعل ما يقدر البشر على تقاربه وان عجزوا عن مثله فليس بمعجز ، لأن الجنس مقدور عليه ، وانما الزيادة فضل حذق به كالصنائع التي يختلف أهلها فيها فلا يكون حذقهم بها معجزا ، يجوز أن يدعى بها النبوة .

فان قيل : فقد جاء زرادشت وبولس بآيات مبصرة ، ولم تدل على صدقهما في دعوى النبوة .

قيل : لأنهما قد كذبا أنفسهما بها ادعياه في الله تعالى مما يدل على جهلهما به ، لأن «بولس» يقول : ان عيسى عليه السلام ابن الله وهو الله وزعم زرادشت : أن الله تعالى كان وحده ولا شيء معه فحين طالت وحدته ، فكر فتولد من فكره «أهرمن» وهو «ابليس» فلما مثل بين عينيّه ، أراد قتله ، فامتنع منه فلما رأى امتناعه وإدعاه الى مدته وسأله الى غايته . ومن قال بهذا في الله تعالى . ولم يعرفه لم يجز أن يكون رسولا ، ثم داعيا الى القبائح والأخلاق السيئة ، كما شرع زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الأمهات وعبادة النيران . وكذلك «بولس» و «مانى» فخذلهم الله تعالى . ولو دعوا الى محاسن الأخلاق ، لكان الوثوق بهم أكثر . ولكن الله تعالى عصم بالاعتقول من استرشدها ، وقاد الى الحق من يقظ بها .

فصل

ولا يجوز أن يظهر الله تعالى المعجز ممن يجعله دليلا على صدقه في غير النبوة ، وإن كان فيها مطبقا • لأن النبوة لا يوصل إلى صدقه فيها إلا بالمعجز ، لأنه مغيب لا يعلم إلا منه ، فاضطر إلى الاعجاز في صدقه • وغير النبوة من أقواله وأفعاله قد يعلم صدقه فيها بالعيان والمشاهدة ، وتخرج عن صورة الاعجاز وإن نفذت المشاهدة • ولئلا تشتبه معجزات الأنبياء بغيرها • فأما مدعى الربوبية إذا أظهر آيات باهرة ، فقد ذهب قوم إلى أنها تكون معجزة وقد بطلت بكذبه ، فلم يتمتع لظهور بطلانها • أن تجد منه ، إذا كان كاذبا في ادعاء النبوة ، لأنه لم يقترب بدعواه ما يطلها كمدعى الربوبية • والذي عليه قول الجمهور : أنه لا يجوز أن يظهر المعجز عن مدعى الربوبية ، كما يجوز أن يظهر على مدعى النبوة لأن معصيته في ادعاء الربوبية أغلظ وافكه فيها أعظم • وكان ذلك المعجز بأن لا يظهر عليه أجدر ، وإذا استوضح ما أظهره مدعى الربوبية من الآيات ظهر فسادها وبان اختلافها ، فخرجت عن الاعجاز إلى سحر أو شعبذة •

فصل

ولما علم الله تعالى أن أكثر عباده لا يشهدون حجج رسالته ولا يحضرون آيات أنبيائه ، اما لبعد الدار أو لتعاقب الأعصار ، وطبع كل فريق على الاخبار بما عاين ، فيعلمه الغائب من الحاضر ويعرفه المتأخر من المعاصر ، وقد علم مع اختلاف الهمم أن خبر التواتر اذا انتفت عنه الريب حق لا يعترضه شك ، وصدق لا يشتبه بافك ، فصار وروده كالعيان في وقوع العلم به اضطرارا ، فثبت به الحجة ، ولزم به العمل . وقد قال الطفيل الغنوى مع أعرابيته في وقوع العلم باستفاضة الخبر ، ما دلته عليه الفطرة وقاده اليه الطبع :

تأوبنى هم من الليل منصب

وجاء من الاخبار مالا يكذب

تظاهرت حتى لم يكن لى رية

ولم يك عما أخبروا متعقب



فصل

فاما ما يجوز لدعى النبوة أن يدعى به النبوة فانه يقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكلمه الله تعالى بغير واسطة •

والثانى : أن يخاطبه بواسطة ملك •

والثالث : أن يكون عن رؤيا فى المنام •

فالقسم الأول : مثلا كلامه لموسى حين نودى من الشجرة فيعلم اضطرارا ، أنه من الله تعالى • وفيما يقع به علم الاضطرار فى كلامه ، لأهل العلم فيه قولان :

أحدهما : انه يضطره الى العلم به •

والثانى : أنه يقترن بكلامه من الآيات ما تدل على أنه منه •

وأما القسم الثانى : فعنى الأنبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته فى رسالته • وطريق علمهم به الاستدلال ، ثم يصير بعد نزول الملائكة بمعجزاتهم القاهرة على اضطرار ، وعالى الملائكة اذا نزأوا بالوحي على الرسول اظهار معجزتهم له ، كما يلزم الرسول اظهار معجزته لأئمة •

روى : أن جبريل عليه السلام لما تصدى الرسول الله ﷺ بمكة فى الوادى • قال له : قل يا محمد للشجرة أقبلى • فقال : لها ذلك فأقبلت • وقال له : قل لها أدبرى • فقال لها ذلك فأدبرت • فقال لله رسول الله ﷺ : « حسبى » يعنى فى العلم بصدقك فيما آتيتنى به عن ربى • فتستدل الرسل بالمعجزات على تصديق الملائكة بالوحي ، وتستدل الأمم بمعجزات الأنبياء على تصديقهم بالرسالة •

واما انقسم الثالث : أن يكون عن رؤيا منام ، فان لم يكن ممن تصدق رؤياه بكثرة أحلامه ، لم يجوز أن يدعى به النبوة • وان كان ممن تصدق رؤياه فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا » لم يجوز أن يدعى النبوة بأول رؤيا لجواز أن تكون من حديث النفس ، وأن الرؤيا قد تصح تارة وتبطل أخرى • وان تكررت رؤياه مرارا حتى قطع بصحتها ، ولم يخالجه شك فيها ، جاز أن يدعى النبوة بها فيما كان حفظا لما تقدمها من شرع وبعثا على العمل بها من بعد ، ولم يجوز أن تعبد بها في نسخ شرع واستئناف تعبد • ويجوز أن يعمل على رؤيا نفسه فيما يلزمه من استئناف • ولا يجوز أن يعمل عليها في نسخ ما ألزمه من شرع ، ليكون بها ملزمتا ولا يكون بها مسقطا • وهذا الذي ذكرناه لا يكون جائزا بعد نبينا ﷺ لأنه خاتم الأنبياء • فلا تفعل •



فصل

قال الماوردي : وأما نبوة نبينا محمد ﷺ فقد اختلف فيه مخالفوه من مثبتى النبوات على أقوال شتى ، فمنعت اليهود من نبوته لامتناعهم من نسخ الشرع • واختلفوا في المانع من نسخه ، فمنع منه بعضهم بالعقل ، لأن نهى الله تعالى عما أمر به وأمره بما نهى عنه انما يكون لخباء المصلحة عليه في الابتداء وظهور حاله في الانتهاء • والله تعالى عالم بها في الحالين ، لتباين الضدين • ومنع بعضهم منه بالشرع ، وان جوزه في العقل بما نقلوه عن موسى عليه السلام وذكروه في التوراة أنه قال : « تمسكوا بالسبب أبدا ، سنة الدهر » وكلا الوجهين فاسد من وجهين :

أحدهما : أن العقل لا يمنع من الأمر بالشئ في زمان ، والنهى عنه في غيره ، بحسب المصلحة في قول من اعتبرها • ولا يكون مستتبعا من فعل حكيم كما ينبغي من أفقر ، ويفقر من أغنى اما للمصلحة أو بالارادة • ولا يكون ذلك لاستيهام المصلحة واشكال الارادة •

والثانى : ان موسى عليه السلام نسخ شرع من تقدمه ، لأن آدم زوج بنىه ببنته ، وجوز يعقوب الجمع بين الأختين ، ونكح ابراهيم بنت أخيه • وكل هذا عند موسى منسوخ بشرعه ، فجاز ان ينسخ شرعه بشرع غيره •

أقول : ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى لاستيفاء الكلام على هذه المسألة •

وقال آخرون : محمد ﷺ نبي مبعوث الى قومه من العرب ، وليس نبي لغيرهم • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه تخصيص بغير دليل •

والثانى : ان ثبوت نبوته عليه الصلاة والسلام فى قومه موجب لصدقه • وقد قال : انه بعث الى كافة الخلق ، وأنه ختم الأنبياء ، فلم يجز رد قوله مع ثبوت صدقه •

وقال آخرون : هو نبي مبعوث الى من لم يتمسك بشرع من عبدة الأوثان ، وليس بمبعوث الى من تمسك بشرع من اليهود والنصارى • وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين :

أحدهما : أنه يدفع به عن نسخ الشرع • وقد دللنا على جوازه •
والثانى : أن من اعترف بالنبوات كانت ألزم له ممن جردها •

وقال آخرون : ليس بنبي لأنه لم يأت بمعجزة قاهرة تضطر الى صدقه ، كمعجزة موسى وعيسى عليهما السلام وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من الشرائع • وفى هذا يتعين اقامة الدليل على اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام • وهو معتبر بثلاثة شروط :

أحدهما : وصف المستدل •

والثانى : حكم المدلول عليه •

والثالث : صفة الدليل •

فأما الشرط الأول فى صفة المستدل : فقد اختلف فيه فذكر الجاحظ

أنه العقل لأنه المميز تالحق • وقال الأكثرون : المستدل هو العاقل والعقل آلة استدلاله ليتوصل به الى صحة مدلوله •

وأما الشرط الثانى ففى حكم المدلول عليه • فعند فريق أنه اثبات نبوته ليعلم بها صدق قوله • وعند الأكثرين أنه اثبات صدقه ليعلم بقوله صحة نبوته •

وأما الشرط الثالث وهو الدليل ، فحجاج يتنوع أنواعا • لأن المستدل واحد ، والمدلول عليه واحد • والدليل يشتمل على أعداد متنوعة وشواهد مختلفة فرق الله تعالى بينهما لتكون الحجج متغايرة والبراهين متناصرة ، بحسب ما عليه علمه من المصلحة وراه من أسباب الاجابة • كما قال تعالى : « وكذلك نصرف الآيات » أى نخالف بينها فى المعجزات ، فكان بعضها حجة قاطعة وبعضها أمانة لائحة ، تجرى عليها أحكام ما قاربها فيقوى بعد الضعف وتحج بعد الكشف • وان لم يكن الانذار بانفرادها من قواطع الحجج المغنية عن دليل يحج ، وهكذا القول فى نبوة غيره ، فلا يلزم تطابق حججهم كما لم يلزم اتفاق شرائعهم •

وقد قدمنا أقسام المعجزات ، فاذا ظهرت احداهن حجت ودلت على صحة النبوة • وقد ظهر فى نبوة نبينا محمد المصطفى ﷺ أكثرها مع ما تقدمها من انذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من أخبار ، فصارت أعم النبوات اعجازا ، وأوضحها طريقا وامتيازاً ، وأكثرها تأييدا الهيا وتعبداً شرعياً ، تعتمد شواهدا من نافر وعائد ، وتحج دلائلها من ناكر وجاحد • ولم تنزل أمارات النبوة لائحة فى رسول الله ﷺ حتى تدرج اليها وهو غافل عنها • وغير متصنع لها فنهض بأعبائها حين أتته وقام بحقوقها حين لزمته ، غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها ، الى أن تكامل به الشرع • هذا وهو أسمى لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس وبين كل مشتبك ، حتى رجع كثير من الملل الى شريعته فى عالم ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها وبين أحكامها • وما ذلك إلا بعون الهى وتأيد لاهوتى • وحسبك بهذا شاهدا لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به •

ولكن سنذكر ان شاء الله تعالى قريبا من معجزاته القاهرة وبراهينه الواضحة ، ما يرد كل جاحد ويصد كل معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وأثار مشاهيرة يصدق بعضها بعضا ، ليكون تغايرها جامعا لكل برهان ، وتظاهرها رافعا لال بهتان .

فمنها ما تقدمه من نذير وبشير ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما تناربه من أقوال وأفعال صدرت منه واليه ، فلم يسبق من الآيات ما اخل به ولا من الأعلام ما خفر شيه وسنذكرها ان شاء الله تعالى فصولا مفصلة وأنواعا متميزة لتكون أصح بيانا وأوضح برهانا أحقها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن الكريم لأنه أصل شرعه ومستودع رسالته لكننا نذكره في محله من رد هذا الكتاب ، ليكون أقعد في هذا الباب ان شاء الله تعالى .



فصل

في معجزات (١) عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) المعجزات الحسية وردت في كتب الأحاديث عن طريق الاحاد ، لا المتواتر . وقد رد الراسخون في العلم من المسلمين أحاديث الاحاد ، وطعنوا في سندها وممتنها . وحذروا المسلمين ان يأخذوا بها في العقائد ، لكثرة المدسوسات فيها من اليهود والنصارى . وقالوا : ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تثبت بالقرآن الكريم لقوله تعالى : « أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » ففى كتاب المغنى : لا يجوز قبول أخبار الاحاد فى ما طريقه العلم ، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط . ولا يرجع إليها فى معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين . (المغنى ص ٢٢٥ ج ٤) .

وفى كتاب هموم داعية لأشيع محمد الغزالى : « هناك من يسوى بين الأخبار المتواترة ، وبين أخبار الاحاد فى أفادة اليقين . وهذا غلو مرفوض . وهناك من يرحب بأخبار الاحاد دون تطبيق للشروط العلمية المقررة عن ضرورة خلوها من الشذوذ والعلل القوادح . وهناك من يقضى سحابة همه عن دراسة السنن ، وصلته بالقرآن الكريم واهية ، وبصره بهدائئه كليل . ولذلك لا يحسن وضع الأحاديث فى مواضعها العتيقة من كتاب الله ، ولا وضع النسب بين الأركان والنوافل والوسائل والغايات . ويتضح هذا =

أظهر الله تعالى لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام من أعلام نبوته ،

= المعنى قليلا ، اذا عرفنا أن علماء المذهب الحنفى يرون أن لا فرض الا بنص شاطيع ، وأنه لا حرمة الا بنص شاطيع ، وأن أخبار الاحاد لا تفيد القطع ، بل هي كما يرى الجمهور تفيد الظن العلمى أو العلم الظنى . ونفترك رأى الأحناف جانباً ، لنشرح ما نريد عن طريق ضرب الامثال . يقول الله تعالى فى جلالة كتابه « لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » .

فهل وعى ذلك من قبل حديث الغرائيق . وقال : ان تظاهر الروايات يجعل له أصلاً ما ؟ والمثائل محدث كبير . وقد قبل فرية الغرائيق مدع للسلفية كبير ، ووضعها فى سيرة ألفها .
الحرث مكان الانبات باجماع أولى الالباب . فهل وعى ذلك من روى فى شرح الاية : « نساءكم حرث لكم » انه يجوز اتيان النساء فى غير مكان الحرث ؟ .

قتال العدوان مرفوض بنص القرآن الكريم . فهل درى ذلك من روى ، أو رأى جواز القتال دون دعوة الى الاسلام ، وبالتالي جواز أخذ الناس على غرة ؟ ا . ه .

وروى الشيخ محمد الغزالى فى تفسير قوله تعالى : « وما خلق الذكر والأنثى » فى هموم داعية : « أن خبر الواحد تتلاشى صحته عندما يخالف المتواتر . والمسلمون على هذه القاعدة » ا . ه . والصواب ما قاله ههنا فى أخبار الاحاد . لا ما نقلته عنه من كتابه « من هنا نعلم » فى التقييم لهذا الكتاب فى موضوع المؤاخاة بين المسلمين وأهل الكتاب .

واذكر فى سنة من السنين هى تقريبا سنة ١٩٧٩ م أن التقيت بطلاب نصرانى من كلية اللاهوت بالقاهرة ، اسمه « مودى » كان قد كتب بحثا فى أحاديث الاحاد ، وطعن فى دين الاسلام . ولما اشتدت المنافسة بينى وبينه فى موضوع « المسيا المنتظر » وامتدت الى طوال الالبام التى كنت أنرد فيها على المكتبة . سألنى عن أحاديث الاحاد : ما منزلتها فى الدين عندكم ؟ وأجبتة بشبه كلام الشيخ محمد الغزالى . فرد قائلا : هى ثابتة بالسند المتصل على شرط البخارى ومسلم الى نبيكم . فقلت له : هذا لا يمنع من ضعفها . لأن كتب الجرح والتعديل لم تكن قد دوت الا بعد تدوين المحدثين للحديث . ولأن البخارى روى معلمات فى كتابه ومعناها اسقاط اسم الراوى فى بدء الرواية — كما أذكر الان — ما طلعنى على ما كتب وقال : ما رأيك فيه ؟ فقلت له : قد أتعبت نفسك فى شيء لا طائل من ورائه . لأن المسلمين لا يأخذون بها على استقلال لا فى العقائد ولا فى الفقه . وانما يأخذون بالقرآن الذى قال الله فيه : « انا نحن نزلنا الذكر . وانا له لحافظون » .

بعد ثبوتها بمعجزات القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ما جعله زيادة استبصار ، يحج بها من قلت فطنته ، ويذعن لها من ضعفت بصيرته ، ليكون اعجاز القرآن مدركا بالخواطر ايثاقية تفكرا واستدلالات واعجاز العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا واستظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه وعنائه ، واللبيب محجوبا بفهمه وبيانه لأن لكل فريق من الناس طريقا هي عليهم أقرب ، ولهم أجذب • فكان بأجمع انقياد الفرق أوضح سبيلا وأعم دليلا •

فن معجزاته عصمته من أعدائه وهم الجم الغفير والعديد الكثير ، وهم على أتم حنق عليه وأشد طلبا لنفسه وهو برئهم مسترسل قاهر ، ولهم مختلط ومكاثر ترمقه أبصارهم شزرا ، وتزيد عنه أيديهم ذعرا وقد هاجر عنه أصحابه حذرا ، حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ، ثم خرج عنهم سليما لم يكلم في نفس ولا جسد • وما كان ذلك الا بعصمة الهية وعده الله تعالى بها • فحقها حيث يقول « والله يعصمك من الناس » فعصمه منهم •



فصل

قد ذكرنا فيما سبق أن الأحاديث والأخبار التي يرويها المسلمون عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل منها الا ما رواه الثقة المعدلون بالأسانيد الصحيحة ومن كان مجروحا غير معدل أو مجهولا أو معلولا أو ضعيفا فحديثه غير مقبول ، حتى ألفوا في أحوال الرجال وسيرتهم وأصول الحديث كتب كثيرة جلية • وهذا بخلاف غيرهم من أهل الكتابين ، وإن الأحاديث التي تآلفتها الأمة عن النبي عليه الصلاة والسلام إنما عمل بها بعد استيفائها للشروط المعتبرة عندها المفصلة في كتبها •

ومن ذلك ما ورد في بيان دلائل نبوته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التي نحن بصدد ذكرها فانها قد روتها الائمة الحفاظ باسانيد معتبرة مصححة في محالها من صاحبها ومسانيدها وسيرها كشروح المشفاء والمواهب اللدنية وشرحها وكسيرة ابن هشام وغيرها حتى أنها من حيث المجموع بلغت مبلغ التواتر بحيث يجزم العدل بان نقلتها لا يمكن أن يتواطئوا على الكذب وأنها مفيدة للعلم وقد بلغت في الشهرة عند المسلمين بمحل استغنى عن أسماء الرواة والمخرجين ، فلذا ترانا لا نلتزم ذكر الأسانيد وعنونة الراوين فيما سنرويهِ في هذا المبحث ، حيث لم تمس الحاجة بنا الى ما هنالك •



فصل

فمن ذلك أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة وكان فيهم النصرين الحارث من كنانة وكان زعيم القوم وساعده عبد الله بن الزبيرى وكان شاعر القوم ، فحضهم على قتل النبی صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم الموت خير لكم من الحياة فقتل بعضهم كيف نصنع ؟ فقال أبو جهل لعنه الله تعالى هل محمد الا رجل واحد ؟ وهل بنو هاشم الا قبيلة من قبائل قريش ؟ فليس فيكم من يزهّد في الحياة فيقتل محمداً ويريح قومه ؟ وأطرق ملياً • فقالوا : من فعل هذا ساد ؟ فقال أبو جهل ما محمد بأقوى من رجل منا وإنى أقوم الله فأشدخ رأسه بحجر فان قتلت أرحمت قومي ، وإن بقيت فذاك الذى أوتر •

فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا في الحطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن فقسام بصلی فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود ، فقال أبو جهل : فانى أقوم فأريحكم منه فأخذ مearشا عظيماً ودنا : من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا يهابه ، وهو يراه فلما دنا منه ارتعد وأرسل

الحجر على رجله ، فرجع وقد شدخت أصابعه وهو يرتعد وقد دوخت أوداجه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد فقال أبو جهل لعنه الله تعالى لأصحابه خذوني اليكم فالتموه وقد غشى عليه ساعة فلما أفاق قال له أصحابه ما الذى أصابك ؟ قال : لما دنوت منه أقبل على من رأسه فحل فاغر فاه • فحمل على أسنانه ففهم أتمالك وانى أرمى محمدا محجوبا فقال له بعض أصحابه يا أبا الحكم رعبت وحبيت الحياة ، ورجعت قال : ما تعسرونى عن نفسى •

قال النضر بن الحارث فان رجع غدا فأنا له قالوا يا أبا سهم لئن فعلت هذا لتسودن فلما كان من اتعد اجتمعوا في الحطيم منتظرين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أشرف عليهم قاموا بأجمعهم فواثبوا ، فأخذ حفنه من تراب ، وقال « شأنت الوجوه » وقال « حم لا يبصرون » فتفرقوا منه • وهذا دفع الهى وثق به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله تعالى وكان من أقوى شاهد على صدقه •

ومن أعلامه ﷺ أن معمر بن يزيد وكان من أشجع قومه استعانت به قريش وشكروا اليه أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت بنو كنانة تصدر عن رأييه وتطبيع أمره فلما شكوا اليه قال لهم انى قادم الى ثلاث رأييحكم منه وعذى عشرون ألف نرج فلا أرى هذا الحى من بنى هاشم يقدر على حربى ، وان سألتنى الدية أعطيهم عشر ديات ففى مالى سعة • وكان يتقاد بسيف طوله سبعة أشبار فى عرض شبر وقصته فى العرب مشهورة بالشجاعة والبأس ، فلبس يوم وعده قريشا سلاحه وظاهر بين درعين ، فوافقهم بالحطيم ورسول الله ﷺ فى الحجر يصلى وقد عرف ذلك • فما التفت ولا تززع ولا قصر فى صلاته ففعل له هذا محمد ساجد فاهوى اليه وقد سل سيفه وأقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه وعدا فلما صار الى باب الأنصاف عثر فى درعه فسقط فقام وقد أدمى وجهه بالحجارة يعدو كأشد العدو ، حتى بلغ البطحاء ما باتفت الى خلف فاجتمعوا وغسلوا عن وجهه الدم وقالوا ماذا أصابك ؟ قال ويحكم الغرور من غررتموه قالوا ما شأنك ؟ قال ما رأيت كاليوم • دعونى

أرجع الى نفسى فتركده ساعة ، وقالوا : ما أصابك يا أبا ليث ؟ قال انى لما دنوت من محمد فأردت أن أهوى بسيرفى اليه ، أحوى الى من عند رأسه شجاعان ينفخان بالنيران وتلمع من أبصارهما فعدوت فما كنت لأعود فى شيء من مساءة محمد •

ومن أعلامه أن كلة بن أسد أبو الأشد وكان من القوة بمكان خاطر قريشاً يوماً فى قتل رسول الله ﷺ فأعظموا له العطاء ان هو كفاهم ، فرأى رسول الله ﷺ فى الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل وعقال ، فجاءه كلة ومعه مزراق فأهوى نحوه ومعه المزراق فرجع المزراق فى صدره فرجع فرعا فقالت له قريش مالك يا أبا الأشد ؟ فقال ويحكم ما ترون الفحل خلفى ؟ قالوا ما نرى شيئاً قال ويحكم انى أراه • فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف فاستهزئت به قريش • فقال أنا أعذرکم لو رأيتم ما رأيتم لهلكتم •

ومن أعلامه أن أبا لهب خرج يوماً وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا أبا عتبة انك سيدنا وأنت أولى بمحمد منا وان أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتله لم ينكر أبو طالب ولا حمزة منك شيئاً وأنت برىء من دمه ، فنؤدى نحن الدية وتسود قومك فقال فانى أكفيكم • ففرحوا بذلك ومدحته خطبائهم فلما كان فى تلك الليلة وكان مشرفاً عليه ، نزل أبو لهب وهو يصلى وتسلفت امرأته أم جميل الحائض حتى وقفت على رسول الله ﷺ وهو ساجد ، فصاح به أبو لهب فلم يلتفت إليه ، وهما كانا لا ينقلان قدما ولم يقدر على شيء حتى تفجر الصبح ، وفرغ رسول الله ﷺ فقال له أبو لهب يا محمد أطلق عنا فقال « ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا الى انكما لا تؤذيانى » قالوا : قد فعلنا فدعا ربه فرجع •

ومن أعلامه أن قريشاً اجتمعوا فى الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة ، فقال : ان هذا ابن عبد المطلب قد نغص علينا عيشنا ، وفرق جماعتنا وبدد شمانا وعاب ديننا وسفه أعلامنا وضلل آباءنا وكان فى القوم الوليد ابن المغيرة وأبو جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة والفضر بن الحارث ومنبه

ونبيه ابن الحجاج وأمية وأبى ابن خلف في جماعة من صناديد قريش فقال له قل ما شئت فانا نطيعك • اتال ساقوم فأكلمه فان هو رجع عن كلامه وعما يدعو اليه ، والا رأينا فيه رأينا فقالوا له شأنك يا أبا عبد شمس • فقام فقدم الى النبي ﷺ وهو جالس وحده فقال : انعم صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله تعالى قد أبدلتنا بهذا السلام تحية أهل الجنة قال يا ابن أخي اني جئتكَ من عند صناديد قريش لأعرض عليك أمورهم ان أنت قبلتها فلك الحظ فيها ، ولنا فيها الفسحة •

ثم قال يا ابن عبد المطلب أنا زعيم قريش فيما قالت قال عليه الصلاة والسلام : قل قال : يا ابن عبد المطلب انك دعوت العرب الى أمر ما يعرفونه فاقبل مني ما أقول لك •

قال عليه الصلاة والسلام قل قال ان كان ما تدعو اليه تطلب به ملكا فانا نملكك علينا من غير تعب ، وتتوجك فارجع عن ذلك فسكت ثم قال له : وان كان ما تدعو اليه أمرا تريد امرأة حسناء فنحن نزوجك فقال عليه الصلاة والسلام : لا قوة الا بالله ثم قال له وان كان ما تتكلم به تريد مالا أعطيناك من الأموال حتى تكون أغني رجل في قريش ، فان ذلك أهون علينا من تشئت كلمتنا وتفرق جماعاتنا وان كان ما تدعو اليه جنونا داويناك لما تداوى قيس بن ثعلبة مجنونهم •

فسكت النبي ﷺ فقال يا محمد ما تقول ؟ ربما أرجع الى قريش ؟ فقال النبي ﷺ « حم تزيل الكتاب من الرحمن الرحيم • كتأب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » حتى بلغ الى قوله تعالى « فان أعرضوا قل : أنزرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » قال عتبة فلما تكلم بهذا الكلام كأن الكعبة مالت حتى خفت أن تمس رأسى من أعجازها وقام فزعا يجر رداءه فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض العصفور ، وقام النبي ﷺ يحامى ، فقالت قريش لقد ذهبت من عندنا نشيطا ورجعت فزعا مرعوبا فما وراءك ؟ قال : ويحكم دعوى انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ولقد وعرت على

الردة حتى خفت على نفسى ، وقلت الصاعقة قد أخذتني فندموا على ذلك .

ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام : أنه لما أراد الهجرة خرج من مكة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدخل غارا فى جبل ثور ليستخفى من قريش ، وقد طلبته وبذلت لمن جاء به مائة ناقة حمراء ، فأعلمه الله تعالى باخفاء أثره وأنبئت على باب الغار ثمامة ، وهى شجرة صغيرة وألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار نسيج سنين فى طرفة عين وما أحسن قول البويصرى عليه الرحمة فى ذلك .

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم ولسع أبو بكر رضى الله عنه هذه الليلة غير لسعة فخرق ثيابه وجعله فى الشقوق وسد بعضها بقدومه اتقاء لرسول الله ﷺ وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقبه سراقة بن مالك بن جعشم وهو من جملة من توجه لطلبه فقال له أبو بكر رضى الله عنه : هذا سراقة قد قرب فقال رسول الله ﷺ « اللهم اكفنا سراقة » فأخذت الأرض قوائم فرسه إلى ابطنها . فقال سراقة يا محمد ادع الله أن يطلقنى ولك أن أرد من جاء بطلبك ولا أغير عليك أبدا فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم ان كيان صادقا فاطلق عن فرسه » فأطلق الله تعالى عنه ، ثم أسلم سراقة وحسن إسلامه .

ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه عليه الصلاة والسلام انفرد فى غزوة ذى امر عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه ذو عثور فسل سيفه وقال يا محمد من يمنعك منى ؟ فقال الله فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ثم قال له من يمنعك منى ؟ قال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم الى الاسلام .

ومن أعلامه أن الناس لما انهزموا عن رسول الله ﷺ يوم حنين ، وهو معتزل عنهم رآه شيبه بن عثمان بن أبى طلحة فقال اليوم

أدرك ثأرى وأتقتل محمدا لأن أباه تقتل يوم أحد في جماعة أخوته وأعمامه قال شيبة فلما أردت قتله أقبل شيء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذلك ، علمت أنه ممنوع •

ومن أعلامه أن عامر بن الطفيل وأريد بن قيس ، وهما أخو لبيد ابن ربيعة الشاعر لأمه وفدا على رسول الله ﷺ في قومهما بنى عامر ، فقتل عامر لأريد إذا قدما على محمد ، فأنى شأغل عنك وجهه • فاعله أنت بالسيف حتى تقتله • فقال أريد أفعله •

ثم أقبل عامر يمشى وكان رجلا جميلا حتى قام على رأس رسول الله ﷺ فقال : يا محمد مالى ان أسلمت ؟ فقال « اك ما للإسلام وعليك ما على الاسلام » • فقال : ألا تجعلنى الولى من بعدك ؟ قال : « ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أئنة الخيل تغزو بها » قال أو ليست لى اليوم ؟ ولكن اجعل لى ولك المدر • قال « ليس ذلك لك » فقال : قم يا محمد الى ههنا فقام اليه ، فوضع عامر يده بين منكبيه ، ثم أومأ الى أريد أن أضرب • فسل أريد سيفه قريبا من ذراع ثم أمسك الله يده فلم يستطع أن يسله ولا يغمده فالتفت رسول الله ﷺ الى أريد فرآه على ما هو عليه • فقتل : « اللهم اكفنيهما بما شئت ، اللهم اهد بنى عامر ، وأعر الذين عن عامر » فانطلقا وعامر يقول والله لأملأنها عليك خيلا دهما ووردا • فقال : عليه الصلاة والسلام : « يا أبى الله ذاك وأبناء قليلة يعنى الأنصار » ثم قال عامر لأريد ويحك لم أمسكت عنه ؟ فقال والله ما هممت به مرة الا رأيتك ولا أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ •

وسار فأما عامر فطرح الله تعالى عليه الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول :

أغدة كغدة البكر •

في بيت امرأة من بنى سلول •

وركب فرسه فركضه حتى مات •

وأما أريد فقتل على قومه فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : والله لقد

دعانا الى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنبلى هذا حتى
أقتله • ثم خرج بعد مقاتله بيوم ومعه جمال له تتبعه ، فأرسل الله
تعالى عليه وعلى جماعته صاعقة أحرقتهم • وقيل نزلت في صاعقته
قوله تعالى : « وهو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا » يعنى خوفا من
الصواعق وطمعا فى المطر وفيه يقول لبيد بن ربيعة :

أخشى على مريد الخوف ولا	أرهب نوء السمك والأسد
كل بنى حرة مصيرهم	قل وان أكثر من التمدد
أفجعنى الرعد والصواعق بالفا	رس يوم الكريهة النجد
ان يغلبوا يهبطوا وان أمروا	يؤما يصيروا للهلك والتكد



فصل

فى ما شوهد من معجزات أفعاله عليه الصلاة والسلام

قال أبو الحسن الماوردى : ان الله تعالى قدر لعبادة أفعالا كما
قدر لهم أجساما وآجالا انتهى الى غاية أعجزهم عن تجاوزها لتكون
أفعالهم مقصورة على عرف مألوف وحد معروف ، يتوصلون بها الى
مصالحهم ، فيعلموا أن ما تجاوزها أو خرج عن عرفها أنه من أفعال الله
تعالى فيهم لا من أفعالهم فان أظهرها فى أحدهم دل على اختصاصه
بالله تعالى دونهم ، فكان بها ممتازا ، واليه تعالى منازا لا يخص بطاعة
الهيئة كما اختص بأفعال لاهوتية فلذلك صارت الأفعال المعجزة شهادة
على صحة النبوة •

ومن أعلامه : ما رواه البخارى عن عبد الرحمن بن أبى عن أبىه
قال : قلت لجابر بن عبد الله حدثنى بحديث عن رسول الله ﷺ سمعت
منه أرويه عنك • فقال جابر كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر
فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما ولا نقدر عليه ، فعرضت فى الخندق

كدية ، فجئت الى رسول الله ﷺ فقلت : هذه كدية قد عرضت في الخندق ، ورششنا عليها الماء ، فقام وبطنه معصب بالحجر فأخذ العول والمسحاة ثم سمى ثلاثا ثم ضرب فعاد كشييا • فلما رأيت ذلك منه قلت : يا رسول الله ائذن لى • فأذن لى ، فجئت الى امرأتى فقلت : ثكلتك أمك انى رأيت من رسول الله ﷺ ما لا صبر لى عليه ، فما عندك ؟ قالت : عندى صاع من شعير وعناق • قال : فطحنا الشعير وذبحنا العناق وطبخناها وجعلناها فى البرمة وعجنا المعجين •

ثم رجعت الى رسول الله ﷺ : فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية ، فأذن لى فجئت • فاذا بالمعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز ، وجعت القدر على الاثافي ، ثم جئت الى رسول الله ﷺ فساررته وقلت : عندنا طعيم لنا • فان رأيت أن تقوم معى أنت ورجل أو رجلان معك • فعلت • فقال : « ما هو ؟ وكم هو » قلت : صاع من شعير وعناق • فقال : ارجع الى أهلك • فقل لها : « لا تنزعى البرمة عن الاثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتى » ثم قال للناس « قوموا الى بيت جابر » فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقلت لامرأتى : قد جاء رسول الله ﷺ بأصحابه أجمعين فقالت : أكان سأك كم الطعام ؟ قلت : نعم قالت : الله ورسوله أعلم ، قد أخبرته بما كان عندنا فذهب عنى ما أجده وقلت لها صدقت وجاء رسول الله ﷺ ودخل ثم قال لأصحابه لا تضاغطوا ثم برك على التنور والبرمة ، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنشرد ونغرف ونقرب انهم فقال رسول الله ﷺ لا يجلس منى الصحيفة سبعة أو ثمانية ، فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة فاذا • اتخذ عادا الى أهلا مما كانا عليه ، حتى شبع المسلمون كلهم ، وبقيت سائفة من الطعام فقال : أنا رسول الله ﷺ « ان الناس قد أصابتهم مخمة فكلوا وأطعموا » فلم نزل يومنا نأكل ونطعم • قال : فأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة ، أو قال : مئتين أقل من الثمانمائة وهذا نظير معجزة عيسى عليه السلام فى المائدة •

وهن أعلامه : ما رواه مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه عن

أسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها • فلغت الخبز ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فوجدته في المسجد ، معه الناس فقمت عليه فقال لي رسول الله ﷺ « أرسلك أبو طلحة ؟ » قلت نعم • قال : قال « للطعام ؟ » قلت : نعم فقال لن معه « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته • فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ ومعه أصحابه ، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم • فقالت : الله ورسوله أعلم • فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ وأقبل معه حتى دخلا • فقال رسول الله ﷺ : « يا أم سليم هلمي ما عندك » فجاءت بذلك الخبر ، فأمر به ففت وعصرت أم سليم عكة لها • ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول • ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم • فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال « ائذن لعشرة » حتى أكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا •

والمعجز فيه مع اطعام العدد الكثير من الطعام اليسير : ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه فتد قال عليه الصلاة والسلام : « أرسلك أبو طلحة للطعام » •

ومن أعلامه : ما رواه أنيس بن أبي يحيى عن أسحق بن سالم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال لي : « ادع لي أصحابك » يعني أصحاب الصفة • قال : فجعلت أتبعهم رجلا رجلا أو قظههم ، حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا • فأذن لنا • ووضعت بين أيدينا صحيفة أذن فيها صديقا قدر مد من الشعير ، فوضع رسول الله ﷺ يده • فقال « خذوا باسم الله » فأكلنا ما شئنا ، ثم رفعنا أيدينا • فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحيفة « والذي نفس محمد بيده ما أمسى في آل محمد طعام غير شيء تروونه »

فقيل لابی هريرة قدر كم كانت حين فرغتم ؟ قال : مثلها حين وضعت :
الا أن فيها أثر الأصابع •

ومن أعلامه : أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما حصل
بالحديدية وهي جافة • قال للناس : انزلوا • فقالوا : يا رسول الله
ما بالوادی ماء فنزل عليه • فأخرج سهما من كنانته فدفعه الى البراء
ابن عازب ، وقيل الى ناجية بن جندب ، وقال : « اغرس هذا السهم
في قلب من بعض القلب وهي جافة » ففعل فجاش الماء ونادى
الناس بعضهم بعضا من أراد الماء فليأت • فقال أبو سفيان : قد ظهر
في الحديدية قلب فيه ماء ثم قال لسهيل بن عمرو قم بنا الى ما فعل
محمد فأشرفا على القليب وأبصروا تحت السهم ، فقالا : ما رأينا كاليوم
قط • وهذا من سحر محمد قليل •

فلما أمر رسول الله ﷺ بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من
الماء ثم قال للبراء : « اذهب فرد السهم » فلما فرغوا وارتحلوا
أخذ البراء السهم ، فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء • وهذا نظيره
ما أعطى موسى عليه السلام من الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة
عيينا •

ومثل ما روى أنه في غزوة بنى المصطلق دعا بركة جافة ثم تفل
فيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عيون حتى شربت الخيل والابل
وملىء كل سقاء •

ومن أعلامه : أن قوما شكوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
ملوحة مائهم فقام بأصحابه حتى أشرف على بئرهم فنتقل فيها • ثم
انصرف فانفجرت بالماء الزلال وكانت غائرة وأثلها على حالها الى اليوم
يتوارثها أهلها يعدونها من أعظم مفاخرهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة
الكذاب ، سألوه مثلها فنتقل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمير وهي
الى اليوم على حالها •

ونظير هذا : أنه جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة بصبي بها
قد تمعط شعره فمسح رأسه بيده ، فاستوى شعره ، فبلغ ذلك قوم
مسيئة فأتوه بصبي مثله فمسح رأسه فصلح ، وبقي نسله صلحا الى
وقتنا هذا قاله الماوردي •

ومن أعلامه : صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه أمير المؤمنين
على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه • قال لما غزونا خيبر ومعنا
من يهود فدك جماعة فلما أشرفنا على القاع اذا نحن بالوادي والماء
يقلع الأشجار ويهد الجبال ، فقدرنا الماء فاذا هو أربع عشرة قامة
فقال بعض الناس : يا رسول الله العدو من ورائنا ، والوادي قدأمننا
فنزل رسول الله ﷺ فسجد ودعا • ثم قال سيروا على اسم الله فعبرت
الخيول والابل والرجال فكان الفتح والغلبة له • وهذا نظير خلق البحر
لموسى عليه السلام •



فصل

فى

نوع آخر

ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام : ما روى الحسن أن رجلا
جاء الى الأنبي ﷺ فقال : انلى قدمت من سفرتى فاذا بفت خماسية
تدرج حواى فى وصيفها وحايها أخذت بيدها فانطلقت بها الى وادى
فلان فطرحتها فيه • فقال النبي ﷺ « انطلق معى ، فأرئى الوادى »
فانطلق معه الى الوادى • فقال النبي ﷺ لأبيها : « ما كان اسمها ؟ »
فقال : فلانة فقال النبي ﷺ : « يا فلانة أحبى باذن الله تعالى »
فخرجت الصبية ، رهي تقول : لبيك يا رسول الله وسعديك • فقال

لها : « ان أبويك قد أساءا فان أحببت أن اردك عليهما » فقالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيرا لى منهما • وهذا نظير ما فعله عيسى عليه السلام من احياء الموتى •

ومن أعلامه : أن الطفيل العامري جاء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاشكى اليه الجذام ، فدعا بركوة ثم ثقل فيها وأمره أن يغتسل بها فاعتسل فقام صحيحا • وأتاه حسان بن عمرو الخزاعي مجذوما ، فدعا له بماء فتقل فيه ، ثم أمره فصبه على نفسه ، فخرج من علقته ، كأن لم تكن به قط • فرجع ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا عن آخرهم • وأتاه قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه برص ، فتقل عليه ، فما بقى عليه الا مقدار الحبة وهذا نظير ما كان من عيسى ابن مريم •

ولقد أحسن البوصيري عليه الرحمة بقوله :

يوكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

ومن أعلامه : ما رواه سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انصرف ليلة من العشاء فأضاءت له برقة ، فنظر الى قتادة ابن النعمان فعرفه • فقال : يا نبى الله كانت ليلة مظيرة فأحببت أن أصلى معك ، فأعطاه عرجونا • وقال : « خذ هذا ليضىء لك ليلتك فاذا أتيت بيتك فان الشيطان قد خلفك ، فانظر فى الزاوية على يسارك فدخلت فنظرت حيث قال فاذا أنا بسواد ، فعلق به حتى سبقنى »

وفى هذا الخبر معجزات من قول وفعل •

ومن أعلامه : أن أبا قتادة بن ربعى جاءه يوم أحد وقد انتقلت إحدى عينيه وتعلقت على وجهه • فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى امرأة وأخشى أن ينفقنى هذا عندنا فردها رسول الله ﷺ الى

موضعها فكانت أحسن عينيه • ومثله : ما رواه عورة بن الزبير أن زبيرة أسلمت فأصيب بصرها • فقالوا لها : أصابك اللات والعزى • فرد الله تعالى عليها بصرها • فقالت عظماء قريش : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زبيرة فأنزل الله تعالى قوله : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيرا ما سبقونا إليه » •

ومن أعلامه : أن جرهدا أتى رسول الله ﷺ وبين يديه طبق ، فأدنى يده الشمل ليأكل وكانت اليمنى مصابة • فنفت عليها فما اشتدأها بعد الى ساعته وأبصر عليه السلام رجلا يأكل بشماله فقال : « كل بيمينك » فقال لا أستطيع • فقال : « لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد • كلما رفع القمة الى فيه ذهبت في شق آخر •

ومن أعلامه : شاة أم معبد الخزاعية وكانت مجهودة عجفاء وضراء ، فمسح رسول الله ﷺ خرعها فدرت لبنا وامتلات سمنا ، وبقيت على حالها الى أن وافاها أجلها • وأهدت له أم شريك عكة فيها سم ، فأخذ منه شيئا ورد العكة عليها فلم تزل العكة تصب سمنا مدة طويلة • الى أمثال هذا ونظائره •



فصل

في ما سمع من معجزات أقواله عليه أفضل الصلاة والسلام

قال الماوردي والمعجز من القول هو الاخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه دليلا لأن الخبر ما احتمل الصدق والكذب وحقيقة الخبر ما كان عن ماض • فأما المستقبل فيطلق اسم الاخبار عليه مجازا فان أضيف المستقبل الى فعل المخبر ، كان وعدا ، يصح من نبي وغير نبي ، وان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب

المعجزة ولا يصح الا من نبى مبعوث ، وعن وحى منزل ، اذا تكرر عاريا
عن الأسباب المذرة ولئن ظهر خبر من غير نبى فهو بالاتفاق عن حدس
وفراسة ، ان صح في خبر لم يصح في كل خبر •

قال الماوردي : فان قيل : فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز
نبوة تنقهر ولا آية رسالة تظهر ، لأن المنجمين يخبرون بذلك ، فلا يكون من
اعجاز الانبياء وآيات ، الرسل •

فعنه ثلاثة أجوبة :

احدهما : أن المنجم يعمل على حساب ويرجع الى استدلال
ولا يبتكر قولاً الا بعدهما • واخبار الرسل عن بديهة تخلو من أسباب
وتعزى عن استدلال •

والثاني : ان من خلا من علم النجوم لم يصح منه الاخبار
عنها ، ولم يتعاط نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم علم النجوم ولا خالط
أهلها فيكون مخبرا عنها ، فبطل أن يخبر بها الا عن علام الغيوب المطلع
على ضمائر القلوب •

والثالث : أن المنجم يصيب في الأقل ويخطئ في الأكثر ويستحسن
منه الصواب ، ولا يستقبح منه الخطأ ، واخبار الرسل كلها صدق
ولا يتخلله كذب ، وصواب لا يعتوره زلل ، لأن الوحي من الله تعالى
المحيط بعلم الغيوب • كما قال لنبيه « قل لا أقول لكم عندي خزائن
الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى
قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟ » وفي خزائن الله
ههنا تأويلان :

احدهما : خزائن الرزق فأغنى وأفقر •

والثاني : خزائن العذاب فاعجل وأؤخر وفي قوله « ولا أعلم الغيب »
تأويلان :

احدهما : علم الخزائن على ما مضى من التأويلين •

الثانى : علم ما غاب عن ماض ومستقبل الا أن المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ، ومن أطلعه عليه من أنبيائه كما قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » وقال سبحانه : « أو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير » وأما الماضى فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين : اما من مخلوق معين أو من خالق مخبر ، فكانت الأخبار المستقبلية من آيات الله تعالى المعجزة فأما الماضية فان علم بها المخبر لم تكن معجزة ، وان لم يعلم بها أحد كانت آيات معجزة • وفى قوله « ولا أقول لكم انى ملك » تأويلان :

أحدهما انه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وان قدرت عليه الملائكة •

والثانى : انه من البشر وليس بملك ، لينفى عن نفسه غلو النصرانى فى المسيح ، أو أنه ليس يملك فى السماء فيعلم الغيب الذى تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر وان كان البشر أفضل وفى قوله : « ان اتبع الا ما يوحى » تأويلان أيضا •

احدهما : ان أخبركم الا بما يطلعنى الله تعالى عليه •

والثانى : ان أفعل الا ما أمرنى الله سبحانه به وقوله : « هل يستوى الأعمى والبصير » ؟ فإيه تأويلان أيضا :

احدهما : العالم والأجاهل •

والثانى : المؤمن والكافر • فثبت بما قررناه : أن فى الأقوال معجزة كالأفعال فكانت من أعلام النبوة وآيات الرسل ونحن نذكر منها ان شاء الله تعالى ما اختص بقول الرسول ﷺ دون ما تضمنه القرآن ، لأن القرآن معجزة فى الخبر وغير الخبر •

فصل

قد صح بروايات عديدة وطرق سديدة أنه عليه الصلاة والسلام قام مقاما أخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة • وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه وقد ثبت أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله ﷺ بما يحدث من الفتن بعده ، حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا اليه • وثبت في الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال : ان بينك وبينها بابا • فقال عمر : هل يفتح أو يكسر ؟ فقال : بل يكسر • فعلم عمر أنه الباب وان كسره قتله • كما في الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة : هل كان عمر يعلم ذلك ؟ فقال : نعم كما يعلم أن دون غد الليلة وكذلك ما ثبت من أخباره عليه الصلاة والسلام لأبى ذر بما يحدث له ومن وفاته بالربذة وأخباره لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بأخبار كثيرة منها قتل أشقى الآخرين له ، وخبر ذى الندية ، وحرب صفين والجمال وقتل عمار بن ياسر وقتل الحسين ونهيه له عن الصلاة ببابل ، فإنها ملعونة ، وملك بنى أمية ومروان وما صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها ، وسيلخ ملك أمتى ما زوى لى منها » فصدق الله تعالى خبره وحقق ما ذكره وملك أمته اقطار الأرض ، حتى دان له بشرعه من المشرق والمغرب ، بأقصر زمن وأقل مدة • وقال عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم : لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه ، فكأنهم ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم ، وكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتى مكة بغير خفارة ، لا تخاف الا الله فأبصر عدى ذلك كله •

وغير ذلك مما لو جمع لبلغ مصنفا كبيرا مستقلا وسنذكر بعضه قريبا ان شاء الله تعالى ، وهذا لا يكون الا من اطلاع الله تعالى له على عينه وتحقيقه لوعده • فى قوله سبحانه : « ليظهره على الدين كله »

ومن أعلامه : ما رواه البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال :
أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ
فيها المعول ، فأخذ المعول • وقال : بسم الله وضرب ضربة • فكسر
ثلثها • وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، ثم ضرب الثانية فقطع
ثلثا آخر وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، ثم ضرب الثالثة فقطع
بقية الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن • فصدق الله تعالى
قوله وأعطاه ما فتح له •

وروى كعب بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا فتحت
همصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم رحما وذمة ، يعنى أن هاجرهم
اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام كانت منهم •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام كتب الى كسرى كتابا
يدعوه الى الاسلام وبدأ باسمه قبل اسمه • فلما قرأه أنف لنفسه من
ابتدائه باسمه ، فمزق كتابه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « تمزق
ملكه » ثم كتب كسرى في الوقت الى عامله باليمن باذان ، ويكنى أبا
مهران أن أحمل الى هذا الذى يذكر أنه نبي ، ويبدأ باسمه ودعائى الى
غير دينى ، فبعث اليه فيروز الديلمى مع جماعة من أصحابه وكتب معهم
كتابا يذكر فيه ما كتب به كسرى ، فأثاه فيروز بمن معه • وقال له :
أن ربى — يعنى كسرى — أمرنى أن أحملك اليه ، فاستنظره ليلة فلما
كان من الأعد حضر فيروز مستحيا فقال له رسول الله ﷺ : أخبرنى ربى
أنه قتل ربك البارحة ، سلاط عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من
الليل ، فأمسك ريثما يأتيتك الخبر ، فراع ذلك فيروز وهاله • وعاد
فيروز الى باذان فأخبره فقال له باذان كيف وجدت نفسك حين دخلت
اليه ، فقال : والله ما هبت أحدا قط كهية هذا الرجل • فقال باذان :
ان كان ما قال حقا فهو نبي ، فلم يرعه الا ورود الخبر عليه بقتله في
تلك الليلة من تلك الساعة فأسلم باذان وفيروز ومن معهم من الأبناء •

وظهر العنسى بما افتراه من الكذب ، فأرسل الى فيروز أن يقتله

قتله الله فقتله وفي الخبر من آيات الغيوب ما لا يعلمه الا الله تعالى
أو من أطلعه عليه •

ومن أعلامه : أنه رأى ذراعى سراقه بن مالك بن جشعم دقيقين
أشعرين • فقال : كيف بك اذا لبست بعدى سوارى كسرى ؟ فلما
فتحت فارس دعاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وألبسه سوارى
كسرى • وقال له : قل الحمد لله الذى سلبها من كسرى بن هرمز
وألبسهما سراقه بن جشعم •

ومن أعلامه : ما رواه جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول
الله ﷺ ثم قال ان النجاشى أصحمة قد توفى هذه الساعة ، فأخرجوا
بنا الى المصلى نصلى عليه • فصلى عليه وكبر أربعاً فقال المنافقون :
انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط ، فأنزل الله تعالى :
« وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم »
الآية • ثم ما جاء الخبر بموت النجاشى الا من تجار وردوا من المدينة •
ومثله ما روى أن ريحا هبت بنبوك • فقال رسول الله ﷺ :
هذا لموت منافق عظيم ، فقدموا المدينة فوجدوا منافقاً عظيماً النفاق
قد مات فى ذلك الوقت •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه : اليوم نصرت
العرب على العجم وبى نصروا » فجاء خبر الوقعة بذى قار • وما أدراك
الله تعالى فيه العرب من العجم ، حين قتلته فيه بنو شيبان وبكر بن وائل
من الفرس من قتلوا • وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ،
وجاءهم الخبر أنه كان فى الساعة من اليوم الذى أخبر به رسول
الله ﷺ •

ومن أعلامه : أن كشف الله تعالى له ما غاب عنه فى جيش مؤتة •
فقال لأصحابه : أخذ الراية زيد بن حارثة وتقدم فقتل شهيداً ثم أخذ
الراية بعده جعفر بن أبى طالب وتقدم فقتل ومضى شهيداً ، ووقف وقفه •

ثم قال : وأخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ومضى شهيدا لأن عبد الله بن رواحة توقف عن أخذ الراية بعد قتل جعفر زمانا • ثم أخذها • قال : ثم ارتضى المسلمون خالد بن الوليد ، فكشف العدو عنهم ، حتى خلصوا ثم مال الى بيت جعفر بن أبي طالب فاستخرج ولده ودمعت عيناه • ونعى جعفر الى أهله • وجاءت الأخبار بأنهم قتلوا في ذلك اليوم على ما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم •

ومن أعلامه : قوله عليه الصلاة والسلام في ليلة الاسراء حين أصبح ، مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما وإذا اناء فيه ماء ، وقد غطوا عليه ، فكشفت غطاءه وشررت ما فيه ، ورددت الغطاء كما كان وآية ذلك : أن عيرهم الآن تقبل من البيضاء ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احدهما سوداء والأخرى ورقاء ، فابتدر القوم الثنية ، فوجدوا ما وصف وسألوهم عن الاناء فوجدوا الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام رأى عليا كرم الله تعالى وجهه في غزاة العشيرة على التراب ، ومعه عمار • فقال لهما : ألا أخبركم بأشقى الناس ؟ قالوا بلى قال : أشقى الناس أحمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يخضب يا على هذه من هذا • وأشار الى لحيته من رأسه • وقال لعمار : تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا صاع من ابن فكان من قتل ابن ملجم لعنه الله تعالى لعلى رضى الله تعالى عنه ما كان • وقتل عمار يوم صفين فلما ذكر الخبر لمعاوية لم ينكره ودفعه عن نفسه ، بان قال : انما قتله من جاء به •

ومثله ما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر زيد بن صوحان فقال : زيد وما زيد ؟ يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله عز وجل •

نوع آخر من أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام نزل بجيشه في غزوة تبوك على غير ماء ، وهم العدد الكثير فعطشوا فشكوا ذلك اليه

عليه الصلاة والسلام فبعث أبا قتادة وأبا طلحة وسماك بن حربشة وسعد بن عباد يلمسون الماء ، فغابوا الى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئاً وبلغ العطش من الناس والخيل والدواب فصلى بأصحابه متيمماً فلما فرغ شكوا اليه العطش فبعث أسيد بن حضير وأسامة يلمسان الماء من الأعراب • فقال المنافقون ان محمداً يخبرنا بأخبار السماء وهو لا يدري الطريق الى الماء فأتاه جبرائيل عليه السلام فأخبره بقولهم وسماهم له ، فشكا ذلك الى سعد بن عباد • فقال سعد : ان ثقت ضربت أعناقهم • فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا ثم قال لابن الهيثم ابن التيهان وأبى قتادة وسهيل بن بيضاء يستعرضون الطريق ويأخذون على الخبيث فتفقوا ساعة ، فان عجوزاً من الأعراب تمر بكم ، على ناقة لها سقاء من ماء ، فاطعموها واشتروا منها بما عز وهان ، وجئوا بها مع الماء • فبلغوا الموضع الذى وصف لهم فاذا بالمرأة • قالوا تبيعينا هذا الماء ؟ قالت : أنا وأهلى أحوج الى الماء منكم • فطلبوا منها أن تأتى الى رسول الله ﷺ مع الماء ، فأنت وقلت ان هذا لساحر وخير الأشياء أن لا أراه فشدها وثاقاً حتى جاءوا بها مع الماء فلمة وقفت بين يدى رسول الله ﷺ قال : خلوا عنها • وقال لها : تبيعين هذا الماء ؟ قالت ان أهلى أحوج اليه منكم قال : فأذننى لنا فيه وليعزبن كما جئت به قالت شأنكم • قال لأبى قتادة : هات الميضة فقريت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضة ماء قليلاً ظننا أنه نصف الميضة فوضع يده فيه ، ثم قال : ادنوا فخذوا فجعل الماء يزيد والناس يأخذون ، حتى ما أبقوا معهم شيئاً الا ملأوه ورواهم وخايهم وأبلهم والميضة ملئت ثم رد رسول الله ﷺ الستاء حتى ملأه وبقي فى الميضة ثلثاه ثم توضأوا كلهم حين أصبحوا وهو يزيد ولا ينقص •

ومن أعلامه : أن ناقة له ضلت فى توجهه الى تبوك ، فتفرق الناس فى طلبها وكان عنده عمارة بن حزم وكان فى رحل عمارة زيد بن اللصيت • وكان يهوديا قد أسلم ونافق • فقال زيد فى رحل عمارة بن

حزم : يزعم محمد أنه نبي يوحى اليه : يخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته • فقال رسول الله ﷺ ان منافقا يقول أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء ولا يدري أين ناقته • والله لا أعلم الا ما علمني ربي وقد أعلمني أنها في الوادي في شعب كذا ، حبستها سمرة بزمامها فبادر الناس فوجدوها كذلك ، فأتوه بها فرجع عمارة بن حزم الى رحله ، وقال : لقد عجبت مما ذكر رسول الله ﷺ فقال رجل كان في رحله مع زيد بن اللصيت ان زيدا قال : هذا قبل أن تطلع علينا فوجاً عمارة زيدا في عنقه • وقال : انك لداهية في رحلي اخرج يا عدو الله منه • ولأجل مالقيه في غزاة تبوك من الجهد قل عليه الصلاة والسلام لأصحابه ألا أبشركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله • قال ان الله أعطاني الليلة الكثرين فارس والروم ، وأمدني بالملوك ملوك حمير يجاهدون في سبيل الله ، ويأكلون في الله • فكان ذلك •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام بعث خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل من كندة • فقال خالد يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب ، وانما أنا في عدد يسير ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ستجده بصيد البقر فتأخذه ، فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة قمرة صائفة ، وهو على سطح له من شدة الحر ، مع امرأته • فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فقال أكيدر : والله ما رأيت بقرا جاءتنا ليلا غير هذه الليلة • لقد كنت أضمر له الخيل اذا أردتها شهرا أو أكثر ، ثم نزل فركب بالرجال والآلة فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنتظر اليهم لا يصلح منها فرس ولا يتحرك • فساعة فصل أخذته الخيل فاستأسر أكيدر •

ومن أعلامه : أنه عليه الصلاة والسلام قضى سهيل بن عمرو بالحديبية حين صدته قريش عن العمرة ، وكتب بينه وبينه القضية قال تعالى رضى الله تعالى عنه : اكتب هذا ما قضى عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو • فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما صددتك ولكن

اكتب محمد بن عبد الله • فقال : يا على امح رسول الله • فقال على :
 أنا لا أستطيع أن امحو اسمك من النبوة فمد رسول الله ﷺ يده الى
 الموضع ذمعا • وقال لعلى كرم الله وجهه ستسام مثلها فتجيب • فقبل
 له مثلها يوم الحكمين ، حين ذكر في كتاب التحكيم : هذا ما تحاكم عليه
 على أمير المؤمنين • فقال له عمرو بن العاص : لو سلمنا أنك أمير المؤمنين
 ما نازعناك • فمحا أمير المؤمنين • ولما قال سهيل ذلك قال عمر يا رسول
 الله دعني انزع ثنتي سهيل ، ليلثغ لسانه ، فلا يقوم علينا خطيبا أبدا •
 وكان سهيل أظلم الشئنة السفلى • وكان خطيبا نبيا • فقال رسول الله
 ﷺ : دعه يا عمر فعسى أن يتوب لك مقاما تحمده • فكان من حسن
 قيامه بمكة حين هاج أهلها بموت رسول الله ﷺ واستخفى عتاب بن
 أسيد ما حمد أمره •

ومن أعلامه : ما حكى السدي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه :
 يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان • فأتاه
 اللفظيم بن هند البكري وحده وخلف خيله خارجة عن المدينة ، فدعاه
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : الى ما تدعو ؟ فأخبره •
 فقال : أنظرنى فلى من أثاوره • فخرج من عنده • فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : لقد دخل بوجه كافر ، وخرج بعقب غادر ،
 فمر بسرحد من سرح المدينة فاستاق وانطلق مرتجزا يقول :

قد ألقها الليل بسواق حطم
 ليس براعى ابل ولا غنم
 ولا بجزار على ظهر وضم
 باتواتيها وابن هند لم ينم
 بات يقاسيها غلام كالزلم
 حدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل عام قابل حاجا قد قلد الهدى فاراد رسول الله ﷺ أن
 يبعث اليه فنزل عليه : « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام

ولا الهدى ولا القتلاء ولا آمين البيت الحرام » فقال له ناس من أصحابه هذا صاحبنا خل بيننا وبينه • فقال : انه قد قلد •

ومن أعلامه ما روى عاصم بن عمرو بن قتادة لما رجع المشركون الى مكة من بدر ، قال عمير بن وهب الجمحي : قبض الله النبي بعد قتلى بدر • والله لو لا دين على لا أجد له قفساء وغيال لا أدع لهم شيئاً أدخلت الى محمد حتى أقتله • ان ملأت عيني منه قتلت ، فانه بلغني انه يطوف في الأسواق • فقال له صفوان : دينك على وغيالك أسوة عيالي ، فأعمد لثأرك ، فجهزه وحمله على بعير مشحون عمير سيفه وسمه ، وسار الى المدينة فدخلها متقلدا ، فبصر به عمر فوثب اليه ووضع حمائل سيفه في عنقه وأدخله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : هذا عدو الله عمير بن وهب • فقال : تأخر عنه يا عمر ، وقال له : ما أقدمك ؟ فقال : لفداء أسيري عندكم • فقال عليه الصلاة والسلام : فما بال السيف ؟ فقال : وقبحها الله وهل أغنت من شيء وانما نسيت حين نزلت وهو في رقبتي ، فقال : وما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر ؟ ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحمات له بقتلي على أن يقضى دينك ويعول عيالك • والله حائل بينك وبين ذلك • فقال عمير : أشهد أنك لرسول الله وأنتك صادق ، وشهد أن لا إله الا الله كنا نكذبك بالوحي من السماء • وهذا الحديث كان سرا بيني وبين صفوان • كما قلت لم يطلع عليه أحد غيري وغيره ، فقال عمر : والله لخنزير كان أحب الى منه حين طلع ، وهو الساعة أحب الى من بعض ولدي • فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره • فقال عمير : اني كنت جاهدا في اطفاء نور الله ، وقد هداني الله تعالى فله الحمد ، فأذن لي فالحق قريشا فادعوهم الى الله والى الاسلام فأذن عليه الصلاة والسلام له ، فلدق بمكة ودعاهم الى الاسلام فأسلم معه بشر كثير ، وحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا •

ومن أعلامه : ما حكاه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة قال :

ما كان أحد أبغض الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف لا يكون كذلك ، وقد قتل منا ثمانمائة كل منهم يحمل اللواء ؟ فلما فتح الله تعالى مكة أنسييت ما كنت أتمناه من قبله ، وقلت في نفسي : قد دخلت العرب في دينه ، فمتى أدرك ثأرى منه ؟ فلما اجتمعت هوازن بخيبر قصدتهم لأجد منه غرة ، فأقنته • فلما انهزم الناس عنه وبقي من ثبت معه جئت من ورائه ، فرفعت السيف ، حتى اذا كدت أحطه ، غشيى فؤادى ، فرفع لى شواظ من نار فم أطلاق ذلك • فعلمت : أنه ممنوع • فالتفت الى • وقال لى : اذن ما شئت ، فقاتل • ووضع يده في صدرى ، فصار أحب الناس الى ، وتقدمت فقاتلت بين يديه • ولو عرض لى أبى لقتلته في نصرته • فلما انقضى القتال ، دخلت عليه ، فقل لى الذى أراد الله بك خير مما أردته لنفسك وحدثنى بجميع ما زورته في نفسى • فقلت : ما اطلع على هذا أحد الا الله • فأسلمت •

ومن أعلامه : ما رواه ابراهيم عن محمد بن شريحيل عن أبيه قال : كان النضر بن الحارث بن كلدة يصف عداوته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتله لأخيه نضر بن الحارث صبوا قال : وكنت شهدت بدرا فرأيت ثلة من المسلمين وكثرة قريش ، فلما شب القتال رأيت المسلمين أضعاف قريش فانهمزمت قريش ، ورأيت يومئذ رجالا على خيل باق بين السماء والأرض معلمين ، يأسرون ويغلبون ، فهربت مذعورا • ثم خرجت معه يوم الفتح الى هوازن لأصيب منه غرة ، فلما انهزم المسلمون صمدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو في وجه العدو واقف على بغلة شهباء حوله رجال بيض الوجوه ، فأقبلت عامدا اليه • وصاحوا بى : اليك • فرعب فؤادى وارتعدت جوارحى • فقلت : هذا مثل يوم بدر ، وان الرجل لثبى حق ، وأئله معصوم • فأدخل الله تعالى في قلبى الاسلام ، ثم التقيت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد رجوعه من الطائف • وحين رآنى قال : الخضير ؟ قلت : لبيك قال وهذا خير لك مما أردت يوم حنين مما حال الله تعالى بينك وبينه •

من أعلامه : أنه قال لعنه العباس وقد أسر يوم بدر : أفد نفسك وابنى أخيك عقيلا ونوفلا وحليفك ، فأنك ذو مال • فقال : يا رسول الله انى كنت مسلما وأخرجت مكرها • فقال عليه الصلاة والسلام : الله أعلم باسلامك • فأين المال الذى وضعته • بمكة عند أم الفضل حين خرجت وليس معكما أحد وقلت ان أصبت فى سفرى فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعثمان كذا ؟ فقال : والذى بعثك ما علم بهذا أحد غيرى وغيرها وانى لأعلم أنك لرسول الله • ففدى نفسه وابنى أخيه وحليفه • فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيعوضك خيرا ان كان ما قلته من اسلامك حقا • فعوضه الله تعالى مالا جما •

ومن أعلامه : عليه الصلاة والسلام : ما روى أنه عليه السلام كان اذا أراد الذهاب الى أم فروة الأنصارية قال لأصحابه : 'انطلقوا بنا الى الشهيدة نزورها وأمر أن يؤذن لها ويقام ، وان تأم لأهل دارها فى الفرائض فقتلها فى أيام عمر غلام وجارية كانا لها فصايبهما عمر رضى الله تعالى عنه فكانا أول من صلبا فى الاسلام فقال عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيدة •

ومن أعلامه : ما روى عن عبد الله بن الزبير قال : أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال : يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما برز عنه عهد الى الدم فحساه ، فاما رجع قال يا عبد الله ما صنعت ؟ قال جعته فى أخفى مكان ظننت أنه خاف عن الناس • فقال : شربت الدم ؟ قلت : نعم قال : ويل للناس منك • وويل لك من الناس •

الى أمثال ذلك من نظائره التى يطول الكتاب بذكرها حتى كان المنافقون لا يخوضون فى شىء من أمره عليه الصلاة والسلام الا أطلعه الله جل وعز عليه ، فكان يخبرهم به ، حتى كان بعضهم يقول لصاحبه : اسكت وكف فو الله لو لم يكن عنده الا الحجارة لأخبرته حجارة البطحاء •

فصل

فيما أكرم به من اجابة ادعيته عليه الصلاة والسلام

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه بما فرض اليهم من القيام بحقه تميزوا بطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية ليكون عوناً على ما كلفهم وآية على من أنكرهم ، فدخل بهذا الامتياز في أقسام الاعجاز .

فان قيل : اجابة الأدعية لا تكون معجزة للنبوّة لأنه قد تجاب دعوة غير الأنبياء قيل : أدعية الأنبياء مجابة على العموم في جميعها وأدعية غيرهم ان أجيبت فهي على الخصوص في بعضها ، لأن الأنبياء ينطقون بالحق ، وغيرهم ينطقون بالحق وبغيره . فان أجيبت أدعيتهم فهي تفضل تنقف على مشيئة الله تعالى . قاله الماوردي .

ومن أمثاله : أن النبي ﷺ لما تلا « والنجم اذا هوى » قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم . فقال النبي ﷺ سلط عليه كلباً من كلابك ، يعنى الأسد فخرج عتبة مع أصحابه في غير الى الشام ، حتى اذا كانوا في طريقهم رأى الأسد فجعلت فرائض عتبة ترتعد فقال له أصحابه : من أى شيء ترتعد فو الله ما نحن وأنت الا سواء ؟ فقال ان محمداً دعا على وما ترد له دعوة ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، وحاط القوم أنفسهم بمناعمهم وجلسوه وسقطهم وناموا . فجاء الأسد يستشم رعوهم رجلاً رجلاً حتى انتهى اليه ، فهشمه هشمة فقال وهو بأخر رمق : ألم أقل لكم ان محمداً أصدق الناس لهجة ؟ .

ومن أمثاله : ﷺ ان المستهزئين به من قريش سبعة الوليد بن المغيرة والمعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبد يغوث الزهري وفكيهة بن عامر الفهري والحارث بن الطلائة والأسود بن الحارث وابن عيطلة . كانوا يكثرون منه عليه الصلاة والسلام الاستهزاء

ويواصلون عليه الأذى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقرأ
 الا مستترا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى : « ولا تجهر
 بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » أى لا تجهر بها فيؤذون
 ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يسمعون ، وابتغ بين الجهر والاسرار
 سبيلا • فأذن عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين اشتد بهم الأذى
 في الهجرة الى أرض الحبشة لأن ملكها كان منصفا ورغب الى الله أن
 يكتفيه أمرهم ، فنزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض
 عن المشركين ، انا كفييناك المستهزئين » فاصدع أى شق جماعاتهم
 بالتوحيد والصدع الصبح في كلامهم ، أى امض لما تؤمر به من ابطال
 الشرك ولا تهتم باستهزائهم « انا كفييناك المستهزئين » يعنى بما عجله
 سبحانه من هلاكهم •

أما الوليد فانه ارتدى فعلق بردائه شوك فذهب يجلس عليه
 ففقطع أكحله فنزف فمات لوقتته •

وأما العاص فوطىء على شوك فتنساقط لحمه من عظامه فمات
 من يومه • وأما الأسود فقد كان رسول الله ﷺ دعا اليه بالعمى وثكل
 ولده ، فأتى بعض شوك فأصاب عينه ، فسالت حدقته على وجهه وقتل
 ولده زمعة يوم بدر ، فأعمى الله بصره وأثكله ولده • وأما فكيهة فخرج
 يريد الطائف ففقد فلم يوجد • وأما الحارث فانه خرج لبعض حوائجه
 فضره السموم في الطريق فأسود وجهه ومات • وأما الاسود بن
 الحارث فأكل حوتا مملوفا فأصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء
 حتى انشقق بطنه ومات • وأما عبطلة فاستسقى فمات •

ومثله ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ
 نصلى في ظل الكعبة وناس من قریش وأبو جهل قد نهروا جزورا في
 ناحية مكة ، فبعثوا فجاءوا بسلاها فطرحوه بين كتفى النبي ﷺ فجاءت
 سفاطمة رضى الله تعالى عنها فطرحته عنه ، فلما انصرف عليه الصلاة

والسلام قال : اللهم عليك بقريش اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة
ووليد بن عتبة وأمّية بن خلف وعقبة بن أبى معيط • قال عبد الله بن
مسعود : فلقد رأيتهم قتلوا في قليب بدر •

ومن أعلامه : عليه الصلاة والسلام : أن النضر بن الحارث لما
كتب الصحيفة التي علقها المشركون في الكعبة على بنى هاشم ، وتعاقدوا
على أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، دعا عليه النبي ﷺ فشل بعض
أصابه التي كتب بها •

ومن أعلامه : عليه الصلاة والسلام : أن خباب بن الأرت أتاه
حين استند الأذى من قريش ، فقال : يا رسول الله ادع لنا ربك أن
يستنصر لنا على مضر ، فقال : انكم تعجلون • لقد كان الرجل من قبلكم
يمشط بأمشاط الحديد حتى يخلص الى ما دون عظمه من لحم أو عصب
ويشق بالمنشار ولا يرده ذلك عن دينه ، وانكم لتعجلون • والله ليمضي
هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا
الله ، أو الذئب على غنمه • ثم دعا عليهم فقال : اللهم اشدد وطأتك على
مصر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقطع الله عنهم المطر ، حتى
مات الشجر ، وذهب الثمر وأجدبت الأرض ، وماتت المواشي ، واشتروا
النقد وأكأوا العلهز ، فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه ، فعطف ورغب
الى الله تعالى فمطروا •

ومن أعلامه : صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه ابن عباس
قال : قبل ائمر حدثنا عن شبان جيش العسرة فقال عمر رضى الله تعالى
عنه : خرجنا مع رسول الله ﷺ في قبيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه
عطش شديد ، حتى خشي أن تنقطع ركابنا • فكان الرجل يذهب
ليلمس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع ، حتى كان الرجل
ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى على صدره ، فقال
أبو بكر : يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا ، فادع الله لنا •

قال : أتحب ذلك ؟ قال : نعم • فرفع رسول الله ﷺ يده فلم يرجعها حتى مالت السحاب ، فأظلت وأمطرت ، ثم مطرت فحملوا بها معهم ، فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر •

ومن أعلامه : ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال : أتى أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغير يثبط ولا صبي يصطبح ، ثم أنشد •

وأثيناك والعذراء تدمي لبانها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقي بكفيه الصبي استكانة	من الجوع خضعفا ما يمر ، وما يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلعز الغسل
وليس لنا الا اليك فرارنا	وأين فرار الناس الا الى الرسل ؟

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سريحا طبقا غير رائث يثبت به الزرع ويملا به الضرع ، ويحيى به الأرض بعد موتها » وكذلك تخرجون » فما استمر الدعاء ، حتى ألقت السماء بأودقها فجاء أهل البطانة يضحجون يا رسول الله الغرق • فقال : حوالينا ولا علينا • فانجاب السحاب عن المدينة كالأكليل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه • وقال : لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا شعره ؟ فقام على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبیت الله يدمى محمد	ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقام رجل من كثانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبی المطر

دعا الله خالقه دعوة وأشخص منه اليه البصر
فلهم يك الا كالفاء الرداء وأسرع حتى رأينا الدرر
وفاق العزالي جيم النفاق أغاث به الله علينا مضر
وكان كما قاله عمه أبو طالب أبيضاً ذا غرر
به الله يسقى صوب الغمام وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ : ان يك شاعر يحسن فقد أحسنت •

ومن شبه هذا : ما أظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس
رضي الله تعالى عنه • حين استسقى به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه فدعا العباس وأمنت الصحابة والناس فامطرت السماء مطراً
عظيماً •

ومن أعلامه : صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى أن أسماء
بنت عميس قالت لفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها : ان على بن أبي
طالب كان عند النبي ﷺ ، وقد أوحى اليه فجعله بثوبه ، فلم يزل
كذلك حتى أدبرت الشمس أو كادت تغيب ، ثم انه سرى عن رسول الله
ﷺ فقال : أصليت يا على ؟ قال : لا قال : اللهم رد على على الشمس
فرجعت الشمس أو وقفت ، حتى صلى على كرم الله تعالى وجهه •

وهذه مثل ما وقع ليوشع بن نون •

ومن أعلامه : عليه الصلاة والسلام : ما روى عن على بن أبي
طالب كرم الله وجهه ، قال : بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثني وأنا حدث السن لا علم لي
بالقضاء ؟ قال : انطلق ، فان الله يهدي قلبك ويثبت لسانك • قال على
رضي الله تعالى عنه : فما شككت في قضاء بين اثنين ولذا قال ﷺ :
« أقضاكم على »

ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله تعالى عنهما

وهو يومئذ غلام : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، فخرج أفقه
الناس في الدين وأعلمهم بالتأويل حتى سمي البحر لسعة علمه •

ومن أعلامه : ما رواه أبو العالية عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ بتميرات فقلت : ادع لي بالبركة فيهن
فوضعهن على يدي ثم دعا بالبركة فيهن ، ثم قال : أجولهن في المزود ،
فاذا أردت شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تنثره ، قال قال أبو هريرة : فلقد
حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله تعالى ، ولكننا نأكل منه
ونطعم ، وكان لا يفارق حقوى ، فلما كان يوم قتل عثمان انقطع فذهب

ومن أعلامه : ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أو أبي سعيد
بالشك أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزاة تبوك فأصابتهم مجاعة ، فدعا
النبي ﷺ بنطع ، فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء
بكف ذرة ، وجعل الآخريجيء بكف تمر ، وجعل الآخريجيء بكسرة ،
حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ،
ثم قال : خذوا في أوعيتكم • فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في
العسكر وعاء الا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة • فقال
رسول الله ﷺ أشهد أن لا إله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله
بهما عبد غير شك فيهما فيحجب عن الجنة •

ومن أعلامه : ما رواه جعيل الأشجعي قال : غزوت مع رسول
الله ﷺ في بعض غزواته • فقال : سر يا صاحب الفرس • فقلت :
يا رسول الله هي عجفاء ضعيفة فدفع مخفقة في يده فضربها بها • وقال :
اللهم بارك له فيها • فلقد رأيتني ما أمسك رأسها أن تقدم الناس ،
ولقد بعث من بطنها الجمل الكثير •

ومن أعلامه : ما روت عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قدم
رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض فيه • فقال عليه الصلاة والسلام :
اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيب إلينا مكة وصححها لنا وبارك في
صاعها ومدها وانقل حماها إلى الجحفة • فصارت كذلك •

ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام : ما ذكره شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم أنه دعا الأنس بن مالك أن يكثر الله تعالى ماله وولده فكان نخله يحمل في السنة مرتين خلاف عادة بلده ورأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة فان مثل هذا الحادث يعلم أنه كان بسبب ذلك الدعاء .

ومن أعلامه : انه عليه الصلاة والسلام أخذ يوم بدر كفًا من حصى وتراب ورمى به في وجوه القوم ، وقال : شأهت الوجوه فتفرق الحصى في المشركين ، ولم يصب ذلك الحصى والتراب أحدا الا قتل أو أسر ، وفيه نزل قوله سبحانه « فم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

ومن أعلامه أن الطفيل بن عمرو الدوسى قدم مكة وكان شاعرا لبيا فقال قريش له : احذر محمدا فان قوله كالسحر يفرق بين المرء وزوجه . فأتاه في بيته وقال يا محمد أعرض أمرك ، فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وقال : يا رسول الله انى امرؤ مطاع في قوامى ، وانى راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فادع الله تعالى أن يجعل لى آية تكون عونًا عليهم . فقال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كانت بالثنية وقع نور بين عينى مثل المصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ، أخشى أن يظنوا بى أنها مثلة ، فتحول فوقع فى رأس سوطى فجعل الحاضرون يرون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط من الثنية ، ثم دعوت رؤساء قوامى الى الاسلام فأبطلوا فجئت رسول الله ﷺ بمكة . فقلت : يا رسوال الله انهم قد غلبونى على دوس ، فادع الله تعالى عليهم فقال : اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم الى الله تعالى وارفق بهم ، فرجعت اليهم فلم أرل بأرض دوس أدعوهم حتى أسلموا .

ومن أعلامه : ما رواه أبو نهيك الأزدى عن عمرو بن الخطاب

استسقى رسول الله ﷺ فأثبته باناء فيه ماء وفيه شعرة فرفعها فناولته ثم قال : اللهم جملة • فقال : فرأيته بعد ثلاث وتسعين ما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء ، ونهى رسول الله ﷺ أن يعقص الرجل شعره في الصلاة فرأى رجلا عقص شعره في الصلاة • فقال : قبح الله شعرك • فصلح مكانه •



فصل

في انذاره عليه الصلاة والسلام بما يحدث بعده

روى فضالة بن أبي فضالة الأتصاري قال : خرجت مع أبي الى ينبع عاملا لعلنى رضى الله تعالى عنه وكان بها مريضا فقال له أبى : يا أبا الحسن ما يقرئك بهذا البلاد ؟ لا آمن أن يصيبك أجلك ، ولا يكن أحد إليك الا أعراب جهينة ، فان احتمات الى المدينة ، فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك • فقال : يا أبا فضالة أخبرنى حبيبى وابن عمى رسول الله ﷺ أننى لا أموت حتى أوامر ولا أموت حتى أقتل الفئة الباغية ، ولا أموت حتى تخضب هذه من هذا الدم ، وضرب على لحيته وهامته قضاء مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى •

ومن انذاره : ما رواه أبو سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ بمارية القبطية فى بيت حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنه • ، فوجدتها معه تضاحكه • فقالت : يا رسول الله فى بيتى من دون بيوت نساءك ؟ قال : فانها على حرام أن أمسها • ثم قال لها يا حفصة ألا أبشرك ؟ قالت : بلى بأبى أنت وأمى • قال : يلى هذا الأمر من بعدى أبو بكر ثم يليه من بعد أبى بكر أبوك • اكتمى هذا على ، فخرجت حتى دخلت على عائشة فقالت لها : ألا أبشرك

يا ابنة أبى بكر ، فقالت : بماذا ؟ فذكرت ذلك لها • وقالت : قد استكتمنى
فاكتميه ، فأنزل جل وعز « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ »
ولعل لنا عودة الى الكلام على هذه الآية الكريمة فى محله أيضا ان شاء
الله تعالى فلا تغفل •

ومن انذاره : ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما
قال : كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ اذ أقبل عثمان فلما دنا منه •
قال : يا عثمان تقتل وأنت تتقرأ سورة البقرة تنقع قطرة من دمك على
« فسيكفيهم الله » يغبطك أهل المشرق والمغرب ، وتبعث يوم القيامة
أميرا على كل مخذول •

ومن انذاره : ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ :
من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر الى طلحة
ابن عبيد الله •

ومن انذاره عليه الصلاة والسلام أنه قال لفاطمة رضى الله تعالى
عنها : انك أول أهل بيتى لحاقا بى • ونعم السلف أنالك ، فكانت أول
من مات بعده من أهل بيته •

ومن انذاره : ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :
قال رسول الله ﷺ لنفسائه : ليت شعرى أيتكن راكبة الجمل الأريب
تخرج فتنبحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثير ،
تتجو بعد ما كادت تقتل ، فقيل ان عائشة رضى الله تعالى عنها وصلت
الى مياه بنى عامر ليلا فنبحتها كلاب • فقالت : ما هذا ؟ قالوا الحوآب •
قالت : ما أظننى راجعة ان رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم كيف
باحداكن اذ نبح عليها كلاب الحوآب •

ومن انذاره ما رواه ثابت عن الحسن البصرى قال : كان الحسن بن على

رضى الله عنهما يجرى ورسول الله ﷺ ساجد فيجلس على عنقه فاذا أراد أن يرفع رأسه أخذه فوضعه في حجره ، ثم قال : ان ابني هذا سيد ، وان الله تعالى سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فكان الأمر كذلك •

ومن انذاره : ما رواه عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : دخل الحسين بن علي رضى الله تعالى عنهما على رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره • فقال جبرائيل : يا محمد ان امتك ستقتل بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأقامه بقربة بيضاء ، فقال : في هذه الأرض يقتل ابنك • هذا اسمها الطف ، فلما ذهب جبرائيل عليه السلام خرج رسول الله ﷺ الى أصحابه والتربة في يده ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر رضى الله عنهم وهو يبكي فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرني بجبرئيل أن ابني الحسين يقتل من بعدى بارض الطف فجاءني بهذه التربة وأخبر أن فيها مضجعه •

ومن انذاره عليه الصلاة والسلام : ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما فقال لها : ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة ؟ قالت : مالي من حاجة لكن انتظرني حتى أحدثك شيئا سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، أما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار ، وأما المبير فأنت • فقال الحجاج : أنا مبير المنافقين •

ومن انذاره : ما رواه عبد الملك بن عمير قال : قال معاوية رضى الله تعالى عنه والله ما حملني على الخلافة الا قول رسول الله ﷺ يا معاوية اذا وليت فأحسن •

ومن انذاره ما : رواه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما

عن أبيه أن النبي ﷺ نظر إليه مقبلاً فقال : هذا عمى أبو الخلفاء
الأربعين أجود قریش كفاران من ولده السفاح والمنصور والمهدى ،
يا عم بى فتح الله تعالى هذا الأمر ويدخل فى ولدك •
الى أكثر من نظائر هذا تركناه خشية السامة •



فصل

فى

معجزة ما ظهر من البهائم

إذا كان الاعجاز خارقاً للعادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها ،
وإذا كانت البهائم مسلوقة الأفهام مفقودة الكلام ، فلا يس بمستكر
اذ أراد الله تعالى بها اظهار معجزات يعطيها من المعرفة أن تنطق بما
ألهمها وتخبر بما علمها ثم يسلبها ذلك ، فتعود الى طبعها كمعجزة
موسى عليه السلام فى العصا ، أن صارت حية تسعى لتكون باهر
الآيات قاهر المعجزات •

فمن آياته : أن رجلاً كان فى غنمه يرعاها فعلفها ساعة فغفل عنها
ساعة من نهاره فخاتله ذئب فأخذ منها شاة فأقبل يلحف فطرح الذئب
الشاة ثم كلمه بكلام فصيح فقال الرجل : تا الله ما رأيت كاليوم عجباً
فكلمه الذئب وقال أنتم أعجب وفى شأنكم عبرة ، ، هذا محمد يدعو
الى الحق ببطن مكة وأنتم لاهون عنه ؟ فهدى الرجل لرشده وأقبل
حتى أسلم وحدث القوم بقصته وبقي لعقبه شرف يفخرون به على
العرب ، ويقول مفتخرهم : أنا ابن مكلم الذئب •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه أبو سعيد

الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : بينا راع يرعى فى الحيرة اذ جاء ذئب الى شاة من غفمه فانتهزها فحال الراعى بين الذئب والشاة ، فألقى الذئب على ذنبه وقال للراعى : ألا تتقى الله ؟ تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى ؟ فقال الراعى العجب من ذئب يقعى على ذنبه يكلمنى بلئلام الانس ، فقال له الذئب لا أحدثك بأعجب من هذا ؟ هذا رسول الله بين الحيرتين يحدث الناس بأنباء ما سبق ، فأخذ الراعى الشاة فأتى بها المدينة وأتى الى رسول الله ﷺ فأخبره ، فخرج الى الناس وقال للراعى : قم وحديثهم • فقام فحدثهم فقال صدق الراعى وكان اسمه عمير الطائى ، فسمى بمكلم الذئب •

أقول : لعله يختلج فى ذهن نصرانى وشبهه ان هذه الرواية ونحوها يمكن اخلاقها ، ويمكن أن ذلك تعليم لهذا الراعى أن يقول كذا ، فنقول له : ان هذا الاختلاج من أبعد ما يكون لأن هذه الروايات لتعدها يقوى بعضها بعضا ، فهى من حيث المجموع مفيدة للتواتر المفيد للعلم ، فانكارها مكابرة وكذا مظنة التعليم والمواطاة كما لا يخفى على كل منصف وهذا عيسى عليه السلام لم يأتنا بخبر معجزاته بعد القرآن الا آحاد ممن اتبعه ، كأصحاب الأتاجيل فقط • وحال أناجيلهم معلومة وأكثر رواياتها عن امرأة أو عن رجل واحد ، مع أن اليهود قالوا ان ابراهه للمقلد ونحوه لم يكن صحيحا ، بل كان مواطاة وتعليم لشخص أن يظهر حاله كذلك ، ثم يأتية ويقول له : قم فيقوم ، فترى الناس أنه أبراه • فكل من أنكر معجزات الرسل يتشبه بمثل هذه الظنون الواهية والاحتمالات البعيدة العاطلة ، فنعوذ بالله تعالى من الخذلان ونسأله سبحانه دوام كامل الايمان آمين •

ومن آياته : ما روى ابن عمر عن أبيه رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه اذ جاء أعرابى قد صاد ضبا وجعله فى كفه ليذهب به فيأكله ، فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ قالوا النبى ﷺ فجاء يشق الناس وقال والمالات والعزى ما أحد أبغض

الى منك ، ولولا أن تسميني قومي عجولا لعجلت فقنتك • فقال عمر
رضي الله عنه : يا رسول الله دعني أقوم فأقتله • فقال : يا عمر أما
علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا • ثم قال للأعرابي : ما حملك على
ما قلت ؟ فقال واللات والعزى لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب •
فأخرج الضب من كفه فطرحة بين يدي رسول الله ﷺ فقال عليه
الصلاة والسلام : يا ضب • فأجابته الضب بلسان عربي مبين يسمعه
القوم جميعا : لبيك وسعديك يا زين من يوافي يوم القيامة • قال : من
تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه ، وفي الجنة
رحمته ، وفي النار عقابه • قال رسول الله ﷺ : فمن أنا يا ضب ؟ قال :
أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدقك وقد خاب من
كذبك • فقال الأعرابي لا أتبع أثرا بعد عين ، والله لقد جئتكم وما على
ظهر الأرض أحدا أبغض الى منك ، وإنك اليوم أحب الى من نفسي
ومن ولدي ووالدي ، وإنني لأحبك بداخلي وخارجي وسري وعلايتي ،
أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله • فقال النبي ﷺ : الحمد لله
الذي هدانا لهذا ، ان هذا الدين يعلو ولا يعلى فرجع الأعرابي الى
قومه ، فأخبرهم بالقصة ، وكان من بنى سليم ، فأتى رسول الله ﷺ
ألف انسان منهم فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد بن الوائيد ، ولم
يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم • هذه واقعة مشهورة لا ينكرها
الا مكابر •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : ما رواه أنس بن مالك رضي
الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ حائطا للأتصار ومعه أبو بكر
رضي الله تعالى عنه وغيره ، وفي الحائط — أى البستان — عنز فسجدت
له ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله كنا نحن أحق
بالسجود لك من هذه العنز فقال : أنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد ،
ولو جاز السجود لغير الله تعالى لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها •

ومن آياته ما رواه عبد الله بن أبي أوفى قال : بينما نحن قعود
عند رسول الله ﷺ إذ أتاه آت فقال يا رسول الله ناضح بنى فلان قنذا

دبر عليهم • قال : فنهض ونهضنا معه • فقلنا : يا رسول الله لا تقربه
فنا نخاف عليك ، فدنا من البعير ، فلما رآه البعير سجد له ، فوضع
يده على رأس البعير ، وقال : هات المسكان فوضعه في رأسه وأوصى
بـه خيرا •

ومن آياته : أنه عليه الصلاة والسلام بينما هو جالس في أصحابه
إذا هو بجمل قد أقبل له رغاء ، فوقف • فقال رسول الله ﷺ : أتدرون
ما يقول هذا ؟ انه ليقول : ائني آل فلان لحى من الخرج استعملوني
وكدوني حتى كبرت وضعفت ، فلما لم يجدوا في حيلة يريدون ذبحي ،
فأنا أستغيث بك منهم ، فأوقفه رسول الله ﷺ وبعث اليهم فاستوهبه
منهم فوهبوه وخلاه في الحى •

ومن آياته : ما روى جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال :
كنا جلوسا عند صنم لنا قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر فنحرقنا
سجورا فسمعنا صائحا يصيح : اسمعوا الى العجب ذهب استراق السمع
النبى بمكة اسمه أحمد ، مهاجرته الى يثرب • فكان هذا الأمر من الآيات
المنذرة والآثار المبشرة به ﷺ •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه برذة عن مكحول
رضى الله عنه قال : بينا أهل ذريح حى من العرب عرب اليمن في
مجلسهم اذ أقبل عجل فتنسم فقال : أهل ذريح ، أمر نجيح ، ببطن
مكة يصيح ، بلسان فصيح ، شهادة أن لا اله الا الله • فأجيبوه •

فإن قيل : فيجوز أن يكون ما يسمع من كلام البهائم كالصدى
يحكى كلام المتكلم فيظنه السامع كلام الصدى • وهو كلام المتكلم
ويكون بقوة يحدثها الله تعالى في المتهين لذلك يخفى عن الأسماع
والأبصار •

فمنه جوابات :

أحدها : أن الصدى يحكى كلاما مسموعا إذا قابله قبل صوته

فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا لكلام يحكيه فامتنع التشاكل •

والثانى : أن اتقوة المهيأة لذلك ليست من جنس قوى البشر
فلا يكون فى التفاضل اعجاز ، وانما هى خارجة عن جنس قواهم فخرج
عن قدرتهم ، وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا ، لو صح هذا
الاعتراض لبطل به الاعتراض •



فصل

فى

ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجهد

ولئن كانت المعارف من الجمادات أبعد ، والكلام منها أغرب فليس
بمستبعد ولا مستغرب أن يحدث الله تعالى فيها من الآيات الخارجة
عن العادة ما يحجج الله سبحانه به من استبصر ويمد به من استنصر •

فمن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما حكاه أهل النقل عن
على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه خطب على الناس خطبة المعروفة
بالفاضة فقال فيها : الحمد لله الذى هو العالم بمضمرات القلوب
ومحجوبات الغيوب ، أيها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا
ولا لفضله عندكم حسادا ، ولا تطيعوا أساس الفسوق وأحلاس
العقوق ، فان الله تعالى مختبر عباده المستكبرين فى أنفسهم بأوليائهم
المستضعفين فى أعينهم ، ألا ترون أنه اختبر الأولين من لدن آدم الى
الآخرين من هذا العالم بأنواع الشدائد وتعبدتهم بألوان المجاهد ليجعل
ذلك أبوابا ، فتحا الى فضله وأسبابا ذللا لعفوه ، فاحذروا ما نزل بالأمم
قبلكم من المثالات بسوء الأفعال وذميمة الأعمال ، أن تكونوا أمثالهم •

فلقد كانوا على أحوال مضطربة وأيدى مختلفة وجماعة مافترقة في بلاء
أزاي وإطباق جهل ، من بنات موءودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة
وغارات مشنونة • فانظر الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث
إليهم رسولا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم
جداول نعيمها ، فهم حكام على العالمين وملوك في أطراف الأرضين ،
يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ، ويمضون الأحكام على من
كان يمشيها فيهم ولقد كتبت مع رسول الله ﷺ وقد أتاه الملأ من
قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيمًا لهم ندعاه آباؤك ولا أحد
من أهل بيتك ونحن نسألك أمرا ان أجرتنا اليه وأريتناه علمنا انك
نبي ورسول ، وان لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب • قال لهم وما
تسألون ؟ قالوا : تدع لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتنتف بين
يديك • فقال ﷺ : ان الله على كل شيء قدير ، فان فعل الله ذلك لكم
أتؤمنون وتشهدون بالحق ؟ قالوا : نعم • قال : فاني سأريكم ما تطلبون
واني لأعلم أنكم لا تقيئون الى خير وان منكم من يطرح في القليب ومن
يحزب الأحزاب •

ثم قال عليه الصلاة والسلام : يا أيها الشجرة ان كتبت تؤمنين
بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فتنقلعي بعروقك حتى تقفي
بين يدي بأذن الله تعالى •

قال على كرم الله تعالى وجهه : فوالذي بعثه بالحق لقد انقلعت
بعروقها وجبعت ولها دوى شديد حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ
مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى عليه وبيعض أغصانها على منكبي وكنت عن
يمينه فلما نظر الأقوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا : فمرها فليأتك نصفها
ويبقى نصفها • فأمرها بذلك فأقبل نصفها لكأعجب ما يكون اقبالا وأشد
دويا فكادت تلتف برسول الله ﷺ فقالوا كفرا وعتوا : فمر هذا
النصف فليرجع الى نصفه كما كان ، فأمره فرجع ، فقلت لا اله الا الله
أنا أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من آمن بأن الشجرة قلعت بأمر

الله تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك • فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب عجيب السحر ، وهل يصدقك الا مثل هذا ؟ يعنوني •

وهذا حكاة خطيبا عنى الأَشهاد ، وقل أن يخاو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله • فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته ، ولولاه لظهر الرد وان ندر ، وهذا من أبلغ آياته واظهار اعجاز له عليه الصلاة والسلام •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هل من آية فيما تدعو إليه ؟ قال : نعم أتت تلك الشجرة فقل لها رسول الله يدعوك • فمالت عن يمينها ويسارها وبين يديها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخذ الأرض حتى وقفت بين يديه ، فقال الأعرابي : مرها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت الى منبتها وقال الأعرابي : ائذن لى اسجد لك فقال : لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لى أن أقبل يديك ورجليك فأذن له •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه يعلى بن شيبانة قال : كنت مع رسول الله ﷺ في سيرة فأراد أن يقضى حاجته فأمر ودتين فانضمت احدهما الى الأخرى ثم أمرهما بعد قضاء حاجته ان يرجعا الى منبتهما فرجعتا •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في مكة فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : أنه مر في غزوة الطائف في كئيف من طلع ، فمشى وهو وسن من النوم ، فاعترضته سدرية

فانفرجت السدرة له نصفين ، فمر بين نصفيها • قال الماوردي : وبقيت السدرة منفرجة على سائقين الى قريب من أعصارنا هذه • وكانت معروفة بذلك في مكانها ، ويسمونها سدرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : ما رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : صعد النبي ﷺ حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعيد ، فتحرك الجبل • فقال النبي ﷺ : اسكن حراء ، فليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد فسكن الجبل •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه جابر بن عبد الله قال : كان في رسول الله ﷺ خصال لم يكن يمر في طريق فينتبعه أحد الا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه ، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفا من حصي فصبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبى بكر فصبحن في يده ، حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في أيدينا ، ، فما صبهن في أيدينا •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : ما رواه جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : أن عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر ، فدفع اليه رسول الله ﷺ قطعة من خشب ، وقال : قاتل بها الكفار يا عكاشة فتحوط سيفا في يده فكان يقاتل به •
ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : جذع كان يستند اليه

فلما اتخذ منبرا تحول من الجذع اليه فحن اليه الجذع حتى ضمه اليه ، فسكن • وهذا أمر مشهور بين الصحابة •

ومن آياته عليه الصلاة والسلام : أن مكرزا العامري أتاه فقال : هل عندك من برهان نعرف به أنك رسول الله ؟ فدعا بسبع حصيات فسيحن في يده ، فسمع نغماتها من جمودتها • وهذا أبلغ من احياء عيسى عليه السلام للموتى •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : أنه لما حاصر الطائف سموا لله جذعة ، فكلمه منها الذراع ، فقالت لا تأكلني فأنى مسمومة وهذا أمر شهير • وهو نظير احياء الموتى وسيأتي أيضا الكلام عليه في محله ان شاء الله تعالى •

ومن آياته : أنه عليه الصلاة والسلام أول ما أوحى اليه لم يمر بحجر ولا مدر إلا سلم عليه بالنبوة • وهذا نظير قوله تعالى لداود : « يا جبال أوبي معه والطير » •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه حمزة بن عمرو الأسلمي قال : نفرنا مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فأضاعت أصابعه •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انكم تعدون الآيات عذابا وانا كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ بركة ، لقد كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام •

قال الماوردي : فان قيل : يجوز أن يتخيل ذلك للناظر كما يتخيل لراكب السفينة سير النخل والشجر • فعنه جوابان : احدهما : أنه وان تخيل ذلك لراكب السفينة فهو غير متخيل لغيره من قائم وقاعد • وهذا متحقق عند كل شاهد على اختلاف أحواله • والثاني : ان راكب السفينة يعلم أنه الخيل له غير معلوم ، وهذا معلوم • وان قيل : فقد يجوز أن

يكون في خواص التجواهر ما يجذب النخل والشجر كما في خاص حجر المغناطيس • فعنه جوابان : أحدهما لو كان لظهر ، ولو كان ذلك موجودا ، لكان الملوك عليه أقدر ، ولكان مدخورا في خزائهم ، كادخار كل مستغرب ومستظرف ، ولجاز ادعاء مثله في قلوب الأعيان وابطال الحقائق والثاني : انه لو كان ذلك لخاصية الجوهر كان بظهوره جاذبا وبملاقاته للنخل والشجر فاعلا ولما انتقل اليه عن غيره ، وعنه الى غيره • وكل هذا فيه معدوم وان كان في حجر المغناطيس موجودا •
انتهى •

* *

فصل

فى

هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو من آيات نبوته فان كان قبل مبعته كان من نذر آياته المصادرة.
عن الهام فمن هتوفها بنبوته عليه الصلاة والسلام ما حكاه ابراهيم ابن سلامة عن اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان يحدث عن رجل من خثعم قال : كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد أصناما ذبينا نحن عند صنم ذات ليلة نتقاضى اليه في أمر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح فقال :

يا ايها الركب ذوو الأحكام
هذا نبى سيد الأنام
قد ظهر الناس من الانام
ما انتم وطائش الاحلام ؟
اعبد ذى حكم من الأحكام
ومسندو الحكم الى الأصنام

**ويتبع النور على الظلام
يصدع بالحق وبالإسلام
سيعلين في البلاد الحرام**

قال الخثعمي ففزعنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبي ﷺ

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له : أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن هو ؟ قالوا ابن قارب رجل من أهل اليمن وكان له رضى من الجن ، فأرسل اليه عمر فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : أنت الذى أتاك رثيك بظهور النبي ﷺ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، اذ أتانى رثيى من الجن فضربنى برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب ، فاسمع مقالى واعقل ان كنت تعقل ، انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله تعالى والى عبادته ، وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتطالبها تهوى الى مكة ببغى الهدى فأرحل الى الصفوة من هاشم	وشدها العيس باقتابها ما صادق الجن ككذابها ليس قدامها كاذنابها
--	--

فقلت له دعنى فانى أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا . فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ، وقال : قم يا سواد ابن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتخبأرها فأرحل الى الصفوة من هاشم تهوى الى مكة تبغى الهدى	وشدها العيس باكوارها بين روايبها وأحبارها ما مؤمنوا الجن ككفارها ؟
--	---

فقلت دعنى فقد أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله . وقال : قم يا سواد بن قارب

تقاسم مع مقالتي واعقل ان كنت تعقل ، قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته • وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها	وشدها العيس باحلاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم	واسم بعينيك الى راسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى	ما خير الجن كانجاسها

قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبى للاسلام فرحلت ناقنى وأتيت المدينة : فاذا رسول الله ﷺ وأصحابه فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله • قال : هات فأنشأت :

فلا تليال قوله كل ليلة	أناك رسول الله من لؤى بن غالب
فأشهد ان الله لا رب غيره	وانك مأمون على كل غالب
فمرنا بما ياتيك يا خير من مشى	وان كان في ما جاء شيب الذوائب
أتاني نجبي بين هجو ورقدة	ولم اك فيها قد نجوت بكاذب
ففسحت عن ذيل الازار ووسطت	بى الذغلب الوجناء بين السباب
وانك ادنى المرسلين وسيلة	الى الله يا ابن الاكرمين الاطائب
وكن لى شفيعا يوم لا نؤثفاعة	سواك بمقن عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى روى الفرح في وجوههم ، قال فوثب اليه عمر رضى الله تعالى عنه فالتزمه وقال : قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث • فهل يأتيك رثيك اليوم ؟ فقال : مذ قرأت القرآن فلا • ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن •

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه ابراهيم بن سلامة عن اسماعيل ابن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حدث يوما في مجلس بعد رسول الله ﷺ فقال : خرجنا قبل مظهر النبی ﷺ بشهرين الى ابطح بمكة معنا عجل ثريد ذبحه ، ونحن نفر ، فلما ذبحناه وتصاب دمه ومات ، اذ صاح من جوفه صائح يقول يا ذريح يا ذريح صائح يصيح بصوت فصيح نبي يظهر الحق بفحيح يقول لا اله الا الله • فصاح كذلك ثلاث مرات ثم هدا صوته وتفرقنا ورعبنا منه ، فلم يلبث النبی ﷺ أن ظهر •

فقال رجل من القوم : ما تعجب يا أمير المؤمنين ، خرجت وأصحابى
لمى فى تجارة لنا ونحن أربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا ببيعى أودية
الشام ، قرمنا الى اللحم قرما شديدا قبل مظهر النبى ﷺ فاذا بظبية
قد عرضت لنا مكسورة القرن فلم نزل نختلها حتى أخذناها • قال :
فوالله اننا نتوامر بذبحها ، اذ هتف هاتف فقال :

يا ايها الركب السراع الأريفة خلوا سريلى الظبية المروعة
فانها لطفلة ذات دعة خلوا عن الغضباء قدامى سعة

ثم قال : خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادى وما يمر فيه
أقل من خمسين رجلا حتى كنتم به ، قال : فإرسلناها فلما أمسينا أخذنا
بأزمة رواحنا ، حتى أتى بنا الى حاضر لجب كثير الأهل فأطعمنا من
الثريد ما أذهب قرمنا ثم عرجنا حتى قضى الله تعالى تجارتنا فصحبنا
رجل من يهود ، فلما كن بذلك الوادى هتف هاتف فقال :

اياك لا تعجل وخذها موبقة فان شر السير سبى الحقيقة
قد لاح نجم فاستوى فى مشرقه يكشف عن ظلما عيوس موبقه
يدعو الى ظل جنان مذهقه

فقال اليهودى : تدرون ما يقول هذا الصارخ ؟ قلنا : ما يقول ؟
قال : يخبر أن نبيا قد ظهر خلافتكم بمكة ، فقدمنا فوجدنا النبى صلى
الله تعالى عليه سلم بمكة •

ومن بشائره وتوفهم : ما حكاه أبو عيسى قال : سمعت قريش فى
الليل هاتفا على أبى قبيس يقول :
ان يسلم السعدان يضح بمكة محمد لا يخشى خلافا المخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان ؟ سعد بكر وسعد
تميم ؟ فلما كان فى الليلة الثانية سمعوه يقول :

يا سعد سعد الأمس كن انت ناصرا ويا سعد سعد الخرجين المطارف
فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف
أجيبا الى داعى الهدى وتنبيا على الله فى القرائوس منية عارف

فلما أصبحوا قتال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد •

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أسماء بنت أبى بكر قالت : ما علم الاثركون من أهل مكة أين توجه رسول الله ﷺ حين هاجر الى المدينة ، حتى هتف هاتف بعد ذلك بأبيام فقال :

جزى الله خيرا والجزاء بفضله	رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما دخلاها بالهدى واهتدى به	ومقعدا للمسلمين بهرصد
ليهن بنى كعب محل قتاتهم	فأفلح من أمسى رفيق محمد

وقالت أسماء رضى الله تعالى عنها : ما علم المشركون من أهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يسمرون بمكة فقال :

أزال الضيفون بدرا بوقعة	سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
ألا ويح من أمسى عدو محمد	لقد ذاق حزنا فى الحياة وحسرا
أصاب رجالا من لوى وجريت	وأصبح فى هامى العجاج معفرا
هرائر يضربن الترائب لحسرا	تناوبه الطير الجياع وتنفرا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف أخبار آحاد عمن لا يرى شخصه ولا يحتج بقولته فخروجه عن المعادة نذير ، وتأثيره فى النفوس بشير ، وقد قبلها السامعون وقبول الأخبار يؤكد صحتها ويؤيد حجتها •

فان قيل : ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة ، جاز أن تكون دليلا على صحة الكهانة •

فلعنه جوابان : أحدهما : ان دلائل النبوة غيرها • وانما هى من البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة •

والثانى ان الكهانة عن مغيب ، والبشارة عن معين • فاللعين معلوم والغائب موهوم •

بقى شيء يحسن التنبيه عليه : وهو كما قال الماوردى عليه
الرحمة : ان قوما أنكروا خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية ، وقد
قهرتهم براهين العقول وحجج القياس ، لأن الله تعالى أنشأ خلق العالم
من أربعة أجرام جعلها أصولا لما خلق من العالم الحى ، وهى الأرض
والماء والهواء والنار • والعالم نوعان اتفاقا علوى وسفلى • فالعالم
السفلى نوعان خلقهما من جرمين أحدهما : من الأرض وهو ما عليها
من الحيوان • والثانى من الماء وهو ما فيه من السموك وهما هابطان
لهبوط الأرض والماء وظاهران لظهور أصلهما واستمر القياس فيهما
وبقى العالم العلوى جرمان الهواء والنار • وقد استقر خلق الملائكة
من الهواء فانتضى معقول القياس أن يكون خلق الجن من النار لتكوين
الأجرام الأربعة أصولا لخلق أجناس أربعة ، ولعلو الهواء ما كان عالمه
من الملائكة علويا ، ولانخفاضه ما كان خفيا لا يهبط الا عن أمر الهى
ولا يعالين الا بمعونة الهية ، ولعلو النار فى أصل هابط ما كان لعالمه من
الجن علوا وهبوطا ولخفاء مكونها خفى عالمها عن العيان ، الا بمعونة
الهية فصار أصلان من الأربعة محسوسين بالعيان • وهما على الأرض
فى الماء ، وأصلان معقولين بالقياس وهما الملائكة والجن ، ولولا أن
دافع ذلك عادل عن الدلائل الشرعية ، لما عدلنا عنها الى هذا
الاستدلال الخارج عن البراهين الشرعية • انتهى •



فصل

فى ما هجست به النفوس من الهام العقول
بنبوته عليه أفضل الصلاة والسلام

قال الماوردى : العقل الهى ركه الله تعالى فى النفوس الناطقة
فهو ينذر بالخواص الكائنة حدسا ، ويعلم بعد الوجود حسا ، فقل
حادث الا تقدم نذيره ، وبحسب خاطره يكون تأثيره ، ولا حادث أعظم

هما جدده الله بنبوة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فاقترضى
أن يكون بشائر بنبوته أشهر ، وشواهد آياته أظهر .

فمن الهواجس بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم : أن كعب بن
لؤى بن غالب كان يجتمع اليه الناس في كل جمعة ، وكان يوم الجمعة
يسمى في الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة ، وكان يخطب
فيه الناس ، ويقول بعد خطبته : حرمكم عظه وتمسكوا به ، فسيأتى
له بناء عظيم ، وسيخرج به نبي كريم ، والله لو كنت فيه ذا سمع وبصر
وיד ورجل ، لتصببت لتصب الخيل ولارقلت ارقال الفحل ، ثم يقول :

ياليثى شاهد فحواء دعوته حين العشرة تبفى الحق خذلانا

ومن هواجس الالهام : ما حكاه ابن قتيبة أن أبا كرب بن أسعد
الحميرى آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث بسبعمئة سنة وقال :

**شهدت على احمد انه رسول من الله بارى التسم
فلو مد عمرى الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم**

ومن هواجس الالهام ، ما حكاه عبيد الجرمى وكان كبير السن
عالما بأخبار الأمم أن تبعا الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع ساير
بيثرب أى مدينة الرسول ﷺ فنزل في سفح أحد ، وذهب الى اليهود
فقتل منهم ثلثمائة وخمسين رجلا صبوا وأراد خرابها . فقام اليه رجل
من اليهود كبير السن ، فقال أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ،
ولا يقبل قول الزور ، أمرك أعظم من أن يظن بك رق ، أو تصریح بك
لجاج ، فانك لا تستطاع أن تخرب هذه القرية ، قال : ولم ؟ قال : لأنها
مهاجرة نبي من ولد اسماعيل ، يخرج من هذه الثنية — يعنى البيت
الحرام — فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودى ورجل آخر عالم
من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة آلاف جزور ، وأطعم الناس
وقال :

قد كسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا

وقيل : انه ملك ثلاثمائة وعشرين سنة وسيأتي ان شاء الله تعالى .
في بحث المدينة بما هو أطول من هذا *

ومن هو اجس الالهام : ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت : كان يهودى يسكن مكة ، فلما كانت الليلة
التي ولد فيها رسول الله ﷺ حضر مجلس قريش ، فقال : يا معشر
قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال : القوم والله ما نعلم * قال :
الله أكبر أما اذا أخطاكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم ،
ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات ، كأنها
عرن وثن ، فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون من قوله ، فلما
صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله ، فقالوا : ولد لعبد الله
ابن عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودى
فأخبروه * فقال : اذهبوا بى حتى أنظر اليه ، فأدخلوه على آمنة
وقالوا : اخرجى الينا ابنك ، فأخرجته وكشفوا عن ظهره ، فرأى
اليهودى تلك الشامة فوق مغشيا عليه * فلما أفاق قالوا له : مالك ؟
قال : ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل ، يا معشر قريش * والله
ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب ، وكان في القوم
الذين أخبرهم اليهودى بذلك هشام بن المغيرة وعبيدة بن الحرث بن عبد
المطلب وعائبة بن ربيعة ، فعصمه الله تعالى منهم *

ومثله : أنه كان لقريش في الجاهلية عيد يجتمع فيه النساء دون
الرجال ، فاجتمعوا فيه فوقف عليهن يهودى ، وفيهن خديجة رضى الله
عنهما فقال لهن يا معشر نساء قريش يوشك أن يبعث فيكن نبي ، فأينكن
استطاعت أن تكون له أرضا فلتفعل ، فحصبته وواهر ذلك في نفس
خديجة حتى حققه الله تعالى لها ، فكانت أول من آمن به *

ومثله : أن جماعة من النصارى قدموا من الشام تجارا الى مكة ،
فنزلوا بين الصفا والمروة ، فرأوه وهو ابن سبع سنين ، فعرفه بعضهم
بصفته في كتبهم ، وسمته في فراستهم ، فقال له : من أنت ؟ وابن من

أنت ؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب • فقال له : من رب هذه ؟ وأشار إلى الجبال • فقال الله ربها لا شريك له • فقال له : من رب هذه ؟ وأشار إلى السماء فقال الله ربها لا شريك له ؟ فقال له النصراني : فهل له رب غيره ؟ فقال : لا تشككني في الله ؟ ما له شريك ولا ضد • فقام عليه الصلاة والسلام بالاتوحيد في صغره ، وفصح النصراني بخبره ، وأنذر بنبوته •

ومثله : قصة بحيرا الراهب • وقد تقدمت •

ومن هواجس الالهام : ما نقله الماوردي قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن علي عن عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا عمر بن محمد أن يحيرا السمرقندي قال حدثنا أحمد بن عبد ربه الضبي قال أخبرنا عبد الرحمن ابن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال حدثني أحمد بن القاسم عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنين أتى وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته ومدمحه ، وذار ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، فأذاه وفد من قريش وفيهم عبد المطلب ابن هاشم وأميه بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن خويلد ابن عبد العزى في ثاس من أشراف قريش ، فلما قدموا عليه إذا هو في رأس قصر يقال له غمدان • وهو الذى يقول فيه أميه بن أبي الصلت :
أشرب هنينا عليك التاج مرتفعا في رأس غمدان دار منك محلا

قال : فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم فدخلوا عليه فإذا الملك مضمخ بالعبير يرى وبيص الطيب من مفرقه عليه بردان متزرا بأحدهما مرتد بالآخر ، سرفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول • قال : فدنا عبد المطلب واستأذن في الكلام • فقال : ان كنت ممن تكلم بين يدي المالك فتكلم فقد أذن لك • فقال عبد المطلب : ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله ويسق فرعه في أحرم موطن وأطيب معدن وأنت أبيت اللعن ملك للعرب وربيعها الذى به يخصب ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى

أليه تنتقاد عمودها الذى عليه العماد ومعتقها الذى تلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فإني يخمل ذكر من أنته سلفه ، وإن يهلك من أنت خلفه ونلحن أريها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشف الكرب الذى فرحنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزاة فقال ابن ذى يزن : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا . قال : نعم ابن أختكم . قال : ادن فأدناه على القوم وعليه ، فقال : مرحبا وأهلا وناقاة ورحلا ومستاخا سهلا وملكا ربحلا ، يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقاتلتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم ، فأنتهم أهل الليل وأهل النهار لكم الكرامة ما أقمتم ، والجباية إذا ظعتم ، قال : ثم استنهضه الى دار الضيافة والوفود ، فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف قال : ثم انتبه انتباهة فارسل الى عبد المطلب فأخلاه وأدنى مجلسه ، وقال : يا عبد المطلب انى مفوض اليك من سر علمى ما لو كان غيرك لم أبح له ، ولكن رأيته معدنه وأطلعته عليه ، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ فيه أمره انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيره ، خبرا عظيما وخطرا ، جسيما ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك كافة ولك خاصة .

قال عبد المطلب أيها الملك فمثلك من سر وير فما هو فداك أهل التوبر زمرا بعد زمر ؟ قال : اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ، ولكم بالزعامة الى يوم القيامة . فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لقد أتيت بخبر ما أتى بمثله وافد ، فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته اياى ما ازداد به سرورا .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه ، أو قد ولد ، اسمه أحمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، قد ولدته مرارا ، والله باعته جهارا وجاعل منا له أنصارا ، يعز بهم أولياؤه ويذل بهم أعداؤه ، يضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الأرض يكسر الأوثان .

ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان • قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبيطاه ، قال عبد المطلب : أيها الملك عز جدك وعلا عقبك وطاب ملكك وطال عمرك ، فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعد الايضاح ؟ فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب ، انك يا عبد المطلب لجده غير الكذب • قال : فخر عبد المطلب ساجدا • فقال ابن ذى يزن : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟ قال : نعم أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجبا رقيقا أو رقيقا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فأنت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكنيته أنا وعلمه بين كتفيه شامة ، وفيه كل ما ذكرت من علامة ، قال ابن ذى يزن : ان الذى قلت لك لكما قلت لك ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود ، فانهم ليه أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، فاطو ما ذكرته دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فانى لست آمن أن بداخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة ، فييغون له الغوائل وينصبون له الحبال ، وهم فاعلون • وأبناؤهم • ولولا أنى أعلم أن الموت يجتاحنى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكى ، فانى أجد فى الكتاب الأناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أنى أقيه الآيات وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حذائة سنة ذكره ، وأوطبت أسنان العرب عقبه ، ولكنى صارف ذلك إليه بغير تقصير مما معك ، ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشرة اماء سود ، وحلتين من حل البرود ، وخمسة أرطال ذهب ، وعشرة أرطال فضة وكرشا مملوءة عنبرا ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك • وقال له : اذا حال الحول فأتنى بأمره وما يكون من خبره قال : فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول • قال : فكان عبد المطلب كثيرا يقول : يا معشر قريش لا يغبطنى رجلا منكم بجزيل عطاء الملك ، وان كان كثيرا فانه الى نفاق ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه ، فاذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم ولو بعد حين •

ومن هواجس الالهام : ما حكاه عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد ابن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيا من ولد اسماعيل من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقته وأشهد انه نبي ، فان طالبت بك مدة فرأيتته فاقرأه منى السلام وسأخبرك ما نعتته حتى لا يخفى عليك . قلت : هلم . فقال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس يفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد . وهذا البلد مولده ، ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره ، فايك أن تخدع عنه ، فانى طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكل من أسئل عنه من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعت لك ويتولون : لم يبق نبي غيره قال عامر : فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ بقول زيد وأقرأته منه السلام ، فرد عليه السلام وترحم عليه ، وقال عليه الصلاة والسلام : قد رأيته فى الجنة يسحب الذبول .

ومن هواجس الالهام : ما رواه الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : بعث الله تعالى الى كسرى ملكا وهو فى بيت ايوانه الذى لا يدخل عليه فيه ، فلم يرعه الا به قائما على رأسه فى يده عصا بالهاجرة من ساعته التى كان يقبل فيها . فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل ، فأنصرف عنه ، فدعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، فقال : من أدخل هذا الرجل ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأيناه ، حتى اذا كان العام المقبل أتاه فى الساعة التى أتاه فيها فقال له كما قال ، ثم قال : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل ثلاثا فخرج عنه ، فدعا كسرى حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال لهم كما قال لهم أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحدا دخل عليك ، حتى اذا كان فى العام الثالث أتاه فى الساعة التى أتاه فيها ، فقال له كما قال ، ثم أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال :

بهل بهل فكسرها • ثم خرج فلم يكن الا تهوور ملكه والتبعات ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه •

ومن هواجس المنام : ما حكاه ابن قتيبة أن كسرى أبرويز هرمز كان سائرا ذات يوم فهووم على مركبه وطال حتى استغفل فأيقظه بعض قواده ، فانتبه مذعورا لرؤيا رآها قطعها عليه الموقظ له • فقال : رأيت قائلا لي انكم غيرتم فغيرناكم ، ونقل الملك الى أحمد ، وقيل له : سلم ما بيدك الى صاحب المهرابة ، اثنى أن ورد عليه كتاب النعمان بن المنذر يخبر فيه أن خارجا نجم بتهامة ، يخبر أنه رسول الله اله السماء والأرض الى أهل الأرض كافة فارتاع لذلك وأكبره وعلم أنه الذي رآه في مقامه ، وكان يتوقعه •

ومن هواجس المنام : ما رواه عروة بن مفرس عن مخزومة بن نوفل عن أمة رقيقة بنت أبي ضبعى بن هاشم قالت : نتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم ، فبينما أنا نائمة لأهم أو مهمومة ، فاذا هاتف يصرخ بصوت صخب يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحياء والخضب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما أبيض بضاً أوطف الأهداب سهل الخدين أشم ثعنين له فخر يلظم عليه وسند يهدى اليه ، فليخلص هو وولده وليهبط اليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل ، وليؤم القوم ، فغشتم ما شئتم فأصبحت علم الله مذعورة • قد اقشعر جأدى ووله عتلى واقتصصت رؤياى • فوالحرمة والحرم ما بقى بها أبطحى الا قتال : هذا شبيعة الحمد • يعنون عبد المطلب ، فنتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل فستنوا ومنوا واستلموا ثم ارتقوا أبا قبيس وطبقوا جنانبيه ما يبلغ سعيهم مهالة ، حتى استنوا بذروة الجبل • فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام حين أيفع أو قرب فقال : اللهم ساد الخلة وكاشف

الكربة أنت معلم غير معلم ومستول غير مبخل • وهذه عبادك وامأوك
بغورات حرمك يشكون اليك سنتهم اذهبت الخف والظلف ، اللهم فأمطر
علينا غيثا معرفا مريعا • فوالكعبة ما راحوا حتى تفجرت السماء
بمائها واليط الوادى بثجيجه فسمعت شيخين من قريش وجلتها عبد الله
ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطاب
هنيئا لك يا أبا البطحاء أى عاش بك أهل البطحاء •

وفى ذلك يقول رفيقه :

بشبية الحمد أسقى الله بلدنا	لما فقنا الحيا واجلود المطر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به	ما فى الأنام له عدل ولا خطر
فجباد بالماء بجوى له سبل	سحا فعاشت به الأنعام والشجر

ومن هواجس الانذار والالهام والمنام : ما رواه أبو أيوب يعلى
ابن عمران النخلى عن مخزوم بن هانىء المخزومى عن أبيه وأنت له
مائة وخمسون سنة قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ
ارتجس ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار
فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة • فأنزع
ذلك كسرى فلبس تاجه وقعد على سريريه وجمع وزراءه ومرازبته ،
وأخبرهم برؤياه فقال الموبذان : وأنا أصلح الله تعالى الملك قد رأيت
فى هذه الليلة ابلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى
بلادنا • فقال : أى شئ هذا يا موبذان ؟ فقال : حادثة تكون من ناحية
العرب ، فكتب الى النعمان بن المنذر أن أبعث الى برجل عالم أسأله
عما أريد ، فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى ، فانها
قدم عليه أخبره • فقال : أيها الملك علم ذلك عند خبال لى يسكن مشارق
الشام يقال له سطيج ، قال : فأتته فأسأله عما أخبرتك به ثم اتئنى
بجوابه ، فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيج ، وقد أسفى
على الموت فسلم عليه وحياه فلم يجر سطيج جوابا فأنشأ عبد المسيح
يقول :

أصم أم يسمع غطريف اليمن
أبيض فضفاض الرداء واليدن
يا فاصل الحطة أعتب من ومن
رسول قبل العجم سري للوسن
آمال شيخ الحى من آل سنن
وأمه من آل نئب بن حجن

فرفع سطيطح رأسه ، وقال عبد المسيح على جمل فسيح وافي الى
سطيطح وقد أوفى به الى الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس
الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبدان ، رأى ابلا صعبا تقود خيلا
عرايا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ثم قال يا عبد المسيح اذا
كثرت المتلاوة وبعث من تهامة صاحب الهراوة وغاض وادى السماوة
وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيطح شاما ،
يملك منهم ملك وملكات بعدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت * ثم
قضى سطيطح فصار عبد المسيح على راحلته وهو يقول :

شمر فانك ماضي الهم شمير	ولا يصرفك تفريق وتغيير
فربما اصبحوا يوما بمنزلة	تهاب صولهم الأسد المهاجير
والناس اولاد علات فمن علموا	ان قد اقل فمهمجور ومحذور
والخير والشر مقرونان في قرن	فالخير متبع والشر محذور
ان ليس ملك بنى ساسان لفرطهم	فان ذا الدهر اطوار ، دهاير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته	والهرمزان وشابور وسابور
وهم بنو الام الا ان يروا نشبا	فذاك بالغيب محفوظ ومنصور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره قال كسرى : الى أن
يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور ، فملك منهم عشرة ملوك في
أربع سنين ، وزال ملكهم عن يزدجرد الرابع عشر بعد اثنتى عشرة
سنة .

فان قيل : فهذا قول كاهن قد أبلطته النبوة فلم يقبل قوله في
اثبات النبوة * فعنه جوابان :

أحدهما : أنه تأويل رؤيا تحققت خرج بها عن حكم الكهنة .

والثانى : أنه علمها بنقل الجن كهتوف الجن كما قال تعالى :
« وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم » فإذا أخبر ما اختلف طرقه
وتغاير وصفه خرج عن القلة الى التكاثر ، وعن الأحاد الى اللواتر ،
فصار الظن معلوما والتوهم محتوما • انتهى •



تتمة

قال الامام الرازى فى كتابه « المطالب العالية » :

الفصل الرابع فى بيان أن محمد ﷺ أفضل من جميع الأنبياء
والرسل : أعلم أنا بينا أن الرسول هو الذى يعالج الأرواح البشرية
وينقلها من الاشتغال بغير الله تعالى الى الاشتغال بعبادته ولما كان
المراد من الرسالة والنبوة هو هذا المعنى ، فكل من كان — صدور هذه
الفوائد عنه أكثر وأكمل ، وجب التقطع بأن رسالته أعظم وأكمل •

=

إذا عرفت هذا فنقول : ان تأثير دعوة موسى عليه السلام كانت
مقصورة على بنى اسرائيل فقط ، أما دعوة عيسى عليه السلام فكانه
لم يظهر لها تأثير الا فى أقل القليل • وذلك لأننا نقتطع بأنه ما دعا الى
الدين الذى يقول به هؤلاء النصارى لأن القول بالآب والأبن (وروح
القدس • وهو) التثليث أفبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل
ومثل هذا لا يليق بأجهل الناس فضلا عن الرسول المعظم المعصوم •
فعلمنا : أنه ما كانت دعوته البتة الى هذا الدين الخبيث ، انما كانت
دعوته الى التوحيد والتنزيه •

ثم تلك الدعوة ما ظهرت البتة بل بقيت مطوية غير مروية •

فثبت أنه لم يظهر لدعوته الى الحق أثر البتة •

أما دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى التوحيد والتنزيه :
 فقد وصلت الى أكثر بلاد المعمورة والناس قبل وصوله كانوا على
 الأديان الباطلة فعبدوا الأصنام كانوا مشغولين بعبادة الحجر والخشب ،
 واليهود كانوا في دين التشبيه وصنعة التزوير وترويح الأكاذيب
 والمجوس كانوا في عبادة الالهين ونكاح الأمهات والبنات ، والنصارى
 كانوا في الثلاث • والصائبة كانوا في عبادة الكواكب ، فكان كل أهل
 العالم معرضين عن الدين الحق والمذهب الصدق ، فلما أرسله الله عز وجل
 الى هذا العالم بطلت الأديان الخبيثة ، وزالت المقالات الفاسدة وطلعت
 شمس التوحيد وأقمار التنزيه من قلب كل أحد وانتشرت تلك الأنوار
 في بلاد العالم •

فثبت : أن تأثير دين محمد ﷺ في علاج القلوب المريضة والنفوس
 الظلمانية كان أتم وأكمل من تأثير دعوة سائر الأنبياء فوجب القطع
 بأنه أفضل من جميع الأنبياء والرسل في كل ما يتعلق بالنبوة والرسالة
 وهذا برهان ظاهر من باب البرهان اللمى ، فإنا بحثنا عن حقيقة النبوة
 والرسالة ثم بينا أن كمال الكمال الماهية ما حصلت لأحد من الأنبياء
 كما حصلت لأنبيينا محمد ﷺ •

واعلم : أن اثبات النبوة بهذا الطريق أقوى وأكمل من اثباتها
 بالمعجزات (١) • واعلم أن التمسك بطريق المعجزات هو من باب البرهان

(١) قول الإمام فخر الدين الرازى : « ان اثبات النبوة بهذا الطريق
 أقوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات » يقصد بالطريق : أن النبى الذى يقدر
 على الكمال فى نفسه ، ويقدر على تكميل الناقصين بإبعادهم عن الرذائل
 يكون صادقا فى دعوى النبوة • وقوله : « أقوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات »
 يحتل بالمعجزات الحسية ، ويحتل بمعجزة القرآن وحدها • وهو يقصد —
 والله أعلم — المعجزات الحسية • أى قدرة محمد ﷺ على الكمال فى نفسه —
 وقد قدر حقا — وقدرته على تكميل الناقصين — وقد اكمل أتباعه بتزكية
 نفوسهم — هى أقوى فى اثبات نبوته ، من المعجزات الحسية ، لأن أتباعه
 كلهم لم يروها • وإنما رأوا أثر هدايته فيهم • وإن كان يقصد عموم
 المعجزات • فإنه يكون مناقضا لنفسه ، فقد ذكر فى تفسير سورة البقرة =

الأنى وهو الاستدلال بالأثر المؤثر على سبيل الاجمال ، فاننا نعرفه بظهور المعجز عليه كونه مشرفا عند الله تعالى على الاجمال من غير أن نعرف كيفية ذلك الشرف . وأما هذا الطريق الثانى فهو من باب برهان انلمى وذلك لأننا بينا أن الأمراض الروحانية غالبية على أكثر النفوس ، فلا بد لهم من طبيب ، ونشاهد أن النبى ﷺ مبالغ يؤثر علاجه ويفيد الصحة بقدر الامكان ، فهذا يدل على كونه طبيبا حاذقا فى هذا الباب ، وحينئذ يظهر أنه عليه الصلاة والسلام لا حاجة به فى معرفته الى أن يكون عالما بدقائق المنطق والطب والهندسة والحساب ، بل كونه عالما بها مشغلا باستنباط دقائقها مما يضره فى كونه مستغرقا فى معرفة الله تعالى ، وعند هذا تزول جملة الشبهات المذكورة فى باب نفى النبوات ، فانه دلت المشاهدة على أنه عليه الصلاة والسلام كان طبيبا حاذقا فى علاج هذه الأمراض كما بيناه ، بل كان روحه قدرت على قلب طبائع أهل الدنيا ، فنقلهم عن الباطل الى الحق ، ومن الكذب الى الصدق ، ومن الأديان الفاسدة الى العقائد الصحيحة ، بقدر الامكان انتهى نقله الوزير راغب باشا فى سفينته .



فصل

ولنرجع الى الكلام أيضا على بعض كلماته الباطلة التى ذكرناها آنفا .

فنقول : قوله « **شعندما** أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة » الى آخره .

فكلام زور لا يخفى على من له أدنى علم بسيرته ﷺ لأنه عليه

= وسورة الصف كثيرا من نصوص نبوءات التوراة والانجيل عن محمد ﷺ واحسن تفسيرها . وقال فى كتابه محصل افكار المتقدمين : ان نبوة محمد لا تثبت الا بالقرآن وحده .

الصلاة والسلام لو كان طالبا للملك وحاشاه كما زعم هذا النصراني
لظهر بعد النبوة ما أضمره من ذلك اذ كما قيل :

ان التخلق يأتي دونه الخلق

لأنه وأرواحنا له الفداء لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات كسائر
اخوانه عليهم الصلاة والسلام وتبعه الناس من اليهود والنصارى
ومشركو العرب والمجوس ، ودخلوا في دينه أفواجا أفواجا وجاهدوا
معه وغدوه بأنفسهم وأولادهم وأموالهم ، لم يجعل نفسه الشريفة
ملكا ولا سلطانا ولا لبس كما يلبس المترفون ولا أكل كما يأكل الثولون ،
ولم يشبع من خبز كما شبع المتسلطون ، ولم يدخر من حطام الدنيا بل
ولم يترك لأهل بيته شيئا ولم يرض بتعظيمه كتعظيم الملوك ، ولم
يترفع على أحد من غنى وصلوك ، وكذلك حال أصحابه المقتدين بأفعاله
وأقواله . وهذا وغيره من سيرته عليه الصلاة والسلام أمر مشهور
متواتر ، لا يخفى على الأكابر والأصاغر ، ولو أردنا أن نسرد ذلك هنا
لأطعننا في الكتاب والأقضى الى ملك السامعين .

على أننا سنذكر بعضه في محله ان شاء الله تعالى ومن له أدنى
دراية وانصاف أو عقل ، يعرف صدق ما قلناه . والله سبحانه الهادي
الى سواء السبيل .

قوله « ولا يفهمون كيف امتحان مثله » الى آخره . فكلام يكذبه
أيضا ما سمعته آنفا من امتحانهم له عليه أفضل الصلاة والسلام حتى
أظهر لهم المعجزات من تكليم الحيوانات وتمشية النباتات ونطق
الجمادات ، وشهادات العجماوات وتظاهر العلامات وأخبار أهل الملل
والكاتب المنزلة من السموات وغير ذلك مما ذكرناه سابقا . ولا حاجة
بنا الى اعادة ، وهذا مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته وعفته ورحمته
ورأفته بخلق ربه سبحانه ، حتى أنهم كانوا يدعونه الأمين قبل نبوته ،
فالعرب يعرفون شروط النبوة وامتحنوه فأيده الله تعالى وصدقته بما أجرى
على يديه من شروطها لديهم ، فأمنت عند ذلك العرب وغيرهم .

ويقال لهذا النصراني : اذا كانت العرب آمنت به عليه الصلاة والسلام لعدم علمهم بشروط النبوة كما تزعم ، فما بال النصراني واليهود والمجوس آمنوا به طوعا من حين دعوته حتى دخلوا في دينه أفواجا أفواجا ؟ ولا زال أهل الملل كافة الى يومنا هذا يدخلون في دينه طوعا في كل يوم في مشارق الأرض ومغاربها ، وجميع أقطارها ، واستقام دينه وأمره الى هذا الآن ، بل الى نهاية الدوران فلو لم يكن نبيا كما تزعم ، لانهد هذا البنيان ولانطفئ نوره في أقل زمان ، فدخل أهل الأديان وغيرهم في دينه واستقامة ذلك وزياده ، من أقوى الدلائل على صدقه ﷺ فيما ادعاه وكل من له خبرة بأحوال الأرملة الماضية والأنبياء وأحوال المتنبيين الكذبة ، وعدم استقامة أمرهم وتبين أحوالهم لدى الشاهد والغائب يعلم ويجزم أن نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام من النبوات الالهية ، ورسالته حققة صمدية وسيرته رحمانية ومعجزاته قدسية وتأيداته سماوية ولا ينكر ذلك الا من استولى الران على قلبه وتعب الشيطان بلبه والله الهادي لأتباع حزبه .

قوله : « ولم يعرفوا إلامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبي قط » أقول : لو سلمنا أنه لم يبعث نبي قط ، فهم يعرفون شروطها لاختلاطهم بأهل الكتاب ومجاورتهم لهم وسماعهم منهم معجزات الأنبياء السالفين عليهم السلام وأخوانهم . والأدلة على ذلك كثيرة . منها ما تقدم من طلبهم منه عليه السلام المعجزات وإتيانه بها وإخبار أهل الكتاب لهم ، وإسلامهم بعدها على أننا نقول : هذه المسألة وهي عدم بعثة نبي الى العرب أصلا قبل نبينا ﷺ وهو ظاهر قوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » لكنه غير مراد ، للاتفاق . على أن اسماعيل عليه السلام كان مرسل اليهم ، ولقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » والعرب من أعظم الأمم وكأنه لتطول الأمد ، بين بعثته عليه السلام وبعثة نبينا ﷺ حتى قيل انها نحو ثلاثة آلاف سنة واندراس شرعه وعدم وقوف الأكثرين في أغلب هذه المدة على حقيقته

قبل ذلك • وقيل ان ذلك لما صرحوا به من أن حكم بعثة اسماعيل عند انقطع بموته ، وأنه لم يرسل اليهم بعده نبي سوى النبي ﷺ •

وقال الوالد : عليه الرحمة في تفسيره روح المعاني : « قيل ان موسى وعيسى عليهما السلام كما أرسلنا لبني اسرائيل أرسلنا للعرب فالمراد بنفى هذا الاتيان : الفترة التي بين عيسى وبين نبينا عليهما السلام وزمنهما على ما روى البخاري عن سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه ستمائة سنة وفي كثير من الكتب انه خمسمائة وخمسون سنة ، ونفى اتيان نبي بين زمانى اتيان نبينا واتيان عيسى عليهما السلام هو ما صححه جمع العلماء لحديث : « لا نبي بينى وبين عيسى » . وقيل : ان بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب • وهو خالد بن سنان • واختار بعضهم أن المراد بهؤلاء القوم المعاصرون له ﷺ اذ هم الذين يتصور ائذارهم عليه الصلاة والسلام اياهم دون أسلافهم الماضين والمراد بعدم اتيان النذير اياهم : عدم وصول ما أتى به على الحقيقة اليهم • وقال في تفسير قوله تعالى : « **أَنذَرْتَهُمْ قَوْمًا مَا أَنذَرِ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافُونَ** » المراد بالانذار الاعلام أو التخويف والمراد بآبائهم الأذنون ، والا فالأبعدون قد أئذروهم اسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة ابراهيم عليه السلام • وقد كان منهم من تمسك بشرعه على أنهم وجه ثم تراخى الأمر وتناول المدد ، فم يبق من شريعته عليه السلام الا الاسم وعلى ما عرف في البحر أن المعنى ما أئذر آبائهم رسول أى لم يباشروهم بالانذار ولا آبائهم الأقربين ، لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا فيجوز أن يكون قد أئذروهم من ليس بنبي كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة • فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى : « **وَأَن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** » وليس في ذلك انكار الفترة المذكورة في قوله تعالى : « **عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ** » لأنها فترة ارسال وانقطاعها زمانا لا فترة انذار مطلقا انتهى •

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن الله

تعالى بعث في زمن الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ الى أهل الرس (والرس البئر) نبيا منهم من ولد اسماعيل يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فأوحى الله تعالى الى نبي كان مع بخت نصر يقال له ارميا بن برخيا مر بخت نصر يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ، فليقتلهم بما صنعوا بنبيهم ، وكان فيهم خالد بن سنان العبسي فقد روى أن النبي ﷺ قال : « ذاك نبي أضاعه قومه » وذلك أنه قال لقومه وأهله لما حضرته الوفاة : اذا دفنت فأنسه ستجيء عانة من حمر الوحش يقدمهما غير أبتر ، فيضرب قبري بحافره ، فاذا رأيتم ذلك فانبثسوا عني ، فاني سأخرج اليكم وأخبركم بجميع ما هو كائن بعد الموت وأحوال البرزخ والقبر ، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال . فأبى أولاده نبشسه ، وقالوا نخاف أن يشيع بين العرب أنا نبشنا ميتا لنا . فتركوه .

وروى أن ابنته أخت رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فأمنت وقال لها : أهلا ببنت خير نبي ضيعه قومه فسمعت رسول الله ﷺ يقرأ : « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول هذا . وذكر أهل الأخبار : أنه كان من معجزاته : أن نارا ظهرت من أرض العرب كانت تخرج من مغارة على الناس فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها ، فافتننوا بها وكادوا يتمجسون فخرج خالد ومعه راعي غنم ، يقال له ابن راعية المعزى . فقال له خالد : امسك ثيابي . فأخذ خالد عصاه ودخل النار حتى توسطها ففرقها وهو يقول : بدا بدا كل هدى الله مؤدى لأدخلنها وهي تتلاطى والأخرجن منها ثيابي تتدى ، ثم انها طفتت وهو في وسطها .

وأما قوله : « لم يبعث في العرب نبي قط » فيرد عليه بعد دعواه هذه أنه يتبغى حينئذ أن يكون المسلمون من العرب الى الآن لم يأتهم نبي من الله تعالى لا محمد ﷺ ولا غيره من الأنبياء ، فاللزام إذن أن لا يعذبهم سبحانه وتعالى اذ عيسى عليه السلام بعث للخراف الضالين من بنى اسرائيل كما في الانجيل وموسى عليه السلام أيضا كان مبعوثا

اليهم فقط ، والتعذيب قبل الانذار لا يطابق حكمة الحكيم القهار •

ويرد عليه أن المسيح عليه السلام الذى هو الاله بزعم النصارى
نم يرسل الى العرب رسولا يأمرهم بالايمان حينما كان الها واحدا
ولا أمرهم أيضا بالانقارار بالوهيته ولم يعرفهم أنه صار ثلاثة عندما
دخل فى بطن مريم ، وخرج اليهم وحل بينهم ، فأى تقصير للعرب
بعدم ايمانهم به ؟ فهذا الهم بزعم النصارى لما كان فى السماء لم
يرسل الى عبيده العرب رسولا ، ثم انه لما نزل وصار بصورة انسان
وسكن معهم فى الأرض ، لم يعرفها لهم حاله ولا تفضل عليهم بالرسالة ،
ولم يبعث اليهم من رسله أحدا قط الى هذا الآن • مع أنه نزل الى
الأرض وصار ملعونا بدل خلقته — على ما زعم يولس فى رسالته الى
أهل غلاطية (ص ٣) ونزل الى الجحيم ودخلها بدلهم لخلاصهم ،
والعرب لم يفوزوا بشيء من ذلك ، فيلزم على الحكيم العادل الرحيم
الرحمن أن لا يعذبهم ولا يدينهم ، ولا سيما النازل الصاعد هو
بزعمهم الديان •

فعلى هذا ينبغى أن لا يعذب العرب باتئيران وأن يدخلهم بعدله
ورحمته الجنان ، لما قررناه من عدم الآدوة ، وأنه المخلص للانس
والجان • فتدبر ما قلناه بانصاف ولا تجعل العرب كالخراف ، فانهم
ليوث لا تهاب ولا تخاف • ويذكر أيضا ما قلناه أولا مما يتعلق
بكلماته هذه • والله سبحانه ولى الألفاف •

وأما قوله : « وكان ذلك من تطليم الرجل الملقن له » الى آخره
يعنى به بحيرا — كما سيصرح به فى كتابه هذا • وهذا كلام سبقه
اليه اخوانه المشركون الذين حكى الله سبحانه قولهم فى كتابه فقال
عز من قائل : « قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا
وهدى وبشرى للمسلمين • ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ،
لسان الذى يلمدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين »

قال المفسرون (١) : عنوا بهذا البشر خبرا الرومى ، غلام عامر بن الحضرمى ، ان قد قرأ التوراة والانجيل وكان ﷺ يجلس اليه اذا أذاه أهل مكة ، فقالوا ما قالوا . وقيل : مولى لحويطب بن عبد العرى اسمه عائش أو يعيش ، كان يقرأ الكتب وقد أسلم وحسن السلامه . وقيل : أبو فكيهة مولى لامرأة بمكة قيل اسمه يسار ، وكان يهوديا وعن عبد الله ابن مسلم الحضرمى قال : كان لنا عبدان نصرانيان من أهل عين التمر ، يقال لأحدهما يسار وللآخر جبر ، وكاتا يصنعان السيوف . مكة وكانا يقرآن الانجيل فربما مر بهما النبى ﷺ وهما يقرآن فيقف ويستمتع . فقال المشركون : انما تعلم منهما . . . وفى بعض الروايات : انه قيل لأحدهما : انك تعلم محمدا ﷺ فقال : لا بل هو يعلمنى . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : بمكة غلام أعجمى رومى لبعض قريش ، يقال له بلعام وكان رسول الله ﷺ يعلمه الاسلام . فقالت قريش : هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم .

قال الشيخ الامام الموالد فى تفسيره روح المعانى : « وأخبرنى من اتق به عن بعض النصارى أنه كان نبيكم ﷺ يتردد اليه فى غار حراء رجلان نصرانى ويهودى يعلمانه ، ولم أجد هذا عن أحد من المشركين . وهو كذب بحت لا منشأ له وبهت محض لا شبهة فيه ، وانما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه عليه الصلاة والسلام مع أنه أدخل فى ظهور كذبهم للايذان بأن مداد خطأهم ليس نسبته ﷺ إلى التعلم من شخص معين ، بل من البشر كائنا من كان ، مع كونه عليه الصلاة والسلام معدنا لعلوم الأولين والآخرين . ومحصل معنى الآية : ولقد نعلم أن هؤلاء الكفار يقولون ليس القرآن من عند الله تعالى وانما يعلم محمدا بشر من بنى آدم غير ملك . وقد اختلف

(١) يظن المفسرون : ان القائل فرد واحد كان فى زمان محمد ﷺ . وهذا خطأ منهم . فان « بشر » معناها : البشر . أى يقول الكافرون انما يعلم محمدا البشر . أى انه جمع قرائنه من كتب هى اساطير الاولين . والقائل ليس فردا بعينه ، فى زمان بعينه . بل هذا هو قول الكفار فى كل زمان ومكان .

أهل العلم في تعيين هذا البشر الذي زعموا عليه ما زعموا كما قدمنا •
ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال : « لسان الذي يلحدون إليه »
أى لغته وكلامه « أعجمى » والا لحاد الميل • والمعنى لسان الذى يميلون
إليه ويشيرون ويزعمون أنه يعلمك أخبار القرون الأولى لكونك أميا
أعجمى والعجمة عدم الافصاح ، والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم
ولا يتكلم بها أعجميا • « وهذا » أى القرآن لسان أى كلام عربى
مبين • وسماه لسانا لأن العرب تقول للتصيدة والبيت : لسانا •
أو أراد باللسان البلاغة ، فكأنه قال : وهذا قرآن ذو بلاغة عربية
وبيان واضح ، فكيف تزعمون أن بشرا يعلمه من العجم ؟ وأين فصاحة
هذا القرآن من عجمة هذا الذى نشيرون اليه وقد عجزتم أنتم عن
معارضة سورة منه ، وأنتم أهل الفصاحة وقادة البلاغة • وهو عليه
المصلاة والسلام أمدى لا يقرأ ولا يكتب • فثبت بهذا : أن الذى جاء
به وحى من الله سبحانه لا بتعليم بشر ولا من تلقاء نفسه • والله سبحانه
الهادى الى سواء الطريق » •

قال النصرانى : « ثم انه استصحب قوما فراغا أصحاب غارات
ممن يصيب الطريق على سنة البلد ، وعادة أهله الجارية عندهم الى
هذه الغاية • فانضم اليه هذا الضرب وأقبل بيت الطلائع ويدس
العيون ويبعث الى المواضع التى ترد القوافل اليها من الشام بالتجارات،
فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فيأخذون العير والتجارات
ويقتلون الرجال والدليل على ذلك : أنه خرج فى بعض أيامه فرأى
جمالا مقبلة من المدينة الى مكة وكانت الجمال لأبى جهل بن هشام
ويسمى ذلك غزوا على سبيل ما تسميه أعراب البادية اذا خرجت
للغارة على السابلة ، واصابة الطريق • وكان أول خروجه من مكة
الى المدينة بهذا السبب • وهو حيثنذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، بعد أن
ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلاث عشرة سنة ، ومعه من أصحابه الذين
قد ألفوا معه ولصقوا به أربعون رجلا وقد لقي كل جهد وكل أذى من
أهل مكة ، لأنهم كانوا به عارفين ، فأظهروا أن طرده لادعائه النبوة

وعقد بأنهم ، لما صح عندهم من أصابته الطريق ، فصار مع أصحابه الى المدينة ، وهى يومئذ خراب يباب ليس فيها الا قوم ضعفاء أكثرهم يهودى لا حراك بهم ، فكأن أول ما افتتح به أمر فيها من العدل وأظهار نصفة النبوة وعلامتها : انه أخذ المريد الذى للفلامين اليتيمين من بنى النجار وجعله مسجدا • ثم انه بعث أول بعث حمزة بن عبد المطب فى ثلاثين راكبا الى العيص من بلد جهينة يعترض غير قريش ، وقد جاءت من الشام ، فلقى أبا جهل بن هشام فى ثلاثمائة رجل من أهل مكة ، فافترقوا لأن حمزة كان فى ثلاثين فخاف لقاء أبى جهل وفزع منه ، فلم يكن بينهم قتال • فأين شروط النبوة — أصلحك الله — فى هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى فى التوراة المنزلة من عنده لموسى ، حيث وعده أن يدخل بنى اسرائيل الذين أخرجهم من مصر الى أرض الجابرة المسماة أرض اليعاد • وهى أرض فلسطين والشام وأن الواحد يهزم ألفا والاثنين يهزمان ربوة لما ألقيت فى قلوبهم من الفزع والرعب ، وكذلك كان فعله جل وعز بهم على يدى يشوع بن نون المتولى ادخال بنى اسرائيل أرض اليعاد ومحاربة فلسطين ؟ فهذا — اكرمك الله — ما يطالب به فى هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك «
لأنتهى •

فأقول : قوله « ثم انه استصحب قوما فراغا أصحاب غارات ممن يصيب الطريق » الى آخره • كلام زور وكذب وتمويه على ضعفاء العقول لأن الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام وآمنوا به لم يكن همهم المال ، ولا مقصدهم الغنى ، كما هو معلوم لمن عرف سيرهم وسبر تراجهمم بالروايات المتواترة الصحيحة المتسلسلة بالرواة الثقات ، بل الأمر بالعكس ، فان أغلب الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام كانوا يقدمون الى حضرته العلية أموالهم لانفاقها فى سبيل الله تعالى وصرفها لنفقة المجاهدين وتقوية الدين المبين وكلام هذا التصرائلى لا يجديه نفعا لأننا قد أثبتنا فى كتابنا هذا نبوة نبينا محمد ﷺ بالبراهين القاطعة العقلية والنقلية فحينئذ لا يتوجه عليه الصلاة والسلام طعن طاعن فى

غزوه وجهاده وتعاطى الأسباب الموجبة الى اتباع دعوته وتوحيد البارى سبحانه والاقرار بالهيته وربوبيته ، اذ هو عليه الصلاة والسلام فى ذلك متبع لأوامر رب العالمين مأمور بقوله سبحانه : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » وسالك فى جهاده مسلك اخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فكم قد قتلوا من الكفار نفوسا وأسروا منهم عروسا ، وأماتوا صغارا ، وسلبوا نضارا ، وأبادوا بلادا وأيتموا أولادا ، وحرقوا مواشيا وأشجارا وأغرقوا عبادا فجارا فأدخلوهم نارا كما تحكيه عنهم الكتب السماوية والزبر الاسرائيلية . وكل ذلك بأمر الهى ومدد سماوى . والآمر سبحانه يفعل ما يختار ويشاء ويحكم ما يريد فى الأرض والسماء ، فلا راد لحكمه ولا معقب لأمره ، فلا تخلو أفعاله جل وعز عن حكم عليه ومصالح لا تصل الى معرفتها العقول البشرية . فله سبحانه الأمر ، بين الكاف والنون ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

قوله : « وكانت الجمال لأبى جهل بن هشام » الى آخره واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وقتل فى غزوة بدر ، وكان يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان منى
بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى أُمى

ولما فرغ رسول الله ﷺ من القتال فى بدر ، أمر بأبى جهل لعنه الله تعالى أن يلتبس فى القتلى . قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فوجدته بأخر رمق فوضعت رجلى على عنقه ، وقلت له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزأنى ؟ أعار على رجلا قتلتموه ؟ أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت لله ولرسوله . ثم اجتزئت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل قال :

فقال رسول الله ﷺ لا اله غيره • قال وكانت يمين رسول الله ﷺ قائ : قلت : نعم والله الذي لا اله غيره • قال : فألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى • قال ابن هشام : وكان قد ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ففقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته ثم ترك وبه رمق ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود فاجتز رأسه حين أمر رسول الله ﷺ به أن يلتمس في القتل • وكان من أعظم أعداء النبي ﷺ المصريين على كفرهم والمؤذنين له والطاعنين في دينه ، والمثبطين للناس على اتباعه والجامعين على محاربتة الجموع • وكان عليه الصلاة والسلام يناله منه ومن رفقاءه ما لم يناله من غيرهم ، فهو فرعون هذه الأمة •

قال ابن اسحق : كان رسول الله ﷺ ثلاث سنين من بعد مبعثه ليخفي أمره ويستتر به ، الى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه بقوله سبحانه : « فاصدع با تؤمر وأعرض عن المشركين » وقوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » . وقال : « انى أنا النذير المبين » لما دخل الناس في الاسلام أرسلوا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتحدث به •

فكان ابن اسحق : وكان أصحاب رسول الله ﷺ اذا صلوا ذهبوا في التشعب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبى وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قال : قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه ، فكان أول دم أهرق في الاسلام ولما نادى رسول الله ﷺ قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله تعالى لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهم وعابها • فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا على خلافه وعداوته ، إلا

من عصم منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون وحذب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ولما رأت قريش أن النبي ﷺ لا يترك ذكر آلهم وعيبتها ، وأن أبا طالب قد حذب عليه فلم يمسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب وفيهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأبو سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البختري واسمه العاص والوليد ابن المغيرة وغيرهم . فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهم وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضل آبائنا . فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيتنا وبينه . فانك على مثل ما نحن عليه من خلاقه . فنكفكه .

فقال لهم أبو طالب قولوا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه . ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم استند الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثر قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، وحض بعضهم بعضا عليه ، ثم انهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيئك من ابن أخيك فلم تنه عنا . وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهم حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه ، فبعث أبو طالب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له : يا ابن أخي ان قومك قد جاءوني . فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .

قال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ثم قال أبو طالب : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله ما أسلمك لشيء أبدا ، ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى

خذلان رسول الله ﷺ واسلامه اليهم واجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أتهد فتى في قرش وأجمله فخذ فلك عقله ونصره واتخذ ولدًا ، فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك فنقتله ، فانما هو رجل برجل قال : والله لبئس ما تسومونني • أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما يكون أبدا •

فحقب الأمر بينهم وبينه وحميت الحرب وتتابذ القوم • ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب • وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بنى هاشم وينى المطلب ، فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه ، وأجابوه الى ما دعاهم اليه ، الا ما كان من أبي لهب عدو الله ورسوله •

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وقد حضر الموسم — فقال لهم : يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقام عليكم فايه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا • قالوا : فانت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا ، نقل به • قال بل أنتم ذلولوا استمع ، قالوا نقول كاهن قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكيان فما هو بزمرة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول مجنون • قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته • قالوا : فنقل شاعر قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله فما هو بالشعر • قالوا : فنقول ساحر • قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحراهم ، فما هو بنقثهم ولا عقدهم ،

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لخلوة وأن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة . وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه : لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك .

فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله سبحانه : « ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً ، وبين شهوداً ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لآياتنا عنيداً » أى خصيماً . قال ابن اسحق ان أبا جهل لعنه الله تعالى مر برسول الله ﷺ عند الصفا فاذاه وشتمه . ونال منه ما يكره من ان يعيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ فسمع بذلك عمة حمزة بن عبد المطلب ، فأتى أبا جهل فقام على رأسه ، ورفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكراً ، ثم قال : انت شتمت وأنا على دينه ؟ أقول ما يقول . فرد على ان استطعت فبنتى حمزة على اسلامه ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ولما رأوا ذلك وأن أصحابه عليه السلام يزيدون ويكثرون ، قال لهم عتبة بن ربيعة وكان سيداً يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعنه يتقبل بعضها ويكف عنا فقالوا : بلى يا أبا الوليد . فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً ننظر فيها لعلك تتقبل منا بعضها . فقال له رسول الله ﷺ :

قل يا أبا الوليد اسمع • قال : يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رثيا أى جنيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال الله • حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال أقدر فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم • قال : فاستمع منى • قال : فتقال : « بسم الله الرحمن الرحيم : حم تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا : قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه » •

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد • ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك • فقام عتبة الى أصحابه • فقال بعضهم لبعض : يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به • فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أئنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ • فان نصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به • قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه • قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم •

قال ابن اسحاق : ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين • ثم ان أشراف قريش من كل قبيلة

اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، وفيهم عتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وأبو جهل وغيرهم ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه ﷺ فجاءهم وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، حتى جلس اليهم • فقللوا : يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين ، وشتمت الآلهة وسففت الأحلام وفرقت الجماعة ، فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك • وكانوا يسمون المتابع من الجن رؤيا ، فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك ، حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك • فقال اهم رسول الله ﷺ ما بى ما تقولون • ما جئت بما جئتمكم أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربه ونصحت لكم • فان تقبلوا منى ما جئتمكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم وطال بينه وبينهم الكلام • ثم انصرف رسول الله ﷺ الى أهله حزينا أسفا لما فاتته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم اياه •

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جها ، لعنه الله تعالى : يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آباءنا وتسفيه أعلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهد الله لأجلس له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بداهم • قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو

جهل أخذ حجرا كما وصف : ثم جلس رسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يندو ، فقام يصلى عند الكعبة وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديتهم ينظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده •

وقامت اليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت اليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فصل من الابل لا والله ما رأييت مثل هامته ولا قصرته أى عنقه ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى فلما قال لهم ذلك ، قام النضر ابن الحارث بن كلاب فقال : يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قتلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأيينا السحرة ونفثهم وعقدهم • وقلتم كاهن • لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأيينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأيينا البشر وسمعنا أصنافه كلها هزجة وربزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأيينا الجنون فما هو بخنقته ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم ، فانه والله لقد نزل بكم • أمر عظيم •

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلامهم عن محمد وصفا لهم صفاته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجنا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالوا لهم انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهما

أخبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم •

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب • وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وان لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم • فأقبل النضر بن الحارث وعشبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالوا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فان أخبرنا عنها فهو نبي ، وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم • فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول لقد كانت لهم قصة عجب • وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها • وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتهم عنه غدا • ثم بعد ذلك جاءه جبرائيل من الله عز وجل ببسورة أصحاب الكهف ، وفيها الأجوبة عن أسئلتهم •

ولما جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سألوه عما سألوه عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» أي اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم ان ناظرتموه يوما غلبكم ثم ان الله سبحانه أظهره عليهم حتى هلكوا في غزوة بدر ، وقتلوا أشد قتلة ونصره الله تعالى عليهم نصرا عزيزا وآمنت به القبائل ، ودخلوا في دينه أفواجا •

وانتبه من النصارى واليهود والمجوس والمشركين أكثرهم وعم

دينه أهل المشرق والمغرب بأقصر زمن وأقل مدة • وما ذلك الا عن امداد
الهي ونصر ربانى وتأيد رحمانى ، قاض بصدق نبوته ، ودال على
حقية رسالته ، وحاكم بعموم دعوته عند كل ذى قلب سليم ولب مستقيم ،
والحمد لله على التوفيق وهدايته الى أقوم طريق •

قوله : « وكان أول خروجه من مكة الى المدينة بهذا السبب »
الى آخره • هذا وما بعده أيضا من جملة افتراء هذا النصرانى وكذبه
وبهتانه وتمويهه على ضعفه العقول لأن النبى عليه الصلاة والسلام
هاجر الى المدينة ، لكن لا لهذا السبب بل هجرته لأسباب أخر تذكرها
ان شاء الله تعالى قريبا •

والعجب من هذا النصرانى ولا عجب كيف نسى ما فى انجيل
يوحنا فى الأصحاح الرابع ما نصه : « وبعد اليومين خرج من هناك
ومضى الى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لئبى كرامة فى وطنه »
انتهى ونسى ما فعلته اليهود على زعمه بالمسيح من اهانتة وضربه ورميه
بأشياء عظيمة وصلبه • وهو المهمل ولم يقدر على خلاص نفسه منهم
ويادى « ايل ايل لم شبقتنى ؟ أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » فكيف
نسى ما حل بالله على زعمه وذكر ما فعلته قريش مع النبى ﷺ
مما هو بالنسبة الى ما فعله اليهود بالمسيح عليه السلام كنسبة مسألة
الشعيرة ؟ فكما أن ذلك لا يزرى بالمسيح عليه السلام وكذا ما فعله
بنو اسرائيل بأنبيائهم كزكريا ويحيى وغيرهما لا يخل بجلالة نبوتهم ،
كذلك ما فعله قريش بنبينا عليه الصلاة والسلام لا يزرى بمقامه الرفيع
ولا يشين وجه دعوته الصادقة ، ورسالته العالوية عند كل ذى لب
وانصاف •

واعلم : أن قريشا لما فتنوا الذين أسلموا وعذبوا كثيرا منهم بأنواع
العذاب الأليم ، ومع ذلك فلا يرجعون عن اسلام ولا ينتهى غيرهم عن
الدخول فيه ، ورأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلاد
الحبشة وأصابوا أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه

منهم ، وأن عمر رضى الله تعالى عنه قد أسلم وحمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الاسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا يفكحروهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم •

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سرا مستخفيا به ، ممن أراد صلتهم من قريش • وقد كان أبو جهل لقي حكيم ابن حزام بن خويلد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله ﷺ فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ؟ فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحرث • فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام الى بنى هاشم • فقال أبو البختري : طعام كان لعمته عنده بيعت اليه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل • فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري لحي بغير فضره فشجه ووطأه وطأ شديدا •

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بأمر الله تعالى لا ينتمى فيه أحدا من الناس •

ثم ان الأنبياء ﷺ قال لأبى طالب : يا عم ان الله قد سلب الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته ، بها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ، أى أكاته ، فقال : أربك أخبرك بهذا قال : نعم قال : فو الله ما يدخل عليك أحد • ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ان ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهل صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخى فانتهاوا عن قطيعتنا ، وأنزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخى • فقال القوم : رضينا فتعاقدوا على ذلك ،

ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شرا وكان نفر منهم يؤذون رسول الله ﷺ في بيته وهم جاره ، وكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها في برمته ، إذا نصبت له ، حتى اتخذ عليه الصلاة والسلام حجرا يستتر به منهم إذا صلى ، وكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق • ثم ان أبا طالب وخديجة رضى الله تعالى عنها ماتا في عام احد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلكهما •

قال ابن اسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تتألم منه في حياته ، فخرج رسول الله ﷺ الى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج اليهم وحده ، ثم خرج منهم وقد يؤس من خيرهم ، فانصرف راجعا الى مكة ، فلما قدمها وجد قومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به • فكان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب ، يدعوهم الى الله تعالى ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله تعالى ما بعث به ، وكان عليه الصلاة والسلام يقف بمنى على منازل القبائل من العرب ، فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله تعالى ما بعثنى به •

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه عليه الصلاة والسلام وانجاز مواعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذى لقي فيه القفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيرا قال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ،

قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم • قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟
قالوا : بلى • فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم
الاسلام وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله تعالى لهم به في الاسلام
أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل
شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوه ببلادهم ، فكانوا اذا كان
بينهم شيء قالوا لهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه نتبعه فنفتلكم
معه قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم
الى الله تعالى ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله انه المنى
الذى ترعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فأجابوه وصدقوه وقبلوا
منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : انا تركنا قومنا ولا قوم
بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله تعالى بك ،
فستقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجباك اليه
من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك •

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم وقد آمنوا
وصدقوا ، فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ
ودعاهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار الا
وفىها ذكر من رسول الله ﷺ •

حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر
رجلا ، فللقوه عليه الصلاة والسلام بالعقبة — وهى العقبة الأولى —
فبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا يشركوا
بالله شيئا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يعترونه من
بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف ، فان وفوا فلهم الجنة ،
وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء
عذب •

ولما انصرف عنه القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم
وأمره أن يقرأهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين ، فكان يسمى
المقرئ بالمدينة مصعب •

قال ابن اسحاق : ثم البيعة الثانية الكبيرة بالعبقة فان مصعب ابن عمير رجع الى مكة وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العبقة من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله تعالى بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله ، واذلال الشرك وأهله فناموا مع قومهم المشركين في رحالهم تلك الليلة التي واعدوا بها رسول الله ﷺ حتى اذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم ليعاد رسول الله ﷺ يتسلطون تسلك القطا مستخفين ، حتى اجتمعوا في الشعب عند العبقة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا من الخزرج والأوس ، ومعهم امرأتان من نسائهم •

فاجتمعوا ينتظرون رسول الله ﷺ حتى جاءهم ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه عليه الصلاة والسلام ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس • فقال : يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الصى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، مما هو على رأى مثلنا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللاحق بكم ، فان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده • فقالوا للعباس : قد سمعنا ما قلت • وقالوا للنبي عليه الصلاة والسلام فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت • فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام •

ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون به نساءكم وأبنائكم • فأخذ البراء بن معمر بيده • ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك • مما نمنع منه أذرنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر •

ثم قال أبو الهيثم بن اتيهان : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال

حبلا وأنا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ • فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالتهم — أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم —

ثم قال عليه الصلاة السلام : أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا اثنى عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس • فقال عليه الصلاة والسلام للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا تكفيل على قومي ؟ — يعنى المسلمين — قالوا : نعم •

قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قاتل العباس بن عباد بن نضلة : يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبائعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم • قال : انكم تبائعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون أنكم وافون لله بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف ، فخذوه • فهو والله خير الدنيا والآخرة • قالوا : غانا نأخذنه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله ، ان نحن وفينا ؟ قال : الجنة • قالوا ابسط يده فبايعوه •

قال الزهرى : حدثنى معبد بن كعب بن مالك فحدثنى في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القوم ، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباب — أى المنازل — هل لكم في مذمم ؟ أى محمد عليه الصلاة والسلام لأن المشركين كانوا يسمونه به والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم ، قال فقال رسول الله ﷺ : هذا أرب العقبة ،

هذا ابن أزيب ، أى عدو الله أما والله لأفرغن لك • ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا أنى رحالكم ، فقال له العباس بن عباد : والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا • فقال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم ، فارجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها ، حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاعونا فى منازلنا • فقالوا : يا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، والله ما من حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه •

قال الراوى : وقد صدقوا ، لم يعلموه • فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام وفى قومهم بقايا من شيوخ أنهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح ، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وباع رسول الله ﷺ وكان عمرو المذكور من سادات بنى سلمة ، وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون . تتخذ الها تعظمه ، فلما أسلم قوم عمرو كانوا يدلجون بالليل مع ولده معاذ على صنم عمر فيحملونه فيطرحونه فى بعض الحفر ، وفيها عذر الناس منكسا على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا على ألهتنا هذه الليلة ؟ ثم يحدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لى أعلم من فعل هذا بك لأخزينة ، ثم اذا أمسى ونام عمرو فعلوا به مثل ذلك حتى فعلاوا به ذلك مرارا فلما أكثروا عليه استخرجه فغسله وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه • ثم قال له : انى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك • فلما أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقيوه فى بئر فيها عذر ، وغدا عمرو فلم يجده فى مكانه فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن

اسلامه رضى الله تعالى عنه فقال حين أسلم وعرف من الله تعالى : ما عرف ، وهو يذكر صنمه وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة قوله :

والله لو كنت الها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين
أف لملاقاك الها مستترة الآن فتثناك عن سوء الغبن
هو الذى أنقذنى من قيل أن أكون فى ظلمة قبر مرتين
بأحمد المهدى النبى المؤتمن

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحال له الدماء إنما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجهل ، وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فرارا منهم بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفى كل وجه ، فلما عنت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أراد بهم من الكرامة وكذبوا نبيه عليه الصلاة والسلام وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم . فكانت أول آية أنزلت فى اذنه له فى الحرب واحلاله له القتال لمن بغى عليهم قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله قوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

ثم انزل الله تعالى : « وقتلواهم حتى لا تكون فتنة » أى حتى لا

يفتتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره •

قال ابن اسحاق : فلما أذن الله سبحانه له عليه الصلاة والسلام في الحرب تابعه هذا الحى من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولن اتبعه وآوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها وللحق باخوانهم من الأنصار • وقال ان الله تعالى قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة •

وكان أول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله • وكان قبل ذلك مهاجرا الى الحبشة ، ثم خرج عمر بن الخطاب ومعه أهله وقومه وصهيب لما أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك ؟ فقال لهم صهيب • رأيتم أن لو جعلت لكم مالى أتخاون سبيلى ؟ قالوا : نعم • قال : فانى قد جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب •

وخرج حمزة بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وغيرهم وأقام عليه الصلاة والسلام بمكة بعد الصحابة من المهاجرين ينتظر أن يأذن الله تعالى له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين الا من حبس أو فتن ، الا عالى بن أبى طالب وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما • وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن في الهجرة ، فيقول له عليه الصلاة والسلام : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه •

قال ابن اسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له أصحاب وشيعة من غيرهم بغير بلادهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد فزلوا دار وأصابوا منهم منعة ، فحذروا

خروج رسول الله ﷺ اليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تقتضى امرا الا فيها يتشاورون ما يصنعون في أمر النبي ﷺ حين خافوه ، ولما أرادوا أن يدخلوها اعترضهم ابليس عليه اللعنة في هيئة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار ، وقالوا : من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ، ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا . قالوا : أجل فادخل ، فدخل لعنه الله تعالى معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش منهم عتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وطعيمة بن عدى وأمية بن خلف وأبو جهل وغيرهم .

قال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فاننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا ، فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء انذنين تكانوا قبله زهيرا والناطقة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم . فقال لشيخ : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم كاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ثم قال قائل آخر منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب وفزعنا منه .

قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتهم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يبايعوه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطاكم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد دبروا رأيا غير هذا . فقال أبو جهل : والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه

بعد • قائلوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسييا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه فاتهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا • فيرضوا منا بالعقل أى الدية • فنعقله لهم فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذى لا رأى غيره • فتفرق القوم على ذلك ، وهم مجمعون له ، فأتى جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه • فلما كانت عتمة من الابل اجتمعوا على بابهِ يرصدونه متى نام ، فيثبون عليه فقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى وتسج ببردى ، فتم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم ، ولما اجتمعوا وفيهم أبو جهل قال — وهم على بابهِ — : إن محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات ، وإن لم تفعلوه كان له فراق ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فى يده الشريفة ثم قال : نعم أنا أقول ذلك • أنت أحدهم •

وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس الى قوله تعالى : « فَأَقْشِينَاهُمْ فُهم لا يبصرون » حتى فرغ عليه الصلاة والسلام من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا • ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب •

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم • فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا محمدا قال : خبيكم الله قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته • أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل منهم يده على رأسه ، فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش مسجيا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون :

والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا .
فقام على رضى الله تعالى عنه عن الفراش • فقالوا : والله لقد كان
صدقنا الذى كان حدثنا •

قال ابن اسحاق وبنان مما أنزل الله تعالى من القرآن فى ذلك اليوم
وما كانوا أجمعوا له : « **وَأَن يَمْكُرَ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ
أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَهْجُرُونَ** والله خير المخرجين » وقوله جل وعز :
« **أَمْ يَقُولُونَ شَاعَرَ** فترى به ريب المنون » المنون الموت • وريب المنون
ما يريب ويعرض منها •

قال ابن اسحاق : ثم أذن لرسول الله ﷺ فى الهجرة فأخبر
أبا بكر بذلك • فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله • قال : الصحبة •
فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه من شدة فرحه ، وكان أبو بكر ابتاع
راحتين فاحتبسهما فى داره اعدادا لذلك ، حينما استأذن رسول الله
ﷺ فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع بأن
يكون غنى نفسه عليه الصلاة والسلام • ثم قال : يا نبي الله ان هاتين
راحتين قد كنت اعددتهم لهذا ، فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج
مع أبى بكر خرجا الى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ولم يعلم
بخروجهما الا على بن أبى طالب وآل أبى بكر المصديق •

أما على فان رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده
بمكة حتى يؤذى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ،
وكان عليه الصلاة والسلام ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه
الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ، فأقام عليه الصلاة والسلام
فى الغار ثلاثا ، ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة
ناقطة لمن يرده عليهم ، وكان عبد الله بن أبى بكر يأتيهما اذا أمسى
فيخبرهما بأخبار قريش ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يرمى فاذا

أمسى أراح عنهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا • حتى اذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس سارا الى المدينة ، فقدم عليه الصلاة والسلام معه أبو بكر بقاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، فأقام ﷺ بقاء وأسس مسجده وخرج يوم الجمعة ، فدخل المدينة واحتفل أبو أيوب الأنصاري رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله ﷺ وكانت قد بركت الناقة على باب مسجده وهو يومئذ مربد لغلामين يتيمين من بنى النجار ، وهما في حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابني عمر ، فسأل عليه الصلاة والسلام عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ، فاتخذة مسجدا يا رسول الله • فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا ونزل عليه الصلاة والسلام على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومسكنه ، ثم انتقل اليها ، وأقام على كرم الله وجهه في مدة بعده ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى الودائع فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة •

انتهى باقتصار •

وقد ظهر في هذه الهجرة من المعجزات النبوية والمصالح الالهية وخير العباد والمنافع العامة التي ليس لها نفاذ الى يوم القناد ، ما يضيق عنه نطاق هذا الكتاب ، فلذا اقتصرنا على أقل القليل في هذا الباب ، وقد ثبتين لكل منصف وعادل غير متعسف بطلان ما سطره « عبد المسيح » من كل بهتان صريح ، وانبلج صبح الحق والصواب عن ليل ما موه من افتراء وكذاب • والحمد لله الذي أرسل نبيه بفصل الخطاب ، حتى نلنا بهما السعادة العظمى في البدأ والمآب •

قوله : « ثم أنه بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكبا الى العيص » الى آخره • فيقال له بعد ما أثبتنا نبوته عليه الصلاة والسلام • بما تقدم من الأدلة التي ليس لك عنها محيص ، فكل ما تقوله سراب أو هباء اذ ما فعلاه عليه الصلاة والسلام في أمر

الجهاد لا بد أن يكون عن أمر رباني أو اللقاء في روعه رحمانى ، وهو
مظير ما فعله اخوانه المرسلون عليهم الصلاة والسلام مما سنده في
محله أن شاء الله تعالى مفصلا فلا عتاب ولا ملامة ولا اعتراض عليهم
وعليه في ذلك ، عند كل مؤمن بكتاب سماوى :

ففسى ليزدجروا ، ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

وأما ما ذكره من سرية حمزة رضى الله تعالى عنه •

فقد ذكر أهل السير والأخبار الصحيحة : أن أول غزواته عليه
الصلاة والسلام غزوة ودان وهى غزوة الأبواء ثم رجع الى المدينة ولم
يباق كيدا ثم سرية عبيدة بن الحارث وهى أول راية عتدها عليه الصلاة
والسلام فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا
من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين
حامية ، وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى وعقبه
ابن غزوان بن جابر ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا يتوصلان بالكفار وكان
على القوم عكرمة بن أبى جهل ثم سرية حمزة رضى الله تعالى عنه
الى سيف البحر •

وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة
الأبواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث في مقامه ذلك حمزة الى سيف
البحر من ناحية العيص ، في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من
الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بذاك الساحل في ثلثمائة راكب من أهل
مكة ، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى ، وكان مرادعا للفريقين
جميعا وانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال •

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدتها رسول الله
ﷺ لأحد من المسلمين •

وأما قول هذا النصرانى « فلأين شروط النبوة » الى آخره فيقال :

له : سنذكر ان شاء الله تعالى فيما بعد من المحال المناسبة لهذا البحث كلاما وافيا كافيا شافيا في بيان نصرته وغلبته على المشركين وتأيد الله سبحانه له : ونذكر جهاد غيره من الأنبياء عليهم السلام غير أنا نقول الآن : أمن شروط ألوهية المسيح اتى ترعمونها أن يؤخذ المسيح وهو اله بالحالة التى تنسبونها له الصادرة من اليهود ؟ فانظروا بعين الانصاف الحالتين ، ولا تنسبوا شيئا ولا نقصا للنبيين الكرمين عليهما الصلاة والسلام •

قال النصراني : « فلنرجع الآن اذ ليس عندك في هذا جواب وكنت من ذلك صفرا مفلجا أنت وجميع من يعتقد مثل مقالتك ، فقول : اما ان يكون حمزة هذا رسول نبي مبعوث • وهو ابن عمه وعن أمره اخرج ومعه ثلاثون راكبا وهو على حق عند نفسه ، فانحاز فرقا من أبى جهل • وهو كافر مشرك • وانما معه ثلثمائة رجل كفار مشركين عباد أوثان وأم يحاربه بل سآله ، أو يكون هذا خلاف ما تدعيه أنت أنه نبي مرسل ، وان الملائكة تؤيده وتقاتل دونه كما كنت تقاتل مع يشوع بن نون فانه رأى ملكا في زى فارس ، فلم يعرفه يشوع فتال له : أمن أصحابنا أنت أم من أعدائنا ؟ فقال له الملك : أنا عظيم جيوش الرب وساعة اقبلت فخر يشوع بوجهه على الأرض ساجدا ، وقال : ما يأمر السيد عبده ؟ فقال رئيس جيوش الرب انزع خفيك من قدميك لأن المكان الذى أنت فيه مكان مقدس • ففعل يشوع ذلك • وفى هذا القول من المك ليشوع سر ليس هذا موضعه ، وكان يشوع في ذلك الوقت محاصرا أريحا ، فأما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يشوع أريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى ، كما أمره مك الرب ، فما أظنك — أيدك الله — انك تجد في ذلك جوابا لأنك خلو من ذلك ، انتهى كلامه •

فأقول هذا كلام يدل على حماقة قائلة من وجوه عديدة ، لا تخفى على الناقد البصير ، منها : أنه متى ثبت اقدامه للمسلمين بهذه المقالة :

الفاسدة ، حتى يحكم أنهم صفر وليس لهم جواب عن باطل كلامه .
الردود المزيف سابقا ولاحقا • فكيف سولت له نفسه هذه الدعوة
العظيمة أن المسلمين خاو عن جواب سفسطه وعاجزون عن رد ترهاته
وغير مطلعين على هناته ؟

وإذا ما خلا الجيبان بأرض طلب الحرب وحده والنزالا

مع أنهم والله الحمد كم لهم من مؤلف حافل وتصنيف كالمصاغة
على المناضل أجابوا به عن شبهات النصارى واحتوى على طعون جعلتهم
في ميدان البحث حيارى ، وأبانوا زيف اليهود والمسيحيين وأطفأوا بزال
تحريرهم وتقريرهم نار المجوسيين ، وأبادوا بصوارم بحثهم جيوش
المشركين ، وهزموا عسكر الزنادقة المأجدين ، مع أن الواقعة لم تكن
كما حرر كما قدمنا شرحها آنفا •

على أنا لو سلمنا خوف المسلمين من كثرة الكفارين ، واختاروا
المتاركة المؤقتة ، فأى بأس فى ذلك وهم ناوون للرجعة والحرب كما
قيل خدعة ؟ على أن الحواريين الذين هم فى زعم النصارى أفضن من
موسى وسائر الأنبياء الاسرائيلية عليهم السلام فروا فى الليلة التى
أخذت اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه فى أيدي أعدائه وأم يخلص
نفسه ، ولا حواريوه خلصوه من كيد اليهود • فان كانوا علموا أن عيسى
اللهم وفروا عنه خوفا على أنفسهم ، فكيف لم يعلمهم اللهم أن القتل
عليه فقط ، وأنهم ناجون من قتل اليهود لهم ؟ لاسيما وهو كان يطلب
منهم أن يسهروا معه تلك الليلة • وقال لهم كما فى الانجيل ؟ « ان نفسى
حزينة جدا امكثوا ههنا واسهروا معى » ثم تقدم يصلى وجاءهم فوجدهم
نياما • فقال لبطرس : «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة» ؟
وان كان أعلمهم فلم فروا ؟ ولم لم يسهروا معه ؟ ولم طلبوا الحياة
دوننه ؟ •

فهذا على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه لما اجتمع المشركون على

اغتيال النبي ﷺ في دار الندوة كما نتقدم تفصيل ذلك آنفا أمره المصطفى ﷺ فقام على فراشة وأخبره بأنه ناج من قصد المشركين ، وأنه لا تصل اليه أيديهم بسوء ، فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فهذا من أعظم الأدلة على نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وما فعله الحواريون من أعظم الأدلة على عدم ألوهية عيسى عليه السلام ، بل دليل واضح على العبودية عند كل منصف خال من العصبية .

هذا ومن المشهور بل المتواتر الذي يفيد العلم أن الملائكة كانت تقاثل المشركين في بعض غزوات سيد المرسلين ، كما سنذكره ان شاء الله تعالى في محله .

فان قيل : لم لم تقاثل في جميعها ؟ فالجواب : أن الله سبحانه جعل لكل شيء قدرا وأجلا وزمانا بمقتضى حكمته التي أخفاها على عباده فلا يسئل سبحانه عما يفعل لأنه لا يفعل ما يسئل عنه ، فهو المتصرف في ملكه كما يشاء ويختار ، ألا ترى أنه قدر القتل على زكريا ويحيى وكثير من الأنبياء عليهم السلام فلا يقال انهم لو كانوا أنبياء لما قتلوا ، ولا يقال مثلا : لم خلق إبليس وسلطه على كثير من عباده فأضلهم وأغواهم ؟ وهو سبحانه أرسل لهم رسلا يدعونهم الى توحيدده فما هدام ، ثم يعذبهم على عدم ايمانهم ، ولا يقال : لم قدر عليهم الكفر ؟ ولم يهدم ؟ ولم سلط عليهم إبليس ؟ ولم يعذبهم ؟ ولا يقال : ان نوحا بقى ألف سنة يدعو قومه الى التوحيد فلم يؤمنوا ، فلم أغرقهم ؟ ولم لم يغرقهم قبل هذه المدة حتى لا يلدوا الكفار ويهلك هذا المقدار ؟ ولم لم جعل الايمان في قلوبهم ؟ فكل اعتراض من هذه الاعتراضات ونحوها على البارئ الحكيم سبحانه وتعالى ، أو على رساله عليهم السلام لا تصدر عن مؤمن به عز شأنه وبرسله ؟ وهذا أمر ظاهر ادى كافة الكتابيين والمطالعين على سيرة الأنبياء والمرسلين ، لا يحتاج الى اقامة البراهين . ولعل لنا عودة الى هذه الأبحاث ان شاء الله تعالى .

غير أنا ننبيه على كلمتين من سقطاته هنا أيضا وهي قوله : « سر
ليس هذا موضعه » فاعله قصد به اثبات التثليث فما أبعد من قصد ،
وما أبطله من مراد لا يخفى بطلانه حتى على النساء وصغار الأولاد •
وقوله : « فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يوشع أريحا » فيقال له :
لم لم يفتحها في يوم واحد أو أقل منه لأن قوة الملائكة تنفذ المدائن
والقرى في آن واحد كما فعلت ملائكة الرب في قرى لوط وغيرها ؟ فهلا
أهلكوا أهل أريحا بيوم واحد أو أقل ؟ وهلا جعلهم يقتتلون مع كل نبي
من الأنبياء ؟ فما أظنه يجد الى نزول عيسى عليه السلام جوابا عن هذا
وغيره مما ذكرناه ، وسيأتيك ان شاء الله تعالى زيادة على ما حررناه هنا
مما يتعلق في هذه الأبحاث ، فانظره في محله • والله سبحانه الموفق •

قتال النصراني : « ولنذكر أيضا غزوة صاحبك الثانية لعله يكون
لك فيها أدنى جواب : ثم بعث في الثانية كما علمت عبدة بن الحارث بن
المطلب في سنتين راكبا ، ليكون ضعف العدد الأولى فتقوى قلوبهم الى
بطن رابغ بين الأبواء والجحفه ، فلقى أبا سفيان بن حرب • وأبو سفيان
في مائتي راكب فكان بينهم من الدماء ما قد علمت ثم رجعوا فما رأيت
أحدا من الملائكة أعانهم على أمرهم بشيء ، وقد شهدت أنت أن جبريل
كان في صورة رجل راكب رمكة شهباء ، عليه ثياب خضر ، وقد ركب
فرعون بجنوده أربعمئة ألف حصان في طاب بنى اسرائيل ، فلما توسط
بنو اسرائيل البحر قحم جبرئيل على الرمكة في اثرهم قائلا : قدم خير ،
فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون وأصحابه ، فنجوا بنو اسرائيل وغرق
فرعون وأصحابه • هذه شهادتك وإقرارك ببعض علامات موسى النبي
الذي أتى بنى اسرائيل وأنت صاحبك خاوا من هذا كله » انتهى •

فنقول : هذا كلام فيه من الكذب ما تسمع بيانه ، وقد علمت جواب
بعضه فيما تقدم قريبا ، فتذكر فما في العهد من قدم ، غير أننا نذكر ما
في كتاب المواهب اللدنية • قتال : « ثم سرية عبدة بن الحارث الى بطن

رابع فلقى أبا سفيان بن حرب ، وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة بن أبي جهل في مائتين ، ولم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمى في الاسلام . قال ابن اسحاق : فكانت راية عبدة فيما بلغنا أول راية عقدت في الاسلام . وبعض الناس يتول راية حمزة قال : وانما اشكل أمرهما انه عليه الصلاة والسلام بحثهما معا فاشتبه ذلك على الناس » انتهى .

فقول النصراني : « فكان بينهم من الدماء ما قد غلثت » لم نر أحدا من الاخباريين ذكر ذلك . ولو سلمنا وقوعه فأى بأس فيما هنالك ؟ فالجواب سجال والعاقبة للمتقين كما وقع أمثال ذلك لآخوانه المسلمين .

وقوله : « فما رأيت أحدا من الملائكة أعانهم » فنقول : نعم ان الملائكة قد أعانتهم كما تواترت به الأنباء في غير ما مرة من غزواته عليه الصلاة والسلام . ومن ذلك في غزوة بدر الكبرى التي أعز الله سبحانه بها الاسلام وأذل بها الكفرة وعبدة الأصنام .

قال في المواهب اللدنية : « غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي مشهورة ونسبت الى بدر بن مخلد كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها . وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت بدرا لاستدارتها ولصفائها ورؤية البدر فيها . وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي أعز الله سبحانه فيه الاسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، مع سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة ، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزله وبيض وجه النبي عليه الصلاة والسلام وقبيله ، وأخزي الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد » انتهى .

فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره ،

وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره • ومن حين وقوعها أذل الله تعالى
الآقار وأعز المسلمين الأبرار •

وكان خروجهم من المدينة يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان
على رأس تسعة عشر شهرا ، واستخلف عليه الصلاة والسلام أبا لمبابة
الأنصارى ، وخرج منه الأنصار ونهم تكن قبل ذلك خرجت وكان غدة
من خرج معه ثلاثمائة وخمسة وثمانين • أم يحضرها كلهم ، وإنما ضرب
لهم بسهمهم وأجرهم ، فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة أفراس
وكان معهم سبعون بعيرا ، وكان المشركون ألفا ويقال تسعمائة وخمسين
رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من رمضان • وقيل يوم الاثنين وكانت من غير قصد للمسلمين
ولا ميعاد كما قال تعالى : « **وَأُوْتُوا عِدَّتُمْ لَا تَخْتَلِفُمْ فِي الْمِيعَادِ وَكَانَ**
لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا » وإنما كان المقصد أبا سفيان وكان بالشام
في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص ، فأقبلوا في قافلة عظيمة فيها
أموال قريش الذين عملوا ما عملوا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وفعلوا ما فعلوا بالذين أسلموا في مكة ، ويزيدون اطقاء دين الله حتى
إذا كانوا قريبا من بدر ، فبلغ النبى ﷺ ذلك فأمر أصحابه بالخروج
اليهم •

فلما سمع أبو سفيان بسير النبى ﷺ استأجر ضمضم الغفارى
أن يأتى قريشا فيخبرهم ويستنفرهم فنهضوا في قريش من ألف مقنع
ونهم يتخاف أحد من أشراف قريش الا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن
هشام وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ الروحاء ، فأتاه
الخبر عن قريش بمسيرهم ، فاستشار النبى ﷺ الناس في طلب العير
وحرب النضير ، فقال : ان الله تعالى وعدكم إحدى الطائفتين اما العير
واما قريش • فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ،
ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله تعالى

فنحن معك • والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون • فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنبأك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له ﷺ خيرا ودعا له بخير ، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى اليوم أنظر الى مصارع القوم •

روى أنس رضى الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام : هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا ، قال فما ماط أى ما تنحى أحدهم عن موضع يده عليه الصلاة والسلام ، ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ، ونزل المشركون بالعمدة القصوى من الوادى ، ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب ، وسبقهم المشركون الى ماء بدر ، فأحزروه وحفروا القلب لأنفسهم ، وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جتب وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ، ووسوس الشيطان لبعضهم ، وقال : ترعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم غطاش وتصلون محدثين مجنبيين ، وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم ، فيحكموا فيكم كيف شاءوا فأرسل الله سبحانه عليهم مطرا سال منه الوادى فشرب منه المسلمون ، واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملأوا الأسقية وأطفأ الغبار ولبد الأرض ، حتى ثبتت عابها الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » أى من الأحداث « ويذهب عنكم رجس الشيطان » وسوسته « ويربط على قلوبكم » بالصبر « ويثبت به الأقدام » حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيع الأرض •

وعن سعيد بن منصور عن عبد الله بن عتبة قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وكاثرهم ، والى المسلمين فاستغلهم فركع ركعتين وأبو بكر عن يمينه فقال عليه السلام وهو في صلاته : اللهم لا تخذلني ، اللهم أنشدك ما وعدتني * وفي صحيح مسلم قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لما كان يوم بدر نظر ﷺ الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، دخل العريش فاستقبل القبلة ، ومد يده فجعل يهتف بربه : اللهم انجز لي ما وعدتني * فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذ أبو بكر رداؤه ، فألقاه على منكبيه فأنزل الله تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » متتابعين بعضهم في اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه أردف الله تعالى المسلمين وجاءهم بهم مددا ، ثم زادهم سبحانه وتعالى والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قيل لهم : « فثبتوا الذين آمنوا » وكانوا في صور الرجال ويقولون للمؤمنين : اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم * .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاء ابليس عليه اللعنة يوم بدر ، مع رايته في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، فقال للمشركين : لا غالب لكم اليوم « واني جار لكم » فلما أقبل جبريل عليه السلام والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين ، فانتزع يده ، ثم تكص على عقبه ، فقال يا سراقه أترعم أنك لنا جار ؟ فقال : « اني أرى مالا ترون اني أخاف الله * والله شديد العقاب » وأن جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمام بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم * .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمام بيض ، ويوم حنين عمام خضر * .

قال ابن النباري : وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميين

فعلمهم الله تعالى بقوله : « فاضربوا فوق الأعناق » أى الرعوس « واضربوا منهم دال بنان » أى كل مفصل وما وقعت ضربة يوم بدر الا فى رأس أو مفصل وكانوا يعرفون قتلاء الملائكة من قتلائهم بأثار سود فى الأعناق والبنان • وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :: حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ، ونحن مشركان ننظر الواقعة على من تكون الدبرة ، فننتهب مع من ينتهب ، فبينما نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فيها حممة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت • والدبرة بالوحدة الهزيمة فى القتال • وحيزوم اسم فرس جبريل •

قال الشيخ تقي الدين السبكي عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يرفع الكفار بريشة من جناحه فعل • ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبى ﷺ وأصحابه ، وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب التى اجراها الله تعالى فى عباده ، والله سبحانه فاعل الجميع •

انتهى •

ولما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفا من الحصباء فرمى به فى وجوههم وقال : شأهت الوجوه • فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه ومنخريه منها شيء ، فانهزموا وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم ، ونزل قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقد فعل مثل ذلك يوم حنين أيضا • قال أصحاب السير : استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب ، وكان العباس فيما قاله أهل العلم قد أسلم قديما وكان يكرم الاسلام

وخرج مع المشركين ، فقال النبي ﷺ : من لقي العباس فلا يقتله ، فإنه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة •

ونقل أهل السير أنه لما قدم سفيان بن الحارث بن عبد المطلب واسم أبى سفيان المغيرة ، فقال له أبو لهب : هلم الى فعندك لعمري الخبر ، فجلس اليه الناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أختي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو الا أن لقينا القوم فمحنناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض والله لا يقوم لها شيء •

فقال له أبو رافع — غلام العباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قد دخله وهو في مكة — : تلك والله الملائكة • فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجه أبى رافع ضربة شديدة •

فقامت أم الفضل الى عمود فضربت به ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده • فقام موليا ثم انه ما عاش بعدها الا سبع ليال ، حتى رماه الله تعالى بالعدسة ، وهى قرحة كانت العرب تتشائم بها • وقيل انها تعدى أشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله تعالى ، وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا السب في تركه حفروا له ثم رفعوه بعود في حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتى داروه • وأهلك الله سبحانه صناديد المشركين بأقصر زمان ، وجعل كثيرا منهم أسراء بأيدي الساميين ، وأنجز وعده لسيده الأكوان وقوى الاسلام واشتد ساعده ، وذل الكفر وباد معاضده •

ومما ينسب لحمزة بن عبد المطلب في هذه الغزوة قتله :

والحين أسيا بمنة الأمر
فخانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر
فكانوا رهونا للركبة من بدر
فساروا إلينا فالتقينا على قدر

الم تر أمرا كان من عجب الدهر
وما ذاك الا أن قوما أقادهم
عشيه راخوا نحو بدر بجمعهم
وكنا طبنا العير لم نبغ غيرها

لنا غير طعن بالفتنة السمر
مشهرة الآوان بينة الاثر
وشبية في قلى تهرهم في الجفر
فشقت جيوب النائحات على عمرو
كرام تعز عن الذوائب من فهر
وضأو لسواء شمر مهتضر النصير
فخاس بهم أن الخبيث الى غدر
برقت بلكم رأى بن القيدوم دى صمير
أخاف عذاب الله والله ذو قسي
وكان بما أم يخبر القوم ذا خبر
ثلاث مئين كالسدة الزهر
بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
لدى ما زق فيه منايهم تجرى

فلما التينا لم تكن مثوية
وضرب بيض يختلى الهام حدها
ونحن تركنا عتبة الفى ثابيا
وعمر و ثوى فيمن ثوى من حماقرم
جيوب نساء من لوى بن غالب
أولئك قهرم قتالوا في ضلالهم
لواء ضلال قاد ابليس أهله
وقال لهم اذ عاين انمصر واضحا
فسانى لدى مالا ترون - اننى
فقدمهم للحين حتى تسرطوا
فكانوا عداة البئر الفا وبعضا
وينا جنود الله حين يمينا
فشد بهم جبريل تحت لواءنا

وقد انتهى بيان غزوة بدر على وجه الاختصار ، وتبين فيها من
دلائل النبوة والمعجزات ما يكفى لذوى الاستصبار ولا يحتاج الى غيرها
من المعجزات ، اذ هذه الغزوة وما انطوى فيها من الآيات كافية في اثبات
نبوته ، وحاكم قوى بصدق رسالته ، على أنها بعض من معجزاته عليه
الصلوة والسلام كما بينا جملة منها فيما سبق ، فلا تغفل .

قلى النصرانى : « ولا بد أن نذكرك بالثالثة فأصبر لها طائعا
أو مكرها . ثم سمع بن أبى وقاص الى الخرار خارج الجحفة في عشرين
رجلا فورد الموضع وقد سبقته العمير قبل ذاك ، فقاته أمه ورجع خائبا
من رجائه ، فهذا أكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما منه نبى الله
صموئيل بشاول . ولست شاكاً في معرفتك بالقصة على ما حكيت أنك
دارت بالكتب الفزلة دارس لها حق دراستها . وذاك أن نبيما أباً شاول
غارت له أنن فوجه ابنه شاول في طلبها وصار شاول الى صموئيل النبى
فقال له في بعض قواه وهو يخاطبه قبل أن يعلمه خبر ما جاء لأجله :
أما الآن فرجعت الى بيت أبىك ، وأما أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك
من الآن . فهكذا تكون شروط النبوة — أصاحك الله تعالى — التى هى
عام الغيب الماضى وعام الغيب المستقبل فتخبر الانبياء عنه ، وتذكر
كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه ، بما يظهر لهم الروح القدس .

معطى عام الغيب الذى هو نهاية الدلالات على النبوات • وقد قال المسيح الرب فى انجيله النير الطاهر المقدس ان الشهادة العادلة الصادقة هى الكائنة من قبل رجلين عدلين صادقين ، أو ثلاثة عدول • فذلك واجب قبولها وقد أنبأناك فى فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل ، لك فيهن مقنع •

فلتنظر الآن بعد الغزوات الثلاث التى خرج فيها هؤلاء النفر ومن خرج معهم بأمر صاحبك فأنصرفوا فرغا فى الغزوات التى خرج هو بنفسه فيها مع أصحابه ، فخرج أولا يريد عيرا لقريش ، فانتهى الى ودان ، فوافاه مجشى بن عمرو الضمرى ، فلم يزل منها شيئا ورجع صفرا ، ثم خرج ثانيا الى بواط وهى فى طريق الشام ، فى طلب عير لقريش فيها أمية بن خلف الجمحى ورجع ولم يصنع شيئا ، ثم خرج ثالثا الى أن وصل الى ينبع فى طلب عير لقريش أيضا يريد الشام ، وهى العير التى كان القتال ببدر بسببها فى رجعتها ، فرجع صفرا ولم يصنع شيئا • فأنصف — أصلحك الله — فى هذه المواضع وأنت أهل ذلك • ان كان صاحبك نبيا كما تدعى فما للأنبياء وشن الغارات والخروج لاصابة الطريق والتعرض لأخذ أمتعة الناس ؟ وما الذى ترك صاحبك هذا للصوم وقطاع الطريق ؟ وما الفرق بينه وبين أتاك الخرمى هذا الذى قد تنهى الى سيدنا أمير المؤمنين والينا خبره بما عمل وأرتكب من ظلم الناس ؟ فأجيبنا ان يكن عندك فى هذا جواب واضح وانى لأعلم أنه لا جواب عندك ولا عند غيرك ، ممن اعتقد مثل اعتقادك ، ما لم يكن عندك فى غيره مما سلف •

أقول : هذا الكلام لظهور جوابه من كل سامع لا يحتاج فى الحقيقة الى جواب ، على أنا نقول كما فى المثل « الجواب فى ذال الدمستق » أما اخبار غيره من الأنبياء عليهم السلام بالمعيبات فقد أتى عليه الصلاة والسلام بأمثال جميع ما أتوا به :

وكل آتى أتى الرسل الكرام بها ••• فانما اتصلت من نوره بهم

وقدمنا لك من بعض ذلك ما فيه مقنع ، فلا حاجة الى الاعادة والتطويل ثلثا يمل السامع • وأما عدم ظفرك بأعداء الله ورسوله في هذه الغزوات فقد قدمنا أيضا ما يشعر بجوابه آنفا •

ونرجع أيضا الى ذكر نظير ما وقع لغيره من الأنبياء عليهم السلام من عدم الخفر بأعدائهم ، ومن قتل أعدائهم لحسركهم ، ثم نصره الأنبياء عليهم كما اتفق علينا عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر ، وقتله للمشركين ونصره عليهم • ثم في وقعة أحد ، أنت الغاية الظاهرة للمشركين ، ثم بعدها للمسلمين وكذا غزوة خيبر ونصرته عليه الصلاة والسلام عليهم •

ولنذكر ما في العهد القديم ففي الأصحاح العشرين من سفر التثنية من اتورا المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٧ في بحث مقاتلة بنى اسرائيل مع بنى بنيامين بأمر الرب سبحانه ما نصه : « فنهضوا وصعدوا الى بيت ايل وطلبوا من الله ، وقالوا بنو اسرائيل : من يصعد منا أولا لمقاتلة بنى بنيامين ؟ قتال لهم الرب يهزأ يكون أولا فنهض بنو اسرائيل من باكرا ، ونزلوا على جبعة وخرج رجال اسرائيل لمحاربة بنيامين ، واصطف رجال اسرائيل للحرب عند جبعة ، فخرج بنو بنيامين من جبعة وقتلوا من بنى اسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل الى الأرض ، وتقوى الشعب رجال اسرائيل ، وعادوا فاصطفوا للحرب في الموضع الذي تاربوا فيه في اليوم الأول ، وصعد بنو اسرائيل فبكوا أمام الرب الى المساء ، وسألوا من الرب وقالوا : أنحد في محاربة بنى بنيامين اخوتنا ؟ فقال لهم الرب : اصعدوا اليهم وحاربوهم • فتقدم بنو اسرائيل في اليوم الثانى لمحاربة بنى بنيامين ، وخرج بنو بنيامين اليهم من جبعة في اليوم الثانى ، فقتلوا أيضا من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألف رجل الى الأرض وكان جميع الذين قتلوا أبطالا ، فصعد جميع بنى اسرائيل كل الشعب ، وأتوا بيت ايل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب ، وصاموا ذلك اليوم الى المساء ، وقربوا وقودا وذبائح مسلمة قدام الرب • وسأل بنو اسرائيل الرب في أحوالهم وكان تابوت عهد

الله في تلك الأيام هناك ، وكان فنحاس بن اليعازر بن هرون واقفا أمامه في تلك الأيام ، فسأل بنو إسرائيل الرب وقالوا : نعم نخرج لمحاربة بنى بنيامين اخوتنا أم نكف عنهم ؟ فقال لهم الرب : اسعدوا لأننى في الغد أدفعهم بأيديكم » الى أن قال : « وكسر الرب بنى بنيامين قدام بنى إسرائيل ، وقتل بنو إسرائيل من بنى بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألفا ومائة رجل مقاتلة أبطالاً بأجمعهم ، وقتلوا من بنى بنيامين ثمانية عشر ألف رجل ، جميع هؤلاء أبطال مقاتلة . » واذين بقوا من بنى بنيامين هربوا الى البرية ، وقتلوا منهم أيضا ألفى رجل ، ورجع بنو إسرائيل الى بنى بنيامين وضربوهم بسيف الحديد ، من الناس حتى البهائم ، حتى كل ما وجد ، وجمع من بنيامين ودمسوا نحرها أحرقوها بالنار » انتهى .

فانظر كيف قتل بنو بنيامين بنى إسرائيل وغابوا على بنى إسرائيل في المحاربتين ، مع أن قتال بنى إسرائيل لبنى بنيامين كان بأمر الهى لفستهم ، ثم ان بنى إسرائيل غلبوا بنى بنيامين في المائدة . فلا يقال : ان كان الله سبحانه أمر بنى إسرائيل بمقتالهم ، فلم غلب بنو بنيامين بنى إسرائيل مرة فتأوهم في المحاربتين المتقدمتين ؟ فحكك لا يقال : ان كان نبينا محمد ﷺ نبيا ومأمورا بمقاتلة المشركين فلم لم ينصر عليهم في هذه المحاربة ؟ كما لا يخفى لأن الله سبحانه قدر الأشياء بأوقاتها التى يشاؤها فلا يسأل عما يفعل .

على أن تلك حكما ذكرنا بعضها في كتابنا هذا ، فلا تغفل .

وأما قوله : « الأنبياء وشن الفجرات » : الى آخره . فتلام عدو جاهل أو غبي سأل بأن ياطل اذ التوراة مملوءة بقتل الأنبياء لاعدائهم ونهب أموالهم وقتل ذراريهم ونسائهم ومراشبيهم واحراق دورهم ، فان كل خبير من أهل الكتاب يعرف أن نبينا عليه الصلاة والسلام في جهاده لم يفعل بقومه وعدوه معشار ما فعله أنبياء بنى إسرائيل بمن

حاربهم وباعدائهم وسنستمع قريبا ان شاء الله تعالى الى بعض ذلك •

فاعلم أولا : أن النصارى يعدون مسألة الجهاد من أعظم المطاعن على دين المسلمين ويقرونه في كتبهم بتمويه عجيب ويحررونه مخلوطا بالكذب الغريب ، مع علمهم بأن ذلك في شريعة موسى أشد منه في شريعة محمد ﷺ وقد اتبعوا في الطعن أهواءهم وأضلهم الله على علم ، فلبسوا لذلك جباب العناد المزق ، وروجوا كلامهم على ضعفة العقول ، ولبسوا على كل أحق •

ثم اعلم أن الكلام في هذه المسألة محتو على فصلين :



الفصل الأول

ان علماءنا رحمهم الله تعالى قد أجابوا عن هذا الطعن بأجوبة واقعة حقة صحيحة في ردودهم العديدة وأجوبتهم المفيدة • ولنذكر بعضا من ذلك سالكين مهيع المسالك •

فمنه : ما قاله العلامة الماوردي في كتابه دلائل النبوة ونصه : « فان قيل مجيء الأنبياء عليهم السلام موضوع لمصالح العالم ، وهم مأمورون بالرفقة والرحمة ، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس ، فعبار مضافا لما جاء به موسى وعيسى ، فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتهما في السيرة • فعنه ثلاثة أجوبة •

احدها ان الله تعالى بعث كل نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لأن السيف أنجع ، ومنهم من بعثه باللطف لان اللطف أنفع كما خالف بين معجزاتهم بحسب زمانهم ، فبعث موسى بالعصا في زمان السحر وبعث عيسى باحياء الموتى في زمان الطب ، وبعث محمدا ﷺ بالقرآن في زمان انفصاحة ، لأن الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع

القلة ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة • ولذلك قال رسول الله ﷺ
« نجا أول هذه الأمة باليقيين والزهد ، وهلك آخرها بالبخيل والأمل » •

والجواب الثانى : ان السيف اذا كان لطالب الحق كان خيرا ،
واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا ، لأن الشرع موضوع لاثرار
الفضائل الالهية والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ،
ليستغفر به الخير ويتقى به الشر ، لأن النفوس الأشرية لا يفهمها الا
الرهيبة فكان القهر لها أبلغ فى انتيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر
الناس شرا وعقوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم ، فلذلك كان السيف
فيهم أنفع من اللطف •

والجواب الثالث : انه لم يَنْ فى جهاده بالسيف بدعا من الرسل
ولا أول من أئخذ فى أعداء الله تعالى وقبل هذا ابراهيم عليه السلام
جاهد الملوك الأربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على
أهلها وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه ، وهذا يوشع بن نون قتل
نيئا وثلاثين ملكا من ملوك الشام وأباد مدنها ما لم يبق له أثر ولا من
أهله صافر ، من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب منهم أتاة ، وساق
الغنائم • وغزا داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة
الا قتلهم ، وهو موجود فى كتبهم ومحمد ﷺ بدأ بالاستدعاء وحارب
بعد الإباء •

روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت :
« ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظامة ظلمها قط ، ما لم ينتهك
من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم فى
ذلك غضبا ، وما نرى من أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما »
وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أحث الناس على
الصفح والتعاطف • روى أسيد بن عبيد الرحمن عن عروة
ابن مجاهد عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله ﷺ فقال لى
يا عقبة : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن ظلمك » فهل

يكون أحنى على الخلق ممن يأمرهم بمثل هذا ؟ وانما تطلبت الملاحظة
يمثل هذا الاعتراض التدح في النبوات ، فانهم هم يعفوا نبيا من القدح
في معجزته والطعن على سيرته . حتى قال منهم في عصرنا ، ما طعن
به على موسى وعيسى ومحمد ﷺ بشعر نظمه فقال :

ومدع يدعى الأشياء خالقه ما بآله زال والأشياء لم تزل
وفالق البحر لم يفلق جوانبه اذ ضاع فيه ضياع الحر في السفل
وأخر يدعى بالسيف حجه هل حجة السيف الا حجة البطل ؟

فحضرنى حين حضرت هذه الأبيات الى بعض أهل العلم فأجاب
عنها فقال :

قل للذى جاء بالتكذيب للرسول ورد معجزهم بالزيف والذغل
وقال في ذاك آياتا مزخرفة ليوقع الناس في شك من الملل
فصياح موسى ليل من أدلته من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس ان الله فالفه وان موسى ضعيف تاه في السبل
والمعجز الحق في فلق المياه له وجعله البر ما يحيط بالحيـل
وابن البتول فان الله نزهه عما ذكرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى ظير يقدره طينا وربى احياء ولم يزل
وقال انى باذن الله فاعله وان ربي يحيى الخلق لا عملى
وصاحب السيف كان السيف حجه بعد البيان عن الاعجاز والمثل
وجاء مبتدا بالنصح مجتهدا بمعجزات لها حارت أولو النحل
منها كتاب مبین نظمه عجب فيه من الغيب ما أوحى الى الرسل
فأفخم الثسغراء المفتامين به لما تحداهم بالرفق في مهل
وانبج الماء عذابا من أنامله من فير ما صخرة كانت ولا رسل
وشارف القوم وإفاه وكامه وقال : انى من قتلى على وجل
والذئب قد خبر الراعى بمبعثه فجاء يشهد بالإسلام في عجل
والجذع حن إليه حين فارقه حنين ذات حوار ساعة الهل
وأخبر الناس عما في ضمائرهم مفصلا بجواب غير محتمل
واتبا الرزم عن نصرى يكون لها من بعد سبعة أعوام على جدل
والفرس أخبرها عن قتل صاحبها برويز اذ جاءه فيروز في شغل
وان تقصيت ما جاء النبى به طال التشديد وام أمن من المال

• انتهى

الفصل الثانى

فى

ما أجاب به بعض المؤلفين الأفاضل

قال : وانا امهد لتحرير الجواب خمسة أمور : الأول أن الله سبحانه يبيغض الكفر ويجازى عليه فى الآخرة إتيينا • وكذا يبيغض العصيان وقد يعاقب الكفار والعصاة فى الدنيا أيضا فيعاقب الكفار تارة بالاغراق عموما كما فى عهد نوح عليه السلام فانه سبحانه أهلك بالطوفان كل ذى حياة على وجه الأرض غير أهل السفينة ، وتارة بالاغراق خصوصا كما فى عهد موسى عليه السلام حيث أغرق فرعون وجنوده ، وتارة بالاهلاك مفاجأة كما أهلك أكبر الأولاد لكل انسان وبهيمة من أهل مصر فى ليلة خروج بنى اسرائيل من مصر كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج وتارة بانزال الكبريت والنار من السماء وقلب المدن كما فى عهد لوط عليه السلام فانه أهلك سادوم وعامورة ونواحيهما بذلك ، وتارة باهلاكهم بالأمراض كما أهلك الاشددوديين بالبواسير كما صرح به فى الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل ، وتارة بارسال الملك كما فعل بعسكر الأشوريين ، حيث أرسل عليهم ملكا فقتل منهم فى ليلة واحدة مائة ألف وثمانين ألفا • ولما أصبحوا اذا هم جميعا جنثا ميتة كما صرح به فى الاصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثانى ، وتارة يكرن ببجهد الأنبياء ومتبعيهم كما ستعرفه فى الأمر الثانى • وكذا يعاقب العصاة أيضا بالخسف تارة ، وبالنار ، كما أهلك قورح ودathan وأبيرم وغيرهم ، لما خالفوا موسى عليه السلام فانفأقت الأرض والبتعلت قورح ودathan وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم ، ثم خرجت نار فأكلت مائتين وخمسين رجلا كما صرح به فى الاصحاح السادس عشر من سفر العدد ، وتارة بالاهلاك مفاجأة بالبواباء كما أهلك أربعة عشر ألفا وسبعمائة لما خالف بنو اسرائيل فى عد هلاك

قورح وغيره • ونو لم يقيم هرون عليه السلام بين الموتى والأحياء ولم يستغفر القوم ، هلك أكل بغضب الرب سبحانه في هذا اليوم ، كما هو مخرج به في الاصحاح المذكور ، وكما أهلك خمسين ألفا وسبعين رجلا من أهل بيت الشمس على أنهم رأوا تابوت الله ، كما صرح به في الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول ، وتارة بارسال الحيات المؤذية كما وقع لبنى اسرائيل لما خانفوا موسى عليه السلام مرة أخرى ، فأرسل الله تعالى عليهم الحيات المؤذية ، فمات كثير منهم بلذنها ، كما صرح به في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر العدد ، وكما أهلك سبعين ألفا في يوم واحد زمن داود ، ففي سفر صموئيل الثاني في الاصحاح الرابع والعشرين : « فجعل الرب وباء في بنى اسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع وسبعون ألف رجل » وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا ألا ترى أن الحواريين الذين هم على زعم المسيحيين كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الاسرائيليين ومن تابوت الله ، وان قاتليهم عند المسيحيين أسوء من الكفار الذين في عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام • قد قتل نبيون الظالم المشرك الذى كان ملكا عن ملوك الروم الحوارى بطرس وزوجته ، وبولس وكثيرا من المسيحيين بأشد أنواع القتل ؟ وكذا قتل الكفار أكثر الحواريين وتابعيهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى لم يهلكهم بالاغراق • ولا بانزال كبريت وثار ولا بقلب مدن ولا بقتل أكبر أولادهم ولا بابتلائهم بالأمراض ولا بارسال الملك ولا بالحيات ولا بوجه آخر مما قتل به الظالمين السالفين •

الأمر الثانى : ان الأنبياء السابقين عليهم السلام أيضا جاهدوا الكفار وقتلوهم وسبوا نساءهم وذرايهم ونهبوا أموالهم • ولا تختص هذه الأمور بشريعة سيد الأنبياء محمد ﷺ كما لا يخفى على من طالع كتب العهدين ، ولهذا شواهد كثيرة نكتفى هنا على ذكر البعض منها :

في الاصحاح العشرين من سفر الاستثناء ما نصه : « واذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولا الى الصلح ، فان قبلت وفتحت

لك الأبواب فكل الشعب الذى بها يخلص ويكونون لك عبيدا يعطونك الجزية ، وان لم تعمل معك عهدا وتبتدىء بالقتال معك ، فقاتلها أنت وإذا سلمها الرب الهك بيدك اقتل جميع من بها من جنس الذكر بحد السيف ، وأما النساء والأطفال وأنبيائهم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك « وفى بعض نسخهم المطبوعة : « واقسم للعسكر الغنيمة بأسرها » ثم قال : « وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جدا • وليست من هذه : القرى التى ستأخذها ميراثا • فأما القرى التى تعطى أنت إياها فلا تستحيى بها نفسا البتة ، ولكن أهلكهم اهلاكا كهم بحد السيف ، الحبشى والأمورى والكتعانى والفرزى والحوارى واليابوسى كما أوصاك الرب الهك » انتهى •

فظهر من هذه العبارة أن الله تعالى أمر أن تقتل هذه القبائل الست بحد السيف ولا يستثنى منها الذكر والأنثى أو الطفل ، وأمر فيما عداهم أن يدعوا أولا إلى الإصلاح ، فان رضوا به وقبلوا الاطاعة وأداء الجزية فيها ونعمت ، وان لم يرضوا يحاربوا فإذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف وتسبى نساؤهم وأطفالهم وتنهب مواشيهم وودابهم وأموالهم وتقسم على المجاهدين • وهكذا يفعل بكل القرى التى هى بعيدة من قرى الأمم الست •

وهذه العبارة الواحدة من كتب أنبيائهم تكفى فى جوابهم والرد عليهم فى اعتراضهم الموهى الظاهر بطلانه لهم كالشمس فى ربعة النهار •

وقد نقل هذه العبارة كما نقلناها من عهدهم القدم علماء المسلمين سلفا وخلفا فى الرد عليهم لكتهم يتعاملون عنها ويسكنون كأنهم لم يروها فى كتبهم ولم يسمعوها من المسلمين ، ولا يجيبون عنها لعدم وجود جواب لا بالتسليم ولا بالتأويل ، وأو بالباطل كما هى عادتهم « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » ولا يصرون •

ومنها : ما في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد ما نصه :
« كلم الرب موسى وقال له : مر بنى اسرائيل وقل لهم : اذا عبرتم
الأردن وأنتم داخلين أرض قنعان فأبيدوا كل سكان تلك الأرض ،
واسحقوا مساجدهم واكسروا أصنامهم المنحوتة جميعها ، واعقروا
مذابحها كلها لتطهروا الأرض وتسكنوها من أجل أنى قد وهبتها لكم
ميراثا . واقترعوا عليها بالسهم الكثيرون أعطوهم الاوسع والقليلون
الأضيق كل واحد . أما يقع السهم هكذا يعطى الميراث . ثم ان أنتم لم
تبيدوا سكان الأرض ، فالذين يبقون منهم يكونون لكم كأوتاد في أعينكم
ورماح في أجنا بكم ويشقون عليكم في الأرض أنتى تسكنونها . وما كنت
عزمت أن أفعل بهم ، سأفعله بكم » .

ومنها : : ما في الاصحاح السابع من سفر الاستثناء : « أضربهم
حتى أنك لا تبقى منهم بقية ، فلا توائقهم ميثاقا ، ولا ترحمهم »
انتهى .

فعلم أن الله سبحانه أمر باملاك كل ذى حياة من الأمم المذكورة
وعدم رحمتهم وعدم المعاهدة معهم ، وشدد في ذلك حتى قال : « ان
لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت عزمت أن أفعله بهم » ومن المعلوم : أن
هؤلاء الأمم كانوا أكثر عددا وأشد قوة من بنى اسرائيل الذين كانوا
صالحين لمباشرة الحروب ، فيكون عددهم على ما يستفاد من كتب اليهود
والنصارى ثمانية كرورا ، أى ثمانين مئونا من ذى حياة .

ومنها : ما في الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج ما نصه :
« وسخط بنو اسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضة
وزهب وشيئا كثيرا من الكسوة ، فأما الرب فوهب نعمة لشعبه أمام
المصريين أن يعيروهم واستلبوا المصريين » انتهى فاذا كان عدد بنى
اسرائيل الكثير استعار رجالهم ونساءهم من المصريين هذا المال العظيم
وأجاز البارى سبحانه لهم السلب بحيلة الاستعارة ، التى هى فى
الظاهر حيلة وخديعة ، وتقدم لك أيضا الأمر بالجهاد والقتل والسبى .

وغير ذلك ، فلم لم يجز للنبي عليه الصلاة والسلام الجهاد وكسر الأصنام وأخذ الأموال وقسمتها على ما في كتاب الله تعالى ؟ فما الفرق بين موسى ومحمد عليهما السلام ودعوتهما واحدة ؟ فكل ما ثبتت به نبوة موسى عليه السلام ثبتت به نبوة نبيينا صلى الله تعالى عليه وسلم وله من المعجزات ما بنوف بها عليه كما تقدم ، وكذلك ما أبيح لموسى ولغيره من الأنبياء أبيح له عليه الصلاة والسلام ولا يكون في ذلك بدعا من الرسل عليهم السلام عند كل ذى لب وانصاف .

ومنها : ما في الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج في بحث عبادة بنى اسرائيل للعجل ما نصه : « فنظر موسى الشعب أنه قد صار عريانا انما عراه هارون لمار النجاسة ، وجعله عريانا بين الأعداء ، فقام في باب المحلة وقال : من كان من حزب الرب فليقبل الى ، فاجتمع اليه جميع بنى لاوى ، وقال لهم : هذا ما يقول الرب اله اسرائيل لاتبعد كل رجل منكم سيفه ، فبرجوزوا في وسط المحلة من باب الى باب ، وارقدوا وليقتل الرجل منكم أخاه وصاحبه وقريبه ، فصنع بنو لاوى كما أمرهم موسى ، فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل فقال لهم موسى : كلمتم أديكم يومكم هذا للرب ، الرجل منكم بابطه وبأخيه لتحل عليكم البركة ، فلما كان من الغد من ذلك اليوم كلم موسى الشعب وقال لهم : أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة فأما الآن فانى أصعد الى الرب لعلى أستطيع أتضرع اليه من أجل خطيئتكم فرجع موسى الى الرب ، وقال لهم ربى حقا لقد أخطأ هذا الشعب وارتكب اثما عظيما واتخذوا آية من ذهب ، فالآن ان أنت غفرت لهم هذه الخطيئة ، وإلا فامحنى من سفرك الذى كتبت . فقال الرب لموسى : من أخطأ الى فانى أمحوه من سفرى . فأما أنت فانطلق بهذا الشعب الى حيث قلت لك ، وملاكى ينطلق أمامك ، فأما أنا في يوم النقم أنبتهم أيضا بخطيئتهم هذه ، فضرب الرب الشعب لعبادتهم العجل الذى صنعه هارون » انتهى .

فقتل موسى ثلاثة وعشرين ألفا على عبادة العجل ، ولم تغفر لهم

هذه الخطيئة بالتوبة ، مع أنه في شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام
تقبل توبة المرتد • فانظر كيف كان ارساله عليه الصلاة والسلام رحمة
للعالمين • وما ذاك الا لحكم الالهية ومصالح مرضية •

وفي الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد : أن بنى اسرائيل
لما زنوا ببنيات موآب وسجدوا لآلهتن أمر الرب بقتلهم فقتلهم
موسى قتل أربعة وعشرين ألفا منهم •

ومن طالع الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد ، ظهر له أن
موسى عليه السلام لما أرسل اثنى عشر ألف رجل مع فثيحاس بن
العازار لمحاربة أهل مديان ، حاربوا وانتصروا عليهم ، وقتلوا كل ذكر
منهم والخمسة ملوكهم وبلغام وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم
كلها وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار فلما رجعوا غضب عليهم
موسى عليه السلام وقال : لم استحييتم النساء ؟ ثم أمر بقتل كل طفل
مذكر وكل امرأة ثيبة وأبقاء الأبقار ففعلوا كما أمر ، وكانت الغنيمة
من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفا ، ومن البقر اثنى وسبعين ألفا ،
ومن الحمير أحدا وستين ألفا ، ومن الأبقار اثنى وثلاثين ألفا وكان كل
مجاهد ما نهب من غير الدواب والانسان ، وأعطوا رؤساء المجاهدين
الذهب لموسى والعازار ستة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين مثقالا • وإذا
كان عدد النساء الأبقار اثنى وثلاثين ألفا فكم يكون مقدار المقتولين من
الذكور مطلقا شيوخا كانوا أو شبانا أو صبيانا ومن النساء الثيبات ؟

ومنها : أن يوشع عليه السلام عمل بعد موت موسى عليه السلام
على الأحكام المتدرجة في التوراة فقتل المليونيات الكثيرة • ومن شاء
فليلاحظ هذا الحال في سفره من الاصحاح الحادى عشر • وقد صرح
في الاصحاح الثانى عشر من كتابه أنه قتل أحدا وثلاثين سلطانا من
سلطين الكفار ، وتسلب بنو اسرائيل على مملكتهم •

ومنها ما في الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى ونصه :

« فجمع داود كل الشعب وسار الى رابة فحارب أهلها وفتحها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه وكان وزنه قنطارا من الذهب ، وكان فيه جواهر مرتفعة وضعوه على دؤاد ، وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جدا ، والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير ، وداسهم بموارج حديد وقطعهم بالسكاكين ، وأمرهم في آتون الأجر ، وهكذا صنع بجمع مدن بني عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم » انتهى بحروفه .

فانظروا كيف قتل داود عليه السلام بني عمين قتلا شنيعا وأهلك جميع الثرى بمثل هذا العذاب العظيم الذى لا يتصور فوقه ؟

ومنها : ما فى الأصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول : أن إيليا عليه السلام ذبح أربعمئة وخمسين رجلا من الذين يدعون أنهم أنبياء البعل .

ومنها : غير ذلك تركناه خشية سامة القارئ ، من أراد فليرجع الى كتب العهد القديم .

والعجب : أن صاحب ميزان الحق وغيره من علماء البروتستانت يقولون : أن جهاد داود عليه السلام كان لأجل السلطنة والمك ، وهذا مع أنهم يؤمنون بكافة أنبياء بنى إسرائيل وبكتبهم طعن فى داود عليه السلام الذى هو مسلم النبوة عندهم ، وأنه بزعمهم الباطل والد الههم عيسى عليه السلام ، لأنهم يقولون الهنا عيسى بن داود ، ثم ينسبون لداود قتل النفوس لأجل السلطنة مع أننا لو عرضناه كان لأجل السلطنة فلا يخاو اما أن يكون مرضيا لله تعالى وحلالا أو غير مرضى ، بل حراما ومبغوضا له سبحانه ، فان كان الأول ثبت مطلوبا ، وان كان الثانى لزم كذب قوله ، ولزم أن يكرن دماء ألوف من المعصومين غير واجبي القتل فى ذمته ، ودم البرىء الواحد يكفى لهلاك المقاتل ، فكيف تحصّل له النجاة الأخروية ؟ مع ما ورد فى العهد القديم من أن القتلتين نصيبهم فى البحيرة الموقدة بانتار والكبريت وحاشا داود أن يكون كذلك . وقد

عد داود عليه السلام جهاده من الحسنات حيث قال في الزبور الثامن عشر ما نصه : « ويجازيني الرب مثل برى ، ومثل طهارة يدي يكافئني ، لأنني حفظت طرق الرب ، ولم أكفر باللهي لأن جميع أحكامه قدامي ، وعدله لم أبغده عنى وأكون معه بلا عيب لأنه حفظني من اثمى ويجازيني الرب مثل برى ، ومثل طهارة يدي قدام عينيه » انتهى •

وقد شهد الله سبحانه أن جهاده وسائر أفعاله الحسنه كانت مقبولة عنده تعالى كما في الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول ما نصه : « داود عبدى الذى حفظ وصاياى وتبعنى من كل قلبه ، وعمل بما حسن أمامى » انتهى •

فالمسلمون — والحمد لله — يعتقدون أن جميع ما فعله الأنبياء عليهم السلام في جهادهم كان من جنس البر لا من جنس الاثم ، وكان صادرا عن قوة ايمان ونيل مواعد الرحمن ، ولم يصدر عن هوى نفس أو قساوة قلب جنان ولم يكن ما فعلوه ظلما للنساء والأطفال ، ولا حبا للملك والمال ، بل اتباعا لأمر ذى الجلال الذى لا يسئل عن فعل من الأفعال هو العالم بأحوال العبيد في البدأ والمآل •

الأمر الثالث : لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة في الشريعة السابقة باقية في الشريعة اللاحقة بعينها بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية باقية في شريعة واحدة من أولها الى آخرها بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين كمسألة الختان ، فان حكمه كان أبديا في شريعة ابراهيم كما صرح به في الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، وبقي في شريعة موسى عليه السلام وختن عيسى عليه السلام كما صرح به في الاصحاح الثانى من انجيل لوقا ثم نسخه الحواريون في عهدهم ، كمسألة تعظيم السبت كان حكما أبديا في الشريعة الموسوية ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، ومن لم يحفظه كان واجب القتل ، وكمسألة الحيوانات المأكولة وغيرها مما سنذكره ان شاء الله تعالى في بحث جواز النسخ

والمقصود هنا : أن الجهاد كان مشروعا في الشريعة الموسوية على طريق هو أشنع أنواع الظلم عند منكرى النبوات ، ولم تبق مشروعيته في الشريعة العيسوية ، وما كان بنو اسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم من مصر ، وانما أمروا به بعد الخروج ، وعيسى عليه السلام سوف يتنكّل الدجال وعسكره بعد نزوله كما صرح به في الاصحاح الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي وفي الاصحاح التاسع عشر من المشاهدات •

وكذا لا يشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والمعصاة على طريقة واحدة كما علمت في الأمر الأول ، فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحى أن يعترض في مثل هذه الأمور على شريعة من الشرائع الالهية ، فلا يجوز له أن يعترض على ما قدمنا ذكره من أنواع الهلاك •

نعم من لا يكون معتقدا بالنبوة والشرائع ويكون ملحدا وزنديقا ويحكم عقته الفاسد ورأيه الكاسد وينكر أمثال هذه الأمور ، لم يستبعد منه الانكار على الأتبياء عليهم السلام في جهادهم وأنواع اهلاكهم لمن كفر بخالقه سبحانه وتعالى وجدّد نبوة أنبيائه وارسل رسله وخالف أوامره ولم يجنب عن مناهيه ، فلا كلام لنا معه في هذا الكتاب ، اذ كلامنا فيه مع أهل الكتاب ولا سيما علماء البروتستنت والله تعالى الهادي الى الصواب •

الأمر الرابع : ان علماء البروتستنت يشيعون أراجف كاذبة ويوهون على الجهاد منهم بأقوال غير صائبة ويذيعون أن دين الاسلام انما صار بالسيف وهام بالسهام ، ولولا الخوف والتجبر والعلبة والقهر لما اتبع المصطفى أحد ولا آمن به من غير أهل بيته فرد ولا وحد • وهذا زور صرف وبهتان وقول تكذيبه الأخبار والوجدان • فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بالقتال الا بعد الهجرة ، مع أنه قد آمن به من أهل مكة ومن أهل المدينة جم غفير قبل الهجرة حتى أن قسيسهم المدعو « سيل » مترجم القرآن قال في نسخته المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « قلما يخرج بيت من بيوت المدينة أن لا يوجد فيه مسلم من أهله قبل

الهجرة » ثم قال : « ومن قال ان الاسلام شاع بقوة السيف عقط فقوله تهمة صرفة لأن بلادا كثيرة ما ذكر فيها اسم السيف أيضا ، وشاع فيها الاسلام » انتهى •

ومن راجع تراجم الصحابة وكتب السير يعلم أن كثيرا من الناس والقبائل أسلموا بالرغبة والطوع ، وأسلم على يدهم أيضا طوائف كثيرة ممن لم يحارب ولم يقاتل ولم يخف فمن ذلك أن أبا ذر أسلم هو وأخوه أنيس وأمهما في مبدأ الاسلام فلما رجعوا الى قبيلتهم أسلم نصف قبيلة غفار بدعوة أبي ذر وهاجر في السنة السابعة من النبوة من مكة الى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة • وقد بقي في مكة أيضا أناس من المسلمين • وكذلك أعلم نحو عشرين رجلا من نصارى نجران وقصبتهم مشهورة وكذا أسلم ضماد الأزدى قبل السنة العاشرة من النبوة وأسلم الطفيل بن عمرو الدوسى قبل الهجرة ، وكان شريفا مطاعا في قومه ، وأسلم أبوه وأمه بدعوته بعد ما رجع الى قومه ، وكذا قبيلة بنى الأشهل رجالا ونساء أسلمت كلها في يوم واحد ، حينما وعظهم قبل الهجرة مصعب ، وكانت قد تواترت لهم منجزات انبى عليه الصلاة والسلام وبعد اسلامهم كان مصعب رضى الله تعالى عنه يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار الا ما كان من دور عوالى المدينة أى قراها من جهة نجد •

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة أسلم بريدة الأسلمى مع سبعين رجلا من قومه في طريق المدينة طائعين • وأسلم الأنجاشى ملك الحبشة قبل الهجرة ، ووفد أبو هند وتميم ونعيم وأربعة آخرون من الشام ، وأسلموا قبل الهجرة ، وهكذا أسلم بالطوع والحب التمام جماعات كثيرة يضيق وقتنا وكتابنا هذا عن ذكرهم • ثم ان الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته وفي أيام الخلفاء الراشدين دخلوا راغبين بعدهم الى حالنا هذه وزماننا هذا لازالوا داخلين بالرغبة التامة والمحبة الكاملة في دين الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس والهنود وعباد الأصنام من غير سيف

ولا حرب وكثير من أتباع الدول الأجنبية البعيدة حتى أن الجرائد الأجنبية المحررة في هذه السنة يذكر فيها عدة من أسلم في هذه الأعصار ألوفاً كثيرة •

من ذلك ما حرره في جريدة تايمس وغيرها من جرائد الأفرنج ما ألفظه المعرب : « قد تبين أن ستة ملايين من النفوس اهتدوا للإسلام وخرجوا عن المجوسية في الهند ، نظراً لتحرير النفوس المجرى سنة ألف وثمانمائة واحد وسبعين سنة إحدى وثمانين » ونقل أيضاً في جريدة الطريق المحررة في هذه السنة الخامسة بعد الثمانمائة وألف هجرية عن جرائد أوروبا أن من عادة رهبان الإنكليز أن يعقدوا جمعية في كل سنة بعنوان « قونصره جرج » أي مؤتمر الكنيسة وتباحثوا فيها عن الأمور المذهبية وقد عقدت هذه الجمعية في هذه الأيام فقراً فيها رجل من رهبانهم يسمى « كتون ازاك طيلر » خطبة بخصوص ترقى الدين الإسلامي • وهى أن الدين الإسلامى ينتشر في قسم عظيم من الكرة الأرضية بتوفيق زائد الحد بالنسبة الى الدين المسيحى ، والذين يدخلون في الدين الإسلامى من المجوس أكثر من الذين ينتصرون منهم ، والإسلام يزداد بدرجة خارقة للعادة في أفريقيا كما أنه انتشر من فاس ومراكش الى جاوى ومن زنجبار الى بلاد الصين ، ومع أن بلاد من البحر المتوسط الى خط الاستواء جميعها من البلاد الإسلامية ، ترى الدين الإسلامى يتقدم تقدماً سريعاً في جنوب أفريقيا أيضاً لأنه مر من الصحراء الكبيرة واستوى على بحيرات أفريقيا وما جاورها من الأقطار وأهالى تومبوكتو وجاوى وسنغال وغائيتا وسواحل نهر ينك ونهر النيل ودار فور والسودان وما جاورها جميعهم مسلمون •

وقد انتشر الإسلام أيضاً في سواحل نهرى الكونغو وزائيرى وما جاورهما من الأقطار حتى أن حكومة أوغندا التى جميع رعاياها من الزنج والمجوس قبلت في هذه الأيام الأخيرة أن تعتنق الدين الإسلامى ، أيضاً والأورباويون الموجودون في الهند يخدمون ترقى الدين الإسلامى ، مع أنهم يجتهدون بإلغاء المذهب المجوسى تدريجاً • وفى هندستان من

النفوس مائتان وخمسون مليوناً منهم مسامون • وأما في أفريقيا أكثر من نصفهم مسلمون أيضاً • وينبغي أن نعترف أن الدين الاسلامي يخدم التقدم ويحث على محاسن الأخلاق ويأمر بالانصاف بفضائل جليلة كالعدل ، الطهارة والعفة والحق والشجاعة ، الصدقة والسخاء واکرام الضعيف والصدق والتناعة ، وهذه الفضائل توافق مشارب أقوام أفريقيا موافقة تامة ، حال كون المذاهب البروتستانتية لم ينجح في أفريقيا أصلاً • وإباحة تعدد الزوجات والأسر أصبحت في المذهب الاسلامي في حالة ترضى لأن الشريعة الاسلامية توصي بالرفق بالأسارى ونحض على عتقهم وبسبب إباحة تعدد الزوجات قد انتفى الاعتقاد على اسقاط الأجنة من بطون الزوجات ، وغدت كل النساء تحت أزواج يحموهن •

ومن فوائد تعدد الزوجات عدم الانكباب على الزنا في البلاد الاسلامية الذي يسود وجوه البلاد انصرانية وكان إباحة تعدد الزوجات من أصل الشريعة عندهم لا يرى فيه ذل على النساء ، كما أنه لا يضر بالرجال أيضاً ، وبناء عليه لا وجود في البلاد الاسلامية للمحلات المعدة للفسق ، التي لا تثار بلدة من أوروبا عنها •

والخلاصة : المساعي المصروفة بدعوة أهل أفريقيا للمذهب المسيحي ذهبت سدى • والذي نرى أن الشريعة الاسلامية لا محل للاعتراض عاينها انتهى بحروفه •

فانظر كيف أنطق الله تعالى هذا التفسير في بلادهم في هذه التجمعة العظيمة المخصصة لهم بهذا الكلام الحق وأنطق الصدق « يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » وهذه البلاد التي ذكرها القدس وهي أن دين الاسلام دخلها يعني من أيام قريية ، ولم يقصد البلاد التي دخلها الاسلام من السابق في غابر الزمان كما لا يخفى •

فيقال لهذا المصنف عبد المسيح : هل أسلمت هذه البلاد التي ذكرها القس بالسيف أم أسلمت بطوعها واشتياقها الى الدخول في دين الاسلام ؟ فالحمد لله تعالى على ذلك • نعم ان نبينا عليه الصلاة والسلام يقال له نبي السيف لأن قبله عيسى عليه السلام لم يك مأمورا بالقتال والجهاد ، بل كان مأمورا بالدعوة الخالصة للعباد ، وشرعة نبينا كشرعة كثير من الأنبياء في أمر الجهاد • وسنبين المحكم في ذلك في الأمر الخامس ان شاء الله تعالى لكننا الآن نذكر شيئا قليلا من فعل النصارى وجبرهم لغيرهم على اتباع ملتهم ومذهبهم ، فيستدل به على مخالفتهم للمسيح وقساوة قلوبهم ، وأنهم يعترضون على المسلمين في أمر الجهاد ، مع أنهم يفعلون أشياء هم تفعلها ارم ذات العماد • فهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون •

فأما فعلهم بالمسلمين في الأندلس وغيرها قديما وحديثا وجبرهم لهم على التنصر وقتلهم لهم على ذلك بأشنع ما يتصور ، فأشهر من أن يذكر ، وقد ملئت منه بطون الدفاتر في زماننا هذا وفي الغابر ، وكل من طالع التراخيخ يعرف ذلك •

ملكتنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح غير أنا الآن ننقل من كتبهم ما فعلوه في اليهود ، وما فعله الكاثوليك بالبروتستنت وما فعله البروتستنت بالكاثوليك • وكيف قتل بعضهم بعضا •

ففي كتاب كشف الآثار في قصص بنى اسرائيل لتفسييس مريك المطبوع سنة ١٨٣٦ ميلادية الموافقة سنة ١٢٦٧ هجرية في الصحيفة السابعة والعشران ما لفظه : « القسطنطين الأعظم الذي كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة قريبا أمر بقطع آذان اليهود واجلاهم الى أقاليم مختلفة ، ثم أمر ملك الملوك الرومي في القرن الخامس من القرون

المسيحية باخراجهم من البلدة الاسكندرية ، التى كانت مأمّنهم من مدة • وكانوا يجيئون اليها من كل جانب ، فيستريحون فيها ، وأمر بهدم كنائسهم وعدم قبول شهادتهم ، وعدم نفاذ الوصية ان أوصى أحد منهم لأحد فى ماله • ولما ظهر منهم بغارة ما لأجل هذه الاحكام نهب جميع أموالهم ، وقتل كثيرا منهم ، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هذا الاقليم •

ثم قال فى الصحيفة الثامنة والعشرين : « أن يهود البلاد انطيوخ لما أسروا بعد ما صاروا مغتوبين ، قطع أعضاء البعض وقتل البعض وأجلا الباقين منهم كلهم ، وظلم ملك الملوك فى جميع مملكته على هؤلاء المساكين بأنواع الظلم ، ثم أجلاهم من مملكته أخيرا لأمر وهيج ولاية الممالك الأخرى ، على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة ، فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم من آسيا انى أقصى حنود أوربا ، ثم بعد مدة قليلة كلفوا فى مملكة اسبنيول لقبول شرط من شروط ثلاثة وهى : أن يقبلوا الملة المسيحية فان أبوا عن قبولها يكونون محبوسين ، وان أبوا عن كليهما يجلبون من أوطانهم وصارت مثل هذه المعاملة معهم فى ديار فرانس فهؤلاء المساكين كانوا ينتقون من اقليم الى اقليم ولا يحصل لهم موضع القرار ولم يحصل لهم الأمن فى آسيا الكبير أيضا ، بل قتلوا فى كثير من الأوقات كما قتلوا فى ممالك الافرنج » •

ثم قال فى الصفحة التاسعة والعشرين : « ان أهل ملة الكاثوليك كانوا يظلمونهم لاعتقاد أنهم كفار ، وعظماء هذه الملة عقدوا مجلسا للمشاورة وأجروا عليهم عدة أحكام : الأول : من حمى يهوديا على ضد مسيحي يكون ذا خطأ ويخرج عن الملة • والثانى : أنه لا يعطى اليهودى منصبا فى دولة من الدول • والثالث : لو كان مسيحي عبد يهودى فهو حر • الرابع : لا يأكل أحد مع اليهودى ولا يعامله • والخامس : أن ينزع الأولاد منهم ، وتربى فى الملة المسيحية وهكذا كانت أحكام أخر » •

فصل

واذا عرفت حال ظلمهم لليهود خصوصا ، وفي حق المسلمين عموما ، وما فعلوا بهم عند تسلطهم على بيت المقدس وتسلطهم على بلاد المغرب والأندلس وغيرها مما فصلته التواريخ في ذلك • فنذكر الآن نبذة يسيرة مما فعله الكاثوليك بالنسبة إلى غيرهم من المسيحيين ، عن كتاب من كتبهم مسمى بثلاث عشر رسالة الذي طبع في بيروت سنة ١٨٣٩ من الميلاد باللسان العربى فقد قال في الصفحة الخامسة عشرة ما لفظه : « أما الكنيسة الرومانية فقد استعملت مرات كثيرة الاضطهادات والطرود المزعج ضد البروتستانت في ممالك أوروبا ويظن أنها أحرقت في النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفا من الذين آمنوا بيسوع دون البابا ، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها ، هدى وارشادا لايمانهم وأعمالهم • وقد قُتلت أيضا منهم ألوف وربوات بحد السيف والحبوس والكلبتين وهى آلة من حديد لتخليع المفاصل بالجذب وأقطع العذاب المتنوع • ففى فرانس قتل في يوم واحد ثلاثين ألف رجل • وذلك في اليوم الملقب مار برتولماوس • وعلى هذا الأسلوب أذياها مختصة بدماء القديسين » انتهى •

وفي الرسالة الثانية عشر من الكتاب المذكور ما لفظه : « وجد قانون وضع في المجمع الملتئم في توليد وفي سبانيا يقول : اننا نضع قانونا أن كل من يقبل الى هذه المملكة فيهما بعد ، لا نأذن له أن يصعد الى الكرسي ، ان لم يحلف أولا أنه لا يترك أحدا غير كاثوليكي يعيش في مملكته ، وان كان بعد ما أخذ الحكم يخالف هذا العهد ، فليكن محروما قدام الاله السرمدى وليصر كاثوليك لل نار الأبدية » وفيها أيضا يقول وفي سنة ١٧٧٤ وضع الملك لويس الحادى عشر ثمانية عشر قانونا أولها : اننا نأمر الديانة الكاثوليكية وحدها تكون مأذونة في مملكتنا • وأما الذين يتمسكون بديانة أخرى ، فليذهبوا الى الاعتقال طول حياتهم ،

والنساء فلتقطع شعورهن ويحبسن الى الموت • وثانيها : اننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية والذين عملوا ومارسوا عبادة مخالفة لها ، يعاقبون بالموت • وفي سنة ١٦٨٦ تجددت الاضطهادات عليهم في أوربا بيد مونت لان الملك لويس الرابع عشر ، بإشارة من البابا تقدم اليه بجيشه ، وهم في بروتهم بغاية الظمأنينة فذبح العسكر خلقا كثيرا منهم ، ووضعوا في الحبس أكثر من عشرة آلاف ، فمات أكثرهم من الزحام والجوع • والذين ساءوا أخرجوهم لكي ينزحوا من تلك البلاد • وكان ذلك اليوم شديد البرد والأرض مغطاة بالثلج والجليد • فكان كثير من الأمهات والأودهن في أحضانهن موتى على جانب الطريق من البرد » انتهى •

وقد ذكر أمثال ذلك وأشد حالا تركناه خشية التحويل واذا عرفت حال ظلم فرقة الكاثوليك فاعلم أن حال ظلم فرقة البروتستنت قريب منه ، وننقل بعض ما عملوه من كتاب مرآة الصدق الذي ترجمه القسيس طامس انكلي من علماء الكاثوليك من اللسان الانكليزي الى لسان أورد وأى الهندي سنة ١٨٥١ من الميلاد في الصفحة الحادية والأربعين ما لفظه : « سلب البروتستنت في ابتداء أمرهم ستمائة وخمسة وأربعين رباطا وتسعين مدرسة وألفين وثلثمائة وستة وسبعين كنيسة ، ومائة وعشر مارستانات من ملاكها ، فباعوها بثمن بخس وقسمها الأمراء فيما بينهم ، وأخرجوا ألوف من المساكين المفلوكين عريانين من هذه الأمكنة » ثم قال في الصفحة الثمانية والخمسين ما لفظه : « فنلاحظ الآن أفعال الجور التي فعلها البروتستنت في حق فرقة الكاثوليك الى هذا الحين أنهم قرروا أزيد من مائة قانون كلها خلاف الرحمة والعدل لأجل الظلم • ونحن نذكر بعضها : لايرث كاثوليكي تركة أبويه ولا يشتري أحد منهم أرضا بعد ما تجاوز عمره ثمانى عشرة سنة الا أن يصير بروتستانتيا ولا يكون لهم مكتب • ومن كان من هذه الملة يؤدي ضعف الخراج ، وان صلى أحد من قسوسهم فعليه أداء ثلثمائة وثلثين ربة من ماله ، وان أرسل أحدهم ولده خارج انكلترا لتعلم ، يقتل هو

وولده ، وتسلب أمواله كلها • ومن لم يحضر منهم يوم الأحد في كنيسة البروتستنتت تؤخذ منه مائتا ربية في كل شهر ، ولا تنفذ أنكحتهم ولا تجهز موتاهم . ولا تعتمد اولادهم . الا اذا كانت هذه الأمور على طريقة كنيسة انكلترا • ثم صدر الحكم ان لم يصيروا كلهم بروتستنتت يسجنون ، ثم يجلبون من أوطانهم مدة حياتهم » •

ثم قال في الصفحة الحادية والثستين الى السادسة والسستين ما لفظه : « حمل كثير من رهبانهم وعلمائهم بأمر الملكة أليصابات في المراكب ، ثم أغرقوا في البحر وجاء عسكرها الى ايرلاند ليدخلوا أهل الكاثوليك في ملة البروتستنتت ، فأحرقوا كنائس الكاثوليك وقتلوا علماءهم وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية ، وكانوا لا يؤمنون أحدا ، وان آمنوا أحدا قتلوه أيضا بعد الأمان وذبحوا العسكر الذى كان في حصن سمروك وأحرقوا القرى والبلاد ، وأفسدوا الحبوب والمواشى ، وأجلوا أهلها » •

ثم قال : « ان البروتستنتت يجمعون في كل سنة مقدار مائتى ألف وخمسين ألف ربية وكراء أكثر المكنات الكبيرة ويشترون بها أولاد فرقة الكاثوليك الذين هم من المساكين المفلوكين ، ويرسلونهم في العربيات الى اقليم آخر بالخفية ، لئلا يرى أبائهم وأمهاتهم ويقع كثيرا أن هؤلاء الأشقياء اذا رجعوا الى أوطانهم تزوجوا بأخواتهم وأمهاتهم للجهل وعدم الامتياز » انتهى •

وقد أظن في ذكر جورهم على فرقة الكاثوليك اكتفيننا على هذا القدر ، اذ البعرة تدل على البعير •

فاذا أحطت خبرا ببعض ما فعله الفرقة الكاثوليكية من النصارى بالفرقة الأخرى منهم المسماة البروتستنتت بالكاثوليكية وما فعله عموم النصارى بالمسلمين في بيت المقدس ، وفي بلاد الأندلس وفي غير ذلك من بلاد المسلمين من القتل والنهب والجور الذى لا يخطر في فكر انسان ، علمت شفقة المسلمين ورحمتهم على كافة المذاوقين ، بأى لارجة من الرحمة

والانصاف ، وعلمت أن طعن النصارى على المسلمين في مسألة الجهاد ظلم واعتساف . فتأمل الحق واتبعه ، أثلا تحيف مع من حاف ، والله سبحانه ولى الألفاظ .

الأمر الخامس : ان حكم الجهاد في الشريعة الأحمديّة هو أن يدعى الكفار أولا بالموعظة الأحسنه الى الاسلام ، فان قبلوه فيها ونعمت ويكونون مثلنا وأن لم يقبلوا فان كانوا من مشركى العرب فحكمهم القتل كما كان مثل هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبعة ، والمرتد والذابح للأوثان والداعى الى عبادتها . وان كانوا من غيرهم يدعون الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة ، فان قبلوا فتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، وان لم يقبلوا فيحاربون مع مراعاة الشروط الصرح بها في الكتب الفقهيّة ، كما كان مثله في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبعة المتقدم ذكرها . ولا تقتل النساء ولا الأطفال بل يؤسرون ولا يحرقون بالنار ولا يمثل بهم ولا يعذبون بأنواع العذاب .

والخرافات والأكاذيب والمفتريات والهذيان التي نقلتها علماء البروتستنت في هذه المسألة لا يلتفت اليها لأن كتب المسلمين والحمد لله تعالى منشورة في البلدان والأحكام الالهية معلومة من القرآن والأفعال النبوية مسطورة في هذا الشأن ، وعمل الصحابة وكتبهم مثبتة في غير ديوان . فكيف يروج الزور والبهتان ، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان شديدا في الاسلام وكان جهاد الشام من أعظم فتوحاته وكان حاضرا بنفسه عند محاصرة اليناء ، ولما تسلط على ايلياء وقبل المسيحيون الجزية ما قتل أحدا ولا اكراه على الايمان بالله ورسوله فردا واشترط عليهم شروطا حسنة . وهذا بخلاف النصارى عند استيلائهم عليها سنة ١٠٩٩ مسيحية وقد اعترف بذلك مؤرخوهم ومفسروهم أيضا فقد قال طامس نيوتن في تفسيره المطبوع سنة ١٨٠٣ في بلدة لندن في الصفحة الخامسة والسنتين من المجلد الثاني في بيان تسلط أهل التثايت على اورشليم هكذا : فتحو اورشليم في الخامس عشر من شهر تموز الزومى سنة ١٠٩٩ بعد ما حاصروها خمسة أسابيع

وقتلوا غير المسيحيين • فقتلوا أزيد من سبعين ألفا من المسلمين ، وجمعوا اليهود وأحرقوهم ، ووجدوا في المساجد غنائم عظيمة » انتهى •

والفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسألة الجهاد أن الشريعة المحمدية يدعى الكافر فيها أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام بخلاف الشريعة الموسوية ، وظاهر أن الدعوة الى الايمان قبل القتل هي عين الانصاف • ففي الآية الحادية عشرة من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر حزقيال ما نصه : « يقول الرب الاله : است أريد موت المنافق بل أن يتوب المنافق من طريقه » •

والثاني : انه كان حكم النساء والصبيان المقتل اذا كانوا من الأمم السبعة في الشريعة الموسوية ، بخلاف الشريعة الأحمدية ، فان هؤلاء لا يقتلون وان كانوا من مشركي العرب ، كما كانوا لا يقتلون في الشريعة الموسوية أيضا اذا كانوا من غير الأقوام السبعة •



الفصل الثالث : اذا تمهدت هذه الأمور الخمسة فنقول : لا شناعة

في مسألة الجهاد الاسلامي نقلا وعقلا • أما نقلا فلما عرفت في الأمور المذكورة وأما عقلا فلأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن اصلاح القوة النظرية مقدم على اصلاح القوة العمالة ، فاصلاح العقائد مقدم على اصلاح الأعمال وهذه مقدمة • سلامة عند كثرة الميئين • ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الايمان عندهم ، ولا يعافينا المسيحيون أيضا في هذه الباب ، لأن الاعمال الصالحة بدون الايمان بالمسيح لا تنجي عندهم أيضا ، وأن الاجواد الحارم المتواضع الكافر يعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان قد يتنبه على خطئه وتبجه بتنبه الغير وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان لا يطيع الحق غالبا لأجل وجهة قومه وشوكتهم ولا يصغى الى قول رجل من صنف

آخر بل يأنف من سماع كلامه ولا سيما اذا كان هذا القول مخالفا لطبائع
صنفة وأصولهم ، ويكون في قبوله مشقة في أداء العبادات البدنية
والمالية بخلاف ما اذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم ، فلا يأنف من
الاصغاء •

وكذا قد ثبت بالتجربة أن العدو اذا رأى أن مخالفه مائل الى
الدعة وانسكون يطمع في التسلط على مملكته ، وهذا هو السبب الأغلب
في زوال الدول القديمة ، وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين
والديانة ، ولذلك اضطر المسيحيين كافة الى ما يخالف انجيلهم المتداول •
فقال الكاثوليكيون : ان الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقي على كل
مسيحي بواسطة الاعماد ، لكون كل معتمد خاضعا للكنيسة الرومانية
ومرؤسا منها ، وهي ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية
وبأن تسلم للمصرين على ضلالهم والمضرين للجمهور الى ذوى الولاية
ليعاقبوههم بالموت • وبالتالي يمكنها الزامهم بحفظ الايمان الكاثوليكي
والشرائع الكنائسية تحت أى قصاص كان » انتهى •

وقد نقله عنهم صاحب الرسائل الثلاثة عشر من علماء البروتستنت
في الرسالة الثالثة عشر • وقال علماء البروتستنت من أهل انكلترا :
« سعادة الملك له الحكم الأعلى في مملكة انكلترا هذه ، وله ولاياته
الأخر وله السلطنة الأولى على جميع متعلقات هذه المملكة ، سواء
كانت كنائسية أو مدنية في كل حال ، وما هي خاضعة ، بل لا يصح أن
تخضع لحاكم أجنبي ، ويجوز للمسيحيين أن يتقلدوا السلاح بأمر الحكام
ويبشروا الحروب ، كما هو مصرح به في العقيدة السابعة والثلاثين من
عقائد دينهم » •

فترك كلا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام وهو « لا
تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر ، وان أراد
أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فانترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا
واحدا فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه » انتهى •

فان هذه الأقوال تخالف ما مهدوه •

واذا ثبت ما ذكرناه فلا شك في استحسان الجهاد عقلا ، اذا كان جامعا للشروط المذكورة في الكتب الشرعية المحمدية ، ومن تدبر ما سردناه ونبذ العصبية الجاهلية وراءه ، علم أن التشدد في مسألة الجهاد وقتل المرتد والمرغب الى عبادة الأوثان في الشريعة الموسوية أشد وأكثر من التشدد الذي في الشريعة الأحمديّة ، وتبين له أن طعن المسيحيين خلاف ، واعتراضهم أوهى من بيت العنكبوت ، وجوابنا أقوى من جبل قاف •

والعجب منهم أنهم لا ينظرون الى أسلافهم الذين أشاعوا ملتهم بالظلم والجور ، وكيف قرروا القوانين التي كلها حور بعد الكور ، ولم يمثلوا قول المسيح الذي نقل متى في الاصحاح السابع من انجيله وهو : « لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك ، وأما الخشبة التي في عينك فلا تقطن لها ؟ أم كيف تقول لأخيك : دعني أخرج القذى من عينك ، وما الخشبة في عينك ؟ يا مرأى أخرج الخشبة أولا من عينك ، حينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك » • ولقد أحسن القائل :
واعجزا المرء مع علمه ••• ان ليالى عمره ساراه
يبصر في عين أخيه القذى ••• ولا يرى في عينه الساريه

ولنرجع الى ما نحن بصدده فقد طال الكلام وان كان ما بقى تضيق عنده الأرقام ولعل لنا عودة الى هذا البحث ان شاء الله تعالى •

قال النصراني : « ثم لم ينزل كتابك أن وجد التورم الذين خرج في طلبهم في صنف استاق غيرهم ، وأخذ تجرّتهم وقتل من أمكنه قتله من رجالهم ، وان إفاهم وهم في منعة وثورة اندأز عنهم ، وولى هاربا الى أن مات فكانت مغازيه بنفسه سستا وعشرين غزوة ، سوى السرايا التي كانت تخرج في الليل والسوارى الخارجة نهرا ، والبعوث قاتل منها في تسع غزوات ، والباقية كان يبعث فيها أصحابه •

ثم أعجب من هذا في قبح الأحداث والشناعة في الفعل والفظاظة ،

توجيهه الى واحد واحد يقتله بالغيلة كتوجيهه عبد الله بن رواحة
لقتل أسير بن دارم اليهودى بخيبر ، فقتله غيلة ، وكبعثه سالم بن عمير
العمري وحده الى أبى عنك اليهودى وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله
بالغيلة ، ليلا وهو نائم على فراشه آمننا مطمئنا • واحتج بأنه كان
يعيبه •

فأعلمنا — أكرمك الله — فى أى كتاب قرأت هذا ؟ وأى ونهى نزل
عليه به ؟ ومن أى حكم حكم على من أعاب أن يقتل ؟ فقد كان فى نأديب
هذا الشيخ على ذنبه شيء دون القتل ، وخاصمة ليلا وهو نائم مطمئن
آمن على فراشه • فإن كان أعابه بما كان فيه فقد صدق ، وليس يجب
على من صدق قتل ، وإن كان كذب عليه فى قوله فليس يجب على من
كذب القتل ، بل يؤدب لئلا يعود •

وأنت تعلم — أصلحك الله — أنه ما ساغ لأحد أن يؤذى الطير
فى وكرها ليلا وهى آمنة مطمئنة ، فكيف انسان يبعث اليه من يقتله
وهو على فراشه لأنه كان يعيبه ؟ ألم يكن دون القتل شيء آخر •

أما فى أحكام الله فلا نجد هذا مطلقا لأحد ، ولا فى أحكام العقل
والطبيعة ، بل هذا لعمري فعل الشيطان قديما بآدم وذريته منذ نزل
به ما نزل ، فأين قواك — أصلحك الله — أنه بعث بالرحمة والرفقة الى
الناس كافة • وأما بعثه لعبد الله بن جهش الأسدى الى نخلة وهو
بمستان ابن عامر فى اثنى عشر رجلا من أصحابه ليأتيه بأخبار قريش ،
فقتلوا به عمرو بن الحضرمى فى غير قريش وتجارة قد أقبل بها من
اليمن ، فقتلوا عمرا واستاقوا العير الى المدينة ، فلما وردوا أخرج
عبد الله بن معش ما أثار عليه هو وأصحابه الخمس فدفعه اليه ،
فهذا لا أقول أنه حلال أو حرام ، حتى اذا ما نظر فيه الصادق يقول
ما يوجب العدل والانصاف • وكذلك ما فعل فى قينقاع حيث صار اليهم
بغير فئب ولا علة الا الرغبة فى أموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على
حكمه ، واستأهبهم منه عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له ، وأخرجهم

إلى أذرع ، بعد أن أخذ أموالهم فقسّمها بين أصحابه • وأخذ هو
الخمس قائلاً : هذا ما أفاء الله على نبيه ، فليت شعري كيف طاب له
هذا ؟ وبماذا استحل أن يأخذ أموال قوم لم يؤذوه ، ولم يكن بينهم
وبينه غل وإنما استضعفهم وكأثوا كثري الأموال ؟ فما هكذا تفعل
الأنبياء ولا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وغير هؤلاء ممن لا أحب
تطويل كتابي بذكرهم ، فيمل منه القارئ ويسأمه • وفيما وصفنا
كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه « انتهى •

فأقول : ان أجوبة هذه الكلمات الساقطة عن حيز القبول تستفاد
من مفصل ما سبق في أمر الجهاد ، وأن النبي ﷺ بعد أن ثبتت نبوته ،
فلا يعترض على حضرته العلية بمثل هذه المسائل الجزئية ، مع أنا لا
نترك كلامه هذا خالياً عن الجواب ، ولا نهمل رده وإن كان معلوماً
للذوى العلم والألياب • ولنقدم بين يدي التفصيل ما ورد في الاصحاح
الثاني من سفر الملوك الثاني في بحث الإشاع بعد أن ظهرت منه
المعجزات في أريحا ما نصه : « ثم صعد من هناك الى بيت ايل وفيما
هو صاعد في الطريق اذ بصبيان صغار خرجوا من المدينة وجعلوا
يستهزئون به ، ويقولون : اصعد يا اصعد يا أفرع ، فالتفت الى
ورائه ونظر اليهم • ولعنهم باسم الرب فخرج دبтан من الفيض
خافترستا منهم اثنين وأربعين صبياً ، وانصرف من هناك الى جبل
الكرمل ، ومن هناك رجع الى السامرة » انتهى •

فانظر بعين الانصاف ان أمر نبينا عليه الصلاة والسلام بتقتل
بعض الكفرة الذين في وجودهم ضرر على الاسلام وتحققت منهم الاعانة
والتحريض ، على عدم اعلاء كلمة الله • ويخشى من كيدهم • ويلاحظ
من مكرهم (هل يكون مسيئاً ؟) اذ في ائتلافهم ازدياد المؤمنين وذل
الكفرة الطاغين وحقق دماء كثير من المسلمين • لا سيما وقد اجتمع
مع ذلك استهزاء بعضهم برسول الله ﷺ وتعييبه • وفي ذلك تثبيط لمن
يريد الدخول في الدين وتعويق عن اتباع المصطفى الأمين • ولا ريب
أنه عليه الصلاة والسلام مأمور بذلك من رب العالمين •

ولنضرب لك مثلاً لما نحن فيه وهو أن الملك إذا أرسل من خاصته رجلاً إلى أهل بلد من البلاد التي هي في حوزته ليبلغهم عنه بعض الأوامر ، فإذا دخل البلد وكذبه وأعابه واستهزأ به أحد ، وأراد الناس أن يسمعوا كلامه ويفهموا مرامه • فقال لهم هذا العائب : إن هذا الرسول مفتر كاذب • ثم رجع الرسول إلى مرسله وعرض له جميع قول المكذب مجملة ومفصلة • فهلا يحسن بالملك اعدامه ؟ وهل يكثر على قتله لوامه ؟ ولا يشك عاقل أنه لا يقال في حقه إلا ملك مسيس غير غافل وهذا دون ما فعله « اليشاع » بالنصبية الصغار ، إذ لا يخلو فعله من وجهين : أما أن يكون لعن الصبية وطردهم عن رحمة الله تعالى — مع أنهم غير مكلفين — وأخرج عليهم النحيوان — لأجل استهزائهم به — فأكلهم بدعائه : مباحا له ذلك أو غير مباح له • ولكن الله جل وعز اغتار عليه فأخرج بلا طابه ولا دعائه الدبتين فافتترستا منهم اثنين وأربعين صبيا صغيرا لا يميزون بين الخير والشر ، وليسوا في سن التكليف •

فإن كان مباحا له ذلك ، فعلى هذا القول منهم — والذي لم يضر شيئا لأنه إن كان أصلع فقد صدقوا ، وإن لم يكن أصلع فقد كذبوا • ولا يوجب الكذب على الكبير المكلف القتل في مثل ذلك ، فضلا عن الصغير (يكون الدعاء على الكافر مباحا) ويثبت • مطلوبنا • وإن لم يكن مباحا بل الباريء جل وعز اغتار عليه عندما استهزعوا به فلا شك ولا ريب أنه اغتار على سيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين فسلط على أبي عفا ونحوه ممن يعرّيه عليه الصلاة والسلام ويضر بقوله وفعله : الاسلام من يشقى غليل المسلمين وينتقم من الظالمين الساعين بين العباد بالفساد ، المفسدين في البلاد المعوقين عن الرشاد • الذين هم مثل الفارة الفاسقة في البنيان تسعى في نقض قوى الدعائم وهد الأركان • فقتلها بأى صورة كانت لازم عند كل عارف بالأديان • ولا يعترض على الأنبياء في جميع ما فعلوه إلا الشيطان أو ابن الشيطان • ولنرجع إلى رد أقواله وتفصيلها • أما قرأه « كتوجيه » عبد الله بن رواحة

لَمَّا قَتَلَ أَسِيرُ بْنُ دَارِمٍ الْيَهُودِيَّ بِخَيْبَرٍ فَتَنَّهُ غِيلَةً « فاعلم أنه كان من حديث اليسير بن رزام ويقال ابن رازم كما قتال ابن هشام » أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ فبعث عليه السلام إليه عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له • وقالوا له : انك ان قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فأنهم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى اذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله ﷺ ففطن به عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، ففقطع رجله وضربه اليسير بمخراش في يده من شوحط فأماه ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله الا رجلا واحدا أفلتت على رجله ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ ثقل على شجته فلم تنجح ، ولم يؤذه « انتهى •

وقوله : « وكبعتة سالم بن عمير العمري وحده الى أبي علفك اليهودي فقتله بالغيلة » الى آخره •

قال ابن اسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي علفك أحد بني عمرو بن عوف ، ثم من بني عبيد وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله ﷺ الحرث بن سويد بن صامت فقال :

لقد عشت دهرا وما ان ارى	من الناس دارا ولا مجمعا
ابر عهدا وأوفى لمن	يعاقد فيهم اذا ما دعا
من اولاد قبيلة في جمعهم	يهد الجبال ولن يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم	للال حرام لشيء معا
قلو ان بالمر صدقتم	او الملك تابعتهم تبععا

فقتل رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف وهو أحد البكائين فقتله • فقاتلت أمامة المرادية في ذلك :

تَكْذِبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدًا لَعِمْرَ الَّذِي أَهْنَاكَ أَنْ بَشَسَ يَمْنَى
حَبَاكَ حَنِيفَ آخِرِ اثْنَيْنِ ضَعُفَ أَبَا عَفْكَ خَذَهَا عَلَى كَبَرِ السِّنِّ

وقال في المواهب : « قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على رسول الله ﷺ ويقول فيه الشعر » انتهى •

فعلم أنه من المنافقين والمحرضين على النبي عليه الصلاة والسلام •
وقوله : « فأين قولك — أصلحك الله — انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة » يعلم جوابه أيضا مما مر ، على أن رحمته ورأفته ثابتتان بأئوائه وأفعاله عليه الصلاة والسلام •

وقوله : « وإاما بعثه لعبد الله بن جحش الأسدي الى نخلة » الى آخره فاعلم : أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رباب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأواى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا • وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بنى عبد شمس ابن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد بنى أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان ابن جابر حليف لهم ومن بنى زهرة بن كلب سعد بن أبي وقاص ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، وغيرهم •

فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه : اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله ﷺ أن أمضى الى نخلة أُرصد بها قريشا حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله ﷺ •

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق أنقرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما ، كانا يعتقبانه ، فتخلفا عليه في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به غير لقريش تحمل زببا وأدما وتجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فاشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فاما رأوه آمنوا • وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم • وذلك في آخر يوم من رجب • فقال القوم • والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخن الحرم فليمتنع منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من فدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأثر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالبعير وبالأسيارين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة •

فلما قدموا قال عليه الصلاة والسلام : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام • فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا • وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا فأنزل الله تعالى على رسوله قوله : « يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير وضد عن سبيل الله وكثر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » أي ان كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم • والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه ويعذبونه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذاك أكبر عند الله من القتل « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن

**بينكم ان استطاعوا ،، أى ثم هم مقيمون على أخبث من ذلك وأعظمه غير
تائبين ولا نازعين .**

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا
فيه من الشفق أمر رسول الله ﷺ بقبض العير والأسيرين وبعثت اليه
قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، ففداهما رسول الله
ﷺ منهم . فَمَا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَأَقَامَ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَيْرُ مَعُونَةَ .

وقد ذكر ابن اسحاق أن الله عز وجل قسم الفئء حين أحله فجعل
أربعة أخماسه لى أفاءه الله ، وخمسه الى الله ورسوله فوقع على ما كان
عبد الله صنع فى تلك العير ، قبل أن يفرض الله الخمس من المغنم .

ثم أنشد عبد الله بن جحش خاطبا لقريش بقوله :

وَأَعْظَمَ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشْدُ رَاشِدًا وَكَفَرَ بِهِ وَاللَّهُ رَأَى وَشَهِدَ أَنَّهُ لَا يَرَى لَهْ فِي الْبَيْتِ سَاجِدًا ؟ وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٌ وَحَاسِدٌ بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبُ وَأَقْدَ يَنْزَاعُهُ غُلٌّ مِنَ الْأَقْدِ عَانِدٌ	تَعْدُونَ قِتَالًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةٍ صَدُورَكُمْ قَبْلًا بِقَوْلِ مُحَمَّدٍ وَإِخْرَجُوا مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ فَانَا وَإِنْ عَرِثْتُمُونَا بِقَتْلِهِ مُسْقِينَا مِنْ آبْنِ الْحَضْرَمِيِّ رَمَاهُنَا دِمَاءُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانَ بَيْنَنَا انتهى .
--	---

وقوله : « وكذلك ما فعل فى قينقاع » الى آخره قينقاع بتثنية
النون والخم أشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر قال فى
المواهب اللدنية : « وكانت الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة
أقسام : قسم وادعهم على أن لا يحاربوه لا يؤلبوا عليه عدوه وهم
طوائف اليهود الثلاثة قريظة ونضير وبنى قينقاع . وقسم حاربوه
ونصبوا له العداوة كقريش . وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول اليه
أمره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن كخزاعة
وبالعكس كبنى بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا ، وهم
المنافقون .

وكان أول من نقض العهد بنى قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام قال ابن هشام في سيرته : وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع • ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله تعالى ، هذل ما نزل بقريش من الفتنة ، وأسلموا ، فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم • قالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لايت قبرما لا علم لهم بالحرب ، فاصبت منهم فرصة • انا والله ائن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس • قال ابن عباس : ما نزل هؤلاء الآيات الا فيهم : « قل الذين كفروا مستظلبون وتهدشرون الى جهنم ربس المهاد • قد خان لكم آية في هتين اللتقتا » أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش « فئة تقتال في سبيل الله وأخرى كاثرة يرونهم مثليهم رأى العين • والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لحيرة لأولى الأبصار » وكان حربهم فما بين بدر وأحد •

وسببه : ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها • فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها • فلما قامت انكشفت سرائرها ، فضحكوا بها فصاحت • فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله • وكان يهوديا • فشدت ائيهود على المسلم فقتلوه • فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ، فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، على أن له الأموال ولهم النساء ، ويجلون عن المدينة فقبام اليه عبد الله بن أبى بن سلول حين أمكنه الله تعالى ، منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى ، فأعرض عنه ، فألح على رسول الله ﷺ من أجلهم • وقال : هم أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأصفر ، تحصدهم في غداة واحد ؟ ائنى والله امرؤ ، أخشى النوائر فقال عليه الصلاة والسلام : هم لك وتركهم من القتل ، وأمر بأن

يجلوا من المدينة ، فلاحقوا باذرعات ، فما كان أقل بقائهم فيها ، وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة • وكانوا أيضا حلفاء لعبادة بن الصامت . فتبرء عبادة من حلفهم • فقال : يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرء من حلف الكفار ، وولايتهم ، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة من المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض • ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض » أي كعبد الله بن أبي • وقوله : انى أخشى الدوائر » يسارعون فيهم يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة • فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصيحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ؟ » ثم القصة الى قوله تعالى : « انا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وذلك لتولى عبادة ابن الصامت الله ورسوله ، والذين آمنوا وتبرئته من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم « من يتول ومن الله رسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » •

قال النصراني : « فاما غزوة أحد ، وما أصيب فيها من كسر ربايعيته . السفلى اليمنى ، وشق شفته ، وتلم وجنته وجرحته ، الذى ناله من عتبه ابن أبي وقاص ، وما علاه به ابن قميئة الليثى بالسيف على شقه بخضرتة على رجل سيفاً فضربه به على اذنه فاقتلعها • فلما نظر المسيح فهذا خلاف الفعل الذى فعاه الرب فخلص العالم ، وقد سئل رجل بخضرتة على رجل سيفاً فضربه به على اذنه فاقتلعها • فلما نظر المسيح مخلصنا الى ذلك ، من فضله عمد الى الاذن فردها الى موضعها فعادت صحيحة كالأخرى ، والا حيث أصاب يد طاحه ما أصابها ، وقد وقاه بنفسه ، فلو دعا ربه فرد يده الى ما كُنت عليه من صحتها ، لكانت هذه من احدى علامات النبوة وأين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمى وجهه ؟ وهو نبي من الأنبياء وصفى من

الأصفياء ورسول الله • كما جاءت الأنبياء توفى قبيله • فتوقية ايليا النبي
من أصحاب أخاب الملك ، ودانيال من أسد داريوس ، وحنانيا وأخوته
الفتية الأبررة من نار بخت نصر ، وغيرهم من الأنبياء وأولياء الله •
سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم إلا لأجله ومكتوب على سرادق العرش
اسمه كما تدعون » انتهى •

فأقول : ان هذا الكلام يعلم جوابه أيضا مما تقدم في بحث الجهاد ،
لكننا لا نتركه هنا بلا جواب ، خشية أن يموه فيه على ضحفة العقول
الجاهلين بالمعقول والمنقول •

وأنذى يلقم الخصم حجرا : أن كثيرا من الأنبياء قتلهم بنو اسرائيل
ونشرتهم بالمناشير ونبينا عليه الصلاة والسلام نزل عليه « والله يعصمك
من الناس » فعصمه كما وعده ، والأعظم من قتل الأنبياء : أن الاله
بزعم النصارى قتل وصلب ، ولو كان مخلص العالم لخلى نفسه ، ولما
قال عند صليبه : « الهى الهى لم ترى تبنى » ؟ بزعم النصارى • فاذا
كسرت رباعية النبي عليه الصلاة والسلام في الجهاد ، فلا ثلم في
رسالته ، ولا عجب • على أن في قصة أحد وما أصيب به المسلمون من
الفوائد والحكم الربانية والغايات المحمودة أشياء عظيمة منها : تعريف
المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهى بما وقع من بعض
الرماة الذين أمرهم النبي ﷺ أن لا يبرحوا فانصرفوا عن محلهم
كما سيأتى تفصيله •

ومنها عادة الرسل أن تبثلى وتكون لهم العاقبة ، فهذا من أعلام
الرسل كما قال هرقل لأبى سفيان في القصة المشهورة : هل قاتلتموه ؟
قال : نعم • قال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ندال عليه
المرّة ويدال علينا الأخرى • قال : كذلك الرسل تبثلى ، ثم تكون لهم
العاقبة والحكمة في ذلك : أن لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس
منهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائما لم يحصل
المقصود من البعثة • كما قدمناه لك مما في الأصحاح العشرين من سفر

القضاة في مقاتلة بنى اسرائيل مع بنى بنيامين بأمر الرب سبحانه ، فانكسروا وقتلوا مرتين ، ثم في اليوم الثالث انتصروا على بنى بنيامين • فافتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لـ يتميز الصادق من الكاذب • وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا على المسلمين ، فلما جرت هذه القصة ، وأظهر أهل النفاق ما أظهره من الفعل والقول ، عاد التأويل تصريحا ، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم ، وحرصوا منهم •

ومنها : أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لتسامحتها • فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون • ومنها أن الله تعالى هيا لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته فلا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والحن ، ليصلوا اليها • ومنها : أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقطهم اليها • ومنها : أنه أراد اهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطمعانهم في أذى أوليائه ، فمحس ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين •

ولنذكر غزوة أحد على سبيل الاختصار لـ يتميز الحال لذوى الأبصار :

قال ابن هشام : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلبب وهم كبار قريش ورجع الباقيون منهم الى مكة ، فقال بعضهم لبعض : ان محمدا قتل خياركم فأعينونا بهذا المال أى العير التي لم تؤخذ في يوم بدر على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا • ففعلوا فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ومن أطاعها من القبائل كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن أى الأهل التماس الحفيظة ، وأن لا يفروا • فخرج أبرسفيان بن حرب وهو قائد الناس بزوجته هند ابنة عتبة وعكرمة بن أبى جهل بأمر حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وعمر بن العاص بزوجته ريطة بنت منبه وغيرهم ، فجاءوا ونزلوا مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ قال للمسلمين : انى قد رأيتم والله — خيرا • رأيتم بقرا تذببح ، ورأيتم في ذباب سيفى ثلما ، ورأيتم انى أدخلت يدى في درع حصينة • فأولتها المدينة ، وأما البقر فهى

ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، فان رأيتم أن تقتلوا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها •

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الخروج ، فقتل رجال من المسلمين ممن أكرم الله تعالى بالشهادة يوم أحد ممن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أننا جينا عنهم وضعفنا ، فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته • وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد — صلى الله عليك — فقال عليه الصلاة والسلام لهم : ما ينبغي أنبنى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقائل • فخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، وهو جبل عن المدينة نحو فرسخ ، انخزل عنه عبد الله بن أبى ابن سلول بثلاث الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم اذكركم الله لا تدخلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم • فلما استعصروا عليه قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغننى الله عز وجل عنكم نبيه ﷺ وقال الأنصار لرسول الله ﷺ : ألا تستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم • وتعبت قرش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا الى نسائهم • فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذى أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه • وقالوا : يا قوم الغنيمة الغنمة فذكرهم أميرهم عهد النبی ﷺ فلم يسمعوا ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة وكر فرسان المشركين فوجدوا الشعر خاليا فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين واستشهد من المسلمين سبعون وتولى كثير من الصحابة وخلص المشركين الى رسول الله عليه الصلاة والسلام

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل غير واحد ، فترصد له وحشى فضربه بحربته ، ثم استشهد رضى الله تعالى عنه وهذا تأويل رؤيا رسول الله ﷺ .
ثم ان وحشى أسلم وضرب مسيلمة الكذاب بتلك الحربة ثم شد عليه انصارى من الأنصار فضربه بالسيف . قال : وحشى فربك أعلم أينما قتله . فان كنت قتلتة . فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ أى حمزة . وقد قتلت شر الناس وهو مسيلمة .

والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاء حنظلة رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله . فقال رسول الله ﷺ : ان حنظلة لتغسله الملائكة . ثم انهم سألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت زوجته عنه . فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة أى الصيحة وانزعز ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :
غسلته الملائكة .

قال ابن اسحاق : وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص حتى خلاص العدو الى رسول الله ﷺ فحدث بالحجارة فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص ، فجعل الدم يسيل على وجهه الشريف ، وجعل يمسح الدم وهو عليه الصلاة والسلام يقول : كف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم ؟ فأنزل الله سبحانه في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه في جبهته وأن عمرو بن قنمة جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته عليه الصلاة والسلام .

وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبى وقاص :

اذ الله جازى معشرا بنعمالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق

فاخزأك ربى يا عتيب بن مالك ولقأك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يميننا للنبي تعمدا فادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا نكرت الله والمنزل الذى تصي اليه عند احدى البوائق

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل فى ظهره ،
وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقاص
دونه ، ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه ، حتى اندقت سيثها ، وأصيبت
يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا •

وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر
من أنت ؟ فقال :

انا ابن الذى سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما رد
فعدت كما كانت لأول مرة فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شييا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر بن عبد العزيز وأحسن جائزته •

ثم ان النبى عليه الصلاة والسلام قصد الشعب ومعه ابو بكر
الصدىق ، وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وظلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام — رضى الله تعالى عنهم — والحرث بن الصمة ورهط
من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبى بن
خلف • وهو يقول : أى محمد لا نجوت ان نجوت • فقال القوم :
يا رسول الله أعطف عليه رجل منا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام دعوه •
فلما دنى منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة ،
ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مرارا ، أى تقليب
عن فرسه فجعل يتدحرج وحمله قومه • وكان أبى بن خلف يلقي رسول
الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم
فرقا من ذرة ، أقتاك عليه • فيقول رسول الله ﷺ بل أنا أقتلك ان

شاء الله تعالى فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد • قالوا له : ذهب والله فؤادك والله ما بك من بأس • قال : انه كان قال لى بمكة أننا أقتلك • فوالله لو بصق على لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف ، وهم قافلون به الى مكة •

ولما انتهى رسول الله ﷺ الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسأى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم • وكان يقال لسيفه : ذو الفقار • وقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب لا يصيب الاشركون منا مثلاً حتى يفتح الله علينا ، وكان يوم وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغد يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحد الا أحد حضر يومنا بالأمس ، فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى الى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أيام ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم رجع الى المدينة •

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد انرجع الى المدينة ليستأصلوا فيما زعموا بقبة أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم صفوان بن أمية بن خاف : لا تفعلوا فان انقوم قد حربوا وقد خشيننا أن يكون لهم قتال ، غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة والأذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صحوا بها لكانوا كأمس الذاهب • وأخذ رسول الله ﷺ فى وجهه ذلك قبل رجوعه الى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وأبا عزة الجمحى وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر ، ثم من عليه • فقال : يا رسول الله أقتلنى فقال رسول الله ﷺ : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها • وتقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرع عنقه وفى رواية قال له : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين • ويتال : أن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلوا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد كان لجأ الى عثمان بن عفان ، فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه ، على أنه ان وجد

بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي ﷺ وشال :
انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه •

وقد أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستين آية
من سورة آل عمران فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ، ومعاتبه من عاتب
منهم ، منها قول الله عز وجل لنبيه ﷺ : « **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** » أى واذكر يا محمد إذ غدوت
من أهلك أى المدينة تبوئ أى تنزل المؤمنين مقاعد أى مراكز يقفون
فيها القتال « **وَاللَّهُ سَمِيعٌ** » لأقولكم « **عَلِيمٌ** » بأحوالكم •

شال المفسرون : وهو يوم أحد خرج رسول الله ﷺ بألف أو
الا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب وجعل ظهره
وعسكره الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشا من الرماة وأمر عليهم
عبد الله بن جبير ، بسفح الجبل وقال : انضحوا عنا بالنبل لا يأتوا
من ورائنا ولا تبرحوا ، غلبنا أو نصرنا ، فترك بعضهم المركز لطلب الغنيمة
كما تقدم تفصيله •

ومنها قوله تعالى : « **قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَالِكُمْ سُنَنٌ فَنُفِثُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ** » وهذا تعزية للمؤمنين وتعريف لهم
فيما صنعوا • وفيما هو صانع بهم ، أى قد مضت منه سبحانه وقائع
فيما صنعوا • وفيما هو صانع بهم ، أى قد مضت منه سبحانه وقائع
وأصحاب مدين ، فانه أمهلهم لوقتهم • وقوله سبحانه : « **وَلَا تَهِنُوا** »
أى لا تضعفوا عن قتال الكفار « **وَلَا تَحْزَنُوا** » على ما أصابكم بأحد
« **وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ** » بالعلبة عليهم « **أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** » حقا « **أَنْ يَمْسَسَكُمْ
قَرْحٌ** » أى ان يصبكم بأحد جهد من جرح ونحوه « **فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ
قَرْحٌ مِثْلَهُ** » أى مس الكفار يوم بدر « **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** »
أى نصرفها بينهم ، يوما لفرقة ويوما لأخرى ، لا تعظوا « **وَيُعْلِمُ اللَّهُ الَّذِينَ**

آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين • ولیمحص الله الذين آمنوا»
أى يظهرهم من الذنوب «ويمحق» يهلك الكافرين • فكان الأمر كم
وعد سبحانه المؤمنين من نصرهم على الكافرين فكانت العاقبة والحمد
لله تعالى للمنتقين •

وتفسير بقية الآيات النازلة مفصلة في كتب التفسير ، وزاد المعاد
العلامة ابن القيم وكتب السير النبوية ، تركناها خشية التطويل ، فليرجع
اليها من أراد التفصيل •



فصل

وأما قوله : « فهذا خلاف الفعل الذى فعله الرب مخلص العالم »
الى آخره لا يخفى عليك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام لا يلزم
أن تكون متوالية ، وفي زمن ومحل أرادوا لأن هذا لم يتحقق لأحد منهم ،
فهذا عيسى عليه السلام طلب من الله أن يؤخر عنه كأس الموت ففعل ،
كما هو مسلم عند النصارى ، وطلبت منه بنو اسرائيل معجزة فقال :
ليس لى معجزة وانما معجزتى كمعجزة يونان أى يونس تظهر بعد
موتى ثلاثة أيام كما سنذكره لك في محله •

فالمعجزات انما تكون بخلق الله تعالى عند ارادته كما لموسى عليه
السلام ولنبينا ﷺ مما عددنا لك من ذلك في كتابنا هذا • وأما ما وقع
لسيدنا المسيح عليه السلام في القصة المذكورة فقد حذف منها النصرانى
ما هو دليل على عبودية المسيح لا على ألوهيته ، لأن قطع الأذن المذكورة
كان في الليلة التى أخذ فيها وقتل على دعوى النصارى ، فقد قال يوحنا
في الاصحاح الثامن عشر من انجيله : « وكان مع سمعان الصفا سيف
فسله وضرب عبد عظيم الكهنة فقطع أذنه اليمنى » انتهى وليس فيه
أنه ردها ولا في غيره من الأناجيل الا لوقا فإنه قال : « ولما أذنه فأبراه »

فتبين أن رد الأذن لم يتفق أصحاب أناجيلهم ، ولم ينقله إلا واحد منهم مع أنه لو كان صحيحا لذكره غيره أيضا لأنه ، أمر مهم ، مع أن حال أناجيلهم معلوم •

ثم انهم ذكروا كلهم أنه بعد أن قطعت الأذن وهى أذن العبد الذى جاء لأخذ يسوع المسيح عليه السلام فأخذه ليلا الى عظيم الكهنة للقتل • فاليهود يقولون : لو كان المسيح يقدر على رد أذن العبد الذى جاء لأخذه وقتله لم لم يخلص نفسه من يد مقطوع الأذن ؟ مع أنه خالفه وراد أذنه • فاذن ما حكاه النصارى فى أناجيلهم باطل لا أصل له فتدبر وانصف •

وأما قوله : « سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم إلا لأجله • ومكتوب على ساق العرش اسمه كما تدعون » فنقول له : ان هذا وان كان مذكورا فى بعض كتب الحديث ، الا أن النقد ضعفه ، ولم يصححه ، فهو حديث غير متواتر ولا مشهور ، عني أنا لو فرضنا صحته وشهرته وقتلنا : ان اسمه مكتوب على ساق العرش ، فليس لوجه هذا القول خدش • وهذا مثل ما قالت النصارى : ان فى الانجيل أن الله تعالى نادى بين السماء والأرض : « ان هذا ابنى الحبيب » يعنى المسيح كما نذكره فى محله مفصلا ان شاء الله تعالى •

ثم أنا لا نقول : ان خلق آدم انما كان لأجله بالمعنى الذى تفهمه أنت وأمثالك ، بل نقول ما قاله العلماء الثقات أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام أشرف المخلوقات وأفضلها • وهو سيد ولد آدم وأكرمهم عليه :

ومبلغ العلم فيه أنه بشر • • • وأنه غير خلق الله كلهم

ولا نقول فى حقه كما قالت النصارى فى المسيح عليه السلام أنه الخالق البارئ للأنام :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ونقول : ان قول من قال : ان الله تعالى خلق من أجله العالم أنه لمولاه عليه الصلاة والسلام لما خلق عرشا ولا كرسيًا ولا سماء ولا أرضا ولا شمسا ولا قمرًا كلام لم يروه أحد حديثًا عن النبي ﷺ لا صحيحًا ولا ضعيفًا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث ، بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدري قائله • وتقديره عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء فيه اشارات كثيرة في البشارات التي قدمناها من الكتب السماوية ، مثل ما في سفر التكوين : « حتى يجيء الذى له الكل واياه تنتظر الامم » وأنه أدكون العالم كما تقدم فيمكن أن يقال : ان من كان كذلك ، فكأن العالم خلق لأجله • على أن الامام الأشعري مذهبه أن أفعال الله تعالى لا تعل بالأغراض ، وان كان مذهب السلفيين أنها لا تعل لكن لا تخلو عن الحكم والمصالح أفعاله عز وجل كما هو مفصل في مجملته • ويمكن أن يفسر أيضا بوجه صحيح ، كقوله سبحانه : « وسخر لكم ما فى السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم النهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتكم من كل ما سألتموه • وان تعبدوا نعمة الله لا تحصوها » وأمثال ذلك من الآيات التى يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبنى آدم ومعانهم أن الله فيها حكما عظيمة غير ذلك • وأعظم من ذلك • ولكن يبين لبنى آدم ما فيها من المنفعة ، وما أسبغ عليهم من النعمة •

فإذا قيل : فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل : لولا كذا لما خلق كذا لا يقتضى أن يكون من ذلك المخلوقات حكم أخرى عظيمة • ولما كان خلق آدم آخر ما خلق ، وكان يوم الجمعة بعد العصر ، وكان خلق نبينا عليه الصلاة والسلام الذى هو أفضل بنى آدم منه • وقال عليه الصلاة والسلام انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طيئته ، أى كتبت نبوتى وأظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله عز وجل

رزق العبد وأجله وعمله اذا خلق جنينا قبل خلق الروح فيه . فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد عليه الصلاة والسلام انسان هذا العين وقطب هذه الرحا ، وأقسام هذا الجمع كان كأنه غاية الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يقال : انه لأجله خلقت جميعها ، وأنه لولاه لما خلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه مما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك . واما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصراني باشتراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردودا غير مقبول . فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . وقد قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقواوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم انما الله الله واحد » والله سبحانه هو الموفق للصواب .

قال النصراني : « ولكننا ندع ذكر هذا الآن ونأخذ في قول ثان . فنقول : ان صاحبك هذا أفعاله خلاف قولك انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة لأنه كان الرجل الذي أم يكن له فكر واهتمام الا في امرأة حسنة يتزوجها أو قوم يغير عليهم ، فيسفك دماءهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءهم ، وشهد على نفسه أنه حبيب اله الطيب والنساء ، وأنه من علامات نبوته أنه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة أربعين رجلا ناكها ، فلعمري ان هذا بعض آيات الأنبياء التي لا تكون الا في مثله ، فأما تلك الهة التي كانت بينه وبين زينب بنت جددش امرأة زيد ، فاني أكره ذكر شيء منها اجلالا لقدرك كتابي هذا عن ذكرها ، غير أنني أتى بشيء مما حكاه في كتابه الذي يزعم أنه أنزل عليه من السماء وأقر بلسانه اذ يقول : « وان تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه ، فاما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي

لا يكون على المؤمنين هرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ،
وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له .
سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (أحزاب)
ويكتفى كل ذى عقل من القصة بنموذجها ، إذ لا يخيل ذلك على
المميزين « انتهى » .

فأقول وبالله سبحانه الاستعانة : الكلام على هذا الزيف الذى
لا يروج الا على ذى العقل السخيف فى مقدمة وسبعة فصول ، يستفاد
منها الجواب المقبول المطابق للمعقول والمنقول .



المقدمة

فى

اعتراضاتهم

اعلم : أن للنصارى طعونا خمسة عائدة الى مسألة تزوجه عليه
الصلاة والسلام نذكر «هنا جملة ثم نجيب عنها أيضا مفصلا ان شاء الله
تعالى ، لينكشف صبح الحق عما فيها من الظلام . قالوا : الأول أنه عليه
الصلاة والسلام لم يجوز لأئمة التزوج بكأثر من أربع زوجات ، وهو
جمع بين تسع وأظهر أن ذلك من خصائصه والثانى : أن أمته يجب العدل
عليهم بين نسائهم ، وهو لا يجب عليه . والثالث : أنه دخل بيت زيد
ابن حارثة رضى الله تعالى عنه فلما رفع الستر رأى زينب بنت جحش
زوجة زيد فوقع فى نفسه . وقال سبحانه الله . فلما أطلع زيد على
هذا الأمر طلقها فتزوجها عليه الصلاة والسلام وأظهر أن الله سبحانه
زوجه إياها . والرابع : أنه خلا بمارية القبطية رضى الله تعالى عنها
فى بيت زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنها فى
يوم نوبتها ، فغضبت حفصة ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : حرمت
مارية على نفسى . ثم انه لم يقدر أن يبقى على التحريم ، حتى قال :
ان الله تعالى أجاز له لابطال اليمين بأداء الكفارة . والخامس : أنه

أمر أمته اذا مات أحد منهم وكان متزوجا يباح أن تتزوج امرأته بعد انقضاء عدتها بآخر ، وادعى أنه لا يجوز لأحد أن يزوج باحدى زوجاته من بعده •

وهذا غاية جهد علمائهم فيما وجدوه بزعمهم من الطعون في أمر التزوج ، وذكرها منهم صاحب ميزان الحق ودافع البهتان ودلائل اثبات رسالة المسيح ، ودلائل النبوة ، ورد اللغو وغيرها • وزاد عليهم هذا المؤلف شيئا آخر سيأتى أيضا جوابها في محلها ان شاء الله تعالى •



الفصل الاول

ان بعض علماء الفصاري • ومنهم هذا المؤلف كما سيأتى يعترض على نبينا عليه الصلاة والسلام بسبب تزوجه النساء ، ويعد ذلك نهية والعياذ بالله حيث ان عيسى لم يتزوج ، وكان رجلا من مشهورى مدرسيهم يدعى « فرسنل » كان ورد بغداد سنة ألف ومائتين وتسع وستين ، وسأل من الشيخ الامام الوالد عليه الرحمة أسئلة من جعلتها ما كان من تزوجه عليه الصلاة والسلام النساء • فأجابه عليه الرحمة بقوله : أما أمر التزوج والنكاح فهو عليه الصلاة والسلام ليس بدعا فيه من الأنبياء والمرسلين ، فمعظمهم قد تزوج ، وما امتنع عن النكاح ولا تخرج ، وليس ذلك مما ينافي النبوة بوجه من الوجوه ، اذ هو عليه الصلاة والسلام في كمال البشرية • ولما كانت البشرية في النبی أكمل كانت عبادته أفضل ، وسيدنا عيسى عليه السلام كانت جانب ملكيته أقوى من جانب بشريته ، اذ هو عندنا مخلوق من ماء واحد ، وكان بارد المزاج ، فلذا لم يمل الى النساء ، وأخبره نبينا محمد ﷺ كان كامل الملكية كما كان كامل البشرية يشهد للأنبياء كثرة نكاحه عليه الصلاة والسلام ، فقد صح أنه كان يطوف على جميع نسائه

في الليلة الواحدة ، ويشهد للأول ما صح أنه ﷺ كان تمضي الأيام
واللإلى ولا يأكل شيئاً وتوته قوته • ومضى عليه حين من الدهر وليس له
الا زوجة واحدة وكان نام مع بعض زوجاته في فراش واحد ، وهي
ذات عفر ، فلا يقرب منها ما حرم الله تعالى عليه ، الى أمور أخرى
تشهد بكمال ملكيته •

والعجب من النصارى حيث يقولون : ان عيسى على نبينا وعليه
أفضل الصلاة والسلام الله كامل وبشر كامل ، مع زعمهم أن عدم ميله
للنكاح مما ميزه على غيره من اخوانه وادعى أنه عليه السلام كانت له
شهوة قوية للنكاح ، لكنه منع نفسه منه : دون اثباتها خرط القناد •
وبتقدير التسليم وجود تلك الشهوة ينافي قوة القدس بزعمهم •

والحاصل : « أن قوة الشهوة كمال في البشرية ولا ينافي النبوة
أصلاً » انتهى •

ومما أنشدنيّه لنفسه شاعر البسيطة عبد الباقي أفندي العمري
الموصلى حينما أجاب بجواب آخر نظمه بقوله :

قل للفرسل قدوة الرهبان	الجانليق البترك الرياني
انت الذي زعم الزواج نقيصة	فيمن حماه الله عن نقصان
ونسيت تزويج الاله بمريم	في زعم كل مثلك نصراني

انتهى •

وانا عودة لهذا البحث ان شاء الله تعالى •

الفصل الثانى

ان تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزا فى الشرائع السابقة ، لأن ابراهيم عليه السلام تزوج بسارى ، ثم بهاجر فى حياة سارى • ولو لم يكن جائزا لما أقر عليه ، ويعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة ليا وراحيل وبلها وزلفا • فالأوليان منهن أختان ابنتا لايان خاله والأخريان جارتان ، والجمع بين الأختين حرام قطعى فى شريعة موسى عليه السلام كما صرح بالجمع فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التثنية ، وصرح بالحرمة فى الآية الثامنة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الأخبار بما نصه : « ولا تتزوج أخت امرأتك فى حياتها ، فتحزنها ولا تكشف عورتها جمعا فتحزنهما » . فلو لم يكن الجمع بينهما جائزا فى شريعة يعقوب ، ل لازم أن يكون أولادهما أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى ، مع أن أكثر أنبياء بنى اسرائيل من نسلهما • فابتهاء الله تعالى يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربعة ، ولا سيما الأختين دليل ظاهر على جوازه فى شريعته •

وداود عليه السلام الذى هو أبو الالههم يزعمهم تزوج نساء كثيرات فتزوج أولا ينحال بنت شاول وكان مهرها على مائة غلقة من غلف الفلسطينيين ، فوفى له بها على زعمهم • وتزوج بست أخريات وهن على ما فى الاصحاح الثالث من سفر سموائل اثنتى أربعينها والازد عائليه بيغال وممكا وابنة تلمى ملك بجا شور وأبيطل وعجلا • ثم تزوج بغيرهن من النساء ، وأخذ السراى ولم يصرح بعددهن كما فى الاصحاح الثانى ما نصه : « وأخذ داود أيضا نساء وسراى من اورشليم من بعد أن أتى من خبرون وولد له بنون وبنات منهن » •

ثم انه زنا بامرأة أوريا وقتل زوجها بالحيلة ، ثم أخذها بعد أن

حملت منه بالزنا ، فعاتبه الله تعالى على الزنا ، ولم يعاقبه على تزوج
الجم الغفير من النساء .

ولنذكر لك عبارة توراتهم حتى تستدل بالقليل على الكثير من
مسيبتهم الأنبياء الى القتل ظلما والزنا بذوات الأزواج وعبادة الاصنام
بعد نبوتهم . والعياذ بالله تعالى ، لتعرف كتب النصارى واليهود التى
يدعون أنها كتب سماوية ، ويطنعون فى القرآن الكريم والأفعال
المحمدية ، بأى درجة وفرية .

ففى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى الذى هو
معتبر عند النصارى من الكتب الالهية كاليهود ما نصه : « قام داود ،
من فراشه بعد الظهر ، فأبصر امرأة تغتسل على سطحها وكانت جميلة
المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة . فقال واحد : انها بنت
شيعاء امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها ونام معها ثم
رجعت الى بيتها فحبلت وأخبرته ، وقالت : انى قد حبلت فأرسل
داود الى يואب قائلا له : أرسل الى أوريا ، فأرسل يואب أوريا وسأل
داود أوريا عن سلامة يואب وعن سلامة الشعب ، وعن اللصرب ، ثم
قال : انزل الى بيتك فخرج فرقد بباب بيت الملك ولم ينحدر الى
بيته . وأخبروا داود أن أوريا لم ينزل الى بيته . فقال داود : لماذا
لم تنحدر الى بيتك ؟ فقال أوريا تابوت الله واسرائيل ويهوذا فى الخيام
وسيدى يואب وعبيد سيدى فى القفر وأنا أنطلق الى بى وأكل وأشرب
وأنام مع امرأتى ؟ لا وحياتك وحياة نفسك انى لا أفعل هذا . وقال
داود : اقم اليوم أيضا ههنا . واذا كان الغد أرسلك . وبقي أوريا فى
أورشليم ذاك اليوم وفى اليوم الآخر دعاه داود ليأكل قدامه ويشرب ،
فسكره وخرج وقت المساء فنظم مكانه على جانب عبيد سيده ، ولم
ينحدر الى برته ، فلما كان الصباح كتب داود صحيفة الى يואب
وأرسلها بيد أوريا وقال : صيروا أوريا فى أول الحرب ، وإذا اشتبك
أحرب ارجعوا واتركوه وحده ليقتل ، فلما نزل يואب حول القرية
أقام أوريا فى المكان الذى يعلم أن الرجال الشجعان هناك ، فخرج

أهل القرية فقاتلوا يوأب • فسقط من الشعب قوم من عبيد داود وأوريا فمات • وأرسل يوأب الى داود وأخبره وسمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات فناحت عليه ، فلما انقضت أيام مناحتها أرسل داود فأدخلها بيته ، وصارت له زوجة ، وولدت له ابنا ، وأساء هذا الفعل الذي فعل داود أمام الرب « انتهى •

وفي الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى حكم الرب لداود على لسان ناثان النبى عليهما السلام ما نصه : « لما أزريت بوصية الرب وارتكبت القبيح أمام عينى وقتلت أوريا الحيثانى فى الحرب وامراته أخذتها بك امرأة ، وقتلته بسيف بنى عمون ؟ ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهذه الفعلة ، فالابن الذى ولدك — أى من الزنا بها — موتا بموت « انتهى •

فصدر عن داود النبى بمقتضى تورااة النصارى واليهود فى هذه الواقعة ثمانى خطيئات من أكبر الكبائر المنصوص على تحريمها فى التورااة • والمقصود هنا : بيان تعدد نسائه وأما بيان ارتكاب كثير من الأنبياء للزنا على زعم أهل الكتابين ، وارتكاب بعضهم للزنا بسرارى أبنيه أو بناته بعد النبوة • فنذكره ان شاء الله تعالى فى محله وقول الله تعالى فى حق داود على لسان ناثان النبى عليهما السلام فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى فى الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٤ وغيرها ما نصه : « ووهبت لك بيت مولاك ونساء سيدك ، اضطجعت فى حضنك ووهبت لك بيت اسرائيل ويهوذا • واذا كانت هذه قليلا فأزيدك ومثلهن « انتهى •

شاظره فإنه عين ما نحن فيه • وكذا سليمان عليه السلام عندهم قد تزوج النساء الكثيرات فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ما نصه : « وكان سليمان الملك قد أحب نساء كثيرة غريبة ، وابنة فرعون ونساء من بنات المصريين ومن بنات عمون ومن بنات أروم ، ومن بنات المصبيانيين ومن بنات الحيثانيين ، من الشعوب الذين قال :

الرب البنى اسرائيل لا تدخلوا اليهم ولا دخلوا اليكم لئلا يميلوا قلوبكم الى آلهتهم • وهؤلاء التصق بهن سليمان بحب شديد وصار له سبعمائة امرأة حرة وثلثمائة سرية ، وأغوين نساؤه قلبه • فاما كان عند كبر سليمان أغوين نساؤه قلبه الى آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه سليما لله ربه ، مثل قلب أبيه داود ، وتبع سليمان عشتروت اله الصيدانعين ، وملكوم صنم بنى عمون ، وارتكب سليمان القبح أمام الرب ، ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود أبيه ، ثم نصب سليمان نصبته لكاموش صنم موآب فى الجبل الذى قدام اورشليم ، وملكوم وثن بنى عمون • وكذلك صنع لجميع نساء الغرباء ، وهن ينحرن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب اله اسرائيل الذى ظهر له مرتين ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء ، ولم يحفظ ما أمره به الرب ، فقال الرب لسليمان : لأنك فعلت هذا الفعل ولم تحفظ عهدي ووصاياى التى أمرتك بهن أشق شقا ملكك وأصيره الى عبدك » انتهى •

فصدر عن سليمان على زعم النصارى واليهود خمس خطيئات وأعظمها الكفر والارتداد فى آخر عمره ، وجزاء المرتد فى شريعتهم الرجم • ولو كان نبيا كما هو مصرح به فى توراتهم وقد صرح فى التوراة أن سليمان تزوج بألف امرأة سبعمائة منهن من بنات السلاطين ، وثلثمائة من الجوارى ولا يفهم من التوراة ولا اشارة حرمة التزوج بأزيد من امرأة واحدة • ولو كان ذلك حراما ولاسيما على الأنبياء لصرح به موسى عليه السلام كما صرح بحرمة غيره ، بل الذى يفهم منها ومن فعل الأنبياء عليهم السلام جوازه كما لا يخفى على كل ذى عقل • وفى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الاستثناء ويسمى أيضا سفر تثنية الاستتراع ما نصه : « وان كان لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة ، ويكون له منهما بنون وكان ابن المبغوضة بكرا ، وأراد أن يقسم رزقه بين أولاده ، فلا يستطيع أن يعمل ابن المحبوبة بكرا ويقدمه على ابن المبغوضة » انتهى الى غير ذلك مما تركناه مخافة التطويل •

فظهر لك اثبات ما ادعيناه من جواز كثرة الأزواج في الشريعة الموسوية التي تؤمن بها النصراني فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحى الأمة الموسوية نساء كثيرات مجتمعات • فاقنع بما بيناه من الحق ودع عنك الترهات • والله سبحانه ولى التوفيق •



الفصل الثالث

فى

بيان تزوجه عليه الصلاة والسلام بزینب بنت جحش

وهى بنت عمته • وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه • وبعد أن طلقها وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر الله • ولنذكر تفسير الآية النازلة لذلك الذى استشهد بها النصراني على مقصده ، ملخص من روح المعانى تفسير والدنا الشيخ الامام عليه رحمة العلم • وهو . « واذ تقول » خطاب للنبي ﷺ أى اذكر وقت قولك « للذى أنعم الله عليه » بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته وعنته ومراعاته وتخصيصه بالنبنى ومزيد القرب « وانعمت عليه » بالعمل بما وفقك الله تعالى له من فنون الاحسان التى « جمعتها » تحريره « أمسك عليك زوجك » زينب بنت جحش • وذلك أنها كانت ذات حدة ولا زالت تفخر على زيد بشرفها ويسمع منها ما يكره فجاء رضى الله تعالى عنه يوما الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ان زينب قد اشتد على لسانها وأنا أريد أن أطلقها • فقال له عليه الصلاة والسلام : « أمسك عليك زوجك • واتق الله » فى أمرها ولا تطلقها خواراً وتعللاً بتكبرها واشتداد لسانها عليك « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » عطف على تقول • وجوزت الحالية بتقدير وأنت تخفى أو بدونه والمراد بالموصول وهو ما على ما أخرج غير واحد عن علي بن

الحسين رضى الله تعالى عنهما ، والجمهور ما أوحى الله تعالى به اليه أن زينب سيطلقها زيد وتتزوجها بعده • واليه ذهب أهل التحقيق من المفسرين « وتخشى الناس » أى تخاف من اعتراضهم • وقيل أى تستحي من قولهم ان محمدا ﷺ تزوج زوجة مولاه • والمراد بالناس الجنس أو المنافقون « والله أحق أن تخشاه » أى والله وحده أحق أن تخشاه فى كل أمر فتتعل ما أباحه سبحانه لك ، إذن لك فيه • وأنت قد خشيت الله وخشيت الناس ، من أن يقولوا تزوج امرأة الغير أو من كان تبناه والعتاب عند من سمعت على قوله عليه الصلاة والسلام « امسك » مع علمه بأنه سيطلقها ويتزوجها هو ﷺ بعده وهو عتاب على ترك الأولى • وكان الأولى فى مثل ذلك أن يسكت عليه الصلاة والسلام أو يفوض الأمر إلى رأى زيد رضى الله تعالى عنه •

« حاصل العتاب : لم قلت أمسك عليك زوجك • وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟ وهو مطابق الثلاثة لأن الله تعالى أعلم أنه مبدى ما أخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه • فقال سبحانه : « زوجناكها » فلو كان المضمّر محبتها ، وإرادة طلاقها ونحو ذلك كما يشير إليه كلام النصارى لأظهره جل وعلا •

وأما غير هذا مما يزعمه من فى قلبه مرض أو الجهال القصاص أو من ينقل الغث والسمين ، فإنه خارج عن حيز القبول وردّه العلماء العارفون بصحيح المنقول •

وقال كثير من المحققين : الظاهر أن الله تعالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتبنى أوحى اليه عليه الصلاة والسلام أن يتزوج زينب إذا طلقها زيد ، فلم يبادر له ﷺ مخافة طعن الأعداء • وهو توجيه وجيه •

ثم ان القصة شبيهة بقصة داود عليه السلام من جهة ، لاسيما • وقد كان النزول عن الزوجة فى صدر الهجرة جاريا بينهم ، من غير خرج فيه « انتهى •

وقوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً » أى طلقها وهو كناية عن ذلك • ومعنى الوطر الحاجة المهمة ، وقيل ان زيدا لم يتمكن من الاستمتاع بها • وروى أبو عصمة باسناد يرفعه إليها أنها قالت : ما كنت امتنع منه ، غير أن الله عز وجل منعني منه • وفى الكلام تقدير أى فلما قضى زيد وطراً وانقضت عدتها • وقيل ان قضاء الوطر يشعر بانقضاء العدة ، فكأنه قيل فلما قضى زيد حاجته من نكاحها ، فطلقها وانقضت عدتها ، فلم يكن فى قلبه ميل إليها ولا وحشة من فراقها « زوجناكها » أى جعلناها زوجة لك • فقد صح من حديث البخارى والترمذى أنها رضى الله تعالى عنها كانت تفتخر على أزواج النبی ﷺ نقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات • وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال : كانت تقول للنبي ﷺ انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد ، وانى أنكحك الله اياى من السماء ، وان السفير لجبرائيل عليه السلام أى سفارته بين الله تعالى وبين رسوله عليه الصلاة والسلام • وأما السفير بينه عليه الصلاة والسلام وبينها فزيد رضى الله تعالى عنه فقد أخرج الامام أحمد ومسلم والنسائى وغيرهم عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : اذهب فاذكرها على فانطلق • فقالت : يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربى • فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن بالتزوج « لكيلا يكون على المؤمنين حرج » أى ضيق • وقيل اثم « فى أزواج ادعيائهم » أى فى حق تزوج أزواج الذين تبنوهم كما كانت تفعل العرب ، فانهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبی عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيد ابن حارثة وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من تبنووه • والأدعياء جمع دعى • وهو الذى يدعى ابناً من غير أن يكون ابناً على الحقيقة وفى تعليل الحكم السابق بقوله سبحانه : « لكى لا يكون » الى آخره اشارة الى أن التزويج منه عليه الصلاة والسلام لم يكن لقضاء شهوة بل لبیان شريعة بفعله ﷺ فأخبرهم الله تعالى أن نساء

لأدعياء حلال لهم اذا قَضُوا منهن وطرا ، بخلاف ابن الصلب ، فان امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها « **وَكُنْ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** » أى قضاؤه فى أمر زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاء ماضيا موجودا فى الخارج لا محالة • وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال المنافقون : تزوج حليمة ابنه ، فأنزل الله تعالى « **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** » — « **مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ** » أى ما استقام فى الحكمة أن يكون له حرج فيما أحل الله له وقدره وقضاه « **سُنَّةَ اللَّهِ** » أى سن الله ذلك سنة « **فِي الَّذِينَ خَلَوْا** » أى مضوا من قبلك من الأنبياء عليهم السلام حيث لم يخرج جل شأنه عليهم فى الاقدام على ما أحل لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره • وقد كانت تحتوم المهائر والسرارى المتعددات « **وَكُنْ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا** » أى قضاء مقضيا وحكما مبتوتا • والقضاء الارادة الأثرية المتعلقة بالأشياء على ما هى عليه • والقدر عبارة عن ايجاده اياها على تقدير مخصوص معين ، لكن كل منهما يستعمل بمعنى الآخر •

انتهى ملخصا •

وأقول : ان هذه الآية من الأدلة التى ترغم أنف المخالف على أن القرآن كلام الله سبحانه • ولو كان النبى عليه الصلاة والسلام تقوله لما نقول هذه الآية الكريمة ، فهى من الأدلة القاطعة عند كل ذى فهم على صحة مسألة امرأة زيد كما قصها الله تعالى علينا وبيننا لك معناها ، وأنها ليست كما يزعم النصرانى • والله سبحانه ولى التوفيق •

الفصل الرابع

أن الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع أو مطابقة لمعادات الأقوام وآرائهم ، أما الأول فممنه يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ليا وراحيل ابنتي خاله كما صرح به في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين كما تقدم آنفا • وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية كما في الاصحاح الثامن عشر من سفر الأخبار ، وأن عمران أبا موسى عليه السلام تزوج بعمته يوخاذ ، وهو أيضا حرام في الشريعة الموسوية ولو لم يكن هذا الناح جائزا قبل شريعة موسى ، لزم أن يكون موسى وهارون ومن أختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى ، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب الى عشرة أختاب كما سنفصله ان شاء الله تعالى في بحث النسخ •

وفي الاصحاح الخامس والاصحاح الخامس عشر من انجيل لوقا أن جميع العشارين والخطاة يدنون من المسيح ليسمعه ، فتذمر الفريسيون والكتبة ، قائلين : « هذا يقبل الخطاة ويأكل معهم • والفريسيون كانوا يشنعون على عيسى عليه السلام أنه يأكل مع الخطاة ويقبلهم •

وفي الاصحاح الحادي عشر من سفر الأعمال : « ولما صعد بطرس الى اورشليم خاصمة الذين من أهل الختان قائلين انك دخلت الى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم » انتهى • وأمثال هذا كثير • ولما كان زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه متبغى نبينا محمد ﷺ ونكاح زوجة المتبغى بعد الطلاق كان مستقبحا عند مشركى العرب ، كان عليه الصلاة والسلام يخاف أولا من طعن عوام المشركين اذا فكح زينب رضى الله تعالى عنها ، فلما أمره الله سبحانه بذلك تشريعا لأمة ، قدم عليه وام بالعبادة المشركين •

الفصل الخامس

ان الأنبياء عليهم السلام لهم خصائص يخصصهم الله تعالى بها ولا تكون لغيرهم من أمتهم ألا ترى أن هارون عليه السلام وأولاده كانوا مخصوصين بأمور كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها . وما كانت هذه الأمور جائزة لبني لاوى الآخرين فضلا عن غيرهم من بني اسرائيل كما صرح به في العهد القديم .

والعجب من هؤلاء النصارى ولاسيما البرتستانت منهم أنهم اذا رأوا أمرا لا تستحسنه عقولهم وآراؤهم في الشريعة المحمدية ، يقولون : هذا الأمر لا يجوز أن يكون من الله سبحانه وتعالى الحكيم العادل أو يقولون ان هذا ليس بلائق بمنصب النبوة . واذا وجدوا أمرا شنيعا في شريعتهم وحكما فظيحا في كتبهم ، يسلمون أنه من الله سبحانه ، وأنه لائق بمنصب النبوة ، ويقبلونه ولا يظنون فيه التحريف والتبديل وذلك كآمر الله سبحانه لحزقيال عليه السلام أن يحمل اثم اسرائيل وآل يهوذا على نفسه ، وأن يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوما خبزا ملطخا ببراز الانسان وكذا أمر الله تعالى لأشعيا عليه السلام أن يمشى مكشوف العورة الخليضة عريانا بين النساء والرجال ، الى ثلاث سنين مع كونه في قيد العقل . وكذا أمره ليوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية ، وأن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبه لزوجها . ويعدون اجازة نكاح زينب بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها غير ممكن أن يكون من جانب الله تعالى ، وأنه غير لائق بمنصب النبوة . فهذا عيسى عليه السلام على ما يحكيه الاصحاب السابع من انجيل لوقا بما نصه : « جاء وحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فنقولون به شيطان وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فنقولون : هوذا انسان أكل وشرب خمر محب للعشارين والخطاة ؟ » انتهى . كان شريبا للخمر بزعمهم وحال شريب الخمر معاوم ففي الاصحاب الثالث عشر من سفر القضاة.

ما نصه : « اياك من شرب الخمر والمسكر ، ولا تأكل شيئا نجسا • فقال ملاك الرب لنوح : فليحرز عن جميع ما قلت لامراتك ، ولا تأكل شيئا مما يخرج من الكرم ولا تشرب خمرا ولا مسكرا » ولذلك لما بشر الملك زكريا بولادة يحيى عليهما السلام بين من أوصاف تقوى يحيى أنه لا يشرب خمرا ولا مسكرا كما في الاصحاح الأول من انجيل لوقا ما نصه : « لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب » ومعلوم أن الخمر كيف عمل بالأنبياء على زعم النصارى واليهود ، فهذا نوح شرب الخمر وزال عقله ، وصار عريانا ، وأن لوطا لما شرب الخمر وزال عقله ، فعل بابنته ما فعل ، وكثير من دونه الاعتراض على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعترض أيضا على عيسى وحاشاه بأشياء بعدها أيضا غير لائقة بالأنبياء تحكيها عنه الأنجيل •

ففي الاصحاح السابع من انجيل لوقا ما نصه : « وسأله واحد من الفريسيين أن أكل معه • فدخل بيت الفريسي واتكأ ، واذا امرأة في المدينة كانت خاطئة اذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت ببقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية ، وابتدأت تبل قدميه بالدموع ، وكانت تمسحها بشعر رأسها ، وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلا : لو كان هذا نبيا علم من هذه المرأة التي تلمسني ؟ وما هي ؟ انها خاطئة ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان : انتظر هذه المرأة اني دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط ، وأما هي فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتها بشعر رأسها • قبلة لم تقبلني ، وأما هي فمئذ دخلت لم تأف عن تشييل رجلى ، بزيت لم تدغن رأسي ، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلى ، من أجل ذلك أقول لك : قد غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيرا • والذي يغفر له قليل يحب قليلا • ثم قال لها : مغفورة لك خطاياك ، فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم :

من هذا الذى يغفر خطايايا أيضا ؟ فقال للمرأة : ايمانك قد خلصك اذهبى
بسلام . *

وفى الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « وكان
انسان مريضا وهو لعازر من بيت عنيا قرية مريم ومرثا أختها وكانت
مريم التى تان لعازر أخوها مريضا . هى التى دهنت الرب بطيب
ومسحت رجله بشعرها ، وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر »
وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « فكان التلاميذ
ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه . وكان متكلما
فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ، فأوماً اليه
سمعان بطرس أن يسأل من هو عيسى أن يكون الذى قال عنه ؟ فاتكأ
ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيدى من هو ؟ » *

وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « قام عن
العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها . ثم صب ماء فى مغسل
وابتدأ بغسل أرجل التلاميذ ، ويمسحها بالمنشفة التى كان مئزرا بها »
انتهى . *

فالمعترضون ممن لا يعرف عصمة الأنبياء عليهم السلام يقولون :
تبين أن عيسى عليه السلام لما كان أكلوا شربيا للخمر وكان شابا
عزبا ، فاذا بـلت مريم قدميه بدموعها ومسحتهما بشعرها وقبلتهما وهى
الفاحشة المشهورة كيف نسي عيسى عليه السلام حال أسلافه يهوذا
وداود وسليمان وروبييل ؟ فقد زنى على زعم أهل الكتاب يهوذا بكنة ،
وداود بامرأة أوريا . وسليمان من اختلاطه بالنساء وحب له كثر فى
آخر عمره ، فشرب عيسى للخمر واختلاطه بالنساء وخدمتهن له
ودوراهن معه فى القرى ، وهو شاب عزب ، وغفره لخطايا الفاحشة
بسبب دهنها لرجليه مع اشتها حبه لها لا يليق بالعالم ، فضلا عن النبى
ﷺ انتهى . *

الفصل السادس

وأما قوله : « ويشهد على نفسه أنه حبيب اليه الطيب والنساء الخ كأنه جعل هذه المنقبة الجليلة معدودة بعداد الرذيلة :

أيها العائب طيب المصطفى .:• ان طيب السورد مؤذ بالجمع

ولعمري انه كلام صدر من مزكوم لم يشم رائحة الايمان بالله تعالى ورسله الذين يحبون المشموم لأنهم عليهم السلام يلاقون الملك • والطيب يقوى الحواس وملائكة الرب عز وجل اتحببه وتكره الرائحة الخبيثة ، بعكس الشياطين • حتى أن النبی ﷺ كان يحث الناس وجرضهم على استعمال ذلك ، لئلا يفسدوا الفوائد ولحضور الملائكة التحفة والكتب عندهم ، ولما لقائهم له بما يحبه • ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته • ولذلك يأمرهم بالسواك ونظافة أبدانهم وبيوتهم ، وورد : « نظفوا أفئيتكم فان اليهود لا ينظفون أفئيتهم » وهذه المرأة الزانية كما في الاصحاح السابع من انجيل لوقا لما دخل بيتها المسيح ، غفر لها ذنوبها بسبب الطيب ، الذي طيبته به • وكان النبي ﷺ يقول : « حبيب الى من دنياكم النساء الطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » وفي بعض الروايات : لفظ ثلاث قال العلامة الخفاجي في شرحه للشفاء فان محبة النساء من هدى الأنبياء — عليهم السلام — وكان فيه ﷺ من قوة التجماع ما ليس في غيره وكذا سماحته وشجاعته وشدة بطشه ، وكان فيه ﷺ قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ، هذا مع قلة أكله وشربه عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث أخرجه أصحاب الكتب الستة •

وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها : « كان يعجب رسول الله ﷺ من الدنيا ثلاث أشياء النساء والطيب والطعام ، فاصاب اثنين ولم يصب واحدة • أصاب النساء والطيب ، ولم ، يصب

الطعام » واسناده صحيح الا أن فيه رجلا لم يسم • وقال « حبيب »
بالبناء للمجهول • ودنياكم بالاضافة اليهم ، وألم يقل أحببت من دنياي
اشارة الى أن محبته ﷺ لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه ، بل
بفعل الله سبحانه ، فحبه انما هو لله وذاته ، لما أراده ورضيه له ،
لأنه ﷺ بشرى الظاهر ، ملاوتى لا يتجلى بأحوال البشر الا اذا أمره
الله تعالى ، لتتأسى به أمته ، وتتشرف بما رضى له • فعده ﷺ من
البشر كحد الياقوت من الأحجار ، وكان اذا دخل في الصلاة يشغل
ظاهره وباطنه عن المخلوق ، ليقف بين يدي خالقه ، فيزداد قربا
ومشاهدة فينصل نور بصره بنور بصيرته • فلذا جعلها قرعة عينه •
ولذا شرع السلام عند اكمالها لعوده الى من عنده من معراج •

قال القاضى عياض : فدل على أن حبه ﷺ لما ذكر من النساء
والطيب اللذين من أمور دنيا غيره ، واستعماله لذلك ، لبس لدنياه
والتلذذ بها ، بل لآخرته أى استعمالها بنية العبادة التى هى من أمور
الآخرة لفوائدها التى ذكرت فى التزوج وهى تحصينهن وشراعهن بحقوقهن
واكتسابه وهدايته لهن ، فكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره أى
للزوجات والملائكة ، لا لمجرد التلذذ والتنعم ، وان كان قادرا على ذلك
وكان حبه الحقيقى المختصر بذاته فى مشاهد جبروت مولاه ، ومناجاته ،
واذ لك ميز بين الحبين وفصل بين العالمين ، فقال : « وجعلت قرعة عينى
فى الصلاة » فأوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها تعظيما
لمشأنها وتفخيما لأمرها لكونها محبوبا لذاتها •

الفصل السابع

قولهم لم يجوز التزوج لأمته بأكثر من أربع وهو جمع بين تسع
فأجاب بأجوبة :

منها : ما ذكرناه آنفا أن الله تعالى قد يخص أنبياءه وأوليائه
بخصائص ألا ترى أن هارون وأولاده كانوا مخصوصين بأمور كثيرة
من خدمة قبة الشهادة ، وما يتعلق بها • ولم يجوزها لبنى لاوى
الآخرين ، فضلا عن غيرهم من بنى اسرائيل •

ومنها : أن الطبع البشرى يميل الى النساء سواء كان نبيا أو غير
نبي • والحكمة في ذلك حصول التفاضل لعبادة الله تعالى ، فجوز له
عليه الصلاة والسلام التزوج بأكثر مما أبيح للأمة ، لئلا يصرّف نظره
الى النساء الأجنيات ، اذ الانسان اذا كانت له زوجات وسرارى
عديدة ، لا يلتفت الى غيرهن ، فالتبى وان كان معصوما من الخطأ
ولاسيما في مثل هذا الأمر لكن من حام حول الحمى وشك أن يقع فيه •
ولاسيما فالرسول عليه الصلاة والسلام مرجع لأمته من الخاص
والعام ، وأن النظر الى الأجنيات سماء نبينا عليه الصلاة والسلام
زنا العين ، وعده في الانجيل عيسى عليه السلام مثل الزنا المحرم ،
فلخشية الوقوع ، وان كان النبي معصوما أبيح له أكثر من أمته •

ومنها : أن النبي ﷺ لما كان شارعا ومبيناً للناس ما يحتاجونه
في معاشهم ومعادهم وحلالهم وحرامهم ، وكانت النساء لهن أحكام
خاصة بهن كالحيض ونحوه ولا تعرف أسبابها الا من جهتهن ، وكانت
مختلفة فيهن • والأجنيات يمتنعن الاستحياء من بيان له عليه الصلاة
والسلام فأبيح له عليه الصلاة والسلام التزوج بما زاد على الأربع ،
ليطالع على اختلاف الأسباب بتعدد الأشخاص ، ويبتنى على ذلك أحكام
شرعية كما لا يخفى على من له خبرة بالمسائل الفقهية • ولذا كان

تزوجته عليه الصلاة والسلام معدودا من أمور الآخرة كما سيأتى تقريرا
ان شاء الله تعالى •

وأما قواهم : ان أمته يجب العدل عليهم بين نساءهم وهو لا يجب
عليه • فهذا خلاف ما رأيناه في الكتب الحديثية ، بل ورد أن من كان
له زوجتان ولم يعدل بينهما يأتى يوم القيامة وأحد شقيه مائل • وكان
عليه الصلاة والسلام يقسم لبياتيه بين نسائه ، ويعدل بينهما في كل
شئ يجب فيه العدل • وفي السنن عن عائشة رضى الله تعالى عنها :
كان رسول الله ﷺ يتقسم أى بين نسائه فيعدل ، ويقول : اللهم ان
هذا قسمى فيما أمرك فلا تلمنى فيما تملك ولا أمرك « يعنى القلب » وفى
الصحيحين أنه ﷺ كان اذا أراد سفر أقرع بين نسائه ، فأينتهن خرج
سيمها خرج بها معه • وما هذا الا لتطيب قلوبهن ، والا فلا حق لهن
بذلك • فاذا كان يعدل فيما ليس لهن به حق ، فكيف لا يعدل فيما لهن
به حق •

على أن لو سلمنا ذلك فأى بأس فيما هنالك لأن النبى معصوم
فلا يصدر منه خلاف العدل ، فلذا لا يجب عليه العدل لأنه محقق منه
مركز فى طبيعته مجبول بطبيعته ، فلا ينفك عنه ، لملازمته له عليه الصلاة
والسلام • وأى بأس اذا كان لنبى خصائص دون أمته ؟ والعجب
من النصارى أنهم يعترضون بزعمهم على من عصمه الله تعالى من
ذلك ، وينسبون اعتقادهم فى البابا أنه معصوم ، وأنه عادل غير ظالم ،
وينسبون الى الأنبياء صدور الكبائر كما أسلفناه لك •

**وأما قولهم انه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية التبطية فى بيت
زوجته حفصة فقال لها : حرمت مارية الى آخره •**

فهذه المسألة وقصتها وأحكامها مذكورة فى سورة التحريم • وهى
قوله جل وعز : « يا أيها النبى لم تحرم ما أهل الله لك ؟ تبغى مرضات
أزواجك ؟ والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم
وهو العليم الحكيم • وإذا أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما

نبأت به وأظهره الله عاينه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به
قالت : من أنبأك هذا ؟ قال نبأني الطيم الخبير « الآيات »

اعلم : أن العلماء لهم قولان في سبب نزول هذه الآيات الكريمات :

فالأول : ما رواه الامام البخارى وجمهور المحدثين والمفسرين أن
رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش وشرب عندها عسلا
فتواصت هى وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبى ﷺ فلتقل له : انى
أجد منك ريح مغافير فدخل على احدهما فقالت ذلك له • فقال لا بل
شربت عسلا عند زينب • ولما أعود • وفى رواية : وقد حلفت فلا تخبرى
بذلك أحدا ، فنزلت • وفى رواية قالت سمودة : أكلت مغافير ؟ قال :
لا • قالت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال : سقتنى حفصة شربة
عسل • فقالت : جرمت ففاه الحرفط • فحرم العسل • وفى رواية والله
لا أشربه • فنزلت • والمغافير بفتح الميم والغين المجمة وياء بعد
الفاء وبعدها الراء المهملة جمع مغفور بضم الميم شئ له رائحة كريهة
ينضحه الحرفط • وهو شجر ونبات له ورق عريض • وقيل شوك له
نور يأكل منه النحل • وكان عليه الصلاة والسلام يحب الطيب ويكره
الرائحة الكريهة لللطافة نفسه الشريفة ولأن الملك يأتيه وهو يكرهها
فشق عليه فحرمه أو حلف على أنه لا يشربه •

والقول الثانى : أنها نزلت في سرته • والمشهور انها مارية وأنه
عليه الصلاة والسلام وطئها في بيت حفصة في يومها أو في يوم عائشة
فعلمت بذلك حفصة فعاتبته فقال عليه الصلاة والسلام : ألا ترضين
أن أحرمها فلا أقربها ؟ قالت : بلى • فحرمها • وقال غير واحد :
أنه حلف لا يقربها • ويدل عليه : قوله تعالى « قد فرض الله لكم تحلة
أيمانكم » فاعتق رقبة في تحریمها والأخبار في هذا القول متعارضة ،
فلذا قال الامام النووى في شرح صحيح مسلم ان الآية في قصة العسل
لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ، ولم تأت قصة مارية في

طريق صحيح • وقوله سبحانه : « واذا أسر النبي الى بعض أزواجه »
هى حفصة « حديثا » وهو تولى عليه الصلاة والسلام : لكنى كنت
أشرب عسلا عند زينب فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا
« فلما نُبأت به » أى أخبرت بالحديث عائشة لأنهما كانتا متصافيتين ،
« لو أظهره الله عليه » أى أطلععه عليه « عرف » النبي حفصة « بعضه » وهوا
قوله لها : كنت أشرب عسلا عند زينب ، فلن أعود « وأعرض عن بعض »
وهو حلفت • فلم يخبرها تكريما لما فيه من مزيد خجلتها • وما زال
التغافل من فعل الكرام كما قال الشاعر :

ليس الغبى بسيد فى قومه ••• لكن سيد قومه المتغابى

وقيل : أخبره أيضا لها أن أبا بكر وعمر يليان أمر الناس بعده •
وفى هذه الآية معجزة • وهى أخبره عليه السلام بالغيب كما لا يخفى •

وأما قولهم : أن أمته اذا مات أحد منهم وكان متزوجا يباح أن
تتزوج امرأته بعد العدة وادعى انه لا يجوز لاحد أن يتزوج باحدى
نسائه من بعده •

فيقال لهم : ان هذا من الحكمة الجليلة • ويجاب عنه بوجوه :
الأول : قد قدمنا أن الله سبحانه قد يخص أوليائه ببعض الأحكام كما
فى آل هرون • وكما قد كان فرض على النبي عليه الصلاة والسلام
صلاة الليل ونافلته ، ولم يفرض ذلك على أمته • وكما خصه بمسألة
عدم الارث ، وأن النبي اذا مات تكون تركته للمسلمين • وفيها حكمة بديعة

والثانى : ان النبي فى قومه بمنزلة الأب لأولاده •

الثالث : انه اذا يباح لهم ذلك بالنسبة الى نسائه ربما يخلج
فى ذهن أحدهم وقا به حب بعض نسائه ، فيتمنى موت النبي حتى
يتزوجها بعده ، فاذا تمنى موت نبيه يخشى عليه الهلاك والنبي قد أسدى
الى أمته معروفا ، فيلزم شكره لامتنى موته • ثم ان كثيرا من الأنبياء

وعدهم الله تعالى أن لا يخرج الملك من يد أولادهم تطييبا لهم وكذلك الزوجات • ومما سردناه لك تبين زيف ما موه به عبد المسيح لدى كل ذى عقل سالم صحيح ، فتدبر هذا وذاك والله سبحانه يتولى هدايا وهداك •

قال النصرانى : « وكذلك هناته مع عائشة وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمى فى رجوعهم من غزوة المصطلق بتخلفها عن العسكر معه ، وقدمه بها من القد نحو الظهيرة ، راكبة على راحلته ، يقودها • وما قذفها به عبد الله بن أبى بن سلول وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبى بكر ، وزيد بن رفاعه ، وحمنة بنت جحش أخت زينب ، وتبليغ على بن أبى طالب اليه كلام المتكلمين وعيب العائنين ، وأن فيه مساعا للقول والظنة • وختم كلامه بعد التعريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلا يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثيرة ، فلم يلتفت الى ذلك كله لشدة إعجابه بها لأنه لم يكن فى من نكح من نسائه بكر غيرها ولا أحدث سنا منها • فكان لها من قلبه مكان ، وكانت خلابة ، فرضى بما كان من ذلك الأمر كله • وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين على الى آخره حياتهما • ثم ادعى نزول براءتها فى السورة المعروفة بسورة النور ، من قوله : « ان الذين جاءوا بالافك عصابة منك » الخ فهذه القصة نعرفها كمعرفتك ، والخبر بها مستفاض وعندنا مشروح مفسر لا يجب كشفه » انتهى •

فأقول : « سبحانه هذا بهتان عظيم » ولنتكلم مع هذا النصرانى وأمثاله ممن يهذى هذا التهذيان ويتهم أزواج الأنبياء وأمهاتهم بمثل هذا البهتان بالمعقول والمنقول والانصاف المطلوب المقبول • ولنذكر المعقول أولا ثم نذكر المنقول مفصلا •

فيقال للنصارى : انه من الأمور البديهة الثابتة عند كل ذى رؤية أن صفوان كان مؤمنا بالنبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ايمانه

بالجبر ، بل بالطوع ، والحب الكامل ، بعد أن اعتقد نبوته مصدقا برسائلته ومعجزاته أتى من جملتها أنه يعلم الغيب باطلاع الله سبحانه له ، بواسطة الوحي • وأن الصلاح والتقوى التى كانت عنده وعند أمثاله من الصحابة فوق ما يتصور المتصورون وامتثالهم لأوامره عليه الصلاة والسلام واجتنابهم لمناهيه أعظم مما يتخيله المتخيلون ، حتى أنهم يقدون أنفسهم وأولادهم وآباءهم وأموالهم لأجله ، بل بعضهم يقتل أخص أهله وأقربائه لأجله ، وأن الزنا والخيانة فى ذلك من الأشياء المستقبحه عندهم جاهلية واسلاما • وصفوان ذو غيرة عربية وحمية اسلامية ، مع أنه خارج فى هذه الغزوة للتقرب الى الله ورسوله • وليس بينه وبين عائشة تلاق واجتماع فى المدينة ولا يمكن أخذ موعد منها وحاشاها فى ذلك • وإو فرض أن بين امرأة ورجل تكون مواعدة على مكرهه ، ولم يتمكنا فى مثل هذه الغزوة العرمية • وفيها سيد البرية ﷺ ولا يعلم نزولهم وظعنهم متى يكونان ؟ وان يكن فى قلبهما سوء ، فالبلاد أوسع لهم ، وعائشة رضى الله تعالى عنها ليست بغير زوج ، وهى أيضا ممن يعتقد رسالة النبى ﷺ وعلم الغيب بواسطة الوحي فكيف يساور الظن به وبها • وهى العربية الخالصة والمؤمنة العالة والتقية الصديقة ، ولم ير ذلك أحد منها ولا ولدت ولدا ، لحقق الأمر عنها • لكن الحر كما يقال ممتحن بأولاد الزنا • فهذه الصديقة الأخرى سيدة نساء العالمين فى زمانها والدة الرسول المسيح عليه الصلاة والسلام التى برأها سبحانه فى كتابه العزيز ، رماها اليهود أيضا وحاشاها بالزنا مع يوسف النجار ، وأن حملها بعبسى دليل على ذلك ، كما تدل الشمس على النهار •

فالمسيح على زعمهم الباطل انما تولد من الزنا الحاصل فهل للعقل مساغ بعد أن برأها الله سبحانه فى القرآن الكريم أن يتهم مريم فى هذا الأمر الفظيع العظيم ؟ وان كان الأمر بعيدا عن العقل والمعادة أن تلد امرأة بغير وطء زوج لها ، وان كان اليهود أيضا أجمعوا على ذلك • فاجماعهم مردود عليهم ، لورود الفرقان بتكذيبهم •

فكما أننا لولا وجود القرآن ببراعتها لقلنا كما قالت بنو اسرائيل في حقها • والعياذ بالله تعالى ، لبعد العادة عن مجيء ولا بلا أبوين ، لكننا آمننا بالقرآن وصدقناها • وعائشة الصديقة لو لم يرد القرآن ببراعتها لما جوز العقل أيضا رميها بذلك ، لأنه لم ير أحد منها ما هنالك ، بل هو الظن الباطل الناشئ من مجيء صفوان معها لاسيما والمسيح قال : لا تقبلوا قولاً بغير شهود ، يعنى يشاهدون الأمر فيشهدون • لأن الانسان اذا لم يشاهد الشيء قد يظنه وهو على خلاف نفس الأمر كما تشهد بذلك التجارب • وأمر عائشة رضى الله تعالى عنها لَمْ يكن كذلك ، كما سيأتى تفصيله في المنقول • ومع هذا فالله سبحانه قد برأها من هذا البهتان واتضح الكذب في العيان ، كما برأ ابنة عمران ، فتبرأتها متلازمتان • على أنه قد بانَّتْ حصرية صفوان ، لكن النصارى واليهود ولاسيما هذا المؤلف لم يراقبوا الديان ، فرموا الأنبياء ، ونساءهم بأشياء لا تحب سماعها الآذان ، كما فصلناه في بحث سليمان ، وغيره عليهم السلام •

وأما المنقول فلنذكر هذه الغزوة من أولها الى آخرها حتى تتضح مسألة الافك على أتم وجه •

قال العلماء والمحدثون وأهل السير أجمعون : غزوة بنى المصطلق — بضم الميم وسكون المهملة وفتح الإطاء المشالة المهملة واللام بعدها قاف — وهو لقب واسمه خزيمه بن سعد بن عمر ، بطن من خزاعة ويقال لها أيضا غزوة المريسيع — بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين وآخرها عين مهملة — وهو ماء بين خزاعة وبين الفرع يومئذ وسببها : أنه يبلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله ﷺ فلما سمع عليه الصلاة والسلام بهم ، خرج اليهم وكان معه بشر كثير من المنافقين ، وخرجت معه عائشة وأم سلمة حتى لقيهم على ماء أظم يقال له المريسيع من ناحية قديد ، الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وقتل منهم من قتل •

وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه من بنى كلب بن عوف ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فبينما الناس على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أجبر له من بنى غفار ، يقال له جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبى بن سلول المنافق . وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث . فقال أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما أحدنا وجلابيب قریش هذه ، الا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك . أما والله « **لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** » ثم أقبل على من حضره من قومه . فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغه عليه الصلاة والسلام من عدوه ، فأخبره الخبر . وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ولكن أذن بالرحيل فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس . وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول الى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به وكان فى قومه شرفا عظيما . فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبى بن سلول ، ودفعنا عنه . فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله . والله لقد رحلت فى ساعة منكرا ما كنت تروح فى مثلها . فقال له

رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب
يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي • قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه
ان رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل • قال : فأنت يا رسول الله
تخرجه منها ان شئت • هو والله الذليل وأنت العزيز •

ثم قال : يا رسول الله ارفق به • فوالله لقد جاعنا الله بك وان قومه
لينظّمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استأبته ملكا ثم مشى رسول
الله ﷺ يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك
حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يبثوا أن وجدوا مس الأرض
فوقعوا نياما • وانما فعل ذلك عليه الصلاة والسلام ليشغل الناس
عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي ، ثم راح
رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماء بالحجاز
فوريق النقيع يقال له بقعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس
ريح شديدة آذتهم وتخوفوها • فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها •
فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة
ابن زيد بن التّابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود
وكهنا للمنافقين ، مات في ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله عز وجل
المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول
الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه • وبلغ
عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال
يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه • فان
كنت لابد فاعلا فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه • فوالله لقد علمت
الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وانى لأخشى أن تأمر
به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي
في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار • فقال رسول الله
ﷺ : بل نرتفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وجعل بعد ذلك اذا
أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه
فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين بلغه

ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته • فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى •

وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك لعائشة رضى الله تعالى عنها • وذلك أن عائشة كانت قد خرج بها رسول الله ﷺ معه فى هذه الغزوة بقرعة أصابتها وكانت تلك عادته مع نسائه رضى الله تعالى عنهن ، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا فى بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها ، ففقدت حينما أخذ الناس بالرحيل عقدا لأختها كانت أعارتها اياه ، فرجعت تلتمسه فى الموضع الذى فقدته فيه فى وقتها ، فجاء النفر الذين كانوا يرحلون لها البعير خلافا ، فأخذوا اليهودج وهم يظنون أنها فيه كما كانت تصنع فاحتملوه وشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنها فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا لأن النساء اذ ذاك خفيفات لأنهن انما يأكلن التلى ولم يهيجهن اللحم ، فيثقلن • ولأسما عائشة لأنها فتيية السن ام يغمرها اللشم الذى كان يثقلها • على أن النفر لما تساعدوا على حمل اليهودج لم ينكروا خفته ، فالتمسته فوجدته ، فرجعت الى العسكر ، فإذا ليس لها داع ولا مجيب ، فقمعدت فى المنزل وهى تظن أنهم سيفقدونها ، فيرجعون فى طلبها • فالتفت فى جوابها فخلاتها عيناها فنامت • فلم تستتظ الا بقول صفوان بن المعطل : اننا الله وانا اليه راجعون • زوجة رسول الله ﷺ لأنه كان راها قبل أن يضرب الحجاب وكان صفوان فى أخريات الجيش نائما لأنه كان كثير النوم ، كما ورد أن أمه اشتكت مرة عند رسول الله ﷺ أنه لا يقعد يصلى الفجر لكثرة نومه • وقال لها : ما خلفك يرحمك الله ؟ فلم ترد له جوابا • ثم قرب البعير ، فقال اركبى واستأخر عنها فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس حتى قدم بها • وقد نزل الجيش فى نحر الظهيرة ، فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن أبى بن سلول متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد ، الذى يبر ضارعه فجعل يستحكى الافك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه

ويجمعه ويفترقه ، وكان أصحابه ينتفرون به اليه • فلما قدموا المدينة أفاض أهل الافك في الحديث ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم ، وعائشة لم يبلغها من ذلك شيء ، ولم تثبت أن اشتكت شكوى شديدة ، فأنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه ، لأنها كانت إذا اشتكت لطف بها فلم يفعل ذلك بها في شكواها • فأنكرت ذلك منه ، ولم تعرف السبب ، ولم يذكر أبواها لها شيئا من ذلك • فلما رأت من جفائه قالت له : لو أذنت لى يا رسول الله فانتقلت الى أمى فمرضتنى فأذن لها فانتقلت الى أمى ثم استشار رسول الله ﷺ أصحابه في فراقها فأشار عليه على رضى الله تعالى عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحاً ، وأشار عليه أسامة وغيره بامساكها وأن لا يلتفت الى كلام الأعداء • ولا نعلم الا خيرا • وهذا الكذب والباطل •

وقال له على : سل الجارية فانها ستصدقك فدعا رسول الله ﷺ جاريته فقالت : والله ما أعلم الا خيرا وأنها لكالذهب الخالص بيد الصائغ ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا • الا أنى كنت أعجن عجنى فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى المشاة فتأكله وعائشة لا علم لها بشيء مما قاله أهل الافك ولا من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حتى فقهت من وجعها بعد بضع وعشرين ليلة ، وكانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهم في فسخ المدينة لأنهم كانوا قسوما عربا لا يتخذون الكنف التى تتخذها الأعاجم لأنهم يعافونها ويكرهونها ، فخرجت عائشة ليلة لبعض حاجتها ومعها أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر خالة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكانت تمشى مع عائشة ، فعثرت في مرطها • فقالت نعس مسطح • ومسطح لقب • واسمه عوف • فقالت لها عائشة : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا • قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ فقالت عائشة لها : وما الخبر ؟ فأخبرتها بالذى كان من قول أهل الافك ، فرجعت وما قدرت أن تقتضى حاجتها وما زالت تبكى حتى كاد البكاء أن يصدع كبدها • فقالت لأمها يا أماه يغفر الله لك تحدث الناس بما

تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ؟ قالت : أى بنية خفضى عليك الشأن • فوالله لقلتما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها •

وقام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم وعائشة لا تعلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق • والله ما علمت منهم الا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيرا وما يدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى •

قال العلماء والراوون : وكان كبر ذلك عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكن من نسائه امرأة تناصب عائشة فى المنزل عنده غيرها • فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل الا خيرا وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضاد عائشة لأختها فشقيت بذلك • وعلى كرم الله تعالى وجهه لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والزينة الى اليقين بقول الجارية ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والنعم الذى لحقه من كلام المنافقين ، ومن اغتر بكلامهم وأشار بحسم الداء • وأسامة لما أعلم من عفتها وبراعتها وحصانتها وديانتها ما هى فوق ذلك وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربه نبيه وحبيته من النساء وبنات صديقه بالمنزل الذى أنزلها به أرباب الافك ، وأن رسول الله ﷺ أكرم على ربه من أن يبتليها بالفاحشة ، وهى تحت رسوله • ولذا قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوا ذلك : « سبحانك هذا بهتان عظيم » وتأمل ما فى تسبيحهم لله سبحانه وتنزيهه له فى ذلك المانم من المعرفة به وتنزيهه عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليته وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به السوء وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق الا بمثلها كما قال تعالى « **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ** » فقطعوا قطعاً

لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم ، وفرية ظاهرة •

قال العلامة ابن القيم في الهدى النبوى : فان قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله تعالى وبمنزلته عنده فيما يليق به ؟ وهلا قال : « سبحانك هذا بهتان عظيم » كما قال فضلاء الصحابة ؟ •

فالجواب : أن هذا من تمام الحكم الباهرة التى جعل الله تعالى هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله عليه الصلاة والسلام ولجميع الأمة الى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين ، « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » وإيماننا ولا يزيد الظالمين الا خسارا •

واقضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهرا في شأنها لما يوحى اليه في ذلك شيء ليتم حكمته التى قدرها وقضاها ويظهر على أكمل الوجوه ، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماننا وثباتنا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصادقين من عباده ويزداد المنافقون افكا ونفاقا ، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتنتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها رضوان الله تعالى عليهما وتتم نعمة الله تعالى عليهم ، ولتتسند الفاقة والرغبة منها ومن أبيها والافتقار الى الله تعالى والذل له وحسن الظن به والرجاء له وإينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتأس من حصول النصر والفرج على يد أحد من الخلق • ولهذا وقت لهذا المقام حقه لما قال لها أبوها : قومى اليه ، وقد أنزل الله تعالى براءتها قالت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله الذى أنزل براءتى • وأيضا : فكان من حكمة حبس الوحي شهرا : أن القضية فضجت وتمحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف الى ما يوحى الله سبحانه الى رسوله فيها وتطلعت الى ذلك غاية التطلع ، فوافى الوحي أحوج ما كان اليه رسول الله ﷺ

وأهل بيته ، والصديق وأهل بيته وأصحابه والمؤمنون • فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم غاية الهناء فلو اطلع الله سبحانه رسوله ﷺ على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك ، لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها •

وأیضا : فان الله تعالى أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى سبحانه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وغيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه ، بل يكون هو سبحانه وحده المتولى لذلك الناصر لرسوله وأهل بيته •

وأیضا : فان رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى والتي رمت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد على براءتها مع علمه ، اذ ظنه الظن المقارب للعلم ببرائتها • ولم يظن بها سوءا قط وحاشاها • وعنده عليه الصلاة والسلام من القرائن على براءتها أكثر مما عند المؤمنين ، ولكن لكامل صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه سبحانه وثقته به وفي مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاءه الوحي وبما أقر عينيه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأتمته احتقال ربه به واعتناؤه بشأنه • قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : دخل على رسول الله ﷺ وعندي أبواي وامرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه • ثم قال : يا عائشة انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فانتقي الله • فان كنت قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبى الى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده • قالت : فوالله ما هو الا أن قال لي ذلك فقلص دمي حتى ما أحس منه شيئا وانتظرت أبوي أن يجييا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما قالت : وأيم الله لأننا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل الله في قرآنا يقرأ به في المساجد ويصلى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئا يكذب به الله عني ، لما يعلم من براءتي أو يخبر خبرا •

فأما القرآن ينزل في فؤاد الله لنفسه كانت أحقر عندى من ذلك •
 قالت فإما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله
 ﷺ ؟ قالت : فتالا : والله ما ندري بماذا نجيبه ؟ قالت : والله ما أعلم
 أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر في تلك الأيام • قالت :
 فلما أن استعجما على استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب
 إلى الله مما ذكرت أبدا • والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس
 والله يعلم أنى منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون
 لا تصدقوننى • قالت : ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت :
 ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على
 ما تصفون » قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه
 من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت
 رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت
 قد عرفت أنى منه بريئة وأن الله عز وجل غير ظالمى وأما أبواى فوالذى
 نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن
 أنفسهما فرقا أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرى عن رسول
 الله ﷺ فجلس وانه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل
 يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : ابشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك
 قالت : قلت بحمد الله • ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم
 وتلا عليهم ما أنزل الله تعالى عليه من القرآن في ذلك ثمانى عشرة آية •

قوله سبحانه : « ان الذين جاءوا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه
 شرا لكم ، بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى
 تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ومنها قوله سبحانه : « لولا جاءوا
 عليه بأربعة شهداء ، فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم
 الكاذبون » •

ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمزة بنت جحش وكانوا
 ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ثمانين ثمانين ، وأما عبد الله بن
 أبى بن سلول المنافق الذى تولى كبره ، فلم يحد ، لأن الحد تخفيف

المحدود وكفارة له ، وليس الخبيث كذلك ، لأن الله سبحانه وعده بالعذاب العظيم في الآخرة ، فيكفيه ذلك عن الحد • وقيل : لم يحد لأنه كان يستوشى الحديث ويجمعه ويحكيه ، ولم يصرح بالافك بين المؤمنين ولم يشهد به عليه أحد • ثم انهم بعد ذلك سألوا عن صفوان ابن المعطل ، فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء رضى الله تعالى عنه • فقال بعض الصحابة في ضرب حسان وصاحبيه :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله تعاظوا بترجم الغيب زوج نبيهم وأثوا رسول الله فيها فجلوا وصبت عليهم محصيات كأنها	ولحمنة اذ قالوا هجرا ومسطح وسخطة ذي العرش الكريم فأتروا مضاري تبقى عموها وفضحوا شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح
---	--

ثم ان حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه انكف بصره ، واعتذر من الذي كان قاله في شأن عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله :

حصان رزان ما تزن بريئة عقيلة حى من نوى بن غالب مهنية قد طيب الله خيمها فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم وكيف وودى ما حييت ونصرتى له رتب عال على الناس كلهم فان الذى قد قيل ليس بلائط	وتصبح غرثى من لحوم الفواطل كرام المساعى مجدهم غير زائل وطهرها من كل سوء وباطل فلا رفعت سوطى الى أنامل لال رسول الله زين المحافل تقاصر عنه سورة المتناول ولكنه قول امرئ بى ماحل
--	--

• انتهى

فتبين لكل منصف غير غاش لنفسه : أن براءة عائشة رضى الله عنها ثابتة بما ثبتت به براءة مريم ، وزادت على براءة مريم بالدلائل العقلية التى أسلفناها لك ، فلا حاجة الى التكرار • وأما عداوتها مع على رضى الله تعالى عنه فكذب ، اذ كيف تكون العداوة بينهما وهى أمه لأن نساء نبينا عليه الصلاة والسلام أمهات أمته كما ثبت فى كتابنا الكريم •

وأما ما جرى بعد ذلك بينهما بعد وفاة النبى ﷺ فى وقعة الجمل

غذلك لأسباب آخر ليس لها مدخل في هذه المسألة ، فلذا نضرب عنها صفحا في كتابنا هذا ، لأنها ليست مما نحن بصدده ولو سلمنا أنه كان بينهما شيء في القلوب — وحاشاها — فأى دليل في ذلك على صحة بهتان هذا المؤلف ؟ بعد أن ستتنا لك الأدلة العقلية والنقلية في براءتها • والله المستعان على عباد الصور والتمثيل والحاكين للباطيل • وهو حسبنا ونعم الوكيل •

قال النصراني : « وكانت نسائه فيما ظهر كما علمت خمسة عشر حرة وأمتين أولاهن : خديجة بنت خويلد • ثم عائشة بنت أبي بكر ، وهو عبد الله المعروف بعقيق بن أبي قحافة ، وسودة بنت زمعة ، وحفصة بنت عمر ، وهى التى كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيبة ، وأم سلمة واسمها هقد بنت أبى أمية وهى المخدوعة أم الأطفال التى زعم أنه يذهب عنها الغيرة عندما امتنعت عليه ، واحتجت بأنها امرأة غيرة ، وأنه يعمل صبيتها لما اعتذرت أنها ذات صبية ، وأنها تخاف ألا يرضاه أهلها فتضمن لها أن يكفيها ذلك ، حتى أجابت اليه ، ثم لم يف لها من ذلك الاضمان بحرف واحد ، وهى التى نحلها حرتين وورحى ووسادة من آدم حشوها ليف ، فحصلت منه على هذا فى الدنيا والآخرة • وزينب بنت جحش امرأة زيد التى بعث اليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات فردته إلى وجهه فهجرها وهجر نساءه بسببها ، وحلف أنه لا يدخل عليهن شهرا ، فلم يصبر ، فدخل التسعة وعشرين • وزينب بنت خزيمة الهلالية ، وأم حبيبة واسمها رمة بنت أبى سفيان أخت مطوية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصوفية اليهودية بنت حبي بن الخطب التى علمها أن تنخر على نسائه عند تعييرهن إياها وتقول أنا أنتى هرون أبى ، وموسى عمى ، ومحمد زوجى • والكلاية وهى فاطمة بنت الضحاك بقيل أنها بنت يزيد عمرة الكلاية ، وهنة بنت ذى الناحية ، وبنت النعمان الكندية ، التى أنفت منه حين قال لها هبى لى نفسك ، فقالت : وهل تهب المالكية نفسها للأسوقة ؟ وملكية بنت كعب

الليثية ذات الأنفيس ، ومارية أم إبراهيم ابنه ، وريحانة بنت شمعون
القرظية اليهودية فهؤلاء نسأوه اللواتى كن له وأمتان .

قال بولس رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم : « ان الذى
له زوجة إنما غايته أن يصرف عنايته الى رضى زوجته ، والذى لا امرأة
له فعنايته مصروفة الى رضى ربه » وقد صدق وقوله الحق لأنه يحتاج
أن يتشافل بما يرضى امرأته ، وكما قال الرب المسيح : « لا يقدر
العبد أن يخدم ربهين في وقت واحد ، ولا بد له من أن يلزم الواحد ويحتقر
الآخر » فإذا كان لا يمكن للرجل أن يخدم امرأة واحدة ويرضيها
ولا يسخط خاتنته ، فكم أخرى من يريد أن يصرف عنايته كلها الى رضى
خمس عشرة امرأة وأمتين ، مع ما أنت عريف من شغلته بشرفه الذى كان
منغمسا فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرجال وسبى الحريم
وسلب الأموال وتزجيه الطالئع وتعبيته الكراديس ، لاصابة الطرقات
وشن الغارات ، فعنى كان له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور
الفراغ للصوم والصلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه الى أمر الآخرة
وما شافل ذلك من أعمال الأنبياء ، ولست أشك في أنه لا نبى قبله ابتدع
مثل هذا .

ولكن فلندع الآن ذكر هذا وتأخذ في ذكر أعلام النبوة التى يجب
معها الاقرار لمن أتى بها بأن يسمى نبيا ورسولا وننظر فيما أتى به
صاحبك . وهل يوافق أو يشبه شيئا مما جاءت به الأنبياء ويشاكله ؟
وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه ؟ انتهى .

فنقول ومنه عز وجل الهداية الى أقوم طريق :

قوله : « وكانت نسأوه فيما ينظر كما قد علمت خمس عشرة حرة
وأمتين » .

أما نسأوه عليه الصلاة والسلام فهن القرآن أمهات المؤمنين
وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن ، لا في نظر وخلوة .

واختلف في عدة أزواجه عليه الصلاة والسلام والمتفق عليه أنهم
أحدى عشرة امرأة ، ومات ﷺ عن تسع • وفي شرح المواهب للزرقاني عن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما تزوجت
شيئا من نسائي ولا زوجت شيئا من بناتي إلا بوحي جاء به جبريل
عن ربي عز وجل » قوله « أولاهن خديجة » هي أول من أسلم بالاتفاق • وقد
تقدم الكلام في تزوجه عليه الصلاة والسلام إياها وأما من العمر أربعون
سنة ، وكان سنه يومئذ خمسا وعشرين سنة على الثول المشهور ، وماتت
قبل الهجرة بثلاث سنين ، فلا حاجة بنا إلى الإعادة • قوله « ثم عائشة »
الخ تزوجها بمكة وأصدقها أربعمئة درهم سنة عشر من النبوة وقبل
الهجرة بثلاث وأعرس بها بالمدينة في شوال ، ولها من العمر تسع سنين •
وكانت فقيهة عالمة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب
وأشطارها ، ومات عنها عليه الصلاة والسلام ولها ثمان عشرة سنة ،
ولم يتزوج بكرا غيرها • وتوفيت بالمدينة وهي ابنة لست وستين سنة ،
وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلا ، صلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى
عنه •

واختلف العلماء في المفاضلة بينها وبين خديجة وفاطمة الزهراء
ومريم العذراء رضي الله تعالى عنهن على أقوال • وأخرج الامام أحمد
عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « أفضل نساء أهل الجنة
خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة
فرعون » قوله « وسودة بنت زمعة » أسلمت قديما وبايعت وكانت
تحت ابن عم لها يقال له السكران ، أسلم معها وهاجرا جميعا إلى أرض
الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل أنه مات بالحبشة ،
ثم تزوجها ﷺ بعد موت خديجة رضي الله تعالى عنها قبل أن يعقد على
عائشة ، وقيل تزوجها بعد عائشة • ويجمع القولين بأنه عليه الصلاة والسلام
عقد على عائشة قبل سودة ، ودخل بسودة قبل عائشة رضي الله تعالى

عنها ، ولما كبرت جاءت رمها لعائشة ، وتوفيت بالمدينة سنة أربع وخمسين •

قوله : « وحفصة بنت عمر » الى آخره هي بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أسلمت وهاجرت مع زوجها جفيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسین المهمله ومات عنها بعد غزوة بدر ، فلما تأيمت خطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها عمر بن الخطاب في سنة ثلاث من الهجرة ثم طلقها تطليقة واحدة ، فنزل عليه الوحي « راجع حفصة فانها صوامة قوامة ، وانها زوجتك في الجنة » فراجعها عليه الصلاة والسلام وماتت سنة خمس وأربعين •

وأما إشارة هذا النصرانى أنه وقع بينها وبين عائشة هنات عجيبة ، فكذب عجيب وزيف غريب ، وليت شعري أى هنات وقعت بينهما ؟ وهذا تمويه منه على ضعفة العقول • انه وقع أمر غريب بين زوجتى الرسول • وليته بينه حتى يسمع الجواب الشافى والبيان الكافى لرد مستوقته وتكذيب أعجوبته •

على أنا لو سلمنا وقوع شيء بين الضرتين فأى شين : لحق من ذلك برسول الثقلين أو يكون سببا لعدم قبول رسالته • فهذا ابراهيم خليل الرحمن وقع بين زوجتيه سارة وهاجر من الغيرة ما وقع ، كما هو محرر فى التوراة •

وتأوله : « وأم سلمة » الى آخره اسمها هند وقيل رملة وكانت تحت أبى سلمة بن عبد الأسد وكانت هى وزوجها أول من هاجر الى أرض الحبشة وقيل هى أول طعنة دخلت المدينة مهاجرة ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة ، وروى فى المواهب عن أم سلمة أنها قالت كنت سمعته عليه الصلاة والسلام يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرا منها • الا أخلف الله تعالى له خيرا منها » • فلما مات أبو سلمة استرجعت وقالت : اللهم عندك

احتسب مصيبتى هذه ، ولم تطب نفسى أن أقول : اخلبنى خيرا منها .
وقلت أى المسلمين خير من أبى سلمة أى فى قيامه بأمرى على الوجه
الذى أريده . ثم انى قلتها فأخاف الله تعالى لى رسول الله ﷺ ثم
خطبها رسول الله ﷺ فقالت : مرحبا برسول الله ﷺ ان فى خلا
ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة ، وأنا امرأة مصيبة ، وأنا امرأة ليس لى
هنا أحد من أوليائى فيزوجنى . فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما
ذكرت من غيرتها ، فانى أدعو الله أن يذهبها عنها ، وأما ما ذكرت من صبيبتها
فان الله عز وجل سيكفيكمهم ، وأما ما ذكرت من أوليائها فليس أحد من أوليائها
يكهننى ، فقالت لابنها : زوج رسول الله ﷺ فزوجه وأصدقها مقاعا قيمته
أربعون درهما وتوفيت سنة تسع وخمسين ، ودفنت بالبقيع وصلى عليها
أبو هريرة فحصلت فى الدنيا أنها صارت زوجة نبي وفى الآخرة تكون معه
فى الجنة ، فحصل لها خير الدارين وخلد ذكرها من المشرقين الى
المغربين ، على رغم أنف مموه الحق بالمين .

وأما ما زعمه هذا النصرانى أنه لم يف لها من ذلك الضمان بحرف
واحد ، فهو كذب وبهتان ، فقد نقل الرواة كما فى شرح الواهب اللادنية
 وغيره أنه عليه الصلاة والسلام دعا فكانت فى النساء كأنها ليست منهن
لا تجد من الغيرة شيئا . وأما الصبية فقد قال لها عليه الصلاة والسلام
فيهم : « وأما العيال فالى الله ورسوله » فكان الأمر كذلك . وأما مسألة
أوليائها فصاروا مستبشرين فرحين بما هنالك . ولدت شعري من أين
علم هذا النصرانى أنه عليه الصلاة والسلام لم يف لها بحرف واحد ،
وهو خلاف ما فى كتب المسلمين ، وليس للنصارى كتب وسير ، حتى
نقول انه نقله من كتبهم ، فما هذا الا اختلاف ودور وقع على رده
الاتفاق .

قوله : « وزينب بنت جحش » الى آخره قد بينا فيما سبق كيفية
تزوجها عليه الصلاة والسلام رابها أميمة بنت عبد المطالب عمة رسول
الله ﷺ وكانت تحت زيد بن حارثة فلما طلقها وانقضت عدتها وتزوجها
رسول الله ﷺ بأمر الله جل وعز قال المنافقون : حرم محمد نساء

الولد وقد تزوج امرأة ابنه أى الذى تبناه — ولم يكن ابنه — فأنزل الله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » الآية وكان اسمها بره فسمها عليه الصلاة والسلام زينب وكان تزوجها له ﷺ سنة خمس من الهجرة وهى أول من مات من أزواجه بعده ، وتوفيت فى المدينة سنة عشرين ، ولها ثلاث وخمسون سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قالت عائشة فى شأنها : ولم تكن امرأة خيراً منها فى الدين ، وأنقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى •

ثم اعلم : أن فى سبب عدم دخوله عليه الصلاة والسلام على زينب وبقية نسائه شهراً ، خلافاً • ففى شرح البخارى للقسطلاى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية القبطية فى بيت حفصة فجاءت فوجدتها معه ، فقالت : يا رسول الله تفعل هذا معى دون نسائك ؟ فقال : لا تخبرى أحداً هى على حرام ، فأخبرت عائشة فاعتزل النبى ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشسته حفصة الى عائشة ، تسعاً وعشرين ليلة ، اذ الشهر قد يكون تسعاً وعشرين أو السبب تحريم العسل الذى كان شربه وعن عائشة قالت أهدى لرسول الله ﷺ هديه فأرسل الى كل امرأة من نسائه فعصبيها فلم ترض زينب بنت جحش بنصيبها فزادها مرة أخرى ، فلم ترض فقال رسول الله ﷺ لا أدخل عليك شهراً •

وفى مسلم من حديث جابر أن أباً بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما دخلا على رسول الله ﷺ وحوله نساءؤه ، يسألن النفقة فقام أبو بكر الى عائشة أى يوبئها • وقام عمر الى حفصة أيضاً • ثم اعتزلهن شهراً وهو تسع وعشرون ليلة ، فيحتمل أن يكون جميع ما ذكر ، كان سبباً لاعتزالهن • انتهى •

فأى منقصة على رسول الله ﷺ ؟ حاشاه فى ذلك ، وأى طعن فى هذا بنبوته عليه الصلاة والسلام فما هنالك ؟ واذا نتبعت نساء الأنبياء

عليهم السلام وجدتهن قد صدر منهن بمقتضى الطبع البشرى أزيد من هذا ، مع أزواجهن عليهم السلام مما هو خلاف الأولى ، الذى ليس فيه على الجميع نقص ولا ملام ، فافهم •

قوله : « وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية » كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لأطعامها إياهم ، فكانت تحت عبد الله بن جحش ثم بعد وفاته تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده الا نحو شهرين وتوفيت فى حياته عليه الصلاة والسلام ودفنت بالبقيع • قوله « وأم حبيبة واسمها رمة » الى آخره • وقيل اسمها هند بنت أبى سفيان كانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم ارتد عن الاسلام ومات هناك ، وثبتت أم حبيبة على الاسلام ف تزوجها رسول الله ﷺ سنة ست • قال المحدثون : ان النبى عليه الصلاة والسلام بعث عمرو ابن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة ليخطبها عليه ، فأرسل النجاشى جاريته أبرهة اليها • فقالت : ان الملك يقول لك ان رسول الله ﷺ كتب الى أن أزوجه منك فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعطت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به ، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا ، فخطب النجاشى فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون •

• أما بعد •

فقد أجيبت الى ما دعا اليه رسول الله ﷺ وقد أصدقته أربعمائة دينار ذهبيا •

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم •

فتكلم خالد بن سعيد • فقال : الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون •
أما بعد •

فقد أجبت الى ما دعا رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي
سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن
العاص وقبضها • ثم أرادوا أن يقوموا فقال : احبسوا ، فان سنة
الأنبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على الترويح ، فدعا بطعام فأكلوا ثم
تفرقوا ، وكان أبوها حين تزوجت بمكة قبل أن يسلم ، ثم جاءت الى
المدينة وبقيت عند النبي ﷺ وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين رضى الله
تعالى عنها •

قوله : « وميمونة بنت الحارث » تزوجها رسول الله ﷺ سنة
سبع ، وهى التى وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام وتوفيت
سنة احدى وخمسين بسرف وصلى عليها ابن عباس ، ودخل قبرها رضى
الله تعالى عنهما •

قوله : « وجويرية » الى آخره قال المحدثون : كانت قد وقعت في
سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري رضى الله تعالى عنه في غزوة
المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق في سنة خمس ، فكاتبته على نفسها ،
ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث
وكان من أمرى ما لا يخفى عليك ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ،
وانى كاتبته نفسى فجئت أسألك في كتابتى • فقال رسول الله ﷺ :
فهل لك الى ما هو خير ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أودى
عنك كتابتك وأتزوجك • قالت : قد فعلت ، فتسامع الناس أن رسول
الله ﷺ قد تزوج جويرية ، فأرسلوا ما في أيديهم من السبى فأعتقوهم ،
وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، قالت عائشة : فما رأينا امرأة كانت

أعظم بركة على قومها منها أعتق في سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

وقال ابن هشام : ويقال اشترأها ﷺ من ثابت وأعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة ، فانظر الى رأفة ورحمة هذا النبي الرفوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم فان جويرية هذه بنت الحارث بن أبي ضرار ، وهو الذي كان قائد بنى المصطلق لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يجمعون له ، فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع ، فتراحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله تعالى بنى المصطلق ، فقتل من قتل وسبى من سبى منهم ، كيف عمل مع بنت قائدهم من الاحسان واللفظ وحسن الصنيعة واللعفو حتى أعتقها وتزوجها وأمهرها ؟ وصار هذا الحال سببا لعنق من سبى واطلاق من أخذ من هذه العشيرة . وهذه حسنة من حسنات تزوجه عليه الصلاة والسلام ، ومكرمة لا ينكرها الا من لا يفرق بين النور والظلام . والحمد لله على دين الاسلام .

قوله : « وصفية اليهودية » الى آخره . هي سييدة قريظة ، والنضير ، من بنى اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن أبى الحقيق ، فقتل يوم غزوة خيبر ، ولما سببت أخذها رسول الله ﷺ وأعتقها وتزوجها وحجبها كسائر نسائه رضوان الله تعالى عليهن ، وكان تدخيرها عليه الصلاة والسلام بين أن يعتقها فترجع الى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه . فقالت : اختار الله ورسوله وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال ليا : هن لك في ؟ قالت : يا رسول الله لقد كنت أتمنى ذلك في الشرك ، فكيف اذا أمكنني الله منه في الاسلام . ومن حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ رأى بعين صفية خضرة ، فقال : ما هذه الخضرة ؟ فقالت : كان رأسى في حجر أبى الحقيق وأنا نائمة ، فوجدت قمرا رقع في حجري ، فاستيقظت فأخبرته بذلك ، فلطمنى وقال : تتمنين ماك يثرب ؟ يعنى

رسول الله ﷺ وماتت سنة خمسين ، ودفنت بالبقيع رضى الله تعالى عنها . وكان تزوجها طبق ما أخبر به في العهد القديم أن بنات الملوك يخدمنه .

قوله : « والحلابية وهي فاطمة بنت الضحاك » الى آخره قال المحدثون وغيرهم : تزوجها ﷺ فتعوذت منه حين أدخلت عليه ، فقال لها : عذت بمعاذ . فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب .

قوله : « الوحنة بنت ذى اللحية » لم أقف في الكتب الموجودة بين يدي أنها كانت من نسائه عليه الصلاة والسلام ، ولعل هذا النصراني وجد قولاً ضعيفاً ونقله مهجوراً أنها من زوجاته اللاتي لم يدخل بهن ، فحرر اسمها ليروج ما هو بصده كما هي عادته .

قوله : « وبنت النعمان الكندية » هي أسماء بنت النعمان بن الجون ابن الحرث ، وأجمعوا أن رسول الله ﷺ تزوجها . واختلفوا في سبب فراقه لها ، فقليل لما دعاها . قالت : تعال أنت وأبت أن تجيء ، وقيل علمها بعض لناس كراهة أنها أن تقول عند دخولها عليه : أعوذ بالله منك فقالت ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام قد عذت بمعاذ ، فسرحتها الى أهلها . وكانت تسمى نفسها بعد ذلك الشقية .

وقيل كان بها وضح ، فقال لها : ألحقى بأهلك . وقيل في اسمها أميمة بالتصغير ، وقيل أمامة بالضم ، فهي واحدة اختلف في اسمها . وترجم في الاصابة أميمة بنت النعمان بن شراحيل الكندية بكسر الكاف نسبة الى كتدة قبيلة من اليمن ، ذكرها البخاري في كتاب النكاح ، تعليقا عن أبي أسيد وسهل بن سعد ، قال : تزوج ﷺ أميمة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده اليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين . وأخرجه موصولا قبله من وجوه آخر عن أبي أسيد قال : خرجنا مع النبي ﷺ حتى انتهينا الى حائطين فجلسنا بينهما ، ودخل وقد أتى بالجونية فأنزلت في بيت نخل في بيت

أميمة بنت النعمان بن شراحيل ، ومعها داريتها حاضنة لها • فلما دخل عليها ﷺ قال : هبى لى نفسك • قال : وهل تهب الملكة نفسها للسوق ؟ فأهوى بيده يضعها لتسكن ، فقالت : أعوذ بالله منك • فتقال : عدت بمعاذ ، ثم خرج علينا • فقال : يا أبا أسيد اكسها ثوبين وألحقها بأهلها •

وقد رجح البيهقي أنها المستعيزة لهذا الحديث • وتقدم فى أسماء بنت النعمان بن الجون شبيهه بقصتها • فالله أعلم •

• انتهى •

وقد اضطرب هنا كلام العلماء • فمنهم من يقول ان المستعيزة أسماء بنت النعمان • ومنهم من يقول المستعيزة أممة • ومنهم من يقول ان اسمها أمامة ومنهم من يقول انها واحدة • ومنهم من يقول انها نسبت مرة الى جدها ومرة الى أبيها • ومنهم من يقول المستعيزة مليكة بنت كعب الكنانية • ومنهم من ينكر تزوجه عليه الصلاة والسلام بمليكة أصلا • كما سيأتى قريبا • وليت شعري أى بأس على النبي ﷺ فى استعاذتها منه ، وأى شئ فيها يחדش شأن النبوة الإجليلة المسددة أو يوهى أركانها المشيدة ، وأى وصمة تلحق جنابه الرفيع ومقامه الشريف وشريعته المطهرة ، اذا كان النكاح بلفظ الهبة جائزا فى شرعه المبين ، أو خصه الله سبحانه بأشياء كما خص بأحكام بعض اخوانه النبیین كما بيناه سابقا ، فتذكر •

ثم ان هذه المرأة الناقصة العقل اذا كانت لهم تعرف أن هبة النفس للنبي عليه الصلاة والسلام بمنزلة النكاح ، فقالت ما قالت ، فهل يقدح فى النبوة أو يشين الفتوى والفتوة ؟ فالجاهل الحقير اذا أساء الأدب لدى الكبير ، ولا سيما النبى البشير الإنذير لا يخط من جليل قدره أو شرف نبوته بمقدار قطمير ، وقد وقع من الجهلة مع الأنبياء أعظم من هذا بكثير فافهم •

قوله : « ومليكة بنت كعب الليثية ذات الأقاليمص » لا يخفى أنها

ملیكة لا ملیكة قال بعضهم هی التي استعازت من النبی ﷺ وكثیر من العلماء ینكر تزوجه بها أصلا • وقال غیر واحد : انه لم یتزوج كنانیة قط • وقد مره وبورج هذا النصرانی كلامه ، لینال بزعمه مرامه ، وقال ذات الأفاضل لیوج علی ضعفه العقول وعذیمی الاطلاع علی المنقول أن لهذه الامرأة أعاجیب فی تزوجها بالنبی ﷺ أو أنها وقع منها أمور غریبة أو صدر منه علیه الصلاة والسلام وحاشاه فی أمر نكاحها مسائل عجیبة ، مع أنه ان صح أمر تزوجها فلم یكن شیء فی ذلك ، سوى أنها لما كانت امرأة ناقصة العقل ولم تر قبل ذلك هیبة النبوة وجلالة الرسالة ، فدهشت أو خافت ، فاستعازت أو حسدت فعلت ، وغشت ولم تعلم ما یترتب علی هذه الكلمة ، ولعلها بزعمها أنها تكلمت بأحسن القول والمحب من الكلام ، ولما صدرت منها الاستعاذة أعادها علیه الصلاة والسلام وانصرفت من خدمته ای انصرام •

قوله : « ومارية ای القبطیة بنت شمعون » أهداها له المقوقس القبطی صاحب مصر والاسكندریة ، وأهدى معها أختها سیرین ، وخصیا یقال له مأبور ، وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً لینا ، من قبطی مصر ، وبغلة شهباء ، وحماراً أشهب وعسلاً من عسل بنها ، ووهب علیه الصلاة والسلام سیرین أحسان ، ومانت ماریة فی خلافة عمر رضی الله تعالى عنه سنة ست عشرة ودفنت بالبقیع •

قوله : « وریحانة » وقیل اسمها ربیحة بالتصغیر ماتت قبل وفاته علیه الصلاة والسلام سنة عشر ودفنت بالبقیع ، وطأها علیه الصلاة والسلام بملك الیمین ، وقیل أعتقها وتزوجها رضی الله تعالى عنها •

قوله : « قال بولس : ان الذى له زوجة انما غایته أن یصرف عنايته الى رضی زوجته » الى آخره •

فقال لهذا النصرانی : ان هذا مردود عقلاً ونقلاً ومستهجن فطرة وشرعاً وحكمة ، وباطل بالبداهة من وجوه عديدة ، لأن الله سبحانه لما

خلق آدم خلق زوجته حواء من ضلعه ونفسه ، ليسكن اليها ويجعل
الوالد والتناسل منهما ومن ذريتهما ليتم ما أراد الله سبحانه في سابق
علمه ، من وجود هذا العالم ، وعبادة بنى آدم فتخرجنا الترهيب على
التزوج مفض الى خلاف ما أراد الله سبحانه من خلق البشر ، ولانقطع
النسل وبطل النهى والأمر ، ولو كان كما زعم لما تزوج الأنبياء
والمرسلون وعباد الله الصالحون ، مع أننا رأينا أن بعضهم لم يكتف
بواحدة ولا اثنتين ، بل تزوج مئين من النساء وتسرى بمئات من الجوارى
والاماء كما قدمنا لك مفصل ذلك • ولو كان التزوج مستقبحا والحصورية
أمرا مرجحا ، لما امتن الله تعالى على ابراهيم أنه يجعل نسله كثراب
الأرض ، ويبارك في اسحاق واسماعيل ويكثر نسلهما جدا • ولو كان
عدم التزوج أولى وأحسن من التزوج ، لأمر الله سبحانه عباده بذلك ،
ولجعل ديننا وشريعة عامة ، أو حكما خاصا بأنبيائه وأصفياؤه ، مع
أننا رأينا الأمر بخلاف ما زعمت وبضد ما حررت •

وينبغى على زعمك أن الأنبياء لم يعبدوا ربهم جل وعز ، ولم
يخدموه ، لأنهم خدموا أزواجهم وبنينا عليه الصلاة والسلام لم تكن
عنده الخمس عشرة امرأة والأمتان كهن في زمن واحد ، كما تبين لك
سابقا بل بعضهم لم يدخل بهن وبعضهن توفين ولم يبقين عنده سوى
شهر وشهرين • وسيرته عليه الصلاة والسلام وسيرتهن معلومتان
وعبادته وتقواه مشهورتان • وهذا من الدلائل على نبوته ﷺ أنه توفى
عن تسع من نسائه ، مع شكرهن له وعدم نقصان عبادته ومع كثرة
صومه وصاواته في آناء الليل وأطراف النهار حتى تورمت قدماه
الشريفتان من كثرة قيامه في صلواته وتهجده في محرابه ، وحتى أنه
كان عليه السلام يشدد الحجر على بطنه من الجوع مع قيامه بأمر
النبوة وما تقتضيه الرسالة والدعوة العامة والارشاد والتعليم لكافة
الأمم •

ولنذكر لك أيضا بعض الحكم المتعلقة بشأن الزواج وتزوجه عليه
الصلاة والسلام مثل ما تقدم لك غير مرة مع زيادة عليه من كلام الحافظ

ابن حجر ، ثم نردفه بكلام بعض النصارى الموافق لما ادعيناه وتعقبناه به على « عبد المسيح » فيما ادعاه •

وقال اتحافظ ابن الحبر في الكلام على قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لسعيد بن جبير « هل تزوجت ؟ » قلت : لا قال : « فتزوج ، فان خير هذه الأمة أكثرها نساء » ما نصه : « وكأنه أشار الى أن ترك التزويج مرجوح ، اذ لو كان راجحا ما أثر النبي ﷺ غيره وكان مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من الأقوت غالبا • وان وجد كان يؤثر بأكثره ويصوم كثيرا ، ويواصل • ومع ذلك كان يطوف على نساءه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن ، وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب ، وهى عنده عليه الصلاة والسلام نادرة أو معدومة • ووقع في الشفاء : « أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية » الى أن قال : « ولم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه ، بل زاده ذك عبادة لتحسينهم وقيامه بحقوقهم واكتسابه لهم وهدايتهم اياهم وكأنه أراد بالمتحصين قصر طرفهم عليه ، فلا يتطلعن الى غيره ، بخلاف العزبة ، فان العفيفة تتطلع بالأطبع البشرى الى التزويج ، وذلك هو الوصف اللائق بهن •

والذى تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استنكاره من النساء عشرة أوجه :

أحدها : أن يكثر من رشاهد أحواله الباطنة فينتفى عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك •

ثانيها : لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم •

ثالثها : للزيادة في تألفهم لذلك •

رابعها : للزيادة في التكليف حيث كان ، أن لا يشغله ما حبيب اليه منهم عن المبالغة في التبليغ •

خامسها : تكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه •

سادسها : نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله •

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة • فقد تزوج أم حبيبة وأبوها اذ ذاك يعاديه ، وصفة بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه ، بل الذي وقع أنه كان أحب اليهن من جميع أهلن •

ثامنها : ما تقدم من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال ، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم في قوته عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » فأشار الى أن كثرة الصيام تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ •

تاسعها وعاشرها : ما تقدم من تحصينهن والقيام بحقوقهن انتهى •

ولننقل لك شيئاً من كتاب البراهين الانجيلية ضد الابطال الباباوية للمعلم البرتستانى ميخائيل مشاقه المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٣ ما لفظه : « وأما قذفه زيجة لوثران فهو في غير محله لأنه عمل الأفضل لأن الرسول علمنا بأن الزواج هو خير من التوفد بنار الشهوة • ومن المعلوم أن الاكثرين من رسل المسيح كانوا ذوى نساء تجول معهم كما هو واضح من كلام بولس الرسول • وأما الاحتجاج بنذره ، فاذا كان يلزمه حفظه ، فلا تكون المخالفة أكثر جرماً من مخالفة أية وصية كانت من وصايا الكنيسة غير العادلة ، هذا وان النذر يلزم أن يكون عادلاً وممكنًا وجائزاً ومقدوراً عليه ، وله ثمرة صالحة •

ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تغضب الإنسان على استيفاء حقها ، ومن العدل أن تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاءه حسب الشريعة ولا استطاعة لجميع البشر على حفظ البتولية ولذلك ترى كثيرين من الأساقفة والقسوس والشمامسة ، بل من الباباوات المدعين بالعصمة قد تكرر سوا في هوة الزنا لعدم تحصينهم بالزواج الشرعى ، هذا وإن ذات النذر بالاقناع عن الزواج ، هو غير عادل لتضمنته سلب حقوق الطبيعة وكونه يضع الإنسان تحت خطر السقوط في الزنا ويفتح بابا واسعا لادخول الشيطان أن يجربه ، وبنوع ما كان الراهب ينذر على نفسه مقاومة كلمة الله الذى قال لآدم وحواء « أيمنا وأكثرنا » وأنه يمنع أن يأتية نسل يسبح الله تعالى •

وبالجملة انه يعدم وجود ألوف ألوف ، ربما كانت تتولد من ذريته فكأنه قد قتلها • وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيليه قط ، بل ترى أن شريعة موسى التى أباحت تعدد الزوجات خلافا للحق الطبيعى قد نقضها السيد المسيح بقوله : « لم يكن فى البدء هكذا ان الله خلقهما ذكرا وأنثى » •

فالآن كنيسة رومية تريد أن تتعلم منها بأن الله لم يخلق أنثى لذلك الراهب ولا ذكرا لتلك المراهبة لكى لا يتناسلا ويتعاونوا على المعيشة ، فإذا كان لا يحق للزوج أن ينذر العفة بدون سماح زوجته كونها معه جسدا واحدا بمعنى مجازى • وبالحقيقة هى منفصلة عنه ، فكيف يلتزم بهذا النذر ضد طبيعته التناسلية التى على الدوام تطلب منه حقها ؟ وهى معه جسد واحد بالحقيقة لا بالمجاز ، ولها عليه الاستيلاء التام ، الذى نالته من الخالق تعالى •

فأقول : ان طريقة الرهبانية هى اختراع شيطانى قبيح ، لم يكن له رسم فى الكتب المقدسة ولا فى أجيال الكنيسة الأولى ، وهو مضر على أنفس الرهبان • وعلى الرهبان • وعلى الشعب • فمن يقاومه يقاوم الشيطان • وهؤلاء الرهبان لا نفع لهم للرعية ، انما هم كالذين يتخذون

لأنفسهم قصورا خارج العمران ، فيقتنعمون وحدهم في أديرتهم ويسلبون أموال الشعب بالحيل والمخادعات • وهم كسالى بطالون يعيشون من أتعاب غيرهم ، خلافا لسأوك رسل المسيح والمبشرين « انتهى بحروفه •

وقد قدمنا لك سارها ما يزيدك وضوحا في الأجوبة عن مسألة التزوج بواحدة أو أكثر فتذكره فليس في العهد من قدم •

وأما قوله : « قال الرب المسيح لا يقدر العبد أن يخدم رين » الخ • فالعجب من هذا الاستدلال ، لأنه هو قد عبد رين باعترافه ، لأنه جعل المسيح هنا ربا وعبداه مع الله رب العالمين • بل قد عبدت النصراني ثلاثة أرباب بل أكثر ، كما فصلنا لك في كتابنا هذا • فلا تغفل •

وأما بقية كلام هذا النصراني « عبد المسيح » المتقدم هنا الذي سرد أمثاله فيما سبق فتعرف أجوبته وبيان خلطه وكذبه مما قدمناه لك في موضعه آنفا • ولا حاجة بنا الى الاعداد كعادته خشية من سامة التالين • والله سبحانه الموفق والمعين وهادي الضالين •

قال النصراني : « ولكن فاندع الآن ذكر هذا وتأخذ في ذكر أعلام النبوة التي يجب معها الاقرار لمن أتى بها بأن يسمى نبيا ورسولا وننظر فيما أتى به صاحبك • وهل يوافق أو يشبه شيئا مما جاءت به الانبياء ويشاكله ؟ وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه ؟ فنقول : ان النبي معناه المنبئ أي المخبر بالأمر الذي لم يكن أتى به مخبر قبله ، فيخبر به قبل وقوعه ، أو بالأحرى ان الذي كان ولم يعرف كيف حدثه ، وانما يوثق بأخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التي تصدق حكايته وتشهد على صحة اخباره ، وذلك مثل موسى نبي الله الذي أخبرنا في السفر الاول من التوراة المدعو سفر الخليقة كيف كان خلق السموات والأرض وما فيهما • وكيف كان خلق آدم وحواء ، وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطوفان وقصة ابراهيم وولده ، ولم يزل ينسق تلك الأخبار أخبرا بعد خبر ، حتى انتهى الى خبره ، وكيف كان تجلى الله له في

أنبياء مسجلة ، ثم خبره مع بنى إسرائيل وفرعون ومصر ، الى أن توفاه الله ، ويخاطب مع أنبيائه ما وعد الله من ادخال بنى إسرائيل أرض اليعاد ، وأنه دزم مع أن يورثهم أرض الجبابرة التي هي بلاد الشام . وكان ذلك على ما أنبا به وحقق ما أخبرنا به من الخبر الماضى بالآيات والأعاجيب التي فعلها ، فعلمنا أنه كان صادقاً بكل حكاياته وما جاء به عن الله جل وعز فهذه شريعة النبي بما كان وما يكون من الأمور ، وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقل بصفة ما رأينا من وقوع الأمر وتمامه عند دخول بنى إسرائيل أرض الجبابرة بالأيدي القوية فحصلت له بذلك شريعة النبي بالخبر الذي لم يكن قبل حدوثه ، فقد وجب من هاتين الشريعتين أن موسى نبي بالحقيقة .

فأما النبي بالخبر الذي لم يكن قبل وقوعه فيكون ذاك على وجهين اما مع قرب الزمان وحضور الوقت ، واما على بعد الزمان وطول الايام . والدليل على ذلك وتصحيحه : الآيات والمعجزات والمعائب والجرائع التي هي أعلام النبوة ، الى أن يصح القول والانباء ، مثل الذي تنبأ به أشعيا النبي لهزقياء الملك حيث ورد عليه السخاريب ، ملك الموصل بجيشة فهاصره وكنتبه بما كاتبه به من ابغى عليه والوعيد والاستطالة ، فشكا هزقياء ما دهمه به الى الرب ، فأوحى الله الى أشعيا النبي : انى قد سمعت دعاء هزقياء فمضى اليه وتل له يقول لك الرب اله إسرائيل الآيلة تكفى مؤنة سخاريب . فلما كانت الآيلة بموت الله ملاكه فقتل من عسكر سخاريب مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل منجج ، فلما أصبح سخاريب ورأى ما نزل بأصحابه ولى هارباً .

ومثل قول أشعيا أيضاً لهزقياء حين كان مريضاً وقد أشفى ان الله قد أنقذك من هذه المرضة وقد زاد في أجلك خمس عشرة سنة . ودليلك على ذلك : أن الشمس راجعة في مسيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ، ورجعت الشمس ورأى هزقياء من مرضه ذلك ، وما توفي الا لثمة خمس عشرة سنة ، فهذا انباء مع آية ودليل في وقت واحد . ومثله ما أنبا به عن أمر الرب المسيح السيد جل وعز أنه يولد

من العذراء ويدعى اسمه عمانوئيل وتفسير ذلك « (الها معنا) » وأنبا أيضا بأشياء كثيرة وأخبر بها على بعد العهد وطول الأيام من خراب بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل الى بابل ، وكان ذلك على بعد العهد وتأخره وصح كله وتم كما قال . ومثل ذلك ما أخبر به ارمياء النبي عن لخراب بيت المقدس أيضا ودخول بخت نصر اليه وهدمه اياه وسببه بنى اسرائيل ونقله اياهم الى بابل ، وأنهم ماكثون ببابل في ذلك السبى وفي تلك العبودية سبعين سنة ، ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم ، فكان بعض ذلك وهو حاضر ، ثم تمت نبوته وظهر صدق قولاه وصحة ما حكاه عن الله عز وجل في ذلك الوقت ، عند تمام السبعين سنة التي حدها لمقامهم ببابل .

مثلما تنبأ دانيال النبي عن رجوع بنى اسرائيل الى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه . وتنبأ لبيلشاصر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصر فخبّره بالوحى عما كان مزعما أن يحل به ، فحل به ودانيال حاضره .

ومثما تنبأ أيضا على قتل المسيح وأنه لا تقوم اليهود بهد قتله قائمة ، وأنهم يمزقون في البلاد كل ممزق ، ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال . وكذلك فعل جميع الأنبياء ومن استحق اسم النبوة بالحقيقة ، وكذلك كانت الملوك والأهم يفعلون بمن ادعى عندهم شيئا من النبوة لا يقبل منه ذلك الا بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين . فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ، ومن لم يأت بشيء من هذا كذبوه ونكلوا به . والا كان كل من أتى يهذيان أو بكلام منشور أو كهانة أو زجرا ، وقال ، كان داخلا في جملة من تنبأ وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله .

فأما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يجلب عن النبوة لأن مرتبته أعلى وأشرف وأرفع من مرتبة الأنبياء فان الأنبياء عبيد الله تبارك

وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الأنبياء
وأنوحى اليهم والموجد الرسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة فيه ، وقد
تقبا لليهود وللحواريين بما يدل دلا قاطعا على أنه يعلم الغيب ويكتنه
الضمائر وأنه لا تخفى خافية وأنه خبير بالسرائر وبما هو مزعم أن يكون
قبل كونه في الوقت الذي كان مقيما معهم مترددا بينهم • مثل قوله لهم
وقد اجتمعوا حوله يروونه بناء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة
بنائه وصحته وحسنه وتمامه « الحق الحق أقول لكم انه لا يبقى من
هذا البناء حجر على حجر الا وينقض » •

ومن اخبارهم بما هو مصي بهم من البوار ونازل بهم من القتل
والسبى ، فكان ذلك كقوله بعد صعوده مجدا الى السماء بأربعين سنة ،
ومثلا كان يخبرهم أيضا بما في ضمائرهم وما يكتُمونه في أنفسهم من
تدبيرهم في قتله ، ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس
« ان العازر صديقنا قد رقد » وكان العازر هذا نازلا في موضع يعرف
ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس « فامضوا بنا نيقظه » فقال له
تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض العازر : أيها السيد ان كان
قد رقد فقد برىء على عادة المرضى ، انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق
من شدة المرض ، فذاك دليل على عافيتهم ، فاما لم يفهموا كلامه صرح
لهم القول معلنا : « ان العازر صديقنا قد توفي ، فأنا ماض لأبعثه حيا
من بين الاموات » فمضى وهم معه فبعثه حيا ودفعه الى أختيه مريم
ومرثا • وذلك بعد أربعة أيام من موته •

وكقوله لسمعان الصفا • فقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان
جميعكم في هذه الليلة يخذلني • فقال له سمعان : سيدي ان خذاك الناس
كلهم فلا أخذك أنا أبدا • فقال له السيد المسيح : الحق أقول لك ستجدني
معرفتي الليلة ثلاث مرات قبل صياح الديك ، فجزع سمعان لذلك جزعا
شديدا ونفر نفورا عظيما لقوله ذلك ، فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى
جحد سمعان معرفته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع مختلفة ، حالفا بغليظ
الآيمان على جحوده وانكاره ، ونظر المسيح السيد اليه ، ففكر سمعان

كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وانكاره • راجع الاصحاح التاسع الآية الثالثة والعشرين من متى والاصحاح السابع والحادى عشر من يوحنا » انتهى •

فأقول وبالله التوفيق هذا الكلام الطويل الذى مزج فيه الحق بالأباطيل قد تقدمت ائله أجوبة كثيرة ، وامتحننا زيف عجره وبجره ، ونحن والحمد لله تعالى فى غنى عن تكرار رده اذ ما أبقينا سابقا فى القوس منزعا ولا فى الكأس متزعا • وبيننا دلائل نبوة نبينا المصطفى المكرم والرسول الصادق الأمين المعظم ﷺ بحيث لم يبق لكل ذى عقل منصف مجال الا الايمان برسائله الثابتة بمعجزات الأقوال الغيبية والأفعال •

وأما المعجزات التى سردها الأنبياء فانا مؤمنون بصحتها الذى تواترت به الأنبياء • وأما ما ذكره من ألوهية المسيح بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم فانا أثبتنا آثافا ابطالها وبيننا فى بدهاة العقل محالها وأكدنا ذلك بالبراهين النقلية وأن القول بها سفسطة لا تخفى على ذوى الرؤية ، بل تستحق بالاثاف بها (الخزى من) كافة ذوى العقول والأديان الا عباد الصور المنقوشة فى الجدران ، الذين لعب بعقلهم والعياذ بالله تعالى الشيطان :

قد تنكر الحين ضوء الشمس من رمد وينكر الغم طعم الشهد من سقم

غير أنا نذكر ما يتعلق ببعض كلماته •

فمن ذلك : ما يتعلق بلفظ « النبى » من كلام اللغويين والشرعيين • قال الراغب فى مفرداته : النبى بغير همز فقد قال النحويون أصله الهمزة فترك همزه واستدلوا بقولهم مسيامة نبي سوء وقال بعض العلماء هو من النبوة أى الرفعة وسمى نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المداول عليه بقوله تعالى « ورفعناه مكانا عليا » فالنبي بغير همزة أبلغ من نبيء بالهمز لأنه ليس كل منبيء رفيع المحل والنبوة والنباوة الارتفاع ، ومنه نبأ بفلان مكانه كقولهم أقض عليه مضجعه » • انتهى •

وقال غيره : النبنى فعيل بمعنى فاعل من النبأ وهو الخبر لأنه مخبر عن الله عز وجل أو بمعنى مفعول لأنه مخبر ، فهو من المهور عند المحققين منهم سيبويه ، غير أنهم تركوا الهمز في النبنى كما تركوه في الذرية والبرية والخابية إلا أهل مكة ، فانهم يهزمون هذه الأحرف بمعنى هذه الكلمات ولا يهزمون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك •

وفي المصباح والابدال والادغام لغة فاشية • وقيل من النبوة بمعنى الرفعة لأنه ربيع المرتبة فأبدلت الواو ياء تسبقتها وسكونها • ويعرف : بأنه انسان حر ذكر أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فان أمر فهو رسول أيضا • كما هو المشهور • وقيل : هما مترادفان • والمشهور أيضا : أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وانزل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل غير ذلك •

ومن ذلك قوله : « ومثله ما أنبأ عن أمر الرب المسيح السيد — جل وعز — أنه يولد من العذراء ، ويدعى اسمه عمانوئيل تفسير ذلك « الهنا معنا » •

اما نحن المسلمون فلا نجادلكم في المبشرات بالمسيح عليه السلام الواردة في العهد القديم ، مما يوافق القرآن العظيم في شأن المسيح عليه الصلاة والسلام لأننا معترفون بعبوديته • ورفعته الى السماء من غير أن تمسه أيدي اليهود بسوء ، ونقول ببشائر الأنبياء عليهم السلام به وبأخيه السيد المصطفى من خلق الله تعالى صلى الله تعالى عليهما وسلم لكننا لا نسام لكم قتل اليهود له بل شبه لهم •

وما ورد بزعمكم في الكتب السماوية من الإشارة الى قتله فخلاف الواقع كما سنبيسطه ان شاء الله تعالى ، غير أن اليهود ينازعونكم فيما استدللتم به من العهد القديم على نبوته ، اذ عندهم له محامل • أخر ولا يسلمونه لكم وبأسكم بينكم فلاجل ما حررته لا يسعنى البحث عن هذه البشائر المشيرة بزعم النصارى الى حال المسيح عليه السلام ولا

الكلام هنا عليها ، كما لا يخفى وسيأتى ان شاء الله تعالى فى محله أن
عمانوئيل ليس هو المسيح ، فانتظره ولا تغفل •

ومن ذك قوله : « ومثل ما تنبأ أيضا على قتل المسيح وكان ذلك
كما قال » الى قوله « فان المسيح مخلص العالم يجلب عن النبوة »
فيقال لهذا النصرانى : يا الله العجب من اله يحل فى الأرحام ويحتاج الى
الغذاء والقطام ويجوع ويشبع ويهان ويصفع ويتغوط ويبول ويفر من
الآلام ويستغيث عند صلب اليهود ويقول : الهى الهى لم تركبني ؟
فاليهود تقتله والنصارى تأكله ، وملائكته لا تخلصه من أولئك الأقوام •
وليت شعرى لو كان هو الاله فكيف يستغيث بنفسه ؟ ولم لم يخلصها
من يد اليهود وهم من جملة مخلوقاته وليسوا من جنسه ؟ وكيف كان
هذا الاله ثلاثة أجزاء ، فأى جزء منه كان عند القتل فى الأرض وأياها كان
فى السماء ؟ مع أن الثلاثة لا تقسم على السواء • ولقد أحسن البويصيرى
حيث يقول :

ليت شعرى ذكر الثلاثة والـ	واحد نقص فى عدكم أم نماء ؟
كيف أوجدتم لها نفى التوحيد	عنه الآباء والأبناء
ءاله مركب ؟ ما سمعنا	بأله لذاته أجزاء
أهو الراكب الحمار فيأج	ز اله بمسه الأعياء
أم جميع على الحمار ؟ لقد ضل	حمار بجمعهم مشاء
أم سواء هو الاله فما	نسبة عيسى اليه والانتماء ؟
أم أردتم به الصفات فلم	خصت ثلاث بوصفه وثناء ؟
أم هو ابن الله ما شاركته	فى معانى النبوة الأنبياء
قتلته اليهود فيما زعم	تم ولأمواتكم به أحياء
ان قولوا أطلقتموه على اللـ	ه تعالى ذكر القول هراء

ولنتكلم على كلماته هذه الباطلة بفصول :

الفصل الأول

فى

اثبات نبوته ورسالته بما أظهر من معجزاته وآياته

وهذا مخالف لاعتقاد اليهود والنصارى • وهما فيه على طرفى النقيض • فأما اليهود فيرمونه وحاشاه بأنه ابن يوسف النجار وبالكذب والسحر والنيرنجات واستسخر الشياطين فى أغراضه ، وقالوا انه لم يحي ميتا قط ولا أبرأ ذا علة وعاهة ولكنه واطأ صديقا له يقال له « العازر » فتماوت ثم انه دخل عليه فى جماعة معه فوجد أمه تبكى فقال لها لا تبكى ثم وضع يده فقام وادعى فى البلد أنه أحياء ، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها به • قالوا : وواطأ آخر فجلس على الطريق كأنه زمن فلما طال مقامه وعرف بالزمانة والاستعطاء مر به فى أناس معه كأنه لا يريده ، فناداه : ارحمنى يا ابن داود فأجابه ما الذى تريد ؟ فقال : أريد أن أنهض فأخذ بيده وأقامه ، فقام وقد تعقبت رجلاه من طول الجلوس • وكانت أمه تشنع أن يسوع أقامه • واستبعد آخرون منهم هذا • فقالوا : لا ولكن لطفت معرفته بالطب الى أن أبرأ الأكمه والأبرص وأقام الزمنا ونسبوه الى بنوة الزنا كما شهد به الانجيل اذ يقولون له فى محاوراتهم كما فى الاصحاح الثامن من يوحنا « أما نحن فلسنا من أولاد الزنا » واذ قد ثبتت معجزاته وآياته عليه السلام بالطرق التى ثبتت بها معجزة الأنبياء قبله ، وصح التواتر باحيائه الأموات وخوارق المعادات وادعائه للنبوة ، فلم يبق لالحد فى نبوته سبيل وكان ما يعترض به اليهود على المسيح عليه السلام منعكسا عليهم فى معجزات أنبيائهم ، وكل سؤال انعكس على سائله فهو باطل من أصله كما لا يخفى • وأما النصارى فهم مجمعون الا من شذ منهم على ألوهيته واعتقاد ربوبيته وأنه الاله الذى خلق العالم وجبل بيديه طينة آدم ، وأنه هو الذى يرزق سائر الحيوان ويدبر أمر الأكوان

منذ كان فهو المتصرف في الكائنات وديان للأحياء والأموات • وهو المجازى يوم الدين والمحاسب للمكثفين • والمسلمون يعتقدون نبوته ويشبتون عبوديته وينفون صلبه وألوهيته ويعترفون أنه ولد من مريم بلا والد وخلق بواسطة النفخ من ماء واحد • ولثبت ان شاء الله تعالى الآن عبوديته ونبوته من كتبهم التي بأيديهم •

فأما اثبات عدم ألوهيته : فقد أسلفناه لك غير مرة ورجعنا عليه الكرة بعد الكرة ، فلا حاجة الى كثرة التكرار ، فقد ظهرت الشمس وأسفر النهار وقال يوحنا في الاصحاح الثالث عشر حاكيا ما قاله المسيح عن نفسه ما نصه : « وأعطاه السلطان أن يحكم أيضا لأنه ابن البشر » . وقال أيضا في الاصحاح الرابع : « قال المسيح لتلاميذه طعماني أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » وقول يوحنا أيضا في هذا الاصحاح : « لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه » وقال في الاصحاح الخامس : « أقول لكم ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية » وقول يوحنا فيه أيضا : « الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لى أن الآب قد أرسلني » وقول يوحنا في الاصحاح السابع عشر : ان المسيح قال : « وهذه هي حياة الأبد أن يعرفوك أنت الاله الحق وحدك والذي أرسلته يسوع المسيح » وقال أيضا في الاصحاح السادس : « قال المسيح لا أعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني • وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلغ منه شيئا » وقال يوحنا في الاصحاح السابع : « أجابهم يسوع وقال : تعلّمي ليس لى بل الذي أرسلني ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يروم التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى ؟ من يتكلم من نفسه ، مجد نفسه يطلب وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » وقول يوحنا في الاصحاح السابع عشر : « ويعلم العالم أنك أرسلتني ، وأنت أحببتهم كما أحببتني » فهذا دليل واضح على أنه مرسل وأنه غيره لأن المحب غير المحبوب •

وقال أيضا في الاصحاح الثامن : « قال لهم يسوع لأتى لم آت

من نفسى بل ذاك أرسلنى » وقول يوحنا أيضا فى الاصحاح التاسع فى بحث الأعمى الذى أبرأ عينيه عيسى عليه السلام واختلف اليهود حينئذ فى عيسى ما نصه : « قالوا أيضا للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك ؟ فقال : انه نبي » انتهى • وقال لوقا فى الاصحاح التاسع : « من قبل هذا الولد يقبلنى ومن قبلنى يقبل الذى أرسلنى » وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل متى ما نصه : « وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلكرامة الا فى وطنه وفى بيته » • انتهى •

وهذا تصريح منه عليه السلام بأنه نبي لا يكرم فى وطنه وبيته ، بل اذا هاجر فانه يكرم فى دار هجرته ، وأمثال هذه الآيات الواردة فى أناجيلهم المصححة بنبوته وبأنه بشر كثيرة تركناها خشية الملل •

فان قالوا : نسلم أن الله تعالى أرسله وأنه بشر من جهة ناسوته لكن لاغرو أن يرسل كلمته رحمة بخلقه ولطفا بهم فأرسل ابنه الحقيقى الذى هو الكلمة وتجسد من مريم ليتها الناس للسمع منه والأخذ عنه • قلنا : قد بينا مرارا أن هذا ترويج للباطل وتقريب للمستحيل ، وفساد بالبداية ، وجمع بين الأضداد وإشراك بالله عز وجل وتجزئة للخالق ومكابرة فى المحسوسات وجعل القديم حادثا والحادث قديما والمتعدد فردا والفرد متعدد ، والصفات أجساما والأجسام صفات ، والغنى محتاجا والمحتاج غنيا ، والمخلوق خالقا لنفسه وجسمه والعلة لشيء معبرولة لذلك الشيء نفسه ، اذ داود علة لوجود عيسى عليه السلام وعيسى خالق لداود عليه السلام • وهل يقول هذا الا من لا يفرق بين الملك والمالك والسمك والسمك والفلك والفلك والنور والحلك والأنثى والذكر والسم والسكر والذرة والمدر والقمر وزحل والعنقلم والعسل ؟ وهل القول بهذه السفسطة الا مكابرة مع النفس وانكار لضوء الشمس وخرافات لا يرضاها المغفلون ولا من به عته وجنون ولم يسمع بمثله الأولون ؟ وهل القول بذلك من الانصاف ؟ وقد اتضح الحق لكل ذى لب لا يكتفى ما يجب به الاعتراف • فكما طلبه هذا المؤلف منا فنحن

نطلبه منه ومن أمثاله ونؤمل من طالب الحق أن يتأمل ما قلنا وأن لا يخالف بين أقواله وأفعاله •

على أن الكلمة قديمة أزلية لأنها على ادعائهم اما العلم أو النطق فكيف يصح ارسالها ؟ أفزعم أن الآب بعد ارسالها بقى أخرس جاهلا بغير علم ولا نطق ؟ ثم الكلمة هي صفة العلم فكيف تفارق الصفة ذات البارئ سبحانه وتعالى والصفة لا تفارق موصوفها ؟ أو يزعم أن الصفة تقوم بمحلين • وكيف قدر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة ، وثبتوا عند مواجهتها • والفرصة تشهد أن موسى عليه السلام لم يثبت عند جلال التجلي بل خر صعقا وغيره مات عند سماع الكلام ، والكتب السماوية تنادى على أن الله سبحانه لا يرى • ولما كلم الله تعالى موسى من العوسجة أضياء له الوادي • والعجب أن عيسى لم يضىء نيفا وثلاثين سنة في ذلك النادى وكيف تجسدت الكلمة فصارت لحما ودما وشعرا وعظما وتجويع وتظما وتخرج منها الفضلات وتحلها الآلام والمصيبات وأن الله سبحانه ولد علمه فصار انسانا ثم يقتله أذل مخلوقاته من بنى آدم ظالما وعدوانا ، ثم تأكله في كل يوم بالعشاء الربانى النصارى كما يأكل الصيادون الضبى والحبارى ويشربون كأس الخمر المقدس فيقلب الى دم فهم منه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ؟



الفصل الثانى

قال العلامة شمس الدين محمد المعروف بابن قريم الجوزية من فصل أن الروح حادثة مخلوقة ، ما لفظه : « ثم ان الجهم ادعى أمرا أنا نجد آية في كتاب الله تعالى ما يدل على أن القرآن مخلوق قول الله تعالى : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » وعيسى مخلوق • قلنا له : ان الله تعالى منعك الفهم

للقرآن • ان عيسى عليه السلام تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على
القرآن لأننا نسميه مولودا أو طفلا وصبيا وعلاما يأكل ويشرب وهو
مخاطب بالأمر والنهي يجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من
ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول
في عيسى ، فهل سمعتم الله تعالى يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟
ولكن المعنى في قوله : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته »
قال : كلمته التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن ،
وليس عيسى هو كن ، ولكن كان بكن ، فكن من الله قبول وليس كن
مخلوقا • وكذبت النصارى والجهمية على الله سبحانه في أمر عيسى ،
وذلك أن الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا أن كلمته مخلوقة • وقالت
النصارى : عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقه
من هذا الثوب •

قلنا نحن : ان عيسى بالكلمة كان ، وليس عيسى هو الكلمة ، وانما
الكلمة قول الله وقوله « وروح منه » يقول روح من أمره كأن الروح
فيه كقوله : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه »
يقول من أمره وتفسيره روح الله انما معناه بكلمة الله خلقها كما يقال عبد
الله وسماء الله وأرض الله ، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف
بسائر الأرواح ، وقد أضاف الله تعالى اليه الروح الذي أرسله الى
مريم وهو عبده ورسوله ، ولم يدل ذلك على أنه قديم غير مخلوق •
فقال تعالى : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت : انى
أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك
غلاما زكيا » فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله •

واعلم أن الروح في القرآن العظيم جاء على عدة وجوه :

احدها الوحي كقوله تعالى : « أوحينا إليك روحا من أمرنا » وقوله
سبحانه « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » وسمى الوحي
روحا لأجل ما يحصل به من حياة القلوب والأرواح •

والثانى : القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال تعالى « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » •

الثالث : جبريل عليه السلام كقوله تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » وهو روح القدس قال تعالى « قل نزله روح القدس » •

الرابع : الروح التى سأل عنها اليهود من النبى ﷺ فأنزل عليه قوله تعالى : « ويهملونك عن الروح • قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » أى من خلق ربي • وقد قيل : انها الروح المذكورة فى قوله تعالى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون » وانها الروح المذكورة فى قوله عز وجل « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم »

وقيل : انما كان السؤال عن روح الانسان فأنزل قوله تعالى « قل الروح من أمر ربي » الآية يعنى لو سئلتهم عن خلق أنفسكم وعن منخل الطعام والشراب ومخرجهما ما وصفتم ذلك حق صفته وما اهتديتم لصفتها •

الخامس : المسيح قال الله تعالى : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألهاها الى مريم وروح منه » •

وأما أرواح بنى آدم فقد قال كثيرون انه ام يقع تسميتها فى القرآن الا بالنفس قال تعالى : « يا أيها النفس المطمئنة » وقال تعالى : « فلا أنسمن بالنفس الا وهمة » وقال عز وجل : « ان النفس لامارة بالسوء » وقال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » وقال تعالى : « اخوا أنفسكم » وقال تعالى : « ونفس وما سواها » انتهى •

ثم قال : وأما استدلالهم باضافتها اليه سبحانه بقوله : « ونفخت فيه من روحي » فينبغى أن يعلم أن المضاف اليه سبحانه نوعان : (الأول) صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع

والبصر ، فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها ، فعلمه وكلامه وارادته وقدرته وحياته عز وجل صفات له غير مخلوقة •

(اثنانى) اضافة أعيان منفصلة كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح قلت : وكذا الرجل كما فى الكتب السماوية رجل الله • فهذه اضافة مخلوق الى خلقه ومصنوع الى صانعه ، لكنها اضافة تقتضى تخصيصا أو تشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت البيوت كلها ملكا له جل وعز ، وكذلك ناقة الله والفوق كلها ملكه وخلقها لكن هذه اضافة الى ألهيته تقتضى محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضى خلقه وايجاده • فالاضافة العامة تقتضى الخلق والايجاد والخاصة تقتضى الاختيار ، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه كما قال : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » واطضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فتأمل هذه المواضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله تعالى من الناس •

فان قيل : فما تقولون فى قوله تعالى : « ونفخت فيه » فأضاف النفخ الى نفسه وهذا يقتضى المباشرة منه تعالى كما فى قوله عز وجل : « خلقت بيدي » ولهذا فرق بينهما فى الذكر فى الحديث الصحيح فى قوله عليه الصلاة والسلام : « فيأتون فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » فذكروا لآدم أربع فضائل اختص بها عن غيره ، ولو كانت الروح التى فيه انما هى من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك ، وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده • فان الروح حصلت فيهم من نفخة الملك • وقد قال تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » وهو الذى سواه بيده وهو الذى نفخ فيه من روحه •

قيل : هذا الموضع هو الذى أوجب هذه الطائفة أن قالت بقدم

الروح وتوقف فيها آخرون ولم يفهموا مراد القرآن ، فأما الروح المضافة الى الرب سبحانه فهي روح مخلوقة أضافها الى نفسه اضافة تخصيص وتشريف كما بينا •

وأما النفخ فقد قال تعالى في مريم : « **وَأَلْقَى أَحْمَصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَوْحِنَا** » وقد أخبر في موضع آخر أنه أرسل اليها الملك فنفخ في فرجها فكان النفخ مضافا الى الله أمرا واذنا وإلى الرسول مباشرة • ويبقى ههنا أمران :

أحدهما : أن يقال فاذا كان النفخ حصل في مريم من جهة الملك ، وهو الذى ينفخ الأرواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله ؟ واذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح ؟ •

الثانى : أن يقال : فهل تعلق الروح بآدم بواسطة نفخ هذا الروح أى هو الذى نفخها فيه باذن الله تعالى كما نفخها في مريم ، أم الرب سبحانه هو الذى نفخها في نفسه كما خلقه بيده اللائقة بذاته التى ليست كبد مخلوقاته ؟ قيل ! لعمر الله انهما سؤالان مبهمان •

فأما الأول : فالجواب عنه أن الروح الذى نفخ في مريم هو الروح المضاف الى الله تعالى الذى اختصه لنفسه ، وأضافه اليه وهو روح خاص من بين سائر الأرواح وليس بالملك الموكل بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكفار ، فان الله سبحانه وكل بالرحم ما كما ينفخ الروح في الجنين فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، وأما هذا الروح المرسل الى مريم فهو روح الله الذى اصطفاه لنفسه فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع ، فان نفخته لما دخلت في فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للانثى من غير أن يكون هناك وطء وأما ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلق كخلقته المسيح من أم ولا كخلقته سائر النوع من أب وأم ولا كان الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذى

ينفخ الروح في سائر أولاده ، ولو كان كذلك لم يكن لأدم فيه اختصاص
وانما ذكر في الحديث ما اختص به لى غيره وهو أربعة أشياء خلق الله
له بيده الملائكة به سبحانه اذ ليس كمثله شيء ونفخه فيه من روحه
واسجاء ملائكته له وتطعيمه أسماء كل شيء • فنفخه من روحه يستلزم
نافخا ونفخا ومنفوخا منه • فالمنفوخ منه هو الروح المضافة الى الله
تعالى فمنها سرت النفخة في طينة آدم • والله تعالى هو الذى نفخ في
طينته من تلك الروح • هذا هو الذى دل عليه النص • وأما كون النفخة
بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت
في مريم ، فهذا يحتاج الى دليل •

والفرق بين خلق الله تعالى له بيده ونفخه فيه من روحه : أن اليد
غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من أفعال الرب سبحانه ، وأما
النفخ ففعل هو من أفعاله القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة
بغيره المنفصلة عنه سبحانه ؟ هذا مما يحتاج الى دليل • وهذا بخلاف
النفخ في مريم ، فإنه مفعول من مفعولاته وإضافة اليه لأنه بأذنه
وأمره عز وجل ، فنفخه في آدم هل هو فعل أو مفعول ؟ وعلى كل تقدير
فالروح التى نفخ منها في آدم مخلوقة غير قديمة وهى مادة روح آدم ،
فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد « انتهى •



الفصل الثالث

قال المفسرون في تفسير قوله تعالى : « واذكر في الكتاب مريم اذ
انتبذت من قومها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها
روحنا فنشأت لها بشرا سويا قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت نكيا •
قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » الآيات •

انها اعتزلت وانفردت من أهلها وأثت مكانا شرقيا من بيت المقدس
أس من دارها لتتخاى هناك للعبادة وقيل شعرت في شرفه لتغتسل من الحوض

محتجبة بحائط أو بجبل أو بثوب • وروى بعضهم : أنه كان موضعها في المسجد فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها وإذا طهرت عادت الى المسجد ، فبينما هي في مغتسلها أتاها الملك عليه السلام في صورة شاب أمرد وضربى الوجه جعد الشعر والأكثر على أنه جبريل عليه السلام وعبر عنه بما في الآية لأن الدين يحيى به وبوحيه فهو مجاز ، والاضافة للتشريف كبرت الله • وقرأ أبو حيوة وسهل « روحنا » بفتح الراء • والمراد به جبريل أيضا لأنه سبب لما فيه روح العباد • وقيل : تمثل في صورة قريب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته اذ لو بدا على ذلك الصورة الملكية لفترت منه ولم تستطع مفاوضته • وانما تمثل على الحسن الفائق واتجمال الرائق لأن عادة الملك اذا تمثل أن يتمثل بصورة بشر جميل كما كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية رضى الله تعالى عنه أو لاجتماعها وسبر عفتها • ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراءه •

فان قلت : ان جبريل عليه السلام شخص عظيم الجثة جسما عظمقت به الأخبار وكذا غيره من الملائكة الذين ورد في الكتب السماوية أنهم تصوروا بصورة الانسان عند مجيئهم الى بعض الأنبياء عليهم السلام فمتى صار في مقدار جثة الانسان يلزم أن لا يبقى جبريل ان تساقطت الأجزاء الزائدة على جثة الانسان ، وأن تتداخل الأجزاء ان لم يذهب شيء • وهو محال • وأيضا : لو جاز التمثيل ارتفع الوثوق وامتنع المقطع بأن هذا الشخص الذي يرى الآن هو زيد الذي رأى أمس لا احتمال التمثيل • وأيضا : لو جاز التمثيل بصورة الانسان فلم لا يجوز تمثله بصورة أخرى غير صورة الانسان ؟ ومن ذلك البعوض ونحوه ومعلوم أن كل مذهب يجر الى ذلك فهو باطل • وأيضا : لو جاز ذلك ارتفع الوثوق بالخبر المتواتر كخبر مقاتلة النبي ﷺ يوم بدر لجواز أن يكون الماتل هو المتمثل به •

قلنا :

أجيب عن الأول بأنه لا يمتنع أن يكون لجبريل عليه السلام أجزاء أصلية قزيلة وأجزاء فاضلة فبالأجزاء الأصلية يكون متمكنا من التمثيل بشرا • هذا عند القائلين بأنه جسم • وأما عند القائلين بأنه روحاني ، فلا استبعاد في أن يتدرع تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير •

وعن الثاني بأنه مشترك الالتزام بين الكل ، فإن من اعترف بالصانع القادر يلزمه ذلك أيضا اذ يجوز أن يخلق سبحانه مثل زيد مثلا ، ومع هذا الجواز يرتفع الوثوق ويمتنع القطع على طرز ما تقدم • وكذا من لم يعترف وأسند الحوادث الى الاتصالات والتشكلات الفلكية يلزمه ذلك ، لجواز حدوث اتصال يقتضى حدوث مثل ذلك ، وحينئذ يمتنع القطع أيضا ولعله لما كان مثل ذلك نادرا لم يلزم منه قدح في العلوم العادية المستندة الى الاحساس ، فلا يلزم الشك في أن زيد الذي نشاهده الآن هو الذي شاهدناه بالأمس •

أجيب عن الثالث بأن أصل التجويز قائم في العقل وانما عرف فسادُه بدلائل السمع وهو الجواب عن الرابع ، كذا قال الامام الرازي عليه الرحمة •

ثم انه عليه السلام دنا منها فنفخ في جيبها فدخلت النفخة في جوفها فحملت بعيسى عليه السلام • وقيل : انه لم يدنو بل نفخ عن بعد ، فوصل الريح اليها فحملت • وقيل ان النفخة كانت في كمها • وقيل : كانت في ذيلها وقيل كانت في فمها • واختلف في سننها اذ ذاك فقيل ثلاث عشرة سنة وقيل : أقل • وقيل : قد كانت حاضت حيضتين • وقيل : انها لم تكن تحيض أصلا بل كانت مطهرة من الحيض • وكذا اختلفوا في مدة حملها • فعن ابن عباس والباقر رضي الله تعالى عنهما كانت ساعة واحدة كما حملته نبذته ، واستدل لذلك بالتعقيب في قوله تعالى « أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وقيل انها كانت سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل

حملته في ساعة ، وصور في ساعة ، ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها • والمشهور أنها كانت ثمانية أشهر قيل ولم يعيش مولود لثمانية أشهر غيره عليه السلام •

ثم لما نفخ جبريل عليه السلام في جيبها وحملت حتى اذا أثقلت اعتزلت بعيدا من أهلها وراء الجبل ، لأنها كانت في بيت النبوة فاستحييت . واهربت حياء من قومها ، فأخذت نحو المشرق وخرج قومها في طلبها ، فجعلوا يسألون عنها فلا يخبرهم أحد • وروى الثعلبي في العرائس أن مريم لما حملت كان معها ابن عم لها يسمى يوسف النجار ، وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكانا معا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم أن أحدا من أهل زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما • وأول من علم أمرها يوسف فتخبر في ذلك لعلمه بكمال صلاحها وعفتها ، وأنها لم تغيب عنه ساعة ، فقال لها : قد وقع في نفسى شيء من أمرك لم أستطع كتمانته • وقد رأيت الكلام فيه أشفى لصدرى • فقالت : قل قولاً جميلاً • فقال : يا مريم أخبرينى هل ينبت زرع بغير بذر ؟ وهل تنبت شجرة من غير غيث ؟ وهل يكون ولد من غير ذكر ؟ فقالت : نعم • ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ؟ ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث ؟ وبالقدره جعل الغيث حياة الشجر ، بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة • تقول : ان الله سبحانه لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى يستعين بالماء ؟ قال : لا أقول هذا • ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء ، بقول : « كن فيكون » فقالت : ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى ؟ فعند ذلك زال ما يجده • وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب •

فلما دنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن اخرجى من أرض قومك ، لئلا يقتلوا ولدك ، فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له ، فلما

بلغت تك البلاد أدركها النفاس ، فكان ما نصه سبحانه في القرآن الكريم •

وقيل : انتبذت أقصى الدار • قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولما اشتد عليها الطلق نظرت الى أكمة فصعدت مسرعة ، فاذا عليها جذع نخلة نخرة ، ليس عليها سعف ، وكان الوقت شتاء ، فقالت : « ياليتنى مت قبل هذا » استحياء من الناس وخوفا من لائمهم ، والا فهي تعلم ما جرى بينها وبين جبريل من الوعد الكريم •

وقيل : انها تمننت الموت لأنها سمعت نداء : اخرج يا من يعبد من دون الله فحزنت لذلك ، وتمنت الموت ، فناداها جبريل وكان في مكان أسفل منها « لا تحزنى قد جعل ربك » أسفل منك جدول ماء •

وروى أن جبريل ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب ، فجرى جدولاً « وهزى اليك بجذع النخلة ، تساقط عليك رطباً جنياً » فجعل الرطب يقع بين يديها وكان برنيا وقيل عجوة وانما كان رطباً لأنه ورد أنه ما للنفساء خير من الرطب ، ولا للمريض خير من العسل •

ثم قال لها جبريل « فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت الرحمن صوما » أى امساكا عن الكلام • وقيل وعن الأكل أيضا « فلن أكلم اليوم انسيا » •

وبعد انقضاء نفاسها جاءت الى قومها تحمل عيسى ، فلما دخلت عليهم تباكوا وقيل هموا برجمها ، فأشارت الى عيسى أن كلموه فقالوا « كيف نكلم من كان في المهد صبيا » وكان عيسى عليه السلام يرضع ، فلما سمع ما قالوا ترك الرضاع وأقبل بوجهه عليهم واتكأ على يساره وأشار بسبابته • وقيل : ان زكريا أقبل يستنطقه • قال « انى عبيد الله آتائى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا » أى نفاعا « أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا

شقيقاً والسلام على يوم ولدت ويسوم أموت ويسوم أبعث حيا «
ثم ان مريم عليها السلام بعد أن فطمته وصلح للتعليم جعلته مع صبيان
اليهود ، ليتعلم ، ثم بعد ذلك بمدة سنين أتاه النوحى وادعى النبوة وآمن
به البعض وكفر به الأكثرون من بنى اسرائيل ، ثم انه رفع الى السماء
فاختلَف الأحزاب فيه •

فأما اليهود فطعنوا فيه وحاشاه وصلبوه بزعمهم وأما النصارى
فاختلنوا أيضا فيه ، فقال نسطور : هو ابن الله — تعالى عن ذلك —
أظهره ثم رفعه • وقال يعقوب : هو الله تعالى هبط ثم صعد • وقال ملكا :
هو عبد الله ونبيه • وفى المثل والنحل أن المسكانية قالوا ان الكلمة
يعنى أقنوم العلم اتحدت بالمسيح عليه السلام وتدرعت بناسوته • وقالوا
أيضا : ان المسيح عليه السلام ناسوت كلى لا جزئى وهو قديم وقد
ولدت مريم الها قديما أزليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت
معا • وقد قدمنا من أمر النصارى ما فيه كفاية فليتذكر •



الفصل الرابع

فى

الأداة على أن المصاوب الشبيه

وأنه عند قتله على قاتليه اشتبه

والدلالة على نفسه اليه

لشرفه عند مكانته لديه

قال النصارى : القول بالنساء الشبيه على عيسى عليه السلام قول
يفضى الى السفسطة والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعتلاء لأننا اذا
جوزنا ذلك ، فينبغى اذا رأى الانسان ولده أو زوجته لم يثق بأنه ولده
ولا بأنها زوجته • وكذلك سائر المعارف لا يثق الانسان بأحد منهم
ولا يسكن اليه • ونحن نعالم بالضرورة أن الانسان يقطع بأن واده

هو ولده ، وأن كل واحد من معارفه هو من غير شك ولا ريبة ، بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الانسان ووطنه اذا دخله • ولعله مكان آخر ألقى عليه الشبه ، بل اذا غض الانسان عينه عن صديقه بين يديه لحظة ثم فتحها ينبغي أن لا يقطع بأنه صديقه لجواز القاء الشبه على غيره • وكل ذلك خلاف الضرورة • فالقول بأنقاء الشبه على غير عيسى خلاف الضرورة ، كالقول بأن الواحد نصف العشرة مثلا ، فلا يسمع عاى أنه قد اجتمعت أمتان وهما اليهود والنصارى على أنه صلب بنفسه ، فيكون ذلك متواترا • وأيضا : ان النصارى يدعون على اليهود صلبه ، واليهود يعترفون بذلك ، فقول المسلمين ان المصالب غيره لا يلتفت اليه لأنه انكار للمتواتر وتكذيب لتصديق الخصم المقر بدعوى خصمه •

• انتهى •

فتقول : ان هذا سؤال بحسب الظاهر فيه شبهة مؤثرة في النفوس تصدق دعواهم وكلام باطل • وسيظهر عند الامتحان زيف كلامهم • والجواب عنه من وجوه :

أحدها : ان هذا تهويل ليس عليه تعويل ، بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الانسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشيء حكم مثله • فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم الا وهو قادر على خلق مثله ، اذ لو تعذر خالق مثله لتعذر خالقه في نفسه فيلزم أن يكون خالق الانسان مستحيلا ، بل جملة العالم • وهو محال بالضرورة • واذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام اها أمثال في حيز الامكان في العدم ، يمكن خلقها في محل آخر غير جسد المسيح ، فيحصل الشبه قطعاً • فاقول بالشبه قول بأمر ممكن لا بما هو خلاف الضرورة • ويؤنس ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصا موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فان جعل حيران يشبهه

حيوانا وانسان يشبه انسانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا •

وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب النار بردا وسلاما ، وعلى قلب لون يد موسى عليه السلام وعلى انقلاب الماء خمرا وزيتا للأنبياء عليهم السلام وإذا جوزوا مثل هذا فليجوز اللقاء الشبه من غير استحالة على أن عيسى عليه السلام قد خولفت عادة الله تعالى الأغلبية في خلقه من ماء واحد ونفخ جبريل في جيب مريم ، فجعل شبهه على غيره ليس بأبعد عن العادة من خلقه ، على أن احزاء للموتى وابراءه للأبرص والأكمه أعظم من اللقاء شبهه على غيره • على أن عروجه الى السماء بناسوته وخرق السماء والتثامها ، ليس بأهون من ذلك • على أن رد الشمس ليشوع بن نون ومشى عيسى وحواريوه على الماء وسائر معجزات أنبياء بنى اسرائيل ليس بأهون مما هنالك • وإذا صح عند النصارى انقلاب الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دمه في العشاء السرى ، لم لا يمكن أن يوقع شبهه على أحدهم ؟ كما لا يخفى •

وثانيها : ان الانجيل ناطق بان المسيح عليه السلام نشأ بين ظهراني اليهود ، وحضر مرارا عديدة في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم وينظرهم ويتعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى أنهم كما في الانجيل يقولون : « أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس اخوته عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟ » وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم • وقد نص الانجيل على أنهم عند ارادة الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لتلميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه ، فما حاجتهم حينئذ أن يكتروا رجلا من تلاميذه لمعرفهم شخصه لولا وقوع الشبه الذى نقول به ؟ •

وانسرد لك ما وقع في أناجيلهم مما يدل على ذلك ، وعلى أن المسيح عبد الله ورسوله :

فقد قال يوحنا في الأصحاح الثامن عشر من انجيله ما لفظه :

« خرج مع تلاميذه الى عبر وادى قدرون وكان هناك بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا الذي أسلمه يعرف ذلك الموضع ، لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا ، وان يهوذا أخذ الجند من عظماء الكهنة والفريسيين شرطا ، وجاء الى هناك بسرج ومصابيح وسلاح ، ويسوع كان عارفا بكل شيء سيأتى عليه ، فخرج وقال لهم : من تطلبون ؟ فأجابوه يسوع الناصرى • قال لهم يسوع : أنا هو • وكان أيضا يهوذا دافعه واقفا معهم ، فلما قال لهم أنا هو ، رجعوا الى ورائهم وسقطوا على الأرض فسألهم أيضا : من الذى تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى • أجاب يسوع : قد قلت لكم انى أنا هو ، فان كنتم تطلبوننى دعوا هؤلاء يذهبون » انتهى •

وقال مرقس فى الأصحاح الرابع عشر من انجيله ما لفظه : « وقال لهم : ان نفسى حزينة حتى الموت ، فأقيموا هنا واسهروا ، ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى ان كان يستطيع تعبر عنى الساعة » وفى نسخة « ان كان تتعداه الساعة ، فقال : أيها الآب كل شيء بقدرتك أجز عنى هذه الكأس لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت • وجاء فوجدهم نياما » الى أن قال : « وجاء الثالثة وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا قد جاءت الساعة ، ها ان ابن الانسان يسلم فى يدي الخطاة • قوموا نذهب • ها هو الذى يسلمنى فهو قريب ، وبينما هو يتكلم جاء يهوذا الاسخريوطى واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والمشيخة ، وكان مسلما قد أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله فهو هو ، فأمسكوه وسوقوه باجتهاد فلما جاء دنا منه سريعا ، وقال : السلام يا معلم وقبله ، فألقوا أولئك أيديهم عليه وأمسكوه » انتهى •

وفى الأصحاح السادس والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « فحينئذ قال لهم : ان نفسى حزينة حتى الموت ، امكثوا ههنا واسهروا معى ، وبعد قليلا وخر على وجهه وصلى قائلا : يا أبتاه ان كان يستطيع فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس تكون كرادتى بل كرادتك » الى أن

قال : « وأيضا ثانية مضى وصلى وقال : يا أبتاه ان لم يكن يستطيع ان
تعبّر هذه الكأس ألا أضر بها فلتكن مسرتك » الى أن قال : « حينئذ جاء الى
تلاميذه وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا ، ها قد اقتربت الساعة وابن
الانسان يسلم في أيدي الخطاة قوموا ننطلق ، ها قد قرب الذي
يسلمني ، وفيما هو يتكلم اذ جاء يهوذا واحد من الاثنى عشر ، ومعه
جمع كبير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة ومشائخ الشعب .
والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلًا : الذي أقبله هو هو فأمسكوه ،
وللوقت تقدم الى يسوع وقال له : سلام يا معلم ، وقبله . فقال له
يسوع : يا صاحب لأى شىء جئت ؟ حينئذ تقدموا ووضعوا أيديهم على
يسوع وأمسكوه » انتهى .

وفي الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه :

خرج كالعادة ومضى الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ، فلما
انتهى الى المكان قال لهم : صلوا لئلا تدخلوا التجارب . وهو انفراد
عنهم كرمية حجر ، فخر على ركبتيه وصلى وقال يا أبتاه ان كنت تشاء
أعبر عني هذا الكأس ، لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك لتكن ، فظهر له
ملاك من السماء يقويه وصار يتضيق وكان يصلى متواترا وصار عرقه
كنقطة دم نازلا على الأرض وقام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم
نياما من الحزن فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا صلوا لئلا تدخلوا
التجارب . وفيما هو يتكلم واذا جمع ، والمسمى يهوذا الذي من الاثنى
عشر قدماهم ، فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع : يا يهوذا بقبله
تسلم ابن الانسان ؟ الى أن قال : « والرجال الذين أمسكوا يسوع
كانوا يهزءون به ويضربونه ويغطونه ويضربون وجهه ويسألونه قائلين :
تنبأ من الذى ضربك ؟ وكانوا يقولون وعليه أشياء أخرى كثيرة مجدفين ،
فلما كان النهار اجتمع مشائخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأدخلوه
الى مجمعهم ، وقالوا له : ان كنت أنت المسيح فقل لنا . قال لهم : ان
قلت لكم لم تؤمنوا لى ، وان سألتكم لم تجيبوني ولم تخافوني » الى
أن قال فى الأصحاح الثالث والعشرين : « صلبوه هناك . واللصين أحدهما

عن يمينه والآخر عن شماله وواحد من المصلوبين كان يجذفه ويقول ان كنت أنت المسيح فنج نفسك ونجنا ، وصاح يسوع بصوت عال وقال : يا أبتاه في يديك أسلم روحي • قال هذا وسلم الروح • انتهى • • فهذا اللبس العظيم مع تلك الشهرة والمعرفة نحو مدة ثلاثين سنة ، وكثير منها انقضى في المجادلات والمحاورات معهم ، يدل دلالة واضحة على وقوع الشبهة •

وثالثها : انه كما تقدم في الأناجيل أخذ في حقدس من الليل المظلم في حالة شوهت صورته وغيّرت محاسنه وهيئته بالضرب والسحب وأنواع النكال الموجبة لتغير الحال • ومثل ذلك يوجب اللبس بين الشيء وخلافه ، فكيف يبين الشيء وشبهه ؟ حتى ان رئيس الكهنة عند احضاره أقسم عليه هل هو يسوع المسيح ابن الله ؟ فلم يجبه • ولو كان هو لأجابه ، فمن أين للنصارى واليهود القطع بأن المصلوب هو عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى في كتابه المبين : « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » •

رابعها : قد تقدم في الأناجيل أنه لما جاء اليهود الى محله خرج اليهم وقال : من تريدون ؟ قالوا : يسوع • وقد خفى شخصه عليهم ، ففعل ذلك مرتين وهم يفكرون صورته • وهذا دليل الشبه ورفع عيسى عليه السلام ، ولاسيما وقد نقل غير واحد من العلماء عن بعض النصارى القول بأن المسيح عليه السلام كان قد أعطى قوة التحول من صورة الى صورة •

خامسها : قول متى في الأصحاح الخامس والعشرين من انجيله ما لفظه : « حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب اني ألصق الراعى فتتبدد خراف الرعيه ، ولكن بعد قيامي أسيقكم الى الجليل فأجاب بطرس وقال له : وان شك فبك الجميع فأنا لا أشك أبدا • قال له يسوع : الحق أقول لك انك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات » انتهى •

فقد شهد عليهم بالشك بل خيرهم « بطرس » الذى هو خليفته عليهم شك ، فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وصح قوله تعالى : « وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن » •

سادسها : ان فى الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة • الى رؤساء الكهنة والشييوخ قائلاً : قد أخطأت اذ سلمت دما برياً ، فقللوا : ما علمنا أنت أبصر ، فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه » انتهى • فهذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها اختلافات فيحتمل أن يهوذا كذب عليهم فى قوله : هو هذا • ويدل على وقوع ذلك ويقر به : ظهور ندمه بعد هذا ولاسيما وهو من جملة الاثنى عشر الذين شهد المسيح لهم بالسعادة الأبدية ، والسعيد لا يتم منه مثل هذا الفساد العظيم ، فيلزم اما أن يهوذا ما دل عليه أو كونه المسيح ما شهد لهم بالسعادة الدائمة ، أو أن أناجيلهم محرفة مبدلة ، ويحتمل أن أحد أتباع المسيح باع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام وادعى أنه هو ، ومثل هذا كثير فى أتباع الأنبياء حيث يريدون أن يهدوا أنفسهم بدل أنبيائهم لاسيما والمسيح اله بزعم النصارى ، ويحتمل أن الأعوان أخذوا عليه رشوة وأطلقوه وأخذوا بدله ، كما أن يهوذا مع أنه صديقه ورسوله أخذ رشوة ودلهم عليه ، ويحتمل أن عيسى لما كان الها بزعمهم أرسل أحد ملائكته بدله وخلقه على صورته ، كما أنه خلق آدم على صورته ، ويحتمل أن الله تعالى أرسل شيطاناً على صورته وصلبوه ويحتمل أن الملك الذى نزل عليه ليقتويه كما تقدم فى انجيل لوقا بزعمهم ، صار فداء له ، ويحتمل أن هذا الملك الذى نزل انما نزل لرفعه لأنه لو كان نازلاً لتقويته لتقواه فلما لم نر أنه قواه ، فيقتضى أنه رفعه الى السماء أو فدى نفسه له •

وقال بعض الأفاضل : « ومن الأدلة على رفعه وصلب شبيهه : ما فى الأصحاح التاسع من انجيل لوقا ما لفظه : « ان المسيح صعد الى جبل ايلصلى وأخذ بطرس ويوحنا ويعقوب معه وفيما هم يصلون صارت

هيئة وجهه متغيرة ولباسه مضيئاً لامعاً ، وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلمتا عن خروجه الذي كان عتيدياً أن يكلمه في أورشليم ، وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد ثقلوا بالنوم ، فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه ، وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيد أن نكون ههنا فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة وإيليا واحدة ، وهو لا يعلم ما يقول . وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظلمتهم ، فخافوا عند ما دخلوا في السحابة وصار صوت من السحابة قائلاً : هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا ، ولما كان الصوت وجد يسوع وحده ، وأما هم فسكثوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيام بشيء مما أبصروه » انتهى .

وهذا فيه دلالة على رفعه وحصول الشبه الذي نقول به إذ لا معنى لظهور موسى وإيليا عليهما السلام ووقوع النوم على أصحابه وتغير وجهه وإضاءة لباسه إلا رفعه . ورؤيتهم له بعد ذلك إنما هو من تطور روحه لأنه عليه السلام كان له قوة التطور ، وهذا من أحكام الروح والنفس ولأن قلنا : إنه لا يدل على الرفع بالوجه التام ، غير أننا نتنزل ونقول : ما دام في هذه المرة تغيرت هيئة وجهه ولباسه ، واجتمع بالأنبياء ، وسمع من الغمامة هذا الصوت فلا أقل أن يكون ذلك مقدمة لرفعه ومقياساً ومبدأً لتقويته وإيناساً . واليهود لم يتحققوا من أنفسهم أنه هو المسيح ، بل اعتمدوا على قول يهوذا كما تقدم لك . ويهوذا قوله قول فرد وغير صالح للاحتجاج للاحتتمالات والأدلة التي ذكرناها لك ، فلم يبق في قول الفرقتين حجة أن المصلوب هو المسيح عليه السلام لا شبهه ، وأنجيلهم حالها معلوم لديك وبيان اشتباههم المحكى لك في القرآن الكريم لا يخفى عليك .

الفصل الخامس

قال القرافى : اعلم أن النصارى قالوا انهم واليهود أمتان عظيمتان طهقوا مشارق الأرض ومغاربها وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب ، وهم عدد يستحيل تواطئهم على الكذب ، والانجيل أيضا مخبر عن الصلب ، وكذا كتب الأنبياء المتقدمين ، فان جوزتم كذبهم وكذب ما يدعى أنه الانجيل وأن مثل هؤلاء ممكن تواطئهم على الكذب ، لزم الحال من وجوه •

أحدها : أنه يتعذر عليكم أيها المسلمون جعل القرآن متواترا •

وثانيها : ان قاعدة التواتر تبطل بالكلية فان غاية خبر التواتر يصل الى مثل هذا •

وثالثها : ان انكار الأمور المتواترة جحد للضرورة فلا سمع ، فلو قال انسان الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه وعد خارجا عن دائرة الاعتلاء ، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق وأن اخبار المسلمين والقرآن عن عدم ذلك مشكل •

والجواب من وجوه :

أحدها : ان جميع النصارى واليهود يوردون هذا السؤال ولا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه ، وانما فهم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية والملة الاسلامية لعلو قدرها وشرفها واختصاصها بمعاقد العلوم وأزمته دون غيرها ، كما هو مسلم عند كل درى منصف • وهانحن نوضح ذلك ان شاء الله تعالى فنقول : ان التواتر له شروط :

الشرط الأول : أن يكون المخبر عنه أمر محسوسا ، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا الجسيمة وهي

باطلة كإخبار المعطلة عن عدم الصانع والفلاسفة عن قدم العالم ، مع بطلان ذلك عند أمم كثيرة ، وسببه : أن مجال النظر يكثر فيه وقوع الخطأ فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات ، حتى ينظر فيجد البرهان العقلي يعضد ذلك الخبر ، فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر ، أما الأمور المحسوسة مثل البصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ ، وإنما وقع الخلل من التواطىء على الكذب ، فإذا كان المخبرون يستحيل تراءئهم على الكذب ، حصل القطع بصحة الخبر •

الشرط الثاني : استواء الطرفين والواسطة ، وتحرير هذا الشرط : أن المخبرين لنا إذا كانوا يستحيل تواطئهم على الكذب وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه ، حصل العلم بخبرهم ، وإن لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك المحسوس بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك ، فلا بد أن يكون الغير المباشر عددا يستحيل تواطئهم على الكذب ، فانه إن جاز الكذب عليه وهو أصل هؤلاء المخبرين لنا ، فإذا لم يبق الأصل لم يبق الفرع عليه • فلا يلزم من كون المخبر لنا يستحيل تواطئهم على الكذب حصول العلم بخبرهم ، لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه ، فيتعين أن يكون الأصل عددا يستحيل تواطئهم على الكذب •

فهذا معنى قولنا : استواء الطرفين في كونهما عددا يستحيل تواطئهما على الكذب : شرط • فإن كان المخبر لنا عددا يستحيل تواطئهم على الكذب وأصلهم الذي ينقلون عنه كذلك ، لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس ، بل ينقل عن غيره أيضا ، فأفضل ذلك الأصل يجب أن يكون عددا يستحيل تواطئهم على الكذب أيضا ، لما تقدم • وفي هذه الصورة حصل طرفان وواسطة ، فالطرفان المخبر لنا والمباشر الأول والواسطة التي بينهما فيجب استواء الطرفين والواسطة والوسائط. تكثر في كونهم عددا يستحيل تواطئهم على الكذب ، فينقسم بهذا التحرير التواتر الى طرف فقط وإلى طرفين بلا واسطة ، وإلى طرفين وواسطة • والثلاثة أقسام مشتركة في هذا الشرط • فإذا تقرر حقيقة

التواتر • فنقول :

الحس انما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة ، وأما أنه عيسى عليه السلام نفسه أو غيره ، فهذا لا يفيد الحس البتة ، بل انما يعلم بقرائن الأحوال ان وجدت أو باخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله تعالى الذى أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا • والذى يدل على أن الحس لا يفرق بين التماثلات : أنا لو وضعنا فى اناء رطلا من الماء مثلا وأريناه لانسان ثم رفعنا ذلك الماء ووضعنا فيه رطلا آخر من ذلك الماء ، ثم أريناه لذلك الانسان وقلنا له : هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله ، فانه اذا أنصف يقول : الذى أدركه بحسى أن هذا ماء بالضرورة أما أنه عين الأول أو غيره مماثلا له فلا أعلم ، لكون الحس لا يحيط بذلك • هذا فى المائعات • وكذلك كف من تراب أو أوراق الأشجار أو أنواع الحبوب كالحنطة مثلا اذا أخذ منها حفنتان ونحو ذلك • وكذلك الحيوانات الوحشية والطيور شديدة الالتباس على المحس ، اذا اتحد النوع فى اللون والسن والغظ ، وانما كثرت لفروق فى الحيوانات الانسية كالفرس ونحوها • وسر ذلك أن أسباب النشأة فى الوحشية مشتركة بالمياه والمراعى والبرارى والحيوان الانسى يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه اختلافا كثيرا ، فينشأ بحسب دواعى بنى آدم فى السعة والضيق ، وايتار نوع من العلف على غيره ومكان مخصوص على غيره ، والزام الحيوان أنواعا من الأعمال والرياضة دون غيرها ، فيختلف الحيوان الانسى بحسب ذلك •

ثم يتصل ذلك بالنطف فى التوليد مضافا الى ما يحصل للولد من داعية مربيه فيعظم الاختلاف • والحيوان الوحشى سأم عن جميع ذلك فتشابهت أفراد نوعه ، ولا يكاد الحس يفرق بين اثنين منه البتة ، فاذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثليين ولا التمييز بين الشئيين فيجب القطع أن كرون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام دون شبهه أو مثله ، ليس مدركا بالحس ، واذا لم يكن مدركا بالحس ،

جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام شبهه في غيره ، كما خرق له العادة في حياته الموتى وغيره ، ثم يرفعه ويصونه عن اهانة أعدائه ، وهو الملائق بكريم آلائه في احسانه لخاصة أنبيائه وأوليائه ، وإذا جوز العقل مثل هذا ، مع أن الحس لا مدخل له في ذلك ، بقى اخبار القرآن الكريم عن عدم ان الصلب سالما عن المعارض ، مؤيدا بكل حجة ، وسقط السؤال بالكلية •

وثانيها : سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة بين المثلثين والتميز بين الشبهين ، لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطئهم على الكذب • ويدل على أنهم ليسوا كذلك : أن الحواريين فروا عنه لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود ، فحيث عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى عن أسلافهم لا يفيد علما بل هو ظن وتخمين لا عبرة به • ولذلك قال الله سبحانه في قرآنه المبين : « وما قتلوله يقينا ، بل رفعه الله إليه » أى هم لا يتيقنون ذلك بل يحرزون بالظن والتخمين ، وأما من جهة المائة اليهودية فلأن المباشر منهم للصلب انما هو الوزعة وأعران المولاة وذلك في مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالاثنين أو الثلاثة ونحوها يجوز عليهم الكذب ولا يفيد خبرهم العام بكون العادة خولفت ، وتخريج الصلب عدد يستحيل تواطئهم على الكذب يفتقر الى نقل متواتر ، فانه لو وقع ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب فان المتواترات اذا نشأت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في افادة العلم لجواز كذب الناقل ، فلا يكون عدد التواتر حاصلا في نفس الأمر •

والنصارى واليهود انما يعتمدون على التوراة والانجيل ولا يوجد يهودى ولا نصرانى على وجه الأرض يروى التوراة والانجيل ، عدلا عن عدل الى موسى أو عيسى عليهما السلام ، وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل ، فأولى أن يتعذر التواتر ، ولم يبق في الكتابين الا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جدا ، بحيث أن التواريخ الاسلامية أصح منها لقرب عهدها ، مع أنه لا يجوز الاعتقاد في فروع الديانات على شىء من التواريخ فضلا عن أصول الأديان • وإذا ظهر أن مستند

هاتين الأمتين العظيمتين في العدد في غاية الضعف ، كانت اخبارها في نفسها في غاية الضعف لأن الفرع لا يزيد على أصله •

وثالثها : ان نصوص الانجيل مشعرة بعدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصه • كما نقلنا بعضها آنفا •

وسننقل أيضا قريبا ان شاء الله تعالى نحوها مما يؤيد ذلك ••

قال في تخجيل الأنجيل : « فيقال للنصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أنتقلونه تواترا أم آحادا ؟ فان زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ، ولم يثبت العلم الضروري ، اذ الآحاد لم تأمن عليهم فيها السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب ، واذا كان الآحاد يعرض عليهم ذلك فلا يحتاج بهم في القطعيات ، وان عزوا ذلك إلى التواتر قلنا لهم : شرط التواتر استواء الطرفين فيه والوسط ، وهو أن ينقل الجرم الغفير عن الجرم الغفير الذين شاهدوا المشهور به وهو المصنوب ، وعلموا أنه هو ضرورة ، فان اخل شيء من ذلك فلا تواتر ، فان زعم النصارى أن خبرهم في قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة ، أكذبتهم نصوص أنجيلهم التي بأيديهم اذ قال لهم نقلتها الذين دونوها لهم وعليهم معونهم أنه لما أخذ فقتل كان في شذمة يسيرة من تلاميذه ، فلما أقبل عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه الا بطرس من بعد ، ولما دخل المدار حيث اجتمعوا نظرت تجارية منهم الى بطرس فعرفته ، فقالت : هذا كان مع يسوع ، فحلف أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقوله ، وخادعهم حتى تركوه وذهب ، ولم يكذب يذهب وان شابا آخر تبعه وعليه ازار فتعلقوا به ، فترك ازاره بأيديهم وذهب عربانا •

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة أنجيلهم ، وأما أعداؤه اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر بل كانوا آحادا وأفرادا ، لأن عموم الناس الذين حضروا لا يرون الا شخصا على خشبة ومعه لسان مصلوبان • ولا شك أن هيئتهم وصفتهم متغيرة عن الحالة التي قبل أخذهم • وأما

المشائخ ونحوهم فلم يعرفوه أيضا • ففي الأصحاح الثامن والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه : « فلما كان النهار اجتمع مشائخ الشعب ورؤساء الكهنة وأدخلوه الى مجمعهم وقالوا له : ان كنت أنت المسيح فقل لنا • قال لهم : ان قلت لكم لم تؤمنوا لى ، وان سألتكم لم تجيبونى ولهم تخلونى » انتهى • وهذا يحتمل أنهم يسألونه عن ذاته أو عن رسالته • على أنا لو سلمنا كثرة عددهم وصدق معرفتهم ، فيمكن تواطئهم على الكذب لأنهم لما لم يجدوه هو ولم يعلموا محل المسيح وكان ذلك من تلاميذه ، واستحلوا قتله أيضا أشاعوا أنه هو المسيح ليترك الناس متابعتة ، وإنما يتخذوا المسيح نبيًا وصموا أنهم اذا وجدوا المسيح بعد هذا أيضا يعملون به كما عملوا بصاحبه • ويؤيد هذا : أنهم جعلوا على القبر حراسا لئلا يفتش ، ويرى أنه غير المسيح •

ومما يزيد الأمر وضوحا : قول انجيل متى في الأصحاح الثامن والعشرين ان مريم لما جاءت لزيارة القبر رأت ملكا قد نزل من السماء برجة عظيمة فدحرج الحجر عن فم القبر وجلس عنده فكاد الحراس ان يموتوا من هيئته ، وبادروا من فورهم الى المشائخ فأعلموهم بالقصة ، فأرشاهم المشائخ برشوة أن يستروا القصة ، وأن يثيبعوا أن التلاميذ سرقوه ونحن ننام ، فما يؤمنكم أن تكون هذه العصاة من اليهود ؟ كما أنهم ستروا الآية التى ذكرتم صلبوا شخصا من أتباعه وأوهموا الناس أنه المسيح فاذا تبين عدم الاحتجاج باجماع اليهود والنصارى الآن على صلبه ، نُرجع الى القرائن العقلية والنقلية •

فأما القتل : فلا يجوز أن الاله القادر على كل شيء يقتله أذل عباده وهم اليهود ويضربونه ويعملون به ما هو محرر في أنجيل النصارى المضطربة المحرفة المكتوبة بعد رفعه بسنين عديدة وأعوام مديدة ، مع أنه يفر منهم مرات كثيرة ويستغيث ويطلب من الله تعالى تأخير أجله بقوله « أجز عنى هذا الكأس » ويصرخ ويقول : « الهى الهى لم تركتنى » ويسلم روحه وعند الصاب يطلب منهم الماء لكثرة عطشه فيعطونه

خلا بـدله ، وأى خلاص لعباده فى هذه الحالة ، وهو بزعمهم أتى ليخلص العالم من الخطيئة ؟ بل صار موقعا لهم فى الاثم بسبب عدم ايمانهم به ، فكيف يكون مخلصا بنفسه ؟ •

وأما النقل : فقد تبين لك تهافت أناجيلهم واضطرابها • والدلالة على عدم المعرفة به وعدم وجوده فى قبره • والأعظم من ذلك عند كل ذى عقل سليم : قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وأما قول متى فى الأصحاح السابع والعشرين : « فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح • وإذا حجاب الهيكل قد انشق • الى اثنين من فوق الى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشقق والقبور تفتحت وقام كثير من الأجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين » فهو قول بهت ومحال لا يخفى بطلانه على ذوى العقول من أنساء والرجال ، لأنه لو كان صحيحا لأطبق الناس على نقله ولم يتفق اخفاء مثله ، ولزال الشك عن تلك الجموع فى أمر سيدنا يسوع فحيث داموا على الجحد له والتكذيب ، دل ذلك على كذب ما نقله عباد الصليب • وإذا كان اليهود أعطوا دراهم رشوة كما علمت سابقا لحراس القبر حتى لا يخبروا القائد وسائر الناس بملك نزل من السماء على قبر يسوع ، كى لا يظن براعته مما نسب اليه أعداؤه ، فكيف تكون هذه الآية العظيمة وتقوم الأموات من قبورها ويدخلون المدينة ولا يكون ذلك حجة على من لا يؤمن به اذ ذاك ؟ •

وأىضا : ما معنى تفتح القبور وقيام القديسين من قبورهم ؟ فهل كان استبشارا بمصابه ؟ فهم اذ ذاك ليسوا من أحبابه أو كان جزعا على مماته ، أو خرجوا اعانة له قبل فواته • فواعجبا لرب أحيائهم بعد أن كانوا رفاتا ، ولم يعينوه حتى قضى ومات ، وأحيا الدمى وصرخ عند تسليم الروح ، ولم يقدر على ابراء ما فيه من جروح • وليت

شعري ما عمل هؤلاء القديسون أبقوا في المدينة المقدسة أم كروا الى قبورهم ؟ وهل التئم الهيكل والصخور أم دامت على انشقاقها • الى كثير من الدهور ؟ •

فان قيل : انما لم يشتهر ذلك لأن أصحاب المسيح لم يحضر منهم أحد خوفا من اليهود ، والمذين شاهدوا هذه الآيات من اليهود وتواطؤوا على الكتمان حسدا وبغيا •

قلنا : مثل هذه الآيات العظيمة اذا وقعت علمها من حضر ومن غاب من الأعداء والأحباب لانها آيات نهائية ومعجزات تشتهر في البرية ، وينتقلها أهل البلدان وتبقى مؤرخة بكل لسان في سائر الملل بكل أرض وزمان ، فعلم أن هذه الأقوال مما اخترعها وحررها أئمة الضلال ليخدعوا بها ضعفاء العقول ، وتوصلوا الى جذب الدنيا بالكذب على هذا النبي الرسول •

وقال المفسرون في قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » الآيات زوى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فمسخوا قردة وخنازير ، فبلغ ذلك يهوذا رأس اليهود ، فاتفقوا على قتله فساروا اليه ليقتلوه ، فأدخله جبريل عليه السلام بيتا ورفعته منه الى السماء ، ولم يشعروا بذلك ، فدخل عليه طيطانوس لقتله فلم يجده ، وأبطأ عليهم وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى عليه السلام ، فلما خرج قتلوه وصلبوه • وقال ابن المنذر : أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة وعشرون من الحواريين فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى عليه السلام فقالوا لهم : سحرتمونا ليرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا • فقال عيسى لأصحابه : من يشتري نفسه منكم بالجنة • فقال رجل منهم : أنا عيسى فقتلوه وصلبوه ، ورفع الله تعالى عيسى عليه السلام من بينهم • وقال أبو على الجياني : ان رؤساء اليهود أخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ، ولم يمكنوا

أحدا من الدنو منه ، فتغيرت حليته ، وقالوا انا قتلنا عيسى ، ليؤهموا بذلك على عوامهم ، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذى به عيسى عليه السلام فلما دخلوه لم يجدوه ، فخافوا أن يكون ذلك سببا لايمان اليهود ففعلوا ما فعلوا •

وقيل : كان رجل من الحوارين ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه وأخذ على ذلك ثلاثين درهما ، فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه الصلاة والسلام الى السماء وألقى شبهه على المنافق ، فدخلوا عليه وقتلوه ، وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام • وقيل غير ذلك •

ثم اختلفوا فقال بعضهم : انه كان كاذبا فقتلناه حقا • وتردد آخرون فقال بعضهم : ان كان عيسى فأين صاحبنا ؟ وان كان صاحبنا فأين عيسى ؟ وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا • وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعنى الى السماء : انه رفع الى السماء •

وقالت النصارى الذين يدعون ربوبيته صلب المتأسوت وصعد اللاهوت • ولهذا لا يعدون القتل نقيصة حيث لم يضيفوه الى اللاهوت ويرد هؤلاء أن ذلك يمتنع عند « اليعقوبية (١) » القائلين أن المسيح قد

(١) فى هذه السنة اخذ عميد كلية أصول الدين فى « شبين الكوم » بعض طلبة الكلية الى الكنيسة الأرثوذكسية فى « شبين الكوم » للقاء أعداء فى الكنيسة راعيها وطلبتها • وفى أول اللقاء استهل راعى الكنيسة الحفل بمسحة معناه : اننا نرحب بكم فى هذا المكان ، الذى جمع لأول مرة فى تاريخ « مصر » من يدينون بأن خالق السماء والأرض هو الله وحده • واذ قال : هو الله وحده ، نظر بعضهم الى بعض • وتهامس طلاب كلية أصول الدين هل هو صادق فى قوله هذا ؟ أليس عندهم أن الاقائيم ثلاثة ؟ هل هو يجاملنا ؟ ولم يطق بعضهم الصبر على كلامه الذى استمر فيه على اثبات أن النصارى موحدون لا مثلثون • فصاحوا فى وجهه : أنت تعترف بالوحدانية ؟ أنتم مثلثون • أستم مثلثين ؟ فرد عليهم : نحن نعترف بالوحدانية مثل اعتراف اليهود بها والمسلمين • نحن نعترف بأن خالق العالم هو الله وحده • فنظروا الى عميد الكلية وهم مندهشون • ثم حدث هرج ومرج • طلب على إثره راعى الكنيسة من عميد الكلية أن يشرح لطلبته عقائد النصارى

صار بالاتحاد طبيعة واحدة ، اذ الطبيعة الواحدة ، لم يبق فيها ناسوت

= فوقف وقال : انتم ايها النصارى مثلثون لا موحدون . فقاطعه راعى الكنيسة بقوله : تمهل . انتظر . وأشار الى الحاضرين : اسكتوا . ثم وضع شريطا فيديو في فيديو ، وظهره على شاشة التليفزيون . وقال : انظروا واسمعوا . هذا من ؟ هذا هو البابا شنودة الثالث راعى الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والغريquia وآسيا . هذا هو صوته . هذه هي صورته . اسمعوا لقوله : انه يقول : ان خالق العالم هو الله وحده . وبعد ما سمعوا . قال لهم : اساذا تقولون علينا اننا مثلثون ؟ وحادر الجمع وانفضوا حيارى .

وبعد أيام حدثنى عميد الكلية بهذا اللقاء وسألنى هل هم موحدون أم مثلثون ؟ فقلت له : الأرثوذكس يقولون بأن خالق العالم هو الله وحده . فقال : اذن هم موحدون ؟ فقلت له : نعم هم موحدون . ولكنهم خدعوك في هذا اللقاء . فقال : كيف ؟ فقلت له : ان الأرثوذكس يعتقدون : ان الله الخالق وحده . قد نزل من على عرشه في السماء ودخل بطن مريم بمساعدة روح القدس . ثم تدرج في بطنها من نطفة الى علقة الى مضغة ثم خرج طفلا هو يسوع المسيح . فالله هو يسوع ، ويسوع هو الله . هذا هو اعتقادهم . أى ان الله انقلب الى انسان . وأخذ صورة انسان وحل بينهم على الأرض ومشى وأكل وجاع وتعرى وظمأ وأهين بالضرب والسب والقتل على الصليب . هذا هو اعتقادهم : اله تجسد ، وأهين ، ثم صعد الى السماء وجلس كما كان في البدء .

فماذا لم تطلب منهم شرح العقيدة بالتهام والكمال ؟ اليس هذا هو ما عناه الله بقوله : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم » ؟ فقد اعترف بأن طائفة منهم قتالت : ان الله انقلب الى مسيح . وليس هو واحد من الثلاثة في نظر الطائفة الأخرى التي كفرها بقوله : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » وهى طائفة الكاثوليك — والبروتستانت معها في هذه العقيدة —

وقلت لعميد الكلية : انه في سنة الف وتسعمائة وتسعة وستين في مدينة « المنصورة » كنت اجلس وحدى على شاطئ النيل . فمر على رجل وحياتى وجلس بجوارى . ثم تجاذب معى اطراف الحديث ودعانى الى النصرانية . وكنت سنتنذ مدرسا في معهد المنصورة الدينى — ولا يعرف هو عنى شيئا — وقد سألته عن عقائد النصارى فشرحها لى — وكان هو من طائفة الأدينتست — فقال العميد : اليسوا مثلثين ؟ فقلت له : تثليث الأرثوذكس . ليس تثليث ذوات منفصلة . بل هو تثليث مراحل لذات واحدة . فالله هو نفسه الابن ، وهو الروح القدس . وقبل تجسد الله في بطن مريم ، سموه اقنوم الاب ، وبعد خروج الله من بطن مريم سموه اقنوم الابن ، وبعد مثل الله سموه اقنوم الروح القدس . فهم يقولون بالتوحيد ، ولا يقولون بالتثنية . هذا هو مذهبهم — وهو مذهب اليعاقبة — ويمكنك مراجعته في كتاب الفصل لابن حزم ، والمثل للشهرستاني . فتعجب العميد من حيلهم على المسلمين .

متميز عن لاهوت والشئ الواحد يقال مات ولم يمت ، وأهين ولم يهن • وأما الروم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين ، فيقال لهم : هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل ؟ فان قالوا فارق ، فقد أبطلوا دينهم ، فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم الا بالاتحاد ، وان قالوا لم يفارقه فقد التزموا ما رد على اليعقوبية وهو قتل اللاهوت مع الناسوت ، وان فسروا الاتحاد بالتدرع ، وهو أن الاله جعله مسكنا وبيتا ، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا الهيته في تلك الحالة وقتلوا لهم : أليس قد أهين ؟ وهذا المقدر يكفى في اثبات النقيضة ، اذ لم يأنف اللاهوت لمسكنه أن تناله هذه النقائص ، وان كان قادرا على نفياها • فقد أساء مجاورته ورضى بنقيضته ، وذلك عائد بالتقص عليه في نفسه • وان لم يكن قادرا فذلك أبعد له عن الربوبية ، وهؤلاء ينكرون القاء الشبهة ويقولون : لا يجوز ذلك لأنه اضلال • وردده أظهر من أن يخفى •

على أنا قد بيناه أيضا في محله من هذا الكتاب ، ويكفى في اثباته : أنه لو لم يكن ثابتا لزم تكذيب المسيح وأبطال نبوته ، بل وسائر النبوات • على أن مرقس في الأصحاح الخامس عشر قال ان المصابو صرخ بصوت عظيم قائلا ايللى ايللى لما شبقتنى ؟ أى الهى الهى لماذا تركتنى ؟ أو خذتنى • وهو ينافى الرضا بمر القضاة ، وينافى زعمهم بأنه نزل الى الأرض ليخلص العالم من الخطيئة ، ويفدى نفسه ، ويناقض التسليم لأحكام أبيه الحكيم ، وأنه شكى العطش وطلب الماء • والانجيل مصرح بأن المسيح كان يطوى أربعين يوما وليلة ، الى غير ذلك مما ينادى على أن المصلوب هو النسيبه وأنه رفع الى السماء ، وهو على ما صح من الأحاديث في السماء الثانية • وهو هناك مقيم حتى ينزل الى الأرض ويقتل الدجال والخنزير ويمحو الصليب ويحج ويعتمر • ويملاها عدلا كما ملئت جورا ، ثم يحيا فيها أربعين سنة أو تمامها من سنن رفعه ، وكان اذ ذلك ابن ثلاثين سنة ، ويموت كما تموت البشر ، ويدفن في حجرة النبى ﷺ أو في بيت المقدس •

وقال قتادة : رفع الله تعالى عيسى عليه السلام اليه فكساه الريش وألبسه انور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش ، فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا • وهذا الرفع على المختار كان قبل صلب الشبه • وفي انجيل لوقا ما يؤيده • وأما رؤية بعض الحواريين له عليه السلام بعد الصلب، فهو من باب تطور الروح ، فان للقديسين قوة التطور في هذا العالم ، وان رفعت أرواحهم الى المحل الأسنى ، وقد وقع التطور لكثير من أولياء هذه الأمة ، وحكاياتهم في ذلك يضيق عنها نطاق الحصر • قاله الوالد عليه الرحمة في تفسيره : ولقد أحسن القائل :

<p>عجب للمسيح بين النصارى اسلموه الى اليهود وقالوا واذا كان ما يقولون حقا حين خلى ابنه رهين الأعداى فلان كان راضيا بأذاهم ولان كان ساخطا فأنكرهم</p>	<p>والى اى والد تسبوه ؟ انهم بعد ضربه صلبوه وصحيا • فإين كان أبوه ؟ أقراهم أرضوه أم أغضبوه ؟ فاعدوهم لأنهم عذبوه واعبدوهم ، لأنهم غلبوه</p>
--	---

ولعل لنا عودة الى هذا البحث ان شاء الله •



الفصل السادس

وأما قوله : « المسيح مخلص العالم » الى آخره •

يريد ما زعمته النصارى من أن آدم عليه السلام لما خالف ما أمر به في الجنة من عدم قربان الشجرة والأكل منها ، فأكل «هو وحواء منها ، فاستحق العقاب فأشفق من ذنبه فرحمه الله تعالى ولفظ به وفداء بابنه المسيح ، فكان كلما نزل به من أعدائه فهو فداء لآدم وقضاء عنه ، فضرب عرضا عن رفاهية آدم وأهين بدلا عن عزه الذى أمله في الجنة ، وصاب على خشبة لتناوله من الشجرة ، وسمرت يدها لامتدادهما الى الثمرة ، وسقى الخل عند عطشه وهو على الخشبة

لاستطعام حلوة ما أكله ، ومات بدلا عن موت المعصية الذى كان آدم يتوقعه لولا موت الهه المسيح بدله • وذلك اظهارا لمشرف المسيح اذ جعله خروف العالم وقربانا عن آدم وذرية آدم ، فصبر ولم يمانع واستسلم ولم ينازع • فهو الاله الخروف الذى فى الكتب السماوية بهذا اللقب معروف • فهو الله وابن الله وخروف العالم وابن داود ابن البشر وفداء آدم والداخل بدلا عن المعاصين الى جهنم ، فهو الاله المقتول المصلوب وابن الله وابن آدم وابن مريم ، فهو الله والله هو ، ولا يقال اثنان ولا ثلاثة ، بل يقال الآب والابن وروح القدس اله واحد ، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد • وهذا خلاصة زعم المؤلف النصرانى فى حق المسيح المخلص ، غير أنه فاته أن يذكر أيضا ما قاله رسولهم بولس فى الأصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية أن المسيح ملعون أيضا لأنه تحمل اللعنة عن ذرية آدم وعبادته : « ولكن المسيح قد اشترانا من لعنة الناموس ، وصار هو لعنة عنا لأنه مكتوب : ملعون كل من يعلق على خشبة » انتهى بلفظه •

قال المفسر الآخورى فى الصحيفة (٣٥٥) : « قد افتدى المسيح الذين يؤمنون به من اللعنة حيث صار لعنة من أجلهم ، وذلك بتحملة على نفسه ما كان على الناس من اللعنة والخطيئة ، كما قال أشعيا (ص ٥٣) ان الرب وضع عليه اثم جميعنا وقد أوفى عنهم بموته وصار لعنة من أجلهم بتعلقه على الصليب ، لأن كل من علق على خشبة ملعون • فالمسيح بتعلقه على خشبة الصليب جلب على نفسه هذه اللعنة أى صار ملعونا • وذلك لينجى الذين يؤمنون به من اليهود من لعنة الناموس • فالواجب اذن ترك الناموس واتباع المسيح والاقامة على ايمانه ، ولكن المسيح لم ينج اليهود فقط ، بل قد أنجى جميع الناس من لعنة الخطيئة كما يظهر مما يلى » انتهى بلفظه •

فيقال لهم فى الجواب عن التخليص : أستمتم تقولون ان آدم عليه السلام استرجع وتاب ، فأى شئ أبقت التوبة من ذنبه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فصار حينئذ قتل المسيح عبثا تعالى الله منه

ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذا القضاء أليس هو استدراك مصلحة الأداء ، وهو أن يأتى القاضى بمثل ما فوت ؟ فان قالوا : نعم • قلنا : فالذى فوته آدم الانكفاف عن الأكل فيكون قضاؤه بصوم المسيح ووصى له الأربعينيات فلا حاجة الى قتله ، فان قالوا : ان آدم وجب عليه موت المعصية وهو الخلود فى النيران أبداً وهو أعظم الميتين فجاء موت المسيح قضاء عن ذلك الموت ، فصار من جنسه • قلنا : هذا باطل لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم لكان اماتته الله تعالى موت الخطيئة ، وكان مخلداً فى النار بدلاً عن آدم فموت الطبيعة ليس بدلاً عن موت الخطيئة ، واذا بطلت دعواكم بطل قتل المسيح اذا صار ساذجا عن المعنى فارغاً عن القائدة • والرّب يتعالى عن العبث • وقلنا لهم أيضا : ان ولد الصلب أولى من ولد البنت فى كثير من الأحكام فولاد صلب آدم أولى فى الفداء من ولد بنته ، وهو المسيح ، فان قالوا : هو ابن الله فلا يصلح لفداء الخلائق غيره • قلنا أليس عندكم فى التوراة أن اسراييل هو بكر الله والبكر أوتى وأفضل عند أبيه ؟ فهلا فداه به ولم يدع الناس فى عذاب الى مجيء المسيح ؟ ثم نقول : المسيح عندكم هو الاله الأزلّى • وعند طائفة منكم هو ابن الله فكيف يستقيم أن يكون الله تعالى نفسه أو ابنه بدلاً عن عبده ؟ والله سبحانه هو الذى يتوفى الأنفس وبأمره وارادته ، فيتحدد حينئذ القاتل والمقتل فيكون قاتلاً قتيلاً • ثم نقول : رأيتم أن رجلاً أمر عبده بأمر فخالف العبد فغضب عليه ووعده فخالف العبد وأشفق من عقوبته وراجع خدمته وشمر فى مرضاته ، فعطف عليه مولاه رحمة منه ، ثم التفت الى ابنه فقال : هذا فداؤك فتسلم روحه أو الى نفسه فيقتل نفسه عن عبده • أكنتم تعدونه حكيماً أو عاقلاً ؟ فاعترفوا بالحق ولا تغالطوا أنفسكم • ثم نقول أأنتم عبقتم قول ربنا تبارك وتعالى فى القرآن العظيم : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وقد بشر عيسى بمحمد ﷺ وشهد بنبوته ، وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام فى كتبهم شهدوا بنبوته كما بيناه وتقلناه وأثبتناه سابقاً ، وأنهى محال عليه الكذب وقد أخبر عن الله سبحانه أنه يقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ففى تكذيبه تكذيب لكل نبوات

الأنبياء ، عيسى فمن فوقه عليهم السلام ، وقد زعمتم أن قتل أنثى به فداء عن المسيح عليه السلام ظلم وحيف لا يتفق بالحكمة ، فكيف نسيتم نفوسكم ههنا وجوزتم أن قتل الله تعالى نفسه أو ابنه وينكل به عن يد أعدائه فداء عن آدم وأنتم تجعلوا ذلك ظلما وحيفا والجور لا يجوز على العبد ؟ ثم يقال لهم : هل جعلتم هابيل بن آدم عليه السلام الذى قتله قابيل هو كان فداء لأنه من جوهر أبيه واما المسيح فهو ابن الاله وهما من جوهر واحد ، فكان الفداء بهابيل أولى ولا سيما أنكم توجبون على الله تعالى الأصلح لعباده . فالأصلح في حقهم أن لا يعذبوا مدة خمسة آلاف سنة الى ارسال المسيح وصيرورته فداء . وله مندوحة عن ذلك بقتل هابيل . ثم يقال لهم : ألسنتم رويتم في توراتكم أن الله سبحانه قد فدى ولد عبده ابراهيم بذبح عظيم ؟ فان قالوا بلى قلنا لهم فكان ولد عبده أزكى لديه وأعز عليه من ولده المسيح الذى هو واياه شيء واحد وجوهر واحد أم تقولون أعوزته الغنم فلم يقدر على كبش يذبحه ويريح العالم من فتنة المسيح ؟ وقد رويتم في الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين في التوراة : ان الله تعالى قدم الى ابراهيم كبشا بدل ولده لما أمر بذبحه فعزم على ذلك رحمة منه سبحانه ولطفًا ، فلعله قد أمر المسيح في حق نفسه بما أمر به ابراهيم في حق ولده ، فاستسلم وصار يخبر بذلك تلاميذه كما كان ابراهيم يخبر به ولده ، ثم لما صح ، عزم على تجرع كأس المقية لطفًا به وفداءه برجل قد حضر أجله ، فان عناية الله تعالى بالمسيح لا تقصر عن عنايته بولد ابراهيم عليهما السلام . وقد أوحى الله تعالى الى أشعياء أن يقول لحزقيا ملك اليهود انه زيد في عمره خمس عشرة سنة الى آخر ما ذكره هذا المؤلف عن مسألة حزقيا .

واذا كان هذا وشبهه غير مستحيل عند النصارى ، فما الذى أحاله في حق المسيح ؟ وقد تضرع الى الله غير مرة في صرف كأس المية عنه ، كما شهدت به أناجيلكم التى ذكرنا بعضها ، والمسيح لا ترد له دعوة . ولعل الله قد استجاب دعاءه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه ، ورفع اليه . والدليل على ذلك : ما ذكره في الانجيل .

وقد قدمناه لك أنه حينما أراد امساكه نزل عليه ملك من السماء لتقويته فافهم ذلك وأنصف • ويقال لهم : لم تتذكرون ان الله تعالى تاب على عبده آدم وعافى عبده المسيح في فداه بكافر أو بمؤمن عجله الى أنجينة لاسيما وقد استعمل المسيح الحيدة في الجواب وعدم الانصاح لما سأله رئيس الكهنة أهو المسيح كما تقدم ؟ ويقال لهم : كل تقولون ان أحدنا اليوم اذا عصى ربه أتجزئه التوبة أم لايد أن يقتل ويصلب ؟ فان قالوا تجزئه التوبة ، فيقال لهم : فهل هو أولى من صفى الله آدم اذ قتلتم لايد في توبته من قتل المسيح لأجله ؟ وان قتلتم لا تجزئه أكذبتم بولس حيث يقول في رسالته : « أولا تعلم أن اهمال الله لك من العقوبة انما هو ليقبل بك الى التوبة مجزية فلا حاجة الى قتل وصاب • وكذا رويتم عن المسيح في الانجيل أنه قال : « اقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشرى » فقد شهد المسيح أن التوبة مستثناة بمحو الآثام فلا حاجة الى شيء آخر ، ويقال لهم : ما تقولون فيمن مات قبل مجيء المسيح عليه السلام ؟ أكانوا كفارا أم مؤمنين ؟ فان قالوا مؤمنين فقد سلموا أنه لا حاجة الى قتل المسيح في تخليصهم اذ ايمانهم مخلصهم لا غيره ، وان قالوا كانوا كفارا كذبهم المسيح اذ قال في الانجيل « لئى لم أرسل الا الى الذين ظلموا من بنى اسرائيل ، وان الأصحاء لا يحتاجون الى الدواء » وأنتم قتلتم : ان المسيح نزل من السماء لخلص كل الناس فان قالوا نعم قلنا فما تقول فيمن مات قبل نزوله عليه السلام ؟ وكيف الطريق الى بلوغ دعوته اليهم ؟ فان قالوا تعذر تلافى أمره وفات استدراكه بموته • قلنا : فاذن حينئذ تكونون قد نسبتموه الى الظلم حيث لم ينزل لخلصهم قبل ذلك ، فلم آخر نزوله حتى ماتوا على الضلالة والكفر ، وكيف صار الأحياء أحق بالرحمة منهم ؟ وفي هذه المقالة هدم أصلكم وان تحامقوا وقالوا : ان المسيح دعا الأحياء وهو حي ثم مات فدعا الأموات في قبورهم ، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك • فنقول لهم أدعاهم في قبورهم وهو حي أم دعاهم وهو ميت ؟ فان قالوا : دعاهم وهو ميت سقطت مكالمتهم وتبين جنونهم ، وان قالوا دعاهم وهو حي فقد نقضوا قولهم انه مات • ثم يقال لهم : أدعا المؤمنين

والكفار أم اقتصر على المؤمنين ؟ فان قالوا : دعا الجميع • قلنا لهم :
فلعله دعا فرعون ونمرود فأما ودعا جماعة من الموحدين ولم يجيبوا ، فهل
تشكون في أحد الفريقين ؟ فان توقفوا في ذلك فيكونوا قد جوزوا أن
يكون فرعون وأشباهه في الجنان ، ومن مات على التوحيد في دركات
النيران ، لاحتمال تغير الحال وان قالوا بل كل على ما مات عليه من
كفر وإيمان • قلنا : فدعاء المسيح عليه السلام إياهم وكونه مات
بسببهم وقع عبثا بلا فائدة • فان قالوا : لابد من صورة الدعوة لهم
لاقامة الحجة عليهم في القيامة قلنا : قد دعتهم أنبياءهم الذين تزعمون
أنهم أنبياء المسيح أرسلهم إليهم لأنكم تزعمون الوهيته ، فالرسل
الذين كانوا قد دعوهم إلى الإيمان كموسى وغيره هم رسل المسيح ،
وأقاموا الحجة عليهم ، فما حاجته إلى تجشمه واحتماله أمرا قد فرغ
منه ، الا أن يقولوا بأن أنبياءه ورسله لم يخبروه بما فعلت أممهم ،
ولم يدر هو ما أحدثوا في التبليغ عنه ، فنزل ليعلم حقيقة الأمر ويقال
لهم : أليس قد دعاهم في حال حياته فزعمتم أنهم وثبوا عليه فقتلوه ،
أفترون أنه في حال مماته أقوى منه في حال حياته ؟ فما يؤمنكم ويدريكم
أنه حين دعاهم في القبور وثبوا عليه وفتكوا به كما فعلوا به وهو حي ؟
اذ كان لا يستحيل من الأموات الدعوة والاجابة ، فلا يستحيل منهم
القتل والاهانة ويقال لهم : أليس عندكم أن اللاهوت والناسوت اتحدا
فصار مسيحنا • فان قالوا بلى قلنا : فأيهما الميت ؟ فاذا قالوا :
الناسوت • قلنا : فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت وعجز عنه
لاهوت حي ؟ فتقولون ان ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته ؟
وأما : فان الناسوت في حال اتحاده أقام فوق الثلاثين سنة بالانصرة
وأورشليم ولم يتجاوز ذلك ، فلما فارق لاهوته يوما وليلة قلتم انه
أتى الأموات وهم في أكتاف الأرض متفرقون فدعاهم ، فما ترى
الناسوت على مقتضى ذلك الا أعظم احاطة من اللاهوت ، وما نرى
لاهوته الذي كان متحدا بجسده الا حبسه عن خير كثير ، اذ عطله
عن الانبعاث ونشر الدعوة ، فكيف يكون الله حي نهض منه جسد
ميت ففعل ما فعل ؟ •

وان قالوا ان اللاهوت مات فقد كفروا من قريب ، ويقال لهم :
من أماته ؟ ومن أحياءه وهو اله واحد ؟ فان قالوا أحياءه غيره قلنا : فذلك
الغير الذى تولى موته وأحياءه أحمى هو أم ميت ؟ فان قالوا : ميت ،
كان ذلك محالا إذ الميت لا يحيى ولا يميت ، وان قالوا كان حيا قادرا
أمات المسيح ثم أحياءه • قلنا : فقد اعترفتكم حينئذ أن المسيح عبد من
عبيد الله تجرى عليه الأحكام من الموت والأحياء ، وفى ذلك بطلان
شريعة أمانتكم ، اذ تقولون ان المسيح اله حق غير مخلوق ، وأنه أتقن
العوالم وخلق كل شيء ، ثم يقال لهم : خبرونا لو لم يتب آدم هل كان
يقتل المسيح يستقل بخلصه دونها ؟ فان قالوا نعم فى دم المسيح خلاص
وان لم يتب ، فحينئذ خلت التوبة عن الفائدة ، ولزم أن يكون كل
فاجر وكافر قد خلصوا ، فان التزموا ذلك يقال لهم : فاليهود ويهوذا
وفرعون ونمرود قد خلصوا أيضا وأنتم لا تقولون بذلك ، لكنه لازم
لكم • فان قالوا بل الخلاص بمجموع الأمرين قلنا : فاذن لا يكون
دما كافيا لآدم عليه السلام ما لم يضم اليه التوبة ، فهو حينئذ ينقص
عن مقابلة آدم • وفيه العجز من خلاصه لولا التوبة ، ومن عجز عن
خلاص عبد واحد ، فانه عن خلاص سائر العباد أعجز •

وقال مرقس فى خاتمة اتجيله ان المسيح حين ودع تلاميذه
صاعدا الى السماء قال لهم : « اكرزوا الانجيل فى الخليقة » ، فمن آمن
خلص ومن لم يؤمن فانه يدان ويجازى » فالإيمان هو المخلص بشهادة
المسيح لا قتل المسيح ولا صليبه •

وقال لهم : هل كان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح عليه
السلام سوء ممكنا فى قدرة الله تعالى أم كان سبحانه عاجزا عن سلامة
عباده ؟ فان قالوا لا يمكن ، جعلوا الله تعالى عاجزا مضطرا وسائرا
كتب الله تعالى تكذيبهم ، اذ هى شهادة له بالقدرة الكاملة على كل مؤمن •
وان قالوا : كان قادرا فانهم يكونون قد نسبوه اذ ذاك الى الجور
والظلم ، سبحانه وتعالى ، اذ عذب آدم أو قتل المسيح وهو قادر على
سلامته ، وذلك مشوش على أصلهم بالتحسين والتقبيح •

وخلاصة الكلام أن مسألة التخليص كيفما قلبوها فهي باطلة وخيوط
أدلتها عاطلة لا يوافقها عقل ولا يطابقها نقل •

فأجل في ميدان ما أتينا به خيول الأفكار ، وتأمل ما حررناه
من الأدلة على بطلانه ، تأمل منصف يميز الزيف من النضار • والعجب
من النصرى الخفش أنهم قد تعاموا عن الشمس في رابعة النهار :

في زعمهم بقبائح الأقوال
وأخسهم في سبائر الأحوال
ظلموه بالأقوال والأفعال
في أحده منقطع الأوصال ؟
لا يرتضيه سوى عديم البال
هذا لعمري غاية الأضلال
صلبت عليه يداه في أغلال
فقراهم في حيرة وعقال
معنى يبدل هديهم بضلال
وكذا ذراييه من الأهوال
داموا على حر الجحيم الصال
بالعفو والفقران والأفضال
وماله الفردوس خير مآل
في زعمهم ويخصهم بنوال
ويهنهوا بالقبول والاذلال
فيبوء عند نجاتهم بوبال
بنجاتهم ، يا خيبة الأمال
سبحانه وهو العزيز العالي
في كذب أقوال وسوء فعال

تباً لقوم حيث خصوا ربهم
بجعلوه مقهوراً لأدنى خلقه
قرنوه بالصليب ساعة صلبه
عجبا • وهل يبقى الوجود وربه
هذا لعمركم الصغار بعينه
قوم تسربل بالخبال عقولهم
عبثوا الصليب لأجل أن الهم
أهو العدو ، أم الآله ؟ فبينوا
قد زين الشيطان في أفكارهم
أن الآله أتى يخلص آدماء
لولا الآله فداهم في زعمهم
قولوا لهم قد تاب آدم فاعثي
لم يدرك ما لمس الجحيم وحرها
وأعجز رب لم ينبج عبيده
إلا بانهاب الحياة وروحها
وبصير ميتا لا يحرك لجسمه
أن أمالوا ميتا تحق ظنهم
حاشا وكلا ، فالآله منزّه
نفسا لقوم حيث صاروا ضحكة

ولقد أحسن القائل :

نقل العداوة بزعمهم في ربها
يا عجز ذات نفعها في ضررها
قتلوه من فئة اليهود وهزوها
وسخطها تصادوا في المائلة كلهم
آراؤهم ما زينت • نفسا لها

هذا لعمركم الهوات فبئسما
جعلوه يفدى عبده بمناساته
لعن الآله الزاعمين بانهم
وكذلك من فئة الضلال وكلهم
سخطا لهم ضلوا السبيل وزينت

قال النصراني : « فهذه — أصلحك الله — شروط النبوة ودلائلها
وعلاماتها فعرّفنا هذا الذي اقررت له بماذا تنبأ ؟ وما نبوته التي

ظهرت ؟ وبماذا استحق عندك أو عند غيرك اسم النبوة ؟ وما الدليل على دعواه ؟ فان قلت : انه أخبرنا بأقاصيص الأنبياء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وسائر الأولين الذين نكرمهم في كتابه فجوابنا : أكرمك الله انذى لا تقدر أنت ولا غيرك أن ينكره أو يدفعه : هو أنه انما أخبرنا بما سبقت معرفتنا به ، ودرسته صبياننا وأطفالنا في المكاتب ، فان ذكرت قصة عاد وثمود والفاقة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص ، قلنا لك : هذه أخبار باردة وخرافات عجائز الحمى اللواتى كن يدرى منها ليأهن ونهارهن ، وليس ذكرها دليلا على نبوته . فقد سقطت عنه شريطة من الشريطين اللتين توجبان النبوة . فان قلت : انه أخبر بما يكون قبل كونه ، ألزمالك توضيح ذلك لأن هذه ذيف ومائتا سنة قد مضت من ذاك الوقت ، وكان يجب أن يصح ويتحقق عندك شيء مما أخبرك أنه سيكون . وأنت تعلم بونعلم بالحقيقة انه لم يات في هذا الباب بشيء ولا نطق فيه بدلالة ولا تنويه بعرف واحد ، فستطت عنه الشريطة الثانية من شريطى النبوة . وان قد خلا من الشريطين اللتين توجبان اسم النبوة ، وأصفر منهما . وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتعة ، فلانظر في الآيات : هل أتى من ذاك شيء ؟ فنقول : انه زعم في كتابه أنه قيل له : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بهما الأواون » (الاسراء الآية الحادية والستون) أى لولا أن يكذبوا بآيتك كما كذبوا بالآيات التى جاءهم بها الأواون من قبلك لأعطيناك الآيات . فلهمرى ان هذا من الكيفية المتضمنة لمتحدى السلام الناظرين في قوانين حدود المنطق . وأنت تعلم — أنصرت الله — وكل من يسمع هذا الجواب أن صاحبك أرا نفسك به من ان النبوة لأنه لم يقدر عليها . وليس ان مثلك في الانصاف أن يرسل عن الحق » انتهى .

فأقول : انا بعد أن أثبتنا لك معجزات النبى عليه الصلاة والسلام وسردنا لك الكثير منها ، يتبين لك أن ما أطال به هذا النصرانى هنا لا بد من تحته ، اذ قد استبان لك مرارا رد أمثاله من كلامه المشتغل

على قعقعة خالية عن سلاح ، وشبه لا ينادى عليها بالفلاح ، وذكر
أشياء يكذبها الظاهر والحال المتواتر ، ويظهر زيفها بلا محك عند كل
صيرفي ماهر ، وكذبها لا يحتاج الى تنبيه ، لأن شقشقتها لا يخفى
بطلانها على كل نبيه ، فلذا نعرض عن رد ما لا طائل تحته من الألفاظ
لعدم ما يتعلق غرض معتد به من الأغراض ، ونتكلم على ما يلزم عليه
الكلام خشية ملك من اراد بلوغ المرام • فنقول :
من كان في المعجزات الفر في ظما ففى كتاب الشفا رى من الغل
فالله يجعلنا من خير أمته ومؤمنين بلا روع ولا وجل

لاخفاء أن معجزات سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآياته قد كثرت
لا مظم لأحد في حصرها واستيفاء جميعها لكن على المكلف أن يحفظ
من ذلك ما يرسخ به التصديق في قلبه ، ويؤمن به ان شاء الله تعالى
المترزل على نفسه • ولا شك أن القاضي عياض رحمه الله تعالى ذكر
من ذلك في كتابه الشفاء ما يحصل هذا المعنى ، ويتنقى بفضل الله
تعالى مزبد المحبة التي تحمل على الاقتداء بهذا النبي الشريف ، وتتبع
آثاره صلوات الله تعالى وسلامه عليه • وقد أوردنا شيئاً من ذلك
ههنا نخدم •

واعظم : أن المعجزات والآيات وأدلة الصدق ، وإن تكاثرت مرجعها
الى طريقين : عقلى ونقلى أما العقلى فوجوه ستة :

أحدها : معجزات بلاغة القرآن على ما سبق وسيأتى أيضا ان
شاء الله تعالى •

وثانيها : اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمخيبات في الكتاب
العزير وفي الأخبار ، وذلك بحر لا ساحل له •

الثالث : انه عليه الصلاة والسلام قد بلغ في الحكمة النذرية
كمعرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه وأحكامه وفي الحكمة العممية وهي
علم الأخلاق وسياسة المدن وتدبير أمر الخلق المبالغ العظيم ، الذي

لا يمكن العقلاء الوصول اليه في مئين من السنين ، ووصل اليه بغتة من غير تعلم ولا مخالطة لأحد معروف بالعلم •

الرابع : انه نقل عنه معجزات خارقة للعادة كانشقاق القمر وتسليم الحجر وانقياد الشجر الى غير ذلك ، مما لا يحصر •

الخامس : الاستدلال بسيرته وأوصافه التي تواترت الينا وهي كثيرة جدا :

احدها : ملازمة انصدق من أول عمره عليه الصلاة والسلام الى آخره ، فان أحدا ما سمع منه كذبة قط ، وقد اعترف له أعداؤه بذلك ، وأيضا لو صدر منه الكذب ولو مرة في عمره لنبره أعداؤه بذلك •

وثانيها : ترك الدنيا والأعراض عنها وعن زخارفها على الدوام ، حتى أن قريشا عرضوا عليه المال والزوجة والرئاسة لترك هذه الدعوى ، فلم يلتفت اليها •

وثالثها : كان في أعظم الدرجات في السخاء ، حتى أنه سبحانه وتعالى قال له « ولا تبسطها كل البسط » وفي الشجاعة حتى أنه لم يفر قط في الحروب ولا تترشح للفرار ولا هم به قط ، ولا تزيد كثرة العدو وقلة من معه الا قوة وزيادة شجاعة واقدام •

ورابعها : أنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم في غاية الفصاحة والبلاغة ، حتى أن فصاحته قد أعيت بلغاء الخطباء من العرب العرباء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « أوتيت مجامع الكلم » •

وخامسها : أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تحمل في أداء الرسالة أنواعا من المشاق والمتاعب لا يثبت معها الا من هو على الحق من الله تعالى وهو عليه الصلاة والسلام مع ذلك مصر على دعوى الرسالة ، ولم يظهر في عزمه فتور ولا في اصراره قصور •

وسادسها : انه عليه الصلاة والسلام كان مع أهل الدنيا في غاية الترفع ومع الفقراء والمساكين في غاية التواضع •

وسابعها : ما كان عليه عليه الصلاة والسلام من حسن الخلق حتى انه لا يزداد مع الغضب الا حلما •

وثامنها : حسن ذاته الكريمة وما اشتملت عليه من المحاسن انثى هي خرق عاداته ولم توجد لبشر سواه • وما أحسن قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضى الله تعالى عنه في ذلك يشير الى محاسنه ﷺ خفاً وخلقا ، وأنها وحدها كافية في الدلالة على صدقه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينيك بالخير

ولهذا أسلم أبو ذر رضى الله تعالى عنه بمجرد رؤية ذاته عليه الصلاة والسلام وقال : لما رأيته وجهه عرفت أنه ليس وجه كذاب ولا يخفى أن مجموع هذه الأوصاف بل بعضها لا يكون لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام •

وتاسعها : أنه عليه الصلاة والسلام انتصب مع ضعفه وقلة ذات يده وعدم الملك في آبائه عليه الصلاة والسلام وقلة أعوانه وأنصاره حربا لجميع أهل الأرض ذات الطول والعرض آحادهم وأوساطهم وأكاسرتهم وجبابرتهم ، فقتل آراءهم وسفه أعلامهم وأبطل ملكهم وهدم دولهم وظهر دينه عليه الصلاة والسلام كما وعده ربه تعالى على جميع الأديان وزاد على ممر الأعصار والازمان وانتشر في الآفاق والأقطار وشاع في المشارق والمغارب ، من غير أن يندر الأعداء مع كثرة عددهم وقوة عددهم وشدة شوكتهم وحدة شكيمتهم من فرط حميتهم وعصبيتهم ، وبذلهم غاية الوسع في اطفاء نوره وطمس آثاره على اخماد شرارة من ناره • فهل يكون ذلك على القطع الا بعون الهى وتأيد سماوى •

وليس لما تبني يد الله هادم

السادس : أنه عليه الصلاة والسلام ظهر في زمان أحوج ما كان الناس فيه الى من يهdy الى الصراط المستقيم ويدعو الى الدين القويم ، وينظم الأمور وضبط حال الجمهور ، لكونه زمان فترة من الرسل وتفرق السبل وانحراف في الملك واختلاف للدول واشتغال للضلال واشتغال بالمحال • فالعرب على بكرة أبيها عاكفة على عبادة الأوثان ، ووآد البنات • وادعى كثير منهم أن الملائكة هم بنات الله عز وجل والفرس مع كثرتها دائمة على ايقاد النيران واتخاذها آلهة من دون الرحمن ، وابعثها وطء الأمهات وتحليلها نكاح الاخوة للأخوات ، والأتراك جاهدة جهدها في تخريب البلاد وتعذيب العباد ، والهند جاثمة على عبادة البقر والسجود للشجر والحجر ، واليهود قد أولعت بالجنود واخماد الحق وتمسكت بحب الرئاسة وقول الباطل واعتقاد الجسمية والصورة ونحوهما لمن تنزه عن النقائص وسمات الخلق ، وتديننت بالغش حتى في تبجيل الدين والشرائع ، وصفات الرسل وسيرها ، وما تقر من عصمتها التي كانت مكتوبة عندهم في الألواح والورق • والنصارى أصبحت حيارى سكارى في خبط عظيم وتناقض رالب فيه بعقولها الشيطان الرجيم ، حتى تجرأت ونسبت الولد للمولى الذي جل أن يكون والدًا أو مولودا وثلثت الآلهة ، وفاهت بهذين لا يرضى به ذو عقل وأمست لغير مولانا جل وعز ركعا وسجدا • وهكذا سائر الفرق • كل يخوض في أودية الضلال ، وقد غمرته لجج الجهالات وتخطات الخيال ، وبلغت أنواع الشرور حدها وتناهى في الأرض الباطل وكمل وعم الأمصار والقرى والسهل والجبل ، ولا شك أنه قد آلف من حال الكريم جل وعز أن عباده اذا بلغوا هذا المبلغ في الفساد المتناهى المبين ، ربعث اليهم بمحض فضله من يجدد لهم ما عفى عنهم من أمر الدين ، ويرسل حينئذ الرسل رحمة للعالمين • كما قال جل من قائل :

« إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ »

ومن المعلوم ضرورة : أنه لم يظهر أحد يؤسس الله سبحانه به منهدم هذا البنيان سوى سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفيلق أن يختلف بعد في رسالته اثنان ؟ فهو الذي أصلح الله تعالى به ما فسد من شأن الناس وميز به الحق من الباطل ، وأشاد به الدين الحق على أمتن أساس ، وانجلى به عن القلوب ظلماتها وأنقذت به من لجج الفساد ، وطلعت على آفاقها شمس المعارف ، وانتشرت بركة أنواره في البلاد والعباد ، وارتجت الأرض بذكر الله تعالى حق ذكره وظهر مسفه من أسند على سبيل الحقيقة أثرا من الآثار الى غيره وارتفعت بتحميده جل وعلا وتوحيده وتقديسه عن سمات الحدوث والافتقار ، الأصوات في المساجد والصوامع والمنابر ، ونبتت ينبوع الحكم الجمة والمعارف النورانية، وفاضت على القلوب والألسنة ، حتى اهتأ بها ما لا يحاط به ولا يحصى من عدد الأوراق والدفاتر فلمولانا جل وعلا — الحمد على نعم عجز عن احصاء القائل منها الأوائل والأواخر ، وعلى نبينه ومصطفاه من خلقه الذي أنعم جل وعلا به علينا بمحض فضله سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفضل الصلوات وأكمل التحيات ما امتدت لأشارة محاسنه وافادة معارفه الأقلام من المحابر ، وتزينت بحلى أوصافه طروس الدفاتر •

وأما الدليل النقلى على نبوته عليه الصلاة والسلام فهو نصه تعالى على نبوته في الكتب الماضية وذكر الأنبياء عليهم السلام له وإيصاؤهم على اتباعه وهذا الدليل وحده كاف في اثبات نبوته ﷺ بدون المعجزة فان شهادة من ثبتت نبوته لمن ادعى النبوة دايمل قاطع على ثبوت نبوته وان لم تظهر معجزة على يده • وتعد تواتر عن الأخبار عن كتبهم وأنبيائهم بنبوته عليه أفضل الصلاة والسلام قبل مبعثه معينين اسمه الشريف وبلده وعيافته ، وأيضا فلم تزل نصوص نبوته ﷺ والحمد لله على ذلك من وجوده في التوراة والانجيل والزبور الى الآن مع مبالغة الكفرة في تبديلها • وذلك يدل على عظيم اعتناء الله تعالى بأمره عليه الصلاة والسلام فيها ، وكثرة ترديد ذكره

ﷺ فيها على وجه لا يزيل جميعه التبديل ، وقد اطلع علماؤنا رحمهم الله تعالى على كثير من تلك النصوص فيما في أيدي اليهود والنصارى من الكتب ، فذكروه في كتبهم ، غير أنهم الآن رفعوا البعض منها لأنهم لازالوا يبدلون ويحرفون ويزيدون وينقصون فيما يكتبون من كتبهم ويطبعون • وشاهد الوجود أعظم شاهد على ما وصفناهم به ، وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما هو مثبت الآن في عهديهم الموجودين ، ولا حاجة الى الاعادة هنا فراجعه في محله ، تكن قرير العين • والله سبحانه الموفق •

وأما قوله : انه زعم في كتابه أنه قيل له « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » الى آخره •

لا يخفى أن معنى الآية ليس كما زعم هذا النصراني حتى يبتنى عليه ما زخره من باطله • فلنذكر سبب نزولها وتفسيرها • ثم نتبع ذلك بعبارة من انجيله توفى بمقصدنا من رده ونردفه بفصل يكمل ذكر أدلتهم وما يرد عليهم أيضا من كتبهم ان شاء الله تعالى : قال كثير من المفسرين ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم المصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم جبال مكة فيزرعوا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : ان شئت كان ما سأله قومك • ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يمهلوا ، وان شئت استأنيت بهم • فأنزل الله جل وعز « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها • وما نرسل بالآيات الا تخريفاً » وقال غير واحد من المحدثين قال الناس لرسول الله ﷺ لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبليون ؟ فقال رسول الله ﷺ ان شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم ، فقالوا لا نريدها • والمعنى وما منعنا من ارسال الآيات التي سألوها الا تكذيب الأولين بجنسها • فان أرسلناها وكذب بها هؤلاء ، عوجلوا بالعذاب ولم يمهلوا كما هو سنة الله سبحانه في عباده فالمنع مستعار للترك والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء أى ما تركنا ارسالها لشيء من الأشياء الا تكذيب الأولين ،

فان كذب بها هؤلاء كما كذب بها أولئك لحل بهم ما حل بهم لاستراحتهم
في الكفر والعناد ، وفعل ذلك بهم مخالف لما كتب في لوح القضاء
بممداد الحكمة من تأخير عقوبتهم •

والحاصل : أن المانع من ارسال الآيات التي اقترحوها هو أن
الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى ، هو الاستئصال • وقد
عزمتنا على أن نؤخر أمر من بعث اليهم محمد ﷺ الى يوم القيامة
لحكم نعلمها • قيل : منها اظهار مزيد شرف النبي عليه الصلاة والسلام
ولأنه بعث رحمة للعالمين • وقيل : العناية بمن سيؤاد من بعضهم من
المؤمنين • وغير ذلك وقيل : معنى الآية هو أن هؤلاء الكفار من قريش
وغيرهم مقلدون لأبائهم ، فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمن أولئك فيكون
ارسال الآيات ضائعا •

قال الشيخ الامام الموالد : « وفسرت الآيات بالمقترحة لأن ما
بها اثبات دعوى الرسالة من مقتضيات الارسال ، وما زاد على ذلك
ولم يكن من اقتراح هو لطف من الملك المتعال ، ثم انه سبحانه
استشهد على ما ذكر بقصة صالح عليه السلام وناقته ، فانهم لما
اقترحوا عليه ما اقترحوا من الناقة وصفتها التي قد برئت في محلها
وأعطاهم الله تعالى ما اقترحوا فلم يؤمنوا ، استؤصلوا بالعذاب ،
وانما خص قوم صالح بالاستشهاد لأن آثار اهلاكهم في بلاد العرب
قريبة من قريش ، وأمثالهم يصيرها صادرهم وواردهم • فقال تعالى :
« وآيتنا ثمود الناقة مبصرة » أي ذات ابصار يدركها للناس بأبصارهم
كقوله تعالى : « وجعلنا آية الأنهار مبصرة » أو أسند اليها حال من يشاهدها
مجازا ، أو أنها جعلتهم ذوى ابصار من أبصره اذا جملة بصيرا
« فظلموا بها » أي بتكذيبها أو فجحدوا بها وكفروا بها ظالمين ، مع
أنهم اقترحوها على نبيهم صالح ، وأخرجناها لهم من
الصخرة ، ولم يكفوا بمجرد الكفر أو الجحد فعقروها فعاجلناهم
بالعقوبة « وما نرسل بالآيات » المقترحة « الا تخويفا » من نزول

العذاب المستأصل ، فان لم يخافوا ، أنزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويها بعذاب الآخرة • فان أمر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة •

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات على وجوه :

الأول : ان المراد بها العبر والمعجزات التي جعلها الله تعالى على أيدي الرسل من دلائل الانذار تخويها للمكذبين •

الثاني : انها آيات الانتقام تخويها من المعاصي •

الثالث : تقلب الأحوال من صغر الى شباب ثم تكمل ثم شيب ، ليعتبر الانسان بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره •

الرابع : آيات القرآن •

الخامس : الموت الذريع •

قليل : والمناسب للمقام تفسيرها بالآيات المقترحة كما تقدم •

قلت : ولهذه الآية نظير في الأصحاح الثاني عشر والأصحاح السادس عشر من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ أجابه قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية ؟ فأجابهم وقال لهم : الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا تعطى آية الا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كذلك يكون ابن الانسان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » انتهى فتلخص من هذا القول الذي يدعون أنه قول المسيح عليه السلام أنهم لما طلبوا منه آية ومعجزة لتصدق دعواه النبوة أجابهم أنه ليس له آية ولا معجزة في حياته ، بل معجزاته انما تكون بعد موته بثلاثة أيام ، بزعم انحصارى • فهذا هو الآيه والدليل على صدقه • وأما حال حياته فليس له معجزة وآية كما أن معجزة يونس عليه السلام لم تظهر الا بعد أن بقى في بطن الحوت ثلاثة أيام ، ثم لما رأى قومه وهم أهل

غينوى العذاب الذى وعدهم به آمنوا فكشف الله تعالى عنهم ، فذلك هو لم تظهر آيته الا بعد رفعه من قبره وعروجه الذى هو بعد ثلاثة أيام من صلبه بزعم النصارى •

فيقول المنكر المجادل لهذا المؤلف : ان عيسى عليه السلام بمقتضى انجيلهم قد اعترف أنه ليس له آية ومعجزة فى حياته ، وأنه انما تظهر آيته بعد موته ، ولو كان له آية من احياء الموتى وابراء الأبرص والأكمة وغير ذلك لقال لهم : انى قد أريتكم آيات عديدة فكيف تطلبون الآن منى آية ؟ فاذا لم تؤمنوا بالسابقات لم تؤمنوا باللاحقات • فان خصصتم الآية المطلوبة فى الانجيل بالآية السماوية كانزال نار ، ونحو ذلك من السماء كما قال مفسركم الخورى يوسف الياس فى تفسيره المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ ما لفظه : « كيف يقول ولا تعطى له آية ؟ مع أنه فعل بعد ذلك آيات كثيرة فيجيب فم الذهب واوتيموس أن تلك الآيات لم تصنع للمصرين بل لمن يستفيدون منها • وأجاب بعضهم : انه صنع بعد ذلك آيات ولكن لا كما طلبوا أى آية من السماء كالنار التى أنزلها ايلياء بل آيات فى الأرض • والأظهر أن المعنى لا تعطى آية لمن يطلبونها بنية ردية ، فهؤلاء وأمثالهم لا يعطون آية » انتهى بحروفه •

فالآيات التى وردت فى قوله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات » هى جعل الصفا وهو المحل الذى بمكة ذهابا وتنحية جبال مكة ورفعها منها ليزرعوا كما تقدم فى سبب النزول • فما كان جوابا لكم فهو جواب لنا بل جوابنا أقوى وأوضح كما لا يخفى على من له أدنى المام بالمعالم العربية ، لأن لفظة آية الواردة فى كلام المسيح نكرة فى سياق النفي ، وهى تفيد العموم ، أى ليس تعطى للجيل الفاسق كل آية سواء كانت سماوية أو غيرها • وهذا بمقتضى التواعد أن عيسى عليه السلام لم يعط آية من الآيات مطلقا فى حال حياته • وأما لفظ الآيات الواردة فى القرآن العظيم فهو محلى بالألف واللام العودية ، أى ما منعنا من ارسال

الآيات المطلوبة المعهودة للمشركين الا تكذيب الأولين ، وأما الآيات الأخرى فلم ينفها • فثبت المطلوب •

ونطلب من هذا المؤلف وشبهه الانصاف ، وأن لا تأخذهم العصبية الجاهلية فيكتموا الحق والاعتراف • ونحن والله الحمد نؤمن بآيات كلا النبيين ونقبلها واضعين على الرأس والعين ، ولا نرد شيئا من معجزات هذين الرسولين الأكرمين عليهما الصلاة والسلام •



فصل

مكمل لايراداتهم وناقض لما يرد عليهم

قال المحقق صاحبنا سلمه الله تعالى في اظهار الحق ما خلاصته :
ومن طعنهم ان من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها •
ولم تظهر معجزة على يد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
كما يدل عليه في سورة الأنعام من قوله : « ما عندي ما تستعجلون به
ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » وكذا ما وقع فيها من
قوله : « واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما
الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون » وكذا في سورة
بنى اسرائيل : « وقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك
بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » والجواب :
ان الأمور الثلاثة التي ذكرها المسائل هي تغليطات •

أما الأول : فلأن صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الانجيل المتعارف ، فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة ، ففي الأصحاح الثعشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « فأتى اليه كثيرون * وقالوا : ان يوحنا لم يفعل آية واحدة » وفي الأصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « يوحنا عند الجميع نبي » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٧٥ ما لفظه : « كلهم يحسبون يحيى نبيا » وفي الأصحاح الحادى عشر من انجيل متى قول عيسى عليه السلام فى حقه « انه أفضل من نبي » فهذا الأفضل من الأنبياء لم تصدر عنه معجزة من المعجزات ، على شهادة كثيرين ، مع أن نبوته مسلمة عند المسيحيين .

وأما الأمر الثانى : فغلط بحث كما نتقدم لك فى دلائل نبوته وبيان معجزاته عليه الصلاة والسلام وما يتأتى من معجزة الاسراء وانشقاق القمر والاختبار بالمغيبات ، وغير ذلك .

وأما الأمر الثالث : فاما غلط منهم أو تغليب لأن المراد بما فى قوله عز وجل « ما تستعجلون به » هو العذاب الذى استعجلوه بقولهم « فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ومعنى الآية : « ما عندى ما تستعجلون به » أى العذاب الذى تستعجلون به « ان الحكم الا لله » فى تعجيل العذاب وتأخير « يتص الحق » أى يقتضى الحق من تعجيل وتأخير « وهو خير الفاصلين » أى خير الفاصلين . فحاصل الآية : أن العذاب ينزل عليكم فى الوقت الذى أراد الله تعالى انزاله ولا قدرة لى على تقديمه أو تأخير « وقد نزل عليهم بهيم بدر وما بعده فلا تدل هذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم تصدر عنه معجزة .

وأما الآية الثانية فتفسرها انهم « لأن جاعتهم آية » من مقترحاتهم « ليؤمنن بها * قل انما الآيات عند الله » هو قادر عليها يظهر منها

ما يشاء متى شاء « وما يشعركم » استفهام انكار « انها اذا جاءت لا يؤمنون » بها • وهذا القول يدل على أنه تعالى انما لم ينزلها لعلهم بأنها اذا جاءت لا يؤمنون • قلت : وهذا كما تقدم في تأويلهم لآية الانجيل فلا تغفل •

وأما الآية الثالثة : فمعناها « وقالوا » تعنتا « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض » أى أرض مكة « ينبوعا » أى عينا غزيرة لا ينضب ماؤها « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها فتجريا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا » يعنون قوله تعالى : « ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء » « أو تأتى بالله والملائكة قبيلا » أى شاهدا على صحة ما تدعيه ، ضامنا لدركه « أو يكون لك بيت من زخرف » أى من ذهب « أو ترقى فى السماء » أى فى معارجها « ولن نؤمن لرقبك » وحده « حتى تنزل علينا كتابا » من السماء فيه تصديقك • قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال عهد الله بن أبى أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه ، وأما أنظر حتى تأتينا ، ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول « نقرؤه قل سبحان ربى » تعجبا من ادتراحتهم « هل كنت الا بشرا رسولا » كسائر الرسل ، ولم يكن مقصودهم بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج • ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله عز وجل : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس » « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء » وكذا حال بعض آيات أخرى يفهم منه فى الظاهر نفى اظهار الآية لكن المقصود به نفى المعجزة المقترحة ، ولا يلزم من هذا النفى نفى المعجزات مطلقا • ولا يلزم على الأنبياء عليهم السلام أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون ، بل هم لا يظهرون اذا طلب المنكرون عقادا أو امتحانا أو استهزاء •

ولنورد لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد : منها ما فى الأصحاح الثامن من انجيل مرقس ولفظه : « فخرج الفريسيون وابتدعوا »

يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه فتنهده بروحه ، وقال :
لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية »
فانظر أنه عليه السلام لما طلبوا منه على سبيل الامتحان معجزة لم
يأت بها ولا أحالهم على معجزاته التى صدرت عنه قبل ذلك ولا وعدهم
بشيء يظهره لهم فيما بعد ، بل أتى بلفظ يدل على عدم اعطائه ما دام
هذا الجيل موجودا • وذلك الجيلبقى الى رفعه عليه السلام بل بعده •

ومنها ما فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا ولفظه :
« وأما هيروُدس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان
طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى آية تصنع منه ، وسأله
بكلام كثير فلم يجبه بشيء ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشكون عليه
باشتداد ، فاحتقره هيروُدس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا
لامعا وردّه الى بيلاطس » انتهى فعيسى عليه السلام لم يظهر معجزة
فى ذلك الوقت • وقد كان هيروُدس يترجى أن يرى منه آية والأغلب
أنه لو رأى آية لألزم اليهود على اشتكائهم ، ولما احتقره مع عسكره
ولما استهزؤا به •

قلت : فهذا ونحوه مما سيأتى عنه أنه لم يرهم آية بعد طلبهم
لا يخلو من أجوبة ثلاثة للتصارى : فأما ان يقولوا انما قال هذا من
ألقى عليه الشبه لا عيسى عليه السلام فيكونوا قد وافقوا المسلمين فى
وقوع الشبه ، وأما أن يجيبوا بما قدمنا من أجوبة المسلمين عن طلب
الآية من نبينا عليه الصلاة والسلام وحينئذ لم يبق لهم معنا كلام فى
استدلالهم على انكارهم المعجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام ، وأما
أن يعترفوا بتحريف أناجيلهم وفساد تأويلهم كما لا يخفى على كل
منصف •

ومنها ما فى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه :
« والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه

وغطوه ، وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ من هو الذى ضربك ؟ وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه « مجدفين » ومنها ما فى الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ولفظه : « وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزءون رعوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك • ان كنت ابن الله فانزل الآن عن الصليب ، وكذلك رؤساء الكهنة أيضا ، وهم يستهزءون مع الكتبة والشيوخ ، قالوا : خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها ان كان هو ملك اسرائيل فليُنزل عن الصليب ، فنؤمن به ، قد اتكل على الله فليُنقذه الآن ان أراد ، لأنه قال : انا ابن الله • وبذلك أيضا كان اللسان للذان صلبا معه يعيرانه » •

فما خلص نفسه ولا أراهم آية ولا نزل عن الصليب • وكان عليه بحسب الظاهر أن ينزل ويصعد ويريهم آية ولو مرة واحدة ، لكنه لم يفعل ذلك لما قدمناه آنفا •

ومنها ما فى الأصحاح الثامن عشر من انجيل متى ولفظه : « قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية ؟ فأجاب وقال لهم : جزل شرير فاسق يطلب آية ولا تعطى لهم آية الا آية يونان النبی ، لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » انتهى •

فانظر كيف لهم يرهم عيسى عليه السلام آية بعد طلبهم بل سبهم ووعده بالمعجزة التى لم تصدر عنه لأن قوله « كما كان يونان » الى آخره غلط بلا شبهة ، لأن عيسى على زعم الانجيل المختلفة لم يبق سوى يوم وليلتين أو ليلة واحدة كما فصلناه فى محله ، وان قطعنا النظر عن غلطه ، فمطلق قيامه لم يره الكتبة والفريسيون بأعينهم ولو قام عليه السلام من الأموات كما ينبغي أن يظهر نفسه على هؤلاء المنكرين الذين وعدهم بالآية أو على اليهود الآخرين ولو مرة واحدة ، وأذلك فان اليهود الى الآن يعتقدون أن تلاميذه فى الليل سرقوا جثته

من القبر والحفظة ارتشوا على ذلك وأشاعت التلاميذ ما لم يكن هنالك ، ولذا ترى أناجيلهم في هذا البحث مضطربة متخالفة كحالها في سائر مطالبها المتناقضة المتعسفة •

ومنها ما في الأصحاح الرابع من انجيل متى ولفظه : « فتقدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذ ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب أن يوصى ملائكته بك ، فعلى أيديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك • قال له يسوع : مكتوب أيضا : لا تجرب الرب الهك » انتهى •

فطلب ابليس عليه اللعنة على سبيل الامتحان من عيسى عليه السلام معجزتين ، فما أجاب الى واحدة منهما واعترف أنه لا يلحق بالمربوب أن يجرب ربه ، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعدم تجربة الرب •

ومنها ما في الأصحاح السادس من انجيل يوحنا ولفظه : « أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بانذى هو أرسله ، فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباءنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب : أنهم أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم » انتهى •

فاليهود طلبوا معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام ولا أحالهم الى معجزة فعلها قبل هذا السؤال بل تكلم بكلام مجمل لم يفهمه أكثر

السامعين ، بل ارتد كثير من تلاميذه بسببه كما صرح به في هذا
الأصحاح بقوله : « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء
ولم يعودوا يمشون معه ، فقال يسوع للاثني عشر : لعلكم أنتم أيضا
تريدون أن تمضوا » ؟ وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٧٥
« ومن ثم ارتد كثيرون من تلاميذه على أعقابهم ولم يمشوه » بعد ذلك
أبدا « وفي الأصحاح الأول من الرسالة الى أهل كورنثيوس ما لفظه :
« فان اليهود يسألون معجزة واليونانيون يطلبون حكمة ، ونحن نركز
في المسيح المصلوب وذلك معثرة لليهود وحمالة لليونانيين » انتهى •

فاليهود كما كانوا يطلبونها من المسيح عليه السلام وكافوا
يطلبونها من الحواريين أيضا وأقر مقدسهم بولس بأنهم يطلبون
المعجزة • مع أننا نركز بالمسيح المصلوب •

فظهر من هذه العبارات المتقدمة : أن عيسى عليه السلام
والحواريين لم يظهروا معجزة بين يدي طالبيها ولا أحالوهم الى
مقدم ، فلو استدل أحد بما نقلناه عن المسيح والحواريين لم تكن
للنصارى قدرة على اثبات معجزة والا لصدقت عنه وعنهم في زمن ما
طلب المنكرون أو احالتهم على شيء متقدم منها ، لو كان ، فلما لم
يظهر أحد الأمرين ثبت مراد المستدل وهو أنه لم تكن له قدرة على
اظهار معجزة ويكون ادعاء النصارى أن له معجزة لا أصل له ، لأنه
تكون دعواه مناقضة لحال المسيح من عدم اظهار آية بعد الطلب مرات
عديدة ، غير أن القسيسين يعدون هذا من المستدل تعسفا لأن مراد
عيسى عليه السلام أنه لا يظهر لهم آية طلبوها ونحو ذلك من محالهم
المتقدمة ، فيقال لهم : ما كان جوابا لكم فهو جواب لنا ، كما تقدمنا •
اذ اعترضهم علينا بما ذكروه من الآيات القرآنية بعد اطلاعهم على
مشابهة في الأناجيل ركوب على متن عشواء الاعتساف وسلاوك في غير
طريق الانصاف ، كيف لا والمعجزات النبوية متواترة والآيات القرآنية

متضافرة على صدور المعجزات المحمدية والخوارق الأحمدية والأحاديث الصحيحة مادحة بثبوتها عنه وصدورها مرات عديدة منه ، وأخباراته الغيبية في كل زمن تصدقها الأحداث الكونية بحيث لا يمتري فيها من له من العلم أو الفهم أدنى رؤية ، أو عاقل مطلع على الكتب التحديثية والتاريخية تارك للعصبية الجاهلية .

وقد جاء في الكتاب المين نكرها في بعض المواضع تفصيلا وفي بعضها إجمالا : فمن ذلك غلبة الروم على الفرس والاسراء الى البيت المقدس ، وانشقاق القمر (١) ، ودخول مكة وغير ذلك مما بينا بعضه

(١) معجزة انشقاق القمر في القرآن الكريم وردت بطريق المحكم والمتشابه . فالحكم هو « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » ؟ وقوله « وانشق القمر » نص متشابه يحتمل الانشقاق الحقيقي ويحتمل الانشقاق بمعنى وضوح أمر الاسلام . والمتفق مع الحكم هو المعنى الثاني . وقد رد أحاديث انشقاق القمر علماء الخوارج والمعتزلة لأنهم يردون المعجزات الحسية كلها ولا يأخذون بالأحاديث النبوية في العقائد . وقد تابعهم في رد الحديث الشيخ محمد الغزالي فقد قال في كتابه الطريق من هنا : « ولا يصدك عن دين الله خبر راو من الرواة حفظ أم نسي . واعلم : أن مفكرى المسلمين ومفسرى دينهم من اعتبر الانشقاق من أشرط الساعة ، وأن من المتكلمين من توقف في أخبار الاحاد كما قال ابراهيم النظام : ان القمر لا ينشق لابن مسعود وحده هو الذى روى عنه الحديث المذكور » ١ . هـ

مسألة

وهنا مسألة دقيقة يجب التنبيه عليها . وهى أن كثيرين ممن طعنوا في الأحاديث لروايتها بالمعنى ، ولأن توثيق الرجال والنساء الذين رووها تم بحته بعد ما تم تدوينها ، ولأن المحدثين قالوا : أنه لم تكن الأحاديث مكتوبة قبل مائة وخمسين عاما تقريبا من موت النبى ﷺ كما روى ابن حجر في مقدمة فتح البارى . هؤلاء الذين طعنوا في أبى هريرة وابن مسعود وكثيرين من الصحابة . وقد تتبعنا أقوالهم ، فوجدت أنهم ما طعنوا في الصحابة ولا فى التابعين ، بل ولا فى النبى نفسه . وإنما طعنوا فى الذين كذبوا على الصحابة والتابعين والنسب نفسه . فإذا قال ابراهيم بن سيار النظام — مثلا — ان ابن مسعود كاذب فى روايته حديث انشقاق القمر . فهو يعلم ان ابن مسعود لم يقل هذا الحديث حتى يصدق أو يكذب . ويعلم أيضا كذب بعض الرواة المجروحين على ابن مسعود . فإذا قال ابن مسعود كاذب ، فهو لا يعنى ابن مسعود ، بل يعنى الراوى الذى كذب عليه . وهكذا فى سائر الصحابة . وإذا قال محمود أبو رية : ان أبا هريرة كان يأكل على مائدة =

سابقا ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الصافات : « واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين » قال المفسرون : كانوا اذا رأوا آية منه عليه الصلاة والسلام يستهزئون لاعتقادهم أنه من السحر وفي سورة القمر « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر » وفي سورة آل عمران « كيف يهدي الله قوما كفروا بعد

= معاوية ، ويصلى خلف على . فهو لا يقصد الاساءة الى أبى هريرة . لأنه برىء مما تنسب اليه . وانما يقصد بعض الرواة الذين قولوا أبى هريرة ما لم يقله . والمدافعون — في عصرنا هذا — عن الحديث في أثناء الأخذ والرد . نسوا هذه الحقيقة المتفق عليها . وقالوا : ان منكرى الأحاديث يطعنون في الصحابة .

وكيف يطعنون في الصحابة بكلام بعض رواة يعلمون أنهم كاذبون فيه ؟ اذ أنهم يرفضون الرويات كلها ولا يوثقون حملتها . حتى ولو كان فيها مدح أو ذم . فأنه لديهم مرفوض . ويقول الرادون للأحاديث : اذا رددنا حديثا لعائشة أم المؤمنين ، فنحن لم نرده لأنها كاذبة فيه ، بل نرده على الراوى الذى قاله ونسبه اليها . وكذلك النبى ﷺ اذا قلنا في حديث من أحاديثه انه ضعيف . فليس معناه : أننا نكذبه — ﷺ — وانما معناه أننا نكذب بعض الرواة الذين كذبوا عليه .

وهذا مثال للإيضاح :

(أ) قال الراوى : وقف النبى ﷺ على قلبب بدر ، ونادى على الكافرين الذين قتلوا في غزوة بدر وقال لهم : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » فقال عمر رضى الله عنه : اتنادى قوما قد جيفوا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما (البخارى — كتاب الجنائز) .

(ب) وقال الراوى : ان عائشة — رضى الله عنها — لما سمعت الراوى يروى « ما أنتم بأسمع ... » قالت : أخطأ الراوى . فانما قال النبى ﷺ : « انهم الان ليعلمون : ان الذى كنت أقول لهم هو الحق » ثم قرأت : « انك لا تسمع الموتى » .

(ت) وقال الراوى : ذكر عند عائشة — رضى الله عنها — ان ابن عمر ، رفع الى النبى ﷺ « ان الميت يعذب في شبره » فتأملت : وهل — أى أخطأ — انما قال رسول الله ﷺ « انه ليعذب بخطيئته وذنبه » وان أهله ليكون عليه الان » .

أيماهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات » والبيانات هي الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة .
ومثله قوله تعالى : « وآتينا عيسى بن مريم البينات » ومثل هذا كثير في القرآن الكريم .

واعلم أن البابا الكرنج وكان يعتقد أن نبينا محمدا ﷺ صاحب الالهام وإن لم يكن ذلك الالهام عنده واجب التسليم ، فقد قال في المجلد الخامس من كتابه المسمى بدسنيذ هذه الفقرة « يا محمد ان الحمامة عند أذنك » وذلك لأن عند المسيحيين ان الالهام يكون بواسطة روح القدس وقد نزل على عيسى بعد الفراغ من الاضطباع على صورة الحمامة كما هو مصرح به في الأصحاح الثالث من انجيل متى ، فظن هذا البابا أن الهام نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا يكون بواسطة الحمامة . فنأمل ما قلناه ، وأنصف تسلم والله تعالى أعلم .

قال النصراني : « فان ادعيت أن من الدلائل على نبوته : ظفره وظفر أصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس ، على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير أصحابه وحسن سياسة ماوكه ، مع كثرة العدد والسلاح والرجال » .

اجبتك بكلام الله وقوله لبني اسرائيل « ليس لأن الله أحبكم أكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الأموريين والفرزانيين ، تقتلواهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم ، بل لأنهم لهؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم ، سلطكم عليهم ، وأظفركم بهم وكفعله بيت المقدس أيضا .
وقد اختاره من بين سائر الأرض كلها وأحل فيه اسمه وأيده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة وأسكنه أنبياءه المصطفى ، وكان يرتل فيه اسمه بالتهليل والتسبيح ، ليلا ونهارا ، وتستجاب فيه الدعوات لأنه محل البركات .

فعندما طفى أهله وجعلوا لله أندادا وغمطوا نعمه وجحدوا آياته ،
(م . ٤ . الجواب الفسبح)

وظنوا عند نفوسهم أن أنذى هم فيه إنما نالوه وصاروا إليه بأيادهم وقوتهم ، فذل شكرهم لله جل اسمه ، سلب عليهم شر خلقه ، وأرذلهم بخت نصر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل ، فقتل الرجال الذين كانوا أولاده وصنفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه ، وسبى ذراريهم ، وأخرب البريت الذى كان معروفاً باسمه ، ونقل الأنية التى كانت فيه إلى بابل النجسة بعبادة الأصنام . فهل تقول : ان « بخت نصر » إنما ظفر ببيت المقدس وبأنه من أهله ما بلغ لأنه كان نبياً أم للأسباب التى ذكرنا آنفاً ؟ فذلك أيضاً كانت قصة صاحبك وأصحابه مع ملك فارس لأن أهل فارس كانوا مجوساً أنجاساً أرجاساً من أسقاط الأدم وجهالهم ، يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والأخوات والأمهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر ، بجهلهم وقلة معرفتهم بقادارهم ، وادعوا الربوبية التى لم يجعلها الله لهم ، وابتذلوا نعمه كفراً وعدوا وسعوا فى الأرض فساداً وظالماً وارتكبوا العظائم ، وتوهموا أن الذى هم فيه إنما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم وبطشهم ، فسلبهم الله نعمته وسلب عليهم من أخرب بلادهم وقتل رجالهم ، وأخلى مسكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ، فلم يبق لهم امرأة الا تكحت ولا ولدا الا استعبد ، وبأدوا بسخط الله ورجزه . كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين » انتهى .

فأقول ومنه سبحانه النصر والعناية والتوفيق والظفر والهداية : أن دلائل نبوته عليه أفضل الصلاة والسلام لم تختصر فى فتحه إبلاد العرب والأعجام شرقاً وغرباً ولا بالاستيلاء على الشام وبيت المقدس ، والنصارى واليهود ، عنوة وحرباً ، ولا بإسلام الروم والترك والهنود ولا بإسلام كثير من أولئك ، طائعين ، ودخول كافة الملل أفواجا أفواجا فى دينه ، حتى الآن غير مكرهين ، بل بأمور عديدة وأفعال جديدة واخبارات غيبية ومعجزات مرئية . وقد تقدم لك منها جملة ملجمة للخصوم ، وبقي منها كثير مفرق فى سماء هذا الكتاب ، كالانجوسم التى هى للشياطين رجوم ، وأما فتح بلاد فارس وإسلام سكانها وتبديد

ملك سلطانها فهو قطرة من دأماء ونجمة في سماء وهذه الكتب في البين •
وفي الحقيقة لا أثر بعد عين •

فأما ما كان من أمر غزواته عليه الصلاة والسلام ، ونصرته
واسلام أكثر العرب بأقصر مدة وفتح خيبر وبعض الحصون والبلاد ،
فأمر مشهور ، وفي كتب السير مسطور • وأما ما وقع في أيام أبي بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه من الفتوحات وقتل أهل الردة فيطول
ذكره ، وربما يفخى الى المال سيرة كمسير خالد بن الوليد الى العراق
وفتحه لكثير من أماكنه وحصونه ووقعاته المشهورة ، كوقعة الثني
ووقعة الولجة ، وما أصاب خالد من نصارى بكر بن وائل الذين أعلنوا
الفرس ، ووقعة اللبس على الفرات ، ووقعة يوم فرات بادقلى وفتح
الحيرة وحصونها ، ولما قاتلهم المسلمون وافتتحوا النور والدير ، أن
نادى أهل القصور المسلمين : قد قبلنا واحدة من ثلاث • وهى اما
الاسلام أو الجزية أو المحاربة فكفوا عنهم • وكان فيهم عمرو بن
عبد المسيح بن قيس فخرج الى خالد بن الوليد ، وكان معه خادم معه
كيس فيه سم ، فأخذه خالد منه ونثره في يده ، وقال : لم تستصحب
هذا ؟ قال : خشيت أن تكونوا على غير ما رأيته فكان الموت أحب الى
من مكروه أدخله على قومي • فقال خالد : انه لن تموت نفس حتى تأتى
على أجلها • وقال بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء الذى
لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم ، وابتلع السم • فقال عمرو بن عبد
المسيح لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا • وأبى خالد رضى الله
تعالى عنه أن يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح الى
شويل رضى الله تعالى عنه ، فسلموها له ، وافتدت نفسها منه بألف
درهم • وكان سبب تسليمها اليه : أن النبی ﷺ لما ذكر استيلاء
أمتة على ملك فارس والحيرة سأله شويل أن يعطى كرامة ابنة عبد
المسيح وكان رآها شابة ، فمال اليها • فوعده النبی ﷺ ذلك ، فلما
افتتحت الحيرة طأبها وشهد له شهود بوعد النبی ﷺ أن يسلمها
اليه ، فسلمها اليه خالد •

وهذا أمر محفوظ وخبر مسطور في سائر كتب السير والتواريخ ،
وكتب أهل العلم والحديث ، وهى من جملة معجزات النبى ﷺ
واخباراته الغيبية ، وكذا ما فعله خالد رضى الله عنه من أكل السم
فلم يضره لأن هذه الكرامة أيضا داخله في جملة معجزات النبى
المصطفى ﷺ كما لا يخفى .

ومثل ما تقدم فتح الأنبار وفتح عين التمر ، وأمر ديمة الجندل ،
ووقعة حصيد والخنافس ووقعة مضيج وأثنى والزئيل ووقعة الفراض ،
وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة ، لما سار إليها خالد أيضا ،
وانهزمت الروم ، ومن معهم ، وأمر خالد رضى الله تعالى عنه المسلمين
أن لا يرفعوا عنهم ، فقتل فى المعركة وفى الطلب منهم مائة ألف نفس .
وما وقع لأبى بكر رضى الله تعالى عنه من فتوح الشام لما وجه اليهم
خالد بن الوليد من العراق ، وكان عسكر المسلمين نحو من أربعين
ألنا . وكان الروم فى مائتى ألف وأربعين ألف مقاتل ، فهزم الله تعالى
الروم وانتصر المسلمون .

وأما ما وقع فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من
الفتوحات ، فأمر يطول الكتاب بذكره ويجز القلم عن سطره ، فمنه
فتح أبى عبيدة وخالد رضى الله تعالى عنهما دمشق وأرسل أبو عبيدة
الى عمر رضى الله تعالى عنه بالفتح ، فوصل كتاب عمر الى أبى عبيدة
يأمره بإرسال جند العراق نحو العراق الى سعد بن أبى وقاص رضى
الله تعالى عنه ، فأرسلهم وكان من أمر القادسية ما يطول شرحه .
ومنه فتح بلاد ساحل دمشق كصيدا ، وعرة وجبيل وبيروت ومنه
فتح بيسان وطبرية وفحل والواقعة بمرج الروم ، وفتح حمص وبلبك
ومعرة النعمان واللاذقية وانطربوس وقنشرين . وكل ذلك من الروم .
وكذا حلب فان أهلها صالحوا وطلبوا الأمان على أنفسهم وأولادهم
ومدينتهم وكنائسهم ، فأعطوا ذلك وكذا انطاكية وغيرها من العواصم .
وكذا قيسارية وبيسان وبيت المقدس وهو ايلياء وغزة وناپلس والموصل .

وتكريت وماسيذان وقرقيسيا ونهاوند والجزيرة وأرمينية والأهواز والسوس ، وغير ذلك مما افتتحه المسلمون في خلافة أبي بكر رضى الله تعالى عنه بأقل أيام من بلاد الفرس والروم وغيرهم • ومن أيام المسلمين مع الفرس الشهيرة في التواريخ وكانت الدائرة فيها على المشركين يوم عماس ، وليلة الهرير التي قتل فيها رستم وغيره من رؤساء الفرس وعسكرهم اثر قتله ، وهزمهم الله تعالى حتى رأى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا من أسرى الفرس • وكان الرجل من المسلمين يشير الى الفارسي فيأتيه ، فيقتله لامتناعه عن الاسلام ، وربما أخذ سلاحه فقتله به ، وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه ، وهذه الواقعة قبل فتح المدائن الغربية وهى بهرشير ، وقبل فتح المدائن الشرقية التي فيها ايوان كسرى •

ولنذكر مجمل ذلك : وهو أن سنة ست عشرة للهجرة في شهر صفر ، دخل المسلمون بهرشير وكان سعد محاصرا لها ، واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنابير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ، فبيناهم يحاصرونهم اذ أشرف عليهم رسول الملك • فقال الملك : يقول لكم هل لكم الى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم ما شبعتم ؟ — لا أشبع الله بطونكم — فقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدري ما هو ولا من معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التي فيها الايوان • فقال له من معه : يا أبا مقرن ما قلت له ؟ قال : والذي بعث محمدا بالحق ما أدرى وأنا أرجو أن أكون قد نطقت بالذى هو خير ، وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم ، فنادى سعد في الناس ، فنهضوا اليهم ، فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجل الا رجل ينادى بالأمان ، فأمنوه فقال لهم ما ببقى بالمدينة : من يمنعكم ؟ فدخلوا فما وجدوا فيها شيئا ولا أحدا الا أسارى وذلك الرجل • فسأله لى شئ هربوا ؟ فقال : بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتهموه أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح

أبدا ، حتى نأكل عسل أفريدون بأترج كوثى فقال الملك : يا وليته ان
الملائكة تتكلم على ألسنتهم ، نرد علينا ، فساروا الى المدينة القصوى •
فلما دخلها المسلمون وأرادوا العبور الى المدائن ، وجدوا المعابر قد
أخذوها ، وأقام سعد رضى الله تعالى ببهرشير أياما من صفر ، فأتاه
علاج فدلّه على مخاضة ، فأبى وتردد • وكانت السنة كثيرة المدود فى
الماء ، ودجلة تقذف بالزبد ، فرأى سعد رؤيا : أن خيول المسلمين
اقتحمت دجلة ، فعبرت • فعزم لتأويل الرؤيا فجمع الناس وحمد الله
وأثنى عليه وشوقهم الى العبور ، فركبوا خيولهم وعامت بهم ، وسعد
يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، ليتصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ،
وليhezمن عدوه ، ان لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات
فقتال له سلمان الفارسى : لقد ذل لهم البحور كما ذل لهم البر ، أما
وانذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا أفواجا كما دخلوا فيه
أفواجا أفواجا ، فخرجوا منه كما قال سلمان : لم يفقدوا شيئا الا قدح
ذهبت به جرية الماء ، فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطئ فأخذه
صاحبه ، ولم يغرق منهم أحد ، فلما رأى الفرس ذلك ، وأتاهم أمر
لم يكن فى حسابهم ، خرجوا هاربين نحو حلوان وخرجوا بما قدروا
عليه من خير متاعهم وخفيفه من بيت المال وبالنساء والذرارى ،
وتركوا فى الخزائن مالا يدرى قيمته من النقود والثياب والمتاع والآنية
والفصوص وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة ،
فدخل المسلمون فى سكك المدائن لا يلقون أحدا يخشونه الا من كان
فى القصر الأبيض فأحاطوا بهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة ،
فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ، ونزل سعد رضى الله تعالى
عنه القصر الأبيض واتخذ ايوان كسرى مصلى ، ولما دخله قرأ قوله
تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا
فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » وصلى فيه صلاة الفتح
ثمانى ركعات ، ثم أرسل جماعة من المسلمين وراء الفرس لأنهم لما
هربوا من المدائن قصدوا حلوان ، فاحتفروا خندقا وأحاطوه بحسك

الحديد ، فبلغ ذلك سعدا فأرسل الى عمر رضى الله تعالى عنه فكتب اليه أن سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله تعالى الفرس فاجعل القعقاع بين الأسود والجبل ، وليكن الجند اثنتى عشر ألفا ، فجاء القعقاع الى جلولا فحاصروهم في خنادقهم ، ثم انهم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأرسل الله تعالى عليهم الريح ، حتى أظلمت عليهم البلاد فتجاوزوا فسقط فرسانهم في الخندق ، وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا . ثم دخل القعقاع الى باب خندقهم فانهم المشركون عن المجال يمينة ويسرة ، فهلكوا فيما أعدوه من الحسك ، فعقرت دوابهم ، وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا من لا يعد ، وقتل منهم يومئذ مائة ألف فجالت القتلى الجبال ، وما بين يديه وما خلفه ، فسار القعقاع في الطاب حتى بلغ « خانقين » ولما بلغت الهزيمة « يزدجرد » سار من « حلوان » نحو « الرى » وقدم القعقاع حلوان فنزلها وكتبوا الى عمر بالفتح وينزل القعقاع حلوان واستأذنوه في اتباعهم ، فأبى فأورث الله تعالى أرض الفرس وديارهم للمسلمين ، كما أخبر النبى ﷺ بذلك في أحاديث صحيحة كثيرة .

وأما ما تضمنه كلام هذا النصرانى المتقدم من أن الله سبحانه سلب المسلمين على الفرس لآثامهم وكفرهم ، فهذا حق أريد به باطل وهو مأخوذ من كلام المسلمين للفرس عند مجيئهم الى القادسية ومحاربتهم لهم ، فقد نقل المؤرخون ومنهم ابن الأثير في الكامل : أن رستم لما أرسله « يزدجرد » كسرى فارس الى محاربة سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وكان نازلا في « القادسية » فوصل « رستم » الى « كوثى » فأتى برجل من العرب فقال له : ما جاء بك ؟ وماذا تطلبون ؟ فقال : جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم ان أبيتم أن تسلموا . قال رستم : فان قتلتم قبل ذلك ؟ قال : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقى منا أنجزه الله عز وجل ما وعده ، فنحن على يقين ، فقال رستم : قد وضعنا اذن في أيديكم ، فقال : أعمالكم وضعتكم ،

فأسلمكم الله بها • فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس
انما تحاول القدر ، فضرب عنقه ، ثم سار فنزل البرس فغصب أصحابه
الناس أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمر ، فضج
أهلها الى « رستم » فقال : يا معشر فارس والله لقد صدق العربي
والله ما أسلمنا الا أعمالنا • والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب
أحسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد
بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء والاحسان ، فاذا تغيرتم فلا أرى
الله الا مغيرا ما بكم ، وما أنا بآمن من أن ينزع الله سلطانه منكم ، وأتى
ببعض من يشتكى منه ، فضرب عنقه •

ولما نزل رستم بالتحجف رأى كأن ملكا من السماء ومعه النبي
ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأخذ الملك سلاح أهل
فارس شختمه ثم دفعه الى النبي ﷺ فدفعه النبي ﷺ الى عمر ،
فأصبح رستم حزينا • ثم أنه بعد أن تقرب الى محل المسلمين أرسل
اليهم أن ابعثوا الينا رجلا نكلمه ويأمننا ، فدعا سعد جماعة ليرسلهم
اليهم فقال له ربيع بن تاهر : متى تأتيهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا
بهم ، فلا تزدهم على رجل ، فأرسله وحده فسار اليهم فحبسوه على
القنطرة • وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من
ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل
ربيع على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب وقود ، فلما
انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين
شقهما وأدخل الحبل فيهما ، فلم ينهوه وأروه التهاون • وعليه درع
وأخذ عباءة بعيره فتدعرها وشدها على وسطه ، فقالوا : ضع سلاحك •
فقال : لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم ، أنتم دعوتومنى •

فأخبروا رستم فقال : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب
خطوه ، فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا أفسده وهتكه فلما دنى من
رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط ، فقال له : ما حملك
على هذا ؟ قال : انا لا نستحب القعود على زينتك • فقال له ترجمان

رستم : ما جاء بكم ؟ قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه ، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نفذى الى الجنة ، أو الظفر فقال رستم : قد سمعنا قولكم قول لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم وان مما سن لنا رسول الله ﷺ أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك . واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل اما الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزية فنقبل ونلكف عنك ، وان احتجت اليها نصرناك ، أو المنايضة في اليوم الرابع ، الا أن تبادئنا وأنا كفييل بذلك عن أصحابي . قال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم .

فخلا رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن نمرل الى دين هذا الكأب . اما ترى الى ثيابه ؟ فقال : ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن انظروا الى المرأى والكلام والسيرة ، ان العرب تستخف باللباس وتصون الأحساب ، ليسوا مثلكم ، فلما كان من الغد أرسل رستم الى سعد أن ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن ، فتكلم معه ورجع فلما كان الغد أرسل أيضا أن ابعثوا الينا رجلا ، فبعث المغيرة ابن شعبه ، فأقبل اليهم وعاليهم انتاجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم ، حتى يمشى عليها ، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريريه فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه ، وقال : قد كانت تبلفنا عنكم الأعلام ولا أرى قوما أسفه منكم ، انا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبروننى أن بعضكم أرباب بعض ، فان هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى . اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه

السيرة ، ولا على هذه العقول • فقالت السفلة : صدق والله العربي •
وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينفزعون اليه ،
قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة •

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال : لم نزل متمكنين
في البلاد ظاهرين على الأعداء ، أشرافا في الأمم ، فليس لاحد مثل
عزنا وسطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين
والشهر ، للذنوب ، فاذا انتقم الله منا ورضى علينا ، رد لنا الكرة • على
عدونا ، ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمرا منكم • كنتم أهل
قشيف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئا وكنتم تقصدوننا ، اذ قطعت بلادكم ،
فنامر لكم بشيء من التمر والشعير ، ثم نردكم وقد علمت أنه لم يحملكم
على ما صنعتم ، الا الجهد في بلادكم ، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل
وآلف درهم ، وأمر لكل منكم بوقر تمر ، وتنصرفون عنا • فاني لست
أستهي أن أقتلكم ، فتكلم المغيرة رضى الله تعالى عنه فحمد الله تعالى
وأثنى عليه • وقال : ان الله خالق كل شيء ورازقه • فمن صنع شيئا
فانما هو يصنعه ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك ، فنحن
نعرفه • فالله صنعه بكم ووضعه فيكم ، وهو له دونكم • وأما الذى
ذكرت فينا من سوء الحال والضيق ، فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، والله
تعالى ابتلائنا به ، والدنيا دول ، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء
حتى يصيروا اليه ، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل
بهم ، ولو شكرتم ما أتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتهم ، وأسلمكم
ضعف الشكر الى تغير الحال • ولو كنا فيما ابتلينا به أهل الكثر لكان
عظيم ما ابتليا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ، ان الله تبارك
وتعالى بعث فينا رسولا •

ثم ذكر ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال ، وقال رستم •
انكم ستموتون ولا تتالون منا شيئا • فقال المغيرة يدخل من قتل الجنة ،
ومن قتل منكم النار ، ويظفر من بئى منا بمن بقى منكم ، فاستشاط

« رستم » غضبا ثم حلف أن لا يرفع الصبح غدا حتى نقتلكم أجمعين •

وانصرف المغيرة رضى الله تعالى عنه • ثم قال رستم : أطيعونى يا أهل فارس انى لأرى الله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها • ثم أرسل اليه سعد ونصحه بأن يقبلوا دين الاسلام ، ويرجع عنهم • فلم يقبلوا • ثم اقتتلوا فقتل رستم وأكثر عسكره ونصر الله تعالى المسلمين ، وأورثهم أرض الفرس • كما تقدم •

تنبيهه : العجب من هذا النصرانى المؤلف ، والمموه المزخرف • لأنه اذا علم أن الغلبة كانت للمشركين فى بعض الغزوات كمسألة أحد يجعل ذلك بزعمه دليلا على عدم صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ويقول : أين كانت الملائكة عن معرفته ؟ كما تقدم لك ردنا لذلك ، وجوابنا الكافى والله الحمد • واذا علم أن المسلمين كانوا قد انتصروا على المشركين والكافرين كوقعة بدر والقادسية والمدائن الكسروية وغيرها من البلاد والعباد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، لا يعد ذلك من دلائل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولا يراه فتحا ونصرا من العزيز المؤيد به دين الاسلام ، بل يعد ذلك بزعمه أنه من قبيل أن الله سبحانه قد جعل الانتقام من الكفرة على يد من لم يكن من المؤمنين البررة • واستدل بأدلة لا تقى عند المحك بمراده ، ولا يجعلها العاقل من قوى عماده ، لأننا قد برهنا وأثبتنا لك سابقا أن عادة الله تعالى جرت مع النبيين أن يغلبوا أحيانا ويغلبوا مرارا ، وتكون عاقبة النصر والغلب للمؤمنين • اذ العاقبة كما قال تعالى للمتقين •

ولنذكر لك تأييدا لما أسلفناه : ما رواه الامام البخارى فى صحيحه بسنده أن أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، قال ان هرقل ملك الروم أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالبشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بالأياء - أى بيت المقدس - فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه • فقال : أيكم أقرب

نسبنا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : قلت أنا
أقربهم نسباً • قال ادنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره •
ثم قال لترجمانه : قل لهم انى سائل عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه
قال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذبا كذبت عليه ، ثم كان
أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب
قال : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت لا • قال : فهل كان
من آبائه من ملك ؟ قلت : لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟
قلت بل ضعفاؤهم • قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون •
قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا
قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا قال :
فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها •
قال أبو سفيان : ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ،
قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم قال فكيف كان قتلكم إياه ؟ قلت :
الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟
قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول
آبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال لترجمان :
قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فيذكرك الرسل تبعث
في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا
فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ،
وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من
آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على
الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟
فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم
ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون • وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك
أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا • وكذلك الايمان
حين يخالط بشائسته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك
الرسل لا تغدر ، وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم فرغمت أنه قد فعل وان

حربكم وحربه يكون دولا ، يدال عليكم المرة وتذالون عليه الأخرى ، وكذلك الرسل تبلى وتكون لهم العاقبة ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف •

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم انى اخلص الريبة لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه •

ثم دعا كتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم •

سلام على من اتبع الهدى •

أما بعد •

فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الأريسيين • « ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : أشهدوا بأنا مسلمون » قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده انصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا • فقلت لأصحابى حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة يعنى محمدا أنه يخافه ملك بنى الأصفر • قال أبو سفيان : مازلت ذليلا مستيقنا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام وأنا كاره • وكان ابن الناطور صاحب « ابياء » وهرقل أسقف على نصارى الشام ، يحدث أن « هرقل » حين قدم « ابياء » أصبح خبيث النفس أى مهوما • فقال بعض بطارفته : قد استنكرنا هيئتك • قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه : انى رأيت الليلة حين نظرت

في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا :
ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شأنهم ، وكتب الى مدائن مدتك
فيقتلوا من فيهم من اليهود +

فيعينها هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر
عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا
مختتن هو أم لا ؟ فنظروا اليه ، فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب
فقال . هم يختتنون + فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر + ثم
كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل
الى حمص ، فلم يرم حمص — أى لم يبرح من مكانه — حتى أتاه
كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي ،
فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها
فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن
يثبت ملككم فتباعدوا لهذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش الى
الأبواب فوجدوها قد غلقت + فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من
الايمان ، قال : ردوهم على + وقال : انى قلت مقاتلى أنفا اختبر بها
شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك
آخر شأن هرقل « انتهى +

وأخرج أبو عبيد في كتاب الأموال من مرسل عمر بن اسحاق
قال : كتب رسول الله ﷺ الى كسرى وقيصر ، فأما كسرى فلما تراء
الكتاب مزقه ، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ، ثم رفعه ، فقال
رسول الله ﷺ : « أما هؤلاء فيزقون ، وأما هؤلاء فسنكون لهم بقية »
ويؤيده : ما روى أن النبي ﷺ لما جاءه جواب كسرى قال : « مزق
الله ملكه » ولما جاءه جواب هرقل قال : « ثبت الله ملكه » انتهى +

قال النصراني : « فلنرجع الآن الى ذكر الآيات الموجبة لكل من
أظهرها صحة ما يدعى من نبوة أو رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر
في ذلك نظرا شافيا +

فنقول : أما كتاب صاحبك الذى ادعى أنه منزل عليه من عند الله .
فليس فيه شيء من ذكر الآيات ، بل كما قلنا آنفا : زعم أنه أولا أنهم
كذبوا بآيات الأنبياء الأولين لاتاه الله الآيات ، ولكنه كره أن يؤتیه بشيء
متها فيكذبون به ولعمري هذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند
نوى العتل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمتنبون للكلام ، والباحثون
عن الأصول والأخبار . فهذا ما شهد به كتابك . نعم ان الأولين من
اليهود كذبوا بايات الأنبياء وردوها . وأما الأعراب فبايات من كذبوا ؟
وام يبعث فيهم نبى قط ولا وجه اليهم رسول لا بآية ولا بغير آية .
ولعله لو كن جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه .
ألم تر أن كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا
عنه أعجوبة ، ولكن أنت تعلم — حفظك الله — أن هذه حجة مبهرجة
تتلاشى عند المحك ، فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخبارا وقصصا
هى كخرافات العجائز .

منها زعمهم أنه كان من آياته العجيبة أنه وقف بين يديه ذئب
فعوى وبكى ، فالتفت الى أصحابه قائلا لهم : هذا واند السباع ، فان
أحببتم أن تفرضوا له شيئا لا يعدوه الى غيره ، وأن أحببتم تركتموه
وتحرزتم منه . قالوا : ما نطيب له شيء . فأوما اليه بأصابعه الثلاث
أن خالسههم ، فولى وهو غائل ، فهذا لعمرى آية عجيبة لم يسمع
السامعون بمثالها قط ، ولم ير الرائيون أعجب منها . تضل عندها عقول
الفلاسفة والحكماء ، وتتدهر منها العلماء وذوو الحيل والفظن الدقيقة
أنه عرف هراء الذئب ، وأنه واند السباع . فليت شعري لو كان قال
لهم : ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه ، من كان برد عليه قوله ؟
فواضح ان هذا الخبر يا أخى وضعه لاتوم لا مهنة لهم ولا منتقد
بما هت فيهم .

وعنها : زعمهم أيضا أن الذئب كلم أهبان بن أوس الأسلمي
فأسلم ، وار ادعى أن أهبان ذكر ان الأسد كلمه لكان عندى أعجب ،

على أنه ساوى بينه وبين نفسه فيهما ، بل فضله على نفسه ، إذ الذئب معه عوى ، فادعى هو معرفة ما قال في عوائئه أنه وأخذ السباع ، فأما أهبان فإنه زعم أن الذئب ناطقه بأسمان عربى بين •

والأعجب في ذلك : أن هاتين لم تجربيا الا بواسطة الذئب الذى يعرف بالخطف من السباع ، وهذا لقبه في كتب الله المازلة ، فمثلك أيدك الله لا يحيل عليه مثل هذا الكلام ، وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه •

وكذلك قصة ثور ذريخ وأدعاؤهم مخطبته ذريخا عند ضربه اياه وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفرا ونفاقا •

أما شاة أم معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلى ذلك من الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرعت اليه مقبلة مجيبة تهجد ، فهذا أمر نؤخره إذ فيه نظر •

مع أن أكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يتقبلونه بل يردونه ولا يصححونه ، وكذلك السم الذى سمت به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم اليهودى فى شاة مصلية أى مشوية فتلامته الذراع وأكل معه بشر بن البراء بن معرور فمات ، وأن السم الذى لم يزل يذنب فى بدنه كان سبب موته ، فليت شعرى هل هو سمع الكلاب من الذراع وحده أم سمعته الجماعة الذين كانوا يحضرته ؟ فإن كان سمعه هو وحده فلم لم يمنع ابن البراء من أكل طعام مسموم حتى لا يموت ، وابن البراء رجل من أصحابه قد اختصه بالأكل معه ، وكيف استحل ذلك واستحاز كتمان قول الذراع له أنها مسمومة ؟ وإن كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر ، فكيف لم يمتنع ابن البراء من الأكل وهو يسمع الذراع تقول : لا تأكل منى ، فإنى مسمومة ؟ وكيف امتنع هو من الأكل وترك ذلك الشقى يأكل من طعام مسموم فقطله ؟ وليس يخاف من أحد وجهين : أما أن يكون سمعه هو وحده وهم ذلك عنرا ،

واما أن تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع البراء من ذلك الأكل حيث سمع ولا يموت • وحيث مات ابن البراء من أكلاه السم • ولعله انما أكل ثقة منه بأنه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب العالمين مشفع عند ربه في جميع ما سألته لم لم يدع ربه فيجيب ؟ كعهدنا بالأنبياء المشفعين في احياء الموتى • فأن ايلياء النبي قد أحيأ ابن الأرملة بصرفة (ملوك أول ١٧) وهكذا أليشع تلميذ ايلياء قد أقام ابن الشوغية من الموت حيا (ملوك ثن ٣) وقد فعلت الأنبياء مثل هذا مرارا كثيرة وهم أحياء ، وفعلت أيضا القوة الحالة في عظامهم ، كفعل عظام أليشع النبي حيث وضع الميت عليها فعاش (ملوك ثن) •

وانت تعلم أن هذا خبر صحيح في كتب الله المنزل قرأته في سفر كتب الملوك مفسرا ، ليس فيه اختلاف بين النصارى أصلا ولا بين اليهود • وهما ملتان مختلفتان اجتماعا نحن وهم على صحة ذلك • وكيف لم يأكل هو منها أيضا ولم يصبه شيء ؟ فيكون ذلك آية له وشاهدا على صحة ما يدعى من النبوة ان كان نبيا كما تقول • لأن الأنبياء بأسرهم موفون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه من الآفات التي تحدث بالحفرة بها عليهم ، وعلى أولياء الله • كقول الرب المسيح لتلاميذه في أنجيله المقدس ووعده لهم بما وفي لهم به إذ يقول : « ان أنتم شربتم السم القاتل لم يضركم » يعنى اذا أردتم اظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتى كان ذلك جائزا مطلقا ، فقد كنوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه • فتظهر صحة دعواهم على التجربة ، فانقادت لهم الملوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء أصحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا إمرة ولا حكمة دنيوية ، ولا فصاحة بديعة الالفاظ ولا حذق بحجة ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة ، بل لما كانوا يرون من اثارهم الأفعال المعجبة التي يمتنع امكانها في عقول الأدمنين • فكأنوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فلاسفتهم ويزهدون في

علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وايتارهم ويتبعون اناسا فقراء
الظاهر صيادى سمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب ، غير انتمائهم
الى طاعة المسيح الذى اعطاهم السلطان والقدرة على أفعال تلك
العجائب • فهذه — أصلحك الله — دلائل النبوة وعلامات الرسالة
بوصحة الدعوة الى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له »
انتهى •

فأقول : قد بينا زيف كلامه هذا آنفا وتفسير الآية القرآنية أى
تأولها حسب هواه ونبهنا على أن المراد بالآيات الآيات المقترحة ، وأتينا
بعبارة من الانجيلهم مطابقة للآية التى أوردها المؤلف المشعرة بمراده
على زعمه ، فلا حاجة الى التكرار ، وقد انسلخ الليل من النهار ،
وقدمنا لك أيضا من معجزات النبی المصطفى ﷺ ما فيه كفاية لطالب
الحق ، ولا حاجة الى اعادة تفصيلها • غير أننا نذكر بعضا مما ورد فى
القرآن الكريم من الاخبار فى المغيبات ، وشيئا نثرا من المعجزات
والكرامات •

فمن ذلك : قوله جل وعز فى سورة الروم « غلبت الروم فى أدنى
الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل
ومن بعد • ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء • وهو
العزیز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعده • ولكن أكثر الناس لا
يعلمون • يسألون ظاهرا من الأھياة الدنيا • وهم عن الآخرة هم غافلون »

قال المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات : ان الفرس غزوا الروم
فوافوهم بأذرع وبصرى فغلبوا عليهم ، فبلغ ذلك النبی ﷺ
وأصحابه ، وهم اذ ذاك بمكة فشق ذاك عليهم ، وكان ﷺ يكره أن
يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح الكفار
بمكة وشتموا ، فلقوا أصحاب النبی ﷺ فقالوا انكم أهل كتاب
والنصارى أهل كتاب وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم
من أهل الكتاب ، وانكم ان قاتلتمونا لنظرون عليكم ، فأنزل الله تعالى

هذه الآيات التي فيها أن الروم ستغلب الفرس بعد بضع سنين ، فخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الكفار ، فقال أفرحتم بظهور الفرس ؟ فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ .

فقام اليه أبى بن خلف فقال : كذبت . فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أنت أكذب يا عدو الله أنا أراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك ، فان ظهرت الروم على فارس غرمت ، وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين . فراهنه . ثم جاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى النبي ﷺ فأخبره فقال عليه الصلاة والسلام : ما هكذا ذكرت ؟ انما البضع ما بين الثلاث الى التسع ، فزايده في الخطر وماده في الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال : لعلك ندمت قال لا فقال أزدادك في الخطر وأمدك في الأجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين . قال : قد فعلت ، فلما علم أبى أن أبا بكر يريد الهجرة طلب منه كفيلا بالخطر ان غلب ، فكفل به ابنه عبد الرحمن ، ولما كانت وقعة أحد ، وأراد أبى الخروج من مكة طالبه عبد الرحمن بالكفيل فأعطاه كفيلا ثم لما طعنه رسول الله ﷺ في أحد ومات في طريقته كما قدمناه في غزوة أحد ، وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة كما أخبر القرآن بذلك ، طلب أبو بكر رضى الله تعالى عنه النضر من ورثة أبى فأعطوه ذلك . وجاء به الى النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام وأخبره . فقال النبي ﷺ له « هذا السحت تصدق به » .

وقال ثقة المؤرخين : انه لما مضى من سلطنة « خسرو » أربعة عشر سنة غدر الروميون بملكهم وقتلوه مع ابنه بناطوس وهرب ابنه الآخر الى خسرو ، فجهز معه ثلاثة رؤساء أولى قدر رفيع مع عسكر عظيم ، فدخلوا بلاد الشام وفلسطين والبيت المقدس وأسروا من فيها من الأساقفة وغيرهم ، وأرسلوا الى « خسرو » والصليب الذي كان مدفونا عندهم في تابوت من ذهب . واذلك استولوا على الاسكندرية

وبلاد النوبة الى أن وصلوا الى نواحي « القسطنطينية » وأكثروا الخراب وجهدوا على طاعة الروميين لابن قيسر ، فلم تحصل •

قيل : ان الروميين جعلوا عليهم حاكما شخصا اسمه « هرقل » وكان سلطانا عادلا يخاف الله تعالى ، فلما رأى تخريب فارس قد شاع في بلاد الروم من النهب والقتل ، تضرع وبكى وسأل الله تعالى تخليص الروميين ، فصادف دعاءه هدف الاجابة ، فرأى في ليل متعددة في منامه : أنه قد جرى اليه بخسرو ، وفي عنقه سلسلة • وقيل لله : عجل بمحاربة بترويز ، لأنه يكون لك الظفر والنصرة ، فجمع هرقل عسكره بسبب تلك الرؤيا وتوجه من « قسطنطينية » الى « نصيبين » فسمع « خسرو » فجهز اثني عشر ألفا مع أمير من أمرائه ، فقاتلهم هرقل ، فكسرهم وقتل منهم تسعة آلاف مع رؤسائهم ، وربطوا خيولهم في « المدائن » وتصرمهم الله تعالى على فارس • وجاء الخبر ففرح المسلمون • وكان ذلك من الآيات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة ، وكون القرآن من عند الله عز وجل ، لما في ذلك من الاخبار عن الغيب الذي لا يعلمه الا الله العليم الخبير •

وقد صح أنه أسلم عند ذلك ناس كثير •
ونقل العلامة أبو حيان في البحر عن أبي الحكم بن برجان « أنه استخرج من قوله تعالى « لَمْ يَغْلِبِ الرُّومَ » الى قوله تعالى « سنين » افتتاح المسلمين بيت المقدس ، معيناً زمانه ويومه • وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلب عليه النصارى ، وأن « ابن برجان » مات قبل الوقت الذي عينه للفتح ، وأنه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه أبو الحكم من غير تقدم ولا تأخر ، وكان أبو جعفر يعتقد في أبي الحكم هذا أنه كان يتطلع على أشياء من المغيبات يستخرجها من كتاب الله تعالى » انتهى نقله الموالد •

ثم قال : « واستخراج بعض العارفين كمحيي الدين بن عربي

والعراقي وغيرهم المغيبات من القرآن العظيم أمر شهير ، وهو مبني على قواعد حسابية وأعمال حرفية ، غير أنه لم يرد شيء منها عن سلف الأمة • ولا حبر على فضل الله عز وجل ، وكتاب الله تعالى فوق ما يخطر للبشر •

قلت : ونحو هذا ما كان من فتح مصر القاهرة والاستيلاء عليها زمن السلطان المرحوم سليم خان تاسع ملوك بني عثمان — أيده الله تعالى ملكهم الى نهاية الزمان — فقد ذكر الوالد عليه الرحمة في كتابه شرح البرهان « أن السلطان سليم خان لما أراد الذهاب الى الحج وزيارة النبي ﷺ وكان سلطان مصر قانصوه الغوري ومنعه من الذهاب على طريق مصر ، وكان « الغوري » أيضا معاضدا للشاه اسماعيل الصفوي ، مع أنه محارب للسلطان سليم ، فاستخرج العلامة بن الكمال من قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » أن السلطان سليم يستولى على مصر سنة تسعمائة وعشرين • فقال السلطان : « ولقد » بالجمل الكبير مائة وأربعون • ولفظ « سليم » كذلك مائة وأربعون • ولفظ « ذكر » تسعمائة وعشرون • وهذه السنة كذلك ، وتطلق الأرض على مصر والعباد الصالحون سلطاننا وعساكره ، فكأنه تعالى قال : سليم « كتبنا في الزبور من بعد » سنة تسعمائة وعشرين أن مصر يملكها هو وجنوده • فسر السلطان بذلك ، وتحارب مع « الغوري » فهلك الغوري في المحاربة • واستولى السلطان على مصر ونواحيها • وأكرم ابن الكمال على ما أبدى من الكمال •

ومن المعجزات النبوية : معجزة الاسراء الى ايلياء التي حكاهما الله سبحانه في كتابه الكريم بقوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آيتنا » فقد أسرى به عليه الصلاة والسلام يقظة ليلا من مكة الى بيت المقدس ببدره الشريف ، وعاد في تلك الليلة ، وأخير أصحابه

بذلك صبيحتها وبصفة البيت المقدس ، وأنكر ذلك المشركون وأثبتته لهم بحيث لم يبق للجاحد منهم مجال — كما تقدم بيان ذلك مفصلاً — ثم عرج به الى السماء كما عرج بيعسى بن مريم العذراء وكيفية العروج مفصلة في سورة النجم من كتب التفسير وأمرها شهير ، فلذلك نقتصر فيها على هذا التحرير اليسير .

ومنها : أيضا انشقاق القمر قال الله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر ، » أى انفصل بعضه عن بعض ، وصار فرقتين . فقد ورد في الروايات الصحيحة بل المتواترة أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية . وقالوا : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبى قبيس ونصفاً على قينقاع . فقال لهم النبي ﷺ « ان فعلت تؤمنوا » ؟ قالوا نعم . وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر كما طلبوا ليلة أربع عشرة ، فتنزلت هذه الآيات وهذا أمر متواتر مجمع عليه . وقال كثير من العلماء : ان الانشقاق وقع مرتين . ثم انهم قالوا ما هذا الا سحر . والله در « البويصيرى » حيث يقول :

شق عن صدره ، وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء

قال الوالد عليه الرحمة في تفسيره : « أفكر الفلاسفة أصل الانشقاق بناء على زعمهم استحالة الخرق والالتئام على الأجرام العلوية . ودليلهم على ذلك أوهم من بيت العنكبوت . وقد خرق بأدنى نسمة من نسيمات أفطار أهل الحق العلويين . خرقاً لا يقبل الالتئام ، كما بين في موضعه . وقال بعض الملاحدة : لو وقع لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء ، والطباع حريصة على رواية الغريب بقل ما لم يعهد . ولا أغرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ، ولم يعهد أصلاً في الزمن القديم . ولو كان له أصل لخلد في كتب التنجيم ، ولذكره أهل الأرصاد ، فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير .

وإطباقتهم على تركه وإغفاله مع جلالته شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة • وأيضا : لا يعقل سبب لخرق هذا الجرم العظيم • وأيضا : خرقة يوجب صوتا هائلا أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه • وأيضا : متى خرق وصار قطعتين ذهبته منه قوة التجاذب ، كالجبل اذا انشق فلا يلزم بقاؤه منشقا ولا أقل أن يبقى كذلك سنين كثيرة •

والجواب عن ذلك : أنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ، ورؤية القمر في بلد لا تسنلزم رؤيته في جميع البلاد ، ضرورة اختلاف المطالع ، فقد يكون القمر طالعا على قوم غائبا عن آخرين ومكسوبا عند آخرين • والاعتناء بأمر الأرصاد لم يكن بمثابة اليوم ، وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد • والانشقاق لا تختلف به منازلهم ولا يتغير به مسيره • غاية ما في الباب : أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتخلق أختها الغربية ، وأي مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق سبحانه في ضوء الشمس ؟ فقد قال أهل الحكمة الجديدة : ان بين الأرض والشمس ثلثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ ، وأن ضوءها ليصل الى الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية ، فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ ، ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث ، بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها • كروية الكواكب قرارية مع بعدها المفرط • فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكفى في ذلك : عدم وقوعهم على سبب الابصار بالعين على الحقيقة • ولو أخبرهم مخبر بفرض أن لم يكن لهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة ، معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الإنكار وكذبوه غاية التكذيب ، ونسبوه الى الجنون •

ومن سلم تأثير النفوس الى حد أن يصرع الشخص بمجرد النظر اليه وتوجيه نفسه نحوه ، لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك •

وقد صح في إصابة العين : أن بعض الأعراب ممن له عين صائبة ، يفاق سنام الناقة فلقطين • وربما تصور له من رمل فينظر اليه ويفلقه فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها • وهذا كله من باب المماشاة ، والا فارادة الله تعالى كافية في الانشقاق • وكذا في كل المعجزات وخوارق العادات • ولو كان لكل حادث سبب ، لزم التسلسل • وقد قامت الأدلة على بطلانه • وكون الخرق يوجب صوتا هائلا ممنوع فيما نحن فيه • ومثله ذهاب التجاذب • والأجسام مختلفة من حيث الخواص • فلا يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها • ويمكن أن يكون احدى القطعتين كالجبل العظيم بالنسبة الى الأرض اذا ارتفع عنها بقاس ، مثلا جذبته اليه اذا لم يخرج عن حد جذبها — على ما زعموه — ويلتزم في تلك القطعة عدم الخروج عن التجذب • على أننا في غنى عن كل ذلك أيضا بعد اثبات الامكان وشمول قدرته عز وجل ، وأنه سبحانه فعال لما يريد • والحاصل : أنه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة الذاتية ولو انشق • والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم » انتهى •

أقول : والعجب من استبعاد المنصاري ذلك ، وانكارهم أيضا مسألة عروجه عليه السلام بعد ادعائهم واقرارهم أن عيسى عليه السلام صعد بناسوته ولاهوته الى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وأنه نزل على الحواريين بعد رفعه بناسوته وأراهم تأثير المسامير في يديه ، ثم عرج أيضا • ودعوى بولس عروجه الى السماء الثالثة كما في رسالته ، ويترذون أن الشمس ردت ليوشع عليه السلام فكيف يعدون عروج المصطفى ﷺ وانشقاق القمر محالا ولا يعدون ما ادعوه من المحالات ؟ ولا قولهم : ان الله سبحانه هو عيسى ، وعيسى هو الله • فهما شيء واحد ولا اثنينية في البين • ثم يزعمون أنهم في كل يوم يأكلون في العشاء الرباني حقيقة الالهين • وأين هذا عن مسألة انشقاق الثمر وصيرورته قطينين ؟ فالبعد بينهما كما بين المشرقين والمغربين • والله سبحانه ولي التوفيق •

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي قدمنا تفصيل بعضها وأثبتناه بمثل ما ثبت به معجزات أخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام: تسبيح الحصى في كفه الشريفه ، وإثيان الشجر اليه ، وحنين الجذع عليه . ومثل تكثير الشراب والطعام مرات كثيرة كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام ، وهو لم ينقص . وروى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ، ولم ينقص ، ولما هموا بنحر الظهور جمع الأزواد ، ودعا الله تعالى فما بقى في القوم الا من ملأ وعاءه وماء أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ، ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفاً ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه كما كان في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة . وردة تعين قتادة لما سالت على خذه فرجعت أحسن عينيه ، ولما انكسرت رجل محمد بن مسلمة مسحها بيده الكريمة ، فبرأت . وأطعم من سواد بطن شاة مائة وثلاثين رجلاً كل منهم حز له قطعة فأكلوا جميعهم ، ثم فضل فضلة . ودين عبد الله الذي لليهودى وهو ثلاثون وسقاً فسأل ابنه جابر صاحب الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذى له ، فأبى فأمره النبي ﷺ بجذبه فحذبه وجعله يبادر فجاءه النبي ﷺ ومشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة ، وكان الغرماء يهودا فنعجبوا من ذلك غاية العجب . ومثل هذه المعجزات شىء كثير قد جمعت ألف معجزة بصحيح النقول المعتبرة التي لا مرية فيها ولا اثنقابه ولا تحريف ولا تبديل .

ومن جملة معجزاته : ما وثق لصلحاء أمته من الكرامات الخارقة للعادة ، وذلك شىء كثير لا يمكن حصره ولا انكاره ولا سيما فهي واقعة في كل عصر من الأعصار في زمن حياته عليه الصلاة والسلام الى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم طبقة بعد طبقة وعصر بعد عصر ، وقبلما خلت بلد من بلاد المسلمين من صالح يكرمه الله تعالى بأن يجرى على يده خارق العادة فيكون عند الحقيقة هذا الخارق أيضا معجزة إنبينا عليه الصلاة والسلام لأنه صدر من أحد صلحاء أمته :

مثلاً كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، وهى الملائكة تنزل تسمع لقراءته ، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن الحصين • وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضى الله تعالى عنهما يأكلان فى صحفة ، فسبحت الصحفة وسبح ما فيها • وعباد بن بشير وأسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما خرجا من عند رسول الله ﷺ فى ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف السوط ، فلما افترقا افترق الضوء معهما • رواه الامام البخارى وغيره • وقصة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى الصحيحين لما ذهب معه ثلاثة أضياف الى بابه وجعل لا يأكل لقمة الا ربى من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هى قبل ذلك ، فنظر اليها أبو بكر وامرأته فاذا أهى أكثر مما كانت فرفعها الى رسول الله ﷺ فجاء اليه أقوام كثيرون فأكلوا منها • وخبيب بن عدى رضى الله تعالى عنه كان أسيراً عند المشركين محبوساً بمكة وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة واحد • وعامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنه التمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما استشهد رفع فرأه عامر بن الطقيلى وقد رفع ، قال عروة رضى الله تعالى عنه : فيرون أن الملائكة دفنته احتراماً له • وخرجت أم أيمن رضى الله عنهما مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت عطشاً ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حساً على رأسها فنظرته فاذا دلو برشا أبيض معلق ، فشربت منه حتى رويت وما عطشت ببقية عمرها • وهذا أمر مشهور فيما بين أهل عصرنا • وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد لما صادفه فى طريقه أنه مولى رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله الى مقصده والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله أبر قسمه • وكانت الحرب اذا اشتدت على المسلمين فى الجهاد يقولون : يا براء أقسم على ربك • فيقول : يارب أقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم ، وجعلتني أول شهيد • فممنحوا اكتافهم وقتل البراء شهيداً ، ونصروا على الكفار ونخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما حاصر حصناً لكثار أخذ السم بحضورهم والعسكر ينظره ، فشربه كله فلم يضره ، فسلموا •

وسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه كان مستجاب الدعوة ما دعا
قط الا استجيب له ، وهو الذى هزم جنود كسرى وفتح العراق •
وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل جيشا الى « نهاوند »
وأمر عليه رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر رضى الله تعالى عنه يخطب
على المنبر فى المدينة والناس يستمعون جعل يصيح : يا سارية الجبل
يا سارية الجبل ، فتعجب الحاضرون من ذلك • ثم ان رسول الجيش
تقدم بعد أيام فسأله عن الجيش وما عمل ، فقال : يا أمير المؤمنين لقينا
عدونا فهزمونا فاذا بصائح يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فأسندنا
ظهورنا بالجبل فهزمهم الله تعالى واقتصرنا عليهم • ولما عذبت الزبيرة فى
الله على الاسلام وذهب بصرها • قال المشركون : ما أصاب بصرها
الا اللات والعزى • قالت : كلا والله • فرد الله تعالى عليها بصرها •
ودعا سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه على أروى لما كذبت عليه ،
فقال اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها • فعميت
ووقعت فى حفرة من أرضها ، فماتت • والعلاء بن الحضرمى رضى الله
تعالى عنه كان عامل النبی ﷺ على البحرين — وكان يقول فى دعائه : يا
حليم يا حليم يا على يا عظيم ، فيستجاب له — دعا الله تعالى بأن
يسقوا لما عدم الماء ولا يبقى بعدهم فتروضا ودعا فأجيب ، ودعا
الله اتعالى لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور ، فمروا كلهم
هو والعسكر بخيولهم على الماء وما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله
تعالى أن لا يروا جسده اذا مات فلم يجدوه فى اللحد •

وجرى مثل ذلك لأبى مسلم الخولانى الذى اتقى فى النار فأنه
مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهى ترمى بالنزبد من
مدها • فالتفت الى أصحابه فقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا حتى
أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة • فقال : اتبعنى
فاتبعه فوجدوها قد علقت بشيء فأخذها • وطلبه الأسود العنسى لما
ادعى النبوة • فقال له : أنتشهد أنى رسول الله • فقال : ما أسمع •
فقال : أنتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم فأمر بنار فألقى فيها

فوجدوه قائماً يصلى ، وقد صارت عليه بردا وسلاما • وقدم المدينة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فأجلسه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أراى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بآبراهيم خليل الله • ووضعت له جارية السم فى طعامه فأكله فلم يضره • وحبثت عليه امرأة فدعا عليها فعميت ، فجاءت وتابت ، فدعا الله تعالى فرد عليها بصرها • وكان عامر ابن قيس رضى الله تعالى عنه يأخذ عطاءه ألفى درهم فى مكة ، وما يلقاه سائل فى طريقه الا أعطاه بغير عدد ، ثم يجىء الى بيته فلم يتغير عددها ولا وزنها •

ومر بـثاقلة وقد حبسهم الأسد فجاءه حتى مس بثيابه فم الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه ، وقال : انما أتت كلب من كلاب الرحمن ، وأنا أستحي من الله عز وجل أن أخاف شيئا غيره • ومرت القافلة • ونعيب الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه عن الحجاج فدخلوا عليه البيت مرات وهو فيه فدعا الله تعالى فلم يروه • ودعا على بعض الخوارج وكان يؤذيه فخر ميتا فى حينه • وصلة بن أشيم رضى الله تعالى عنه مات فرسه وهو فى الغزو فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق على منة ودعا الله تعالى فأحياه له ، فلما وصل الى بيته قال يا بنى خذ سرج الفرس ، فإنه عارية فلما أخذ سرجه مات وجاء مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خنقه دوحلة رطب فى ثوب حرير ، فأكل وبقي الثوب عند زوجته زمانا • • وجاء الأسد وهو يصلى فى غيضة بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع • فولى الأسد وله زئير • وكان سعيد بن المسيب فى أيام انحره سمع الأذان من قبر النبي ﷺ أوقات الصلاة • وكان المسجد قد خلا فلم يبق فيه غيره • وعبد الله النخعى كان له حمار فمات فى الطريق ، فقال أصحابه : نتوزع متاعك ؟ فقال : امهلوا هنيهة • ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا له حماره فحمل عليه متانه ، وكان عمرو بن عتبة يحميه السبع ، وهو يرعى

ركاب أصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير هو وصاحب له يسيران ، فأضاء لهما طرف السوط ، وكان إبراهيم التيمي يتيم الشمر والشهريين لا يأكل شيئاً ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يجد ، فمر بسهولة حمراء فأخذ منها وحماله في وعائه ورجع الى أهله ففتحه ، فإذا هو حفظة حمراء ، فزرعوا منها فخرج سنبلها من أصلها الى فرعها حبا متراكبا .

قال شيخ الاسلام تقى الدين في كتابه « الفترتان » بعد نفثه لما تقدم : « وهذا باب واسع ، وأما ما نعرفه في هذا الزمان من نحو هذا فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف : أن الكرامات قد تكون بحسب حاجات الرجل ، فإذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوى ايمانه ، ويسد حاجته . ويكون من هو أكمل ولاية لله تعالى مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناؤه عنها لا لنقص ولايته . وهذا كانت الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من تجرى على يديه الخوارق لهداية الخلق أو لحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة ، وهذا يخالف الأحوال الشيطانية ، إذ بين كرامات الأولياء وما شبهاها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة .

منها : أن كرامات أولياء الله تعالى سببها الايمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ » انتهى . وقد أطال وأطاب كعادته ، ومن أرادته فليرجع إليه .

وأما قوله « فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخباراً وقصصاً تخبرنا عن المعجزات ، منها زعمهم أنه كُنَّ من آياته المعجزة أنه وقف بين يديه ذئب شعوى » الى آخره فاقول : ان العجب من تمويهات هذا النصراني وخياناته في التقل من تدليس في الأقوال وترك للحسن من الحديث المصحح في كتب المسامحين من الأخبار والاستشهاد بالضعيف الغريب منها . والتعافل عن الكثير المتواتر والتمنعير عن الخبر

أنشاذ النادر ، وانتقير برواية المتروك من الأصاغر فخير الذئب مروى بروايات عديدة وطرق مشيدة ، وهو قد روى أحدها الذى لم يذكر فى أغلب الكتب المؤلفة فى أحواله عليه الصلاة والسلام ونحن نذكر ما ذكره صاحب الشفا وشرحه ان شاء الله تعالى :

قال العلامة القاضى عياض فى شفاؤه ، والخفاجى فى شرحه : « ومن ذاك قصة كلام الذئب المشهورة • وقد وقعت مرارا عديدة على ألسنة مختلفة ، والتي رواها الامام أحمد بن حنبل والبزار والبيهقى وصححها عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بينا راع واسمه أهبان • وقيل رافع يرعى غنما له ، عرض الذئب لثابة منها فأخذها الراعى منه فألقى الذئب وقال للراعى الا تتقى الله حلت بينى وبين رزقى قال الراعى اتعجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك : ؟ رسول الله بين الحرثين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فأتى الراعى النبى ﷺ فأخبره وأخبر أصحابه وأسلم وقال :

من الضبع الخفى وكل ذئب
يشرنى بأحمد من قريب
من الساقين قاصدة الركب
صدوقا ليس بالقول الكذب
تبينت الشريعة لأمانيب
أماى ان سمعت وعن جنوبى
وأخوتهم جذبة ان أجيبى
فانك ان أجبت فلن تخيبى

رعبت الضان أحبيها زمان
فلما ان سمعت الذئب نادى
سمعت إليه قد شمرت ثرى
فألفيت النبى يقول قولا
فصيرنى لدين الحق حتى
وأبصرت الضياء يضى حولى
الا أبلغ بنى عمرو بن عوف
دعاء المصطفى لا شك فيه

وروى حديث الذئب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا وفى بعض طرق عنه فقال انذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا ام يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا ، قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه الا هذا الشعب ، فتصير فى جنود الله تعالى •

قال الراعى : من لى بغنمى ؟ قال الذئب : أنا أرهاها حتى ترجع .
فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى . وذكر قصته واسلامه ووجوده النبى
ﷺ بفائل فقال له النبى ﷺ : عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدوها
كذلك : وذبح للذئب شاة منها . وروى أيضا عن سلمة بن عمرو بن
الأثوخ وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وكانت سبب اسلامه .

وقد روى عن ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبى سفيان بن حرب
وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظييا فدخل اتظبى الحرم ،
فأبصر الذئب عنه احتراما للحرم الممنوع صيده ، فانصرف الذئب ،
فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعون الى النار ؟ فقال أبو سفيان : والمئات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركها خلوا — بضم الخاء المعجمة
واللام — أى خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ويرتدون له عليه
الصلاة والسلام . وقد روى مثل هذا أن خبر زأنه جرى لأبى جهل
وأصحابه فقد شاهدوا مثله وتعجبوا منه ، ولكن الله تعالى أثسقام
وأثسقامهم ، مثل فرعون وقومه رأوا معجزات موسى ولم يؤمنوا .
والله رأوا كثيرا من معجزات عيسى ولم يؤمنوا » انتهى .

فهذه الروايات التى فى كلام الذئب لم يقع فيها شيء من كلامه
عليه الصلاة والسلام معها ، ولم تكن تكلمت بحضوره لكنهم ذكروها
فى بيان معجزاته لأنها أقرت بنبوته ﷺ وهذه الرواية التى ذكرها
الاصرائى لم يذكرها فى الشفاء مع أنه مخصوص ، لبيان أحوال المصطفى
ﷺ ولا شراحه ولا غيرهم من المؤلفين فى هذا الشأن ، ولو كانت هذه
الرواية معتبرة لذكرها ولذكروها فعدم ذكرهم لها دليل واضح على
عدم الاعتداد بها . نعم ذكرها العماد بن كثير فى تاريخه ، واقتدى
به السطائى فى كتاب المواهب من غير سند معتبر ولا تصحيح عند
أهل الأثر بقوله : « روى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى هريرة
قال جاء الذئب فأقعى بين يدي النبى ﷺ وجعل يبصص بذنبه فقال
عليه الصلاة والسلام هذا وانغ الذئب جاء يسألكم ان تجعلوا له من

أموالهم شيئا قالوا : والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به ، فادبر الذئب وله عواء ، فقال ﷺ : الذئب وما الذئب . انتهى *
وأما العلامة عماد الدين ابن كثير فذكر له طرقا كلها واهية مطعون في أسانيدها ، لأنه رآه عن سعيد بن منصور عن حيان بن علي عن عبد الملك بن عمير عن أبي الأوس الحارثي عن أبي هريرة ، فسعيد وإن كان ثقة لكنه كان إذا رأى في كتابه خطأ لم يرجع عنه كما قال الحافظ الذهبي في الميزان . وعبد الملك بن عمير وإن كان من أوعية العلم إلا أنه قال الحافظ الذهبي في الميزان : طال عمره وساء حفظه . وقال الامام أحمد بن حنبل : ضعيف يغلط . وقال ابن معين : مخاط . وكان شعبة لا يرضاه ، ورواه الحاكم بسند متصل برجل لم يسمه ، فقال عن رجل عن أبي هريرة ، ورواه عن محمد بن اسحاق أيضا ، وحال محمد مضطرب عند المحدثين ، فمنهم معدلون له ومنهم طاعنون فيه إلا إذا وافقه غيره من الثقة في الرواية ، فتكون مقبولة ، ورواه الواقدي عن رجل سماه عن المطلب بن عبد الله ، فحال الواقدي مضطرب وروايته إذا لم يوافقه غيره من الثقة غير منظورة بنظر الصحيح ، لا سيما ولم يعرف اسم ذلك الرجل ورواه أبو نعيم بألفاظ آخر وزيد اذياب عن سليمان بن أحمد عن معاذ بن عيسى عن محمد بن كثير عن سفيان عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن رجل من مزينة أو حميسة ، فمسليمان كما قال الذهبي كذبه يحيى ، وضعفه أنسائي ، ومحمد بن كثير وضعفه ابن معين ، ولا سيما فلم يسم الرجل كونه من مزينة أو حميسة ، فتبين أن حديث مجيء الذئب أو الذئب إلى النبي ﷺ حديث مضطرب الأسانيد واهي الطرق معلول الرجال ، ويكفي في هذا الباب الأحاديث الصحيحة الثابتة عند النقاد في بيان معجزاته عليه الصلاة والسلام التي ذكرنا كثيرا منها في هذا الكتاب ، على أن هذه الرواية لو صحت فأى بأس فيها ؟ وأى ثمة يعترئها ؟ وأى غبار يكدر صافيتها ؟ فمعجزات الأنبياء عليهم السلام ولا سيما معجزات نبينا خير الأنهم ﷺ جاءت على أنحاء شتى وأقسام كما لا يخفى على

من له في العلم الأدنى الماسم •

هذا ولنزيدك فوائد في رد ما اعترض به « عبد المسيح » من كتاب
أظهار الحق فقد قال بعد كلام طويل ما نصه : « لكن الانصاف أن عادة
المنكرين أنهم يغمضون عين الانصاف ويحكمون على كل شيء يرى
مستبعدا في آرائهم أنه محال ، وتعلم علماء البروتستانت هذه العادة
من أبناء صنفهم الذين يسمونهم الملاحدة • لكن العجب من هؤلاء العلماء
أنهم لا يرون أن كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة كما نقلنا لك غير مرة
شيئا كثيرا منها » •

ومن المواضع التي تستهزئ عنيها الملاحدة : ما في الأصحاح الثاني
والعشرين من سفر العدد ما لفظه : « ففتح الرب فم الأتانة وقالت
لبلعام : ما الذي فعلت بك ؟ هذه ثلاث مرات قد ضربتني فقال بلعام
للأتان : لأنك استأهلت ذلك مني » فقالت الأتانة لبلعام : لست أنا
أتانك التي تركب منذ كنت غلاما إلى يومك هذا ؟ فهل فعلت بك مثل
هذا ؟ فقال : لا » •

قال هورن في الصفحة ٦٣٦ من المجلد الثاني من تفسيره : « ان
الكفار يستهزئون على تكلم أتان بلعام » انتهى •

ووقع في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول أن الغربان
كانت تجلب اللحم والخبز لآلياء الرسول إلى مدة ، وهذا الأمر مضحكة
عند أبناء صنفهم » انتهى باختصار • قلت : ولا يكن كلام الذئب ونحوه
من كلام الأتان كما لا يخفى على انسان فليفهم •

**تتمة لبحثنا هذا اعلم أن الاسناد للأحاديث والأخبار وعنونة
الروايات وتقدير أحوال الراوين وبيان تاريخ ميلادهم وأعمارهم ووفياتهم
وأوطانهم وتنقلاتهم في حلهم وارتحالهم وسيرهم وعن أخذوا ، ومن
أخذ عنهم ومذاهبهم وتقواهم وتراجمهم وأنسابهم ، كل ذلك خاص
بالمسلمين ولم يشاركهم من الأمم في ذلك أحد - الله الحمد ، ولذا لا ترى**

(م ٤٢ الجواب الفسح)

لأحد من أهل المال والنحل شيئاً من الاسناد في احكامهم فاختلقت واضطربت وزادت ونقصت وحرفت وغيرت وبدلت وقطعت وما تراها وصلت ، وتزى المسلمين اذا قال أحد منهم قولاً عن نبينا ﷺ أو عن صحابته أو عن مجتهدى علماء أمته لا ، يقبل ذلك من ناقله الا باسناد صحيح متصل ، وقالوا : لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء • وقد ألفوا لأجل ذلك كتباً كثيرة واستتبطوا له قواعد غزيرة وأصولاً وفيرة • كل ذلك حرصاً على بقاء دينهم ودوام صافى شريعتهم لئلا يدخل فيها شيء من كلام الكذابين ، ويختلط بعذبتها آجن الدجالين ، فبينوا العدل المقبول من الراوين ، ونهبوا على الردودين والمطعونين وبينوا الأثر المعلوم المنقطع والموصول •

ومن فوائد ذلك : ما ذكرناه من حال رواية هذا الحديث ، ففتبين من تتبع كتبهم عدم مقبوليته ، واتضح من حال تراجم الرجال رد صحته ، فلا يعول على تصحيحه ، ولا يعرج على ترجيحه • • وأنا غنى عن المعلوم بغيره من الصحاح ، ولا يستضاء بالمصباح عند ضوء الشمس في الصباح ، والله سبحانه الهادى الى الصواب ، والمنطق للجماد ، وهو أعظم من الذئاب •

قوله : « وكذلك قصة ثور دريخ وادعئهم مخاطبته دريخاً عند ضربه آياه وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » انتهى فاقول : ان هذه المعجزة كما قدمناها لك فى تعداد الآيات والمعجزات مما نقله العلامة الماوردى فى كتابه دلائل النبوة ، عن بردة عن مكحول قال : بينا أهل « دريخ » من العرب — عرب اليمن — فى مجلسهم اذ أقبل عجل فتبسم ، وقال : « أهل دريخ أمر نجيح ببطن مكة يصيح بلسان فصيح شهادة أن لا إله الا الله فأجيبوه » فلو سلمنا أن فى هذه الرواية ضعفاً فأى مثلبة فيها بالنسبة الى سيد المرسلين ﷺ لأنه ام يكن بحضرة النبى • ولو قلنا : انها قوية فأى بأس فيها ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التى تحدى بها كثيرة جداً ؟ وهذه لم يتحد بها

ولا ادعاهما ولم تكن بحضرته الشريفة ، ونحن والحمد لله تعالى في غنى
عن هذه المعجزة •

• ون ركب البحر استقل السواقي •

• وفي طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل •

قوله : « وأما شاة أم معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلي ذلك من
الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرعت اليه مقبلة » إلى آخره

فأقول : عد المحدثون هذه في نوع بركته ﷺ وأم معبد بفتح
الميم والموحدة وقصتها مشهورة وهي على ما في شروح كتاب الشفاء
وغيرها ما رواه ابن سعد والطبراني عن أبي معبد الخزاعي أنه ﷺ
لما هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط ،
وهذا كان على دين كفار قريش ، فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت
خالد الخزاعية وكان القوم مرملين مستئين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوه ،
فأرأوا عندها شاة خنفتها النجهد ، أي الهزال عن الغنم فسألها هل بها
من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك • فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟
قالت : نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت
ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط — أي يشبع الجماعة — فحلب
فيه ثجا وسقى القوم حتى رويوا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم
تركه عندها وارتحلوا ، فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعزرا عجافا هزلا
هرأى اللبن ، فتعجب ، فقال : أنى لك هذا • والشاة عازب ولا حلب
بالبيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك ففعل هذا • فقال :
صفيه يا أم معبد • فوصفته •

وفي حديث آخر : أن آل أبي معبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم
ويسمونونه يوم الرجل المبارك ، ثم انها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ،
ومعها ابن لها صغير قد بلغ السعى ، فمر في المدينة على مسجد رسول
الله ﷺ وهو يكلم الناس على المنبر ، فانطلق الى أمه يشهد فقال لها :
أنى رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بنى ويحك هو رسول الله ﷺ

وأسلم زوجها أبو معبد ، وله رواية عن رسول الله ﷺ وتوفى في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

وفي الخبر عن هشام بن حبيب الكعبي قال : أنا رأيت تلك الشاة وانها لتأثم أم معبد وجميع أهل ذلك الماء أى استمرت تلك البركة في الشاة ولم تعد الى حالها « انتهى .

والنعم : أن لهذه القصة التصحيح والمعجزة الصريحة نظائر عديدة ذكرها في كتاب الشفا فمنها شاة أنس وقصتها كقصه شاة أم معبد ومنها غنم حليلة مرضعته ، فانها لما حملته وهو عليه الصلاة والسلام صغير ، في سنة كان فيها قحط أصاب أرض غومها وقل النبات فيها . فكانت غنمها تأتي من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتي عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها ، وما ذاك الا ببركة ﷺ ويمن قدمه . وكذلك ناقته المسنة لم يكن في ضرعها قطرة لبن ، فلما أخذت النبي ﷺ لترضعه قام زوجها فوجد ناقتهم حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة ، فقال لحليمة : أنه نسمة مباركة فقالت : انى والله أرجو بركته . والله در البويصيرى حيث قال :

أصبحت شولا عجافا ، وامست
أخصب العيش عندها بعد محل
ما بها شائل ولا عجفاء
اذ غدا للنبي منها غذاء

ومنها شاة عبد الله بن مسعود لما أتاه بشاة لم ينز عليها الفحل أبدا فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله تعالى وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها . فقال لأبى بكر اشرب ، ثم قال للضرع اقلص ، فعاد كما كان . وكان هذا سبب اسلامه . ومنها غير ذلك مما هو مذكور في الكتب المؤلفة العديدة الجليلة . وفي هذا الشأن اكتفاء بالطل عن الموايل الهتان ، خشية التطويل على اخوان هذا الزمان . والله سبحانه أعلم .

وأما قوله « كدء الشجرة فأسرعت مقبلة » فنقول : نعم هذا أيضا صحيح ومتعدد ، ففي افراد مسلم كما نقله العماد بن كثير

من حديث حاتم بن اسماعيل عن أبي حرزة يعقوب بن مجاهد عن عبادة ابن الوليد عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيع فذهب رسول الله ﷺ يتخى حاجته فاتبعته بأدواء من ماء فنظر فلم ير شيئا يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادى فانطلق الى أحدهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادى بأذن الله تعالى فانقادت منه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها • وقال : انقادى على بأذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده كذلك ، حتى إذا كان فى المنتصف فيما بينهما — يعنى جمعهما — قال النثما بأذن الله تعالى فالتأمتا • قال جابر فخرجت أحفز مخافة أن يحبس بقربى فيبتعد فجالست أحدث نفسى ، فحانت منى لفئة فاذا أنا برسول الله ﷺ مقبل ، وإذا الشجرتان قد افتترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق •

وقد ورد انقياد الشجر فى أحاديث كثيرة مرات عديدة • وروى البيهقى من طريق محمد بن أبى عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل من بنى عامر الى رسول الله ﷺ فقال : إن عندى طبا وعلما فما تشتكى ؟ هل يريبك من نفسك شيء الى ما تدعو ؟ قال : أدعو الى الله والاسلام • قال فانك تقول قولاً فهل من آية ؟ قال : نعم ان شئت أريتك آية • وبين يديه شجرة ، فقال لغصن منها : تعال يا غصن فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل ينقر حتى قام بين يديه • فقال : ارجع الى مكانك فرجع • وفى رواية : فرجع العامرى وهو يقول يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذب به بشيء يقوله أبدا • وفى رواية أنه قال : ما رأييت كالسيوم رجلا أسحر من هذا • وفى رواية : فقال انك رسول الله وآمن • قال ابن كثير : ولعله قال أولا أنه سحر ثم تبصر لنفسه وآمن لما هداه الله عز وجل • وأحاديث انقياد الشجر لله عليه الصلاة والسلام كثيرة متعددة الطرق • والله در البويصيرى حيث يقول :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
كانها سطرت سطوراً لما كتبت
تمشى اليه على ساق بلا قدم
فروعها من بديع الخط فى اللقم

إذا علمت هذا وأحطت خبرا بدلائل نبوته ومسلم معجزاته ومعجزات اخوانه النبيين من موسى وعيسى وغيرهما عليهم الصلاة والسلام التي تقدم لك منها جملة وافية ، تبين لك : أن كلام هذا النصراني في رد هذه المعجزات سراب يحسبه الظمان ماء ، وأن قبول معجزات سائر النبيين دون معجزات نبينا المصطفى ﷺ وآله وصحبه أجمعين مكابرة صرفة وترجيح بلا مرجح ، واتباع هوى وجدال بالباطل ، وهذا مثل انكار اليهود معجزات سيدنا عيسى عليه السلام . فما كان جوابا من النصراني لليهود عنها فهو جواب لنا عما ينازعونا فيه ، كما لا يخفى والله سبحانه الموفق .

قوله « لأن الأنبياء بأسرهم موقوفون معصومون بالوقاية الحاة عليهم من الله جل ثناؤه » الخ بالله العجب من كلام هذا النصراني حيث أثبت لجميع الأنبياء قاطبة العصمة من القتل ، ومن تسلط الكفار عليهم ، ونسى قتل المسيح الاله بزعمه واهانتته وصلبه ونسى ما قاله المسيح في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى بما لفظه : « وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لم نشارككم في دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم بنو قاتلي الأنبياء ، وأنتم أكلوا مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ من أجل هذا هاأنذا أرسن اليم أنبياء وحكماء وكتبة فتقتلون منهم وتصلبون منهم وتجلدون في مجامعكم وتطردونهم من مدينة الى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح » انتهى فيقال لهذا النصراني : كيف قالت ان الأنبياء معصومون من ذلك ؟ وهذه أناجيلكم تصرح بقتلهم ، ثم ان عيسى عليه السلام على زعمك أنه هو الاله وأنه هو يقول لليهود انكم أولاد قاتلي الأنبياء ، وأنتم أيضا ستقتلون رسلى . وقال مفسروكم أى سوف تقتلون تلاميذه الذين يرسلهم المسيح بعد موته اليهم ، فيقتلون منهم كثيرين كاستفانوس واليهقوبيين وغيرهم وتصلبون منهم كما صنعوا بسمعان أسقف اورشليم خليفة مار يعقوب ، وتجلدون منهم

كما صنعوا ببطرس واليسل وتطردوهم من مدينة الى مدينة كما صنعوا
بشاول وبرنابا . قال مفسرهم الخورى يوسف : « وكان المسيح يرى
منذ ذلك الوقت أنهم يقتلونهم اذا أرسلهم بعد موته » فيقال لهذا
النصرانى : فعلى ما زعمت فى أمر أكل التجم المسموم الذى قدم لنبينا
عليه الصلاة والسلام وأصحابه فمات بعضهم ولم يدع الله تعالى فى
أحيائه كان ينبغى أن لا تقتل تلك الأنبياء وأن يحييهم المسيح بعد موتهم ،
لأنه هو الذى كان أرسلهم قتل أن تلده مريم ، وكان ينبغى أيضا أن
لا يرسل بعد موته رسلا ويعرضهم للقتل والصلب ، وهو من حين قوله
ذلك يعلم أنه اذا أرسلهم بعد موته الى اليهود ، أنهم سيقتلونهم
ويصلبونهم فلم لم يخلصهم أيضا ؟ واذا لم يكن قادرا على خلاصهم
لم يرسلهم فيقتلون ؟ مع علمه الآن أنهم سوف يقتلون . وكيف يقول
لهم فى انجيله كما نقلته أنت عنه « ان أنتم شربتم السم القاتل لم
يضركم ؟ » وهل هذا الا تناقض منكم ؟ وهل بعد قتل رسل المسيح
وصلبهم وطردوهم نقيصة على موت أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام ؟
بل ندعى اختصاص الغيب بالله سبحانه . وقد يطلع جل وعز ملائكته
ورسله على الغيب . وكون الشاة مسمومة من المغيات فالله سبحانه
أنطقها له عندما أكل منها بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم . وقد
تبين صدقه عليه الصلاة والسلام فى تكليمها له بأنها مسمومة بموت
بشر ، والله سبحانه يفعل ما يشاء بعباده وسائر الأنبياء .

على أننا نذكركم مسألة سم الشاة مفصلة من كتبنا . قال القاضى
عياض عليه الرحمة فى الشفاء : قد خرج حديث الشاة المسمومة أهل
الصحيح ، وخرجه الأئمة . . وهو حديث مشهور ، رواه أبو هريرة
وأنس وجابر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم ، فروى أبو هريرة أن
يهودية أهدت للنبي ﷺ بخير شاة مصلية ، سمها ، فأكل رسول الله
ﷺ منها وأكل القوم فقال : ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى أنها مسمومة ،
فمات بشر بن البراء . وفى رواية الحسن أن فخذها كلمنى أنها مسمومة ،
وقال لليهودية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : ان كنت نبيا لم يضرك

ما صنعت ، وان كنت ملكا أرحت الناس منك • قال فأمر بها فقتلت •
وقد روى هذا الحديث أنس وقيس قالت : أردت قتلك • فقال عليه الصلاة
والسلام : ما كان الله يسلطك على ذلك • فقالوا ألا نقتلها فقال : لا وفي
رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها • قال ابن
سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التي سمته •

وأما قوله « وان السم الذي لم يزل يدب في بدنه كان سبب موته »
فنقول : نعم ان هذا من أعظم الشواهد على نبوته عليه الصلاة والسلام
والحديث في ذلك رواه في المواهب عن الامام البخاري تعليقا عن عائشة
رضي الله تعالى عنها أنه ﷺ قال : « ما أزال أجد ألم الطعام الذي
أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » قال
العلماء : وهذا بعد ثلاث سنين من أكله • وفي رواية « ما زالت أكلة
خير تعاودني أى تراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معلومة ،
حتى قطعت أبهري » والأكلة بالضم اللقمة التي أكل من الشاة والأبهر
عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه ، وقد كان
ابن مسعود وغيره يرون أنه ﷺ مات شهيدا من السم •

قال الزرقاني : ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته لأنهم قالوا
ان كان نبيا لا يضره ، وان كان ملكا استرحنا منه ، فلما لم يؤثر فيه
تيقنوا نبوته ، حتى قيل ان اليهودية أسلمت ثم نغض عليه بعد ثلاث
سنين لآكرامه عليه الصلاة والسلام بالشهادة • وأما قوله تعالى :
« والله يعصمك من الناس » فانها نزلت بعد خير علي ما قال المفسرون
أو عصمه من قتلهم واغتيالهم ، وقد عصم من ذلك كما وعده الله سبحانه
وتعالى فانهم •

قال النمراني : « وأما الميضاة وخبرها » وأنه أدخل يده فيها ففاض
منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم ، فالخبر بذلك جاء عن محمد
ابن اسمعيل الأزهرى • وأمرها ضعيف عند أصحاب الأخبار ولم يجتمع
أصحابك على محته فكيفما أردت ، فالخبر صاحبك — أمراك الله —

ليس يساغ منها شيء ، ولا يستوى ولا تصح دعوة واحدة مما سواها •
على أنه قد سبق فقطع الدعاوى وحذف ذكر الآيات ، بته ، فسقطت
دعوى من ادعى له آية ، وانما بعث بالسيف زعم تصليبا وأن كل من لم
يقر أنه نبي مرسل قتله أو يؤدي الجزية ثمنا لكفره ، فبدعة ، فهل
تريد — أصلحك الله — دليلا أوضح أو حجة أقطع أو برهانا أصبح على
بطلان ما جاء به صاحبك أكثر من هذا ان أنت أنصفت نفسك وصدقته ؟

على أن صاحبك قد أقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلته عنه
الثقة الحاملين أخباره ، فإنه قال قولا مصرحا غير مكاتم ولا مساتر
أنه ليس من نبي الا وقد كذبت أمته عليه ، ولست أتر أن تكذب على
أمتي ، فما جاءكم عنى اعرضوه على الكتاب الذى خلفته بين أظهركم ،
فإن كان له مشاكل وكان له فيه ذكر فهو عنى وانى قلته وفعلته ، وإن
لم يكن له ذكر فى الكتاب ، فأنا برىء منه • وهو كذب ممن رواه عنى ،
وما قلته ولا فعلته • فانظر — أصلحك الله — فى هذه الأخبار التى ذكرناها
مما يقول أصحابك هل تجد لها أصلا فى الكتاب الذى فى يدك ؟ فإن كان
لها فيه أصل أو ذكر ، فهى لعمرى صحيحة قد فعلها وأتى بها •
والا فهو برىء منها وهى أباطيل وأكاذيب تقولوا بها عليه « انتهى •

أقول : ان معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التى لا تحصيها
منا الأقلام المتواترة لدى الأنعام وصححها العلماء الاعلام قد ذكرنا لك
منها جملة صالحة فى هذا الكتاب فلا يستر ضوءها مثل ماموه به هذا
المؤلف من الضباب ، وحديث الميضأة قطرة من بحر ورذاذ من ويل ،
ودرة من عقد ، وقد رواها النقاد بأسانيد معتبرة وروايات متعددة وطرق
عديدة وسلسلة سديدة وليس أمرها ضعيفا عند أحد كما زعم من
للمسيح عبد ، فاستمع ما نتلوه عليك من كتب الحفاظ المحدثين وثقة
الراوين :

فقد روى الامام البخارى فى كتابه الصحيح بسنده الى أنس
ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريب

الدار الى أهله وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء قليل فصغر المخضب أن يبسط فيه النبي ﷺ كفه لصغره فتوضأ القوم كلهم • قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة • وعنه رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ دعا باناء من ماء فأتى بقدر رحراح فيه شئ من ماء فوضع عليه الصلاة والسلام أصابعه فيه • قال أنس : فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين الى الثمانين • قال شارحه العلامة القسطلانى : « وهذا كان في أماكن مختلفة وأحوال متغيرة ، حتى أنه في حديث جابر كنا خمس عشرة مائة ولغيره زهاء ثلاثمائة » انتهى وقال القاضي عياض في الشفا : « أما الأحاديث في هذا فكثيرة جداً روى حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ جماعة من الصحابة مثل أنس وجابر وابن مسعود وفي التصحيح عن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء الا ماء في ركوتك ، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفيض من بين أصابعه كأمثال العيون • وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا • كنا خمس عشرة مائة • ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به ، لأنهم كانوا أسرع شئ الى تكذيبه ، لما جبلت عليه النفوس من ذلك ، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل ، فهولاء وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكرهم وسرد روايتهم قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عايتهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصدق جميعهم لهم ، كما لا يخفى على كل ذى لب متبصر • منصف •

وأما قوله : « فالخبر جاء عن محمد بن اسحاق الزهرى » فهو خبط منه ، لأن محمد بن اسحاق المطلبى هو غير الزهرى لأنه محمد بن مسلم عبید الله بن شهاب الزهرى وابن اسحاق المذكور

يروى عنه • وهو حافظ عمدة بين المحدثين ، فلا تغفل •

قوله « فسقطت دعوى من ادعى له آية وانما بعث بالسيف »
الى آخره •

قد استقصينا لك سابقا رد هذا الكلام وبيننا المراد بالآيات
وسقنا لك عبارة الانجيل المصرحة بأن المسيح لم يأت اليهود المنكرين
بآية وأحالهم الى انتقضاء أجله ، فحينئذ يرون المعجزة وأثبتنا أن دين
الاسلام انما قلم بالآيات الباهرات وبشائر الأنبياء السالفين والمعجزات
وأن النبی عليه الصلاة والسلام ليس بدعا في أمر الجهاد وأخذ الجزية
من ذوی العناد ، بل فعل مثل ذلك وأكثر كثيرا من أنبياء بنی اسرائيل
وأن أكثر الأمم لما دعاهم أسلموا من غير حرب ولا خوف كما بسطناه
أولا فلا حاجة الى التكرار ، فتذكر والله سبحانه الموفق •

قوله « يؤدى الجزية ثمنا لكفره فيدعه » لا يخفى عليك جواب
هذا التمويه مما أسلفناه لك مرارا من أن أخذ الجزية من الكفار ، عمله
جملة من أنبياء بنی اسرائيل بصورة أشد مما في دين الاسلام • والجزية
عندنا انما تؤخذ من غير العرب ، لأن العرب اذا لم يؤمنوا بالله
ورسوله عليه الصلاة والسلام فليس لهم الا السيف لأن القرآن نزل
بلغتهم والرسول بعث منهم وفيهم ، فليس لهم عذر في كفرهم به •
والحكمة في أخذ الجزية من غيرهم الامهال لذلك الغير فلعله يسلم هو
أو غيره من اللطف الالهي في حق الكافر ، كما أن البارئ سبحانه يخوف
بعض عباده من عصاة المؤمنين أو غيرهم بنوع من البلاء ليتوبوا
ويصطلحوا ، فاذا لم ينجع ذلك ربما أهلكهم بعذاب مستأصل ، فكذلك
الكافر ضربت عليه الجزية امهالا له وارهابا وانذارا للغيره ، وربما كانت
الجزية أعظم من القتل عند بعض من تأخذة الحمية ، فهو عين اللطف
والحكمة ، فانهم •

قوله : « على أن صاحبك قد أقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلت
عنه الثقة الحاملون أخباره فانه قال قولا مصرحا غير مكاتم ولا مساتر ،

أنه ليس من نبي الا وقد كذبت أمته عليه ، ولست آثر أن تكذب على أمتي فما جاعكم عنى اعرضوه على الكتاب » الى آخره .

فيقال لهذا النصرانى : هذا الحديث الذى ذكرته أنت لعله من الأحاديث المكذوبة فكيف عرفت أنه من الأحاديث الصحيحة ، اذ هو بحسب الظاهر مغاير لقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » وقوله سبحانه : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » لأنه سبحانه بين أن أقوال رسوله عليه الصلاة والسلام أيضا منه عز وجل بطريق الوحي والالهام ، فهي كالقرآن العظيم فى وجوب الاتباع والامتثال وأمرنا عز شأنه أن نمثل ما أمر به ونجتنب عما نهانا عنه ، لأنه عليه الصلاة والسلام هو الواسطة فى التبليغ فلا يقول شيئا من تلقاء نفسه . وهذا الحديث الذى ذكرته لم يصح عنه ﷺ من حيث هذه الألفاظ .

وفى كتاب الموافقات للعلامة القفراوى وكتاب ايقاظ المهمل للفاضل العمري أن هذا الحديث من وضع الزنادقة والخوارج . قال عبد الرحمن ابن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث يعبى ما روى عنه ﷺ أنه قال : « ما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله تعالى فأنا قلته وان خالف كتاب الله تعالى فلم أقله أنا . وكيف أخالف كتاب الله عز وجل وبه هدانى » .

وهذا لم يصح عند أهل العلم النقاد ، وقد عارضه قوم من أهل العلم وقالوا نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء . وعلى ذلك قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مخالفا لكتاب الله لأننا لم نجد فى كتاب الله سبحانه وتعالى أن لا يقبل من حديث رسول الله ﷺ الا ما وافق كتاب الله تعالى بل وجدنا كتابه يطلق التأسى به والأمر بطاعته وحذر المخالف عن أمره على كل حال ، فقد قال تعالى : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى » وقال تعالى :

« وما كان يؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون هم الخيرة من أمرهم » وغير ذلك من الآيات الآمرة باتباع أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك بأحدكم يقول : هذا كتاب الله ، ما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا من بلغه عنى حديث فكذب به ، فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه » وعن المقدم بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك رجل منكم متكاً على أريكة يحدث بحديث عنى ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه من حلال استحلناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه إلا من بلغه عنى حديث فكذب به ، فقد كذب الله تعالى ، وإنما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله تعالى » انتهى وقد روى هذه الأحاديث أيضاً حافظ المغرب الامام أبو عمر بن عبد البر في كتبه ، وقال صاحب قمر الإقمار حاشية نور الأنوار شرح كتاب المنار في الصفحة ١٧٩ ما لفظه : « قال السيد السند في رسالة أصول الحديث ، وكذا ما أورده الأصوليون من قوله » (إذا روى عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فان وافقه فاقبلوه ، والا فردوه) قال الامام الخطابي : وضعته الزنادقة ، ويدفعه قوله ﷺ : « انى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » انتهى فقد اتضح ما نقلناه لك عن المحدثين الثقات : أن هذا الحديث باطل وعن حلى الصحة عاطل • نعم ورد في أحاديث عديدة صحيحة بلغت حد المتواتر من أن الكذب عليه عليه الصلاة والسلام حرام ، وفيه الوعيد الشديد ، حتى أن بعض العلماء ذهب الى كفر من تعد الكذب على النبى ﷺ • وقد روى الشيخان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « الكذب على ليس ككذب أبى أحد ، من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وروى البخارى والدارقطنى « من يثقل على ما لم أثقل فليتبوأ مقعده من النار » وعن ابن عمر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : « حدثوا عنى ولا تكذبوا على فمن كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وروى الامام أحمد رحمه الله تعالى « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وفي رواية أخرى « فعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » •

وفي كتاب الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لمعاصرنا الشيخ عبد الحى ناقلا عن أبى محمد الرامهرمزي عن مالك بن عتابة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « عليكم بالقرآن وسترجعون الى أقوام يحدثون عنى فمن عقل شيئا فليحدث به ، ومن قال على ما لم أقل فليتبوأ بيئا فى جهنم » على أننا اذا قلنا بصحة هذا الحديث الذى أورده أنت ، فلا نقض علينا به فى شيء أبدا ، وهو مطابق لما نحن عليه فى أمر اثبات معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وليس بين القول بمعجزاته وبين هذا الحديث مخالفة بمقدار شجرة فى الحقيقة . لان الآية التى تستدل بها على مطلوبك وهى قوله تعالى : « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون » قد بينا لك تفسيرها فيما سبق ، وأن المراد بها الآيات الى اقترحها المشركون . وهى مثل قول المسيح : « انه ليس له آية الا بعد موته » حينما طلبوا منه آية ، وفصلنا لك الجواب تفصيلا شافيا ، وفسرنا الآيات القرآنية تفسيراً كافياً وشرحنا عبارة الانجيل شرحاً وافياً . فأى مخالفة بين اثبات الآيات والمعجزات له عليه الصلاة والسلام وبين نفى المطلوب للكفرة اللثام ؟ وقد بين سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم من المعجزات لنبيين الرعوف الرحيم كآية المعراج وغلبة الروم واخباره بالمغيبات ونحو هذا مما نقلته اليينا الرواة والأئمة اتفقا من الصحابة والتابعين والعلماء المحدثين من المعجزات التى وصلت اليهم بالشروط المعتمدة والأسانيد الموثوقة التى بلغت من حيث المجموع مبلغ التواتر بمحل ، لا يمكن أن يكابر فى رده مكابر .

وليت شعرى اذا قبلتم أنتم أناجيلكم المحررة بعد المسيح بسنين عديدة ، ولم تصل اليكم بسند ولا تواتر صحيح ، مع اضطرابها واختلافها وتناقض بعضها لبعض وتحريفها ومصادمتها لبداهة العقل ومخالفتها لكل كتاب منزل ونقل ، مثل آية العشاء الربانى ونحوها كما أثبتنا عليكم ذلك ، وشرحنا حال ما هنالك فى كتابنا هذا ، بحيث لا مجال لكل منصف انكاره والحمد لله تعالى ، فلم لا نقبل نحن الآثار للأوردة فى معجزات نبينا المختار والأحاديث الصحيحة فى سائر الأعصار التى نقلها

أصحابه العدول الذين قال الله تعالى في حقهم : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وقال فيهم النبي ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وقال : « أصحابي كالنجوم » وقال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، حتى يأتى أمر الله » فهم الذين نقلوا عنهم الأخبار ثم نقلها المحدثون طبقة بعد طبقة ، وأثبتوها في كتبهم الموثوقة بعد التدقيق التام والنضبط الكامل بالشروط المعتمدة ، والأصول المقررة التى ألفوا فيها الكتب المفصلة وكشفوا عنها كل معضلة وحققوا أحوال النقلة ونهبوا على الروايات المعللة • فافهم وأنصف •



فصل

لا زال هذا النصرانى يقترح هو وأضرابه فى صحة الأحاديث النبوية ولا يسلمها الا اذا كانت معانيها فى الآيات القرآنية ، فلذلك ينكر ثبوت المعجزات ويعددها من المخلتقات لأنها بزعمه منافية لما فى القرآن من قوله سبحانه « وما منعنا أن نرسل بالآيات » وسنثبت هنا ان شاء الله تعالى صحة الأحاديث النبوية المروية فى الكتب الصحاح السنية ، مقدمين فى البحث فوائد جلية :

الفائدة الأولى :

قال فى اظهار الحق ان جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كانوا يعتبرون سلفا وخلفا الروايات اللسانية كالمكتوب ، بل جمهور اليهود يعتبرونها أكثر من المكتوب ، وفرقة الكاثوليك من النصراني تعتبرها مساوية له ، وتعتقد أن كليهما واجب التسليم وأصلان للإيمان ، وجمهور فرقة البروتستانت من النصراني أنكروها كما أنكروا الصادقيون من فرق اليهود • وهؤلاء المنكرون من البروتستانت اضطروا الى انكارها

لأنهم لو لم يندروها لما أمكن لهم بيان أصول ملتهم وعقائدهم الجديدة المضادة لعقائد الكاثوليك لكنهم مع ذلك يحتاجون إليها في مواضع كثيرة ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة ، كما ستظهر لك جميع هذه الأمور ان شاء الله تعالى : قال آدم كلارك في شرح ديباجة كتاب عزرا في المجلد الثانى من تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ : « قانون اليهود كان منقسما الى نوعين مكتوب ويقولون انه التوراة وغير مكتوب ويقولون له الروايات اللسانية التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ ، ويدعون أن الله تعالى كان أعطى مرسى كلا النوعين على جبل الطور ، فوصل إلينا أحدهما بواسطة الكتاب ، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن نقلوها جيلا بعد جيل • ولهذا يعتقدون أن كليهما مساويا في المرتبة ، ومن جانب الله وواجب التسليم ، بل يرجحون الثانى ويقولون : ان القانون المكتوب ناقص مغلق في كثير من المواضع ، فلا يمكن أن يكون أصل الايمان على الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانية ، وهذه الرواية واضحة وأكمل وتشرح القانون المكتوب وتكمله • ولهذا يردون معانى القانون المكتوب اذا كان مخالفا للروايات اللسانية ، واشتهر فيما بينهم : أن العهد المأخوذ من بنى اسرائيل ما كان لأجل القانون المكتوب ، بل كان لأجل هذه الروايات اللسانية ، فكأنهم بهذه الحيلة نبذوا القانون المكتوب ، وجعلوا الروايات اللسانية مبنى دينهم وايمانهم ، كما أن الرومانيين الكاثوليكين في ملتهم اختاروا هذه الطريقة ، ويفسرون كلام الله تعالى على حسب هذه الروايات ، وان كان المعنى الروائى مخالفا لمواضع كثيرة ، ووصلت حالتهم في زمان ربنا الى مرتبة ألزمهم الرب في هذا الأمر بأنهم يبطلون كلام الله لأجل سنتهم • ومن عهد الرب أقرطوا فيه جدا حتى عظموا هذه الروايات أزيد من المكتوب •

وفي كتبهم أن ألفاظ المشايخ أحب من ألفاظ التوراة ، وألفاظ التوراة بعضه جيد وبعضه غير جيد وألفاظ المشايخ كلها جيدة ، وألفاظهم أجود جدا من ألفاظ الأنبياء • ومرادهم بألفاظ المشايخ هذه الروايات اللسانية ، التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ •

وأیضا فی كتبهم : أن القانون المكتوب كالماء ، ومثنا وتالمود
للذين رواياتهم مضبوطة فیهما مثل الخمر ذات الأباریز . وایضا فی
كتبهم : أن القانون المكتوب كالمالح ومثنا وتالمود مثل الفلفل والأباریز
العذبة ، ومثلها أقوال آخر یعلم منها أنهم یعظمون الروایات اللسانية
أزید من القانون المكتوب ، ویفهمون كلام الله علی ما یفهم شرحه من
هذه الروایات ، فكان القانون المكتوب عندهم بمنزلة الجسد الميت
والروایات اللسانية بمنزلة الروح الذی به الحاة ، ویقولون فی كون
هذه الروایات أصلا : ان الله لما أعطى موسى التوراة أعطاه معانی
التوراة أیضا ، وأمر أن یكتب الأول ویحفظ الثانی ویبلغه بالروایة اللسانية
فقط . وهكذا تنتقل جیل بعد جیل . ولذلك یطلقون علی الأول لفظ القانون
المكتوب ، وعلی الثانی لفظ القانون اللسانی . وانفتاوی التي تكون
مطابقة لهذه الروایات یسمونها قوانین موسى التي حصلت علی جبل سیناء
ویذعنون كما أن موسى حصل له التوراة فی الأربعین یوما التي كانت
المکاملة بینه وبين الله تعالی علی جبل سیناء فکذلك حصلت له هذه الروایات
اللسانية أیضا ، وجاء بهما موسى من الجبل ، وبلغهما الی بنی اسرائیل ،
بأن طاب هرون فی الخیمة بعدما رجع عن الجبل فعلمه القانون المكتوب
أولا ، ثم الروایات اللسانية التي هی معانی القانون المكتوب كما وجدها
من الله ، وقام هرون بعد ما تعلم وجلس عن یمین موسى ، ودخل
ألیعازر وإیثمار ، ابنا هرون وتعلما كما تعلم أبوهما ، وقاما فجلس
أحدهما علی يسار موسى ، والآخر علی یمین هرون ، فدخل المشایخ
السبعون وتلموا القانونین وجلسوا فی الخیمة ، ثم تعلم الناس الذین
كانوا مشتاقین لتعلم ، ثم قام موسى وقرأ هارون ما تعلم ، وقام . ثم
قرأ ألیعازر وإیثمار وقاما ، ثم قرأ المشایخ السبعون ما تعلموا علی
الناس ، فسمع كل من هؤلاء الناس هذا القانون أربع مرات وحفظوا
حفظا جيدا .

ثم أخبر هؤلاء بعدما خرجوا سائر بنی اسرائیل فبلغوا القانون المكتوب

بواسطة الكتابة ، وبلغوا معانيها الرواية الى الجيل الثانى وكانت الأحكام
فى المتن المكتوب ستمائة وثلاثمائة عشر ، فقسّموا القانون بحسبها •
ويقولون : ان موسى جمع بنى اسرائيل كلهم فى أول الشهر الحادى
عشر من خروج مصر ، وأخبرهم بموته ، وأمر أن أحدا ان نسى تولا
من القانون الالهى وصل بواسطتى اليه يجىء الى ويسألنى ، وكذلك
ان كان لأحد اعتراض على قول من أقوال القانون يجىء الى لأرفع ذلك
الاعتراض ، وكان مشغلا بالتعليم الى آخر حياته ، يعنى من أول الشهر
الحادى عشر الى السادس من الشهر الثانى عشر ، وعلم القانون
المكتوب وغير المكتوب ، وأعطى بنى اسرائيل من القانون المكتوب ثلاث عشرة
نسخة مكتوبة بيده ، بأن أعطى كل فرقة نسخة نسخة لتبقى محفوظة فيما
بينهم جيلا بعد جيل ، وأعطى بنى لاوى نسخة أخرى لتبقى محفوظة فى
الهيكل أيضا ، وقرأ القانون الغير مكتوب أعنى الروايات الاسانية على
يوشع ، وصعد على جبل نيبو فى اليوم السابع من الشهر ومات هناك •

وفوض يوشع بعد موت موسى هذه الروايات الى المشايخ وهم
فوضوا الى الأنبياء فكان نبي يوصلها الى نبي آخر الى أن أوصل الى ارميا
الى باروخ ، وباروخ الى عزرا وعزرا الى مجمع العلماء الذين كان شمعون
صادوق آخرهم ، وهو أوصل الى اينيتى كونوس ، وهو الى بوئى بن
يحنان ، وهو الى يوسى بن يوسير ، وهو الى نتهان الأربلى ويوشع بن
برخيا ، وهما الى يهودا بن يحيى وشمعو بن شطاه ، وهم الى شمايا وابى
طليون ، وهما الى هليل وهو الى ابنه شمعون • والمظنون أن شمعون
هذا هو شمعون الذى أخذ ربنا المنجى على اليمين ، اذ جاءت مريم به
الى الهيكل بعدما تمت أيام تطهيرها وهو أوصل الى كملئيل ابنه ، وهذا
كملئيل هو الذى تعلم منه بولس ، وهو وأوصل الى شمعون ابنه ،
وهو الى كملئيل ابنه ، وهو الى شمعون ابنه ، وهو الى رب يهودا حقا
دوش ابنه • وجمع يهودا هذا هذه الروايات فى كتاب سماه مشنا •
انتهى •

ثم قال ان اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظما بليغا ويعتقدون أن

ما فيه هو كله من جانب الله أوحى الى موسى على جبل سيناء ، مثل القانون المكتوب ولهذا هو واجب التسليم مثله • ومنذ صنف هذا الكتاب صار رائجاً بينهم رواجاً تاماً بالدرس والتدريس ، وكتب عليه علماؤهم الكبار شرحين :

أحدهما : في القرن الثالث في أورشليم •

والثاني : في ابتداء القرن السادس في بابل •

واسم كل من هذين الشرحين جمارا ، لأن معنى جمارا في اللغة • الكمال وقد حصل التوضيح التام للمتن في هذين الشرحين — في ظنهم — وإذا جمع الشرح والمثن يقال لهذا المجموع تلمود ، ويقال للتمييز تلمود أورشليم وتلمود بابل • وكأن مذهبهم الرائج الآن كل مندرج في هذين التلمودين اللذين كتب الأنبياء خارجة عنهما • ولما كان تلمود أورشليم مغلفاً فلذلك الآن اعتبار تلمود بابل عندهم زائد « انتهى •

وقال هورن في الباب السابع من الحصة الأولى من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٧٧ « مشنا كتاب مشتمل على روايات اليهود المختلفة وشروح متون الكتب المقدسة ، وظنهم في حقه أن الله تعالى لما أعطى التوراة على جبل طور سيناء أعطاه هذه الروايات أيضاً في ذلك الحين ، ووصلت من موسى الى هرون وأليعازار ويوشع ومنهم الى الأنبياء الآخرين • ومن هؤلاء الأنبياء الى المشايخ الآخرين • وهكذا وصلت من حيل الى جيل الى أن وصلت الى شمعون • وهذا شمعون هو شمعون الذي أخذ ربنا المنجى على يديه ، ووصلت منه الى جملئيل ومنه الى ييذا حق دوش أي المقدس ، وهو جمعها في آخر القرن الثاني بمشقة أربعين سنة في كتاب من هذا الوقت بلطنا بعد بطن • مستعمل في اليهود ، وكثيراً ما يكون عزة هذا الكتاب زائداً عن القانون المكتوب « انتهى •

ثم قال « على مشنا شرحان يسمى كل منهما جماراً أحدهما جماراً

أورشليم الذى كتب فى أورشليم على رأى بعض المحققين فى القرن الثالث، وعلى رأى قنادرمون فى القرن الخامس والثانى جمارا الذى كتب فى القرن السادس فى بابل ، وجمارا هذا مملوء بالحكايات الواهية ، لكنه عند اليهود معتبر عظيم ودرسه وتدريسه رائجان فيهم ، ويرجعون اليه فى كل مشكل مذعنين بأنه مرشد لهم ، وقال جمارا لأن معنى جمارا الكمال . وظنهم أن هذا الشرح كمال التوراة ولا يمكن أن يكون شرح أفضل منه ، ولا حاجة الى شرح آخر ، واذا انضم يالمن جمارا أورشليم يقال للمجموع تلمود أورشليم ، واذا انضم جمارا بابل يقال للمجموع تلمود بابل « انتهى .

فظاهر من تحرير هذين المفسرين أربعة أشياء :

الأول : ان اليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة بل كثيرا ما يعظمونها أزيد من التوراة ، ويدعون أنها بمنزلة الروح والتوراة بمنزلة الجسد ، واذا كان حال التوراة هكذا ، فكيف حال الكتب الأخر .

والثانى : ان هذه الروايات جمعها يهودا حق دوش فى آخر القرن الثانى ، وكانت محفوظة بالحفظ اللسانى الى ألف وسبعمائة سنة ، ووقع على اليهود فى أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهى جسيمة . مثل حادثة بخت نصر وأينتوكس وطييطوس وغيرها ، بحيث انقطع التواتر فى هذه الحوادث ، فضاعت الكتب ، ومع ذلك اعتبارها عندهم أزيد من التوراة .

والثالث : ان هذه الروايات فى أكثر الطبقات مروية برواية واحد واحد ، مثل جملئيل الأول والثانى ، والشمعون الثانى والثالث . وهؤلاء لم يكونوا من الأنبياء عند اليهود ، وكانوا عند المسيحيين من أشد الكفار المنكرين للمسيح ، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود هى مبنى الايمان وأصل العقائد .

والرابع : أن جمارا بابل لما كتب فى القرن السادس فحكاياته

الواحية على قول هورن كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط الى مدة
هى أزيد من ألفين •

فإذا عرفت حال اليهود باعتراف محققى فرقة البروتستنت فاعلم
الآن حال جمهور قدماء المسيحية • قال يوسى بيس الذى تاريخه معتبر
عند علماء الكاثوليك والبروتستنت فى الباب التاسع من الكتاب الثانى
من تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٧ فى الصفحة الثامنة والسبعين فى بيان
حال يعقوب الحوارى : « ان كليمنس نقل حكاية قابلة للحفظ فى كتابه
السابع فى بيان حال يعقوب هذا ، والظاهر أن حال كليمنس نقل هذه
الحكاية عن الروايات اللسانية التى وصلت اليه من الآباء والأجداد ،
ثم نقل فى الباب الثالث والعشرين من الكتاب الثالث قول أربذوس فى
الصفحة الثالثة والعشرين بعد المائة « كنيسة أفسس التى بناها بولس
وأقام فيها يوحنا الحوارى الى عهد سلطنة ترجان شاهد ذو ايمان
لأحاديث الحواريين » ثم نقل فى تلك الصفحة قول كليمنس « اسمعوا
فى حق يوحنا الحوارى حكاية ليست بكاذبة بل هى : صادقة محققة ،
بقيت فى الصدور محفوظة » ثم قال فى الباب الرابع والعشرين من
الكتاب الثالث فى الصفحة السادسة والعشرين بعد المائة « تلاميذ
المسيح مثل الحواريين الاثنى عشر والسبعين رسولا وكثير من أناس
آخرين لم يكونوا غير واقفين عن الصالات المذكورة التى كتبها
الانجيليون • لكن كتبها منهم متى ويوحنا فقط ، وعلم من الرواية
اللسانية أن تحريرهما أيضا كان لأجل الضرورة » ثم قال فى الباب الثامن
والعشرين من الكتاب الثالث فى الصفحة الثانية والثلاثين بعد المائة :
« كتب اريثيوس فى كتابه الثالث حالا هو حرى بأن يكتب ، وصل اليه
هذا الحال من يوليكارب بالرواية اللسانية » ثم قال فى الباب الخامس
من الكتاب الرابع « لم أرحال أساقفة أورشليم بالترتيب فى كتاب ،
لكنه ثبت بالرواية اللسانية أنهم بقوامدة قليلة » ثم قال فى الباب
السادس والثلاثين من الكتاب الثالث « وصل الينا بالرواية اللسانية
أنهم لما ذهبوا باكتايثوس الى الروم ليتتلوه بالقاءه بين أيدي السباع

لأجل كونه مسيحيا ، و مر بايشيا في حفاظة العسكريين فقوى الكنائس المختلفة في أثناء الطريق بنصائحه وأقواله ، وأخبرهم عن البدعات التي كانت منتشرة في تلك الأيام أو كانت حدثت ووصاهم باللصوق بالروايات اللسانية لصوقا قويا ، واستحسن أيضا لأجل زيادة الحفظ أن كتب هذه الروايات ، وأثبت شهادته عليها ثم قال في الباب التاسع والثلاثين من الكتاب الثالث : « قال بى بيس في ديباجة كتابه : أكتب لانتفاعكم بجميع الأشياء التي وصلت من المشايخ الى وحفظتها بعد التحقيق التام ، ليثبت زيادة تحقيقها بشهادتي عليها ، لأنى مارضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين يلغون كثيرا ويعملون بتصائح أخرى أيضا ، بل سمعت الأحاديث من الذين لا يعلمون الا النصائح الحقبة التي هي مروية من ربنا الصادق ومن لقيته من متبعي المشايخ سألت عنه : اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو متى أو شخص آخر من تلاميذ ربنا أو أرسنيون أو القسيس يوحنا مريد ربنا ماذا قال ؟ لان الفائدة التي حصلتها من السنة الأحياء ما حصاتها من الكتب »

ثم قال في الباب الثامن من الكتاب الرابع : « هجيسى ويس من مؤرخي الكنيسة مشهورة ونقلت عن تأليفاته أشياء كثيرة نقلها عن الحواريين بالروايات اللسانية ، وكتب هذا المصنف مسائل الحواريين التي وصلت اليه بالرواية اللسانية بعبارة سهلة في خمس كتب » .

ثم نقل في الباب الرابع عشر من الكتاب الرابع قول أدينيوس في بيان حال يوليكارب « في علم يوليكارب دائما ما تعلمه من الحواريين وبلغه الكنيسة بالرواية وكانت مثله صادقة » .

ثم نقل في الباب السادس من الكتاب الخامس عن قول آرينوس « فهرست أساقفة الروم » وقال في الصفحة الواحدة بعد المائةين « الآن الى تهيروس أسقفها الثانى عشر من السلسلة التي وصل اليها بواسطتها الصدق والروايات اللسانية من الحواريين » ثم نقل في الباب الحادى عشر من الكتاب الخامس قول كليمنس « ما كتبت هذه الكتب

أطباب الرفعة ، بل لظن كبرسنى ، ولأن تكون ترقيات لسانى جمعتهما على طريق التفسير كأنها شروح للمسائل الالهامية التى صرت بها معظم بعد ما تعلمتها من الصادقين الباركين ، ومنهم يونى كوس الذى كان فى اليونان وإثنانى الذى كان يقيم فى مكينا كريشيا كان أحدهما سريانيا والآخر مصرى • وكان الباقيون من سكان المشرق • دان واحد منهم أسوديا وواحد عبرانيا من أهل فلسطين • والشيخ الذى وصلت آخر الى خدمته مختفيا فى مصر ، وكان أفضل من المشايخ كلهم ، وما طلبت شيئا آخر بعده لأن أحدا ما كان أفضل منه • وهؤلاء المشايخ حفظوا الروايات الصادقة التى هى منقولة من بطرس ويعقوب ويوحنا ويولس جيلا بعد جيل •

ثم نقل فى الباب المتمم عشرين من الكتاب الخامس قول أرينيوس : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالامعان التام وكتبتها فى صدرى لا فى القراطس ، وعادتى من قديم الأيام أنى أكررها بالديانة » •

ثم قال فى الباب الرابع والعشرين من الكتاب الخامس « كتب بولى كرائيس الأسقف رواية وصلت اليه بالرواية اللسانية فى الكتاب الذى أرسله الى وكتر وكنيسة الروم » ثم قال فى الباب الخامس والعشرين من الكتاب الخامس : « تاركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس من أساقفة فلسطين وأسقف كنيسة أشور ، وأسقف تولمائي كلاروس والأشخاص الآخرون الذين جاءوا مع هؤلاء ، أساقفة قدموا أمورا كثيرة فى حق الرواية التى وصلت اليهم فى باب عيد الفصح من الحواريين ، منقولة بالرواية اللسانية ، جيلا بعد جيل » وكتبوا فى آخر الكتاب : أن أرسلوا نتائجهم الى الكنائس ، لئلا يبقى للذين يضلون عن الصراط المستقيم سريعا موضع الفرار ثم قال فى الباب الثالث عشر من الكتاب السادس فى بيان حال كليمنس اسكندر يانوس الذى كان من أتباع تابعى الحواريين أنه قال فى كتابه الذى ألفه فى بيان عيد الفصح « ان الأحباء طلبوا منى أن أكتب لنفع الأجيال الآتية الروايات التى سمعتها من الأساقفة » ثم قال فى الباب الحادى والثلاثين من الكتاب السادس

في الصفحة الثالثة والستين بعد المائتين إفريكاتوس في رسالته التي هي موجودة الى هذا الحين ، وكان أرسلها الى أرسنديس « يبين التطبيق بين بياني متى ولوقا في نسب المسيح باعتبار الرواية التي وصلت إليه من الآباء والأجداد » انتهى كلامه • وعلم من أقوال السبعة عشر أن قدماء المسيحيين كانوا يعتبرون الرسالة اللسانية اعتبارا عظيما • وقال جان ملتر الكاثوليكي في كتابه الذي في بلد دربي سنة ١٨٦٦ في رسالته العاشرة التي أرسلها الى جيمس برون « اني كتبت في ما قبل أيضا : أن مبنى ايمان الكاثوليك ليس كلام الله الذي هو مكتوب فقط ، بل هو أعم ، مكتوبا كان أو غير مكتوب ، يعنى الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة الكاثوليك به » ثم قال في تلك الرسالة « ان آرينيوس قال في الباب الخامس من المجلد الثالث من كتابه انه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتقحصوا في كل كنيسة الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين وأظهروها في العالم كله » ثم قال في تلك الرسالة : « ان آرينيوس قال في الباب الثالث من المجلد الأول من كتابه « ان ألسنة الأقباط وان كانت مختلفة لكن حقيقة الرواية اللسانية في كل موضع متحدة • كنائس الجرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرانس ، وأسبانيا والمشرق ومصر وليبيا » •

ثم قال في تلك الرسالة : ان آرينيوس قال في الباب الثاني من المجلد الثالث : ولما كان تحرير حال سلاسل الكنائس كلها يفضى الى التطويل ، فلذلك نرجع الى رواية وعقيدة كنيسة الروم التي هي قديمة وعظيمة ومشهورة جدا وبناها بطرس وبولس الكنائس كلها موافقة لها ، لأن الروايات اللسانية المنقولة عن آرينيوس جيلا بعد جيل ، كلها محفوظة فيها » ثم قال في تلك الرسالة : « ان آرينيوس قال في الباب الرابع والستين من الكتاب الربع : « ولو فرضنا أن الحواريين لم يتركوا الكتب لنا • فنقول : انه اما كان لازما علينا أن نطبع الأحكام التي ثبتت بالرواية اللسانية التي هي منقولة عن الحواريين ، وكانوا سلموها للناس الذين سلموها للكنيسة ، وهذه الروايات هي التي يعمل

بحسبها التوحشيون الذين آمنوا بالمسيح بلا استعمال الحروف والمداد »
ثم قال في تلك الرسالة : ان ترتولين قال في كتابه الذى ألفه في رد أهل
البدعة وطبع في بلد « رهنان » في الصفحة السادسة والثلاثين « ان
عادة أهل البدعة أنهم يتمسكون بالكتب المقدسة ، ويستدلون ويقولون
انه ليس غير الكتب المقدسة المكتوبة شيئاً قابلاً ، لأن يجعل مبنى
الايمان ويقال بحسبه ويعجزون بهذه التحيلة الأقوياء ، ويلقون الضعفاء
في شبكاتهم ، ويوقعون المتوسطين في الشك • ولذا نقول : لا تجيزوا
هؤلاء أبداً أن يناظر مستدلين بالكتب المقدسة لانه لا تترتب على المباحثة
التي تكون بالكتب المقدسة فائدة ما ، غير أن يصير الدماغ والبطن
خاليين ، فذلك طريقة الرجوع الى الكتب المقدسة غلط ، لأنه لا يحصل
انفصال أمر من هذه الكتب • وإن حصل شيء يكون على الوجه الناقص ،
ولو لم يكن هذا الأمر أيضاً كانت طريقة المباحثة في تلك الصورة أيضاً
أن يحقق أولاً أن الكتب المقدسة علاقتها من أى الناس ؟ وبلغ أى
شخص الى أى شخص في أى وقت الرواية التي صرنا بسببها مسيحيين ؟
لأن الموضوع الذى توجد فيه أحكام الدين المسيحي وعقائده ، يوجد
فيه صدق الانجيل ومعانيه وجميع روايات الدين المسيحي التي هي
لسانية » •

ثم قال في تلك الرسالة : « كتب باسلوس ان المسائل الكثيرة
المحفوظة في الكنيسة التي يوعظ بها اخذ بعضها من الكتب المقدسة ،
وبعضها من الروايات اللسانية ، وقوتها في الدين مساوية ، ومن كان
له وقوف ما على الشريعة العيسوية لا يعترض على هذا » •

ثم قال في تلك الرسالة : « ان كريز استم صرح في شرح الآية
الرابعة عشرة من الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي
« ظهر من هذا صراحة أن الحواريين لم يبلغوا الأشياء كلها الينا بواسطة
التحرير ، بل لغوا أشياء كثيرة بدون التحرير أيضاً • وكتاهما
متساويتان في الاعتبار ، ولذلك فلنلاحظ أن رواية الكنيسة منشأ الايمان •
واذا ثبت شيء بالرواية اللسانية ، فلا نطلب زائداً عليه » •

ثم قال فى تلك الرسالة : « ان أكستائين كتب فى حق الشخص الذى حصل له الاصطباغ من المبتدعين أنه وان لم يوجد السند التحريرى فى هذا الباب ، لكنه فليلاحظ أن هذا الرسم أخذ من الرواية اللسانية لأن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحوارين قرروها وهى ليست بمكتوبة » انتهى كلامه •

وعلم من أقواله : أن الروايات اللسانية مبنى ايمان فرعة الكاثوليك وكانت معتبرة عند القدماء ، وفى الصفحة الثالثة والسبعين من المجلد الثالث من الكاثوليكي هرلد ما عبارته : « أورد الربى موسى قدسى شواهد كثيرة على أن متن الكلام المقدس لا يفهم بدون معونة الحديث والرواية اللسانية ، واقتدى مشايخ الكاثوليك بهذه القاعدة فى كل وقت » وقال ترتولين : فليرجع لادراك الشئ الذى علم المسيح للحواريين الى الكنائس التى بناها الحواريون وعلموها بتحريراتهم ورواياتهم اللسانية •

فعلم من هذه العبارات المذكورة : أن اليهود عندهم تعظيم الروايات والأحاديث أزيد من تعظيم التوراة ، وأن جمهور قدماء المسيحية مثل كليمنس وأرينيوس وهجيسى بوس وبوليكارب وبولى كراتيس وناركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس وكاروس وكليمنس اسكندر يانوس وايفريكانوس وون سنت الاسقف وغيرهم كانوا يعتبرون الروايات اللسانية ويعظمونها ويقدمونها ويتداولونها • ولا يفرقون بينها وبين الإنجيل • فالانصاف أن رد ما قال جمهور علماء النصارى من اعتبار الروايات اللسانية لا يخلو عن تعصب وجهل ويكذب هذا الأمر . انجيلهم أيضا فى آيات متعددة منها الآية الرابعة والثلاثون من الأصحاح الرابع من انجيل مرقس ما عبارتها : « وبدون مثل لم يكن يكلمهم ، وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شئ » وينبىد أن لا تكون هذه التفسيرات كلها أو بعضها مروية ، وأن يكون الحواريون محتاجين الى التفسير ، ومعاصرونا لا يكونون كذلك • ومنها الآية الخامسة والعشرون من الأصحاح الحادى والعشرين من انجيل يوحنا ما عبارتها : « وأشياء أخر كثيرة صنعها

يسوع ان كتبت واحدة واحدة فليست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » وكلام الانجيلي وان لا يخلو عن المبالغة والغلو ، لكنه لا شك أن قوله « وأشياء أخر كثيرة » يشمل جميع أفعال المسيح عليه السلام . معجزات كانت أو غيرها . ويبعد أن لا يكون شيء منها مرويا بالرواية الإنسانية . ومنها : الآية الخامسة عشرة من الأصحاح الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي ما عابرتها : « فاثبتوا اذن أيها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا » . فقول « سواء كان بالكلام أم برسالتنا » يدل صراحة على أن بعض الأشياء وصلت اليهم بواسطة التحرير وبعضها بالكلام مباشرة ، فلا بد أن يكون كلاهما معتبرين عند المسيحيين ، كما صرح به غير واحد من علمائهم المتقدمين والمتأخرين . ومنها الآية الثانية من الأصحاح الثاني من الرسالة الثانية الى تيموثاوس ما عابرتها : « وما سمعته مني شهود كثيرين أودعه أنا أسا أمنا . يكونون كفوا أن يعلّموا الآخرين أبضا » . ومنها ما في آخر الرسالة لميوحنا ما عابرتها : « اذ كان لي كثير لأكتب اليكم ، لم أر أن يكون بورق وحبر ، لأنني أرجو أن آتي اليكم وأنكلم شما لفم لكي يكون فرضا كاملا » . ومنها ما في آخر الرسالة الثالثة ما عابرتها : « وكان لي كثير لأكتبه لكني لست أريد أن أكتب الآن بحبر وقلم ولكنني أرجو أن أراك عن قريب ، فأكلم شما لفم » . فهاتان الآيتان تدلان على أن يوحنا قال في المباشرة أشياء كثيرة على ما وعد ، وبعد أن لا تكون هذه الأشياء كلها أو بعضها مروية برواية .

فظهر مما ذكرنا أن من أنكر من فرقة البروتستانت اعتبارا لأحاديث مطلقا في المسلة المسيحية فهو اما جاهل أو متعسف عنيد وقوله مخالف ، مكتبه المقدسة ، ولجمهور علمائه من القدماء وهو داخل في زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء ، ومع ذلك لا بد له من اعتبارها في كثير من معتقدات فرقته مثل قولهم : ان الابن مساو للآب في الجوهر ، وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن ، وأن المسيح ذو طبيعتين ، وأنهم واحد ، وأنه ذو ارادتين الهية وإنسانية ، وأنه بعد ما مات

نزل الجحيم ، وغيرها من هوساتهم ، مع أن هذه الكلمات لا تهجد بعينها في العهد الجديد وما اعتقدوا هذه الأمور إلا من الأحاديث والتقليدات .
وأيضا يلزم عليه أن ينكر كثيرا من أجزاء كتبه المقدسة مثل انجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر اصحاحا من سفر أعمال الحواريين لأنها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحي كما ستعرف ان شاء الله تعالى في اثبات هذا في محله مفصلا .

ولتورد لك دليلا واحدا من تلك الأدلة وهو أن انجيل لوقا لم يكن الهاميا ويظهر ذلك مما كتبه في ديباجة انجيله ونلصه : « لأجل أن كثيرين اجتهدوا بترتيب قصص الأمور التي كملت فينا كما عاهد الينا أولئك كانوا منذ القديم ييصرون . وكانوا خداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا اذ كنت تابعا لذلك شيء من البدء باجتهاد أن أكتب اليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به » انتهى .

وغير هذا مما لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل كتاب من كتب العهد العتيق والجديد كتب بالالهام ، وأن كل حال من الأحوال المندرجة فيه الهامى ، لأن هذا الادعاء باطل قطعا كما لا يخفى .

وقال يوسف الخورى في تفسيره وصححه : « أن لوقا لم يكن من الاثنين وسبعين مبشرا ، ولم يشاهد المسيح ، بل كتب ما سمعه من الرسل ومريم العذراء كما شهد عن نفسه في بداية انجيله بقوله : « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منذ القديم معانين وكانوا خدام الكلمة » ولهذا دعاه متواترا تلميذ الرسل » انتهى .

ومثل أن ينكر خمسة أصحاحات من الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين من سفر الأمثال لأنها جمعت في عهد حزقيا من الروايات اللسانية التي كانت جارية بينهم . وما بين زمان الجمع وموت سليمان عليه السلام مدة مائتين وسبعين سنة والآية الأولى من الأصحاح الخامس والعشرين من السفر المذكور تصرح بذلك . ونلصها : « فهذه أيضا أمثال سليمان التي استكتبها أصدقاء حزقيا ملك يهوذا » انتهى .

وقال آدم كلارك المفسر في تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ ما عبارته :
« يعلم أن في آخر هذا السفر أمثالا جمعت بأمر حزقيا السلطان من
الرواية اللسانية التي كانت جارية من عهد سليمان ، فجمعوا هذه الأمثال
منها وجعلوها ضمنية هذا السفر ، ويمكن أن يكون المراد بأحبياء حزقيا
أشعياء وشنيا وغيرهما من الأنبياء الذين كانوا في ذلك العهد فتكون تلك
الضمنية مثل السفر الباقي سندا والا فكيف ضموا بالكتاب المقدس »
انتهى نقوله جمعت بأمر حزقيا السلطان من الرواية اللسانية ، صريح
فيما قلناه • وقوله « ويمكن أن يكون المراد » اني آخره مردود ، لأنه
مجرد احتمال لا يتم على المخالف بدون السند الكامل ، وليس عنده
سند بل يقول احتمالا ورجما بالغيب • وقوله « وكيف ضمها بالكتاب
المقدس » مردود لأن اليهود كان عندهم اعتبار الروايات أزيد من اعتبار
التوراة كما قدمنا • فاذا صار مشنا عندهم معتبرا مع أنه جمع من
روايات المشايخ بعد ألف وسبعمائة سنة تقريبا • وكذا صار قصص
جمارا بابل ، مع أنها جمعت بعد ألفى سنة ، فأى مانع في اعتبار الأبواب
الخمس التي جمعت بعد مائتين وسبعين سنة ؟ ولقد أنصف بعض سماء
البروتستنت واعترف بأن الرواية اللسانية أيضا معتبرة مثل المكتوب في
الصفحة الثالثة وأستين من المجلد الثالث من الكاثوليكي هرارد م لفظه :
« ان الدكتور بريت الذي هو من فضلاء البروتستنت قال في الصفحة
الثالثة والسبعين من كتابه : « ان هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدسة
هو أن الدين العيسوي صار مفوضا الى الأساقفة الأولين ، تابعي
الحواريين بالرواية اللسانية ، وكانوا مأمريين بأن يدافعوا عليه ويفوضوه
الى الجيل المتأخر ، ولا يثبت من كتاب مقدس سواء كان بولس أو غيره
من الحواريين أنهم كانوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التي لها دخل
في النجاة ، وجعلوا قانونا يفهم منه أنه لا يوجب شيء ضروري له
دخل في النجاة غير المكتوب » •

وقال في الصفحة الثانية والثلاثين من الكتاب المذكور : « يرى بولس
وغيره من الحواريين أنهم كما بلغوا إلينا الأحاديث بواسطة تحرير ،

كذلك بلغوا بواسطة الرواية اللسانية أيضا • والويل للذين لا يحافظون عليها والأحاديث العيسوية في أمر الايمان سند كالمكتوب ». انتهى كلام الدكتور بريث •

وقال أسقف مون نيك : « ان أحاديث الحوارين سند لمكتوباتهم ولا ينكر أحد من البروتستنت أن تقرير الحوارين اللسانى أزيد من تحريرهم » •

وقال جلنك ورته : « أن هذا النزاع وهو أن أى انجيل هو قانونى ، وأى انجيل ليس بقانونى يزول بالرواية اللسانية التى هى قاعدة الانصاف لكل نزاع » انتهى كلام الكاثوليكي هرلاد •

وقال القسيس طامس انكلس الكاثوليكي فى الصفحة الحادية والثمانين بعد المائة من كتابه المسمى بمرآة الأصدق المطبوع سنة ١٨٥١ « يشهد أسقف « مانى سيك » من علماء البروتستنت أن ستمائة أمر قررها الله فى الدين وتؤمر الكنيسة بها ، يقبل فى حقها أن الكتاب المقدس ما بينها فى موضع وما علمها » انتهى فعلى اعتراف فاضلهم هذا : ستمائة أمر ثبتوا بالرواية اللسانية وواجبة التسليم عند فرقة البروتستنت • انتهى •

فعلم أن الأحاديث التى وصلت من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى أممهم ، فيها أحكام مشروعة حكمها كحكم الكتب السماوية فى الاعتبار والامثال وهى مسلمة الاتباع عند ذوى الأديان الثلاثة من غير جدال •

فائدة : قال الامام السيوطى فى شرح ألفيته فى علم الحديث •
أول جامع الحديث والآثر ابن شهاب أمراء له عمر
وأول الجامع للأبواب جماعة فى العصر ذو اقتراب
كابن جريج وهشيم بالك ومعمرو وولد المبارك

اعلم : أن الآثار كانت فى عصر الصحابة وكبار التابعين غير مدونة

ولا مرتبة لسيلان أذهانهم وسعة حفظهم ، ولأنهم كانوا نهوا نولا عن كتابتها خشية اختلاطها بالقرآن ، ولأن أكثرهم كان لا يحسن الكتابة . وقد أراد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته تدوينها ولم يقدر له ذلك . قال ابن سعد فى الطبقات : أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن واستخار الله تعالى شهرا ، ثم أصبح وقد حزم له ، فقال : « ذكرت قوما من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا كتابا ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء » فترك ثم كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق : انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه . وقال الامام مالك : كان يكتب عمر بن عبد العزيز الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى ، وأن يعملوا بما عندهم ويكتب الى أبى بكر بن عمرو بن حزم أن يجمع السنن ويكتب اليه بها . وقال المروى : لم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الحديث انما كانوا يؤدونها حفظا . وقد وقع تدوين الفرائض زمن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه .

قال الزهرى : لولا أن ازيد بن ثابت كتب الفرائض رأيت أنها ستذهب من الناس .

وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع فى منتصف القرن الثانى فأول من جمع كذلك ابن جريج بمكة ومالك أو ابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومعر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع بن حبيب ، أو حماد ابن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثورى بالكوفة والأوزاعى بالنخع وجور ابن عبد الحميد بالرى .

وقال ابن الأثير فى مقدمة جامع الأصول : « ما زال هذا العلم من عهد رسول الله ﷺ أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين بعدهم وتابعى التابعين خلفا بعد سلف لا يشرف أحد بعد حفظ كتاب الله تعالى الا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم فى النفوس الا بحسب ما يسمع من الحديث عنه ، فتوفرت الرغبات فيه وانقطعت الهمم على

تعلّمه • حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد ، ويطلع الفيا في
والفاوز ويجوب البلاد شرقا وغربا في طلب حديث واحد ليسمعه من
راويه ، فمنهم من يكون الباعث له على الرحلة طلب ذلك الحديث ، لذاته ،
ومنهم من تعرف بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوى بعينه ، اما لثقته
في نفسه وصدقه في نقله • واما لعلو اسناده ، فانبعثت العزائم الى
تحصيله • وكان اعتيادهم أولا على التحفظ والضبط في القلوب والخواطر
غير ملتفتين الى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه ، محافظة على
هذا العلم ، فلما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وتفرقت الصحابة في
الأقطار وكثرت الفتوح ومات معظم الصحابة وتفرقت أتباعهم وقل
الضبط ، احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة ، بعد أن
أخذوه عن العدول والحفاظ المتقنين • فدونه علماء أعلام وألف نيس
بجهازة الأنام ، وميزوا صحيحه من سقيمه في أسفار متعددة ضخام »
أنتهى •

وقد ذكرنا لك أيضا فيما تقدم شيئا مما يتعلق بهذا فراجعه
ان أردته •

قوله « هل تجد لها أصلا في الكتاب الذي في يدك » الخ غنقول :
قد مر عليك بطلان الحديث الذي استدل به على فساد مطبئه • ونجيبه
هنا أيضا بقولنا : نعم ان لها أصلا في كتاب الله سبحانه كما مر سابقا
من قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقوله عز وجل :
« سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى »
الآية وقوله عز شأنه : « والله يجمعك من الناس » وقد عصمه كما قال •
وقوله جل وعز : « ألم غابت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين » فكان الأمر كذلك ، وغير هذه الآيات مما تقدم
لك في محله الدالة على ما حصل له عليه الصلاة والسلام من المعجزات
والشتملة على كثير من الاخبار بالمعجزات •

ومن المعلوم عند كل ذي لب أن المعجزة هي عبارة عن شيء خارق

للعادة يخلقه الله تعالى متى شاء على يد من شاء من أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام مقرونا بالتحدي فإذا صدرت معجزة واحدة من نبي أو أنفبر بالغيب ولو مرة واحدة ، فهي دالة على صدقه وشاهد عدل على نبوته ، وكافية في تأييد دعواه ، وكانت أصلاً لغيرها من المعجزات التي تصدر منه . ومن المعلوم الذي أثبتناه غير مرة أن نفس القرآن معجزة له عليه الصلاة والسلام وقد تضمن المعجزات العديدة التي تقدم لك ذكر شيء منها في محله ، فليكن ذلك أصلاً للباقي المعجزات التي ذكرها أهل الحديث وتواترها النقلة الثقة في القديم والحديث ، كنفع الماء وتكثير الطعام وتكليم الوحوش وانقياد الشجر وتسليم الصخر وكلام الجماد له ﷺ فيكون حينئذ لتلك المعجزات أصل في الكتاب فلا يصادم هذا الحديث على تقديم تسليم صحته شيئاً من المعجزات التي رواها الأصحاب ، كما لا يخفى على كل فطن طالب لاتباع الحق غير مرتاب .

والله سبحانه الهادي الى صوب الصواب . وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد صاحب المعجزات ، وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نجز الجزء الأول من كتاب رد النصارى المسمى بالجواب الفسيح
لما لفته عبد المسيح في ١٧ صفر سنة ١٣٠٧ هـ .

فهرس الجزء الأول

من كتاب الجواب الفسبح

للفقه عبد المسبح

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
كلمة محقق الكتاب	٣	الفصل الثالث	٢٩
فصل في معنى « عماويل »	٢٥	فصل	١٥٣
رد اللغو	٢٧	فصل	١٦٧
أولا : القتال في سبيل الله	٢٧		
ثانيا : تعدد الزوجات في		الفصل الأول : في إبطال	
الاسلام	٢٩	التثليث بالبراهين العقلية	١٩١
ثالثا : نسخ الشرائع	٣٠	الفصل الثاني : في إبطال	
مقدمة المؤلف	٣٣	التثليث بأقوال المسيح	١٩٦
بدء كتاب النصراني	٣٦	الفصل الثالث في التأويل	٢٠١
الرد على كلام النصراني	٣٧	خاتمة	٢٠٤
		تنمية	٢٠٤
الفصل الأول : في بيان ما في		الفصل الأول في قوله « وبيان	
بعض ألفاظه من المصطلحات		ذلك قول موسى الخ »	٢١٢
ونحو ذلك	٤٢	فصل	٢١٧
تنمية في فائدتين	٤٣	فصل	٢١٨
بدع الأخلاق	٥١		
بدع المجادلة	٥٢	الفصل الثاني : في بيان بعض	
الفصل الثاني	٥٤	مفرقهم المشهورة والموجودة	
الفصل الثالث	٥٨	وبيان بعض اعتقاداتهم المعرومة	
الفصل الرابع	٦٢	عنهم الآن	٢٢٢
		فصل : في قولهم : الإله جوهر	٢٢٦
القول في التثليث		الفصل الثالث : في الإثبات	٢٣٧
الفصل الأول	٧٠	الفصل الرابع : في التبرؤ	
الفصل الثاني	٧٤		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
والإتحاد	٢٤١	فصل	٣٧٤
للفصل الأول : في نسبته ﷺ		فصل فيما أكرم به من أجابة	
وبعض أحواله وسيرته وابتداء		أدعيته عليه الصلاة والسلام	٣٨٤
أمسره	٢٤٣	فصل : في إنذاره عليه الصلاة	
مقدّمة	٢٤٣	والسلام بما يحدث بعده	٣٩١
فصل في دعوى عبد المسيح أنه		فصل : في معجزة ما ظهر من	
عليه السلام كان يعبد اللات		البهائم	٣٩٤
والعزى	٢٥٠	فصل : في ظهور معجزة ﷺ من	
الفصل الأول : في اثبات نبوته		الشجر والجهاد	٣٩٨
عليه الصلاة والسلام من الكتب		فصل : في هتوف الجن بنبوته	
النسائية .. الخ	٢٦١	صلى الله عليه وسلم	٤٠٣
فصل	٢٩١	فصل : فيما هجست به النفوس	
تتمة	٣٠١	من الهام العقول بنبوته عليه	
فصل	٣٠٧	أفضل الصلاة والسلام	٤٠٨
فصل	٣٠٩	تتمة للإمام الرازى	٤١٨
فصل	٣٣٨	فصل	٤٢٠
فصل	٣٤٣	الفصل الأول : في الرد على	
فصل	٣٤٥	النصارى في طعنهم في الجهاد	٤٦٦
فصل	٣٤٧	الفصل الثانى فيما أجاب به	
فصل	٣٥٠	بعض المؤلفين الأفاضل	٤٦٩
فصل	٣٥١	فصل	٤٨٣
فصل	٣٥٢	الفصل الثالث : لا هناعمة في	
فصل	٣٥٣	الجهاد	٤٨٧
فصل : في معجزات قصته		فصل	٥٠٦
على الله عليه وسلم	٣٥٦	المقدمة : في اعتراضاتهم	٥١٠
فصل	٣٥٨	الفصل الأول	٥١١
فصل	٣٥٩	الفصل الثانى	٥١٣
فصل : فيما شوهد من		الفصل الثالث : في بيان تزوجه	
معجزات أفعاله عليه الصلاة		عليه الصلاة والسلام بزینب	
والسلام	٣٦٥	بنت جحش	٥١٧
فصل : في نوع آخر	٣٦٩	الفصل الرابع	٥٢١
فصل : فيما سمع من معجزات		الفصل الخامس	٥٢٢
أقواله عليه أفضل الصلاة		الفصل السادس	٥٢٥
والسلام	٣٧١	الفصل السابع	٥٢٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الفصل الأول في : اثبات نبوته ورسالته بما اظهر من معجزاته وآياته		الفصل الخامس	٥٨٧
الفصل الثاني	٥٦٦	الفصل السادس	٥٩٨
الفصل الثالث	٥٦٩	فصل : مكمل لايرادلتهم ونقل	٥٦٦
الفصل الرابع : في أن المصلوب الشبه ... الخ	٥٧٤	لما يرد عليهم	٦١٦
		فصل : في الرد على من شكك	
	٥٧٩	في محبة الاحاديث النبوية	٦٧١

تم الفهرس

رقم الإيداع ٢٩٢٧ / ١٩٩٠

2041